الأدب

رئيس التحرير

أمين الخولي

6

الأدب للأمناء

قصيرة • شهرية

يصدرها الأمناء

الادارة مصر الجديدة . العجم : ١٣

ت ٦١٧٥٠٠

الرسائل الفنية والمالية

ترسل باسم

أمين الخولى

رئيس التحرير

الرسائل الادارية

ترسل باسم

محمد جابر عبد العال

مدير الادارة

الاشتراك عن سنة بالبريد العادى (أو ما يعادلها)
في مصر ٥٠ ق
في الخارج ٨٠ ق

ثمن العدد ٥ ق

البريد الجوى

والمسجل بحسابه

فهرس

العدد الاول — ابريل ١٩٦١ — السنة السادسة

من الفن والحياة

عن الامناء ٣

غربال الحياة .. أدق

• ميخائيل نعيمه ٦

الفن .. والتاريخ

أمين الخولى ٨

الغربة .. فى المثل الشعبى

محمد ابراهيم أبو سنه ١٧

ديكنز القرن العشرين

ميشيل روبسون ٢٣

شاعر .. فى افريقيا ..

أنس داود ٢٨

فى الليل

البيلى عبد الحميد حسن ٣٠

الى أمى

ناهيد أبو زهرة ٤٧

أقسمت بالوطن المفدى

عبد الرحمن كحيلة ٥٠

قصة الهارب

ستيفان زفايج ٣١

ترجمة : مصطفى الصاوى الجوينى

محاولة تقديم شخصية مسلمة : الغزالى

توفيق حنا ٣٨

فى الذكرى العاشرة لوفاة خليل شيبوب

نقولا يوسف ٤١

نداء الى الادباء

نجيه عبده سعد ٤٨

حول محاولة لابداء رأى فى القصة القصيرة

عبد القادر زايد ٤٩

نقد مجموعة : صراع الروح والجسد

علاء الدين وحيد ٥١

بريد الادب — ساوك الاسياد ٥٨

استئناف نحوى — ٦٠ — خارج النقد — ٦٠ — الشعر — ٦١

النشر — ٦٢ — مع القراء — ٦٤

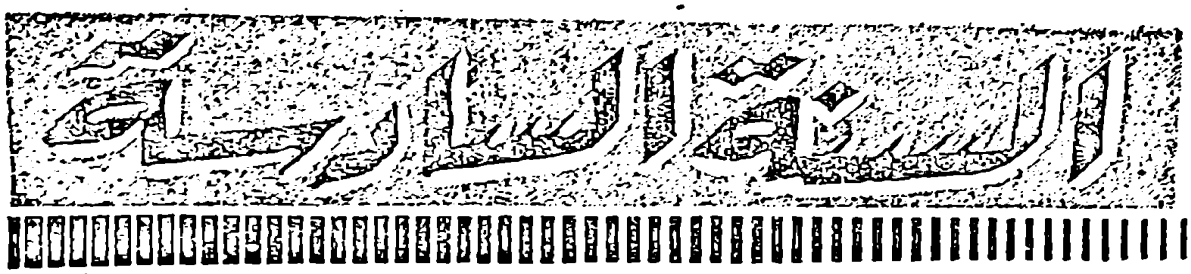

تدخل «الادب» اليوم سنتها السادسة ، خالصة النية ، صادقة العزم ، ثابتة القدم ، واضحة المنهج ، متطلعة ، صامدة ..

وخمس سنوات فى العمل الصحفى عمر مديد ، وتجربة كبيرة ، وهى فى حياة الأمة كذلك مدى بعيد ، فى هذا العصر ، الذى تنطلق فيه الحياة انطلاق الصـــاروخ عابر القارات ، وتطوى فيه المسافات ، وتنسخ الأبعـــاد .. ففى الحق ان تقف «الأدب» على رأس خمس سنوات صحافية ـ فى حياة هذا العصر ـ تتحاسب نفسها ، وتعرف : ماذا كان ؟ .. وماذا يجب أن يكون ؟ تقديرا وتدبيرا .. لاحدسا وتخمينا

★★★

و « الأدب » لسان حال الأمناء : مدرسة الفن والحياة ، فعلى هذين القطبين يدور نشاطها ، وحولهما تجرى تجربتها .. وترجو ان تكون تجربة واعية . مبصرة ، يقظة .. تنتفع من خطئها أكثر مما تنتشى من صوابها .. وفى شجاعة وجرأة ، تبسط أمام القراء حســـابها لنفسها ، وحسابها للحياة حولها ، فى صدق صراح ، وحق جهير .. لتعرف واياهم نتيجة أمسها .. وتستهدى واياهم هدف غدها .. فيروا لها رأيهم ، ويلتقوا جميعا ، على وعى ووئام .. وكذلك يجب أن يكون سلوك الصحافة ، حين يستقيم أمرها ، ويكرم غرضها ، ويحسن تمثلها لواجبها ..

★★★

مضت «الأدب» خـــلال تلك السنوات تحـــرر فى مصر والشرق .. معنى الفن وتكشف عن الادراك الصائب له ، والفهم الدقيق فيه .. فلم يعد الادب ذلك الزخرف القولى ، ولا اللعب الـكلامى ، ولا المرقعة التى تلتئم بطرف من كل فن .. وتتالف من مزق منتزعة . من كل لون ثقافى .. كما عرف الأدب بذلك حينا .

وفعلت «الادب» ما استطاعت أن تفعل ، فى سبيل الايمـــان بجـــلال الفن وحرمته ، وأثره ومكانته ، فلم يعد الفن ذلك العبث الخليع ، ولا اللهـــو الفاجر ، ولاهو ذلك الترف الوثير . والنعمة الناعمة ، يطلبها الناس ، حين يتهيأ لهم الشـــباب والفراغ ، والجدة .. فتلين الثروة أعطافهم ، ويشيع الغنى فيهم البطر والطغيان ..

ويحل عرى تماسكهم .. وكذلك تنادى بالفن ، بل مارس صنوفه ، اصحاب الدين ودعاته ، وخفت لعنتهم لأهله ، وحرمانهم للويه ، وفترت الخصومة النابية له ، هونا ما .. وسام فهم الفن ، على أنه ليس الا الحس الدقيق .. والشعور الرقيق .. والادراك النافذ ، للمعنى الرفيع ، فى انسانية الناس ، وكرامة البشر .. فهو الذى يهدى السبيل .. ويشحذ العزم ، ويبعث الارادة ، ويصور المثل ، ويجسم الأمل ، ويرسم الغد .. فيمضى الانسان قدما : يسمو .. ويكرم .. ويترفع ، ويعظم .. ويتحرر ويسود .. ويرتقى ويتقدم .. وهو جدير بعكس ذلك كله ، اذا ما أظلم منه الحس ، وقتم منه الوجدان ، فتفتر الهمة ؛ ويتوه الطريق ؛ ويتفه الامل ؛ ويشتبه المثل ، فينتكس الانسان ويرتكس .. ويتخاذل ويتحلل .. ويخلد الى ارض الهوام والحشرات .. ولا يعرف الا دنيا العجماوات ..

وذلك عند الامناء : مدرسة الفن والحياة ، هو معقد صلة الفن والحياة .. وملتقى الدين والفلسفة .. ومبتغى العلم والعمل .. ومثار النضال ، فى سبيل كل أمل يلوح على أفق ، من تلك الآفاق المقدسة ، المعبودة فى كل حرم ومعبد ، ومدراس ومعهد .. على مر التاريخ .. وطوال عمر الانسانية ، وعلى اختلاف الالسنة والوان .. وتغاير الملل والاديان .

ومن هنا كانت « الأدب» دائما دعوة جادة ، معتزمة ، باذلة ، بل مستميته ؛ فى سبيل هذا التاكيد المصحح ، لمعنى الفن ، ومنزلته فى حياة قومها ..

***

وفى الحياة كانت «الادب» وجدانا خافقا ، وقلبا رءوفا ، يحس عنت اهله حوله ، من تلك الملايين المعناة ، الملتاعة ، المحرومة ، المرهقة ..

وكانت «الأدب» تألم الألم المبرح لابناء هؤلاء ، حين يتغير بهم الحال فى المدن ، ويدر الضرع ، ويتوافر الخير ، فتشعر لهؤلاء الابناء ، وتشعرهم بمرارة هذا الحلو ؛ وملوحة هذا العذاب ، مادامت حوله تلك الافواه المتحلبة حرمانا وحاجة .. وتلك العيون المتطلعة تحسرا ويؤسا .. وكيف يهنأ للابناء عيش ، وهذه حال الآباء والاخوة ، وأبناء العمومة والخئولة حواليهم وعليهم .. وفيهم ومنهم ..

***

كان الفن فى فهم «الادب» طوال تلك السنوات هو ما اسلفت .. وبينت .. وافاضت وأكدت .. وعلى هدى هذا الفهم بعمق مع الغد والمستقبل ادراكها الصحيح لهذه الحقائق .. ويصدق عزمها فى الدفاع المناضل عن تلك المثل الكريمة .. الى أن يكون هذا الادب ، وجدان صدق .. وشعور وسيادة .. ورسالة وقيادة .. ويصح تقديره . وتدق موازينه .. ويسلم تقويمه .. فلايجازى محاباة ومجاملة .. ولايكرم تسلفا ومداولة .. ولا يطفر فى دنياه دعى سلاحه سلاطة وسفاهة .. وجاهه ملق حاكم ، او تأييد ظالم ، او ممالأة حزب ، ولا يسد فيه طريق على ناشىء موهوب .. ومحاول قادر .. ولا يكم فيه فم .. ولا يكسر قلم .. ولا تحد حرية . ولا تباع ذمة .. ولايرهق ضمير .. أبدا .

وكانت الحياة فى فهم « الأدب » طوال تلك السنوات الخمس هى ماقدمت .. وأكدت .. واختارت .. وايدت .. وعلى ضوء هذا الفهم بعمق مع الغد والمستقبل ادراكها ويجد فى سبيل تلك الأهداف جدها .. واحب اليها أن ترتفع الاصوات

بالدعوة المرددة الى تلك الاشتراكية والديمقراطية ، فتكون عند «الأدب» مبعث أمل ، ومتنفس أمنية ، ومظهر غاية كريمة ، فى أن يكون الادب وتكون صحيفته الفم الذى يرفع أصوات هؤلاء العواة ، حين يجأرون حولنا .. أن يكون الادب ، وتكون صحيفته ، اللسان الذى يفصح عن مبهم مايزأر به أولئك الذين يصرخون بنا ..

وأكرم رسالة الحياة فى «الادب» أن تحتمل ، وتجتهد ، وتعمل وتبذل ، وتدعو وتدفع الى العمل الجليل ، فى سبيل الجمهرة والسواد ، من تلك الملايين السافحة لدمها ، دون ظفر بما يمسك عليها بشريتها ، ويحفظ لها بعض الثقة بانسانيتها ، ويرد عليها أيسر ما أفقدها اياه الاستبداد المترادف ، والطغيان المتتابع ، يخدعها ، ويخدرها ويوهمها ، ويسرقها ، ويستنزفها ، بالتحايل والمكر ، وبالعسف والقهر ، فكانت وهى الكثرة الكاثرة ، والامة المناضلة والمحاربة ، لا تبوء من خير دنياها الا بالكسرة السوداء .. والخرقة الزرقاء .. والشربة الكدراء .. والبنية العجفاء .. والخلقة الشوهاء .. وفتكة الادواء .. وندرة الدواء ، أولئك هم قومنا وأهلونا .. عنهم فصلنا واليهم مآبنا .. وهم على كل حال خطاؤنا .. فهل ترى الفن يكون فينا شعورا بانسانية ، وتشبثا بكرامة ، الا بقدر ما نعرف ويعرف هذا الفن ، من حق هؤلاء علينا ومنزلتهم منا ، وواجبنا لهم ، وجهادنا فى سبيلهم ..

تلك هى الاشتراكية ، التى نتخذ لنا منها شارة وشعارا ، ونتخير بين أهلها مكانا ، ونتبوأ منزلا .. والصحافة أوعى الناس لها ، وأقدرهم على تأصيلها ، والصحافة الفنية أقوى بذلك كله حسا ، وأنضج وعيا ، وأهدى الى الواجب .. وقد عرفت «الأدب» من ذلك فى سنواتها الخمس ماعرفت .. وأنها فى غدها لأتم معرفة .. وأهدى سبيلا ..

***

تلك هى الأهداف العليا ، والغايات الكبرى .. وأما مادون ذلك من غايات ، كتحرير المنهج وتأصيله ، وتطهير النقد وتطويره ، وتغذية الحياة الفنية بالكريم الرفيع ، فذلك وما اليه ، مما تترك « الأدب » للقراء تقديره ، وحسابها عليه .. وحسبها قولا فى ذلك انها واعية دائبة ..

ولئن جنح القلم بعد الحديث العام ، الى شىء من خاص الحديث ، عن الحياة الصحافية ، وكيف تقتحمها «الأدب» وكيف تجد من شعور الافراد والهيئات حولها فانها لتؤثر من ذلك الاشارة الخفيفة ، والكلمة الموجزة ، ترفعا عن ملق فى شكر ، أو اسراف فى مدح .. وضنا بكرامتها على شكوى أو تأوه فهى من الكرامة ، والشجاعة بحيث تعرف الجميل ، تشكره بحسن استعماله .. وتصبر على الحيف ، وتعذر صاحبه : حتى يستبين أمره ، بما يغنى عن مسهب القول فيه .. وهى على تلك السنة تمضى فى تقدير عمل من يعاونها — وانكار فعل من يناوئها .. وكل ما ترجو من نفسها ، وتأمل لها ، أن تكون عندما تحب لها من شكر فى حينه ، أو صبر فى وقته .. لا تنكر الأول .. ولا تبرم بالثانى .. ورب اشارة أبلغ من عبارة .. وفى اخلاص «الأدب» لواجبها لفت كاف الى اخلاص كل لواجبه ..

الحياة ... أدق

فى رأى صاحب الغربال

المفكر الفنان ، ميخائيل نعيمة ، الذى يعيش حياة الراهب فوق الجبل ، فى قرية بسبكنتا ، استطاع من عزلته هذه أن يؤثر فى تيار الثقافة العربية المعاصرة أبلغ الاثر باشعاره ، ونقده ، ودراساته ، وهى أنموذج صادق الاصالة والعمق .

وقراء العربية لايستطيعون أن ينسوا كتابه «الغربال» والدور الكبير الذى لعبه هذا الكتاب فى ارساء تقاليد وقواعد جديدة للنقد الادبى الحديث ، ومع رفيق جبران ، صاحب «الغربال» كان هذا الحديث باسم « الأدب » .

★ ★ ★

وعن سبب انتاج الادباء وقراءة القراء يقول :

ـ أكتب لأذكى فى نفسى ، ونفس تارئي التشوق الى الكمال ، والكمال عندنا يعنى معرفة كل شىء والقدرة على كل شىء ، اما لماذا يكتب غيرى فجواب ذلك عندهم لا عندى .

وعن فاعلية الاديب فى تطور المجتمع يقول :

ـ بكل تأكيد ، فالكلمة الفاهمة ، الواعية ، الصادقة ، هى وحدها القوة التى تجترح المعجزات .

وعن حرية الاديب .. والتزامه ـ يقول :

ـ الحرية فى الأدب شرط أساسى اذا أريد له أن يكون عنصر تفتح وحياة، والالتزام فى طبيعة الادب . على أن يصدر عن الاديب نفسه .

ويقول عن صوفيته :

ـ اذا اتكل الانسان فى سعيه وراء المعرفة على أكثر من حواسه الخارجية، وعلى أكثر مما يدعونه «الاسلوب العلمى» قالوا انه «غيبى» أو «باطنى» أو «متصوف» ولاننى لا ألقى كل اتكالى على الحواس وعلى الاسلوب العلمى فأنا بالطبع «متصوف» .

وعن الوجودية فى الفلسفة والادب يقول :

ـ الوجودية ، كما أفهمها ، تنفى وجود غاية من الوجود يسبقها تخطيط وتصميم ، ولأننى لا أستطيع أن أتخيل أى عمل لايهدف الى غاية ، وأى حركة

بدون محرك ، واى سبب دون مسبب ، فانا والوجودية لا نلتقى ، واذا كان من الادباء من ترضيه الوجودية فليكتب ادبا وجوديا ·

وعن الادب والحياة يقول :

ـ فى اعتقادى أن طاقة الانسان على الخلق والتطور لا تعرف الحدود · وهى تقاس لا بما يملك من قوة بدنية وعقليه بل بما يتأجج فى وجدانه من شوق الى المطلق · وهذا الشوق هو الكفيل لى بأن الانسان يملك الوسائل لتحقيق ما يشتاقه، والا لما كان شوقه ، أما الخير والشر فهما سبيله الى اكتشاف تلك الوسائل· وأما الولادة والموت فمحطات من محطات العمر الذى يمتد ما امتد الزمان ·

وعن اتجاه الادب العربى اليوم ·· يقول :

ـ الى أن يتحرر أدبنامن الشعور بأنه أدب شعوب متخلفة وحديثة العهد بالاستقلال من الاستعمار سيبقى تحديد اتجاهه ضربا من الرجم بالغيب ·!

وعن غربلة حياتنا الادبية المعاصرة يقول :

ـ فى حياة كل منا مراحل ، و «الغربال» فى حياتى كان مرحلةثورة على الجمود ، والتحجر ، والرياء ، والتدجيل ، والتقاليد ، وامتهان جمال الكلمة وكرامتها · أما وقد انتهت بى تلك الثورة الى ثورة على الذين يمتهنون جمال الحياة، ومعناها ، وكرامةالانسان، فقد بات لى منثورتى الجديدة ما يشغلنى عن القديمة · ومن ثم فالنقاد اليوم جيش لجب ، ولم يكونوا كذلك أيام « الغربال » وأى بأس اذا لم تطابق مقاييسهم مقاييسى ؟ فللحياة غربال أدق من كل ماصنعه الناس من غرابيل ·

وعن ترجمة الادباءالراحلين كما ترجم لجبران يقول :

ـ صدر لى فى أواخر السنة الماضية وأوائل الحاضرة المجلد الاول والثانى من مؤلف ضخم دعوته «سبعون · · حكاية عمر» وفى الاسبوع الماضى سلمت المطبعة المجلد الثالث والأخير من هذا الكتاب ، وهو كتاب أروى فيه حكاية سبعين سنة عشتها على الأرض حتى الآن ، فهو كما ترى ، كتاب سيرة ، ولكنها سيرة أديب حى لأديب راحل ·

وعن الحوار العامى فى القصة يقول :

ـ ما من شك فى أن اللغة العامية أكثر حيوية وتطورا من الفصحى ، ولكنها لا تصلح للتفاهم بين العرب على اختلاف ديارهم ولهجاتهم ، مثلما لا تصلح للتأليف فى شتى الموضوعات والغايات · فلا هى ، من حيث المفردات فى مثل غنى الفصحى ، ولا كتابتها قابلة للضبط الا اذا أضفنا الى الأحرف العربية المعروفة أحرفا جديدة ، والا اذا رتبنا لها القواميس وقواعد فى الصرف والنحو · ولست أرى بأسا فى استعمالها ـ الى حد ما ـ فى الحوار القصصى · ويا ليت الفصحى تتبنى الكثير من مصطلحات العامية واشتقاقاتها التى يسهل تطويعها لمقتضيات الصرف والنحو ·

وعن الشعر الحديث يقول :

ـ طفرة من القلق والسأم والحيرة جاءتنا من الغرب ، ولا تثريب عليها الا فى أنها تحاول محو كل ما قبلها · ولكنها ستنتهى بمحو نفسها ـ الا القليل منها · وهى ، فى كل حال ، خير من الجمود والقناعة والاستكانة ·

الفن .. والتاريخ
معرض الأدبي و معرض التاريخ

بقلم : أمين الخولي

- ١ -

هذا البحث بيان لتصفية اجتماعية أدبية ، صنعها الزمن ، فقرر نهاية معارك قاستها الحياة المعاصرة ، فاهتزت بها أركانها ، ولفحتها نيرانها فأكتوت منها بخسائر مادية ومعنوية ، كانت في غنى عنها ، لولا ما وقف في سبيل التطور المحتوم ، من عقبات خلقية ،وفكرية، عاقت التطور فترة غير قصيرة . وزلزلت أعوانه زلزالا شديدا ، كاد ينال من عزيمتهم ، بل نال منها حينا . فرفعت راية الاستسلام مرة، ووقعت فعلا طلب الهدنة ، في صورة اعلان مختوم ، يسجل اقرار الايمان بمبادىء المهاجمين لحرية العقل والروح ، في صورتها التي يجمدها عليها أولئك الذين يحاولون وقف سير الوجود ، بفهم العقيدة في صورة من التجمد ، والتمنع على العقل - وما هي في شيء من ذلك عند العارفين .. وأوشك حماة طريق التقدم ، وحراس جسر التطور أن يمكنوا الاعداء من قطع الطريق ، ونسف الجسر ، لولا حيوية في البيئة عتيدة . وخلف خلفوا من بعد هؤلاء المتهيئين للاستسلام ، ما وهنوا ولا استكانوا ، بل ثبتوا حتى بانت الحقيقة ، وانجلى الموقف وتثلمت الاسلحة الفاسدة ، التي لم تقو على رد الأمس ، ووقف الشمس .

وأشهر تلك الهجمات على حياتنا الأدبية العصرية ، التي تشير الى تصفية الزمن لها معركتان : هذا : معركة الشعر الجاهلي ، منذ بضع وثلاثين سنة .. ومعركة الفن القصصي في القرآن الكريم ، منذ بضع عشرة سنة .

ومع تباعد الزمن بين الواقعتين ، وان بين أولاهما والثانية نحو ربع قرن من الزمان فانهما ليستا في حساب التطور الاجتماعي الا خطوتين متكاملتين ، من خطوات التقدم ، بل قد تكونان خطوة واحدة قد تحرك بها القدمان ، في تلك السنين التي تبدو كثيرة طويلة، فقد مست المعركة على الشعر الجاهلي ، ما في القرآن من الاخبار عن أولية الاسلام ، في الجزيرة العربية ، وبناء ابراهيم للكعبة وصلة اسماعيل ابنه بالعرب ، وصلة العرب باليهود ، وأشياء حول هذا واهنة ، قال المتجددون فيها : ان للقرآن أن يقول فيها ما يشاء ... ولا على التاريخ أن يلتزم من ذلك بشيء .. وشق ذلك على أصحاب

القرآن .. وبقيت فجوة بينهم وبين اصحاب الأدب ، لم ينسها هؤلاء ، ولم يسدها اولئك ، وان حولوا الطريق عنها باستبعاد كتاب ، واستبداله بآخر .. وتسوية الحاكمين للأمر ..

ثم كانت الموقعة الثانية ، بعد بضعه وعشرين عاما ، حول : الفن القصصي في القرآن الكريم ، اذ عرضت الرسالة المكتوبه في ذلك لما في قصصه من خبر فقالت : انه ليس تاريخا ، بل هو شيء غير التاريخ ، لكن لا يجزع منه التاريخ ، لانه تناول فني للأخبار .. ووقعت الواقعة ، التي قد يكون في قراء « الادب » اليوم من يذكر سعة ميدانها ، وعنف الهجوم فيها ، وطول زمنها .. وفساد أسلحتها .

وينكشف غبار المعركة ، ويعمل الزمن عمله فينضج الفكرة ، في فرق ما بين القصة والتاريخ . واختلاف العرضين : الأدبي .. والتاريخي ، اختلافا يفترق به تناول القرآن ، عن تناول التاريخ ذلك الافتراق الذي يجليه هذا البحث في صورة لم تستكمل خطوطها ، ولم تتضح معالمها كل الاتضاح في اول أمرها .. ولهذا السبب سيمضي التاريخ في طريقه ، ينقد ، ويقرر ، ويرفض ، ويسلم .. ويمضي القرآن معجزة البيان العربي ، في طريقه يعرض الأحداث عرضا فنيا ، لا يملك التاريخ فيه انكارا ولا اثباتا ، كما لا يئود التاريخ منه تفصيل أو اجمال .. على نحو ما ينتهي بك اليه هذا البحث .

* * *

وتتم هذه الحركة تلك الخطوة ، وتسد تلك الفجوة ، بين اصحاب الأدب واصحاب القرآن ، اذ تقدم البيان الواضح ، لما ابتغاه أصحاب الأدب ، من عدم التزام التاريخ ، وما ينبغي أن يبتغيه أصحاب القرآن من تناوله لأحداث التاريخ .

ويصفي الزمن آثار الموقعتين تصفية حاسمة ، فاذا رسالة الفن القصصي في القرآن الكريم تطبع مرتين ، وتنفذ نسخهما ، وتكتب مادة القرآن في دائرة معارف الشعب الجديدة ، فيتقرر فيها بجلاء ووضوح عن الفن القصصي في القرآن ما أثار بعضه الحفيظة ..

ويمضي التطور الى أمام — وتضع الدراسة الادبية بين حقائقها ذلك البيان الذي يرد عدوان القرآن على التاريخ ، ويحمي القرآن من تطاول التاريخ .

وهذه الحقائق لما تقدم للحياة الادبيه حتى الآن ، في صورة واضحة ، وبيان واف ، يقطع قول كل شاك أو منكر . أو خائف متوجس ، على حمى العقيدة .. ولعل الذي تقدمه « الأدب » في هذا البحث هو التصوير الاصيل الوافي لفرق ما بين العرضين التاريخي والادبي ، وقد أنضجه الزمن ، وصفاه الهدوء ، بعدما أثار كل دفينة فيه خفية ما كان ابان المعركة ، من تضليل وتشويه — أو اسراف في التجني والافتيات ، أو استفسار بريء ، واستفهام صادق ..

وتم التطور ، على سنة الله ، فى خلقه ·· وبذل فى سبيله ما بذل من الجانبين ، هجوما ودفاعا ، فلم يذهب هباء · بل كان قربانا لابد منه لتسيير الحياة ··

ونتيجة تلك التسوية هى ما يقدمه هذا المقال عن : الفن والتاريخ ·· وفرق ما بين العرضين : الأدبى ·· والتاريخى ·· ولعل المقال يكون من الوفاء بالبيان ، فى المنزلة التى لا يحتاج معها قارىء الى مزيد ايضاح ·

* * *

وبين التاريخ بمعناه العصرى الخليق بمستوى الحياة الفكرية اليوم ، وبين الفن بمعناه الوضىء الآن وشائج وثيقة، وصلات قوية ، مهما يجنح التاريخ الى الدقة العلمية ، ومهما يطمح العلم فى اجتذابه الى ميدانه ، ومهما يطاوع التاريخ العلم ويستجب له ·

بين التاريخ والفن،فى صوره المختلفة، ولا سيما الفن القولى ، صلات متينة ، كانت وستظل ، تداخلا بين ميدانيهما ، أو تماسا ، وتجاورا قويا قريبا بين دائرتيهما ·

التاريخ يمد الفن ــ فى صوره المختلفة ــ بموضوعاته الوجدانية ، التى تبعث المتفننين على العمل ، والاجادة ، فمن التاريخ مادة الفن ، من بطولات الخالدين، وشخصيات العبقريين ، وكبار الاحداث، وروائع الاعمال ، التى تثير فى المتفننين الرغبة الملحة ، فى التعبير المبين عن تلك المفاخر ، والطرائف ، والروائع ·· ومنه العمل القيم على امدادها بعناصر البقاء ، وعوامل الخلود ، ومن هذا الانفعال ، ومن تلك الرغبة فى التعبير تخرج تلك الشوامخ من الاعمال الفنية ، بصنوفها المختلفة ، من الكلم ، والنغم ، والالوان والاضواء والمجسمات ، التى هى نفائس من تراث المدنية ، وثروة الحضارة ·

فالفن فى أدواره المختلفة يداخل التاريخ تلك المداخلة التى نفحت الفن القولى ، بمثل ما نفحت الموسيقى ، وما منحت سواهما من فنون المنظور ·· وانت خبير « بمعالم الادب» العالمى . التى خلدت أبطالا وأعمالا ، ونصبتهم منارات شاخصة ، على طريق الحضارة ، وليست مادة ذلك كله الا التاريخ ، اليه يفزع الفن ، وبه يستعين ·· وحين يضع التاريخ ختاما لمعرفته بأولئك الاشخاص والاحداث رقما هين القراءة ، يسمى اليوم من الشهر فى سنة كذا ، حيث مات الانسان ·· وانطوى الحادث ، يتقدم الفن بهدى التاريخ ليمنح الزائل البائد المطوى خلودا أبديا ، يستعصى به على النسيان آمادا طويلة ، وآبادا مديدة ، وبكل أولئك يجاوز الفانى المحدود ببيئته الخاصة الضيقة الى آفاق فسيحة من الدنيا الرحيبة ، ويكون هتافا مرددا على شفاه البشر ، باختلاف ألسنتهم وألوانهم ·

وتلك المداخلة بين التاريخ والفن أحسبها ستظل على هذا التشابك ، مهما يتطور درس التاريخ وممارسة الفن ، فيكون الدرس التاريخى موضع التجربة العلمية ، ويكون التناول الفنى مجال الممارسة المتجددة ، فى مذاهب ومدارس ·· لا نريد أن نحدد لها نهاية !··

على أن هذا التشابك بين التاريخ والفنون كلها ـ وبخاصة الفن القولى ـ ليس هو الذى ابتعث نشاط القول ، فيما بين الفن .. والتاريخ ، بل ان الذى لفت اللفت الأقوى الى هذا الحديث هو ما خلفت هذه المداخلة بين الفن والتاريخ من آثار دينية واجتماعية ، أخذ الناس فى فهمها مسالك ، وسلكو طرائق ، جعلت من غير السهل الفصل الواضح ، بين حدود الفن وحدود التاريخ .. وخذ لذلك أقرب الأمثلة ، « هذا القرآن » كتاب العربية الاكبر ، والمعجزة العظمى للدعوة الاسلامية ، فانه يعطيك بنظمه الصورة الكبرى لما بين التاريخ والفن من تداخل دعا الى هذا البحث ، بعد ما أثار من حوله تلك الزوابع العاصفة ..

ان النظم القرآنى ، بتمثيله الموفور ، وبيانه القائم على أحوال الماضين ، وسنن حياتهم ، وبالقصص فى صور مختلفة ، وأنحاء متنوعة ، من الطول والقصر ، والاجمال والاسهاب ، والتكرار والمعاودة .. ان هذا النظم القرآنى ، الحافل بالأمثال ، الزاخر بالقصص يثير قضية ما بين التاريخ وأسلوبه ، فى عرض هذه الأخبار ، وطريقته فى أدائها ، وما بين الأدب وتناول هذه الاخبار والاحوال ، بما هى ظواهر سنن كونية ، وآثار سنن اجتماعية عاناها أولئك القوم ، فى تجارب حياتهم التى تصبطها تلك السنن ، وتحكمها هاتيك النواميس ، وما تورد هذه الامثال والاخبار ، فى نظم القرآن الا لتضع بين يدى الخالفين تجارب أولئك السالفين ونتائج ما يدونه الدهر من نهايات تلك التجارب ، ليوفر على الخلف خسائر ما بذل السلف فى تجربتهم ، ويوقيهم آلامها بل مهالكها ، حين يعيدون ممارسة تلك التجارب ، ومعاناة هذه الاختبارات ..

والعاقل من بغيره اعتبر ، وتلك الاحداث من أحوال الماضين هى نفسها مادة التاريخ وموضوعه ، وأصحاب التاريخ ، على اختلاف الازمنة ، وتطور مناهج الدرس ، انما يشتغلون فى هذه الاخبار ، وتقديمها للمتناولين .. وبذلك تماس التاريخ والفن ، وتداخلا . تداخلا متشابكا جعل من الضرورى الخوض فى وصف تناول كل واحد منهما لتلك الاخبار ؟ وهل يتماثل التناولان ويتشابهان ؟ أو يفترقان ويختلفان ؟ وبم ؟ وكيف ؟.. لأن قضية وحدة هذا التناول أو اختلافه قضية أساسية ، قد نشأت عنها مشكلات عانت منها الحياة المصرية ، الاجتماعية الخلقية ، والعلمية . والعقلية . والدينية والادبية كذلك ، هزات عنيفة فى الربع الثانى من القرن العشرين ولعل ماتكرر حدوثه عن هذه المسألة من الهزات كان من أشد ما عرفت الحياة المصرية الحديثة من ذلك النوع وأعنفه .

والحق أن المسألة لا تبدأ بعد الربع الاول من القرن الاخير فقط ، بل انها قد بدأت منذ قرون بعيدة ، بالمحاولات القديمة فى فهم القرآن وتفسيره فهما علمى الخطة ، عقلى الاسلوب اذ نلحظ أن الطبرى ، وهو شيخ المفسرين بالأثر لم يخل تفسيره من محاولات عقلية واضحة ، وهو مع ذلك ينزل فى حياة علم التاريخ منزلة تكافىء منزلته من حياة التفسير فى الثقافة الاسلامية . فكتابه فى التاريخ أصيل واف ، كأصالة كتابه فى التفسير ووفائه . فهو صاحب مادة واسعة فى قديم التاريخ ومتوسطه ، وهو كذلك صاحب مادة منقولة لا تخلو من معقول فى التفسير ، ومنه تفسير القصص القرآنى ، لكنك رغم العثور على بعض التأويل

لقصص القرآن لا تستطيع أن تقول أن الرجل قد أحس بالمشكلة احساسا واضحا أو احتاج الى وقفة ليقدر منزلة الفن القرآنى المعجز ، من العرض التاريخى. ولعله لم يشك فى أن القرآن كسائر الكتب الدينية الأخرى يعد مصدرا للتاريخ ، و التاريخ الأثرى على الأقل . والتاريخ الأثرى فى تقسيمهم يقابل التاريخ البشرى الذى مصدره الروايات الانسانية ، - لا المنقولات الدينية - ومعها الآثار المادية للماضين .

واذا صح أن نطمئن الى هذا من اعتبار القرآن مصدرا تاريخيا ، فى التاريخ المفسر ، فانا نستطيع أن نقول اذن : ان تماس التاريخ والفن ، فى القرآن لم يحدث احتكاكا يذكر ، حتى القرن الرابع الهجرى ..

لكنا بعد ذلك بقليل نرى مؤلفا يتصدى لتفسير الآيات التى تكررت فى نظم متشابه أو متقارب ، وذلك هو الخطيب الاسكافى أبو عبد الله محمد بن عبد الله - ت ٤٢١هـ - فى كتابه « درة التنزيل وغرة التأويل ، فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز » - الذى تتبع فيه هذه الآيات فى السور المختلفة يحصيها فى دقة ، ويلتفت الى أوجه المغايرة فى نظمها ، ويعلل تلك الأوجه.

ونحن دون رجوع الى احصاء خاص لموضوعات هذه الآيات نستطيع أن نقول : ان الكثير - ان لم يكن الاكثر - من هذه الآيات المتماثلات ، أو المتشابهات - انما هى آيات القصص فى القرآن واذا ما كان فى هذه الآيات القصصية مع التماثل والتكرار شىء من التغاير ، بالحذف والذكر ، أو التقديم والتأخير . فان المتتبع لهذا من أمر النظم ، والمحاول لتعليله يكون - ولابد - أكثر انتباها، لمسالتنا هذه ، فى تداخل الفن والتاريخ أكثر من انتباه المفسر العام لجملة القراء الذى لا يتصدى تصديا خاصا لهذا التماثل ، اذ لا يرى هذه الآيات مجتمعة ولا يقف عند تماثلها بخصوصه .. ولهذا الانتباه الخاص من المفسر المعنى بالتماثل والتغاير نرى الخطيب الاسكافى منذ الخطوات الاولى فى كتابه السابق ذكره يقتحم تأويلات وتوفيقات لاختلاف نسج القصة القرآنية فى مكان ، عنها فى مكان آخر .. فقصة آدم مثلا تتناول فى سور متعددة ، كالبقرة ، والاعراف ، والحجر .. الخ . وقصة فرعون وموسى تتناول فى سور متعددة أيضا ، كالاعراف ، وطه ، والشعراء .. الخ . والاسكافى يلتمس التعليلات اللغوية والادبية لاختلاف النسج فى هذه السور للقصة الواحدة ..

واذا ما سألنا هذا السؤال فلن نتردد الخاص فى اختلاف النظم القرآنى للقصة بذاتها والخبر بعينه .. هل صحبه شىء من الشعور بأن هذا الاختلاف يمس من قرب أو من بعد صفة هذا النص التاريخية ، أو يدفع الى شىء من التوقف فى عد القرآن مصدرا تاريخيا عند الطبرى الأثرى ، تاريخ الأديان والرسالات ، وأحوال أمم الانبياء ؟؟

واذا ما سألنا : هل صحب هذا النظر فى الاجابة السريعة .. لا - فجمهرة .. المفسرين ، حتى الذين لمسوا اختلاف النص ، على الخبر الواحد بذاته ، تشعر عباراتهم بأن هذا القرآن تاريخ ، بمعنى التاريخ الذى عرفوه فى حياتهم الثقافية وسموا له علما ، أو فنا .

* * *

وننقدم قليلا فنرى المفسر الزمخشرى فى كشافه .. يثير ما يثير فيه من مشكلات كلامية اعتقادية ، حتى يصير كشافه هذا

نسمـــا برأسه فى تاريخ التفسير ، والزمخشرى يثير كذلك التســاؤل عن فروق التسبح القـرآنى ويلفت الى أن النظم المختلف للآيات المتحدثة عن خبر واحد ، فى قصة واحدة يغير المعنى تغييرا واضحا ويشير الى أن قول القرآن مـرة فى قصة موسى وفرعون ، ومشورة قوم فرعون فى موسى : « قال الملأ من قوم فرعون ان هـــذا لساحر عليم » وقوله فى سورة أخرى : « قال للملأ حوله أن هذا لساحر عليم » يختلف به المعنى ، اذ المعنى فى الاولى أن حاشية فرعـون من حوله هى التى قالت لفرعون ان موسى لساحـر عليم ، والمعنى فى الثانيـة ان فرعون نفسه هو الذى قال لمن حـوله من الحاشية ، ان موسى هذا لساحـــر عليم ، والفرق واضح فى نسبة القول لقائله ، نسبة تاريخية .

ومثل ذلك قول القرآن ، فى عصـــا موسى ، حين تتحرك : « فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا » ، فيصفها مشبها لها بأنها جان .. ثم يعود فيصفهـــا فى موضع آخر بقوله : « فألقـاها فاذا هى حية تسعى » ، فيقف الزمخشرى المتكلم المجادل عند هذا ومثله ، من صنيـــع القرآن فى القصص واختلاف قوله ، عن الشىء الواحد فى موضعين اختـلافا تتغير به دلالة العبارة ، ويؤول الزمخشرى تأويلات جريئة جرأة واضحـة ، ليوفق بين الآيات المختلفة .. ولا أسوق اليك شيئا من هذه التأويلات لأنى لا أدرس موضوع القصص القرآنى هنا ، ولكنما أحدث فقط عن طريقة الاقدمين والمحدثين فى فهمه ، وعلى الاخص نظرتهم الى مكان هذا القصص من التاريخ ، والى أى مدى يعـــد هذا القص تاريخا ، ومصـــدرا للمؤرخ ، يأخذ منـــه وعنه الوصف التاريخى للاحداث والوقائع — وفى هذا لا نجد الزمخشرى ، بعد شعوره بما فى القص القرآنى من اختلاف ، وحاجتـــه بذلك الى التأويل ، الذى قد نعده جريئا ، لا يزال مخلدا — فيما يبدو — الى عـــد القرآن — مع هذا كله — مصدرا تاريخيا دون أن يهز هذه الفكرة عنده ما شعر به من صنيع القرآن الذى استوقفه ، ودعاه الى التأويل للتوفيق ، على ما ذكرنا .

***

وعند غير الزمخشرى من جمهـــرة المفسرين ، حتى الذين تصـــدوا بالذات الى رد المطاعن عن القرآن ، ووجهـــوا العناية الواضحة الى ما وجه من مطاعن نحو النظم القرآنى ، وتتبعوا ما فيه من اختلاف ، لا يسلمون معه بقول القرآن فى وصف نفسه « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ! .. عنـــد هؤلاء لا نزال نجد الحال نفسها ، من عدم تأثير هذا على مكان القرآن ، بين مصادر للتاريخ واستقاء التاريخ مادته منـــه .. عبد الجبار المعتزلى ، صاحب كتـــاب « تنزيه القرآن عن المطاعن » يشعـــر بالاختلاف ويوفق .. ولا يؤثر هـــذا كله على تاريخية القرآن عنده ..

***

وفى المفسرين الذين امتازوا بالفلسفة وبدت ميولهم الحكمية وأساليبهم المنطقية والكلامية الواضحة فى تفسيرهم ، نجد الفخر الرازى ، وهو من هو نزوعا الى هذه الطرق الحكمية ، التى تطبـع تناوله فى التفسير .. يشـعر بالاختـــلاف فى التعبير وتغييره للمعنى كذلك ، ويؤول ويمضى فى التأويل بعيدا — ولكنه لا يشعر بأثر لذلك كله على مصدرية القـــرآن التاريخ ، وأنه منها . فتجد القـــانى

أو قل أنه لا يعرض ببيان لهذه القضية لينص على أن صنيع القرآن ليس صنيع المؤرخ ..

وتر تاد البيئات المختلفة ، والكتب المتنوعة للمفسرين فتظل ترى أنهم — فيما يتضح جليا — لم يمسوا تاريخية القصص ، رغم اختلاف التعبير على ما أشرنا اليه ، ولا نسمع لهم قولا صريحا يتناول هذه الفكرة .

***

وفى مناسبات أخرى متصلة بقصص القرآن يبدو ما يلفت الى النظر فى تاريخيته فلا يلتفتون الى ذلك ولا يتجهون اليه .. ومن هذه المناسبات وصف هذا القصص القرآنى بأنه القصص الحق ، ففى بيان هؤلاء المفسرين للحق القصصى قد يقع من كلامهم ما هو كاف للفت الى أن الحقية فى هذا القصص لا يلزم أن تكون بمعنى الوقوع المتحقق ، بل تكون بمعنى الحقية فى مجاله وسياقه ، الموضح لما قصد به اليه من الاعتبار .. الخ ، مما لا تقف عند تفصيل منه كذلك ، لأن موضعه انما هو دراسة الفن القصصى تلك الدراسة المتخصصة .

ونحن انما نشير هنا الى معنى بذاته دون سواه — وهو ما انتبه اليه القدماء فى هذا العرض القصصى القرآنى ، ومن أى ألوان العرض يعدونه .. والذى بدا حتى الآن أنه العرض التاريخى ..!!

ومن المناسبات اللافتة الى هذا العرض وصفه ، الحديث عن اتهام القرآن بأنه أساطير الاولين ، فان فى مناقشة القوم لهذا الاتهام ما قد يفهم منه ، فى غير كبير عناء ، أن الاحداث غير الواقعية قد تكون مادة للتناول القرآنى الفنى ، ويكون هذا التناول محققا للأغراض المرجوة منه ، فى العبرة والهداية ، والافادة ومثل هذا القول كاف للالتفات الى أن أخبار هذا القصص يمكن أن تكون مما لم يقع فعلا . أو لامفر من أن يكون هذا المقصوص واقعا فعليا تاريخيا ؟!؟ لكنهم فيما يتضح لم يتجه ذهنهم الى هذا الجانب ، او على الاقل لا يتضح هذا الاتجاه فى تناولهم !!

ويمضى الزمن على هذه الحال التى وصفناها من نظرتهم الى العرض القرآنى للاحداث ، حتى تتضح معالم التحقيق التاريخى . وتتحرر مناهج الدرس التاريخى .. كما يدق معنى الفن ، وفرق ما بينه وبين العلم والفلسفة .. ويتصل الشرق بمصادر هذا كله فى الغرب وتهب أنسام الاصلاح الدينى الاجتماعى من الشرق البعيد فى الهند وأفغانستان ومن الشرق القريب فى نجد ، ويلتقى أولئك فى مصر ، بآرائه بل برجاله أيضا كالسيد جمال الدين الافغانى الذى سكن مصر ، ومارس فيها تعاليمه الاصلاحية .

وفى هذه البيئة الوسط بمصر تلاقت أضواء التقدم الغربى فى مناحيه المختلفة ، وأنسام الاصلاح الدينى ، بمحاولاته المتنوعة . واستقرت المؤثرات المتعددة شرقية وغربية فى مصر ، وتميزت طبقة دارسة حديثة ، غذتها الثقافة المدنية ، وبدت فى معقل الثقافة الدينية نفسها آثار تلك التطورات كلها ، فاذا الشيخ الامام محمد عبده ، الذى عاش فى باريس وفاوض الساسة فى لندن ، هو الذى عانى اصلاح الاسلام ، وهو صاحب درس تفسير القرآن فى الرواق العباسى ، فى الازهر . ويتحلق حوله أصحاب الثقافة الدينية أنفسهم من قضاة ومحامين ، وأطباء ، وأشباههم ، كما يجلس اليه المتطلعون من أصحاب

الثقافة الدينية المعممين .. وفى هذه المؤثرات الفكرية ، والحيوية ، والدينية يتناول القصص القرآنى بالتفسير ، وينشر من هذا التفسير فى حياة الشيخ الامام محمد عبده ، تفسير لبضعة اجزاء من القرآن ، فيها غير القليل من القصص ، وتخرج بها مجلة « المنار » على الناس ، والمفروض انها من قلم الشيخ ، أو على أيسر الفروض ، أقرها الشيخ ، وصارت من صنف ما يقول فيه الاقدمون : « قرىء عليه » .. وفى مثل هذه الحال يقع الاطمئنان لحفظها آراء الشيخ الامام نفسه .. على أنها لو لم تكن آراءه هو وحده ، بل كانت آراء الفئة الملتفةحوله، من تلاميذه الأخصاء الذين يكتبون عنه، وينشرون ما يكتبونه ، منسوبا اليه،أو يتحدثون بذلك ويتناقلونه ، فيكون من مشهور القول ، الذى يمكن أن يكون رأى جيل واتجاه عصر ، فيكون بذلك أكثر دلالة ، وأشد قوة فى الرواج والذيوع.

فى هذه الفترة ظهر القول الصريح، منهذه البيئة التى وصفناها بأنالتناول القرآنى للاخبار الواردة فيه عن الأمم السابقة ليس تناولا تاريخيا .. وما فيه من وصف لحال العرب انما هو وصف لما كانوا يفهمون أو يعتقدون ، وليس معنى ذلك أنه الصواب .. كما وقع التصريح بأن القصص القرآنى تمثيلى ، والمراد منه تمثيل أخلاق الجنس البشرى واستعداده .. الخ .

وهذا الكلام فى جملته وتفصيله يشعر بوضوح أن النظرة التاريخية المحضة للقرآن وموقع الخبر فيه ، ليست هى المراد الاول من القرآن ...

ولكن هل يكفى ذلك للقول باستبعاد أصحاب هذه الاقوال نهائيا للتاريخية القرآنية ؟ ..أو بعبارة أوضح : هل تدل هذه الاقوال على أن أصحابها يتمثلون فى وضوح فرق ما بين التناول التاريخى المحض ، وبين غيره منالتناول، وانهم شعروا بما وضع فيه الأمر أخيرا، لايامنا ، من الشعور بوجود عرضين : أحدهما تاريخى ، والآخر فنى ، وأن تناول كل واحد منهما للخبر يختلف اختلافا جوهريا عن الآخر ، حتى ليبدو بينهما التعارض الذى يثير الاختلاف القوى ؟

وفى الاجابة عن هذا السؤال ، أو تلك الأسئلة نستطيع أن نقول : ان المسألة بذلك الوضوح السافر ،ربما لم تكنعلى هذه الحال،فى نفس محدثينا القائلين لتلك الاقوال السابقة ، من أنالاخبار لا تساق فى القرآن مساق التاريخ ، وانها تكون تمثيلا – وان وصف حال العرب انما كان كما هو عليه ، لا على أنه الصواب .. الخ .

وانهم وان دلت أقوالهم هذه على شىء من الاستشراف للتفرقة بين العرضين التاريخى ، والفنى ، وأنهم كانوا بحيث لو عرض عليهم هذا القول لقبلوه ، بل لوجدوا فيه التقرير الادبى والعلمى ، الذى يؤصل فكرتهم ، ويخرجها حقيقة واضحة ، بل يجعلها أصلا مقررا ..ولكن هل ما يحس أو يظن منإستعدادهم لهذا كاف للقول بأنهم تمثلوا تلك الفكرة تمثيلا يكفى لعدهم من مؤيديها ، والملتزمين لها ؟

احسب أن هذه الثانية ليست يسيرة ولا مسلمة ، وان سلمت الاولى وهى استعدادهم للفكرة ، أو استشرافهم لها ، أو امكان قبولها لو كانت قد عرضت عليهم فى عصرهم .

ومضى الاستاذ الامام ، وقد نشرت وشاعت الأفكار التى أشرنا اليها ٠٠ ولكن فترت بعده قوة الاصلاح الدينى، وبقى من يقى من مدرسة الاصلاح موضع التهمة، بل المقاومة ، وان كانت تلك الافكار تأخذ فى عقله الباطن مجراها ، وتستقر فى منطقة لا شعورها، بحيث لن يقتلها تسلط الرجعية ، أو تحكمها فيها ، أو نقدها ذلك النقد ، الذى لن يكون بحكم طاقة أصحابه الا مهافتا ، هزيلا ، لا يتلقاه الناس حولهم بشىء من التأثر ٠ ولن يبلغ فيهم موضع القبول ٠٠

وفى هذه الحال التى وصفتها ، من فعل الزمن ، واستمرار التأثير ، ومضى التطور ، وان لم يبد ذلك واضحا ظاهرا للناظر البسيط ، بل مع ظهور عكسه، من سلطة المتخلفين ، وتوجيههم الامور ٠ دون أن يستطيعوا توجيه العقول ٠٠ فى هذه الحال مضى نحو ربع قرن آخر من الزمان ، كانت الامور تجرى فيه ، على ما بينا ، فعوامل التطور تشجع انشاء الجامعة وتنشئها فعلا أهلية ، غير حكومية وتكون بيئتها جامعية بقدر ما تحتمل الحياة حولها ، وبقدر ما تطيق قوى القائمين على أمرها ، ويتسع له فهم الدارسين فيها ٠٠ وفى هذا الجو يزداد وضوح العوامل التى أشرنا اليها من أضواء الحضارة الغربية، وانسعام الاصلاح الدينى ، ويمل ذلك كله لحرية الفكر ، وسلامة المنهج ، وعمق النظرة ، فلا يسهل على المتحدثين فى قصص القرآن أن يغفلوا عن تلك الناحية التى لم يوجه الاقدمين اليها كل ما أشرنا اليه ، من اختلاف النظم فى الخبر الواحد ، واتجاه التوفيق الجرىء بين المتشابهات الى آفاق تهز قوة فكرة عد القرآن مصدرا تاريخيا بالمعنى المعروف فى التاريخ ، حتى فى العصور السابقة ٠

ولهذا نحس أن الغيوم تتجمع ، والضباب يغطى الأفق ، ونذر العاصفة تبدو ٠ وما هو الا أن تكون الهزة التى لا تصبر على ما صبر عليه السابقون ، ولا تسكت عنه ، ولا تتصدى له ، من تقويم الخبر فى القرآن ، من الناحية التاريخية ، وقولها عن المؤرخ المحقق ، الذى يصطنع ما يستطيع اصطناعه ، من وسائل العلم التجريبى فى فهم التاريخ ، وفحص مواده ٠٠ وانه ليس من اليسير أن يسلم بأن هذه الاخبار تعد مصدرا تاريخيا !!

والى هنا ادركنا أن التفسير العلمى للقرآن قديما ، وأخذ كل شىء من القرآن ، قد جعل القرآن كذلك مصدرا تاريخيا ٠٠ ثم أدركنا أن فى النظم القرآنى لاخبار السابقين ٠٠ وفى وصفه القصص بأنه حق ٠٠ وفى اتهام القرآن بأنه أساطير ٠٠ وفى الحديث عن هذا كله ما يلفت النظر الى الاخبار القصصية فى القرآن ، ويوجه الى أنها تختلف اختلافا ما ، عن صنيع الذين يطلبون الاخبار ليجعلوا منها التاريخ ٠٠٠

ثم رأينا أن دواعى متأخرة دعت الى تغيير الرأى القديم ، فى علمية التفسير ٠٠ وتاريخية القصص ، حتى قيلت فى ذلك أقوال ؛ تخالف المألوف مخالفة واضحة ـ وبدا لنا أن طلائع المقاومة للفكرة القديمة قد تجمعت ، وهيأت لخطوة تطور أوسع مما تم حتى عصر الاستاذ الامام ، وهى الخطوة التى قامت بين نقل القدمين فيها المعركتان اللتان ذكرناهما مطلع هذا الحديث ٠٠

وللبحث بقية تشرح هذا التطور ، على ما قدم هذا القسم من بيان ٠٠

الغربة في المثل الشعبي

محمد ابراهيم أبوسنة

المتصفح لادبنا الشعبى يروعه الحنين الجارف الى الوطن وتدهشه مرارة الشكوى من الاغتراب ووحشة البعد ولكنه يعثر بعد ذلك على تناقض واضح بين هـذا الحنين والاحساس بالوحشة والغربة وبين الحقيقة الواقعية للحياة فى مصر حيث لا يعرف الشعب هنا اغترابا حقيقيا تقوم فيه المسافات الشاسعة بمطاردة المهاجر من بلده ولذا فاننا نجد أنفسنا مضطرين لايضاح الفروق بين الاغتراب المتوطن من ناحية ـ واسميه الاغتراب المتوطن لانه اغتراب يقع فى حدود وطن الفرد لا خارجة ـ وبـين الاغتراب الحقيقى وهو الهجرة والرحلة ٠

ونظرة الى طبيعة الاغتـراب الحقيقى حيث ينقطع الانسان عن بلاده فيعانى من التفرد واللاكيان بين طبائع لم يألف مشاركتها التاريخ والمصـير ، وحيث يتعرض الغريب لاهمال الآخرين وهشاشة علاقاته الاجتماعية والاحسـاس الخـالد بعدم التعويض عن أهله وجيرانه ووطنه فتنبت اللوعة وتقسو به العزلة ثم يولد فى عالمه ويخيـم على وجوده الشـعور بالضياع ٠٠هذا الاغتراب تتكفل أوضاع اجتماعية معينة بالوصول الى نتائجه بين الجدران وبين الاهل والخلان ٠٠ واللوعة المتولدة عن ظلم اجتماعى مثلا والاحساس بالوحشة بين الاهل وجدران المنازل أشد بكثير من اللوعة المبررة بالمسافة وخصوبة التجربة وتشفع لها أيضا مظاهر التجدد فى البيئة الجديدة ومن هنا نرى أن نتائج الاغتراب الحقيقى يمكن أن تتحقق وعلى نحو أسوأ فى البيئة الطبيعية للانسـان ولنأخذ مثلا حالة اجتماعية معينة كالفقر فسنجد أنه الى جانب ضغوطه بالقيمـة الانسانية للافراد نجده يدمر العـلاقة والارتباط سواء أكانت محبة أو صـداقة أو قرابة ونجد أن القيم الاجتماعية تنهض معتمدة فى أساسها على التقدير العميـق للمقدرة المادية ٠٠والمثل الشعبى يؤكد دائما أن الدنيا فى قبضة الغنى « بفـلوسك بنت السلطان عروسك» والمجتمع يشـير الى الفقير بسهام حمراء فهو ليس غـير لعنة فضولية تتسلق جدران المجتمـع ونبات شيطانى يبحث عن تبرير «الفقير لا يتهادى ولا يتدادى ولا تقـوم له فى الشرع شهادة» ثم يضع الوسائد المخملية ليتكىء عليها الغنى «ابن مين اللى محمول ابن اللى عندهـا مأكول ، ابن مين اللى ماشى ابن اللى ماعندهاشى » وهكذا يطرد الفقير فى غربة لاتنقطع، بعيدا عن التقدير والحب والعلاقة الانسانية الا فى المستوى الذى يضطر اليه العجـزة والفقراء الى الترابط للوقوف فى وجه ضرورة خبيثـة من ضروزات الواقع ٠

ولا يبقى بعد هـذا للفقير الا اللوعة

والحسرة والاغتراب النفسى وهو بالتأكيد أقتل من الهجرة والارتحال ، وسمعت فى قريتنا حادثة صغيرة عن شاب ضاقت به سبل العيش فقرر الهجرة وقبل أن يبتعد عن قريته كيلو متر واحد سمع غرابا ينعق وهنا جاوبه الشاب «نوح ياغراب فهانحن الاثنان غريبان عن ديارنا» وهذا الشاب بالتأكيد الذى يسخر منه النـــاس فى قريتى صادق تماما فى التعبير عن ذات نفسه فالرحلة لم تبدأ من القرية وانمـا بدأت منذ بدأيعانى ضيق الحياة وتعقدها والاحساس المتخلف فى نفسه بالوحشـة بين أهله جعل منه مهاجرا قديما وجعـله يشعر بالكيلو متر كأنه قارة كاملة تفصله عن وطنه وأهله لانه يحمل المسافة الخارجية فى داخله الى جانب الانقطاع القديم عن بشاشـة الحياة والمسافة التى حملهـا فى نفسها ليست مسافة ماضيـــه بل انه باحساس المهاجر يحمل المسافة كامـلة حتى قبل أن يخطو خطوة واحـــدة فى الطريق،والزمن ككل يسيل هو الآخر فى سياق غير منفصل كلحن عذب خالد فى اطار الاحساس بالألم واللاعلاقة الذى يعانيه وهذا الانعكاس الســـيكلوجى للشقاء يلتقى مع الانعكاس الآخـــر للاغتراب فنجد المثل القائل « غريب بين أهلي وخلانى » ولذا نستطيع أن نقول ان الاحساس بالاغتراب شـعور لا يلخص فقط موقفا تكون فيه المسافة المكانية هى العامل الحاسم بل ان الشعور أعـم من عامله ، فكل اغتراب يعطى احساسـا بالوحشة والتفرد وليس كل احسـاس بالوحشة والتفرد يعود فى أسبابه الى الاغتـــراب الحقيقى وهـــذه الغربة السيكولوجية هى الاحساس العام الذى يسود التعبير فى الادب الشعبى ، وقد أدرك الاستاذ احمد رشدى صالح فى كتابه «فنون الادب الشعبى هذا اللون من الاغتراب فســاق أغنية تحمل حنين الريفى الى قريتـــه والذى قد تضطـره الظروف الى الابتعاد الغريب اذا صـح هذا التعبير ـ الى قرية مجـاورة لادارة شـــئون زراعة أو حصاد فهو وان لم يكن اغترابا الا أن الانعكاس النفسى له ممتلئ ـ وحاد تماما .

تقول الاغنية :

شـــدوا المراكب وحملوا بالليـــلى
على مداين عاصـــيه(١) بالحيـــلى
وســـط النوايب خلفـوا لى نايبى
نجو(٢)مطايبها وسابو العايبى(٣)
يا شـــمس غيبى يا مراكبى حـــلى
بلدى بعيـــده وطـــــالب محلى

والاستاذ احمد رشدى صـــالح يعلل هذا التضخم فى الاحساس بالغربة قائلا « من الواضـــح أن الفلاح عموما يرتبط بالارض ويحب الاســـتقرار عليها أكثر مما يشعر بها الصانع والتاجر وان كان فى عواطفهما نحو الارض الزراعية رابطة فتأتى من اتصالهما بالفلاح،وهذا الشعور العميق بالارض والاستقرار عليها يمكن أن يتخذ فى الادب طريقا عكسيا مادام المغنى لايملك الارض أرضا فهو كمـــا وصف نفسه شـــــقى غريب فى أرض يملكهـــــا الاتراك » واذا كانت الغربة النفسية لدى الشعب المصرى هى وليدة الظلم الاجتمـــــاعى والتفـوق الاقطاعى الذى ألغى مصادر القيم الانسانية وصادر لحسابه كل فضائل ومتع الحياة مما هو التعليل العلمى الذى يكشف لنـــا عن

---

١ ـ عاصية بالعبل : صعبة المراس
٢ ـ نجو انتقوا
٣ ـ العايبى : المعيب

تبرير الواقعي لانقباض نفسيه الشعب المصرى من كلمه السفر نجد أن جحا يفرط فى والده لانه مات بالشام « قال أبوك مات فى الشام ياجحا قال ما يجى سفره » أى أن والده لايساوى مشقة السفر الى الشام للحصول على جثته وحيث نجد أن الريفى كان الى حد قريب يحس بوحشة قاتلة عند ما يزورالقاهرة رغم أنها عاصمة بلاده ونجد المسافة تتمدد الى أضعاف كثيرة فى نفسيته التى ارتوت حتى الثمالة من مستنقع الفقر والتعاسة والحرمان ولكن ماهو نصيب الاغتراب الحقيقى من حياة الشعب المصرى بجانب الغربة المعنوية ·

الحقيقة ان تاريخ الهجرات الشهيرةفى التاريخ يضع لنا دوافع وضرورات وراء حركات الهجرات الشاملة فى العالم،وهذه الدوافع قد تشكلها الظروف الاجتماعية أو السياسية أو الجغرافية للبلد الذى نشأت فيها الهجرا ت،والذى لا شك فيه أن بعض الدوافع كانت موجودة بالفعل لدى الشعب المصرى ولكنها لم تدفعه الى الارتحال ·

لنأخذ الهجرة الاوربية الى أمريكا فسنجد أن اكتشاف الآلة فى انجلترا واستخدامها فى الصناعة قد كتب مصيرا أسود للحرفيين الذى يعتمدون على أيديهم فقط ، وأنوال بدائية فى النسيج وسنجد أن هذه الآلة قد فرضت البطالة على عدد ضخم من العمال لانها قامت بمجهودهم ومن ثم اضطروا الى الهجرة لشواطىء أمريكا ، وهناك عامل آخر هو الاضطهاد الدينى حيث كانت الكنيسة جانب عوامل جغرافيةوهى البرودة فىغرب الكاثوليكية تضطهد البروتستانت ، الى القارة الاوربية ، قد ألجأت الاوربيين الى البحث عن الدفء فى أحضان الرحلة الى بلاد بعيدة ثم طبيعة الحضارة الاوربية فى ذلك الوقت بالذات كانت آخذة فى ولادة عصر التجار الذين يعشقون الرحلات والمغامرات أى أن ظهور الطلائع الاولى للبرجوازية الاوربيه كان احدى المشجعات لهذه الهجرات·· هذا بالنسبة لاوربا وفى الشرق نجد أن الشام مثلا لاتحتفظ باللحظة النفسية الممتلئة التى نحس اختمارها لدى شعبنا ونجد كثيرا من أغانى الحنين الممتلئة الشامية لا تذكر الا الشوق الى الطبيعة الجغرافية للوطن فهم يحنون الى جبالهم وأنهارهم دون أن نلحظ الحاحا معينا على دفء العلاقة الانسانية والتبرير العلمى لذلك طبعا هو أن الخصائص التجارية لدى الفينقيين كانت ناضجة منذ قرون طويلة والطبيعة التجارية هى كما قلت طبيعة ارتحال وكذلك نجد أن الاغتراب فى الجزيرة العربية كان اغترابا تبرره الطبيعة البدوية وانتجاع الكلأ ونجد أن الحنين فى الادب العربى الى الوطن تبرره مسافات فسيحة من أذرعات الى يثرب الى صنعاء وبهذا التفسير لطبيعةالهجرات نستطيع أن نلخص العوامل التى دفعت الى الرحلة ·

فى أوربا

(ا) كثرة الايدى العاطلة بعد اكتشاف الآلة

(ب) الاضطهاد الدينى ·

(جـ) الطبيعة الجغرافية الباردة

(د) ظهور الطبقة البرجوازية

فى الشام

(ا) الطبيعة التجارية

فى بلاد العرب

(ا) العداوة والنشاط التجارى

كانت الجزيرة العربية تمارسه مع دولتى الفرس والروم ٠

فماذا نجد عند شعبنا المصرى ٠

اذا تأملنا تاريخنا جيدا وجدناه لا يحفل بغير اللحظة السيكلوجية للغربة المعنوية القاسية منذ وقوعه تحت استبداد السيطرة الخارجية ، وسنجد أن معنى الرحلة والسفر كلمتان لا تترددان كثيرا على الشفاه والمثل يحدد من البدء صورة كريهة للغريب « الغريب أعمى ولو كان بصير » « الغربة طربة تقل بالاصول » أى أن الغربة كالقبر لا تحفظ كرامة ذوى الانساب العريقة ٠ وكما أن هناك قانونا علميا بحكم منطق الهجرات فى أوربا والشام والجزيرة العربية ، فهو منطق علمى يحكم هذا السكون والتوطن واللاهجرة الذى تعانيه فى بلادنا ٠ فالمثل يحث دائما على تجميد الحركة « خليك فى عشك لما الدبور ينشك » والطبيعة الاخلاقية تقدم لنا شعائر القناعة والرضى وطقوس الصبر والتحاف الواقع بكل بؤسه « الى ما يرضى بحكم موسى يرضى بحكم فرعون » ويشيع فى النفس احساسا عاما بعدم الثقة : « ان طلع من الخشب ماشا يطلع من الفلاح باشا » ٠

هذه اللوحة السوداء التى رسمها العقل الشعبى للغربة تجد تبريرا منطقيا فى الحكمة الشعبية ذاتها التى تقول : « البطيخة ما تكبرش الا فى لبشتها »

ولكن هل ينحصر التبرير العلمى لهذا فى المضمون الاخلاقى للمثل دون النظر للظروف الخارجية للواقع الحضارى والجغرافى والاجتماعى ٠ بالطبع لا ، لان التبرير الاخلاقى هو انعكاس للظرف الخارجى المادى ٠

اذن ، فما هى ظروف شعبنا التى منعته من الرحلة ومن تضخيم لحظته النفسية ؟

والعامل الاول هو :

١ ـ الحضارة فى مصر حضارة زراعية من الناحية التاريخية ، وخصائص هذه الحضارة التى لا تنفك عنها هى غريزة الارتباط بالارض ، والعلاقة الانسانية : فالارض التى تنضج ثمارها فى بطء تدعو الفلاح الى الاستقرار والانتظار ، وتدعوه كذلك الى الولاء للارض ٠ وهذه الحضارة أيضا تقدم علاقات انسانية على مستوى بطىء نباتى لانها علاقة قبلية تجعل من القبيلة مركز السيادة والفخر والقوة بالنسبة لأفرادها ، فهى الشجرة الكبيرة التى تجمعهم تحتها وتحميهم وترفع رؤوسهم باسمها ٠ ولذا فان الارض والعلاقة الانسانية القبلية هما المرساة الثقيلة التى غرزت أسنانها فى الطين لأعماق بعيدة ٠ ونجد أن الارض لا تنفصل عن نفسية الريفى ، وهذا واضح تماما عندما تراقب ريفيا يحكى لك حادثا فانك ستجد كل خصائص الارض من الاتساع ، فهو يذكر أدق التفاصيل حتى ولو كانت تافهة جدا لاحساسه بالفراغ الكبير حوله ، ونجد حديثه يكاد أن يكون تكرارا دائما لنقطة واحدة أو نقطتين ، وهذا يعود الى السكون الشامل فى بيئته وعدم التجدد فى الحوادث ومظاهر الطبيعة حوله ، فالطبيعة تنظم نفسها فى فصول خالدة رسمت ملامحها فى وعيه الباطن ، وعلاقاته الانسانية يشوبها التعاطف

والتجاذب نحو الآخرين لحاجته الدائمة الى النصرة والمعونة ، وبهذا التفسير نرى أن الارض والعلاقة القبيلية قد دخلا ضمن التكوين النفسى للرجل الريفى . ومن الصعب بطبيعة الحال ، تقبل تغييرات مفاجأة أو تعديلات سريعة فى رأى هذه النفسية .

٢ ـ الوضع الجغرافى لمصر قد هيأ لها مقومات الاستقرار ، فمن ناحية الطقس نجد الطبيعة قد أمدت مصر بدرجات معتدلة من الحرارة والبرودة ، فهى لم تكن طبيعة حارة حتى تدفعهم الى الكسل والتحلل فى مكانهم ، ولم تكن باردة لتدفعهم الى الانطلاق الى خارج بلادهم . وقد حصنت هذه الطبيعة الشريط الاخضر الزراعى على ضفاف النيل بسلاسل جبلية شاسعة المساحة فقد أقامت الجبال العالية فى الشرق التى كانت تمثل للمصريين وديانا للجان والغيلان ، وبسط كذلك الصحراء الغربية فى امتداد يدعو لليأس ناحية الغرب ، ولم يكن الطريق منفتحا الا أمام الدلتا حيث يفضى الى البحر أو الى مسالك الشام وبلاد العرب ، وبالطبع لم يكن فلاحو الدلتا يفكرون فى الهجرة لسببين، أولا : خصوبة أرضهم الزراعية ثانيا : توالى الغزو العدوانى عليهم . وكانت الحكمة التى تواجههم عندما يفكرون فى الرحيل هى : « رب هنا رب هناك » .

٣ ـ كانت السيطرة الاجنبية تعمل دائما على تثبيت الوضع الزراعى فى مصر وأخذ المستعمرون على عاتقهم مهمة صياغة النظريات المقنعة عن هذه الحقيقة حقيقة الطبيعة الزراعية لمصر . كل هذا لينفردوا هم بالاقتصاديات التجارية التى كانت بالطبع تدر أرباحا أكثر من الزراعة ولضمان الحصول على مواد خام لتجارتهم وصناعتهم ، وهذا واضح فى العهد التركى حيث كانت الحركة التجارية كلها فى أيد الاجانب سواء أكانوا من المغاربة أم من الشوام . أما الاتراك فقد نصبوا أنفسهم ملاكا اقطاعيين للارض الزراعية وحاولوا بوسائل كثيرة ابعاد المصريين عن التجارة ليضمنوا ثروة ضخمة من زراعة الارض ، ولذا حصر الاتراك نشاطهم فى تثبيت الوضع الزراعى على المستوى الاقطاعى الفاحش وفضلا عن أن ابتعاد المصريين عن النشاط التجارى وحده كاف لتخليد الاوضاع الرجعية فى البلاد فان الحاح الاتراك على تضخيم الوضع الاقطاعى كان تصميما خطيرا للون من ألوان الحضارة الغيبية التى تعطى الاخلاق انهزامية أصيلة وتفرض جبرية على الاوضاع الاجتماعية وتبرز القدر وحده كبطل يدير وحده ناموس الحياة على الارض ، وبهذا الوضع كانت الحضارة الزراعية بخصائصها التى ذكرناها تدمن فى تعفنها ، وكانت الحياة تدمن هى الاخرى فى ركودها .

٤ ـ وكانت الرحلة بالنسبة للمصريين تعنى مزيدا من المتاعب ومواجهة للمجهول الذى لم يكن لدى الرجل الريفى من الحوافز ما يشجعه على اكتشافه واسقاط الأقنعة من على وجهه فالدنيا تقريبا كانت تنتهى عندما ينحسر البصر على خط الأفق، ثم العمل المستمر من جانب السلطة الخارجية على تحطيم الامكانيات ، فالرجل المصرى لم يكن يملك امكانية الاقامة ، فكيف يفكر فى الرحيل ، واذا خرج فان « مسير الغريب يروح بلده » . وقد أضفت العلاقة القبلية والنظرة القدرية على الغربة

طابعا من الاحتقار حتى سمى الغريب « طافشا » وهو فى العربية يقابل معنى التصعلك تقريبا ويقولون عنه انه « ماشى على راسه » . وفى هذا التعبير دلالة على انقلاب حاله وأن الطبيعى أن لا يغادر الانسان وطنه . ونحن لا نعيب هذا الاستمساك بالوطن الا من وجهة واحدة ، وهو أنه ضيق الى حد كبير من أفق التجربة الشعبية وفهمها للواقع الخارجى . والمنطق الشعبى كان دائما يدعو لتصفية المشاكل بوسائل مسلية أحيانا وأخلاقية أحيانا أخرى ، « جحر ديب يسع ميت حبيب » .

والمشكلة ليست مشكلة الفقر فى نظره بقدر ما هى مشكلة صفاء النية « اللقمة الهنية تكفى مية » « اذا صفت النية اللقمة تكفى مية » .

وهكذا تتميع المشكلة وتحول الى أبخرة أخلاقية تدعو الى الصبر والرضى والحب والصفاء ، وتحمل الحكمة الشعبية على التنقل فتقول : « الحجر الداير ما ينوبه غير لطه » ، أى أن الحجر الكثير الحركة لابد أن يصطدم ويتهشم ، وهو يوحى دائما « البلد دى أحسن من غيرها » . والحقيقة أن العالم الخارجى بالنسبة للمصرى كان عالما رهيبا مخيفا مليئا بالفقر والذعر ، فالمصريون يعتقدون أن « مصر أم الدنيا » وهذا الاعتقاد أوحى به اليهم تكالب الدول على بلادهم وتلهفهم على امتلاكها ؛ وأغلب الظن أنه لم تكن هناك فكرة واضحة فى أذهان الشعب عن العالم الخارجى ، الا أنهم كانوا يشكون دائما تطفل الغريب على بلادهم « البلد بلد أبونا والغرب يطردونا » « حداية من الجبل تطرد أصحاب الوطن » . واحساسهم بالنقمة على هؤلاء الأغراب كان يدفعهم الى الهرب من الاغتراب . ولكن الشعب رغم هذا كان يؤمن أحيانا أن « الحركة بركة » « الدنيا دولاب داير » « الدنيا بدل يوم عسل ويوم بصل » . وهكذا نجد أن الحضارة الزراعية قد مكنت للرجعية طيلة تاريخ طويل فى هذه البلاد ، وكان الاستعمار مجنونا بفكرة « مصر بلد زراعى » ، وأخيرا أدركنا المأساة ، وليس العار الآن أننا كنا بلدا زراعيا ، فالتاريخ يقول ان بداية الحضارة الانسانية نشأت فى البيئات الزراعية أول ما نشأت ، فى مصر وبلاد ما بين النهرين وبلاد الصين ، ولكن الكارثة أن تستمر الحضارة الزراعية هى الطابع المميز لنا ، وأخيرا قضى منطق التطور الصناعى الحديث على أسطورة خلود هذه الحضارة فى بلادنا ولم نعد نؤمن بالمثل القائل « تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها » .

تقرأ فى العدد القادم

الطريقة الكلية فى الهجاء

وجنايتها على تعليم اللغة العربية

ديكنز القرن العشرين

الموظف سنكلير ١٨٧٨ - ١٩٦٨

بقلم مشيل ويسبون

تقدمها « الآداب » إلى كل من يبسط يده ليمسك قلما في مصر .

ربما كان أفضل تقديم لأعمال أوبتون سنكلير ـ الكاتب الاشتراكي والمصلح الاجتماعي ، القصصي وكاتب الروايات المسرحية، والمقالات الجدلية الطويلة ،والفائز بجائزة بوليتزر ـ هو ما جاء على لسان زوجته عندما كتبت ترجمة حياتها ، التي تعتبر في الواقع ترجمة لحياة زوجها في نفس الوقت . تقول ماري كوين سينكلير:

« التحق أوبتون بالكلية في الرابعة عشرة من عمره وكان يقضي أسبوعه على أربعة دولارات ونصف، هي كل ما كان يحصل عليه من كتابة بعض الفكاهات والاشعار للصحف . واستمر على هذه الحال عاما أو نحو عام . وفي الخامسة عشرة أحس برغبة ملحة في أن يكتب قصة ، وراح يبحث عن ناشر . وفرغ أوبتون من كتابة قصته الاولى في أسبوع واحد . وأعجب الناشر بالمؤلف الصغير ، بل ان شعوره تجاوز حد الاعجاب المجرد ، وبلغ أعتاب الصداقة والمودة ، فهيأ له عملا بمرتب محترم. وما أن بلغ سنكلير الثامنة عشرة حتى بدأ يكتب قصصا من ذلك النوع الزهيد الثمن الذي تباع النسخة منه بنصف دايم ، وهو ما يوازي جزءا من عشرين من الدولار . وقد بلغت سرعته في كتابة هذه القصص ثمانية آلاف كلمة في اليوم الواحد وكان أن عرض عليه عمه بعد ذلك وظيفة دائمة بمرتب مغر ، ولكن كانت قد صحت في نفسه في ذلك الحين نية الاشتغال بالادب والكتابة الجادة الهادفة . فرفض الوظيفة ،وترك المدينة ، وهرع الى الغابات حيث ضرب لنفسه خيمة بين الوحوش . وظل في خلوته هذه فترة طويلة ، يقرأ ويكتب ويتأمل ويقتات معظم الوقت على الاسماك وثمر التوت » .

ولما كان والد سنكلير قد أدمن الخمر ، وبات عاجزا عن العمل والكسب فقد كان قلم سنكلير هو العماد الوحيد للمحافظة على كيان الاسرة . ولكنه دائما كان ينسى مشاكله الخاصة ومشاكل أسرته في زحمة المشكلات الاجتماعية الكبرى .

وربما كانت أولى حملاته الشهيرة ، وأكثرها اثارة لعواطف الناس وأحاسيسهم هي تلك التي انتقد فيها بشدة وعنف الظروف القاسية التي كان يعيش في ظلها عمال تعبئة اللحوم في شيكاجو : فقد عاش في المنطقة فترة من الوقت ، جال خلالها بين المصانع ومجالس العمال ، حيث تيسر له أن يتعرف بنفسه على أحوال هذه الصناعة بكل دقائقها وتفاصيلها ، فوضع يده على شتى نواحي الفساد ، وعرف سبل القائمين عليها في الغش والخداع . كما

لمس بنفسه حالة البؤس والشقاء والظلم الاجتماعى السائد بين العاملين فى هذه الصناعة . فكان أن كتب قصته « الأدغال » التى كشفت عن مواهبه الفذة وقدراته النادرة، وعجلت بانتشار اسمه وذيوع صيته فى شتى أنحاء العالم . فقد كتبت صحيفة « نيويورك ايفننج وورلد» على أثر صدور هذه القصة تقول : « ان مؤلف قصة « الادغال » الذى لم يكن معروفا بالامس ، قد أصبح اليوم علما طبقت شهرته الآفاق . ان باريس وبرلين ولندن تعرف اليوم من هو أوبتون سنكلير .. تماما كما تعرفه نيويورك وبوسطن . بل انهم يعرفونه كذلك الآن فى استراليا » .

ولم يمض وقت طويل على نشر هذه القصة حتى احتدم الجدل والنقاش ، وتضاربت الاقوال حول تقييمها، وتقدير مكانتها الادبية والاجتماعية على السواء. ولعل أصدق ما قيل فى هذه القصة هو ما كتبه القصصى الانجليزى الكبير جاك لندن فى احدى رسائله الى سنكلير نفسه ، لقد بعث اليه يقول : « ان قصتكم « الادغال » مفعمة بالدفء والحياة .. ولكنها قاسية ومريرة ، كأشد الحيوانات توحشا وافتراسا . ويلوح لى أنكم قد كتبتم هذه القصة بالعرق والدماء .. بالأنات والدموع. وهى وان لم تقدم الصورة المثلى للحياة كما ينبغى أن يعيشها الانسان ، فهى قد أجادت تصوير الامر كما يعيشه انسان هذه الفترة من القرن العشرين مجبرا مضطرا . انها لم ترسم صورة بلدنا كما يجب أن يكون، ولكنها ابرزته فى واقعه الأليم : موطن الفساد والظلم والطغيان ،كابوس رهيب يثير الرعب. يبدد الاعصاب ، أتون يلفظ أنفاسه الحارة المحرقة فى كل اتجاه ... انفاس العذاب ، والألم والشقاء.غابة موحشة مخيفة لايسكنها سوى الوحوش الضارية والحيوانات المفترسة » ..

بيد أن هذه « الوحوش الضارية والحيوانات المفترسة » لم تنس أبدا فضل الكاتب الانسان الذى صور حياتهم بقلمه النابض الحساس أصدق تصوير ، فأثار حملة من التحقيقات والاستجوابات التى علت على أثرها صيحات المصلحين الاجتماعيين تطالب للعمال بحقوقهم الضائعة . وكان أن صدر نتيجة لذلك عدد من التشريعات لصالح العمال نذكر منها قانونى « الطعام الجيد » و « العلاج الطبى » .

ثم انتقل سنكلير بعد ذلك الى معالجة مشكلة اجتماعية أخرى طالما تألم لها كثيرا وملكت عليه تفكيره فترة طويلة من الوقت . فقد ظهر اهتمامه الكبير بمعالجة مأساة المرأة الساقطة وتصوير المحنة القاسية التى يتعرض لها المصابون بأمراض جنسية ، بعد أن نجح فى تحويل مسرحية الكاتب الفرنسى بريو Brieux المسماة «سلع فاسدة» الى قصة روائية نثرية . وراح يسعى بعد ذلك الى معرفة حقيقة الامر ، ويحاول الوصول الى أصل المشكلة ، ويبحث عن الاسباب والدوافع ـ الظاهرة والخفية ـ وراء هذا الوباء الخطير الذى انتشر فى بلاده فى ذلك الحين بشكل مفزع رهيب حتى فاحت رائحته الكريهة تزكم الانوف وتنذر بشر مستطير . ومن أجل ذلك دبر سنكلير مقابلة له مع سيدة من غانيات نيويورك الشهيرات .. واستطاع أن يحصل منها على معلومات وحقائق وفيرة عن هذه المهنة الحقيرة والتجارة البشعة المقوتة ... مهنة وتجارة الجسد . بل انه عرف أشياء اخرى خطيرة لم يكن يتوقعها على الاطلاق: لقد تأكد بطريقة عملية لا تدعو مجالا للشك من الدور المخزى الذى

يقوم به رجال البوليس من حماية لهذه التجارة القذرة ، والتستر على القائمين بها .

وكانت نتيجة كل ذلك قصته الشهيرة « زواج سيلفيا » . وهى التى كتب عنها الشاعر الكبير فاشيل لندساى Vachel Lindsay فى رسالة له الى المؤلف يقول :

« اننى لا أعرف قصة أخرى هادفة ، ذات مغزى ، أكثر تاثيرا وقوة من قصتكم « زواج سيليفيا » .

انها تستميل النفوس الكريمة وتحثها للدفاع عن هذه القضية الانسانية النبيلة التى رفعتم لواء نصرتها .. انه كتاب بطولى رائع ، يسمو بالانسانية ، ويدعوها للتمسك بأهداب الخلق الكريم والشرف والفضيلة » .

والامر الذى جذب اهتمام سنكلير بعد ذلك هو كفاح العمال ونضالهم ضد الراسمالية الباغية . وضاعف من هذا الاهتمام ما تناهى الى سمعه فى عام ١٩١٤ عن الطريقة التعسفية التى عالج بها جون روكفلر الصغير الاضراب الذى قام به عمال مناجم الفحم فى كلورادو . فراح سنكلير يجمع المعلومات ، وظل فترة طويلة يتردد على مكاتب روكفلر فى برودواى ، وذهب الى بيوت العمال ، يأكل ويشرب معهم ، ويستقى منهم حقائق الاخبار . واذ اطمأن سنكلير الى أنه قد أمسك بجميع خيوط المشكلة ، جلس يكتب قصته الطويلة « ملك الفحم » التى هاجم فيها استبداد الراسمالية وجبروتها .

وعندما طلب من الناقد الدانمركى جورج براندير تقديم الترجمة الدانمركية لهذه القصة كتب يقول : « ان أوبتون سنكلير هو أحد الكتاب القلائل الذين كرسوا حياتهم من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية وسخروا فنهم فى سبيل هذه الغاية . وقد دفعه حماسه واخلاصه الى بذل أعظم التضحيات فى سبيل الفكرة التى يؤمن بها ... فنراه هنا يذهب الى جبال روكى الموحشة حيث يعمل ويعيش مع عمال المناجم ليلمس عن كثب طبيعة الجهد الذى يبذلونه والظروف التى يعملون فيها ، حتى جادت قريحته الوضاءة وقلمه المرهف الحساس بهذه التحفة الرائعة التى تضارع فى كمالها رائعة اميل زولا الخالدة « جير مينال » Germinal .

ولم تمض سوى فترة قصيرة جدا على نشر قصة « ملك الفحم » حتى انهمك سنكلير فى كتابة قصة جديدة بعنوان « حرب الفحم » مدافعا فيها عما أسمته زوجته « الحق الاساسى للعمال فى التنظيم والمساومة » . الا أن « ملك الفحم » لم تلق رواجا كبيرا . وبدأت عائلة سنكلير تعانى ضائقة مالية شديدة . وزاد الطين بلة ما أبداه الناشرون وقتئذ من عدم ترحيب بكتابه الجديد « حرب الفحم » على أساس أنه يحفل بكثير من الحقائق مما يجعله قصة غير جيدة ، خاصة وان جمهور القراء كان قد انصرف فى ذلك الوقت الى متابعة أنباء الحرب العالمية المشتعلة الأوار .

وشعر بعض أصدقاء سنكلير بانه فى طريقه الى تحطيم فنه وموهبته باسم الاصلاح الاجتماعى والمرفاهية الاجتماعية . وكان من بينهم شيروود أندرسون الذى كتب له عام ١٩١٧ يقول :

« ان فكرة تحويل الادب وتسخيره لخدمة أغراض الدعاية تروعنى وتثير الهلع فى نفسى . لماذا نلبس نحن الادباء ثوب الاشتراكيين أو المحافظين أو الفوضويين ... أو غير ذلك ؟ أليس أجدر بنا أن نترك مشاكل السياسة

والاقتصاد لرجال آخرين تخصصوا فى هذه المجالات .. وننطلق نحن نجوب الطرقات نطرق أبواب المكاتب والمنازل .. ثم نكتب عما نراه بداخلها من أشياء وأشياء ؟

ولم يسمح سنكلير للفقر أو الاضطراب الذى ساد أحوال معيشته بأن يقعده عن العمل فسرعان ما شرع فى كتابة قصة جديدة بعنوان « الاتجار بالدين » هاجم فيها أولئك الذين يشنون الحروب تحت ستار الدين . وفى هذه القصة حاول سنكلير اظهار ما أصاب تعاليم السيد المسيح من تشويه وافتئات خلال ألفى عام أو نحو ذلك حتى ظل الفقير متسربلا بأسمال الفقر ، بينما يرتع الغنى فى فيض من الثروة والجاه لا ينضب له معين .

وفى عام ١٩١٩ كتب سنكلير رواية « جيمى هيجنز يذهب الى المعركة »
Gimmi Higgins Goes to War
دافع فيها عن أنصار الحركة الاشتراكية فى أمريكا وأعقبها برواية « الشيك النحاسى » The Brass Check التى عرض فيها بالفساد الذى استشرى فى الصحافة العالمية ، وتحكم الاهواء السياسية فى اتجاهاتها .

بيد أن هذه الرواية قد لقيت صعوبة فى نشرها . فقد أخبره أحد المحامين بأنها تعرضه لما لايقل عن عشرين قضية تشهير وألف دعوى مدنية . وأن هذا كفيل باقلاع الناشرين عن نشرها . خاصة وأن أزمة الورق كانت على أشدها فى ذلك الوقت .

وكان سنكلير فى تلك الاثناء يبث دعوته بين الصحفيين لانشاء اتحاد لهم يكفل حمايتهم ازاء تعنت أصحاب الصحف واصرارهم على نشر الموضوعات التى تتفق فقط ومصالحهم الخاصة . وكان أن انتشرت هذه الدعوة فى البلاد من اقصاها الى أقصاها وارتفع صوت الصحفيين مع سنكلير يطالبون بمثل هذا الاتحاد .

وفعلا تم أخيرا تكوين نقابة الصحفيين الامريكيين . وتمكن سنكلير من طبع كتابه « الشيك النحاسى » الذى لقى نجاحا ورواجا عظيما حتى بلغ عدد النسخ التى بيعت منه فى أمريكا وحدها ١٥٥ ألف نسخة .

والحديث عن أعمال سنكلير خلال الثلاثين عاما التالية ، وتفصيل ما شنه من حملات اصلاحية مختلفة أكثر من أن يتسع له مثل هذا الحديث الموجز . ولكنا سنحاول استعراض لمحات سريعة عن هذه الاعمال لنعرف مدى اتساع وتنوع المجالات التى ركز عليها حملاته وانتقاداته .. ففى روايتى « خطوة الاوزة » Goose Step و « الاوزة الصغيرة » The Gosling هاجم سنكلير بشدة سوء الادارة وفسادها فى الجامعات والكليات والمدارس . وفى كتابه « البترول » دافع بشدة عن فكرة تأميم الصناعات . وظلت فكرة التأميم ومساهمة العمال فى ملكية المصانع التى يعملون بها محور كثير من كتبه نذكر منها « التعاون » و « ملك السيارات » The Fliwer King التى تعرض فيها لشركة فورد للسيارات وضرورة قيام الاتحادات والنقابات بالاشراف على شئون العمال فى المصانع .

وفى ذلك الوقت رشحه ٧٧٠ كاتبا وأديبا ، على رأسهم كاتب المسرح العالمى جورج برنارد شو ، لنيل جائزة نوبل للآداب . وقد جاء فى خطاب الترشيح الذى وقعه أولئك الكتاب : « ان مؤلفات سنكلير تربو على الاربعين مجلدا بين الرواية والمسرحية والاقتصاديات والنقد الادبى والاجتماعى . وما من شك فى

أنه أشهر كتاب اليوم وأحبهم الى نفس القارىء ٠

ان جمهور قرائه يفوق بدرجة كبيرة جمهور أى كاتب آخر على قيد الحياة ٠ لقد ترجمت كتبه الى أكثر من ثلاثين لغة ، وكان لها تأثير بالغ فى أفكار العامة والخاصة على السواء ، **وذلك لما تضمنته من حقائق قيمة وآراء ثمينة وما تفصح عنه من اخلاص وأمانة فى البحث وتحرى الموضوعية الكاملة ٠ وبالاضافة الى تحرر سنكلير الفكرى وانطلاقه فى التعبير عن المشكلات الاجتماعية بشجاعة نادرة فقد حفلت بأعمق الانطباعات الانسانية وبمقدرة فائقة على الخلق والابداع الفنى »** ٠

وعلى الرغم من ذلك فقد حدث أن أهمل أمر هذا الترشيح ، ولم يقدر لسنكلير أن يفوز بجائزة نوبل ، وكان التقدير الرسمى الوحيد الذى أصابه هو منحه جائزة بوليتزر عام ١٩٤٢ عن كتابه « أسنان التنين » الذى يعرض فيه آراء بعض المفكرين السياسيين البارزين والجهود التى يبذلونها لتحاشى خوض غمار الحرب العالمية الثانية ٠

وهكذا واصل الكاتب الذى حمل لواء الاصلاح وتبنى الدعوة الى أخوة عالمية ونادى بتكافؤ الفرص للبشر أجمعين يكتب ويؤلف بفيض غزير لا ينضب ، حتى بلغ انتاجه حد الخيال (جاوزت رسائله وحدها ربع مليون رسالة) ، وحققت مبيعات كتبه رقما قياسيا بين كتب الادب٠ أما جمهور قرائه فقد شمل العالم كله ٠ ومع ذلك فانه من الصعب تحديد المكانة التى يحتلها سنكلير فى عالم الادب لانه هو نفسه رفض مبدأ التصنيف ٠ وفى هذا المعنى كتب له فان ويك بروكس يقول : « انك تستخدم القصة بغرض تحقيق أهداف بعيدة تمتد الى المستقبل ٠٠ وأعتقد أن هذا هو سبب الخلاف بينك وبين النقاد وتعرضك لسهامهم ٠٠ ولا شك فى أنك تحتل مكانة مرموقة فى عالم الادب رغم أنك لا تنتمى الى فئة معينة » ٠

ولكن فيما يتعلق بالمشاعر والانبعاثات الانسانية وعلاقة ذلك بالانتاج الادبى تستطيع القول بأن أوبيتون سنكلير هو شارلز ديكنز بعث من جديد ٠ فكلاهما استخدم القصة كوسيلة لعلاج التقيحات والاورام الخبيثة كل فى المجتمع الذى يعيش فيه ٠ وكلاهما تردى فى مهاوى الفقر وتجرع كؤوس الحرمان فكرس جهده وقلمه للقضاء على ذلك الفقر وشرح أسبابه وآثاره ٠ ليس بقصد ابعاد شبحه المخيف عن كاهله فحسب ، بل عن المجتمع الانسانى كله ٠ كذلك فقد اهتم كل منهما بابراز مظاهر الضعف والفساد وسوء الادارة فى المؤسسات الكبيرة ٠٠ الحكومية وغير الحكومية ٠

واذا كان ديكنز يبز سنكلير فى الفن الروائى بقصصه المحبوكة الرصينة البنيان، وأسلوبه الشيق الذى يزخر بالدعايات الفكرية ، وشخصياته الحية المتميزة ، فلا شك فى أن سنكلير هو أبرز من كتب عن الانسانية ، ومن حقه أن نقول بأن القضايا التى حمل سنكلير لواء الدفاع عنها فى غير ملل أو كلل وتعمقه الواعى المستنير فى بحث هذه القضايا وتقصى مسبباتها ودوافعها بالاضافة الى سعيه الدائب المستمر لتحسين الظروف والاحوال التى يعيش فى ظلها الانسان ستظل ذكراها خالدة ما دام هناك أشخاص أو شعوب تسعى الى العيش تحت راية الاخوة الانسانية الشاملة وحسن الجوار ٠

« عن مجلة كتب وكتاب الانجليزية »

الشعر

شاعر .. فى أفريقيا

تراءى الصبح فى أفقى .. مكدود الخطى ، تعبله
يبعثر ضوءه السأمان فى ســـفح هنـا وربى
ويسأل شرقنا المجروح : هل ما زال منتحبـا ؟؟
ألم تتفجرى .. ياأرضه ، وسـماءه .. غضبا ! ؟؟

* * *

وســهد ذابل العينـين . . مرتاع من الأمس
يـوارى دمعـه القانى ، ويخفى ذلة النفس
ترفرف روحـه البيضاء ، تحضن روعة الرمس
يسائلها الثرى ـ متكبرا ـ عن عـزة الفرس

* * *

بأعمـاق الدجى . . فى غـابة شـجراء وسنانه
ظلال المتعبين بهـا . . تطوف العمر . . عريانه
تنادى البيض . . عند الكوخ . . يلتهمون انسانه
وصب الحقـد والطغيـان فى الأرواح نيرانه

***

فدارت فى سـماء القارة البيضـاء غيمات
من الآهـات والأدمـع والاحزان تقتـات
ومرت لحظـة خرسـاء تلقفنـا المتاهات
وتروى .. عن ذهول الجرح والجرحى .. روايات

* * *

ولكنى رأيت النيل صاغ دموعه .. نقما
ونادته الليـالى السـود والاحقاد . . فاحتـدما
فذابت موجة كم عانقت اعصاره حلمـا
وصب الشـاعر المحزون لحن البعث مضطرما

* * *

أخى الاسود فى الغابات نحن جراح آهاتك
ونحن هـدير أحقادك .. نحن رصاصك الفاتك
ونحن لهيب اعصـارك .. نحن وقـود غاراتك
فدمدم يا أخى بالثأر وادفنهم بغـاباتك

* * *

أخى .. ان نقبوا فى الارض عن ذهب وعن ثروه
ومروا سافرين بنا ، وفى أشداقهم غنوه

وفوق دمـــاء قتـــلانا .. أهانوا صحوة القوة
فجندلهم هنـــاك اخى .. هناك .. بجانب الربوة
أتوا يوما الى أرضى . . فداســوا حرمـة الارض
تناسوا صحوتى الكبرى هنا واستنكروا رفضى
وكم بذروا لى الاشواك واعتصروا شـذى الروض
فســـــلهم يا اخى عن برســـــعيد وثورة البغض

* * *

هنا وهناك . . فى الكونغو ، وفى أوراس ، فى يافا
دماء الجرح قد ضجت ، ولحـــن الثار قد طافا
فلسنا منجما للتبر .. يعطى التبر من وافى
مناجمنا دم الأجـــداد فى التـــــربة رفافا

* * *

اخى الاسود .. لن نحجم .. فى آفاقنا الحره
لهيب .. عارم التيـار .. لن تهـــدأ له ثوره
اذا لم يشف فى الكونغو وفى أوراســـنا ثاره
فصب الشعب فى زحف يـــذوق عـــدونا شره

* * *

هنا . . فى زحمة الاحقاد . . شعب بات متقـدا
عروبتنا ، وقارتنا . . ومعركة الخلاص غـــدا
ومهما نصبوا العمـــلاء أو أغروا بنـــا ولدا
زحوف الشـــعب لن ترحم طوفانها أحـــدا

* * *

دماء « لومب » ما زالت . . تسيل على يد الجازر
بكيناه . . بكينا روحـه المستبســل الثـــائر
بكينـا فـه انسـانا يريـد الوطن الطـــاهر
ولكنا هناك غدا .. نوارى جثة الغـادر

* * *

أخى عدنان .. هل تسمع من عليا الجنان صدى
دم الشهداء لن يذهب فى تلك الربوع . . سدى
جمال جمع الأحـــرار قلبا واحـــدا ويدا
وصفا يهزم القرصان والاوغـــاد متحـــدا

* * *

ورف اللحن تياها .. على قيثاره الهـادر
وابصر شـــعبه الجبار .. منتفض الرؤى ، ثائر
يحرر قارة بيضاء ، يغســل روحهـــا الطـــاهر
ويفرش للامانى البيض دربا ماله آخـر

* * *

فان مرت هنا الأجيال وانتفضـت على الشمس
وراحت .. فى ظلال الحب .. تجنى عزة الغرس
سيكتب فجرها المـــراح فوق مفـــاتن الرمس
« دم العربى .. فى هذا السنى .. مترقرق الهمس »

أنس داود

فى الليل . . . !

فى هـــدأة الليل الحنـــون
والكون غلفـــه الســـكون
وأصابع الليل البهيم ترش فى الـــدرب الظنـــون
وعرائسى الافكار تمعـــن فى الدلال وفى الفتـــون
وتعيد فى ذهنى صباى الغض من ماضى الســـنين ..
صـــورا من الالام تنســـدها على وترى الحزين
قد لونت من أدمعى الحرى ، ومن قلبى الطعـــين ..
ورسمت فيها العمر فنا ، لا تضـــارعه فنـــون ..

***

وأروح أنشد ـ صـــامتا ـ لحنى على ســـمع السكون
ولربما ســـمع الســـكون ..
هتاف أعمـــاقى الدفين ...
فـــيرد فى رفـــق ولين ...
ويقول ـ فى أســـف ـ : عجبت لذلك الزمن اللعـــين
لم يرض بالاحـــرار الا فى غيابات الســـــجون ..!

***

فى هدأة الليـــل الحنون
والكون غلفه الســـكون
قد كنت فى أحضـــانه كالنور فى قاع الســـجون
كحقيقة عذراء زيفهـــا الطغاة المرجفـــــون ..
كالنور حاصره الظـــلام فليس تلمحه العيـــون ..
وأمامى الأوراق نامت فى جوانبهـــا الشـــجون ...
والقلب يضرب فى الضـــلوع نشيده البـــاكى الحزين
قد عاش ما ذاق الهـــدوء ، وليس يدرى ما يكون !..
خفقاته شجو المعـــذب فى متاهات الظنـــون ...
وبكاؤه نوح المحـــير ضـــاع من يده اليقين ...!

***

وأروح أنشد ـ صامتا ـ لحنى على ســـمع الســـكون
ولربما ســـمع الســـكون
هتاف أعمـــاقى الدفين ..
فيرد فى رفـــق ولين . .
ويقول ـ فى أسف ـ عجبـــت لذلك الزمن اللعين ..
لم يرض بالاحرار الا فى غيـــابات السجون ...! !

البيلى عبد الحميد حسن

قصة من النمسا :

قصة ستيفان زفايج

ترجمة مصطفى الصاوى الجوينى

حينما دخل ضباط الشرطة البرازيلية ـ ذات يوم من سنة ١٩٤٢ ـ منزلا فى بتروبوليس ، المشارفة لريودى جانـــيرو ، راعهم أن يروا جثتى الكاتب النمساوى اللامع ستيفان زفايج وزوجته .. وكان على مائدة هناك فى الشقة كوبان يفوح منهما رائحة ضعيفة خلفها السم الذى انتحرا به . وخطاب ضمنه زفايج شـــكر الشعب البرازيلى على ما لقيه منهم من كرم . ثم تسجيل فى تقرير حزين لبعض الاســباب التى دعته وزوجه الى ايثار الرحيل عن الدنيا : (لقد رأيت بلدى ـ موطن لغتى ـ تنحدر بينا موطنى الروحى ـ أوربا ـ يدمر نفسه بنفسه » .. وواضح أن ستيفان زفايج كان ضحية الحرب ، لا يرى فى الايام السوداء بارقة أمل فى هزيمة النازيين وعودة السلام المثمر للعالم .. ومنذ شباب زفايج المبكر كان يجاهر بخصومته للحرب وفظائعها ؛ كان رجلا حساسا ، شفوقا ، وفى هذا ما يكفى لايضـــاح مقته لتخريب الحروب . ولكن زفايج أيضا كان من رجال الادب الاوربيـين ؛ رأى أصوله الثقافية تنتمى الى الثقافة الاوربية جميعها (فقد أسمى أوربا موطنه الروحى) ولذلك لم يكن ليصدق أن هناك فوارق قاطعة فاصلة بين شـــعوب أوربا تجعلهم يتحرش الواحد منهم بالآخر . وخلال السنوات التى تلت الحرب العالمية الاولى بأن لزفايج أن أوربا تتأهب ثانية لحرب تدمر أكثر مما قد دمرت قبل . ومثل كثيرين غـــيره من الكتاب والفنانين الاوربيين ؛ نفى زفايج نفسه من القارة . وراقب كيف أن بلده النمسا توطأ بأقدام الرايخ الالمانى ، وكيف ينتشر الخراب بين بلدان أوربا الواحدة تلو الاخرى فيغمرها . ولبث حينا فى انجلترا ، وبعد قليل من انـدلاع الحرب العالمية الثانية ، قصد البرازيل . وفى الحقيقة انها لسخرية مرة ـ لدى الاوربى المثقف ـ أن أوربا التى أدركت من الثقافة أرقى ما وعته ذاكرة انسان ؛ فرض عليهـــا أيضا أن تقاسى طويل زمن من أهوال وبلايا الحرب أكثر مما قاسته بقعة من بقاع المعمورة . لقـــد خدمت العبقريات الاوربية العظيمة ـ حينا ـ غايات الهدم أكثر ممـــا خدمت غايات البناء ، وخدمت غايات التدمير والعذاب الانسانى أكثر مما خدمت الفن والتجارة . ومهما يكن من معنى لهذا التناقض فانه بين أن شعوب اوربا قد عاشت غالبا ـ وليس باختيارها أبدا دون مأساة أو حزن ـ حياة الحرب .

ان الشعوب تدرك فى ألم وقوة مدى تاثيرات الحـــرب على عقائدها وعواطفها

الشخصية • وخبرات الشعوب تلك فى الحرب قد خبرها غالبا الكتاب الغربيون الذين عبروا عنها فى ادبهم •

وفى قصة ستيفان زفايج التى تلى ، يقص المؤلف خبرة محزنة لرجل بسيط اسر فى اعصار الحرب العالمية الاولى المفجع • وبطل هذه القصة ـ ولو أنه ساذج أبكم ـ غير أن القارىء يستطيع أن يدرك العواطف التى حركته فى مجاهدته غير المثمرة لحرب لا يريدها ولا يستطيع منها فكاكا •

ذات ليلة من صيف سنة ١٩١٨ لمح صياد فى قاربه ببحيرة جنيفا ـ غير بعيد من المدينة الصغيرة (سويس) فى فيلناف ـ شيئا غير عادى على سطح الماء • وحينما قرب منه رآه طوفا من كتل خشبية قد جمع بعضها الى بعض بلا تهذيب ، وفوقها رجل عار يحاول فى غير معرفة أن يجدف الى أمام بواسطة لوح خشبى • كان المجدف منهوكا يرتجف من البرد ، فأشفق عليه الصياد ، وأعان هذا المرتعش ؛ مسافر البحر ، فجذبه الى قاربه وغطاه ببعض شباكه ـ وتلك كانت كل ما لديه من وسائل الغطاء • ثم حاول أن يفاتحه فى الحديث • ولكن الغريب المنقذ ـ وقد ربض فى قاع القارب ـ أجاب بلسان لم يستطع الصياد أن يفهم منه حرفا • فاضرب الصياد صفحا عن محاولته الحديث وجذب شبكته التى جاء ليعالجها ثم جدف بضربات ثابتة ووجهته الشاطىء • وحينما بدت معالم الشاطىء تتضح مع ضوء الفجر المتجمع ، أخذ الرجل العريان يبدو أكثر ابتهاجا • وتراقصت ابتسامة على الفم الكبير الذى كمن نصفه تحت شارب غزير غير مشذب ولحية • وأخذ يصيح مرارا وهو يشير تجاه الشاطىء ـ بين المتسائل والمتهلل ، بلفظة جرسها مثل (روسيا) • وعلت نعمة ثقته وكثر فرحه بينما القارب يقترب شيئا فشيئا نحو الارض • وفى النهاية رسا القارب على الشاطىء •

وجرت جماعة النسوة العاملات لدى الصياد للمعاونة فى انزال صيد الليل الى الارض ثم ما لبثن أن تفرقن وهن يصحن مفزوعات ، مثلهن كمثل عذارى فوسيكا قديما حينما أبصرن أنيسس العريان • ولدى انتشار الاخبار العجيبة التى أتى بها الصياد من البحيرة تقاطر رجال القرية عند الشاطىء ومن بينهم عمدة هذا المكان الصغير • واستدعى حضور هذا الشخص الخطير ذى الاعتبار ، الملىء بمقام وظيفته ، الى الذهن جميع التعليمات التى صدرت عن مراكز قيادة الجيش خلال السنوات الاربع الاولى من الحرب • واذ اعتقد العمدة أن هذا القادم الجديد ينبغى أن يكون هاربا من الشاطىء الفرنسى للبحيرة ، حاول على الفور أن يبدأ معه استجوابا رسميا ، ولكنه ما لبث سريعا أن أخفق بسبب عقبة عويصة وهى أن أحدهما لا يفهم عن الآخر • ولم يجب الغريب ـ وهو يلبس الآن سروالا ومعطفا جاء بهما أحد القرويين ـ باجابة ما أكثر من تساؤل : روسيا ؟ روسيا ؟ ملفوظة فى توسل ، بل تغلب عليها نغمات متهدجة توسع العمدة ـ وقد تضايق شيئا ما ـ خطاه تجاه دار القضاء مشيرا ـ فى حركة آمرة ـ الى اللاجىء أن يتبعه • وبين ثرثرة الصغار الذين تجمهروا الآن أنفذ الرجل الحافى ـ تتهدل عليه الثياب المستعارة ـ ما أمر به • وهكذا جاء الى دار القضاء حيث وضع فى مكان آمن •

لم يبد اعتراضا ، ولم ينطق بكلمة،ولكن وجهه كساه الحزن ثانية • وقد طاطأمن رأسه هايبا كما لو كان متوقعا للطمة • وسرعان ما تسربت أخبار الصيدالعجيب الذى جاء به الصياد ـ الى الفنـــادق المجاورة •• سر ذوو اليسار من الزوار اذ سمعوا بشيء سيعينهم على انفـــاق ساعة • فتوافدوا فىأعداد كبيرةليتفقدوا الرجل المتوحش ! قدمت امرأة اليـــه بعض الحلوى ، ولكنه كالنسناس المرتاب رفض أن يقربها • والتقـط زائر بآلة تصويره صورة خاطفة ، وأخذ الجمـــع المتجمهر حول الفرجة يتحـــــدث فى مرح •

وفى النهاية ظهـــر على المسرح مدير أحد الفنادق الكبرى المجـــاورة ، وهو رجل قد عاش فى بلاد كثـــيرة ، وكان لغويا مجيدا • واختبر الغـــريب الذى صار الآن مرتبكا هلعا ـ بلغة بعـــد أخرى ، بالالمانية ، وبالايطالية ، وأخيرا بالروسية •

ولدى اللفظة الاولى من الروســية ، بدا الزميل البائس وقد شد عزمه فجأة وأشرقت طلعته البســيطة الطيبة عن ابتسامة عريضة •

وعلى الفور ، وبهيئة الواثق ، ابتـدا يسرد حكايته • كانت طويلة ومشوشة ولم تكن جوانبها كلها واضـــحة لدى المترجم الذى ساقته الصـــدفة ، ولكن القصة تجرى أساسا كما يلى :

انه قد حارب فى روسيا • ويوما ما جمع هو وآلاف آخرون فى عربات السكة الحديد وقطعوا مسافات شاسعة بالقطار ثم ركب الجميع بعد سفينة قامت برحلة أطول عبرت فيها بحارا شديدة الحرارة حتى أن عظامه قد تعويت ـ حسب وصفه ـ وأخيرا نزلوا الى البر لرحلة أخرى بالقطار وعقب مغادرتهم القطـار بعث بهم على الفور لاقتحام جبل • وعن بدء الحرب فانه لم يســـتطع الا ذكر القليل ، لانه ما أن بدأت الوقعـــة حتى أصيب برصاصة فى قدمه • وكان من الواضح بعامة لسامعى القصة عندترجمه مدير الفندق لها جملة بعد جمـلة ـ أن هذا اللاجىء ينتمى الى احدى الفـــرق العسكرية الروسية المرسلة عبر سيبريا والمسافرة بحـــــرا الى فرنســـا من فلاديفوستك • وامتزج حب الاستطلاع بالشفقة حتى يريد كل واحد أن يعرف ما الذى حدا بالرجل أن يبدأ رحلتـــه العجيبـــة التى قادته الى البحـــيرة • وبابتسامة صريحـــة لا تخلو من مكر ، أوضح الروسى أنه حين كان يعالج من جراحه فى المستشفى سأل : أين توجد روسيا ؟ فعينت له جهة وطنه عموما • وحالما صار قادرا على المشى هـــرب ، واسترشد فى طريقه لجهة موطنـــــه بالشمس والنجوم • وسار بالليـــل ، وبالنهار •• كان يختفى فىأكوام الدريس ليروغ من الدوريات العسكرية • وعن الطعام فانه كان يجمع الفاكهة أويتسول رغيف خبز من هنا أو هنـــاك • وفى النهاية بعد سرى عشر ليال أدرك هـذه البحيرة • والآن صارت روايتـه أكثر اضطرابا • لقد كان فلاحا من سيبريا، يجاور موطنه بحيرة بايكال • فرأى أنه يستطيع العبور الى الشاطىء الآخر من بحيرة جنيفا الذى تصـور أنه ينبغى أن يكون روسيا • لقد سرق لوحين من أحد الاكواخ واتخذ سمته عليهما الى أسفل، مستخدما لوحا كمجداف وسالكا طريقا بعيدا خلال البحيرة • وعند ذلك عثر الصياد •• وانتهى قصته بالسؤال المشدد (هل يمكننى غدا الوصول الى وطنى ؟)

اثارت ترجمة هذا السؤال عاصفة من الضحك لدى اولئك الذين كان اول ما تبادر الى ذهنهم عنه انه مسكين أبله. ولكن فكرتهم الثانية لونتها الشفقة عليه فساعم كل بقليل جمعوه للهارب المستحى وانه ليكاد يبكى . والآن استدعى من (مونتريه) تليفونيا موظف شرطة ، ذو رتبة كبيرة ، وحين مقدمه كتب تقريره الرسمى دون ما صعوبة ولم يكن المترجم فقط الذى اتاحته الصدفة بعيدا عن أغوار السيبيرى ولكن ايضا نقص حظ ذلك السيبيرى التام من الثقافة ، وضع حاجزا بين عقله وبين عقول اولئك الغربيين . لقد كان من القليل الذى يعرفه عن نفسه أن اسمه بوريس . أما لقب أسرته فلم يستطع أن يدلى به . كان يعيش مع زوجته وابنائه الثلاثة على بعد ثلاثة وثلاثين ميلا من البحيرة العظيمة، وكانوا عبيدا للامير متشرسكى (هو يستخدم لفظة العبيد مع أنه مضى أكثر من نصف قرن على زوال العبودية من روسيا) .

ثم تلا ذلك مناقشة عن مصيره ، ووقف هو بين المتجادلين باكتاف متخاذلة ووجه حزين . قال بعضهم أنه ينبغى أن يرسل الى السفارة الروسية فى برن . ولكن عارض آخرون بان هذا سيؤدى الى أن يساق ثانية الى فرنسا.

وصرح موظف الشرطة أنه من الصعب تقرير ما اذا كان الروسى يعامل كهارب او يعتبر ببساطة أجنبيا بلا بطاقة هوية. أما الضابط المسرح لتلك الناحية فكان متأهبا ليوضح معقبا أن هذا الضال ليس له بالتأكيد أى حق فى المطعم والمسكن على نفقة السلطات المحلية . وتدخل رجل فرنسى محتدا، قال : ان حالة هذا الهارب الشقى واضحة للغاية . دعوه يؤدى عملا ما أو أرسلوه ثانية عبر الحدود . واحتجت امرأتان بان الرجل المسكين لم يكن ليلام بسبب ماسيه ، انها لجريمة أن يختطف الناس من منازلهم ويرسلوا الى أرض أجنبية . وأوشكت معارك سياسية ان تقع حتى أعلن سيد دنمركى فجاة عن عزمه على أن يعول هذا الغريب مدة الاسبوع التالى الذى تناقش فيه السلطات المحلية الأمر مع السفارة الروسية . وقد وضع هذا الحل غير المتوقع نهاية لحيرة الرسميين ، بينما جعلت المتجادلين من غير الرسميين ينسون خلافاتهم . وبينما كان الجدل محتدما ، ظلت عيون الهارب فى استحياء مركزة على شفتى مدير الفندق ، اذ أنه الانسان الوحيد فى هذا الخليط الذى باستطاعته أن يعزفه مصيره . وبدا بهيئته الشاحبة أنه فاهم مدى التعقيدات التى أثارها قدومه . والآن حين خفتت ضوضاء الاصوات ، رفع يديه المشبكتين قبالة وجه مدير الفندق ـ فى ضراعة ـ مثل امرأة تصلى أمام صورة مقدسة . وقد تأثر الجميع من هذه الحركة ، وأكد له المدير مخلصا أن عليه أن يطمئن بالا تماما . ذلك أنه سيسمح له هنا بالبقاء حينا . ولن يؤذيه أحد ، وأنه سيجاب الى طلباته فى مضيفة القرية . وأراد الروسى أن يقبل يد المدير ولكن الأخير لم يسمح له بتلك الطريقة غير المألوفة فى التعبير عن الامتنان . وأخذ بيد اللاجىء الى الفندق حيث المأكل والنوم مؤكدا مرارا أن كل شىء يسير على مايرام. وبهزة رأس أخيرة حياه المدير تحية الصديق المودع متخذا طريقه ثانية الى فندقه . حدق الهارب فى رسم المدير

وهو يتباعد ، وقد شحب وجهه مرة أخرى لدى افتقاد الشخص الوحيدالذى يستطيع أن يفهمه . وبالرغم من أولئك الذين كانوا يراقبون سلوكه فى متعه. فانه ظل يتبع بعينيه المدير حتى اختفى هذا الصديق فى فندق بأعلى الجبل . والآن لمس واحد من المتفرجين الروسى بلطف على ذراعه ثم أشار له الى باب الفندق . دخل الهارب برأس معلقة مقامه المؤقت، وأرشد الى حجرة الشراب فأراح نفسه على كرسى ، وثبت ، فرحبت به الساقية وناولته كأس (براندى) . وهنا أنفق بقية الصباح مطرقا فى كآبة .

كان أطفال القرية يديمون مسارقة النظر اليه من خلال النافذة ، يضحكون ويصيحون به من وقت لآخر ولكنه لم يلق لهم بالا . نظر العملاء اليه فى فضول ، ولكنه ظل طول الوقت جالسا وعيناه مثبتتان على المائدة فى خجل وتهيب . وحين أعد طعام الغداء ، امتلأت الحجرة بالناس الذين يتحدثون فى مرح ، لكن لم يستطع الروسى أن يفهم كلمة واحدة من أحاديثهم . وآلمه أن يدرك أنه غريب بين غرباء ، وأنه عمليا أصم أبكم وسط أناس يستطيعون تبادل الآراء بطريقة حية . كانت يداه ترتعشان حتى أنه بصعوبة ما تناول حساءه . وسلكت دمعة طريقها فوق خده ثم سقطت فى ثقل فوق المائدة . ونظر حواليه بتهيب . لحظ الضيوف الآخرون حزنه ، فران الصمت على الجميع . كان الحياء يغمره واخذ رأسه المشعث يدنو شيئا فشيئا من المائدة الخشبية السوداء . ونبث فى حجرة الشراب الى المساء .

جاء أناس وراحوا ولكنه لم يكن ليعرفهم أو يعرفوه . وواصل جلوسه بأن تلبث محتميا بالمدفأة مريحا يديه على المائدة .

ونسى الجميع وجوده . وعند الغسق نهض فجأة ومضى دون أن يلحظ أحد ذهابه . ومثل حيوان أبكم صعد فى الجبل متثاقلا شطر الفندق ، وركز نفسه ـ متواضعا وبيده الطاقية ـ خارج الباب الرئيسى . ووقف هناك ساعة بطولها دون أن يسترعى انتباه أحد . وبأخرة اجتذب هذا الشكل الغريب ، الجامد والاسود ، كجذع الشجرة الضاربة بجذورها أمام مدخل الفندق الساطع الاضواء ـ انتباه واحد من البوابين ذهب باحثا عن المدير . ورفت البهجة ثانية على وجه السيبيرى عند كلمات مدير الفندق الاولى ، اذ سأله فى حنان : ماذا تريد يا بوريس ؟

قال الهارب بتردد :

ـ معذرة يا سيدى ، كل ما أريد أن أعرفه هو هل يمكننى أن أعود لبلدى أو لا ؟

قال المدير مبتسما :

ـ طبعا يا بوريس يمكنك أن تذهب الى بلدك .

ـ غدا ؟

واتخذ المدير سمتا أكثر جدية ، فان الكلمة قيلت بضراعة أزالت البسمة .

ـ لا يا بوريس ، ليس بعد .. حتى تنتهى الحرب .

– أحالا ؟ ومتى تنتهى الحرب ؟

– الله أعلم ، ولا أحد يستطيع ان يعلم .

– وهل ينبغى أن أنتظر طيلة هذا الوقت ؟ ألا أستطيع الذهاب سريعا ؟

– لا يا بوريس .

– هل بلدى بعيد من هنا .

– نعم

– مسيرة أيام كثيرة ؟

– أيام كثيرة .. وكثيرة ..

– ولكننى أستطيع أن أسير هنالك، فأنا رجل قوى ولن أتعب .

– لا تستطيع ذلك يا بوريس .هناك حدود أخرى عليك أن تعبرها قبل الذهاب لبلدك

وبدا متحيرا :

– حدود ؟

لم تكن الكلمة ذات معنى عنده . ثم استمر بالحاحه المدهش قائلا :

– ولكننى أستطيع أن أعوم خلالها !

وبمشقة كتم المدير ابتسامة لائحة ولكنه كان حزينا لمأزق الرجل فقال برقة :

– لا يا بوريس لن تقدر على أن تفعل ذلك . فان الحدود معناها بلد أجنبى . والناس الذين يعيشون هناك لن يدعونك تمر .

– ولكننى لن أؤذيهم بشىء ، فلقد اطرحت بندقيتى . فلماذا يرفضون أن يدعونى أذهب لزوجى حين أستحلفهم لأجل المسيح أن يتركونى أمر .

وصار وجه المدير جامدا كئيبا وقال:

– لا لن يدعوك تمر يا بوريس ولا حتى من أجل المسيح ، فانه ما عادالناس يسمعون لكلمات المسيح .

– ولكن ماذا على أن افعل ياسيدى. لا يمكننى البقاء هنا . فلا أحد يفهم عنى وأنا لا أفهم عن أحد .

– ستتعلم الفهم عنهم مع الزمن .

هز رأسه وقال :

– لا يا سيدى لن أستطيع التعلم أبدا . أنا أستطيع فقط فلح الارض ولا أكثر . ماذا يمكننى أن افعل هنا ؟ أنا أريد الذهاب الى بلدى . أرنى الطريق.

– ليس هناك أى طريق يا بوريس.

– ولكن يا سيدى لن يستطيعوا منعى من العودة ثانية لزوجى وأولادى ، فلم أعد بعد جنديا .

– نعم يا بوريس انه يمكنهم أن يمنعوك .

– ولكن القيصر بكل تأكيد سيساعدنى .

كان هذا تفكيرا مفاجئا خفقت له جوانح الهارب بالأمل . وفى ذكره لاسم القيصر وضحت نغمة التوقير الزائد .

– ليس هناك قيصر الآن يا بوريس، فقد عزل .

– ليس هناك قيصر الآن ؟!

وحدق ببلاهة فى وجه المدير .. ها قد خبت ومضة الأمل الأخير وبهت بريق عينيه فقال مكدودا :

– وهكذا فلن أستطيع الذهاب لبلدى .

– ليس الآن .. ينبغى أن تنتظر يا بوريس .

ـ وهل هذا سيطول ؟

ـ لا أعرف ٠

وبدا الوجه فى الظلام يزداد قنوطه

ـ لقد انتظرت طويلا ، كيف أنتظر أكثر ؟ ارنى الطريق وسأحاول ٠

ـ ليس هناك طريق يا بوريس ٠ سيقبضون عليك عند الحدود ٠ امكث هنا ، وسأجد لك شيئا تعمله ٠

قال متلعثما :

ـ انهم لايفهمونني هنا وأنا لا أفهمهم ٠٠ أنا لا أستطيع العيش هنا ٠ ساعدنى يا سيدى ٠

ـ لا أستطيع يا بوريس

ـ ساعدنى يا سيدى لأجل المسيح ٠ ساعدنى والا فليس لى أمل ٠

ـ لا أستطيع مساعدتك يا بوريس ، فان الناس لم يعد بامكانهم بعد أن يعين أحدهم الآخر ٠

وظل الاثنان يحدج أحدهما الآخر بعينه ٠٠٠ فتل بوريس طاقيته بين أصابعه ثم قال :

ـ لماذا أخذونى بعيدا عن بلدى ؟ لقد قالوا ينبغى أن تحارب من أجل روسيا والقيصر ٠ ولكن روسيا قصية والقيصر ٠٠٠ ماذا قلت انهم فعلوا بالقيصر ؟

ـ لقد عزلوه ٠

أعاد الكلمة بغموض :

ـ عزلوه !

ـ ماذا أفعل يا سيدى ؟ ينبغى أن أذهب لبلدى ٠ ان أولادى يبكون من أجلى ٠ لا أستطيع العيش هنا ٠ أعنى يا سيدى ٠ أتوسل اليك أن تساعدنى ٠

ـ لا أستطيع يا بوريس ٠

ـ ألا يستطيع أحد أن يأخذ بيدى

ـ لا أحد الآن ٠

وعلق الروسى رأسه ثابتة ـ وقد ازداد هما ـ وفجأة تكلم فى نغمة كئيبة:

ـ أشكرك يا سيدى ٠

وبعدئذ استدار على عقبيه ومضى ٠ سار بطيئا الى أسفل الجبل ٠ وراقبه المدير بينما هو يمضى وعجب اذ لم يدخل الفندق ٠ بل انه مضى فى طريقه أسفل الدرج المفضى الى البحيرة ٠ زفر المترجم شفيق القلب زفرة ثم عاد ثانية لعمله فى الفندق ٠

وكما شاءت الصدفة أن تكون فان الصياد عينه الذى أنقذ السيبيرى حيا من البحيرة ، عثر على جثة الغريق العارى فى الصباح ٠ لقد طوى الهارب بعناية ما استعاره من معطف وسروال ووضعهما مع القبعة على الشاطىء ٠ ثم انطلق يسير فى الماء ، عاريا كما أخرج منه فى المرة الاولى ٠٠

لم يكن اسم الغريب معروفا ليقام على قبره أثر تذكارى ، بل نصب هناك صليب خشبى بلا اسم ٠

محاولة لتقديم

شخصية اسلامية

الغزالي

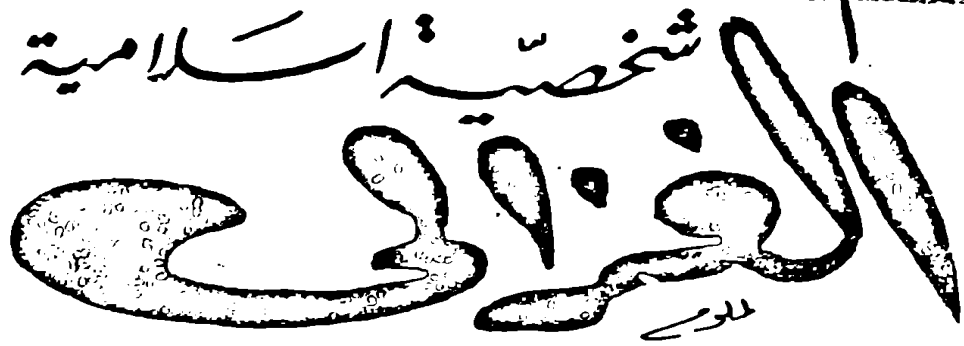

شخصية الغزالى من الشخصيات التى يقول أمرسن : ان التاريخ الحق يجب أن يكون موضوعه الاول هو دراستها وبيان امتداداتها العقلية والروحية والعملية مثل شخصيات أفلاطون وجوته وسويدنبرج وشكسبير .. هـــذه الشخصيات الفنية العميقة المتسعة الحاوية لكل التيارات الفكرية والشاملة لكل ألوان نشـــاط النفس الانسانية فى أبلغ وأروع وأدق صورة .. هذه الشخصيات التى تظهر كل مائة عام ، تلقى عليها ضوءها الساطع القوى الممتد ، هذا الضوء الذى تبدو بجـــواره الاضواء الاخرى خافته شاحبه .. اضواء الشخصـــيات الاخرى التى يقدر لهـا ان تعايش الشخصيات الاولى . ومن هنا جاءت كراهية العامة والخاصة أيضا لهذه الشخصيات حسدا وحقدا ، وكل شخصية من هذه الشخصيات ترتبط ارتباطا وثيقا بالجو العقلى والاجتماعى والروحى الذى نشأت فيه ، وعظمة هذه الشخصيات تعود الى قدرتها على تمثيل هذا الجو فى أدق وأبلغ وأروع صورة وتبدو وكأنها مركز تجمعت فيه الاضواء المتشعبة المتعددة .. نرى فيه صورة العصر وصورة الحضـــارة التى انتجت هذه الشخصيات،وكما نعرف بنوة الابن لأبيه عن طريق تحليل الدم هكذا نتلمس بنـــوة الشخصية العظيمة للحضارة أو الروح التى انتجتها عن طريق ملامح الشخصـــية الظاهرة وعن طريق تحليل العناصر الحيوية والفكرية والروحية التى تكون المادة الحية لهذه الشخصـــية .

* * *

والغزالى يرينـــا عن طريق تطـــوره الروحى والحيوى امكانيـــات الروح الاسلامية ويقـــدم لنـــا فى شخصه الصورة الاخيرة لهذه الروح الاســـلامية وهى الصورة الصـــوفية التى تبدو الصـــور الاخرى محاولات الروح لمعرفة ذاتها .. ذلك أن التصوف هو السمة البارزة للروح أو الحضارة الاسلامية .. حتى الفلاسفة انفسهم لم يخلصوا من هـــذا الطابع التصوفى فان أحدا لا ينكر هذه الآثار الصوفية عند الفارابى وابن سينا .. حتى جاء الغزالى وحدد لهذا الطابع الصورة التى كانت تسعى اليها الروح الاســـلامية منذ ميـــلادها وظهورها ونشأتها .

جاء الغزالى فى لحظة تاريخية مناسبة لظهور هذا الطابع الصوفى فى صورته

بقلم: توفيق حنا

الكاملة المتكاملة . ولقد احس الغزالى مهمته الحضارية التى جاء الى هذه الحياة من أجل القيام بها منذ اللحظة التى تركه فيها ابوه فى رعاية احد اصدقائه من رجال التصوف ومنذ هذه اللحظة وشعوره بمهمته الروحية ينمو فى اعماقه كما تنمو البذرة فى باطن الارض .

وفى نيسابور درس علم الكلام على احد كبار التصوف وهو امام الحرمين.. درس المذاهب وتبين مابينها من اختلاف كما تعلم الجدل والمنطق وقرأ فى كتب الفلسفة وبدأ نشاطه فى الكتابة والتاليف .. ويطلق مؤرخو حياة الغزالى على هذه المرحلة ، مرحلة الشك .. التى اراها مرحلة الوعى بما فى اعماق اللاوعى من مهمة روحية بدأت بذرتها ـ كما قلت ـ منذ الطفولة .

ثم انتقل الغزالى من نيسابور الى بغداد حيث عرف نظام الملك الذى عينه مدرسا بالمدرسة النظامية واتاحت له هذه الفرصة قراءة ودراسة مؤلفات الفارابى وابن سينا وتاليف « مقاصد الفلاسفة » الذى اراد به تهدئة شكوكه وتأكيد وعيه برسالته الروحية وتقرير شعوره بمهمته التى جاء لتأديتها وبعد « مقاصد الفلاسفة » أنشأ عمله العظيم « تهافت الفلاسفة » الذى بين فيه بوضوح ووعى حدود رسالته الروحية ومهمته الحضارية .

وبعد الانتهاء من « تهافت الفلسفة » هجر كل شىء وخرج من بغداد اذ عرف ان مثله الاعلى اسمى من هذه الدنيا وتبين له ان طريق القلب ـ لا طريق العقل ـ هو طريقه الحق الذى كان يبحث عنه . وفى كتاب « المنقذ من الضلال » يكشف لنا الغزالى محاولات الروح الاسلامية للتعبير عن امكانياتها وخصائصها وطريقها .. وبعد مناقشة طرق المتكلمين والفلاسفة والباطنية نراه يدعو الى طريق التصوف وهو الحل الاخير الذى انتهت اليه الروح الاسلامية للتوفيق بين الدين والفلسفة وهى المشكلة الاولى للروح الاسلامية .

وبعد خروجه من بغداد حج الى بيت الله وظل الغزالى مدة عشر سنوات تائها فى زى الفقراء متجولا فى دمشق والقدس ومصر والاسكندرية وكان يقضى كل وقته فى العبادة زاهدا معتكفا منطويا على ذاته يعد نفسه للقيام بمهمته الروحية .

نجد الغزالى بعد هذه المدة داعيا للاصلاح عن طريق العمل وظهرت هذه الدعوة فى اروع كتبه واعظم اعماله وهو كتاب « احياء علوم الدين » وانا ارى أن الحضارة الاسلامية تبدأ بالقرآن وتصل الى قمتها الروحية والعملية والاجتهادية فى كتاب الاحياء.. امابعد ذلك فلم يكن الا ترديدا لما قيل او شرحا وتفسيرا او نقدا لما سبق ان قرر ووضع .

عاد الغزالى الى نيسابور حيث انقطع الى الدرس والوعظ والعبادة ثم مات فى موطنه ، فى « طوس » .

والغزالى يلخص لنا فى صورة واضحة بليغة دقيقة اتجاه الروح الاسلامية واغراضها وغاياتها . كما يلخص لنا « المنقذ من الضلال » اتجاه حياة الغزالى وأغراضا وغاياتها .

ونحن نحس حين نقرأ الغزالى أن فى كل عبارة قلبا يخفق ، وعقلا يجول . ويجادل ، وارادة مخلصة تملى وتوجه . ونحن نراه فى الاحياء يخاطب القلب ويتحدث الى العامة ويعتمد على دليل السلطان المستمد من القرآن ـ عندما يريد البرهان ـ ثم يعتمد على الدليل النقلى وأخيرا يظهر الدليل العقلى .

والغزالى يقرر فى صدق ووعى وايمان أن أنبل كائن على سطح الارض هو الانسان وان انبل ما فى الانسان هو القلب ولهذا شغل الغزالى نفسه بتنقية هذا القلب وانارة سبيله فى سلوكه الى الله ٠

ويرى الغزالى أن أروع انتصار يكلل العمل الفلسفى ويتوج النشاط العقلى هو الفرح والسلام فى قلب نقى ولهذا تسيطر الرؤية على تفكير الغزالى الذى يعتمد على الارادة الالهية ٠٠ وجاء هذا كله من انكاره للسببية وبهذا انتقل الغزالى من عالم ارسطو الى عالم الروح الاسلامية ٠٠ الروح التى يسودها ويوجهها التفكير الدينى الصوفى ٠

يقول لنا الغزالى فى أول كتاب تهافت الفلاسفة « **نسأل الله أن يجعلنا ممن رأى الحق حقا فآثر اتباعه واقتفاه ورأى الباطل باطلا فاختار اجتنابه واجتواه ، وان ينيلنا بعد الورود على نعيم الفردوس والصدور من هول المحشر ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر** »

★★★

وقد قام بعد الغزالى ابن رشد يدافع عن الفلاسفة فى كتابه « تهافت التهافت » ولكن صوت الغزالى كان اقرب الى الضمير لانه صدر عن القلب وما يصدر عن القلب يصل الى القلب ٠٠ وهذا هو السبب فى خلود الغزالى وامتداد تأثيره الى الآن حتى أطلق عليه « حجة الاسلام » ٠

اراد الغزالى توجيه الناس الى القلب الذى يدرك الحقائق الالهية عن طريق الذوق والكشف بعد تصفية النفس بالعبادات والرياضات الصوفية ٠٠ ذلك أن النفس تبلغ سعادتها متى أحست فناءها فى الله ، اذ الاشياء كلها وحدة يؤلف بينها الحب والعبودية الكاملة لله تسمو على الخوف من العقاب او الرجاء فى الثواب وتتجاوزهما الى مقام تحب فيه النفس خالقها حبا روحانيا ٠

كان الدين مسيطرا على تفكير الغزالى، الشىء الذى دعاه الى انكار السببية لكى يدع سبيلا لتفسير المعجزات التى يعتمد عليها الدين، وقد رد ابن رشد على الغزالى حين انكر السببية ان من رفع الاسباب فقد رفع العقل ٠ فرفع هذه الاشياء هو مبطل للعلم ورافع له ٠

★★★

والغزالى يقول ان حقيقة الآله تتمثل ، لا فى العقل كما يقول الفلاسفة ، بل فى الارادة التى ينبع منها الاخلاق ٠

فلسفة الغزالى ـ اذن ـ صورة صادقة لحياته، فقد تعمق الغزالى ونفذ الى ماهية الدين وقال انه كشف باطنى وحقيقة روحية ، وقادنا الى ما وراء العقل وهو الحرس والكشف الذى يكشف لنا عالما من الأنوار والاشراقات ووضح لنا الطريق الى هذا العالم عن طريق الرياضات والمجاهدات النفسية، ومقياس اليقين هنا هو الأمان الذى هو الثقة ، ومقياس الثقة انكشاف المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا شبهة ٠ وهذا الحدس هو الذى خرج به الغزالى من شكه ٠

وهكذا أمكن الغزالى ان تنفذ تعاليمه الى قلوب المسلمين وذلك عندما عرف الطريق الى قلبه ٠

عرف الغزالى نفسه بنفسه وعندما عرف نفسه عرف ربه وعن طريق معرفته لنفسه ولربه وجد الطريق الى قلوب الناس جميعا ٠

في الذكرى العاشرة لوفاة شاعر الاسكندرية

خليل شيبوب

بقلم : نفوزي يوسف

١٨٩٢ - ١٩٥١

ولد خليل شيبوب باللاذقية في ٢٨ من يناير عام ١٨٩٢ .. وقضى بها الاعوام السبع عشرة الاولى من حياته ... بين أسرة قوامها ستة أفراد : والدين وأخوين وأختين ..

وكان أبوه يحب القراءة في كتب الادب .. ولا تسعفه عيناه فيكلف بها ولده الاكبر خليل مرة ، وولده الاصغر صديق مرة أخرى ، وحبب ذلك اليهما قراءة كتب الادب .. وتعلق خليل بشعر عنترة ، وراح يحفظه ويحاول تقليده .. كما كلف بعد ذلك بالمتنبي وقصائده ..

وكان الشقيقان قد التحقا « بمدرسة الفرير » باللاذقية .. وكان بها درس يومي للغة العربية وأدبها ، يقوم به (أخ) عربي لبناني ، مولع بالشعر ، ويشجع تلاميذه على نظمه ، كما كان يدرس الادب الفرنسي .. فأغرم خليل بشعر لامرتين وهوجو ، وخاصة بشعر دي موسيه ، وبكتابات روسو وشاتو بريان ..

والمدرسة تابعة لارسالية مسيحية ، وبهادروس في الموسيقى والترانيم الكنسية ، طبعت شعره فيما بعد بطابع موسيقي رقيق ..

وكان خليل شيبوب سريع الحفظ ، فاستظهر الكثير من الأبيات الشعرية ـ العربية والفرنسية ـ كما كان يجيد التمثيل في حفلات المدرسة آخر العام ..

وكرت الأعوام .. وأتم خليل تعليمه الابتدائي والثانوي بمدرسة الفرير هذه .. وتخرج فيها في شهر يوليه عام ١٩٠٨ ـ وقد نيف على السادسة عشرة ..

أما خارج المدرسة والبيت ، فكانت ثمت البيئة الطبيعية الفنية بجمالها . فالبحر أمامه رحيبا ، رائع الالوان .. والجبال والتلال .. والمراعي والمزارع .. وأحراش شجر الفاكهة .

وحمل خليل شيبوب هذه المؤثرات الاولى معه الى الاسكندرية .. وتصادفه فى البيئة الجديدة مؤثرات تتفاعل بها نفسه .

ويفقد الشاعر والديه الحبيبين فى بدء عهده بالاغتراب .. فيرثى والده بالقصيدة الباكية بعنوان « القبر » ومطلعها : (١)

على سفح ذاك التل من جانب الحمى
له جدث فى الارض قد طاول السما
مطل على البحر المحيط وقد حوى
أجل من البحر المحيط وأعظما

ويفقد أمه بعد أبيه بعشرين شهرا ، فينظم فى عام ١٩١٥ أغنيته الحزينة : «نظرة الى الماضى» .. وفيها يقول : (٢)

يا منزل الفتيان والفتيات
ضاعت عليك شبيبتى وحياتى
وبقيت فيك مخلد الحسرات ! ..
ودفنت فيك مودتى ووداى
وأطلت عنك تغيبى وبعادى
وجهلت بعدك مورد اللذات ! ..
فطمونى عنك طفلا
لاهيا فى غفلاتى
تاركا صحبا وأهلا
تاركا فيك حياتى

ويعاوده الحنين الى مسقط رأسه اللاذقية ـ فينشد مما ينشد :

يا جيرة « النهر الكبير » مدامعى
أنم تسيل كمائه الممنوع
جل نهلة منه تبرد لوعة
طاحت بقلب عنكم مدفوع

ويبدأ خليل شيبوب حياته الجديدة بالاسكندرية ، فتكون مسرح شبابه .. ويحبها الشاعر ، وينظم فيها وفى بحرها وشواطئها ومصايفها ومغانيها ، غرر القصائد ..

وكان وصوله اليها وفت أن نشر مطران ديوانه الجديد : « ديوان الخليل » .. فسرعان ما وجد فيه شيبوب قدوته ..

وبالاسكندرية اتصل خليل شيبوب بمطران .. وظل كذلك حتى وفاة مطران عام ١٩٤٩ ..

ونظم شيبوب قصة بعنوان « سليم وسلمى » على طريقة مطران فى قصصه المنظومة ، ويهديها لمطران قائلا :

الى نادرة العصر وعلم النظم والنثر
مجدد الصناعتين ونابغة القطرين
ويبادله مطران التحية ، فيكتب مقدمة لديوانه : « الفجر الأول » عام ١٩٢١ .

***

ويشير الى هذه الصلة الروحية بين الشاعرين ، والى هذا الاثر الذى تركه مطران فى شيبوب صديقهما المرحوم الدكتور اسماعيل أدهم فى بحث نشره عام ١٩٣٨ بمجلة «المقتطف» كما أنه بين الفرق بينهما فيقول فى مقاله المذكور :

« .. ونقطة الافتراق من جهة النسج أن عبارة شيبوب أكثر موسيقية من عبارة مطران . وهذا يرجع الى أن شيبوب ذو وجدان موسيقى أقوى من وجدان مطران الموسيقى » .

حتى يقول أخيرا :

« .. يمكن أن تقول ان خليل شيبوب امتداد مطران الطبيعى نحو تضمين العواطف فى الطبيعة بصورة أكثر انفراجا ورحابة من مطران . وهو فى هذا تقدمه للدكتور أحمد زكى أبو شادى الذى تنفرج عنده عاطفته بالاندماج فى الطبيعة حتى تذوب ذاتيتها فى الشمول الكونى .. »

---

(١) ديوان : « الفجر الاول » لخليل شيبوب ص ١٠ ـ ١٢ ط ١ ـ ١٩٢١

(٢) « الفجر » ص ٥٨ ـ ٦٣

تلك خلاصة أوجه الشبه والافتراق بين مطران وشيبوب . على أن اعجاب شيبوب بشعر مطران التجديدى المتأثر بالشعر الاوربى ، لم يبعده عن دراسة الشعر العربى قديمه وحديثه .. فقد كان مثلا معتزا بشعر المتنبى ، يتأثره فى قدرته على ايداع المعانى الدقيقة فى يسير من اللفظ الجزل ..

وقد جمع ما نظم فيما بين ١٩١٢ ونهاية ١٩٢٠ فى ديوانه الاول باسم : « الفجر الأول » ـ وكان فى الثلاثين من العمر .

وصدر بالمقدمة النثرية لخليل مطران ، وبقصيدة لشوقى يقول فيها انه ليس للشعر قديم وحديث .. ثم بمقدمة لصاحب الديوان يشرح فيها مذهبه فى الشعر .. وخلاصة هذا المذهب : (١)

* « انه يجب التعبير عن المعنى الصحيح باللفظ الفصيح .

* وكل معنى لا يجدد فى الذهن صورة نادرة ، أو فكرة سامية فهو سقيم .

* وكل لفظ يصور المعنى بوجه التقريب ، أو يكدر صفاء الصورة فى الذهن ، فهو عقيم ..

* ونحن اليوم ألح ما نكون حاجة الى ابتكار المعانى وتنسيقها وجلائها ، والتعبير عنها بلفظ يلائمها .

* واللفظ للمعانى ثياب لا بد من اتقان صنعها ، والتوفيق بين ألوانها وهيأتها لئلا تصير مدعاة للضحك والسخرية ..

* والشعور والخيال جناحان تطير بهما نفس الشاعر الى مراقى الفن الأبدية .. وترفرف بهما على الحياة تستشرفها استشراف الطائر وجه البسيطة .

* والفن شمس الحياة تنير مكامنها المظلمة ، وتدل على مخابئها البعيدة ، وتزيد فى جمال صورها البارزة ، فتستجليها العيون على قدر ما أعطيت من قوة الباصرة ..

* وقد امتزج الفن بالحياة، وامتزجت الحياة بالطبيعة . وكان الشعر روحا تتنفس عنه هذه الطبيعة ، فوجب النزول الى معالجتها واستفتاح مغالقها ، واستيعاب حكمها، واستيضاح زخارفها. وفى هذا ما فيه من الجهد والصبر .

* ولا كمال فى الشعر ، كما أنه لا كمال فى الفن ، والا ما كان هذا فنا وذلك شعرا .. »

ثم أشار الشاعر الى تأثر غيره من شعراء الشباب بالأدب السكسونى ومجاراته فى الترامى وراء العويص الشاذ من الخيال والمعانى . بينما كان الشرقيون ـ كما يقول ـ بطبائعهم وغرائزهم أقرب الى محاكاة المدنية اللاتينية ، فاستقاء المذهب الرومانسى من منبعه (اللاتينى) أوفى بالحاجة وأتم انطباعا على طبائعنا وحياتنا الشرقية ..

وكان هذا الرأى الاخير موضوعا للمناظرة يوما فى الصحف بين أدبائنا الذين يدرسون الأدب الانجليزى ، وبين الملمين منهم بالأدب الفرنسى .. (٢)

***

وفى ديوان « الفجر الاول » تجد لوحات فنية كثيرة من شعر الوصف والتصوير . كما فى قصائد : «البحر»

---

(١) مقدمة « الفجر الاول » لصاحب الديوان .

(٢) آراء العقاد وطه حسين فى هذا الموضوع .. وعمر دسوقى : « فى الادب الحديث » جـ ٢ ص ٢٢٧ ـ ٢٣٠

ز » على شـــواطىء الاســـكندرية » و « المتشاعر » ..

ومن شعر الغزل كما فى قصائده : « الثوب الازرق » و « العينان » و « عقد الكهرمان » ..

ومن الشعر القصصى كما فى « سليم وسلمى » و « موقعة أبى قير » ..

ومن التضمين للعواطف الذاتية كما فى : «الليل» و «شكوى» و «نجوى» ..

كما تجد عددا من القصائد الرائعة تدور حول الحب والمرأة ، وتصاريف الزمان، والتسليم للقـــدر ، والدعوة الى الاخاء والوئام بين البشر ، وبغض اللؤم والنفاق والغدر ..

وبعـــد صدور « الفجر الاول » عام ١٩٢١ ، ظل خليل شيبوب ينظم الشعر طوال النصف الثانى من حياته . وينشر قصائده هـذه فى الصحف والمجلات . مما يجتمع منه الجزء الثانى من ديوانه. وكان يفكر فى اخراجه باسم « أحـــلام النهار » أو باسم آخر ..

فكنت ترى له بـين الحين والحين ، خلال تلك الأعوام الثلاثين الأخـيرة من حياته ، قصيدة منشورة فى «البصير» ، أو «الاهرام» أو «الرسالة» أو «ابولو» أو « المهذب » و « الحديث » (بحلب) .. وغيرها ..

ومن شـــعره المنشـــور بالمقتطف : «غيوم الخريف» و «الزهرة السوداء» و «الغريبة» و « البنفسجية » (١) وبمجلة الرسالة : «أنت» و «العمر الضائـع» و « المشودة » و « العاطفة الحـــيرى » و « مهرجان الربيع » (٢) .

كما لقيت قصـيدة « الشراع » التى نشرها بمجلة « أبولو » الكثـــير من الاعجاب (٣) ..

ويكاد النقاد أن يتفقوا فى الرأى على أن شعر شيبوب له الخواص التالية : (٤)

١ ــ توســـطه المتزن بين القـــديم والحديث . وتوفيقه بـين مذاهب النقاد التى تفرقت بين متعصب للقديم لا يرى الخير فى غـــيره ، ومتشيع للجـــديد لا يعترف بسواه .

٢ ــ ابرازه الصور والاخيلة الحديثة فى اطار من الاساليب العربية الرصينة التى نهل منها شعراء العرب القـــدماء أمثال المتنبى ، وأبى تمام ، والبحترى ..

٣ ــ « مسايرته لنزعة التجديد التى جنح اليها الشعراء الفرنسيون فى هذا العصر ، واخضـــاعه الآراء والأخيلة العربية الحـــديثة لأساليب التفـــكير العربيـــة الخالصة فى عربيتها ، وفى شرقيتها اخضاعا لا يبـــدو فيه عسر الاكراه ولا عنف التسخير . فاستطاع أن يلبس الفكرة الغربية رداء عربيا ، فلا تجد فى الرداء عيبا ، ولا فى المرتدى غرابة ، كأن لك بها عهدا مألوفا .

٤ ــ « وبالمثل استطاع أن يصـــوغ الفكرة الشرقية العربية الخالصة فى شرقيتها وفى عربيتها صـــياغة تجعلها أقـــرب ما تكون الى مسارب التفـــكير الغربى الحديث ، دون أن يشعر القارىء العربى بعجمة نابية على ذوقه أو شـــاذة عن احساسه »

ويتفق آخرون على أن شيبوب : (٥)

٥ ــ « رومانسى مزاجا وطريقـة ..

---

(١) المقتطف مجلد ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧

(٢) مجلة الرسالة ١٩٣٩ ــ ١٩٤١

(٣) مجلة ابولو ــ حـ ١ مجلد ١ ص ٢٢٧

(٤) جريدة « الاهرام » ٥ فبراير ١٩٥٣ مقالة للاستاذ احمد الطاهر

(٥) من كلمة للاستاذ محمد خلف الله احمد عميد كلية الآداب بالاســـكندرية ــ جريدة البصير ١٩٦١/٢/١٨ .

ورومانسيته من ذلك النوع الذى تهزه الحياة من جوانبها الانسانية الحزينة . والذى يستمد من الآلام والأشجان كل عذب رقيق من الالحان » .

***

وأحب خليل شيبوب البلاد المصرية ـ وطنه الثانى ـ وخاصة الاسكندرية التى قضى بها معظم سنى حياته .. ونظم فى مصر الأبيات الرقيقة كما فى قوله :

أرض كأن حياضها وغياضها
ورياضها ثوب الخلود المعلم
النيل يجرى بالحياة مباركا
خيراته موفورة والأنعم
يحيى البلاد قريبها وبعيدها
فكأن مصر الجسم والنيل الدم

كما نظم فى الاسكندرية شعرا كثيرا .

وتراه فى مطلع شبابه يزور «أبوقير» من ضواحى الاسكندرية ، وكان الوقت شتاء ، فهجرها المصطافون ، فيشعر بالحنين الى لياليها الصائفة ، ثم يفيض خياله فينظم ملحمة يصور بها أحداث التاريخ فى ذلك المكان ، وما تترك فى النفس من عبر ..

فاذا عاد الى « أبو قير » بعد سنين راح ينظم قصيدة أخرى : « أبو قير فى ضوء القمر » وفيها ينشد :

عدنا أبو قير والأيام ما برحت
مدا وجزرا واحلالا واحراما
هذى وهاديك والآفاق ضاحكة
والبحر أهل ترحيبا واكراما

كما نظم فى سيدى بشر ، حيث كان يصطاف بها كل عام شعرا كثيرا ..

***

وما زال الادب ـ ولا سيما الشعر ـ ليس يوما سبيلا ممهدة للرزق .. ولهذا يلتحق شيبوب بوظيفة فى « بنك الاراضى » بالاسكندرية .. فدعاه العمل لدراسة القانون . وانتسب الى « مدرسة الحقوق الفرنسية » بالقاهرة ، ونال منها « ليسانس القانون » عام ١٩٢٦ .. كما درس « بمدرسة التجارة الليلية الفرنسية » وحاز اجازتها ..

ودعاه عمله هذا الى أن يبذل جهدا مضنيا ووقتا طويلا فى وضع « المعجم القانونى » الذى ألفه وطبعه فى نحو ستمائة صفحة . فظهر عام ١٩٣٧ فسد فراغا كبيرا فى هذا الفن . اذ ترى به اللفظة الفرنسية وما يقابلها فى العربية مع كثير من الشرح والايضاح ..

والى جانب نظم الشعر ، كانت له مجالات أدبية واسعة أخرى .

فكان كاتبا وصحفيا أيضا .. وكنت نفرأ له عام ١٩٢٠ بجريدة « البصير » السكندرية ، سلسلة من المقالات بعنوان: « بريد الثلاثاء » ظلت عدة أشهر ..

وفى عام ١٩٣٦ ـ اشترك خليل شيبوب مع الشاعر السكندرى عثمان حلمى فى ترجمة مختارات من الشعر الفارسى والهندى الى اللغة العربية نظما ، وصدرت تلك الترجمات المنظومة فى كتاب « قبس من الشرق » ..

وصدر لشيبوب فى سبتمبر ١٩٤٨ كتيب عن « عبد الرحمن الجبرتى » فى سلسلة اقرأ .

وفى سنيه الأخيرة أخذ ينشر الابحاث الادبية بجريدة « الاهرام » ..

***

أما محاضراته الأدبية والتاريخية ، بالعربية والفرنسية ، فى أنديه الاسكندرية ومحافلها الادبية ، فمتنوعة متعددة .. ومنها محاضرته الاخيرة بكليه الآداب عن « الكلاسيكية والرومانسية » .

او كما سماها أيضا : « الاتباعية والابتداعية » .. وكانت قد دعته الى القائها « أسرة الأدب العربى » بتلك الكلية ..

***

ولشخصيته الاجتماعية البارزة ، مشاركة فى الهيئات الاجتماعية والخيرية بالمدينة فتولى « سكرتارية » (الجمعية الخيرية الارثوذكسية) بالاسكندرية .. و « سكرتارية » (مجلس طائفة الروم الأرثوذكس الوطنيين) ..

وكان عضوا عاملا فى مجلس ادارة « الاتحاد العربى » كما كان عضوا عاملا فى عدد من الاندية الاجتماعية والأدبية بالمدينة .. وكثيرا ما كانت تستعين به جمعيتا «الاتلييه» و «الشبان المسيحية» بالاسكندرية .

وكان خليل شيبوب قد تزوج عام ١٩٣٢ ـ وهو فى الاربعين ـ ولم يترك ذرية ..

واجتمع عام ١٩٣١ فريق من أدباء الاسكندرية ـ ليؤلفوا هيئة أدبية وبدأت هذه الهيئة عملها منذ ذلك العام ـ ١٩٣١ ـ وسميت : « جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية » . واختير الشاعر خليل شيبوب رئيسا لها يوم تأسيسها .. ولما تخلى عن رئاستها بعد ثلاث سنوات ظل بها العضو العامل الى آخر حياته ..

وقد أنشأت الجماعة فصولا تلقى فيها الدروس .. وكانت فى نهاية العام تعقد امتحانا وتوزع الجوائز .. فكان خليل شيبوب وأخوه صديق شيبوب يدرسان بها الادبين العربى والفرنسى ..

وكان خليل شيبوب كثير الأصدقاء والخلان .. معروفا لدى الطبقات المثقفة وخاصة بالاسكندرية .. كما ذاع صيته فى بلاد الشرق العربى كشاعر وكاتب .

وفى فجر شبابه كان شيبوب ومطران وانطون الجميل (صاحب مجلة الزهور) يترددون على محل صغير لبيع السجاير ملاصق لفندق «سيسيل» بالاسكندرية . فقد كان صاحب هذا الدكان شاعرا يبشر شعره بمستقبل عظيم ذاع فيما بعد فى المهجر الامريكى ، وفى بلاد الشرق . هو الشاعر ايليا أبو ماضى ..

* * *

عرفت خليل شيبوب قبل أن أراه فى ديوانه « الفجر الأول » وكثيرا ما تعرفت كبار الناس من آثارهم .

وفى هذا الديوان قرأت لشيبوب الكثير الممتع من شعره ، الذى سبقت الاشارات اليه وهو ينزل الشعر المنزلة التى يدل عليها قوله :

نفضت يدى الا من الشعر انه
عزائى اذا ما الدهر جلت نوائبه
أحلى به الآمال ثم أعيدها
عرائس يجلوها الهوى وغرائبه
نفيك لقلب المستهام استراحة
اذا عثرت آماله ورغائبه

فلما أن انتقلت الى الاسكندرية ، سنحت هناك الفرص للقاء الشاعر والاتصال الوثيق به .

وفى اجتماع من تلك الاجتماعات السامرة كنا خمسة أو ستة ـ دعاهم الشاعر خليل شيبوب لتناول الشاى . وكانت الليلة صافية مكتملة ..

ثم قمنا لنتمشى فى رعاية القمر وربة الشعر .. نتحدث ونضحك .. وأنشدنا شيبوب شيئا من شعره فى صوت عميق :

يا حسن هذه الليلة القمراء
ممزوجة الظلام بالضياء !
مثل امتزاج اليأس بالرجاء

والبحر بالسكون والصفاء !

ثم تطلع الى البدر وأنشد :

لو كنت بدرا بقيت تما
حتى يسرى مرآى غما
عنه وأحنو عليه أما
ألبسه النور مسبطرا
لو كنت بدرا !

وسكتنا برهة وعم المكان صمت مهيب ، واذا بصوت الشاعر يشق حجاب السكون وكأنما كان صادرا من عالم الأرواح ، شبيها بحفيف الاجنحة: آذا اصفر وجه الشمس فى الغرب وانتحى ظلام على الدنيا يمد رواقه وأقبل بدر الأفق أربد كالحا أضاع على الدنيا الخسوف ائتلافه وهبت حزينات النجوم جوازعا ثكالى على بدر رأين محاقه أصيحتى الى صوت من القبر خافت أطال البلى تحت التراب اختناقه وقد حال هذا القبر دون حبيبه وأبعد عنه أهله ورفاقه أطل كهذا النجم حيران شاكلا وفى القبر بدر قد رأيت محاقه !

من كان يستطيع أن يستشف الغيب المحجب ، فيعلم أنه لن تنقضى خمسة أشهر على تلك السهرة حتى يفارقنا خليل شيبوب .. وتمسى حياته صفحة من الذكريات ؟!

مرت بخاطرى ذكرى تلك الليلة ، أو ذلك الحفل التوديعى ، بينما كنت أسير مع الموكب الصامت الحزين فى أمسية ٦ فبراير عام ١٩٥١ فيما بين منزله بالابراهيمية وبين مثواه الأخير بالشاطبى ! ..

كانت سفينة حياته تسير به خلال أعوامها الستين فى بحر هادىء ، قليل العواصف .. ولهذا خرج شعره شبيها بنسمات البحر فى الليالى الصافية .. ولهذا أيضا لم يلجأ المصورون لمثل هذه الحياة الى غير الألوان الهادئة والأضواء الصافية !

« الى أمى .. »

« من شعر الصبا »

أين ألقاك يا رضاى وأمنى ؟
أبعيد يا أم مثواك عنى ؟
أقبلى عانقى بنيك ردى
لليالية هدأة المطمئن
ضل فى نأيك الطويل يتيما
لم يمتع بعطفك المتمنى
أقبلى عانقى بنيك .. ضميه
الى صدرك الحنون .. ليهنى
كفكفى دمعى الهتون فانى
لا أرى غير ضاحك من بكائى
وسلينى ماذا أريد فانى
لا أرى ساخرا من رجائى
هدهدينى ودللينى فانى
لم أزل طفلك العزيز عليك
أسمعينى صوت الأمومة انى
فى سكون الظلام مصغ اليك
أبعدى عنى المخاوف واشفى
جرح قلبى بلمسة من يديك
اغمضى جفنى الكسير برفق
ولأنم ساعة على راحتيك

ناهيد أبو زهره

نداء الى الأدباء

من وحى تجارب مورافيا الفنية

هل نستطيع اذا اردنا ان نكشف عن حياة أى أديب من أدبائنا وندرسها أن نجد الصراحة لديه لنتمكن من دراسته . وهل يمكن ان يقول لنا كيف كتب ويكتب ومدى تأثره بهذا الاديب او بغيره والظروف التى أحاطت به وكيف تغلبت عليه او تغلب عليها ؟

الجواب بالنفى فغالبا ما تدور دراستنا لادبائنا ومفكرينا على الاستنتاج والاستنباط أكثر مما تدور على الحقائق المستقاة من حياة هؤلاء الادباء أنفسهم ولذلك تخرج دراستنا عنهم شوهاء مضطربة متناقضة

ولو تعمد أحد الباحثين أن يدرس مفكرا فى حياته وانفرد به فانه لن يظفر الا بتلك الرموز والطلاسم التى لا تغنى عن الحقيقة شيئا . ولن تكون صراحته الا فى مواقفه البطولية التى يريد للناس أن يتغنوا بها . والنتيجة هى أن نضيع الحقيقة المنشودة وراء هذا الخضم من المناقشات .

والأسباب كثيرة قد يكون منها أنهم يريدون أن يحتفظوا بتجاربهم لانفسهم لئلا ينتفع بها غيرهم فيسلك مسلكهم، أو أنهم يريدون أن يكونوا الغازا ليربطوا الناس بهم ويحملوهم على التفكير فيهم دائما . مع أنهم يجب أن يكونوا أول المعتقدين بأن الاديب بآثاره الادبية وتجاربه ملك لجيله الذى يعيش فيه والاجيال الآتية من بعده .

أقول ذلك وبين يدى ذلك التحقيق الصحفى الذى أجرته الاديبة الناقدة (انا ماديادى) مع أديب ايطاليا الكبير (البرتومورافيا) والذى ترجمته مجلة الادب الغراء فى عدد فبراير . والواقع أن ذلك الحديث ألقى الضوء على كثير مما يحيط بذلك الاديب سواء كان ذلك فيما يتعلق بفنه أو منهجه ورسم لنا صورة صادقة لما يجب أن يكون عليه الفنان من صراحة تقربه من الاعتراف . ولن يجد دارس مورافيا — أو من فى صراحة مورافيا — صعوبة فى جمع معلومات تتعلق به أو بفنه تهيىء له سبل الدراسة الواضحة ولن يرى نفسه فى حاجة الى فرض الفروض التى قد تكون صحيحة أو غير صحيحة ما دام المرجع الاصلى أمامه مجردا عاريا ، ألا وهو شخصية الاديب وصراحته المعهودة .

ولعل هذه الصراحة هى التى توحد صورة الاديب فى ذهن الناس ولا تجعلها شوهاء بتعدد صورها اذا ما خرجت من يد دارسين اعتمدوا فى جمع معلوماتهم على الفروض والاستنتاج منها ، بل لعلها تكون نموذجا حيا واضحا للسالكين لينتفعوا بها فى حياتهم الفكرية والعملية فيتجنبوا العثرات التى توقف بعضهم فى منتصف الطريق وقد تكون فيهم مواهب قل أن توجد ولا يخنقها سوى تلك العقبات : أريد أن اقول اخيرا هل يمكن أن يكون بين أدبائنا ومفكرينا من هم فى صراحة مورافيا فيوفر على باحثينا الجهد الذى يبذلونه ..

انى باحثة ولعلى واجدة وارجو الا أكون متجنية .

دكرنس

نجية عبده سعد

حول محاولة لا بداء رأى فى القصة القصيرة

نشرت الأدب فى عدد قريب مقالا بعنوان « محاولة لابداء راى فى القصة القصيرة » . وقد هزنى موضوع هذا المقال هزا عنيفا . ذلك أن الموضوع الذى لمسه المقال يتصل صلة مباشرة بالازمة التى نعانيها حديثا فى كتاباتنا من الناشئين الصغار وحتى من المتمرسين الكبار .

عرف أرسطو القصة القصيرة بأنها عمل فنى له بداية ووسط ونهاية . فى البداية نرمى الخيوط الاولى للقصة وفى الوسط تنضج الشخصية وتتضح سماتها وصفاتها وفى النهاية أو لحظة التنوير تنتهى القصة نهاية طبيعية حتميه بالنسبه لصفات الشخصيه . ثم استطرد أرسطو فقال :

ان القصة الطويلة عبارة عن نهر متدفق وهذا النهر ـ طبيعيا ـ نجد به كثيرا من الدوامات وعلى الشخصية أن تفسر هذه الدوامات ثم تنتهى كما ينتهى النهر تماما الى المصب فتنتهى نهاية طبيعية بالقياس الى الشخصية نفسها وصفاتها . فالقصة القصيرة تصور حدثا معينا . ونسأل ما هو الحدث ؟؟ ليس الحدث مجرد خبر أو مفاجاة فى القصة القصيرة ، انما الحدث فى القصة هو الشخصية نفسها متصله مع سماتها وصفاتها فلا يعقل أن تصور شخصية شابة مثلا ثم نجدها تاخذ أمرا ما بدون أن تشك فيه وبدون أن تتردد أمامه حتى تنتهى نهاية طبيعية .

تلك هى محاولة موجزة ومبسطة بالنسبة لفن القصة القصيرة نفسه . وقد أورد الكاتب أمثلة من قصص بيراندللو ، وجى دى موباسان ، وأحمد نوح ، ويوسف الشارونى ، وأنا بدورى أضم صوتى الى كاتب المقال راجيا أن يطلع القارىء على قصص هؤلاء وخاصة القصص التى أشار اليها الكاتب فى مقاله .

لمحة أخرى لمح بها الكاتب وهى الواقعية . والواقعية فى أدبنا مسكينة . فهى مظلومة ! ومظلومة جدا !

هناك واقعية وصفية وهذه واقعية سمرست موم .. وهذه الواقعية تصف ما أمامها دون أن تحمل فى طياتها فلسفة معينة أو فكرة ترمى الى ابرازها لكى تحقق اصلاحا أو ثورة .. الخ انما هى تعنى بالوصف والوصف الخارجى فقط دون التوغل الداخلى .

والواقعية الاخرى هى الواقعية الاجتماعية النفسيه وتلك هى واقعية دستوفسكى ، وجوركى ، وليو تولستوى ، وتشيكوف !.. الخ من العمالقة الروسيين .. وهذه الواقعية لا تعنى بالظاهر قدر ما تعنى بداخل النفس الانسانية وما يدور بخلد الشخصية ولذا نجد شخصياتهم مختلفه ومتنوعه وهناك

فلاح وهناك ثائر وهناك اقطاع طاغ ثم نجد بعد ذلك فكرة وفلسفة يرمى الكاتب بها الى الاصلاح أو الثورة فهى تحمل فكرة معينة تريد ابرازها . ليس فقط على الورق ، بل فى نفس المجتمع الذى تكتب عنه . فأين واقعنا من ذلك ؟

الواقعية عندنا للأسف عائمة وتائهة فلا هى فى الشرق ولا هى فى الغرب ، وانما هى طائرة فى الهواء . عائمة كالقشور لا نفع لها . هل من أديب منا خلق عملا فنيا عن الحياة فى الصعيد الاقصى ؟.. لا . هل من أديب خلق عملا فنيا عن مأساة القطن والدودة التى يضطرم بها مجتمعنا الاقتصادى والسياسى والاجتماعى ؟ ؟

لا .. وعشرات الامثلة والمجالات يتجاهلها السادة أدباؤنا ومع ذلك نصر على أننا واقعيون !..

وانني أتمنى اليوم الذى أرى فيه أدبا متكاملا نفخر به أمام الملأ .. وأتمنى أن أوفق فى ترجمة بعض القصص التى اعتبرناها مثالا حيا للقصة القصيرة فى هذا المقال، وأن يتاح لها ولهذا المقال النشر على صفحات « الادب » الغراء

عبد القادر زايد

أقسمت بالوطن المفدى

أقسمت بالوطن المفدى أن أعود
وأحرر الوطن السليب من اليهود
وأذود عن وطنى المفدى بالحديد
وبكل قول أو مقال أو نشيد
وأحطم الجبل المعلى والسدود
وبكل ما حوت الأراضى من جنود
وأكسر الليل الرهيب ولن أحيد
الا اذا منع العدو من الحدود
وبكل ما حوت العروبة من جنود
ولكل كهل أو شباب أو وليد

* * *

وبكل ثكلى أو يتيم أو شهيد
أقسمت بالوطن المفدى أن أعود
أقسمت بالعرب الكرام وبالجدود
وبكل من حمل السلاح على الحدود

***

وبكل مسلم أو مسيحى فى الوجود
أقسمت أن أطأ العدو ولن أحيد
سأظل أقتل من يهود .. ومن يهود
وأظل أنشد فى السهول وبالنجود
سأعيد مجدا ياعروبة لن يبيد
وأحرر الوطن السليب من اليهود
أقسمت بالوطن المفدى أن أعود

عبد الرحمن رضا كحيلة

كتاب

منهج تجديد

فى النحو ، والبلاغة ، والتفسير ، والأدب

تأليف : أمين الخولى

تطبعه الآن دار المعرفة : القاهرة — ١٥ شارع صبرى أبو علم

لعله ليس هناك أدل على تعريف عمل القصة عند ابراهيم المصرى أكثر من العنوان الذى حملته مجموعته الجديدة ٠٠ صراع الروح والجسد ٠ فى هذه القصص وفى غير هذه القصص من مجموعات أخر للاستاذ ابراهيم المصرى نجد هذه الظاهرة واضحة كل الوضوح لم تختلف فى أمسه عنها فى يومه ٠ ورغم احترازنا من التعميم فلا نجد مناصا هنا من أن نفعل ٠ فالصراع هو الذى يقيم القصة عنده ٠ صراع الروح والجسد هو نفسه صراع التحرر والعبودية ٠٠ صراع السفور والحجاب ٠٠ صراع الصناعة والزراعة ٠٠ صراع الاستقلال والاحتلال ٠

فالكاتب الذى كان يدعو ـ وبلاده لم تستشرف الفجر الجديد بعد ـ الى العلم والكف عن عبادة أوثان الجهل ، والى تحطيم القضبان وفك الاغلال عن المرأة المصرية المسكينة لتأخذ نصيبها المشروع من الحياة الحرة التى لا تساويها بالحيوان ، والاديب الذى هتف مع الهاتفين بأن مصر لن تكون أبدا كما تريد مصانع لنكشاير مزرعة تنتج لها القطن ولا تقوم على أرضها المصانع ٠ هذا الرجل الذى يجد الصراع فى كل هذه النواحى يجده أيضا فى الادب ٠ وعندما يمسك القلم فلا بد من وجود الصراع كأساس متين تعلو عليه القصة ٠ أبدا لم يؤمن بطريقة أخرى يقوم عليها البناء القصصى ، فاذا كانت الحياة صراعا فهى كذلك فى القصة ٠ أليس الأدب من الحياة ؟ ولا ننسى أن الاستاذ ابراهيم المصرى من أوائل الذين انحازوا الى جانب الفن للحياة وحملوا على الفن للفن من قديم ٠

يقول المصرى فى الكلمة التى قدم بها مجموعته : « قيمة الانسان فى الصراع الذى ينشب بين جسده وروحه » ٠ ونحن نقول وقيمة القصة عنده فى الصراع الذى ينشب ٠

من أهم العناصر التى يجب أن تتوافر خصائصها فى نفس الاديب كى يبدع أدبا حيا جديرا بالبقاء ما أسميه وعى البيئة والعصر ٠٠ والقصصى الذى يعنى برسم العواطف والأخلاق يجب أن يصور ويحلل مختلف التفاعلات التى تحدثها أنظمة البيئة وتقاليدها وتيارات العصر واتجاهاته فى نمو تلك العواطف والاخلاق وتطوراتها ٠

هذا ما يقوله ابراهيم المصرى فى أحد كتبه « وحى العصر ـ ص ٩ » فلنر الى أى درجة حقق المنهج الذى آمن به ٠

سواء فى النظرة السريعة أو المتأنية نجد أديبنا قد حقق منهجه جملة وتفصيلا ـ كما يقولون ـ ولعله لا يتميز بشىء أكثر من اهتمامه الفائق بوعى البيئة والعصر ٠ فواقعه ليس فوتوغرافيا منفصلا ولكنه تحليلى متصل أشد اتصال وأقواه بأنظمة البيئة وتيارات العصر ٠

واحدة كأحلام فى « سجينة الحلم » فهذه مثل للفتاة المصرية التى كان ينادى بها المؤلف من بطن الغيب منذ أكثر من ربع قرن . فتاة تتحرر من سيطرة

أب جاهل لا يعرف كيف يعامل ابنته كانسان ، طليقة تحقق ارادتها المشروعة النابعة من شخصيتها هي الواعية تستطيع أن تقول « هو وحده الرجل الخليق بامتلاك روحي وجسدي ، وانى لو حرمت منه واضطررت الى التزوج بسواه فسأقضي العمر كله امرأة ناقصة مبتورة شوهاء غريبة عن نفسها ، تصطنع شخصية غير شخصيتها ، وتمثل وتنافق وتمالىء ، ولا يعرف قلبها سبيلا الى الراحة أبدا » .

مما يضعف القصة أن يحاول المؤلف أن يضع في الشخصية الثانية التي تواجه الاولى كل ما من شانه أن يسقطها في عين القارىء ويضعف موقفها أمامه. فنحن نرى في « سجينة الحلم » مثلا أن علية زوجة عادل الذي كانت تحبه اجلال زميلة الطفولة وراوية القصة يحاول القصاص أن يلطخها الى آخر ما يصل جهده وخياله ، فيصفها حتى قبل أن تتطور شخصيتها ويقدم الدليل ، بانها تتجنى على زوجها وتتدلل عليه ، وانها ماكرة خبيثة صاحبة دهاء ذات خلاعة جريئة وتهافت شائن مزر على كل ترى من الرجال ، بل يصل الامر الى أن تخونه مع ثرى كهل — وما أكثر الأثرياء الكهول في قصص المصري ! لماذا يفعل هذا ؟ حتى يزيد صلابة موقف اجلال التي كانت قد تزوجت عندما طار عادل من ينها كهذا ثريا فتح لها دنيا الترف وحتى يضطر القارىء الى أن يجد بطريق غير مباشر عذرا لما حاولت اجلال أن تصنعه من اغواء الشبان ، وذلك كله حتى تكيد أولا عليه — التي لم تكن تستشعر نفس الاحساس — ولتقنع نفسها ثانيا بالسعادة وانها اهنا من زوج عادل حالا . وكان علية اذا لم تكن بهذا الوضع فالقصة ضعيفة وشخصياتها غير مدروسة . وهذا عكس ما حدث . فقد كان يكفي المؤلف جدا أن يدع علية في حالها ولا يجيئنا بسيرتها ولا يحاول أن يلطخها بلاداع ، لانها لن تجعلنا نتعاطف مع اجلال أو نزيد في شفقتنا عليها اذا كانت تستحق الشفقة فتجاهل علية كان ينفع القصة أكثر مما يضرها ، بدلا من تشتيت ذهن القارىء .. ان الامر كان يبدو أكثر عمقا وأكثر واقعية أيضا لو لم تستحضر علية كعامل مساعد أو عنصر أصيل في القصة . لأننا بذلك كنا نترك اجلال تواجه موقفها مع حبها المحروم في صراحة وجلاء بدلا من أن تستند وتتعلل بسلوك زوجة الحبيب البعيد الذي ترنو اليه .. الصراع في الحقيقة لم يكن — كما يجب أن يكون — بين المرأتين . وانما كان بين اجلال ونفسها . في داخل هذه المرأة التي عرفت الرجل الذي تحبه زميلا في الطفولة وصديقا في الشباب ، فأحبته حبا عنيفا وتمثلته كفارس احلامها المعبود ، رغم أنه كان من جانب واحد ، لأن عادل لم يشعر بهذا الهوى أبدا، ولم ينظر الى اجلال الا كما ينظر الى «المحرمات» في عائلته اللاتي لا ينتمين في عمق احساسه الى جنس . وعنصر الغيرة غيرة عليه على اجلال كان دخيلا على القصة ، فعلية لا ينقصها شيء فعادل الذي تحبه والذي تزوجته عن عشق شاب ووسيم ويشغل مكانا مرموقا ويوفر لها كل شيء ..

لقد انتهت القصة بان تهاوت مكانة عادل في نظر اجلال بعد الموقف العاصف الذي طلب فيه منها — وكانت قد ذهبت اليه تتسول حبه — أن تتظاهر بهواه حتى تغار زوجته وتترك عشيقها الغني

وتعود اليه ! لقد كانت تحلم به قـــويا عملاقا ولكنها رأته قزما ضعيفا · وحتى هذه النظرة لا تستطيع أن توافق المؤلف أو بطلة القصة عليها ، لان كل منـــاله ساعة ضعفه ، وحتى لو كان غير هذا ، فأين ذهب حب اجلال العنيف والحب دائما يسامح وينسى الاساءة !

والغيرة خيط يضم أكثر من قصـــة فى مجموعة ابراهيم المصرى · وهى اذا كانت احدى عناصر القصة الاولى ، فهى هنا فى « النار والافعى » عنصرها الاول والاصيل الذى نفهم لمـــاذا هو كائن · ويرمز المؤلف بالنار الى الغيرة وبالافعى الى الحسد ، وهما العاطفتان اللتـــان اجتاحتا بطل القصة · و «النار والافعى» احدى قصص المجموعة الناضجة رغم أنه يعيبها ما يعيب معظم قصص كاتبنا من كثرة الاحداث التى لا بد أن تنوء بها أية قصة قصيرة ·

تبدأ القصة « بمنظـــر » كامل عن البطل فى طفولته وصباه ، وهو يستغل كونه الولد الوحيد فى العائلة الذى جاء بعد سبع سنوات لم تعقب الام فيهـــا الا بنتا ، فيسرف فى استغلال والـــده وخاصة أمه ، ويتعلم كيف ينافق ويخدع أباه · وعندما يظهر سوء طويته ويغضب الوالد يحتمى بالطرف الآخـــر · و « منظر » ثان عندما يتقدم فى سنواته ويدخل فى أدوار المراهقة ، فنراه نفس الانسان المدلل الذى لا يعمل ويقـــابل زملائه المجدين العاملين بكبرياء زائفـــة يحاول بها أن يرد عليهم نظرات احتقارهم له ، يألف التهويم وأحـــلام اليقظـــة ويستمرىء الكسل حتى يرســـب فى امتحان شهادة البكالوريا المتوسطة عامين متتاليين · و « منظر » ثالث يظهر فيه رشاد ابن عمه وزميله فى المدرسة الذى ينجح ويلتحق بوظيفة محترمة ،ويحالفه النجاح فى الاستئثار بقلب ســـميحة والزواج بها ، وهى الفاتنـــة التى كان يحلم بها حبنـــا المدلل الكســـول · ويستطيع المرء أن يتصور كيف كان اسم رشاد السوط الذى كان ينهال عليه من داخل نفسه وخارجها ، فالمقارنة بينـــه وبين ابن عمه لا تخفت حدتها أبدا ، حتى الام لم تستطع أن تلتـــمس له عذرا فهاجمته وعيرته برشاد ونجاح رشاد ، ويجتمع هذا الى غرامه الفاشـــل وثورة نفسه فينجح آخـــر الامر ويتخرج · و « منظر » آخر ·· لا يجد عملا ويجتح ثانية الى التكاسل يغرق نفسه فيه فتمتد يد لانقاذه ويكون ابن عمه الذى وجد له وظيفة فى نفس الشركة التى يعمل بهـــا وفى نفس المكتب ويتقبلها بلا كلمـــة شكر ولا عرفان بالجميل ، بل العـــكس « تاه عقلى » · انسحقت تماما » حطمنى الذل والكمد · وبنفس الاحســـاس التكاسلى يعمل صاحبنـــا فى الشركة · رغم أنه كان أمامه فى نفس الغرفة موظف مجد يعمل فى دأب واصرار وحب ونجاح وهو ابن عمه الذى لا يشـــك أحد فى المستقبل الباهر الذى ينتظره ·ويتصور بطلنا المدلل يوما قريبا يصل فيه رشاد الى ما ترشحه له كفايته فيتبـــوأ مكانا مرموقا فى الشركة ، فلا يســـتطيع أن يسكت على اهماله هو صـــونا لصالح العمل فيطرده ويتشرد فيجن جنونه · وينبغى لنا أن نعترف أن المـــؤلف بلغ الذروة فى هذا « المنظر » لانه تعمـــق تفكير الكسول وعرف كيف تصله طبيعته الى نهايات الامور · هذه الطبيعـــة التى ترفض لصاحبها أن يكد ويجد فى ميدان عمله حتى يتقنه . ولكنها لا ترفض له أن

يبذل نفس الكد والجد فى حبـــــك الدسائس والتفنن فى الحاق الاذى بغيره فنجده يفعل المستحيل لكى يفسد الامر على رشاد فى عمله افســـادا كاملا ، فيسرق ملفاته ويزور حســاباته حتى كادت الشركة أن تشك فى ابن العـم . لكن رشاد يزداد حرصا وقوة وصـلابة حتى يصلح تماما ما أفسد ، النتيجـة التى بهرت الشركة فتعينـــه رئيسا على المـــكتب .

و « منظر » غـــيره ، فصاحبنـــا لا يسكت فاذا كان قد خسر جولة فهناك جولات أخرى يبتكرها حقده ، واذا كان قد فشل فى الحاق الاذى بصاحبـــه فى العمل ، فهناك فى المنزل مجال متسع لمن يريد أن يثأر ، فهو يطمع اذن أن يفسد الامـــر على الزوجة حبيبته القديمة التى تجاهلته يومـا وأنكرت غزله . ويدخل صـــاحبنا البيت ويدرك ان ابن العم لا يلتفت الى زوجه رغم حبه اياها وحبهـا اياه . فالعمل لمستقبله ولسميحة يمتص وقته ولايترك للزوجة ما يكفيها لتستمتع بهذا الغرام الذى يجمع بينهما . فيتسلل صاحبنا من هذا الباب الذى يفسـد على الزوجات والازواج فى أكثر الاحايين أحوالهم فيتحول الحب الى كراهية والوئام الى خصام وتدب الفرقة ويتفرق الشمل، ويلعب غرامه القديم دوره جيدا وينتهى الامر الى طلاق سميحة من رشاد ! وفى تلك اللحظة التى أعلنته بالنبأ وكان قد وعدها بالزواج يدرك جيدا انه لم يحبها أبدا وان خيل اليه ذلـــك ، وانه من المستحيل أن يقترن بها .. ثم « منظر » رشاد وهو يحاول أن يستمسك ويعوض فشله فى البيت بنجاح فى العمـل حتى تتابع ترقيـــاته الى أن يرشح لعضوية مجلس الادارة . يحـــدث هذا بينمـــا بطلنا لا زال قابعـــا فى القـــاع يجتر حقـــده وحيبته التى أوصلته الى انه أصبح مطـــاردا من أنثى تطالبـــه بوعده والاسراع فى الزواج . ويلوم بينه وبين نفسه ابن عمه الموظف الكبير الذى لا يلتفت اليه ولا يفكـــر فى أن يلفت نظر الشركة لترقيته ! ويفاجىء صاحبنا رشاد يوما وهو يمسك بصورة مطلقته فى وله، انه لايزال يحبها . وبادراكه هذه الحقيقة يعرف كيف يثأر لنفسه حقا .. سيتزوج سميحة .. ويحدث ما توقع فقد أثرت الصدمة على رشاد وهو يعلم بدور ابن عمه وهو صاحب الفضل عليه فى سرقة زوجته وتحطيم حياته فتنهار اعصابه ويخر صريعا .

وقصة « النار والافعى » لم تنتـــه مناظر بعد !! فهنالك المنظر الاخير وبطلنا مشدوه وهو يدرك كم كان انتصـــاره رهيبا وانتقامه بشعا مخيفا عندما يعلن الاطباء أن رشادا قد تهدمت أعصـــابه تماما وأن لا مفر له من أن ينقطـــع عن العمل ويستريح ثلاثة أو أربعة أعوام، وبعد ذلك يخشى عليه أيضا من الاجهاد فى العمل . لقد أماته ميتـــة مروعة لا يطلبها لأعدى الغرباء فما باله ورشاد ابن عمه الذى لم يفكر فى أن يسىء اليه مرة ، بل له الفضل عليه فى انتشاله من البطالة . لقد كان كل ما يريده أن يعطل نجاحه ويوقف انتصـــاراته لا أن يقضى عليه القضاء الحـــاسم كما فعل . ويرجع الى نفسه ويعـــول على أن يقوم بنفســـه فى اخلاص بخدمة الرجل الذى حطمه ، وأدت طبيعته الجديدة الى نجاحه فى عمله أيضا حتى وصل الى القمة التى سبقه رشاد فى الوصول اليها يوما وحل محله ..

وهكذا انتهت القصة « القصـــيرة »

أنت ترى اذن من هذه « المناظر (جميعا كيف أن كل واحد منها كان يكفى تماما لعمل قصة قصيرة قائمة بذاتها ! ولكنها اجتمعت كلها عند ابراهيم المصرى لتخرج لنا « النار والافعى » !

* * *

ولعل أقوى قصص المجموعة قصة « حظ امرأة » فقد اتقن المؤلف الحبكة وأبدع التصوير والتحليل والتعبير عما يجيش فى نفس المرأة الأرملة والمطلقة من أحاسيس وعواطف . واذا كان للمطلقات دائما وضع خاص فى أكثر المجتمعات متمدينة وجاهلة اذ تنظر اليهن نظرة منفرة لا تخلو من الريب والشكوك ، فما بالك والمجتمع المصرى يتهم المرأة قبل أن تكون مطلقة أو أرملة ؟ ! ان نجوى بطلة القصة نموذج لنوع معين من النساء المصريات الأقرب الى أن يكن شهيدات . يقدمن التضحيات سعيدات غير متبرمات . يتجاهلن قسوة الحياة ودناءة المجتمع ومطالب الجسد المشروعة وحقهن فى الهناء الزوجى فى سبيل اكبادهن التى تمشى على الارض . فهن يناضلن بكل اصرار وشجاعة وشرف حتى لا يسقطن أبدا فى الوحل ويخلصن من اللعنة لانهن أرامل أو مطلقات .

ولست أدرى لم يخيل الى أن ابراهيم المصرى سعيد بنجوى ، هل لانه يرى فيها صورة من صور الفتاة المصرية الحرة الشجاعة الشريفة العاملة كما تصورها بعد ثورة ١٩١٩ وقبل أن تكون شبيتا مذكورا فى الحياة المصرية ؟

وقصة كان يرجى لها أن تكون خيرا مما جاءت عليه ، ولانها تتناول موضوعا حيويا لا يقدح فى أهميته انسان ، وهو عقم المرأة وتهافتها على ابن يخرج من أحشائها ، والتوسل الى ذلك بكل مشروع وغير مشروع ، حتى لو جاء عن طريق خيانة الزوج الذى تحبه والاتصال برجل غيره مضمون النتيجة . وان قصاصنا على معالجته لقادر ، لولا هذه المصادفة التى أسرع بوضعها فى « السكة » فأفسدت كل شىء وحولت القصة الفنية الى شىء ليس من الفن ، لأن المصادفات المصنوعة لم تكن يوما فنا رفيعا ، مهما يجىء بها المؤلف لتفرح القراء ولتعلن براعته ! ونذكر التعبير النقدى « الحصان وليس راكب الحصان » . ونرجو ألا يأخذنا الاستاذ المصرى فى « النوكة » وخاصة أيضا وأن « حدث ذات رمضان » هى آخر قصص المجموعة . فلنتمهل قليلا ونتناقش . لقد وصل بنا الكاتب الى أن تهيأت مندورة للسقوط تماما عقليا ونفسيا وجسديا ، فهى تجرى فى أثر حبيبها احسان بك بين الحجرات لاهثة هائجة تريد أن تهبه جسدها ، وفى هذه اللحظة بالذات التى يكاد ينتهى فيها كل شىء يتحرك الجنين ـ الذى كانت تجهل وجوده ولم تتأكد منه ـ حركة يسيره جدا تكفى لكى تجمد الزوجة عما انتوته وترجع تقية نقية شريفة تبغض احسان الحبيب ولا تعبأ به ولا تأبه له ، هكذا مرة واحدة وكأنها مسحت ماضيها القريب مسحا . وكأن الانسان يستطيع فى غمضة عين أن يقول لاحاسيسه وعواطفه التى عاش عليها زمنا كونى فتكون ..

ان الموقف المصطنع لم تنفع فيه براعة كاتبنا القدير لكى تنفث فيه حياة يستطيع أن يعيش بها .

والمطبعة لا ترحم والآلات تدور والقصة يجب أن تظهر والكاتب لم ينته منها بعد ، ولكن لا بد مما ليس منه بد ، فسلطان الصحافة هو الآمر الناهى ، فاذا لم يتفضل الوحى بالحضور فليصطنع اصطناعا وتظهر

القصة فى موعدها وتملأ مكانها المحدود! وأكثر القصص التى تنشر مجموعاتها فى كتاب قد رأت النور لاول مرة على صفحات الجرائد والمجلات . فمن هذه القصص المسلوقة سلق بيض فى مجموعة ابراهيم المصرى قصة « الشيطان » ، فأغلب الظن أن مؤلفنا الفاضل قد استعجلته المطبعة فسود صفحات دون فيها بعض آرائه والسلام . أو أنه أراد أن يكتب مقالا فتحول بقدرة قادر الى شىء له شكل القصة القصيرة ولكنه ليس منها على أية حال !

* * *

ومن شخصيات المصرى ما يتحول من النقيض الى النقيض فجأة .. الواحد منهم أقرب الى أن يكون ضعيف الارادة يصدق عليه المثل الشعبى الذى يقول « كلمة تشيله وكلمة تحطه » فأى حدث لا بد وأن يغير رأيه وطريقه تبعا لذلك ، فهو لا يؤمن بمبدأ واحد ولا يستشعر هذا المبدأ أبدا . ليست له فلسفة ثابتة فى الحياة ، وليس بصاحب مثل ـ مهما يكن لونها ـ يعمل لها ولا يفكر الا بوحيها . ويخيل الى أننا لو كشفنا عن سرائرهم وغصنا الى أعماقهم فلن نصل الى حقيقتهم الا كما اعترف بها واحد منهم وهو بطل قصة « الغروب » !

« لم أستطع أن أتغلب على مزاجى العصبى العاطفى الذى كان يدفعنى الى الثورة تارة ، والى التسامح الفجائى أخرى » .. نعم المزاج العصبى العاطفى سبب مأساتهم جميعا !

ومن شخصيات الكاتب المدروسة والتى تستوقف النظر . محمود فى «قلب رجل» فهو الحلم الذى يتطلع اليه كل من يهفو بروحه الى سماء التضحية المبرأة من الآفات المنزهة عن الاغراض .

وقاسم فى « الغروب » وهى قصة الشيخ الذى يحب فى خريف العمر . فينسى نفسه ويضيع بذلك ماضيه . وحاضره ومستقبله جميعا .

* * *

ان القصة هى المجال الاول فى ميدان الادب للتحليل النفسى ، واذا كان هناك من القصصين المصريين من تجد فى آثاره تأثير اكتشافات سيجموند فرويد كأوضح ما تكون ، فلن يكون الا ابراهيم المصرى .

فأثر علم النفس فى أسلوبه من الجلاء بمكان ، حتى ان البعض من ألفاظه لم يستطع الفن أن يذهب بعلميتها وتجردها .

وفى رأيى أن العيب الاكبر فى فن ابراهيم المصرى القصصى يجىء من انه واقع تماما تحت تأثير هذا العلم لاينفلت منه ولا يحاول أن يقاوم سحره فى النفوس ولا سلطانه الغاشم الذى يكبل من يؤمنون به ، فتعكس قصصه هذا الوضع الذى تبدو فيه القصة أحيانا وكأنها « حالة » نفسية يتناولها الطبيب المعالج ، ذات شخصيات مشحونة بقوة انفعالات وحدة أحاسيس بصورة تعبيرية تجعلها أكثر حيوية وبريقا مما يفور فى وجدان الانسان العادى .

* * *

أسلوب المصرى عنيف ، تحس به كمطارق تهوى على رأسك ، واذا كان لكل أديب موسيقاه الداخلية، فموسيقى المصرى ليست من النوع الحالم الذى ينساب فى رفق وهدوء ويتسلل الى نفسك فى رقة ولين كالفجر أو الاحلام، ليست من النوع الهامس وانما هى قوية مزعجة ذات ضوضاء تريد أن تكتسحك اكتساحا ، وتقتلعك من مكانك ، وكأنها تظنك نائما وتريد

أيقاظك فلا تجد الا اليد الغليظة والنبرة العاليه . فالقارىء يكاد يتمـــزق بين أحداث القصة وأسلوب القصة وهو ـ أى القارىء ـ اذا كان لايحق له أن يفكر فى أن تكون مواقف القصة أقل حدة عند المصرى أو غيره ، فكـــذلك الشأن فى الاسلوب ، والاسلوب هو الرجل . رغم ماهو معروف عن هدوء كاتبنا .

ولكن يخيل الى اذا ارجعنا الاسباب الى مسبباتها أن نجـــد لابراهيم المصرى بعض العذر ، فالمجتمع الذى نعيش فيه ويعيش أبطاله ، كان ولا يزال فى معظمه آسنا متعفنا قاسيا ، لا قبل لأديبنا معه بأن يهمس فى هدوء ويلفت فى خفر ـ اذا أراد اصلاحا ، فلا مناص من قرع الاجراس . .

نعم نحن نوافق على هذه الحقيقـــة الادبية التى تقول أن لكل كاتب عـــددا معينا من الكلمات الاثيرة لديه يختـــار منها ألفاظه ، ونصدق أن شكسبير لم يكن يزيد قاموسه من الكلـــمات عن خمسمائة كلمة هى التى يستعملهادائما فى كتاباته . ولكن لا يعنى هـــذا أن تتجمع هذه الالفاظ التى تحمـــل بعض أنفاس الاديب فى حيز صغير محدود تكاد تلمس باليد كما نرى عنـــد ابراهيم المصرى فى قصة قصيرة وخاصـــة فى أسلوب له وقع السياط .

ففى استطاعة القارىء أن يقـــع على كلمات مؤلفنا الضخمة الخاصة العنيفة ذات الايحاء الفظيع التى أشبهها بالكابوس الجاثم ، والتى يقول الدكتور محمد مندور فى مثلها « لفظة ضخمة تنزل بعقـــلى الدوار » !

فلا تكاد تخلو قصة من ألفـــاظ .. ارتعـــدت . يغتصبنى . أخنق بغضى . ملوثة . مبتورة . شوهاء . جن جنونى . عارى . تفاقم يأس . ذلى . يصرعنى . انسحقت . تهتفنى . مســـتنقعى . ذعر من ذاتى . الهوس الخانق العاجز المتحجر الدفين . يلهب بدنى .

يستعملها ويتفنن فى تحويرها بحيث لا تخرج عن قسوتها .

« تخير الالفاظ وحبكها حبكا صناعيا والكلف بوقعها وتأثيرها لما يخنـــق فى الاسلوب خصائص التفكير على حســـاب محسنات اللفظ فيضعف فيه قوة الحركة ويعترض مجراه الطبيعى الغوار ويبتليه بداء البطء »

هذا رأى أذاعه الاســـتاذ ابراهيم المصرى فى احدى مقـــالاته التى جمعت فى كتاب منذ زمن طويل ! فهل بينـــه وبين الاسلوب الذى يكتب به القصـــة تناقض ما ؟ !

نعم .. ولا ! فاذا كان اختيار الكلمات لا يعنى الا محسنات لفظية متكلفة فى المقام الاول . فمن الطبيعى أن يعرقل الخلق القصصى ويمنع تطور الشخصيات ويخرج النسيج مهلهلا . ولكن اذا كان اختيار اللفظ وحبكه حبكا طبيعيـــا وملاحظة وقعه وتأثيره ـ وهذا لا شك يأتى فى المرتبة الاولى من عمل الكاتب الفنان ـ ليؤدى المعنى المطلوب بلا زيادة أو نقصان فلن يضعف من قوة الحركة أو يعترض المجرى الطبيعى لتطـــور القصة . **وهذا نفس ما يصنعه ابراهيم المصرى فتجىء قصصه طبيعية متطورة لا تعرف البطء أبدا !**

* * *

ومهما يكن من أمر فمما لاشك فيه ان ابراهيم المصرى أســـتاذ متميز صاحب مدرسة خاصة فى فن القصة القصـــيرة المصرية .

علاء الدين وحيد

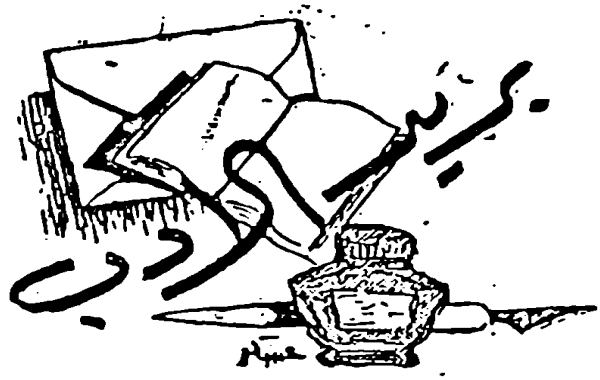

تقويم و تهذيب

سلوك الأسياد

حذار . . ياشباب

ولعل استعمال هذا الجمع «الاسياد» من عدوى اعلان « غرام الاســـياد » ، ومع ما للكلمة من ايحاء قديم ، فى تسمية السدج العفاريت بالاسياد .. لكنه ايحاء ذهب اليـــوم زمانه .

وانما أقصد بالاسياد حملة الاقلام ، وأصحاب فن القول ، بعـــد ما اطمأنت «الأدب» ــ وأرجو أن يكون قد اطمأن قراؤها معها ــ الى أن الفن سيادة .. وقيادة .. وأن صاحب الفن ، على اختلاف صوره ، انما هو سيد .. غير منازع .. وبعـــد ما قدمت « الأدب » فى ذكرى شوقى ، من تقدير للشاعر بقدر ما فى فنـه ، من هذه السيادة النفسية ..

ويدفعنى اليوم الى هذه الكلمة ، رسالة مكتوبة ، وأحاديث شـــفوية أثارت ذكرى غير قريبة ، اذ كنت منذ أعوام فى سوريا فسمعت باذاعة السيارة التى استقلها من لبنان الى دمشق ، حديثا لاحد الادباء ، يذكر فيه « الزحيطة مصوغة من الزحف على البطن » يصف بها سلوك بعض الضعاف من المنتسبين الى القلم ، والادب .. وبعد هذه السنين ، تنسلت الى بالتليفون أديب شيخ ، جرىء ، تكلم بسراحته فى كتاب خاص ، عن شيوخ الادب ، وذكر اليوم فى محادثته «أدب مسح الاحذية» ينعت بها كتابة سيدة ، تكتب عن أدباء مشهورين ، فيضعف ســـلوكها الفنى ويتخاذل قامها فى الحديث عنهم ، حتى لا يرضى الاديب الشيخ الا أن يصـــف كتابتها بأنها من مسح الاحذية المبالغ .. بل المبـــالغ جدا ، فأقول له : كتنفيض ماسح الاحذية لبنطلون الزبون .. فلا يكتفى بهذا .. بل يقول : لا ، بل كتنفيض ماسح الاحذية لنعل الزبون .. ولذلك فهـــو يطلب الى «الادب» ومن يشاركها فى حمل الرسالة الادبية أن يقسوا على من يستحق القسوة بغير رحمـــة ، ولا يكتفوا بعرك الآذان ، بل يجاوزوا ذلك الى الاقسى والاوجع ..

وتصل فى هذا الجو رسالة لشاب جرىء خلاصتها : انه من الأمناء ، وان لم يسجل اسمه فى قوائمهم ، لانهم يقولون كثيرا : انهم مدرسة .. لا جمعية .. وانه كان ، مع دراسته فى غير كلية الآداب يتسلل اليها ككثيرين سواء ليحضر بعض محاضراتها فى البلاغة والادب .. وهو بهذا القدر يعطى نفسه الحق فى أن ينقد بقسوة شيخ الامناء ويحمله تبعة بعض هذا الانحراف فى سلوك المنتسبين الى القلم ممن مروا به ، وتلمذوا له .. ويذكر على سبيل المثال رسالة للماجستير عن «المازنى» اشرف عليها الشيخ وناقشها ، فلم يعقب على ما بها من سطو جرىء ، على محاضرات سمعها الكاتب ، فيما سمع من محاضرات فى كلية الآداب ، وقد ورد فى الرسالة ما يشغل صفحات منها ، دون عزو ولا نسبة ، ويرى انه ليس من حق شيخ الامناء ، فى شىء أن يغفر السطو على هذه المحاضرات مهما يتسمح فى ذلك أصحابها، لأن الامانة المنهجية لا تجيز شيئا من ذلك .. واذا تنازل صاحب الحق الفردى عن حقه بقى حق المجتمع لا تنزل عنه النيابة .. بل تطالب به ، ولا تقبل عنه تنازلا ..

على أن الشاب الجرىء ، لا يذكر هذا الا تمهيدا للون آخر من السلوك ينقده ومقته فى هذه الرسالة فيقول : ان هذه الرسالة ، مع استفاضة امرها وصفتها الرسمية قد نشرت فى كتاب ، عمدت فيه صاحبتها الى اخفاء معالمها ، فلم تذكر انها رسالة جامعية ، ولم تشر الى ما يشير اليه أصحاب الرسائل دائما ، حين ينشرونها فيذكرون الكلية التى قدمت اليها ، والدرجة التى قدمت لها ، والمشرف الذى أشرف عليها ، ليحمل كل أولئك تبعة الرسالة ، ويشركون فى تقديرها أو مؤاخذتها .

وتساءل الكاتب لم فعل ذلك كله بهذه الرسالة ؟ وفيم كل هذا التنكر لجامعيتها واشرافها ؟ فلم يجد لذلك سببا الا أن الكاتبة ، لحاجة فى نفسها ، استكتبت الاستاذ العقاد مقدمة للكتاب المذكور عند نشره ، وكاتب المقدمة ، على ما يبدو، يكره « مى وزيارتها ، كما يقول المثل الشعبى ، فلا يحب الجامعة ، ولا اشرافها .. ولا .. ولا ..

وعجب صاحب الرسالة ما شاء له العجب من ذلك ، وحمل شيخ الامناء ، ما ينبغى أن يحمله من تبعة فيه ، لما شارك به فى تكوين هؤلاء الطلاب ، وتقويم سلوكهم .. فعرضت عليه الخطاب .. وطلبت منه الرسالة المذكورة فاذا على طرتها اهداء بخط اليد ، بعد التنكر والتجهيل المطبعى ..واذا فى هذا الاهداء من السرف ما أعرضه من اجله على القراء فنصه : الى رائدنا الاستاذ ... ثمرة من ثمراته تسعى اليه . شاكرة مقدرة ما بذل فى سبيلها من جهد يقظان ، وتوجيه حفى ، واشراف كريم باذل .. فليؤد هذا الكتاب ان استطاع وفاء التلميذ للاستاذ .. الامضاء .. فلانة .. فانقضى عجبى ،حين جاوز العجب الحد .. وخلف هذا التصرف فى فمى مرارة قاسية ، علرت بها مرسل الرسالة ..ولمت معه الذين وجهوا هؤلاء .. وراضوا سلوكهم ، ولم أجد امامى الا أن أضع الأمر بين يدى القراء ، تحذيرا للشباب ، وخوفا عليه .. وتنبيها للمدربين ، ولفتا لهم الى التبعة .. وقياما ببعض

وأجب « الأدب » فى حماية سلوك الاسياد من مثل هذا الذى لا انعته بشىء .. لأنى لا أجد له نعتا .. فلغله لا يكفى فيه نعت الاديب السورى أمس ، ولا نمت الاديب العجوز اليوم .. ! ولا اتردد فى أن احمل شيخ الامناء ، فى ذلك ، نصيبه من الاثم .

استئناف .. نحوى

حول الى الاستاذ رئيس التحرير رسالة لسيد حريص على العربية وعلومها يشكو من انه لحظ عدم خلو اصحاب تيسير النحو من مآخذ لا يحسن السكوت عليها ، منها انهم رأوا أن يقال : ان المنادى يكون مرفوعا ـ لا مبنيا على الضم فى محل نصب ـ اذا كان مفردا ، ولكن يقف فى سبيل رأيهم هذا ما ورد فى الآية الكريمة « واذ قال الله يا عيسى بن مريم .. » بنصب كلمة «ابن» مع أنه كان يجب رفعها ، اذا كان عيسى مرفوعا ، وهذا فضلا عن أن الاساتذة الافاضل لم يبينوا أن المفرد هنا هو ماليس مضافا أو شبيها بالمضاف ، حتى ولو كان مثنى أو جمعا .. وقد عرض الامر على الدكتورة بنت الشاطىء ، بوصفها عضوا فى لجنة تيسير النحو ، ولكنها مع الاسف حكمت بعدم اختصاصها ، ولما كنت غير مقتنع بحكمها ، فقد رأيت لزاما على أن استانفه أمام أستاذها المفضال أمين الخولى راجيا أن يفسر لنا كيف يكون عضو فى لجنة تيسير النحو ، غير مختص بالمناقشة فى تيسير النحو ! . وقد فهمت من المستانف اليه أنه يرى قبول الاستئناف شكلا بمبدأ عام هو : أن العلم أمانة ، وأن السيدة بما هى ممارسة لتدريس العربية تؤدى أمانة العلم حيث كانت ، ولو لم تكن ـ بالفعل ـ من أعضاء لجنة تيسير النحو ، بل كانت من أعضاء المؤتمر الذى عقد ، من رجال الاقليمين الشمالى والجنوبى ، للنظر فى هذا التيسير ، فانتهى فيه الامر ، الى انكار اصحاب التيسير أنفسهم لتيسيرهم وخلعهم اياه .. لا أدرى كخلع خاتمهم من الاصبع أو كخلع نعالهم من الارجل ، كما قيل .. وكفى الله المؤمنين القتال .. حتى يوجد تيسير آخر ، يحقق شيئا من التقريب والتسهيل على المتعلمين ، ولا يمس كيان العربية وبناءها ..

واذا ما تقدمنا الى رسائل القراء الادبية بدأت فوضعت ..

خارج النقد

ورقات عنوانها : الخليفة الاموى : الحجاج بن يوسف .. فالكتاب يقرأ من عنوانه .. وأول القصيدة كفر ، والدنيا لم تحتمل الحجاج وقتها واليا ، ففيم نجعله خليفة ! . وهل ترى لما ينسخ بعد ذلك نسخا قيمة يقدم من أجلها للناس ! .

ومن هذا الطراز فى النسخ ، حرب البسوس . لصاحب الحجاج الخليفة ، وان لم تحمل سمة صارخة كسمة المقال السابق ، فترسل الى خارج النقد ، فانها لم تحمل سمة لحرمة او جهد توضع بها داخل التقويم .! وقد تلاقت الاوراق اخيرا على بعد ما بينها من زمن الارسال .. فالشىء بالشىء يذكر .

* وصلت « دمعة على ملك المغرب » وفيها ألفاظ غير شعرية مثل « العرب في احتياج اليه » الى معان تقريرية ساذجة مثل: فاستقامت به حياة وشعب معربي .. الخ .. مع فضول واضح في العبارة لا يقوم به معنى ، ولكن يكمل به وزن يرص ..

* ووصلت « مقتل الزعيم لومومبا » ومستواها لا يفترق كثيرا عن سابقتها، من حيث المعاني التقريرية غير الشاعرة، ولا المعبرة ، مع فضول في اللفظ . وصاحبا النظمين من بيئة واحدة . اختلفت البلدان .. وهي بيئة يسود فيها نظم المتون ، ويعوق الموهبة حين توجد

* ووصلت «أغنية للاحرار» و «أغنية للجزائر » وأي غناء هذا بمثل :

ومن أقيادهم سخروا
ومن كان سجانا

ومثل :

وأسواقا وجارية
ومزرعة وبستانا

أو مثل :

وكذا الضحايا في الحروب تتالى ..

ومثل :

واذا الدماء على الرمال تخالها
سالت دماء ثرة ورمالا ..

ان الغناء أشجى ، وأرق ، وأعذب ، وما شئت من ايحاء كلمة الغناء ، فروضوا مشاعركم رياضة فنية تدلكم وحدها ، على ما تجرءون على تسميته شعرا !.

* ووصلت لصاحب السابقتين ايضا « الى روح الشابي » و « في رحاب السماء »

ورحاب السماء ، ومعاني الأرواح أسمى من مسارح الغناء ، وصاحبي يعوزه الحس المسعف، والتسامي المواتي، فتقرأ له مثل : ابن الاله وذا الغناء يشدنا شدا بقلس . فلا شعور بحيره صادقة .. والشد شدا بقلس يمضي بصاحبها الى منخفض من الارض بينه وبين رحاب السماء أبعاد شاسعة ..

ومثل قوله : وخاض المعارك حتى انتصر .

وقوله : فأصبح يهوى ركوب الغرر. وأشبه ذلك أضعف من أن تحلق الى معاني الارواح .. حيث الشابي روح الله روحه

* ووصلت « ليل وذكرى » وفيها ما يرجى من التدريب لو استبان الغرض، واتسقت المعاني ، ووضعت العبارات في مواضعها ، وحاف فضولها .. فالى أخرى يعدها

* ووصلت « ساكون نارا لا تذر » و « الحلم المقدس » من قلم واحد ، والطابع فيهما واحد ، والملاحظ واحدة، فهي اخبار اكثر مما هي تعبير عن احساس .. وفي اللفظ قرب وفضول كقوله :

وبنومهم فوق الصحارى تائهين وسنسير في الارض الحبيبة ظافرين

وقوله :

هل رأيت الكنغو تشقى .. فدربا يعمق الشعور ، ورياضة يقوى بها حس الالفاظ ، ودقة الوعي .

* ووصلت « **اليك يا من احب** » من الشعر المنثور ، وفيها شيء من انطلاق لا باس به ، لكن من عبارتها ما ليس شعريا ، كقوله :

لهذا ليس غريبا الا احبك ..

وقوله بعده : وما اظنك تطلبين منى غير الحب .. وهو يقوم المعانى العاطفية تقويما غريبا يقليها ، فحبيبته ، ليست الها ، ولا ارفع منه .. وليست محرابا .. ولا صنما مقدسا .. ولا قديسا ولا شيخا .. وانما احبها ليمارس الحياة معها .. ومع هذا فهو يقول لها :ما أغلى ما يطلبه كل منا من الآخر .. وما اقدسه !. مثل هذه المحاولة فى صرف تلك المعانى التى تداولتها البشرية فى الحب أجيالا ، عن وجهها يحتاج الى قوة أقوى من ذلك ، وعمق أبعد .. ومن يدرى لعل صاحب هذه الكلمات يستطيع ذلك يوما .

* ووصلت « **تحية الوحدة فى عيدها** » والفاظها فضفاضة جدا على معانيها : فالشعب يغنى والطير يشدو بالاغانى .. .. والفجر بدا سناه .. والنور شاع يسطع .. ودار الرياسة اضاءت بانوار تشع .. ولا جديد من المعانى ، ولا قوى .. بل هى الخطابيات المرددة فى المواقف الضاجة ..

* ووصلت « **رسالة الألم** » وفيها مآخذ من وهن العبارة حينا .. وعدم انسياق المعنى كقوله : حتى أشق عباب فجرى والصراط قوامية

وقوله : « أنا من فلسطين التى ربت ورودا ضارية .. وقد يكون فيها مايصلح للنشر ، اذا واتت الظروف

* ووصلت « **حكاية سر** » ولعلها تجد فرصة للنشر ، لولا طولها المسرف ، وسخاء الفاظها على معان اقرب من ان تحتاج الى هذه العبارات كلها

النثر

* وصل خطاب سيد يعلق على معركة النقد التى ثار غبارها فى الصحف ، حيث لا معركة ، وسأل السيد : هل نجد الناقد النزيه ، البعيد عن النوازع الشخصية ، الذى لا تسيطر عليه عاطفة ما ، أو يميل الى رأى قد يكون هادما .. فيستطيع بحذقه ونزاهته أن ينهى هذه المعركة بجديد قد ينفع الادب بدلا من هذه المناقشات التى لا تصل الى هدف ما ، والتى تشبه الى حد كبير لعبة القط والفار .

وما دام الامر هكذا فلا معركة ولا حاجة الى من ينهيها ، وقد لقيتها الصحف والقراء بما تستحق من تهوين .. واما حاجة الحياة الادبية مطلقا الى هذا الناقد الذى يصفه فأمنية عامة تعمل « الادب » جادة فى سبيلها ..

* ووصل مقال « **فلتسم الاشياء باسمائها** » مناقشة لتهجم السيد محمود السعدنى ، الذى وفته « الادب » ما يستحقه ، ولا موضع بعدها لمعاودة

* ووصل مقال « **فى الميزان** » نقدا ومناقشة لكتاب « الله والانسان » وهو نقد يقف كثيرا عند الجزئيات .. ويتبع ظواهر من تقابل الخواطر لا تحتاج الى كل هذا الوقوف ، ولا هى منكرة الى هذا الحد فى المجال الفنى ، ولهذه الوقفات الجزئية يسرف فى الاطالة اسرافا يمل القارىء ولا يفيده .

* ووصل مقال « **تشيكوف** » الشاعر ولعله يجد فرصة النشر

* ووصل من النقد ، نقد « **بقايا**

عذراء » ، ولعل صاحبه يرى معنا اليوم تأجيل نشره ، لأجل ربما يكون الذوق أن يعتبره أجلا غير مسمى

* ووصل مقال « محاولة نقدية لمجموعة البطل وقصص اخرى » لثنائى أدبى ، وافقناه على هذه الثنائية ، وقبلنا مبدأ النقد المشترك ، لكن هذا النقد نفسه ، يبدو اجماليا ، مسرف الاجمال ، يوشيه ثناء مسرف كذلك ، وقد استهلك صفحاته تلخيص القصص ..

لا اكثر ..

* ووصل للثنائى نفسه : « نقد يستر عرضك » .. ونقد « آخر الدنيا » كما وصل نقد « باب ١٤ » لآخر وهى تحت التقويم ، وسيبشر منها ما يتهيأ المكان لنشره

* ووصلت قصة « الحاج حمزة » وهى لا تعدو الصورة الساذجة للمقاومة أيام العدوان .. وليس فيها بناء ما للقصة القصيرة ، فنعتذر عن عدم نشرها

* وصلت قصة « الثور ، وأم قويق .. وأنا » لصاحب عدس الذى اتخذ من الامثال الشعبية مجالا قصصيا ، وأيدته الادب فى ذلك .. لكنه هذه المرة لم يواته العرض الصحيح ، فمقدمة طويلة ليست فى صلة بالموضوع ، ومهما يكن التساهل فى قبولها فسيلقاك راو يتحدث بضمير المتكلم ، عن بيعه الثور لأم قويق ، وهو لا يكون الا شخصية ساذجة طيبة القلب ، بل طيبة جدا .. أو بعبارة الشعب « عبيطة » لكن صاحبنا المتحدث عن نفسه يقول لك مثلا « ووجدت مصداقا لفلسفتى أو لرأيى .. ويقول وأعترف انها كانت ملبثة بالمد والجزر . وشك عنيف خالجنى » ويحدثك عن شيطان الشك ، ووجهة النظر الداخلية والتمثال الجامد .. ويشبه بالصاروخ المندفع الذى ينطلق فى مداره .. الخ .. فهل هذا يبيع الثور لأم قويق ! .. لا يا سيدى ، يفتح الله .. القصة العامية مسبوكة اكثر ..

• ـ ووصلت قصة « الشيخ البهلول » لصاحب القصة السابقة .. وكانت تكون محاولة نفسية ، لما يتردد فى نفس طالب ، تخالفه بيئته عقليا ، واعتقاديا ، و ..و .. ولكنها لم تتسق فى ذلك بحيث تصور تجربة صحيحة .. ومن اغرب ما فيها ان يفكر طالب على ابواب الامتحان فى ان يلحد ويتحدى الله لينجحه على اثر تهديده ، باعلان الحرب عليه ، وتتغير الناس من الاعتقادية !! انه شعور غريب ، واتجاه غريب ، لا يخطر مثله بخلد شخص ، فى هذه الظروف الضيقة ، بل يكون المتوقع ، والواقع ، عكس ذلك .. فان المألوف ، والمعروف ، ان الانسان يفتكر ربنا وقت غرقه ..

والى جانب هذا اضطراب فى الاسلوب ، لم يحرص على ما قد يسمونه ـ خطأ ـ واقعية .. اذ لم يتحدث بلسان كل طبقة كما يناسبها .. وبعد هذا عدم توزيع رقعة مايسمى قصة عنده على نسب صحيحة ، بل يبدأ القصة على صورة مقالة مطولة تصف موقفا واحدا فقط لطالب يسب اهله وقومه ، لانهم يخرفون ويعتقدون بالاوهام ، فى كلام طويل .. ثم هذا التردد الذى يتعرض له الشاب يوصف باسهاب مسرف يمكن الاستغناء عن نصفه او ثلثيه ـ والاسلوب بعد ذلك مختلط عاميه بفصيحه ، فى غير صحة للفصيح ، ولا دقة بغيره ..

◆ ـ ووصلت «ثلاثة طلبة» ويقول صاحبها ، عافاه الله ، انه لمسها بنفسه ، وعاشر احداثها .. ولكن ما هى ، واين احداثها ؟.. كل ما فى الامر ان الثلاثة الساكنين معا غاب منهم اثنان عن الامتحان .. راحت عليهم نومه .. واحد لتقواه والثانى لهلسه .. وخلاص .. ولالس ، ولا احداث .. ومن الطريف ان مع هذا الكلام شيء آخر يقول صاحبه : انه يعلم سلفا انها ـ اى ما يسميه قصيدة ـ غير صالحة للنشر .. طيب .. وبعدين !! كفاية ما ضاع من وقت فيما يعرف صاحبه سلفا : انه غير صالح للنشر .. ولم نفض من الوقت والقراءة ما اضعنا الا ليرى القراء شيئا مما يعانيه المسكين محرر باب البريد .. لعلهم يرحمونه والا فامره لله ..

◆ ـ ووصلت قصة « دعنى لسعادتى » لسبق نشرت له «الادب» قبل الآن ، وقومت له كذلك قصصا لم تنشر ، ويبدو ان ما وجه اليه من قبل لم يلفته لفتا كافيا . او لم يقع عنده موقع القبول ، فلا نزال نلحظ انه لا يعيش فى بيئة قصته ، وتتضح صور مجالها امامه ، فمخزن الحبوب ، الذى يجرى فيه اهم ما فى القصة ، له باب سمك . وهو بلا سقف ، وهو حين يسقط

المطر على رواده ، يظهر فيه القمر ، وتتضح ظلال الاشخاص فيه ، وهو طويل الشتاء جدا ... والشخصيات لا تتسق مكانها . فطالب الزراعة ، الذى يستطيع ان يشتغل باى عمل زراعى ، فى اجازته ، بل فى ايام دراسته لا يشتغل فى شىء ما ، ويختلس ويسرق بضعة كيلوات من الذرة ليشترى بها لفافة دخان .. وفى قرية مصرية يجد شاب وفتاه فرصة للنوم معا شهرا ولعلها سنين خلسة ، فى مخزن حبوب ، دون ان يعرف اهل القرية بامرهما ، وهما اجنبيان ، لا يطيق الريف ان يجتمعا هذا الاجتماع ، ولا يكون للحيطان آذان .. ويبدو ان الصورة فى جملتها صدى لبعض صور فى القصص الاوروبية ، من السكنى فى عربة سكة حديد قديمة ، او ما يشبه ذلك ومواجهة الأبرد القاتل فى اوروبا .. أما هنا فان الفلاحين كانوا فيما رأيناه من حياتهم يبيتون فى « حلة الذرة » فى خص من حطب الذرة ، فى شهر طوبه . ولا يبدو فى ذلك شىء من صورة البؤس الرهيب ، التى أراد صاحب القصة ؛ أن يجسمها .. وبعد ذلك كله ، ومع الاطالة المسرفة لا يكاد يكتمل هيكل القصة ، فهو شاب يتيم اواه عمه واكرمه ، وسخطت عليه زوجة عمه لنجاحة ورسوب ابنها ، فطرد من البيت بعد مرحله من التعليم تمكنه من عمل يعيش منه فى غير هذه الحال ، التى تفتن الكاتب فى وصفها الفتل ، فهو يبيت فى العراء ، وبلا غطاء ، ويسرق ليشترى دخينة ؛ وهو مع ذلك ناجح نجاحا باهرا فى دراسته ، وهو يحب بالنسبة معدمة مثله لم يجمع بينه وبينها اى سبب ، ولم يربط بينهما شىء يقرب قلبيهما ، مع سوء ظروف هذه المجهولة .. ولاجل ذلك وما يشبهه لا تدع السيد لتقديره فى قصته ، التى طلب بطلها ان تترك لسعادته

★ ومن القلم نفسه وصلت قصة . شاء .. مقول ، او « نجوى » وفيها ما نجده دائما ، فى اسلوب السيد ، من الجنوح الى ما يدنو من اسلوب المقال اكثر مما يجنح الى الاسلوب القصصى ، وهو اسلوب لا يشعر القارىء بانه يقرأ قصة ، قدر ما يقرأ وصفا صحفيا ، لحادث يتكثر فيه الكاتب ويطيل ، بل يطيل كثيرا ، ولا يعرض مشاعر شخصياته عرضا يلائم الظروف التى يختارها له ، فالشاب المهندس القبيح الخلقة ، يكون من الوعى بحيث يعرف هذا عن نفسه ، ولا يبكى لان سلوى ترفض الزواج منه ، وقد قالت له مرارا ببساطة انه وحش .. وبعد فالسيد لا يضع المهندس فى الوضع الذى يسلكه شاب ليتصل بجارته .. فهو يقتحم عليها اقتحاما ، ويبدؤها بالتحية ، ولمثل هذا الاتصال بالجيران أساليب كثيرة غير هذا الاسلوب الساذج .. كما ان مثله لا يقرر الزواج من فتاة لمجرد انه يراها فى النافذة .. وقد كان يستطيع بالحيرة ان يعرف الكثير عنها ، قبل ان يذهب اليها بالشبكة . فيكتشف من حركة يدها انها تصف عمياء .. ولا يكفى ان تقوم القصة على هذه المفاجأة ، التى يراها السيد طريفة ، وشىء معقولا: أن تكون تصف عمياء زوجا لقبيح الخلقة .. ان فى الموضوع ما يصلح قصة لتناول أعمق من هذا التناول السطحى .. ولكن هذه ليست جديرة كثيرا بالنشر .. والاسلوب لا يزال بحاجة الى تقويم لغوى ، ينبغى الا تفوت صاحبنا ..

★ ووصلت « انت » واول ما يبدو فيها حاجة الاسلوب الى غير قليل من التقويم اللغوى .. وهى بعد ليست الا صورة خطوطها الكبرى صغير يشبه اباه ، ويريد ان يفعل فعل الكبار . فيدع فانوس رمضان لاخته ، لانه صار كبيرا .. ثم هو يسأل عن أبيه ، فتقول له الام : انه لا يتأخر كثيرا .. بل هو أقرب انه أنت ... فهل يتصور هذا الطفل ، الذى شغل الحديث عن رغبته فى الفانوس واللعبة اكثر الاسطر المكتوبة .. لا اظن .. فالصورة مفتعلة .. ولا قصة ..

★★★

وبعد .. فان عدم عرض بريد « الادب » فى عدد بيرم ، عن شهر مارس ، قد كدس كثيرا من البريد ، تأخر تقويمه ، فمعذرة لمن لم تقوم آثارهم ، والى الاعداد التالية

مع القراء

تلقت فى هذا البريد وسائل القراء يعلنون رضاهم عن العدد الخاص بأدب الشعب بيرم ، وهو ما يسر « الادب » ، وتغتبط له .. وترجو ان تتاح لها الفرص المتجددة لما يرضى قراءها .. وشكرا

ـ وقد كتب الينا من « دمياط » عن تأليف المركز الثقافى لها ، تحت اسم الرواد ، لنشر الادب والثقافة ، فى الاقليم ومساعدة أدبائه ، على نشر آثارهم بكافة الوسائل .. و « الادب » تهنئ الرواد والادباء ، وتقدم لهم كل معونة ممكنة لتحقيق أهدافهم .

الآداب

قصية • شهرية

يصدرها الأستاذ

الادارة: مصر الجديدة ١٠ العجم ١٣

ت ٦١٧٥٠٥

الرسائل الفنية والمالية
ترسل باسم
أمين الخولي
رئيس التحرير

الرسائل الادارية
ترسل باسم
محمد جابر عبد العال
مدير الادارة

الاشتراك عن سنة: في مصر ٥٠ ق، في الخارج ٨٠ ق (أو ما يعادلها) بالبريد العادي

ثمن العدد ٥ ق

البريد الجوى
والمسجل بحسابه

فهرس

العدد الثانى — السنة السادسة — مايو ١٩٦١

الانسان
عن الامنـــاء ٦٧

الفن والتاريخ ـ ٢ ـ
أمين الخولى ٧٠

الروح الاشتراكية فى المثل الشعبى
محمد ابراهيم أبو سنه ٧٥

الطريقة الكلية فى تعليم الهجاء ، وجنايتها على تعليم اللغة العربية
يعقوب عبد النبى ٨١

الشرق الادنى فى الادب الفرنسى
بقلم حسن النوتى وترجمة أحمـــد عبـد اللطيف ٨٧

حيرة وايمان
شعر : ابراهيم راشد قاسم ٩٠

جواب مستعجل
حامد الاطمس ٩٣

ثار
قصة : زكريا التوابتى ٩٥

حفنة من الرمال
عباس محمد عباس ٩٩

عشـــم
محمد الخضرى عبد الحميد ١٠٢

تشيكوف الشاعر
ح • النجار ١٠٨

ت•س • اليوت الشاعر الناقد
محمد عبد الهادى محمود ١١١

أصداء أدبية : الواقعية فى القصة والمسرحية
... ... ١١٤

حول تجارب موارافيا الفنية
... ... ١١٥

نقد مجموعة قصص يستر عرضك : بقلم صبحى الجيار
نقد: حسن محسب ـ محمد المنذى ١١٦

بريد الادب ١٢٢
رعاية الشباب ١٢٢ ـ أقدم يا شباب ١٢٣
لوغيرك قالها ١٢٣ ـ الشعر ١٢٤ ـ النثر ١٢٦

تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

الفن والحياة

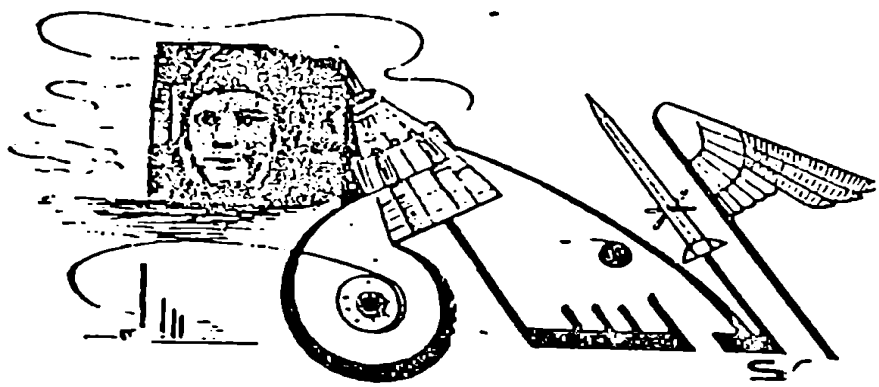

هـذا الكائن حيث يكون .. فى أى زمان .. وأى مكان ..

أى جنس .. أى نوع .. أى فصيلة ..

أى لون .. أى لسـان .. أى شعار ..

أى دين .. أى نحلة .. أى مذهب .. كل هؤلاء .. وغير هؤلاء أعنى حـين أقول الانسان .. أعنى الجنس ممثلا فى واحد .. والواحد الذى يصدق به الجنس ، ويتمثـل فيه ..

أعنى ذلك الذى أجد فيه نفسى ..والفى .. وحبى .. ونسلى .. فأكبره وأعنى ذلك الذى أجد فيه خصمى .. ومنافسى .. ومنازلى .. فأكفره .. كل أولئك .. وغير أولئك .. يمثـل الساعة أمامى ويحضرنى شاخصا

وتتمثل لى حياة هذا الانسان ، فيما اعرفه .. وما أتخيله ، وما أتذكره .. فى قصـة قصيرة .. وفيلم صغير .. أتبين أحداثه ، واستحضر وقائعه .. فاذا هـذه الحياة ذات الملايين من السنين ، فى أنحـاء الأرض يضبطها نسق واحد ويحدوها أمل واحد ، ويتمثل لها هدف واحد .. منهم من يراه جليا قريبـا ماثلا فيسرع اليـه .. ومنهم من لا يستبينه واضحا لائحا ، فيمضى وراء السابقين الأولين .. متباطئا .. هذا .. ولكن الركب واحد بمضعفه وأميره .. ومتخلفه والمجلى فيه .. وطلائعه وساقته . يمضى ويتقدم ..

وتضم الـ ـن ا ـ الركب الملايين ـ ويسقط الطليح ، ويهلك الضعيف .. ويسرع القوى .. ويبلغ القدر .. ويتقدم الكل دائما .. ويقود الجمع أبدا .. واحد يمثل

الجنس ، ويتمثل الهدف ، ويمجد الأمل .. ولن ترى تاريخ الحياة ينحاف لمحة عن هذا السبيل السواء والطريق المحدود

وما يشق على وقد جنحت الى هذا التعميم الشامل ، والنظر الجامع ، الذى يضم كل زمان ومكان .. وعصر وعهد .. وبعيد وقريب أن أقول لك فى جراة جريئة : انى لأرى هذا الهدف الذى مضى نحـــوه الانسان .. وأعرف ذلك الامل الذى تطلع اليه الانسان وأتبين ذلك المثل الذى رسمه ذلك الانسان .. لانى أعرف أصل ذلك فيه ، ومرجعه عنده ، ومرده لديه .. وفى صراحة واضحة قريبة أزعم لك ولنفسى أن الهدف هو تحقيق الذات الانسانية ، والمثل هو الذات الانسانية المحققة .. لا غير .. ولا أكثر ... وأصل ذلك كله فى الانســـان هو : ايمـــان بالنفس .. حل فى النفس وتتابع التجربة ... واذا ما سميته أنا ايمانا بالنفس فما يضيرنى أن يسمى يومـــا الهاما وآنا غريزة ، وحينا سلوكا ، وغدا غير ذلك كله ... وكما لا يزعجنى أن تنكر فيه أعراض ايمان جرى به لك اصطلاح أو اعتقاد .. فانما أعنى من ذلك جوهـــر المعنى ولباب الوصف ، حين يتملك النفس

وما أراك لو استحضرت معى حياة الانسان فى تلك القصة القصيرة ، والفيـــلم الصغير الا واجدا هذا الانسان بطلائعـــه . وأدلته ، ومتخلفيه ومقلديه قد عمد دائمـــا الى تحقيق ذاته فى أدنى الافق اليه فاذا مابلغه لاح له أفق وراءه ، فمضى اليه ، والى مايليه ويليه ، حتى تتسع آفاقه للسموات ، وما بعد السموات ، وللآلهة والملكوت فاذا الواحد الذى يمثل الجنس يدفعه يقينه ، ويؤيده ايمـــانه ويقـــدم غير هياب يقتحم . ويمهد .. ويعبد .. ويتقدم وراءه الركب فغـدا مجـــدا .. متطلعا .. آملا

الم تر كيف عرف الانسان الحياة فى الفاف الغاب ، وكهوف المغاور ، فسرح مع الوحش ، ودب مع الهوام .. ضاريا .. عاريا .. عاديا .. عاويا .. وما أيأس ، لكنه من بين عشراته جميعا قد استأنس ودجن ورعى وأحـــرز ، وقنى ، وبنى ، وقاوم ؛ وغلب ؛ فحقق من ذاته ماتمثل وتطلع .. وما زال يمضى ويتطلع ، ويدرك ويتابـــع حتى احتكم ، وسخر ووقف وسير ، وقدم وأخـــر .. فكان فى دنيا المادة على ما نرى من ايمان بنفسه وتحقيق لذاته ، لا تنكره ولن تجد له تفسيرا الا من هذا الأفق .

وانظر اليه فى دنيا المعانى والعواطف والعقائد تجده هو ذلـــك الذى عرفت وفهمت .. لقد واجه قوى الكون وظواهر الوجود ، فخاف وطمع ، وآله وعبـــد ، وقرب وسجد .. يتقى ويحتمى .. واذا حوله من يؤيد ذلك ويستغله ، فهو يســـحر ويحتال . ويوهم ويحول ، فيهدد ويتوعد ، ويستلب ويختلس .. لكن لا يلبث هذا الانسان أن ينهض بايمانه بنفسه ، وجده فى تحقيقها ، فاذا هو يشك ويستريب ، وما هو ألا أن ينكر ويقاوم .. حتى يخلص وينجو ..

ويحقق الانسان ذاته فى مجتمع ارقى واكبر ، فاذا الذى يلقاه بالحق الالهـــى والتفويض الدينى . فله الكلمة فى العقل والعرض والمادة .. يعبث بكل أولئـــك

ويستبد .. واذا الذى يتمثل فيه الجنس ، وتتحقق الذات ؛ ويقوى الايمان بالنفس يقاوم ، ويهدم ويحطم الاستبداد ، والفردية ، والظلم ويظفر بالحرية ؛ وينال الكرامة.

يفرض الانسان نفسه ، ويثبت ذاته ويؤكد ايمانه فاذا حديث عن السماء يردد تكريمه ، ويتعبد بتفضيله .. ويمضى ذلك دينا وعقيدة . . واذا العقل المظلل بظلال الرحاب المنفدة يرى لهذا الانسان من الكمال أن يشبه الله ، ويطلق له العنان لينشبه به ، بعد ما قرر له أنه خلق على شبهه وهل تحسب أن هذا الأمس يسلم الى غير ما فيه الانسان اليوم ، أو ينتهى الا الى غد أبعد ، وأمجد !!

وهل تستكثر عليه وهذا ماضيه ، وذاك أمسه ، وتلك حاله ونفسه أن ينتهى من معرفة الارض الى ما انتهى ، فيبتغى بغدها سلما فى السماء ؟ ويبلغ من ذلك ما بلغ اليوم .. وما سيبلغ بعد اليوم ، من التناهى الى أفق بعد أفق ، وغاية وراء غاية ؟ .. نعم .. ولا ريب

وأنت جدير بأن تسائل هذا الانسان أى جوانب هذه النفس كان ملاك تحقيق ذاته ، ومعقد الرجاء فى تحققها ؟.. وهذا الانسان بما رشد ونضج لا يقبل فى ذلك تفسرا ، ولا يرتضى تعليلا الا أن يكون مرده الى ثقة ، ومرجعه لتجربة .. وأنا معه ، فى ذلك ، بل لا استطيع أن أخالفه ؛ وفى تجربته الأخيرة لمجاوزة الارض ، ومقاومة جاذبيتها ، والالتحاق بالملأ الآخر قد اختار الواحد الذى يمثل الجنس ، وتتحقق فيه ذاته ، وجرى فى ذلك الاختيار على تجارب وحكم وقائع ، ليختار واحدا من خمسة عشر ألف متطوع (١) .. وامتحن كل مكان فى الجسم ، واختبر كل مجال للنفس ، وكان أهم شروط هذا الاختبار هو الناحية النفسية التى تحتم قوة الارادة ، واستقرار العاطفة ، والبعد عن الغرور ، والخلو من العقد النفسية ، لان تقدير تجربتهم ، وصريح قولهم : **ان العقل أسير العاطفة** .. وفى اختبارهم لقوى المتطوعين النفسية كان يرتبك من يرتبك حتى يبكى ، أما الرجل الذى مثل الجنس هذه المرة فقد اجتاز الاختبار المبكى والابتسامة تعلو فمه .. وقد عرفوا من أمره : انه يؤدى عمله بلذة وهواية .. وانه لينكر ذاته .. ويحمل حملا عاطفيا ثقيلا .. انه يؤمن بالحياة .. يؤمن بنفسه انه واثق أنه سيعود .. انه بكل أولئك انسان ــ ذو وجدان .. يحمل طابع الفنان الحق الذى يدرك شيئا غير المظهر والملمس ، ويقدر الحياة .. وتلك فى جلية الأمر وجملته هى الفنية الصحيحة ، والوجدانية الكاملة ، التى تدرك انكار الذات وهى شاخصة .. وتسخر بالخطر وهو ماثل .. وتدرك معانى وهى غير مشهودة ، وتنسق العقل والعمل فى شخصية متماسكة متضامنة ونصيب الفن فى ذلك هو النصيب .. ورجل الفضاء اليوم من ذلك كله صورة واضحة

عبد الرحمن

---

(١) كل ما هنا من بيان ورد فى الصحف اليومية ولا سيما صحيفة الاهرام ، يوم ١٨/٤/١٩٦١

الفن .. والتاريخ

العرض الأدبى والعرض التاريخى

بقلم : أمين الخولى

— ٢ —

القسم الثانية من خطوة التطور الفنى ، والاجتماعى أيضا ، التى خطتها حياتنا فى القرن العشرين

وقد اتضح فى المقال الاول من هذا الموضوع فى الادب عدد ابريل الماضى — ما كان عليه التفكير قديما منذ بدأ فهم القرآن، من حيث النظر اليه على أنه مصدر تاريخى وأن مافيه من القصص انما هو سرد تاريخى تؤخذ عنه الاخبار ، ويدون التاريخ .

وفى هذا المقال الثانى يرى القارىء ماكان من نظر العصر الحاضر الى هذه التاريخية القرآنية ، وما انتهى الامر فى ذلك ، بما لا يمس شيئا ، ولا أحدا .

فى منتصف العقد الاول من هذا القرن ترك الشيخ الامام محمد عبده هذه الدنيا ، وقد تهيأت الاذهان لغير التسليم المطلق بتاريخية القرآن، وقصصه ، اذ قرر : ان التناول القرآنى للاخبار الواردة فيه ، عن الامم السابقة ، ليس تناولا تاريخيا .. ومافيه من وصف لحال العرب انما هو وصف لما كانوا يفهمون أو يعتقدون ، وليس معنى ذلك أنه الصواب .. كما صرح بأن القصص القرآنى تمثيلى أحيانا ، كما فى قصة آدم ، اذ المراد منها تمثيل أخلاق الجنس البشرى واستعداده .. وفى كل حال فالقصد من القصص القرآنى هو العبرة ..

وتهتز حركة الاصلاح الدينى المتطلع للحرية ، بعد وفاة الشيخ ، أو قل انها تتوقف أو تتراجع ، أو تهمل .. لكن الحياة تسير ، فتنشأ الجامعة القديمة التى أحس الشيخ ورهطه بالحاجة اليها ، ويتخرج فى الجامعة الاهلية ، من قسم الآداب ، من يرسلون لاتمام دراستهم فى أوربا ، ويعودون ليدرسوا فى الجامعة ، التى تصير جامعة حكومة رسمية ، بعد عشرين عاما ، من وفاة محمد عبده وتتعرض الدراسة الادبية لما فى قصص القرآن من حديث عن شئون عربية لغوية وأدبية . فلا تبدأ المسألة من حيث انتهت قبل عشرين سنة بالتخفيف من تاريخية الخبر القرآنى ، وانه قد يكون ضربا من التعبير الادبى ، كالذى قيل من تمثيلية القصص (القرآنى) .. لايكون شىء من ذلك ، بل يتقدم الدرس الجامعى المتحرر،

المحترم لحق الانسان فى الشك ، وطلب التثبت ، وواجب ذلك الانسان اليوم ، فى الايدع لعاطفته ، او عقيدته ، تأثيرا على طلب الحقيقة وتقريرها ..

ويقول الدكتور طه حسين ، فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » : « للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود الاسمين فى التوراة والقرآن لايكفى لاثبات وجودهما التاريخى ، فضلا عن اثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة ، ونشأة العرب المستعربين فيها ، ونحن مضطرون الى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الاسلام واليهودية والتوراة من جهة أخرى »

وتقوم الضجة التى لايعنينا هنا تسجيل تاريخها ، ويردمن يرد ، ويتهم من يتهم ويشترك فى الرد والمناقشة رجال القانون الذى رفعت اليهم الشكاوى .. ويحفظون الدعوى بعد الدخول فى الموضوع الأدبى .. ويكفر أصحاب الدين ويستثيبون .. ولكن هذه الضجة وآثارها ليست شيئا من سير التطور . بل هى غبار معركة ، أو قربان ضحية ، يعنينا أن نعرف ماذا أدت .. وأى غرض حققت ..

أما فى المنهج ، منهج درس التفسير القرآنى ، وبيان تاريخيته وعدم تاريخيته فان العقدة قد قطعت ، ولم تحل ، بل لم يحاول حلها ، على نحو من المحاولة ، كما فعل أبناء عصر محمد عبده ، أوكما فعل محمد عبده فى عصره .. ان المحاولة الجديدة قد نحت هذا الموضوع جانبا بل جانبا قصيا ، وتركت القرآن يقول مايقول ، ويحدثنا بما يحدثنا به ، عن اشياء تاريخية - بمعنى ما - دون أن يكفى قوله وحديثه لاثبات وجود تاريخى أو لاثبات قصة .. لان المنهج عند أصحاب القول - يقوم على الفصل بين الدين والعقل . أو الدين والعلم ، أو على الاقل يقوم على عدم القصد الى بيان منزلة كل منهما من صاحبه وان جرى الحديث - غير القصير - عند هذه المعركة ، عن امكان التلاقى ، بين الدين والعلم ، فى شخصية العالم المتدين ، مع اشتغاله بما يجابه الدين ويخالفه ، وتقريره غيرما يقوله ، بل ونقيضه .. واعتقاده فى الوقت نفسه مايقوله الدين .. ولا يعنينا الخوض فى امكان هذا ويسره ، أو عدم امكانه ، كما لايعنينا هنا الخوض ، فى طرق التوفيق بين العلم والدين ، أو بين الفلسفة والدين ، وأيها أحكم أو أصلح .. لأن لهذا مكانا آخر .

واذا كان مايعنينا هو تطور النظر فى تفسير القرآن ، وفهم طريقته ، فى عرض ماهو من التاريخ أو يمس التاريخ ، أو يتصل به من بعيد أو من قريب ، فان هذه المعركة - كما قررت - لم تطور هذه النظرة بشىء ، لانها قطعت العقدة ، ولم تحاول حلها ، فتركت تاريخية القرآن عندما قرره عصر محمد عبده ، مع اعلان عدم كفايته ، اذ كانت قد اكتفت به لما تركت القرآن يقول مايشاء ، دون ان يكفى مايقوله لاثبات وجود شخص تاريخى ، أو قصة تاريخية اذ ذاك .

وعلى ذكر المنهج فى المعركة نقدر أن الاسلوب النافع فى التفكير ، قد اهتز من أساسه ، فلم يعد الاصل أن يفكر المفكر وينتهى الى نتيجة ، ثم يعرض نتيجة بحثه

على الدين فان وافقه فبها : وان خالفه عرف بطلانه ، وترك نتيجة بحثه . وهو ماتادى به غير واحد من أساتذة كنا نجلس اليهم ، فى درس الادب بمدرسة القضاء الشرعى .. وبدا أن العصر لايحتمل هذه المجابهة لحقيقة البحث بأشياء توصف بالدينية وصفا قديكون تحكميا، بل غالبا مايكون كذلك، لانه ليس بالقطعى الواضح من الدين ، او بعبارة الاقدمين : **ليس معلوما من الدين بالضرورة**

كما لم ينجح استعداء السلطات المختلفة على حق البحث ، والتفكير ، وحق اعلان ما ينتجه البحث الطليق ؛ ولوكان فيه مساس بالدين ، اذ قررت النيابة فى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٧ أنه : يتضح أن غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتعدى على الدين ، بل أن العبارات الماسة بالدين التى أوردها ، فى بعض المواضع من كتابه ، **انما قد أوردها فى سبيل البحث العلمى ، مع اعتقاده أن بحثه يقتضيها** .. وانه من ذلك يكون القصد الجنائى غير متوفر ، فلذلك : تحفظ الاوراق اداريا .

كما أن السلطة التنفيذية العليا وقفت موقفا واضحا فى الدفاع عن مؤلف « فى الشعر الجاهلى » وان كان الكتاب قد صودر واخفى ، ولم يسمح له أن يرى النور ، وقدمت الترضيات الكتابية للغاضبين دينيا .

***

الخطوة الثانية ، أو القدم الثانية من خطوة التطور : —

وهى التى كانت بعد عشرين سنة من تسوية هذه الاولى ، **أو بعد بضع وعشرين سنة من بدئها .. وقد دارت الزمن دوراته ، وكانت عوامل فى حياة كلية الآداب عملت على الشعور بأن** القرآن ، وهو معجزة العربية ، ينبغى أن يدرس فيها درسا يلائم صفته البلاغية هذه ، كما تدرس كل لغة عيون أدبها .

وتتجه العناية الى درس القرآن درسا أدبيا ، ليست له صفة دينية ، وليس فيه اتجاه الى تقرير حقيقة دينية تعتقد بشأن هذا الكتاب ، فهو بمنزلته هذه العليا فى أدب العربية يعنى كل متكلم بها ، عربيا أو متعربا أن يدرسه ويتصل به ، ليفيد من صفته الادبية ، وليحلل هذا الاثر الادبى ، تحليلا يفيد من كل تقدم فى أساليب الدراسة الادبية المستحدثة

ويتأصل منهج هذا الفهم — أو التفسير — الادبى للقرآن ، ويتضح ، وتتهيأ له فرص التطبيق ، فى الدراسة العليا بالكلية ، ويختار غير واحد من الطلاب رسائل للماجستير والدكتوراه — فى جدل القرآن ، ووصف القرآن ، ونفسيات القرآن ، و .. و .. متأثرين فى ذلك بمثل ماقاله صاحب رسالة « الفن القصصى فى القرآن الكريم » بيانا لسبب جعله القرآن ميدان أبحاثه وأن ذلك يرجع الى أمور : « لعل أقدمها فى النفس هو ذلك الاستهواء ، الذى عمل على اذاعته فى نفسى درس أستاذنا (فلان) عن المنهج الادبى ، فى فهم القرآن ، وتفسيره ، فقد كانت تلك اللفتات تستقر فى نفسى استقرارا يجعلنى اتخيل انى أستطيع تمثل هذا المنهج والسير عليه » . .

***

وتعرض هذه الدراسة الادبية القرآنية

لما يعرض له القرآن من حديث عن الماضين فى قصصه الكثير ، ويشعر الباحث فى هذا القصص بان الاستاذ الامام قد مس تاريخية القرآن، بما أشرنا اليه قبل ، وان هذه الدراسة الادبية للقرآن قد مست ذلك فيقول ما معناه : وقد فتر « فلان » فترا أو شبر شعبرا بعد الامام فرأى أن القرآن يعمد عمدا الى اهمال مقومات التاريخ ، من تحديد الزمان والمكان وتسمية الاشخاص ، وتحديد معالم الحادث ، كما ترى فى مثل آية : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى » فالرجل مجهل ، والمدينة غير مسماه ، ومنزل الرجل منها مهمل الذكر ، وليس مع ذلك زمن معين .. وهكذا

وتعرض الرسالة لهذه الشئون عرضا مفصلا ، يمكن الرجوع اليه فى مكانه ، وكل مايعنينا هنا هو تطور الفكرة ، فى تناول القرآن للأحداث .. وجملة الرأى فى هذا العرض ربما لا تؤخذ متكاملة جلية ، من دراسة الفن القصصى ، لكنها بعد أحداث الموقعة الثانية ، أو القدم الثانية من خطوة التطور ـ قد تحددت تحددا أجلى وأبين ، هو التصفية الزمنية ، التى أشرت اليها ، صدر هذا الحديث ، وهى الحقيقة التى أضيفت الى اخواتها ، فى الميدان الادبى .

الفرق بين العرض التاريخى ، والعرض الادبى :

وجملة القول فى هذا ، بعد مافهم من عمد القرآن الى اهمال مقومات التاريخ ، من زمان ، ومكان ، وأشخاص ومعالم حادث ، اننا نستطيع أن نفهم بهذا طبيعة كل من التناولين ، وقوام كل من العرضين ، دون اطالة بيان ، أو اسراف فى التمثيل فنجد :

ان العرض التاريخى يتحرى الدقائق والتفصيل تحريا يستعين بكل ما يمكن من وسائل هذا التثبت النظرية ، والعملية التجريبية، ليبين ويؤكد مقومات التاريخ المعروفة ، ولو اخل بشىء من ذلك صغير أو كبير ، قليل أو كثير لمس سلامة العرض التاريخى ، ولا سيما فى منهج هذا العصر ، الذى يستفيد بكل تقدم ، فى أسباب المعرفة .. هذا هو العرض التاريخى ، الذى نستطيع أن نقول فى طمأنينة ان القرآن لايعمد اليه فيما يتناول من القصص .

وأما العرض الفنى ، فى أى فن من فنون القول الادبى ، الذى يتناول شيئا من التاريخ ، قصة كانت أوغيرها فانه ـ كما نعرف ـ يملك الى حد ما الاضافة بالزيادة ، والتنوير والبيان والتفسير للحادث التاريخى ، فوق ما عرفنا من أنه لا يعنى بشىء من التفاصيل الجزئية المشخصة للحادث ، والمصورة للشخصية التاريخية ، وكلما ابتعد عن هذه الجزئيات المفصلة ، استطاع رد الامر الى لون من الشمول والعموم ، يقرر معنى كليا عاما اجتماعيا أو فنيا ، يرتفع على الجزئية الزمانية والمكانية ، ويصل الى العاقبة الانسانية المشتركة الثابتة .. ودون تفصيل لذلك أو تمثيل ندرك أن المعنى الاجتماعى ، أو العملى ، أو النفسى يؤخذ من الحادث كلما ترفع على الجزئيات الصغيرة . فدلالة الثورة العرابية مثلا على الحياة المصرية الاجتماعية ، أو الاقتصادية ، أو الفنية ، لاتفهم واضحة الا اذا نظر منها الى ماوراء الفرديات الصغيرة للنفس ، والتعود

عنيه ، ورثى من ذلك المشخص العـــام للثائر ، والمغزى البعيد لنواياه ومراميه وكل غرق فى التفاصيل الصغيرة لأحداث هذه الثورة يخفى ملامح المبادىء العليا والمعانى الكبرى لها .

نعم .. انه لابد من تحقيق المؤرخ لهذه الجزئيات ليصح عرضه لكنه بعـد مايتم ذلك يتصدى العارض المتفنن لاجلاء المعانى العليا ، والخطوط الكبرى فى الصورة الحيوية ، بعيدا عن العناية بهذه الجزئيات الصغيرة ..

وهذا هو المعنى الـــذى تعاونت على تركيزه وتجليته تلك الظروف القاسية الجامحة التى تعرض لها كل محاولة تطورية . فالافتراءات والتحويلات ، والهجمـــات على قسوتها وشدة خسائرها . يكـون لها فضل التدقيق فى نقط الدفـــاع وميزة التفنن فى أساليب الايضـــاح وطرق البيان : وهكذا لايخـــلو شر من الخير .

وتهدأ العاصفة ، وتبقى الحقيقـــة ، ويذهب الاشخاص ، ويستقر الواقع ، وتفنى الاهواء ؛ ويكتب التـــاريخ .. وتنتهى القدم الثانية من خطوة التطور باتضاح المنهج وبيان أن العرض القرآنى للقصة أدبى لا يرجع اليه فى تاريخ ، ولا يمس ذلك من نظر أصحابه له ، وتقديرهم اياه بما يشاءون دون الموافقة أو المناقضة بينه وبـــين حقائق تثبتها التجربة ، ويقررها التـــاريخ القريب المنهج من العلم ، أو العلمى المنهج أخيرا

ومن أخبار هذه المعركة الثانية ، فى تطورنا الادبى مواضع للنظر الاجتماعى الذى يصور شبه الليلة بالبارحة ، واطراد القياس فى أحوال الناس .. لكن لامجال لشىء من هذا فى ذلك المقام .

مناهج تجديد

فى النحو والبلاغة ، والتفسير ، والأدب

بقلم

امين الخولى

تخرجه

دار المعرفة

القاهرة : ٥ شارع صبرى أبو علم

الروح الاشتراكية

في المثل الشعبي

« جنـــة من غير ناس ما تنـداس » هذا المثل الزراعى يعطى نمطا للفكرة الشعبية فى الريف. وحيث تكون الحضارة زراعية فان الحنين الى العلاقات الاجتماعية يكون حارا وعميقـــا ، ويبدأ الترابط الاجتماعى بالولاء للارض أولا ثم بالعلاقة الاسرية ثانيا ثم أهل القرية جميعا بعـد ذلك ، وتصبح العلاقة الاجتمـاعية فى الحضارة الزراعية لونا من العبـادة التى يحاط التفريط فيها بســـياج من اللوم والتقريع ثم تنهض المعتقدات الشـعبية لتحمي هذه العلاقات فى ظلال أخلاقيـات ومثل المجتمع . ولكننا عندما نصل الى العصر البرجوازى نجد أن الحكمة الشعبية قد بدأت تخلع ثيابها القديمة تماما لتبدأ فى التمهيد لفكرية جديدة تنبثق من روح وظروف وخصائص العصر « قالوا امتى تقوم القيامة يا جحا ، قال لما أموت أنا » وهذه الروح الفردية هى المظهر الاجتماعى للاقتصاد انفردى ونجد أن هذه النظـرة شاملة تسود شتى المراحل والمجتمعـات التى تعيش في ظلال نظام رأسمالى فمثلا عند ظهور البرجوازية فى أوربا وجدنا أن انعكاسات كثيرة لفلسفة هذه الطبقة تغمر جميع مظاهر الحياة الاخرى ففى المجـال الاقتصادى ظهرت نظرية الاقتصاد الحر على يد آدم سميث وفى الفلسفة وضحت الذاتية كمنهج وكنظرية للمعـــرفة وفى الادب ولدت الرومانسية .

وبهذا يتضح أن الوضـع الاقتصادى يضـــع ملامحه فوق جميـــع المظاهر الحياتية الاخرى ومن هنا يتضـــح أن المثل الشعبى وهو الوريث الفـــكرى لحضـــارة زراعية عريقـــة يحمـــل هو الآخر ملامح الروح الاقتصادية لطبيعة الحضارة الزراعية ويضرب بجذور عميقة فى التربة التاريخية داخل الكيان الثقافى الفكرى لهذه الحضارة . وأخصب هذه الملامح التى يتميز بها مثل الحضـــارة الزراعية هو الالحاح على الفكرة الاشتراكية وهذه الفـــكرة وليـــد شرعى للظروف القاسية التى كانت تعـــانيها الفئـات الشعبية المجهدة . ولكننا لا نستطيع فى نفس الوقت أن نؤكد أن الحضارة الزراعية هى فقط التى تدعو لتوثيـــق الروابط الاجتماعية تحت ظلال اشـتراكية فالذى لا شك فيه أن أعمق الروابط الانسانية هى تلك التى تحددها المصالح المشتركة والمصير المتحد فى المحيط الاجتماعى ولذا فاننا سنجد حتمـــا مظـــاهر الروح الاشتراكية لدى طبقة العمـــال فى المدن كما كانت لدى طبقة المزارعين فى القرى فهم جميعا ــ المزارعين والعمال ــ يتجهون الى التجمع تحت الاهداف الاشـــتراكية تحت ثقل الواقع المعقد الظـــالم والذى يجثم بلا رحمة فوق أكتافهم . وهم لذلك يندفعون فى تشابك حزين لمواجهة الهزيمة ومرارة الحياة « **عمر الوحدانى ما يكيد عدو** » ولكن هل معنى هذا أن الظروف الاجتماعية القاسية تسوق دائمـــا الى الاشتراكية فى الجهاد من أجل الحيـــاة ؟ وهل حقيقة تدفع الحضارة الزراعيـــة الى التفكير فى مصير اشتراكى ؟

فى المجتمع البرجوازى تسود النظرة الفردية الروح العامه للافراد لان طبيعـة بناء هذا المجتمع تعتمد الفرد القوى عماد نهضتها وتطرح الجهود فى السوق باسم الحرية ولكن الموقف سرعـان ما ينكشف عن تفوق القوى الاعظم والتى تملك من

الوسائل ما يمكنها من النجاح : وتحت ستائر كثيفة تتغير جغرافية المجتمع لتضع فى يد بعض الافراد الامور وقد تخفى هذه الستائر الكثيفة امراضا اجتماعية قاتلة ولكنها تدفع بأفراد قلائل الى الصدارة وقمة البناء الاجتماعى القائم وهؤلاء الذين وصلوا الى مقاعد مريحة وأغلقوا خزائنهم الخاصة بأحكام ، هؤلاء يقفون بعيدا ينفثون السيجار الفاخر « قال بيت أبوك اتهد قال خد لك منه قالب » « ما ينفعك الا نفسك » « مايبكى على الميت الا كفنه » « صباح الخير ياجارى انت فى دارك وأنا فى دارى » « قالوا ياجحا امتى تقوم القيامة قال لما أموت أنا » هذه النظرة التى تقيس الواقع الى الانا وتغلق الحقيقة على المشاعر الذاتية تجعله يعتقد أن العالم ينتهى بموته وهو بذلك الموضوعية ويتجاهل أن آثاره تظل متعلقة بمشاعر الآخرين الذين يعيشون بعده وتظل أعماله تمارس دورها فى علاقاتنا الاجتماعية لفترات طويلة ..

ولكنه كفرد يستثمر قواه الشخصية لمصلحته الذاتية ينظر بتأمل ورضى الى الكلمة التى تقول « أنا ومن بعدى الطوفان » ونحن نجد أنه الروح الاشتراكية تخجل تماما من الوقوف بباب هذا الانسان وكيف تدخل اليه وعلى بابه هذه الحكمة المريضة التى تشكل قانونا برجوازيا خطيرا « ان كان لك عند الكلب حاجة قل له يا سيدى » وبهذا يصبح الكلب هو سيد الرجل الذى يؤمن بذاته كقانون ، والذى يقف بعيدا مسلحا بقواه الخاصة لصالح نفسه فقط . من سلوكنا العادى نلاحظ أن الرجل الذى يرتدى معطفا تحت المطر وفى جيبه ما يغطى نفقات أمسيته الجميلة من مال وسجائر هذا الرجل لايحاول أن يلتفت الى يمينه الا ليبحث عن ضرورة ، ونجده لا يحاول كذلك توريط نفسه فى علاقة طارئة فى قاعة السينما او الاتوبيس مثلا هذه الظروف تخلق على السطح الاجتماعى أوضاعا منقسمة تماما فنجد فى اللوحة المقابلة لهذه اللوحة التى رسمناها للرجل البسيط الذى فقدت حياته أقدامها بل لقد فقدت المساحة التى تضع فيها أقدامها لو كان لها أقدام ، ولا يستطيع الحصول على سيقان خشبية يواصل بها رحلته الكئيبة تحت أمطار الواقع الظالم هذا الرجل يحس بحنين جارف الى الرفقة «خذ الرفيق قبل الطريق» الى الحب ، الى العلاقة الطيبة ، انه دائم البحث عن آخر يقف معه فى وجه الاعصار « القفة اللى لها ودنين يشيلوها اثنين » وحتى عندما يفرح هذا الرجل البسيط فانه يجهل فرديته تماما « ايد واحده ما تسقفش »

وهو ينظر فى علاقاته الى المستوى الذى يقف عليه ليخطط لمصير واحد مشترك مصير تشده جذور متينة الى أعماق غائرة فى التربة الاجتماعية « اللى يبص لفوق توجعه رقبته » ومن ثم فلابد من الارتباط بمستواه » وقد يؤدى العجز الجماعى أحيانا الى الانفراد ومواجهة الخطر بوحدانية يائسة من الجماعة « جيتك يا عبد المعين تعينى لقيتك يا عبد المعين تنعان» «اشكى لمين وكل الناس مجاريح» وهذا العجز قد يفضى الى حلول فردية وتأكيدا للحكمة العربية القائلة :

ما حك جلدك مثل ظفرك
فتول أنت جميع أمرك.

والمثل الشعبى يشكل خلفية فكرية لهذا السلوك الذى يفضى به العجز الجماعى « حمارتك العرجه أحسن من فرس أخوك السليم » وهكذا نجد أن ضحايا النظام الفوقى يلجئون الى الانفراد عندما يحسون بالعجز الجماعى فى بعض مراحل الفتور ولكن الوعى لدى رجل المدينة ومعرفته بوسائل أكثر ايجابية تجعله يفكر بطريقة أكثر نضجا « الى ما يقدر عليه القدوم يقدر عليه المنشار » ونجد أن المرحلة البرجوازية عامة أنضج وأكثر تقدما فى وسائلها ووعيها . أما فى الريف

فان مظاهر الروح الاشتراكية تتفق وطبيعة الحضارة الزراعية ، هناك حيث لا تقوم السلطات المدنية بنفس المهام التى تقوم بها فى المدينة ولذا نجد أن الرجل الريفى يحس أنه أحوج الى الآخر

وفى الحياة الريفية مظاهر كثيرة لهذه الاشتراكيه ولناخذ حدثا ما كالحريق مثلا فالنار فى العزبة هتاف مجلجل تدعو به الناس الى مظاهرة اجتماعية قد يكون التعاون عصبها الاساسى ونجد أن الآخر يقوم بدور البطولة الحقيقية فى مواقف كثيرة عند الريفيين فهو فى الطريق ضرورة ملحة وفى حالات الوفاة هو الذى يقوم بمراسيم الدفن والعزاء وفى الاخطار يستظلون بالحكمة القائلة « البركة فى اللمة » وعندما يجلسون للطعام « البركة فى كتر الايادى » والحاجة الى الآخر منبعثة أساسا من الضرورة التى تكتسح تاريخنا منذ وقفة الانسان المصرى فى وجه صعوبات حياته الاولى فوق هذه الارض : ضرورة التخلص من مستبد خارجى، ضرورة الحصول على لقمة العيش ، ضرورة النضال ضد فساد داخلى وهذه الضرورات هى التى تجمع الطبقات الشعبية نسق واحد لتجرهم الى التلاحق فى مواجهة خطر البيئة والنظام . وهى أيضا التى تعطينا مفتاح العلاقات الفردية التى تدفع الى اساءة الظن بالغير ، هذه الضرورة تحث على التكاتف وتدفع أحيانا الى الاحتيال على الظروف فتخرج الحشرات الضارة لتمارس فعلا قاتلا فى أعضاء المجتمع فيتسلق الغش والخداع والكذب والرشوة والاثرة هذى الامراض القاتلة التى تقيم الستائر السوداء على العلاقات الاجتماعية وقد تكلم المثل على لسان الاشياء عن هذه الضرورات « مسمار دخل فى الخشب فلقه قال له مانتاش شايف الدق فوق راسى » والذى يدق فوق رءوسنا جميعا هو ظروفنا الاجتماعية ومن هنا يأتى الجواب على السؤال الذى طرحته منذ زمن طويل فى هذا المقال وهو هل تفضى الحضارة الزراعية الى الروح الاشتراكية، ان الجواب نعم لان ظروف القهر والفقر ظروف تبحث عن متكآت تتساند عليها وعن وحده تجمع أشلاءها ولكن الظروف الاجتماعية تنتج خلال تفاعلها ظروفا تفرق هذا الاتحاد من خلال نفس الضرورة وهى قد تدفعنا الى سوء الظن بالغير .

والمثل الشعبى يلعن هذه الضرورة فى حزن مرير « لاجل الضرورة أروح للندل البيت وأقول له العفو يا سيدى أشيل مدارسه وأمسح تراب لجليه » وهى أى الضرورة تدفع كذلك الى التسلل الاجتماعى وتحت طرقاتها الموجعة يظل المسمار يواصل دخوله فى الخشب ونجد أن الفردية الشعبية ليست منبثقة عن ارادة فى الانفراد انها ليست سليقة يمارسها الفكر الشعبى عن طيب خاطر كما هو حال البرجوازى الذى يشعر بالامتلاء وبالتالى بنوع من الاستعلاء تمليه أنانيه الاقتصاد الحر . ان البرجوازى ينفرد ليأخذ لا ليمنح أما القواعد الشعبية فتجثو أمام الضرورة الطاغية : ودور المثل فى هذه الحالات ليس هو دور الفلسفة التى تحاول أن تبنى المدن الفاضلة ورسم الوسائل وتخطيط المجتمع فالفلسفة هى النظرة الفوقية للواقع وليس دور المثل هو دور الفن الذى يرسمه الواقع من خلال محاولة للارتقاء به ولا هو دور العلم الذى يكتشف وسائل السيطرة على البيئة والاشياء ولكن دوره هو تقرير حقائق الحياة دون تبرير انه يقرر تقريرا فكريا حزينا هذا الواقع بكل قسوته وخشونته وهو يستخدم التكتيك الفنى فى أداء وظيفته كان يعبر عن العام من خلال الجزئى ويستخدم الرمز والاستعارة والكناية الى آخر ما جاء فى مصطلحات علم البلاغة التقليدية ومن هنا كان المثل لحنا جنائزيا جليلا عندما يواجه مصير الجماعات « اشكى لى وأنا أبكى لك » يعنى تماما موقف الآخرين « أشكى لمين وكل الناس مجاريح » والمثل لا يلجأ الى

النظريات العلمية لفهم هذا الواقع وانما يستقي هذا الفهم من وثائق نفسية وذهنية للشعائر والمعتقدات والتقاليد الشعبية وهو يلجأ الى التعميم والتجريد عندما يواجه موقفا صعبا فيعتقد في ضبابية غامضة وتحد يائس أن العالم بكل من فيه يقف جبهة واحدة لمواجهته وتضيع خلال هذه الضبابية الملامح الحقيقية للمتهم المسئول ، والذى لا شك فيه أن الافكار التى كانت توحى بفساد البشر وانحطاط الطبيعة البشرية وسقوط الانسان الخالد وبأنها اتخذت من الازل شريعة الغاب سليقة وفطرة ، هذه النظرة الميتافيزيقية للكون هى التى جعلت المثل الشعبى يلجأ الى الظن السيىء بالناس وبالجيران « أنا رحت الغيط حرست جارى سرق البرسيم وخد حمارى » رغم أن هذا الجار فى موقف آخر هو أول من يعينه عندما يصيبه مكروه « قبل ما أقول يا أهلى يكونوا جيرانى غاتونى » وهذا التآخى فى المثل الشعبى بين النظرة الفردية والنظرة الاشتراكية تكشف عن تطور المثل نفسه وصدقه فى التعبير عن مراحل مختلفة مر بها مجتمعة وتعطى دلالات التخبط فى الاتهام عندما يكون الموقف ميتافيزيقيا وتقول ان العدو مختبىء خلف آلاف المعاذير من قضاء وقدر مما تفضى الى التعلق المريض بالصبر والتواكل .

أن الايدى القذرة التى تعقد حياة شعبنا تضيع فى الزحام أمام نظر الحكمة الشعبية « اضرب البرىء يخاف الفاعل » وهذا هو الطيش عينه ومنطق السيطرة الغاشمة ، ان الحكمة تبحث عن متهم ولكنها للاسف تلجأ للتعميم المطلق ومن ثم تضع فى النهاية الآدمى بشكل مجرد هو المتهم وراء حوادث حياته الاليمة فتسىء الحكمة به الظن « ازرع ابن آدم يقلعك » « ربى ازون المال ينفعك وربى ابن آدم يقلعك » ثم يفضى هذا الظن السيىء الى الانطواء واللامشاركة « أردب ما هو لك ما تحضر كيله تتعفر دقنك وينوبك شيله »

ولكننا نجد الحكمة الشعبية تصفو وترق عندما تكف الظروف السيئة عن توجيه مصائر الناس « ان صفت النية اللقمة تكفى ميه » « جحر ديب يسع ميت حبيب » ومهما قلنا ان الحكمة قد تضل طريقها تحت ظروف غير عادلة فتغفل عن المتهم الحقيقى وتحمل اللعنة الميتافيزيقية بسقوط الانسان فانها رغم ذلك تحمل جنينا باهر الضوء هو ايجابية الحياة وثوريتها وتطورها الخالق « الدنيا دولاب دايز » والحكمة الشعبية تبلغ رشدها الحقيقى عندما تحس بأنفاس كثيرة تتردد داخلها فتهتف مخلصة كأم طيبة « أطلب لجارك الخير ان مانلت منه تكتفى شره » « اعمل المعروف وارميه البحر » « خد لك من كل بلد صاحب ولا تاخد من كل اقليم عدو » وعندما تعبر الحكمة عن الروح الاشتراكية عند شعبنا فهى تصدر فطرية لتنقل سليقة الحضارة الزراعية اذ أن هذه الروح تنبثق من حياة هذا الشعب ومن ظروف عمله التاريخى وهو علاقته بالارض ونستطيع أن ندعوها ظروفا تعاونية .

وحقيقة ان ظروف الحضارة الزراعيه هى ظروف تعاونية دائما حيث نجد المرأة الريفية تستعير من جاراتها آنية الطبخ وأدوات الطعام حتى الخبز أحيانا عندما تلجئها ظروفها لذلك وهذا التعاون ابن مخلص للضرورة المجنحة التى بثت إصابعها فى وجودنا من قرون طويلة وهو أيضا منبثق من طبيعة الامكانيات العاجزة والناقصة الى حد كبير على مدى تاريخنا الشعبى وهذه الروح التعاونية هى التى أوحت بهذه الحكمة « اللى ياكل لوحده يزور » « الكترة تغلب الشجاعة » فحياتنا منذ القدم كانت مندفعة بحماس وطيبة نحو تغطية عجزها فهى تستخدم كل الوسائل فى مجالها لان « النواية تسند الزير » وهذه الروح التعاونية الزراعية لم تكن قد اعترفت بعد بالاخلاق الفردية البرجوازية التى ظهرت حديثا عندما قالت هذا المثل

« اعمل المعروف وارميه البحر »

لكن ما هى طبيعة هذه الاشتراكية الشعبية التى تسود تاريخنا الزراعى ؟ انها ليست بالتأكيد الاشتراكية العلمية التى تهدف الى وضع الثروة القومية فى يد المجتمع ولخدمته حتى تستطيع تحقيق عدالة اجتماعية عامله ، وانما نستطيع أن نسميها اشتراكية أخلاقية ، اشتراكية التعاون والضمير فى خلال الرحمة والحب والامر بالمعروف والصدقة ومن ثم فالفهم الاشتراكى الشعبى كان من تصميم أخلاق وضعيه فى خدمة الطبقات العليا اشتراكيه مؤسسة بعيدا عن التوزيع العادل للثروة وبعيدا عن الحقوق المشروعة للفرد وانما هى الاشتراكية التى خلقها قانون أخلاقي فى الحدود الضيقة لامكانيات عاجزة لدى الطبقات الدنيا وبهذا يختلف هذا الفهم عن فهم آخر نابع من القوانين العلمية للدراسات الاقتصادية العميقة ومن النظريات الاجتماعية التى تعالج طبيعة المجتمعات الانسانية ولكنها اشتراكية نابعة مباشرة من الافكار الرجعية وهى كذلك تعكس الفكر الرجعى الاقطاعى بكل أوزاره وتهالكه وفشله وتعكس طريقة حله للمشاكل حيث يعتمد على الاخلاق الذاتية أكثر من اعتماده على الوسائل العلمية وهو أى الفكر الرجعى بمنهجه العقيم يرفض الاعمال الثورية كطريق لتسويه عادلة للخلافات الطبقية بل نجده يناضل ضد أى عمل ثورى يقاوم الاحتكار أو الاقطاع وهذا الفهم بدون شك فهم متخلف جدا وهو نفس منطق الاشتراكية الريفية التى لا تؤسسها النظريات الاقتصادية والفلسفية بقدر ما ترقع الاخلاق وحدها عمادها ومن ثم نجدها اشتراكية بسيطة لا تصلح أساسا لحل اجتماعى دائم خاصة بعد ظهور المجتمع البرجوازى المعقد أصبحت اشتراكية الزكاة والضمير هذه مومياء لا يحفل بها الفكر العلمى المتقدم .

ولعل ظروف الارتباط بالارض قد ساهمت الى حد كبير فى تأسيس هذه الاشتراكية الاخلاقية اذ أن التجمهر ضد الظالم المغتصب لم يتم الا نادرا جدا وكانت الاغلبية تأخذ على عاتقها مهمة خلق وسائل معزيه ولبث روح العطف بين أفراد الفئات المقهورة وهى بهذا المعنى ربما كانت شكلا بدائيا جدا لمواجهة الظلم والفاقة ومن الممكن تسميتها اشتراكية الاحتجاج الاخلاقى الصامت ضد الموقف الاقطاعى العام « ايد على ايد تساعد » وهذه الاشتراكية التى تحمل وعيا غير منظم للواقع تفضى فى النهاية الى العزلة عندما تتعدد مطالب الحياة وتتعقد الوسائل اليها وتسد على الأنا فرصة التفكير فى الآخر ، ومن هنا أصبح الفرد مهيأ فى عصر البرجوازية للشعور بوحدانية فى النضال من أجل لقمة العيش وبالتالى تجره هذه الوحدانية الى اليأس حتى تدركه وسائل التفكير العلمى المنظم لتنقذ ذاكرته وتسوقه الى حل رشيد ، وفى عصرنا عصر ظهور الطبقة البرجوازية تعانى الاسرة الريفية تصدعا شديدا لانها تحت الظروف المنقسمة الجديدة ونجد أفراد الاسرة الواحدة قد سلكوا طرقا مختلفة أدت الى مصائر متفاوتة أيضا وظهور طبقات من الاثرياء داخل أشكال هرمية للاسرة نتيجة للزحف الهائل الذى تقوم به الطبقة المتوسطة المتسعة . هذا الوضع أدى الى تفكك أسرى كان الطابع المميز لطبيعة الحضارة الزراعية التى قدست القبيلة كشكل اجتماعى أول لها وبالتالى أدى هذا الوضع الى عدم التصور القديم للعلاقة الاسرية .

ونجد كذلك ملامح هذه الظاهرة لدى طبقة الموظفين القادمين من القرى فهم سرعان ما ينسون قريتهم بمجرد وصولهم على مناصب تكفل لهم الاقامة المريحة فى ظلال مرتبات مناسبة وأنا لا أدعو هؤلاء للاهتمام بقراهم والا فرضت حلا ذاتيا للمشكلة ولكننى فقط أشير الى اشتراك ملامح التغير الذى

صاحب ظهـــور الطبقة المتوسطة على شكل أكثر اتساعا من عشر ســـنوات مثـــلا وزيادة فى الايضـــاح ليس الانقســـام الـــذى حدث داخل الاسر عائدا الى مطلق غنى وفقير بل ان الروح البرجوازية نفسها بدأت تؤسس أخلاقيات جديدة ونفسيات طبيعة الاقتصـــاد البرجوازى وهو اقتصاد مزدوى وبالتالى يعطى علاقات اجتماعية تحمـــل نفس ...ص وفى هذه المراحل الانتقـــالية تعانى المفاهيم الرجعية الساذجة تحطيما على يد المبادىء الوافدة بدماء جديدة مع التطور الحضارى ولذا كان على المجتمع الذى أساء الظن كثيرا بالغير أن يبحث عن بديل للاشتراكية الفاشلة التى تمنح الواقع نصائح لا حلولاعلمية وهذا البديل لن يكون غير منهج علمى يعترف بالحق والعمل كأساس للعدالة الاجتماعية ٠وبذا نستطيع أن نقرر أنه الظروف الاجتماعية لشعبنا كانت تقضى به اما الى اشتراكية أخلاقية فاشلة واما الى انفرادية وسوء ظن بالآخرين وكلا الامرين قد بدأ فى التحول عندما ظهرت الطلائع الاولى لمجتمع غير زراعى وظهرت مبادىء اقتصاد جديد وهيأت نفسها لتغيير زيها الحضارى من ثياب خضراء ريفية تماما الى ثياب زرقاء عمالية ونستطيع أن نقول أنه المثـل وهو منطق الفعل المصرى الهادىء التصور لم يكن فى وسعه أن يقدم النمط الفـكرى لبطولة اشتراكية خالصة فى بعض مراحل النضال الشعبى ولا يمكن كذلك الغاء الرفعات الثورية الهائلة العميقة المكتسحة كمرحلة عودة الروح ٠

ولا شك أن التراكم الكمى للاحداث كان ينتهى بانفجار مروع فى القـواعد الشـــعبية كما فى ثـــورة عرابى ولكن المثـــل وهو المنطق الهـــادىء كان يمتص جـــرعات وافـــرة من الاخلاق التقليدية للمجتمع الاقطـــاعى ولذلك لا أحب التحايل فى سبيل اثبات معجزات لم تقع وغير موضوعية للكفاح الشعبى ٠ ولا أحب أن أتجـــاهل الواقع الحى بل ان اعتماد الواقع كمصـــدر من مصادر صياغة النظرية هو الواقع الذى يعصمها عن الاسراف والادعاء ٠

والواقع الحى يؤمن بجدلية الحـــركة التاريخية بالتراكم الكمى للاحداث ولذا فان المـد الثـــورى هو نتيجة مباشرة لتخلفات ضخمة فى اللاواعى الجمـــاعى وللوصول الى نقطة يضيع فيها الهـــدوء والاتزان ، وأخيرا نحب أن نقـــول ان الاشـــتراكية فى المثـــل الشعبى قد أفسحت المجال لاشتراكية العـــدالة الاجتماعية وهى التى تعـــالج أمراض المجتمع ٠٠ أمراض المجتمع البرجوازى لا الاقطاعى وهى التى ستقضى حتمـــا على اشتراكية الزكاة والضمير والاخـــلاق لتضع العمل وتكافؤ الفرص وتســـاوى الحقوق الانسانية فى لوحة الانســـان الحديث ٠ أن التاريخ يضع المولود الجديد فى بلادنا بوجه جـــديد ، بوجه علمى واضح ، وليس بوجه مسرف فى الغموض وهو يضع أيدينا على قيم اشتراكية جديدة « حط ايدك على عينك زى ما بتوجعـــك توجع غيرك » « الكل ولاد تسعه » وهكذا نصل الى مساواة مطلقة ٠

فى

دار الأمـــاة

٥٨ شارع الجمهورية — ت ٤٥٢٧٥

الاجتماع الاسبوعى

يوم الأحد الساعة ٦ مساء

الطريقة الكلية في تعليم الرجاء

وجنايتها على اللغة العربية

ان اللغة العربية التى كانت لغة التخاطب فى بلاد العرب ، من نحو عشرين قرنا ، لاتزال مفهومة لدى السواد الاعظم من أبناء العرب فى جميع أقطارهم ، وان لم يتكلموها فصيحة معربة لغلبة العامية على الفصحى فى لغة الحديث .

على أن العامية ليست بعيدة عن الفصحى ولا تختلف عنها كثيرا الا فى اغفال الاعراب وتحريف التصريف ، والتأخير والتقديم فى بعض التراكيب .

أما اللغات القديمة التى كانت تعاصر اللغة العربية قبل الميلاد وبعده ، فقد بادت وانتهى أمرها ، ولا يستعملها اليوم الا نفر قليل من العلماء والباحثين عن الآثار .

ولا شك ان بقاء العربية حية على تطاول القرون ، انما يرجع الى أنها من أقوم لغات الدنيا ، وأسهلها تعلما وتعليما ، لو عرفنا اليوم كيف نعلمها على الوجوه التى تلائم خصائصها ومميزاتها ، ولكنا فى السنين الاخيرة قد اخذنا نعلمها بطرق فاسدة ومناهج خاطئة ، وبكتب تعطل مدارك الاطفال وتشاط قواهم العقلية ، مما يزعمون أنها من وحى «السيكولوجيا» ، التى لا تخطىء ولا تكذب .

واذا كانت السيكولوجيا لاتخطىء فالذين يدعونها اذن هم الذين أخطأوا وأساءوا التطبيق ، ودليل ذلك ماصنعت تلك المؤلفات بتلاميذ المرحلة الابتدائية من جهل وأمية .

كما أصابت بقية المراحل بالامراض المزمنة وان ما سيبنى على الاساس الواهى الضعيف ، سيكون بناء ضعيفا متداعيا .

ويرجع تاريخ ماأصاب تعليم اللغة العربية الى الايام التى أنشىء فيها معهد التربية للمعلمين ، فمن هذا اليوم فرض رجال هذا المعهد وصايتهم على رجال اللغة العربية من دارسين وأزهريين بحجة أن عقليتهم فى التعليم تمثل مخلفات القرون الوسطى ، وأعطيت لرجال المعهد سلطة التشريع والتنفيذ فى كل مايتعلق بتعليم اللغة من طرق ومناهج .

ولما كان هؤلاء القوم بعيدين عن اللغة العربية ، فقد سارعوا فى طرقهم التربوية ومناهجهم التعليمية على غير هدى وما أذكر أنهم أصابوا على كثرة ما جربوا وغيروا .

لقد جعلوا من مدارس الدولة كلها حقلا لتجاربهم ، فكان لهم فى كل عام طريقة جديدة ، ومنهج جديد ، فساد

مافشلت طريقة المشروعات جاءوا بطريقة البطاقات ، فاذا ماكان الفشل جاءوا بطريقة الوحدات .

وأخيرا يستقرون عند الطريقة الكلية في تعليم الهجاء ، وقد أنجبت هذه الطريقة التوأمين المحظوظين : شرشر العجيب ، وفلفل النجيب !!

لقد فرضت هذه الطريقة التي عبثت بخصائص اللغة ، على أبناء الاقليم الجنوبي من سبع سنوات ، استمر في أثنائها صراخ مائة ألف معلم يلعنونها كل صباح واستمرت كذلك شكوى الملايين الآباء من تلك الطريقة التي تفرض على أبنائهم الامية الكاملة .

وفي تلك السنين التي تتابعت ضاع مستقبل الملايين من أبناء الشعب ، وضاع تبعا لذلك عشرات الملايين من الجنيهات التي ذهبت سدى في سبيل تعليم يخرج الاميين ، ولم يتخلص من الامية منهم الا الذين تعلموا اللغة العربية في السوق السوداء ، أي في منازلهم وبمدرسين خصوصيين لايؤمنون بسيكولوجية التعلم الامريكية ، التي يستند اليها المعهد في وجوده ، ومنها يستمد علمه الذي سبب ذلك كله

***

ولقد استطاع أصحاب الطريقة الكلية في هذا العام أن يخدعوا الجميع فأعلنوا أنهم قد الغوا (شرشر وفلفل) فكانت لذلك الاعلان رنة فرح ، ولكن خاب فأل الناس وغمرهم اليأس ، عندما رأوا الكتب الجديدة (نحن نقرأ ، وتعال نقرأ) هي بعينها صورة منكرة لكتاب شرشر وفلفل وأشقائهما ، ولا تمتاز الا بكثرة التعقيد ، وفداحة الثمن الذي تبيعها به دار المعارف لحساب أصحابها

ومن أعجب ماكان أن الذين اشتركوا في تأليف الكتب الجديدة هم أنفسهم أصحاب شرشر وفلفل ، وعلة ذلك أنهم حينما رأوا ازدياد سخط الناس على (ماركة شرشر) غيروا (ماركة الصنف) ولم يتغير شيء مما كان منذ سبع سنوات !

وأزمة التعليم عندنا تتمثل في صورتين :

(١) الاحتكار لتأليف بيع الكتب المدرسية ، التي يحتكرها مع الاسف رجال يشرعون للتعليم ، ثم يتاجرون بالذي شرعوه ؟!

(٢) الاستعمار الثقافي الذي يتنقل لتعليم أسوأ مافي الغرب من طرق تعليمية ، وأساليب تربوية .

ولقد رددت القول في هذا منذ بضع سنوات وسمعه كبار رجال اللغة العربية .

الطريقة الكلية في الميزان

لايزال هؤلاء الذين فرضوا محنة تعليم الهجاء بالطريقة الكلية والجمل المصورة ، يذيعون أن طريقتهم لاعيب فيها ، وانها تستند الى أسس علمية ونظريات سيكولوجية ، وان هذا الفشل الذي صاحبها انما يرجع الى تلك العقول المتحجرة ، عقول مائة ألف معلم لم يستطيعوا فهم الطريقة الكلية على الرغم مما انفقته الدولة من ملايين الجنيهات

لتثقيفهم وتدريبهم عليها ، ولكن لم ينفع فيهم تدريب وعلى كثرة الذين عارضوا هذه الطريقة أو سخطوا عليها من سوء نتائجها ، فان أحدا منهم لم يحاول أن يهدم أصولها من الناحية السيكولوجية .

ولقد استطاع أصحاب هذه الطريقة أن يوهموا ويخيلوا أن (السيكولوجيا) من علوم ماوراء الطبيعة كاللاهوت والكهنوت لايفهمها حق الفهم الا كل دكتور (سيكولوجيست) أودرعمى (بيداجوجيست) فهم دون سواهم مهبط وحيها ، والذين تتنزل عليهم رسالتها

والآن نريد أن نناقش هؤلاء فى النظريات الفلسفية التى يستندون اليها عند الدفاع عن طريقهم .

(١)

قالوا : أن من طبيعة سلوك العقل فى الادراك ، أن يدرك الكليات قبل أن يدرك الاجزاء والتفاصيل ، والتعليم يجب أن يتبع سلوك العقل فى الادراك واذن فينبغى فى تعليم الهجاء ـ البدء بعرض الجمل المعروفة لدى الاطفال حتى يدركوا دلالتها بسرعة ، وأما الحروف الهجائية ، فيجب أن يؤخر تعليمها فترة طويلة من العام الدراسى حتى يتكون لدى الاطفال رصيد كاف من الجمل ...

وسلوك العقل فى ادراك الكليات قبل الجزئيات ـ أمر لا نزاع فيه . والنظرية سليمة لا جدال فيها ، ولكن تطبيقها هو الخطأ ، لأن مجالها وميدانها هو (الادراك) لا التعليم ، وفرق بين الادراك والتعلم ، لأن الادراك هو انطباع الصور الخارجية فى الذهن باحدى الحواس ، أما التعلم فهو محاولات عملية تتكرر مرارا بواسطة عضو من أعضاء الجسم كاليد والرجل واللسان .

أى أن الادراك من أعمال العقل وانطباعاته ، أما التعليم فخاص باعضاء الجسم بقيادة العقل وارشاده .

ثم نسأل أصحاب الطريقة الكلية : هل اللغة بالنسبة للبادئين فى تعلمها (مدركات عقلية) كما تقولون ؟ أم أنها صناعة قولية باللسان ، وكتابية باليد ؟ كاية صناعة من الصناعات اليدوية أو الآلية ؟

والصناعات كما يعرف ذلك أصحاب الصناعات والحرف ، لابد فى تعلمها من المرانة المتكررة على التركيب والتأليف (لاعلى مجرد الادراك الكلى) والتركيب والتأليف لايكون الا بعد معرفة المقررات لاستخدامها فى تكوين أى مصنوع كلاما أو غيره .

واذن فتعلم اللغة العربية لابد أن يسير فى خطوات مرتبة ترتيبا تصاعديا

أولها : معرفة الحروف الهجائية أولا بأسمائها ، ثم بحركاتها القصيرة والطويلة تصويتا باللسان وكتابة باليد لأن الحروف الهجائية هى المواد الاولى لتكوين الوحدات الاولى من اللغة وهى الكلمات أما الخطوة الثانية بعد صناعة الكلمات فهى تكوين الجمل .

ومعنى هذا أن البدء فى تعليم الهجاء بعرض الجمل على اطفال هو خطأ لغوى وعقلى معا ، وانه شبيه بعرض الابواب والنوافذ على من يريد تعلم النجارة ، وشبيه بعرض المبانى على من يريد تعلم صناعة البناء ، وشبيه بعرض صنوف

من الاحذية على من يريد تعلم صناعة الاحذية. وهل تختلف طريقة تعليم اللغة عن طريقة تعلم أية صناعة من الصناعات

ولما كان لكل صناعة الاتها الخاصة بها ـ فان اللغة آلاتها كذلك والآلة التى تصنع اللغة قولا هى اللسان ، والآله التى تصنعها كتابة هى القلم ، وهاتان الآلتان لابد من استخدامهما معا على أوسع مدى عند صناعة الحروف أو الجمل ، حتى ترتبط الصور الصوتية بالصور الكتابية أوثق ارتباط ، لان كل واحدة منهما انما هى بديل من الآخر وتحل محلها عند غيابها ، وكل منهما تعكس فى مرآتها صورة الاخرى ، فالصورة الكتابية تنعكس على لسان القارئ صورة صوتية والصورة الصوتية تنعكس على قلم الكاتب صورة كتابية .

وتعلم اللغة يسير متعثرا مالم ترتبط من المبدأ ، وفى سائر الخطوات صناعة القراءة ، بصناعة الكتابة .

وأحدث كتب الهجاء الامريكية التى عرضت فى المعرض الذى أقامته السفارة الامريكية فى القاهرة سنة ١٩٥٨ للكتب المدرسية ـ تتبع طريقة ربط القراءة بالكتابة فى كراسات واحدة ، فكل دروس الهجاء فيها متروك تحتها سطور بيضاء لكتابة الحروف والكلمات والجمل التى تعرض فى الدروس

***

وكما ان لكل صناعة قوالبها التى يصنع الانسان على مثالها ما شاء من الامثلة ، فان للغة العربية قوالبها التى اذا أجيد صناعة أى قالب منها فانه يصبح من السهل ان يصنع المتعلم على مثاله من غير خطأ فى الصوت ولا فى الكتابة العشرات والمئات من الامثلة ، واشهر قوالب اللغة صور تعريف الاقعال وصور التضعيف والتعريف والتنكير .

وأما الطريقة الكلية فلا تقدر أى شىء من هذه الخصائص اللغوية ، بل ان منهجها قد هدم الخصائص الضرورية للغة واكتفى بعرض جمل مصورة ، فيقرأ الاطفال مدلول الصورة من غير أن يعرفوا نطق الكلمات اذا فصلت عن الصورة ، أو تغيرت دلالتها عندما تحرك حروفها بحركات مختلفة .

ولقد غاب عن هؤلاء السادة أن الكتابة العربية كتابة مختزلة على معنى أن كل حرف من الحروف العربية له عدة صور صوتية ، عندما يحرك بالحركات القصيرة أو الطويلة ، وعندما يضعف وينون ويسكن ، وكل هذه العصور الصوتية للحرف الواحد هى التى تعين الدلالات المعنوية للرمز الكتابى الواحد ، مثل كلمة (علم) .

تقول : علم بالقلم ، وعلم بلادى ، وعلم فلان الخبر ، وعلم الخبر ، وعلم الحساب

واذا كانت الطريقة الكلية قد نجحت فى اللغات الاخرى فمرجع ذلك الى أن الكلمة فى اللغات الاجنبية لها صورة كتابية واحدة موافقة لصورتها الصوتية واذن يكون اقتباس الطريقة الكلية من اللغات الاوربية اقتباسا خاطئا لم تراع فيه الفروق الاساسية بين الكتابة العربية الرمزية المختزلة ، وبين الكتابة الاجنبية التى تجمع فى صورة واحدة بين حروف الصوت وحروف الحركة (الشكل)

ثم ان هناك سببا آخر يجعل احتمال نجاح الطريقة الكلية مرجوا فى اللغات الاجنبية ، وهذا السبب هو أن حروف المطبعة فى اللغات الاجنبية ـ حروف

مفرقة ، فكل كلمة مركبة من عدد معين من الحروف ، منفصل كل منها عن الآخر وهذه الطريقة تجعل عملية التحلل مقارنة لعملية التركيب فى التعلم ، فكل كلمة يتم تعرفها جملة كما يتم تعرفها حرفا متتابعة أما الكلمات فى المطبعة العربية فتارة تكون ممزقة الحروف مثل : وزن وزرع ، وتارة تكون متصلة الحروف مثل : علم وجهل ، وتارة تجمع بين التمزيق والتجميع مثل : أدرياتيك ، وموزنبيق

(٢)

قالوا : انه ثبت من التحليل العقلى لعمليات القراءة أن (القارىء) يدرك الجملة ككل ، وقلما يتنبه الى مافيها من زيادة حرف أو نقص آخر ، الا اذا أعاد النظر والتأمل ، وهذا كلام لاشك فيه ، وتفسيره أن طريقة العقل فى الادراك تعتمد على استحضار مافى العقل من صور سابقة لهذا الشيء الواقع تحت حسه ، وبالمقابلة بين مافى الخارج ومافى الذهن من صور يتم التعرف عند المطابقة ، أو الانكار عند المخالفة . فهل الطفل فى هذه الحالة (قارىء) وهل فى ذهنه صور سابقة لما يراه مكتوبا أمامه ؟ أم انه فى سبيل أن يتعلم أشياء جديدة لم يسبق له أن سجل فى ذاكرته أية صورة عنها ، ان مثله فى هذه الحالة كمثلنا نحن عندما نرى جملة مكتوبة باللغة الصينية ، تحاول أن تتعرف على صورتها الكلية بصعوبة ، ولا نرى الفروق التى تميزها عن غيرها من الجمل التى تشبهها فى الصورة الكلية ..

وهذه الظاهرة العقلية توقع الاطفال الذين يعلمون القراءة بالطريقة الكلية ،

فى بلبلة فكرية أمام جميع الكلمات التى تتشابه صورها الكلية ، مثل كلمة : شرشر ، وشرشور ، وشرارة ، وكلمة نط ، وبط ، وفط وقط ، ولو أننا رجعنا الى الطريقة الطبيعية فى تعليم الهجاء فبدأنا بالحروف وركبنا منها الكلمات ، لما وقع الاطفال فى مثل هذه الحيرة ، ولاستطاعوا بسهولة أن يعرفوا أن هذه الكلمات وان تشابهت فى الصور الكلية الا ان لكل منها صوتها ودلالتها

(٣)

يقول دكتور الطريقة الكلية فى كتاب (اللغة والفكر) للتدليل على صحة طريقته: «ان الادراك والتعلم شيء واحد»

وهذا القول لم يسبقه اليه انسان قبله ، اذ المعروف ان الادراك من أعمال العقل ، والتعلم من أعمال الجوارح والادراك عبارة عن انطباع الصور الخارجية فى الذهن ، كانطباع الصور الفتوغرافية فى (الفلم) ، وهو أمر يتم فى واحد على ألف من الثانية أما التعلم فهو محاولة وتكرار للقيام بعمل جسمانى كالقراءة باللسان والكتابة باليد مثلا

والطفل عندما يحاول أن يتعلم قراءة وزن مثلا ، فانه يبذل مجهودا كبيرا لاستحضار الصورة الصوتية للواو وحركتها ، من ذاكرته ، ثم يحرك لسانه بالصوت فينطقه ، ثم يكرر هذا العمل مع الزاى والنون على التتابع ، فاذا اكمل صوت الكلمة كلها ، عاد فردده دفعة واحدة ، ليتم انطباعه على لسانه ويسهل بعد ذلك استعادته سهلا يسيرا . وأما تعلم الكتابة ، فانه يعنى الطفل بذل مجهود شاق لمحاكاة [illegible]

كل حرف على حدة بالقلم ، وقلما يحسن الطفل فى المرة الاولى المحاكاة والتقليد فياخذ فى محاولات أخرى الى أن تنطبع على يده وقلمه الصورة الكتابية للكلمة .

فهذا هو معنى التعلم كما يجب ان يفهمه دكتور الطريقة ، وهو مناقض بلا شك لمعنى الادراك ، ومن ذلك نتأكد أن الدعامة التى قامت على أساسها فلسفة الطريقة الكلية فى تعليم الهجاء انما هى دعامة وهمية لاوجود لها الا فى عقول أصحابها ..

(٤)

يقول مخترعو الطريقة الكلية فى سياق التدليل على أن البدء بالحروف الهجائية خطأ جسيم ، فى منطقهم : ان الحرف لامعنى له ، فكيف نبدأ بشىء لامعنى له ؟ والجملة هى أقل وحدة كلامية للتعامل ، واذن فيجب أن يكون البدء بما يعرفه الطفل وهو الجملة وقالوا : ان الحروف وهى لا معنى لها كثيرا ماتحدث للاطفال صدمات عصبية وعقدا نفسية ، من هذه المسميات المجهولة الشخصية والدلالة !! كأنها مسميات الجان والعفاريت .

والواجب أن يقابل الطفل فى أول يوم يدخل فيه المدرسة بما يعرفه ويفرحه لا بما يجهله ويفزعه ، فتقدم اليه الحلوى والهدايا وتعزف بين يديه الموسيقى وليكن أول شىء يتعلمه هو الجمل التى ندخل على نفسه المسرة والفرحة ، فتعرض عليه مثلا الجمل الآتية كما جاءت فى كتب الطريقة : ماما عملت كحك ، بابا اشترى لى جزمة ، شرشر نط فلفل فط ، أكل الفت ، جلاجلا ، العب ياميمون ، الملاح الملاح ، تعال يابياع الملاح ، نشترى منك ملاح !

وللرد على صاحبى الطريقة نقول : هل انتم دكاترة فى فلسفة الهجاء ، أم دكاترة فى طب الامراض العصبية والعقد النفسية ؟!

ان طريقة البدء بالحروف فى تعلم الهجاء قد جرى العمل بها طيلة القرون الماضية فى اللغة العربية ، وفى لغات الدنيا كلها ، ولم نسمع أن هذه الحروف قد أصابت فردا واحدا من آلاف الملايين الذين بدءوا تعلمهم بها — بعقد نفسية أو بصدمات عصبية

فهل كانت البشرية كلها فى غفلة عما كان يصيب عقولها من هذه الحروف للعونة ، حتى بعث الله الدكتور شرشر والاستاذ فلفل ، فكشفالها هذا الكشف الخطير ، الذى لا يصدر ألا عن عبقرية نادرة المثال ؟

ومن كل ماتقدم نعرف كيف تدهور التعليم تحت زعامة هذه السيكولوجية العجيبة .

يعقوب عبد النبى

الشرق الأدنى .. في الأدب الفرنسي

في القرن التاسع عشر

Le Proche-Orient dans la Litterafure Française de Nerval à Barrès

تاليف : جان الوتى

ترجمة : احمد عبده عبد اللطيف

« تعاود الأدب نشر هذه الترجمة ، وقد رجت من السيد المترجم أن يعنى بما يمس حياتنا أكثر مما يتصل بتاريخ الأدب الفرنسى » .

اتخذ جيراردى نرفال «نساء القاهرة» عنوانا لكلامه عن مصر ، وهذا اتباع واضح لأبرز ظواهر الكتابة عن الشرق على الطريقة القديمة . وينثر نرفال فى كل مكان من كتابه تقريبا المعلومات عن الحياة الزوجية فى الشرق ، وعن الحريم وحتى عن «أزواج المحلل» الذين أضحكوا الفرنسيين فى القرن الثامن عشر . ولا نستطيع أن ننسب الى المؤلف ، كما ننسب الى أسلافه ، استهدافه فحش القول .

وقد قيل انه انما كان يبحث عن زوجة روحية ، وهذا التفسير ربما كان سببه قلة الدراية أكثر من أى شىء آخر ونحن لا نسقط من حسابنا أن اللجوء الى موضوع المراة الشرقية الذى أكل عليه الدهر وشرب انما كان تجاوبا مع دواعى النشر ، فان القارىء يغريه كتاب عن نساء القاهرة أكثر مما تغريه دراسة جدية عن اصلاحات محمد على . ونجد عناوين الفصول هكذا : « سيدة المنزل » ، « الحياة الخاصة فى قصور الخماسين » ، « أسرار الحريم » ، « عصور الشعر القديم» ... الخ ، اننا نشتم رغبة خبيثة فى استثارة الفضول الغريزى لدى الجمهور .

انه لمحات متفرقة فى « رحلة الى الشرق » تشهد بأنه لم يفته تناول الجوانب الأخرى للاشياء وهو قد تنبأ قبل فلوبير ببرزخ السويس الشرقى ، ونلاحظ أنه استغل ماكتبه الرومانسيون من قبل عن الشرق ، حتى أنه جمل الحقيقة على غرار ما فعل لامارتين ، بالرغم من أنه أكثر منه طيبة وأقل انطلاقا غنائيا .

ولا يعتبر جعله الافضلية لمصر فى كتابه خروجا آخر على الرومانسيين بالمعنى الدقيق . وذلك لانه فى مصر لم يخرج من القاهرة ، ومن ثم لم يخرج عن حدود الروائع الشرقية الاسلامية ، وهى الوحيدة التى يقيم الرومانسيون لها وزنا ، وعلى كل فانه عندما وجد فى القاهرة الشرق الذى نجده عند ما نقرأ صلاح الدين وألف ليلة وليلة ، جعل لمصر مكان الصدارة فى الفكرة عن الشرق بدلا من تركيا . ولا شك أنه وقع

مازق . فليست المسألة أن يرسم لوحات الحياة المصرية على أساس الروائع المذكورة بدلا من المناظر العادية ، ولكن المهم أن كاتبا قديرا يشيد بمصر . وقد عادت كتابته على مصر بثقة فى المجال الادبى كانت تنقصها حتى ذلك الوقت ، وبذلك أمكنها أن تخطو خطوة أولى نحو الكتابة المستقلة عنها .

ان الذى ضمن « لنساء القاهرة » خلود الابداعات التقليدية انما هو على الخصوص سمتها العامة التى اتسمت بها ولقد كانت الكتابة عن الرحلات الى الشرق فى الفرنسية قبل هذه القصة غير خالصة الموضوع كما كانت ترد الى أكثر من نوع أدبى ، الحقها فولنى بالتاريخ ، وشاتوبريان بالمذكرات ، ولا مارتين بالأدب الحماسى الرومانسى ، وخصها نرفال بحيز مستقل . وكأنما طعم المؤلف قصته بما وعاه من ألف ليلة وليلة .

وفى الأقاصيص العربية فيض من التفاصيل الواقعية عن الحياة اليومية سجلها القصاص ببساطة لم يتعمدها ، اذ لم يكن هدفه تصوير أحوال المعيشة كما هى ، كما أن التصوير بهذه الطريقة قليل عنده .. ان شخصياته وملاحظاته الاخلاقية نثرت عرضا فى قصته ، وقد تظاهر بأنه لم يهتم بهذه الأشياء ، وأنه اندفع كلية فى البحث العجيب عن زوجة شرقية ، وهى مغامرة لا شك أنها غير مألوفة من شخص أجنبى . وقد استبدل بالبساط الطائر والمصباح السحرى وسائل أخرى أجاد فى تنويعها وهى تثير انتباهنا اثارة رقيقة .

اين تضع هذه الرحلة ؟ انها ليست حكاية خرافية صرفا ولا واقعية كاملة ، وهى ليست رواية ، ولا ترجمة للمؤلف بقلمه autobiographie ولاهى على الخصوص قصة رحلة مبتذلة . انها مع شىء من التساهل ، أقصوصة ألف ليلة وليلتين ، بعد تطويعها لتناسب الذوق الفرنسى .

لقد أنشأ نرفال منطقة محايدة بين كتابة الرومانسيين عن الشرق ، وبين كتابة أدباء العصور التالية الذين سيكون رائدهم :

جوستاف فلوبير

يسدى فلوبير الى أحد الأدباء نصائح أدبية يقول فيها : قبل السياحة ، يحسن أن يلفظ الانسان آلامه ومتاعبه ، وان يغرق نفسه فى التجديف والمرح ، «وأن يتخلى عن كل ما ينوء به كاهله من أمور خاصة أو متأصلة أو شخصية » ، وفى المرحلة التالية لذلك من الحياة تمكن السياحة . وهذا هو ما فعله فلوبير بالضبط ، فقد لفظ البقايا الاخيرة لغنائيته غداة رحيله الى الشرق . وقد بلغت عبقريته نقطة تحول فاصلة كان يمكن أن تتأخر لولا رحلته الى الشرق .

ان فلوبير فى مؤلفات شبابه يتصور الشرق شرقا رومانسيا ، أو بيرونيا كما سيسميه . والطائف الذى يغزو أحد أشخاص رواياته قبل استيقاظه فى القبر يذكر بريقه بقصيدة جانين عن الشرق . وفى خطاب له نجده صريحا : ان الروائع وحدها هى التى تهمه « اننى أطلب اللون ، والشعر ، وكل ما هو صاخب ، وكل ما هو حار وكل ما هو جميل .. » ويتخلل هذا الحلم عن الشرق استشفاف غامض « للتناسق بين هذه الأشياء المتناقضة » التى سيؤدى اكتشافها الى سعادة فلوبير . وعند عودته الى كورسيكا يكتب : « ويحى ! ألن أسير أبدا بقدمى على رمال سوريا » ؟! وكان يسمع قرب أحواض الماء الجمال «تتجشأ» و « تخرج فضلاتها » . ولعل الأولى أن نرى فى ذلك رغبته فى أن يورد العنصر المسخى فى نظره الى الشرق ، من أن نرى فيه استشفافا ، فهو يعترف : « ان المسخ الكئيب له على سحر لا مثيل له لأنه يتجاوب مع الاحتياجات الخاصة لطبيعتى الساخرة الكئيبة » .

يرنن فى أحلامه أحيانا نغمه أعنى وأعنف ، تبشر بأفضلية خفية للشرق الافريقى ، وهى النغمة التى سيستشعرها عند ما يقارن بين التجربتين المصرية والتركية • وبعد ذلك يحلم بالضباع العاوية ، بنات آوى ومدن القبور فى الصحراء ويبرز من قريب مينه الى نيرون وهليوجا بال والحفلات الصاخبة وساحات الألعاب الشعبية (السيرك) عند الرومان ، والحى الشعبى فى روما القديمة • وهو يقرر وهو يكتب عن آبولى: ان آثار عصور الانحطاط وآثار الفساد الخلقى « هى الآثار المفضلة عنده » •• وهذا الميل يطبع الرحلة بطابع خاص تماما فرحلة فلوبير الى الشرق أيدت اذن ميلا كان موجودا عنده فعلا وهو :

البحث عن المسخ

يكتفى فلوبير سواء فى مذكراته عن رحلته أو فى مراسلاته بالنزر اليسير من المناظر الرائعة على طريقة الرسامين المستشرقين • وفى مصر لا ينقاد فلوبير لهذا الهوس الشائع اذ ذاك الا مرتين : فى المحطة حيث يذكره منظر صغير بنقش على حائط أو بمنظر للشرق فى كتاب ، وعند الشيخ عباده حيث يأسف لعدم وجود رسام يرسم لوحة فاتنة فيها بنتان صغيرتان والمنظر الطبيعى المحيط بهما • انه كان يبحث عن منظر رائع أغرب : فى أسيوط يشبه الحيطان المسننة لمقبرة « بطائفة كبيرة مبعثرة من فكوك كلاب البحر » • ويثير انتباهه فى الطبيعة المصرية الألوان ، وتلاعب الظل والنور فيعنى بتفصيل دقائقها • وكلمته الى أمه مشهورة : « اننى أملأ صدرى بفيض من الألوان » •

وفى الارض المقدسة نجد أن ما يجذبه فى المنظر الخلوى ما زال هو تتابع الالوان ، ولكن الأغلب هو أنه لا يحب أن يرى الا المسخ • وفى لبنان وفى رودس نجد كلامه على وصف منظر رائع أكثر تقليدية يبدو لنا مشابها لواجب مدرسى عقابى يؤديه اضطرارا فى صعيد مصر ، حين سخره ماكسيم دى كام فى المعابد المصرية : ان هذه البلاد لم تعد تثير حماسه •

وفى آسيا الصغرى ، بالرغم من صيحة الفرح التى أطلقها أمام سهل افسس : « آه ماأروع هذا ! انه فخم على النمط الشرقى الأثرى ! • ان هذا يذكرنا بالترف الغابر ، وبالمعاطف الارجوانية الموشاة بالذهب • لابد أن الدستورات قد تمتع كثيرا •• » والنغمة السائدة هى نغمة عدم الرضا • وبعد لبنان التى جعلته يتذكر الحروب الصليبية • وتذكر آسيا الصغرى فى كل خطوة فيها بأوربا ، التى تشبهها أيضا ضواحى القسطنطينية • وفى العاصمة العثمانية ، يبدو تصرف فلوبير باردا بعض الشىء •

بل لقد انتهى فى القسطنطينية الى تقرير أن الشرق الافريقى تغلب فى قلبه على الشرق البايرونى الواقع تحت الحكم التركى ، شرق الرومانسيين •• وعند عودة فلوبير الى فرنسا يلاحظ الفروق بين هذا الشرق وبين الشرق الذى يحبه ويكتب الى لويز كولى **أن الناس كانوا حتى ذلك الوقت يرون فى الشرق « شيئا براقا صارخا عاطفيا مليئا بالمتناقضات » شيئا مليئا بالراقصات الشرقيات ، والتعصب ، والشهوة • أما فلوبير فانه أهمل كل هذا ، وأهمل العمائم ، ونساء الحريم ، والشيشات ، ولم يحب الا « هذه العظمة التى تتجاهل نفسها ، وهذا التآلف بين المتناقضات » • ان الهوام فى الشرق ترسم على الخرق البالية نقوشا عربية من ذهب ! : هذا هو الشرق الحقيقى ، ومن هنا كان شرقا شاعريا »** • لقد أحب فى كوتشوك هانم رائحة البق المختلطة برائحة الصندل ! ووجد الشعر الكامل فى يافا حيث يختلط نتن الرمم برائحة أشجار الليمون

لقد أكد الشرق نظرة فلوبير الى الاشياء نظرة ترى ما فيهامن متناقضات ، النظرة التى بالغ فلوبير فى اطرائها . ولم يكن الرومانسيون يجهلون المسخ ، بل لقد كان احدى دعائم تذوقهم للجمال ، ولكن يجب الاعتراف بأنه لم يكن له مكان فى شرقهم . لقد صور لامارتين كل ما رآه بصورة مثالية ، ولا نظفر — بعد جهد — الا ببعض الصور الواقعية للمتسولين فى « القسطنطينية » لجوتييه . أن فلوبير ملك نه اتساق المتناقضات الذى لايروق الا عينه ، والذى يتجاوب مع حاجة عميقة فى نفسه : « اننى أود أن تكون هناك مرارة فى كل شىء ، أن تكون هناك رنة صفير استهجان خالدة وسط انتصاراتنا »

ان زائر مصر للمرة الأولى يرى فيها لاول وهلة تجمع العناصر المتناقضة ، التى ترضى رغائب خياله . ان دهشة السائح من المدن والاشياء عظيمة : « كل القصص القديمة الهزلية عن العبد المضروب ، وبائع النساء المشاكس ، والتاجر النصاب هى هنا جديدة جدا وواقعية جدا وظريفه جدا » . لقد سيطرت عليه مقدما فكرة عن جمال معين للشرق . انه لم يكن يتوقع مسخا يملؤه بالارتياح ، وأخذ يجول فيه كما يشاء . انه يقص علينا النوادر الفاحشه والفكاهات وقصص الحواة والمشعوذين التى تكاد تبنخ « نهاية الخلاعة » ، وملامح العادات التى تصدمنا بقوة بفجاجتها ، وبالاختصار كل ما يدخل فى نطاق المسخ .

ان مجاورة الأماكن المقدسة لاتلطف من انطباعات فلوبير ، انه خال من العواطف الدينية : يقول : لقد قاموا بكل ما يستطيعون ليجعلوا الاماكن المقدسة مضحكة ... النفاق ، الجشع ، الغش ، السفاهة ، نعم ... ولكن القداسة لا أثر لها ! ... كل شىء فى القدس انما يعمل للاستغلال والدعاية وتربية الزبائن » ... ولزيادة الطين بلة ، تتنازع الطوائف المتعادية فيما بينها الى حد أن المدينة « تشبه مجموعة من جميع أنواع اللعنات الممكنة » ... والرحلة الى بيت لحم تبعد زمنا عن دناءات المدينة المقدسة ؛ ويشعر بألم عند ما ينتزعونه من لذة المزود فى كنيسة بيت لحم . لكنها فترة هدوء قصيرة جدا ويا للأسف !.. فعند رجوع فلوبير الى القدس يلاحقه المسخ كما لو كانت تلاحقه خلية من الشياطين .

وأثناء زيارته الثانية لكنيسة سان سيبو لكر ، نجده بدلا من الاندفاعات الصوفية ، يرينا الانكشارى الذى يسرف فى الغضب ، وكومة الاطباق المغسولة فى مطبخ الحارس التركى ، وقدم لنا نادرة مضحكة فيها شىء من التحلل ، كتذكار أخير : مشهد الراهبين اللذين يتناولان أكلة خفيفة فى حظيرة قرب حديقة شجر الزيتون ، مع شابتين نرى منهما « أثدية بيضاء » .

« يتبع »

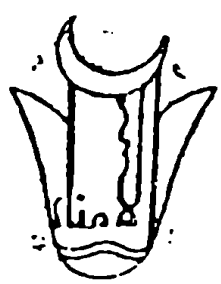

حيرة ـ وايمان

من خلال الفن كان ايمان الصديق
اذ هداه الفن بعد أن ضل الطريق
كان للفن رفيقا ـ دائما ـ نعم الرفيق
لا يرى فى الكون الا فنه العذب الرقيق
أن توارى الفن فى محرابه البالى العتيق
تلسع الفنان نيران العذاب ـ فيفيق
وتهيم الروح فوق واديها العميق
وتجوب الأفق بحثا عن علامات الرفيق

* * *

لم يكن للشاب غير الفن دين فى علاه
ليس فى الكون اله
أين الاله ؟ ـ لا أراه
قالوا هو الخلاق لا أحدا سواه
الناس والأكوان تسعى دائما وفق هواه
وارادة الخلاق نبراس الفلاه
الخير غاية مبتغاه
والفن نور من سناه
لكن نفسى لا ترى هذا الاله
الفن دينى ـ لا أرى شيئا عداه
كل ما فى الكون من صنع الحياة
كل شىء فى الطبيعة نابع من أرضه أو من سماه

* * *

الفن فى اشراقة الشمس المليئة بالضياء
والفن فى همس النسيم مع المياه وفى الفضاء
والفن يسبح فى جناح الطير هناك فى العلياء
والفن فى أنشودة تشدو بها عذراء
والفن فى الانغام والالحان والاصداء
والفن فى وديان حب كل ما فيه وفاء
الفن روح تملأ الكون جمالا وصفاء

* * *

لكنه يوما افاق
ورأى وجود الكون فى نسق يساق
ساعة تصفو له النفس فيأتى المعجزات
وأوانا تحرق الأنفاس نار العبرات
كيف تاتى هذه الحالات ؟

فتمس القلب اضواء الوجود
او تضم الروح اغلال القيود
يذهب الوحى اوانا ويعود
عابرا كل الحدود
هائما فوق السدود
لا بد ان هناك عملاقا يسود
لا بد ان مدبرا يلقى الوعود
لا بد ان هناك معنى لا بشر
فى طوايا الكون يحيا مستتر
ويسير الأقمار والافلاك
ويوجه الانسان والأملاك
ويبث فى النفس الخيال
ويبث فى العقل الكمال
انه روح تحس ولا تراه
وهو الذى فى الكون يعلو لا سواه

* * *

انات حزن جامدة
ولهيب نار صامدة
يكوى الفتى فيعانده
وتهده الاوهام .. دون مساندة .
انى احس الله خلاق الوجود
هل من دليل يقنع العقل العنيد
ان خان قلبى عدت للوهم الشديد
او خاب ظنى عدت للكفر العتيد

* * *

انى احـــــار
فى كل ما يسمو على الاسماع والأبصار
فى كل ما يعمى على الألباب والأفكار
واحار فيها موحيات الابتكار
العقل لن يرقى ليجتاز الستار
لا شىء فى الاكوان مطلق
الا الاله
لا شىء فى الاكوان يخلق
الا عـــــلاه
الله فى اشراقة الشمس المليئة بالضياء
الله فى همس النسيم مع المياه .. وفى الفضاء
والله روح تملأ الكون جمالا وصفاء .

ابراهيم راشد قاسم

جواب مستعجل

صورة زجلية

قـــدام ـ صندوق البوســـتة ـ غلام
عنده من الســـن ، ٦٢ عـــام » ..
طلع من جيبه ـ جـواب ـ ورمـــاه
من بعـــد ماباسه . ورا وقـــدام

ورجـــع ـ من حيـــث أتى المذكور ـ
يســـتنظر فى الرد المنظـــور ...
ومشى .. ومسطرته تصـور صـــوت
ناتج عن لمس ـ حـــديد الســـور ـ

وتركته يتـــوه عن عينى وأســـير
هو ف تفكير .. وأنا ف تفكـــير ..
« واحـــد جه حط جـــواب ومشى »
« شىء عادى .. بيحصل منه كتـــير »

لـــكن اللى بيرمى جـــواب . عادته
بيكون علشـــان قضـيان حـــاجته
لجـــل ســـلام . على أخ عزيز ..
أو شـــوق وحنين لجـــل حبيبته

وده لســـه صـــغير ع الأحبـــاب
علشـــان يرميلهم بايـــده جـــواب
يبقى . الموضـــوع فيـــه سر كبـير
والسر وراه ـ حتمـــا ـ أســـباب

فى « البوستة » يلاقوا جـــواب مقفول
مكتوب برصاص ـ وكتابته تقـــول :
« حضرت » بالتيـــه المفتوحـــة !
والدى « الاســـتاذ ســـيد زغلول »

أمـــا العنوان . من غير عنـــوان !
طيب .. وأبوه ـ ده ـ ف أى مكان ؟!
نسى يكتب ايه عنـــوان والـــده
امال حانقول ايه .. غير نســـيان ؟!

تحتـــار يا « معـــاون » تعمل ايه
فى جـــواب عنـــوانه يدل عليه ..
اداه ـ لوكيل البوســـتة ـ يشـــوف
له حـــل .. ويفتحه هوه باديـــه

ويبص وكيل البوستة • يشـــوف
أعجب مكتـــوب • وأغرب مظروف ..!
الأملاء غلط • أمـــا الأسـلوب
من نوع ـ بيمـــر عليه ـ .. معروف

وقـــرا كلمـــة « الله أكبـــر »
من قبـــل خلافها ما يتســـطر ..
ثانى ســـطر .. الى والدى الفاضـــل.
أهديك ـ ســـلاما ـ متعطـــر ..

من بعـــد سؤالنـــا عن الأحـوال.
نتمنى تـــكون مرتاح البـــال ..
أما من ناحيتنـــا جميعـــا
فأملنـــا نراك .. وده أحلى منـــال.

ـ وأحيطك علـــم ـ أمى بقـــالها
فى « المستشفى » جمعه بحـــالها ..
وانا واختى لوحدينـــا ف دارنـــا
والدار .. مافيهاش حـــاجة ناكلها.

عمى ف أســـوان » • زى مـــا تعرف.
الخـــال من شـــهر ما بيشرف ..
ورجـــاءنا حين يوصـــل هـــذا
تحـــضر بطرفنـــا ـ لتتـــصرف ـ.

ولاول مره • رأى « الســـاعى »
« الريس » يبكـــى ـ بدون داعى ..
ويقول له : قـــوام روح جـــيب قهوة
تســـاعدنى شـــوية على صداعى !

ويحـــط ف قلب الدرج ـ نـــدا ـ
الراســـل له ـ ما يعوزش كـــده
أحوال و ـ ظروف ـ لها أمـــر عجب
والحـــل يـــكون ايـه بس ف ده ؟!

وتمـــر ليـــالى كتيرة الغـــد ..
و « الراســـل » يستنظر فى الـــرد
ويمـــر « البوســـطجى » قدامـــه
من غـــير ما يجيب له جواب من حـــد

حامد الاطمس

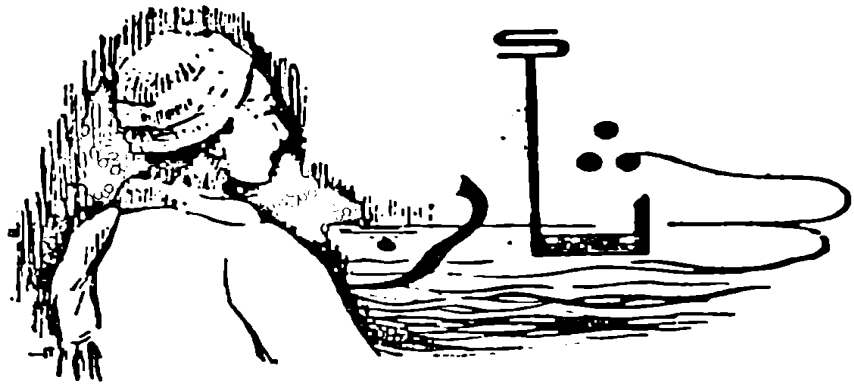

الجو حار ساخن مغبر بالأتربة الناعمة التى يسفيها الهواء الساخن من الجبل الذى يخنق المدينة غربا وشرقا .. والنيل الخالد يتطوح بعيدا .. والماء الملىء بالطمى يأخذ طريقه فى سرعة وتدفق .. ولسان ممتد داخل الشاطىء فتصنع المياه دوامات خطرة كأجواء الصعيد المنينة بالرصاص والدماء ..

واليوم صحبنى الحاج برعى كما عودنى دائما فى الايام الساخنة .. الى الجزيرة

وكان اليوم حقا ساخنا ملتهبا .. أدرت الماكينة حتى امتلأ خزان المياه ثم جلست على الحشائش الخضراء وحولى بعض الزهور المهملة.. ولكنى لم أحتمل حرارة الجو .. كنت أبحث عن نسمة هواء لافتح لها صدرى ورئتى المختنقتين فينفح وجهى هواء ساخن كالسموم يكاد يكتم الأنفاس ..

ولحظ الحاج برعى حيرتى وضيقى فهتف قائلا .... هل نغرب اليوم يا حمدى أفندى ؟

وكأنى كنت أنتظر منه ذلك .. فابتسمت . ولم ينتظر ردا فقام وقمت معه ..

واستحضرت مظلة لم أفكر يوما أنى سأحملها ولكنى حملتها عندما نقلت الى الصعيد .. ومشينا نقطع الكيلو متر الذى يفصل النيل عن أقصى المدينة .. ولم تفلح المظلة فى وقايتنا من وهج الشمس .. ثم لاح لنا النيل عن بعد وقابلتنا نسمات تضن بنفسها أن تبعد عن الماء ..

وهتف الحاج برعى بالمراكبى مناديا اياه من عرض النهر .. فأوصل حمله ثم عاد .. فحييته قائلا ..

.. سلامات يا شحات ..

مرحب بك ياباشمهندس .. كيف حالك يا حاج فرح ..

وابتسمت .. فالحاج برعى الذى كست رأسه وذقنه الشعيرات البيضاء.. استحق هذا الاسم عن جدارة شهد لها الناس .. فقد مارس جميع ألوان الجريمة فى شبابه .. وهو لا ينكر من ماضيه شيئا .. فكثيرا ما قال لى ..

.. قبل طلوع الشمس .. أكون بالعمل .. وفى الليل .. لا يعرف أحد لى طريقا .. ثم ينظر الى الارض ويطوح بيده كمن خبر الحياة وعرف أن الجريمة لا تفيد .. ويعود يكمل حديثه ..

.. والحمد لله .. ربنا ستر وتاب على .. وبعدها أديت فريضة الحج .. ثم يقبل يده ظهرا لبطن ..

ومضى بنا القارب الصغير يشق عرض النهر والتيار يدفعه جانبا بميل حاد ..
بينما مددت يدى أعبث فى المـــاء ..
ونسمات ناعمة تلفح وجوهنا رغم حرارة الشمس التى تلسعنا .. ولمحت باخرة نيلية تشـــق الماء فى سرعة وقوة فتثير حولها موجات تتلاطم مع جدارها المعدنى

ورسا القارب على شـــاطىء الجزيرة ومشيت بين خطوط الزرع حتى الكوخ .. يتتبعنى الحـــاج برعى الذى أخذ ينادى ولده الكبير .. فقدم الينا فى حياء ثم جلس بعيدا .. وناوله أبوه شـــقة بطيخ أخذها بعد الحاح منى .. ومـــد الحاج برعى يده فى بطء متعـــمد بينما أسرعت يدى بـــين البطيخة وفمى حتى التهمت أكثرها .. وبدأت حرارة الجسم تهبط مع نسمات الهواء التى تهب عـــلى مجلسنا ..

نسيت أن أقول أنى أحسست بكـــدر يكسو وجه الحاج برعى .. وعجبت كيف لم أساله مستفسرا منذ الصـــباح .. فسرائرنا لا تختفى على أحد منا .. لذا بدأته قائلا ..

.. الحظ عليك اليوم قلقا ووجومـــا يبدو على وجهك . وكعادته لم يخـــف شيئا فقال ..

.. أولاد أختى .. سعى الناس بينهم بين أخصامهم بالصلح .. وبعد جهـــد قبلوا .. الا ألفى .. مصر على الأخذ بثار أبيه ..

وألفى أحد أربعة اخوة متينى البنيان عريضى المناكب ثم هو خطيب ابنـــة الخال .. وكثيرا مارأيتهم فرادى عندما يردون البندر فى يوم السوق كل أسبوع أو لأمر ما عند خالهم الحاج برعى .. فهم يقيمون بنجع يبعد عن المدينة عدة كيلو مترات ، وكثيرا ماحدثنى الحاج برعى عن ثأرهم الذى قتل فيه ستة أنفس بسبب كيلة أذرة ..

ورغم أن الثأر بين عائلتين غيرهم الا أن أباهم ناصر أقـــرب الاسرتين اليه باللسان .. فكان مصـــيره القتل .. وأبديت استغرابى واستنكارى ..

فبدأ الرجل يحكى لى أقاصيص أشد غرابة .. كلها رصاص ودماء .. ولقـــد ألفت ذلك منه وأحببت سماعها دائمـــا رغم بشاعتها .. كما عجبت لبراعتهم فى تكتيك القتال الذى يسوقه كثيرا بين أقاصيصه ..

.. أخذ سائرا ثم ضرب فى الملآن ..

.. انبطح على وجهه فى قناة ثم غطى جسمه بأوراق الأذرة ..

.. قبع داخل الساقية ثم رصرص الخصم عند قدومه .

وتعابير كثيرة أسمعها دائمـــا .. واعترضت قائلا ..

.. منطق الثـــأر عندكم خـــاطىء يا حاج .. فيه خروج على القانون .. فلو ترك الأمر للناس يأخذون ثارهم بأيديهم لأصبحت فوضى . ولما انتهى الثأر كما أرى حولى ..

فرد قائلا .. القانون عاجز عن أخذ الدم فى أكثر الحالات .. ولست أحب أن تشرب الارض دما لى فتدوسه الأقـــدام ولا أتحرك ..

.. فى أكثر هذه الحالات أنتم تتستترون على القاتل .

قال .. لأنه فى معظم هذه الاحوال يهرب القاتل ويضيع أثر الجريمة .. ثم الا تعلم أن الجانى يدبر خطته فى دعة ..

وأيضا .. يمثل مع أهله محاكمة فيها دفاع ونيابة .. فلربما قبض عليه .. وبذلك يعد نفسه ليميز بين مايقال وما لا يقال .. بل وتحكم هذه المحكمة الوهمية بسنوات السجن التى يحددها القانون .. على وجه التقريب ..

فعجبت لذكائهم وأسلوبهم فى الجريمة رغما عنى .. وقلت وقد عجزت عن ايجاد رد مقنع يحل المشكلة ..

.. ترى ماذا يمنع هذا الاجرام واراقة الدماء ؟

فنظر الى نظرة فاحصة .. ثم رد قائلا ..

.. تسميه اجرام ؟ .. قل لى ماذا تفعل لو قتل أباك أو أخاك ؟ .. وما احساسك حينئذ ؟ .. رغم أنك لن تضمن حكم الاعدام على القاتل لو أخطأه التوفيق وقبض عليه ..

وغرقت فى التفكير .. وأنا أتصور ذلك حقيقة .. والحق .. لم أجد شيئا أقوله .. ونظرت الى الرجل نظرة مترددة .. مهزومة .. فلم أستطع مغالبة عواطفى .. وابتسم الحاج برعى ..

ورغم ذلك .. قلت ..

.. ليس أمامى غير القانون .. ولكنى كنت غير راض عن اجابتى ..

.. شىء واحد يا حمدى افندى اعتقد فى جدواه .. فرفعت اليه أنظارا متسائلة .. ثم قلت ..

.. ماذا .. ؟

.. حكم الاعدام لو ثبتت الجريمة .. وعيناى لا تفارقان وجهه وهو يكمل ..

.. ترى لو تراك لأصحاب الدم أن ينفذوه بأيديهم فى كل ذلك مانعا لسلسلة لا تنتهى من الجرائم .. ؟

وتأملت هذا الرأى فاحسست الفكرة بمشاعرى ولست أدرى .. لماذا اطمأن لها قلبى ..

وأخذت أنظر اليه فى اعجاب .. وتلاقت نظراتنا وعادت ابتسامة النصر تكسو وجهه مرة أخرى .. ولم يمهلنى .. فقال ..

.. أتدرى يا حمدى افندى لو ترك لصاحب الدم تنفيذ الحكم بيده لعفى عن القاتل .. ولا أقول أن ذلك سيحدث فى كل الحالات .. ولكنى أؤكد أنه سيحدث فى أكثرها

ووجدتنى أفكر .. حقا .. وماذا فى ذلك؟ .. ثم ماذا يمنع الدولة أن توفق بين القوانين وغرائز البشر دون اضرار بمنطق العدل .. فلو عفا صاحب الدم عن القاتل .. فعلى الدولة أن تستبدل الاعدام بالسجن والحكم بالدية اذا طلبت .. وتذكرت أنى قرأت شيئا قريبا من هذا فى كتب الفقه .. فرفعت رأسى لأقول ..

.. تأمل معى يا حاج .. ان هذا الذى قلته مبدأ قرآنى .. ثم أردفت .. ولكننا نعيش فى ظل قوانين بشرية .. تناسب العصر ..

.. وهذا من عند ربنا ..

قالها الرجل ببساطة وعيناه تنظران بعيدا .. لست أدرى أين ..

ومالت الشمس .. وخف أوارها .. وبدت السماء صافيه لا يؤلم العين مرآها .. وقمنا الى الغارب الذى بدا قادما فى عرض النيل ..

وأمسكت بالمجداف أعبر لعدوة ..

ومضت أيام .. وسألنى الحاج برعى

أن يتغيب اليوم لأمر لم يبـــين عنه ..
فنظرت اليه طويلا .. فرد باسما .. لا .. عار على .. كان زمان ..

فاعجبت بذكاء الرجل .. ومضى .. ولكنه عـــاد محزونا .. يملأ العبوس وجهه .. وتركته ليتكلم وحده .. وكان ذلك فقال ..

.. اليوم استدعى المأمور أولاد أختى وعمدة النجع ثم عرض الصلح .. ولـم يقبل ألفى .. قالها بغيظ وبدى لى أن غيظه ينصب على موقف ألفى ..

ثم لم يلبث حتى هتف فى نكد ..

.. الولد ولد أختى .. وأيضـــا سيصير زوج ابنتى ..

ثم عاد الى بداية الحديث .. فقال ..

.. المأمور غضب .. ودعا عسكرى البصمة مهددا بترحيل ألفى الى المعتقل .. لولا العمدة .. توسـط له وطلب ترك الأمر له أيامـــا يتفاوض معه .. ووعده خيرا ..

ومضت أيام عصيبة عاناها الحـــاج برعى ثم قدم طلبا بأجازة يومين لعقـد قران ابنتـــه .. فتأملته فى استغراب وظنته أنه قد نسى أن ألفى مهدد بالاعتقال .. فقال ..

.. أرجـــو أن لا يعلم أحد بسبب الاجازة ..

ووعدته بذلك .. وانتظرت على آحر من الجمر ..

.. ماذا فى رأس هـــذا الرجـــل الداهية .. ؟

ثم عاد .. عاد باسما تعلو ضحكاته رغما عنه على غير عادته ... فنظرت اليه استنطقه الخبر .. قال ..

.. تم الصلح ... وعقد القران ..

.. قلت .. كيف ..؟

.. قال .. صممت على عقد القران قبل اعتقاله ..

هذا ما قلته .. وأثنـــاء العقد دخل القاتل يحمل ثوبا أبيض على كتفه ومعه بعض أهله ..

.. قلت .. وماذا فى هذا ..

.. الثوب الأبيض .. أقصـــد أنه الكفن .. جـــاء به يسلم نفسه لالفى ليفعل به مايشاء ..

.. قلت مبهورا .. وماذا فعل ..؟

.. قام ألفى واحتضنه وبدل أن يسقيه القهوة شرب الشربات ..

و لم أفهم مغزى كل هذا تماما .. وقلت ..

.. حقا هو استسلام .. لـــكن هل يمنع ذلك من قتله . ؟

.. فهتف مستنكرا .. يقتله .. لقد قتل الرجل نفسه بالحياة .. ألم يجىء خاضعا مستخزيا يحمل ثوب الموت عـلى كتفه .. لقد سقط وزره ولا يجرؤ أحد على مسه بالأذى أبدا .. أبدا ..

واستغرقنى التفكير .. اســـتغرقت تمـــاما .. ولم انتبه له وهو يستأذن قائلا ..

.. بعـــد اذنك .. المأمور بعث فى طلبى ..

زكريا التوابتى

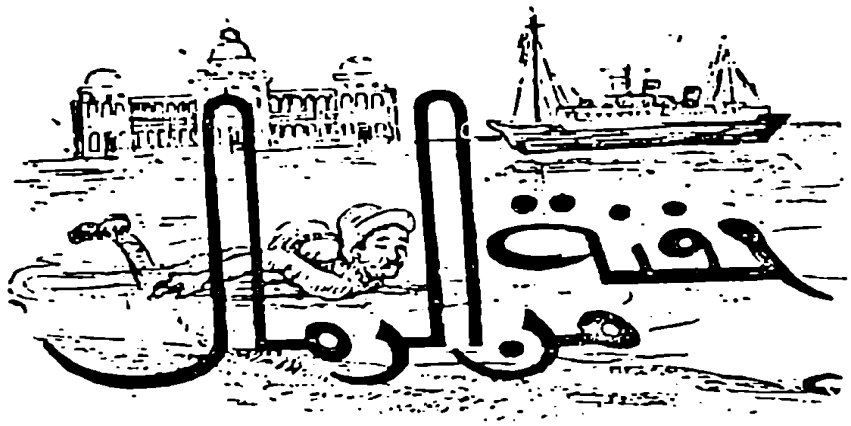

كانت شمس مايو تمسح بأشعتها وجه المعسكر الكبير وهو يفور بحركة صاخبة ، حتى بدا الجنود وهم يتحركون بتكتلاتهم العديدة بين أرجاء المعسكر وكأنهم عجينة بشرية تغلى تحت وهج الشمس .. ومن بين هذا الضجيج تسلل ضابط شاب فى خطوات واهنة نحو نهاية المعسكر .. وجلس هناك على كومة من المهمات ، وأطلق نظراته عبر الاسلاك الشائكة تراقب ـ فى ذهول مفاجىء ـ جمعا من الجنود الانجليز وهم يلعبون الكرة بصدورهم الحمراء العارية وسط هالة من الضوضاء .. وانحنى الى الارض وملأ قبضته من رمالها المخلوطة بالتراب ثم رفع كفه الى مستوى عينيه وتمتم وهو ينظر الى حبات الرمال التى بدأت تتسرب من بين أصابعه :

ـ كم دفعنا ثمنا لهذه الحفنة من الرمال؟

واقترست الذكريات خياله .. عشرات من السنين صنعها الشعب بكفاحه كانت صورها تتحدى مخيلته فى تشابك سريع .. وتذكر أخاه «على» بضحكته العريضة التى كانت تملأ البيت .. وشبابه الثائر .. وقلبه الكبير .. كل ذلك ضاع فى لمحة من لمحات الكفاح التى تغنى بها الشعب بدمه .. وسكنت اليد بحفنة الرمال

الى الابد .. هنا .. فى مكان ما على ضفاف القناة .. ومنذ ذلك اليوم الذى اهتزجت فيه الرمال بدم أخيه كانت تعيش فى رأسه فكرة كبيرة .. مستبدة .. تحتكر كل انفعالاته .. وهى أن يثأر لأخيه بأى ثمن ، وبأى شكل .. ولم تضمر فى نفسه هذه الرغبة أبدا .. حتى وهم ينحسرون أمامه عن أرض الوطن ... وازدادت نظراته حدة وهو يراقب الاجساد الحمراء والكرة تجرى بينهم فى المعسكر الاخير الذى بقى لرحيلهم عنه عدة أسابيع تعود بعدها الارض الى أصحابها .. وانتبه من خيالاته على صوت آمر يناديه .. ولحق بالجنود والضباط الذين اصطفوا فى مربع كبير حول سارية مرتفعة أظمأها طول الشوق للقاء العلم الاخضر بهلاله ونجومه .. انه يشمئز من الدموع فى عينى الرجل .. ويكرهها فى عينى المرأة .. وتثيره فى عينى الطفل .. ولكنه لم يستطع حينما رأى الراية الخضراء تتسلق السارية ـ لاول مرة ـ كأنما تعانقها فى لهفة .. لم يستطع أن يمنع دموعه التى تسمرت فى كبرياء خلف جفونه من أن تعدو على وجنته . وارتعشت جسده كله دفعة انفعال كأنها شحنة

كهربية جعلته يترحم على الباشجاويش «عوض» الذى علمه عن طريق طوابيره «الزيادة» كيف لا تختلج ذرة من كيانه خلال ساعات طوال من الوقفة العسكرية الصارمة .. ومضت أيام ثلاثة بعد هذا اليوم الذى احتفل فيه برفع العلم حينما غادر المعسكر لامر يتعلق بعمله .. وما ان خلف المعسكر وراءه بمسافة قصيرة حتى لاح له ضابط بريطانى يستوقفه فى عرض الطريق .. وفى عصبية وضيق أوقف سيارته « الجيب» أمام الضابط الذى ألقى - بلا مقدمات «جربنديته» الصفراء فى المقعد الخلفى والقى بنفسه الى جواره فى المقعد الامامى وهو يقول فى انجليزية واضحة :

- سوف توصلنى الى المدينة اذا كنت ذاهبا اليها ؟

وغاظه برودة ، وطريقة ركوبه فانفجر فيه

- واذا كنت غير ذاهب اليها ؟

واجابه بلهجة وسنانه وهو يغطى وجهه « بالكاب » وقد أسند راسه على المسند وكأنه يستلقى على فراشه .

- حسنا .. فلتوصلنى الى ابعد ما يمكنك من الطريق ..

والحقيقة أنه كان فى طريقه الى معسكر آخر ، ولكنه اندفع بسيارته على الرغم من ذلك وقد صمم على أن يعاقبه على برودة بأن يجعله يعود على أقدامه من المعسكر البعيد الذى سيقصد اليه .. ولاحت له القناة خطا طويلا من الزرقة يشق قلب الصحراء .. ومع الصمت الموحش .. والرمال الساكنة بدأت فكرة الثأر تطفو الى ادراكه .. ماذا كان ينتظر أكثر من ذلك ليطفىء ذلك اللهيب الذى يحرق صدره ؟.. ماذا يريد أكثر من صحراء خالية ، وانجليزى بين يديه يسكت مع أنفاسه عواء حقده الدفين .. يجب أن يقتله .. نعم يجب أن يقتله .. وانساب من فم الانجليزى صفير منغوم وكأنه يهتف به لست نائما فقد سمعت خواطرك .. وسكت عن الصفير رافعا «الكاب» عن وجهه وأخذ يوزع نظراته على مدار دائرى قائلا :

- أين أنا .. الآن ..

وقطع حديثه فجأة دون أن يشعر بالاعصاب المشدودة المتحفزة بجواره وهو يشير نحو باخرة ترفع العلم الانجليزى وهى تعبر القناة .. وخرجت الكلمات من فمه بطيئة .. خافتة كأنما ينحتها من أعماقه :

- سوف أعود الى أرض الوطن بعد عشرة أيام ..

تابع كلامه وهو يستدير نحو الضابط المصرى :

- سحقا لصحرائكم القبيحة .

وتراخت الأعصاب المشدودة وصاحبها يجيب :

- ومن دعاك الى مشاركتنا اياها ؟

أفكار عفنة عاشت فى عقول أجدادى

- وعقولكم أنتم أكثر عفونة

- لقد احترمنا نصوص المعاهدة .. وها نحن نرحل عن أرضكم

- صيه .. المعاهدة .. منذ متى تطردكم قصاصة ورق ؟! .. لقد خرجتم على الرغم منكم

- ليس هناك فرق .. مادامت النتيجة واحدة

- هناك فرق فى أن تكون انسانا تتصرف من نبع انسانيتك ، وأن تكون حيوانا تتصرف من سطوة غرائزك .. لقد خرجتم حينما أبصرتم فوهة البندقية

- لقد أصبحنا أصدقاء وهذا يكفى

ـ لقد قتلتم أخى من أجل هذه الصحراء القبيحة .

ـ نقد قتل أخى أنا الآخر ـ فى كينيا

ـ أنتم القاتلون فى كلتا الحالتين

ـ غبى .. لسنا القتلة وانما الافكار العفنة التى عاشت فى عقول أجدادى

ـ أجدادك ماتوا على ما أعلم .. فكيف يحكمنا الاموات ؟

وجمع الانجليزى قبضته فى عصبية ودق بها ركبته عدة مرات قبل أن يقول

ـ هذا هو السؤال الذى طالما حيرنى واستطرد ونظراته معلقة على الباخرة التى تعبر القناة :

ـ كنت أحب أخى أكثر من أى شىء آخر فى هذا الوجود .. وحينما جاءنى نبأ موته لم أبك وانما جلست أفكر .. من أجل اى شىء مات جيمس ؟ .. ووجدت الجواب .

ثم غرق فى الصمت .. أقفل فمه .. وأسبل جفونه .. وبدا وكأنه فى غيبوبة دفعت الضابط المصرى ليسأله وهو يوقف سيارته من فرط لهفته :

ـ ما هو الجواب الذى وجدته ؟

وأجابه الانجليزى بمرح مفاجىء :

ـ سأقوله لهم .. حينما يقولون لى اذهب بطائرتك واضرب القاهرة مثلا .. أو .. وقطع كلامه بغتة .. وقفز خارج السيارة وقد غامت عيناه الزرقاوان وبسرعة عجيبة خلع ملابسه وارتدى «مايوها» أخذه من «جربنديته» .. ومرت لحظات كان بعدها يسبح فى القناة .. واستطاع بضجيجه أن ينبه الاعصاب المشدودة داخل السيارة فاندفع صاحبها يصرخ وكأنه واحد من أهل الكهف استيقظ فجأة :

ـ ماذا تفعل أيها المجنون .. ان الاستحمام ممنوع فى القناة

وأجابه الانجليزى برذاذ من الماء تناثر على وجهه وبذلته العسكرية الانيقة .. ولم يستطع الا أن يجلس على حافة القناة يراقبه وهو يسبح كأنه سمكة حمراء . ينصت بسمعه الى نوادره الضاحكة التى حدثت له بسبب ولعه بالسباحة .. بينما الافكار تترنح فى رأسه .. لاتكاد تثبت الا لتميل .. وما تكاد تظهر حتى تتلاشى .. وأحس بأن الحقد يذوب فى صدره ، وشعر بأنه يجدد انفعالاته .. وان احاسيسه اضحت أكثر نضجا حتى حيل اليه أن قلبه يكاد يسع البشر جميعا بحماقاتهم وأمجادهم .. وخجل لانه فكر فى القتل .. وارتعشت بين شفتيه كلمات كثيرة أدمجها فى ابتسامة حقيقية عريضة .. وتملكه احساس لذيذ .. طاغ .. جعله يدرك حلاوة الاحساس فى ان يتصرف الانسان من نبع انسانيته .. وعادا معا بالسيارة الى المدينة .. وفى نهاية الطريق وقبل أن يودع كل منهما الآخر تمتم كأنما يناجى نفسه :

ـ نعم .. لم يقتل أخى سوى أفكار عفنة يجب أن نبيدها

وبالطبع لم يفهم الانجليزى ما قاله بالعربية فحملق فيه وهو يقول ضاحكا :

ـ ماذا تقول بلغتك العجيبة هذه؟

فأجابه بسرعة بسؤال جديد كأنما خشى أن يكون قد فهم ما قال :

ـ كنت أتساءل لماذا تتميز بشرتكم بالاحمرار ؟

فاعتدل الانجليزى فى مكانه وكسا ملامحه وقارا مصنوعا قبل أن يقول :

ـ السبب .. أن جدودنا الاوائل كانوا يسرقون الطماطم باسراف شديد وانهجرا ضاحكين .

عباس محمد عباس

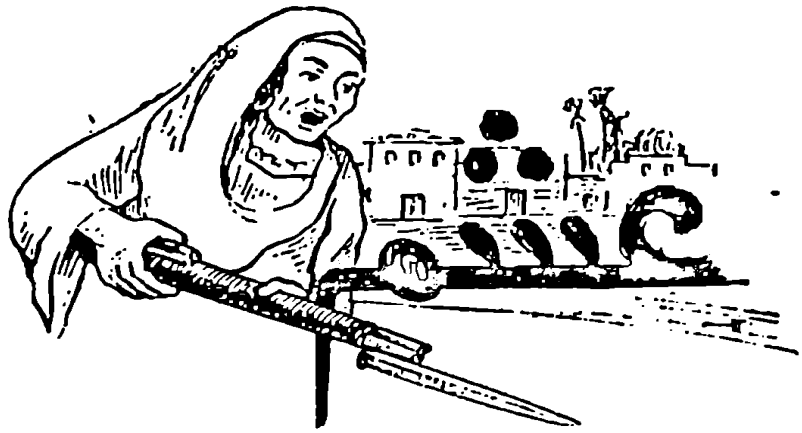

كان القمر من تلك الليلة يبدو ـ على غير عادته ـ عابسا ، مقطب الجبين ، يتوارى خلف غلالات شفافة من السحب الباهتة ، كانما لرغبة منه من أن يخلو الى همومه وأشجانه !! .. وفى الفترات التى كانت تنقضى ما بين غمامة وأخرى ، كان القمر يرسل اشعاعات حانية الى الطريق الزراعى الضيق المتعرج .. ـ يبعثرها ويسكبها فى رقة وعطف ، على ذلك الشبح الملفف فى ملاءته (الزردخان) التى تهدلت أطرافها على جانبيه ، حتى كادت تصل الى مستوى حوافر الحمار الذى كان يمتطيه ! .. لكانما ـ حقا ـ كان القمر اذ يبعث من عليائه بتلك الاشعاعات الرحيمة ، يشارك البشر من تحته فيما يضطربون فيه من أعاصير الحياة ، وعاديات الأيام !.. ولربما كان من تلك الليلة يبغى من ارسالها فى سخاء أن يسهم فى اسباغ ما فى طوقه من المن والسلوى على تلك النفس الصغيرة الكبيرة ، الجياشة بالعواطف الطاحنة المتضاربة !.. ولم يكن ذلك الشبح المندثر بالملاءة (الرجالى) الخشنة غير (عشم) !.. وعشم (فتاة) قروية صغيرة مسترجلة .. على قدر مذهل من الشجاعة والجسارة قل أن يتوافر لشاب .. ناهيك بفتاة غضة لا تزيد سنها على الخامسة عشرة !.. ولا غرو فى ذلك ولا عجب ، فهى ابنه ! (أبو فرج) !.. أبو فرج .. ذلك الفرد العلم فى قرية بنى مرجان .. بل وفى (المجاورة) بحالها !..

لقد كان (أبو فرج) ـ ولا يزال ـ (السبع !) الذى تتغنى بسيرته فى تيه واعجاب صبايا القرية وشاباتها .. وتبتهل الى السماء أن (يطول عمره ربنا) و (ينصره على من يعاديه) عجائز البلدة وكهولها .. وترمقه بنظرات تتقد غيرة وحسدا عيون الحاملين ، التافهين ، من شبابها ، وعيون المتقاعسين قصيرى الهمة من رجالها .. !

اشتهر بأنه « السبع » الذى تفخر به العائلة ، وتزهو بخوارقه على بقية قرى المركز جميعها .. فأبو الفرج هذا وراء كل جليل من عظائم الأمور .. ولاتنسى القرية يوم أن كان واحد من أبناء عمومته عائدا من (سوق الاربع) وانحرف عن الجسر الى زرعة برسيم حديثة الرى لكى

يختصر دورة الطريق فيصل (بنى مرجان) من أقرب السبل ، فبرز له صاحب الزرعة وشتمه وقال له : (عد يا أعمى للطريق العمومى !.. عد للجسر يا حمار يا ابن الكلب !) !.. وتلقى « المشتوم » نصيبه وكان يعلم أنه مخطىء حقا فاستعمل حكمته وعاد ثانية ، غير أن الحكمة لم تلبث أن خانته عندما وصل القرية وحكى بما جرى !.. ولم يكد يترامى النبأ الى (أبو فرج) حتى قدحت عيناه الهائلتان شررا أحمر ملتهبا ، وكعادته لم يضيع ثانية واحدة من الوقت ، فلمع على كتفه ملاءته ـ التى كان يستعملها بالتناوب مع ابنته ! ـ وتقلد من فوقها بندقيته ، وأقسم هادرا متوعدا مجلجل الصوت صارخا بملء حنجرته : « ما بفاش كمان الامهران ابن سعد الهنا ؟!.. طيب لما اروح له ابن سعد الهنا واخليه ياخد نصيبه) !.. ثم استتبع ذلك فقال وهو ينطلق كالقذيفة الرهيبة صوب طريق السوق : (نهاره مهبب ابن السافلة) !.. و.. وعبثا حاول العقلاء ارجاعه عما اعتزم ، ولكنه أبى ، ومضى وجاءت أنباؤه تحكى كيف أنه ما أن وطأ بقدميه الحافيتين بلدة ذلك الـ (ابن السافلة !) الذى شتم قريبه ، حتى هب الرجال يتقون شره فيهدئونه ، ويسترضونه ، وأحضروا له (مهران) بذاته امامه ، فبصق فى وجهه أمام الجمع الحاشد ، انثنى راجعا لا يلوى على شىء ، وعاد لبنى مرجان رافع الرأس وقد ارتفعت فردتا شاربه الغزير المفتول شامختين فى الفضاء ...!!

ومثل هذه الحادثة ، وعشرات غيرها ، كانت تطوف كشريط سينمى سريع العرض فى ذهن الفتاة الرقيقة الحشمة التى راحت على ظهر حمارها تضرب بقدميها المفرطحتين فى الهواء ، وعلى جانبى الطريق كانت تتمايل عيدان الذرة مثقلة بتيجان كيزانها الخضر ، كانها أقواس نصر واعلام زينة نصبت بغزارة واغداق فى طريق بنت ابى فرج ..!

وطفقت (عشم) تسترجع فى ذاكرتها الحقب والاحداث !

مات (فرج) شقيقها الكبير .. مات بعد أن أعده أبوه أروع اعداد ، ليخلفه فى سيرته الشجاعة المشرفة ، وسمعته المهولة الخارقة .. مات فجأة وبلا مرض ذى بال .. فانكسر ظهر أبيه كمدا وحسرة ، وهد الحزن قواه ، وأقسم لا يبيتن بعده فى بيت شهدت حيطانه ضحكات فرج ، وترددت على جنباتها أصداء أهازيجه عن أمجاده وأمجاد أبيه .. وأتبع القسم بالعمل فنقل كل حوائجه الى بيت صغير خلوى ابتناه فى العراء فى قلب زراعته على الجرف ! .. ولم تعش زوجته طويلا ، ولم تكن لها فى الحياة رغبة ولا قابلية .. ولكن اللوعة العنيفة التى اعتصرته بقسوة طاغية بعد موت وحيده الشجاع ، حدت به الى أن يتزوج ثانية لعله أن يعوض عن فرج ، بفرج آخر !.. وكان يقول : (أنا عشمان فى ربنا .. عندى عشم أن ربنا بعد ما كسر ضهرى لازم حايجبر بخاطرى) ! .. ولكن الفرج المنتظر جاء (بنتا) فسماها (عشم !) وظل على (عشمه) يترقب ، ويأمل ، وان لاح أن زوجته الثانية قد أجدبت وصارت عاقرا لسبب لا يدرى كنهه ..!

ولم يضيع وقتا فى ارتجاء آخر ، أو تمن جديد ، فسرعان ما تسلم الفتاة من نعومة أظفارها قرباها تربية (ولد) !.. كان يجعلها تحرس معه محصول (الجرف) فيتناوب الحفر واياها ليلا ونهارا ،

قسمة عادلة !.. وكانت تذهب الى القرية وحيدة فى هدأة الليل تجلب له ما يلزم من شـــاى أو سكر ، او معسل !.. وبالطبع لا يمكن ان يدور بخلده أنه (ربما!) قد يتعرض لها أحد بسوء ، فهـــذا شىء يستحيل عليه تماما أن يظنه ، مجـــرد ظن !.. فان (عشـــم) ما هى الا (بنت أبو فرج) وهذا أمر ليس بعد بحـــاجة اطلاقا الى تعليق !!.. وانه لصحيح!!.. فكثيرا ما كان يغيب بأبنته وزوجته أياما تاركين وراءهم زرعة الجرف ، والبندقية هناك معلقة بالنخلة ، والبيت الذى بناه من الطين مفتوح بابه على مصراعيـــه .. وعندما يعودون لا يهتم أبو فرج بأدنى اهتمام بالتفقد أو المراجعة ، فانما هـــو على يقين وثقة من أنه لم يوجد بعد ذلك (المستغنى عن عمره !) الذى يجرؤ على التقاط ولو بلحة ساقطة من تحت احدى نخلاته ..!

وتنهدت (عشم) فى شىء من الزهو الذى يشوبه غير قليل من الضيق ، مـــع شىء آخر من الحنان .. أن عشم تحب أباها الحب كله ، وخاصة فى هذه الأيام وهى تراه وقد تنكب البستان وسنابل القمح الصفر ، ورنا الى النهـــر من تحتـــه ، وسرح شاردا من ملكوته الغـــامض ؛ يستودع قصبة (الجوزة) أنفاسه وقـــد أخلد الى تفكير ممض مبهم طويل ..!!

انها ليست بأقل رغبة من المرحـــوم فرج نفسه ـ لو أنه عاش ـ فى اسعاد أبيها ، وتحقيق كل ما يعلقه عليهـــا من أمانى وآمال ..

انها ـ وهى بنت الخامسة عشرة ـ لم تتورع عن أن تضرب النار ارهابا فى الهواء تحت جنح ظلام الليل الدامس ، وتشق الطريق الطويل ـ كما هى فاعلة الآن ـ مرارا فى اى وقت من ليل أو نهار .. وتجنى المحصول وتبيعه فى (سوق الاربع) وتفاصل التجار ، وتحمل على كتفها ـ كمـــا يفعل الرجال الأشداء ـ أكياس البذور أو السماد، وتعد الطعام ، وتنتقى ماخشن واصطبغ بصـــبغة الرجولة من الأردية والاحذية والسراويل .. وها هو ذا المركوب الاصفر فى قدميها ، والسروال الدمور الطـــويل الذى ينتهى طرفه الى نهاية ساقيها ، والملاءة الثقيلة الصفـــراء المخططة على كتفيها ، وعصا (الشوم) ممشوقة لا تفارق يدها ، والســـكين ذو الحدين لا يبرح راقدا بين دفتى جـــرابه تحت فتحـــة من الثوب فى متنـــاول أصابعها !..

كل هذا فعلته ـ وتفعله ـ (عشم)!.. ولكن ....

ولكن .. وعند (ولكن) هذه أرسلت عينين محمرتين تخضلتا بساخن الدمـــع الى السماء من فوقها ، فاذا القمر يتغمغم فى غلالاته مشيحا عنها ، كأنما هو يهم أن ينفجر بالبكاء شفقة عليها ، وحـــزنا من أجلها ...!!

ولم تفطن المسكينة الى أن الحمار الذى تركبه قد أصـــابه ما أصاب راكبته من شجن ، فمد رأسه الى وريقات قريبة من عيدان الذرة ، ومضى يلوكها بلا شهيـــة وقد ثقل خطوه وتدلى عنقه ، وأنشـــأ يستعين على الهموم بالمضغ وطرقعة أذنيه الطويلتين ..!

وانحدرت دمعتان ساخنتان على خديها السمراوين .. وأعتم وجه القمر ، اذ أنه ـ قطعا ـ كان يبكى لآلامهـــا ، ولما كان يزخر به من جياش الاحزان قلبها !

وعادت (ولكن) تعصف هوجاء عاتيـــة

بكل كيان الصغيرة المكروبة ·· وتمتمت شفتاها فى سكرة الليل :

ـ ولـــــكن ما العمـــل ياربى ؟! ·· أقول له ؟!

وكأنما استفظعت مجرد (التفكير) من (الفكرة) ، فأنقلبت عجلى ترد فى كآبة جزعـــة على نفسهـــا : (لا يابت ·· تقولى له ؟! ·· ده كان يموتنى خالص ·· ده كان يدبحنى دبح ·· ده كان يرمى نفسه من الجرف علي البحر طوال ·· ده أبويا وأنا عارفاه ·· لا لا ·· ربنـا معايا ، وهو أبو الكل » !!

ولم تنتبه الى أن الحمار الحزين كان قد توقف عن المشى تماما ·· ربما لان الكلمات الهامسة المذعورة التى تفوهت بها قد قطعت لهولها نياط قلبه هو الآخر ، أو ربما لأن الحركة الخافتة التى بدت من تحت الجسر الزراعى الضيق قد قطعت تيار أفكاره ، لا سيما وأن تلك الحركة اليسيرة الواهنـــة لم تلبث أن وضحت أكثر عندما التطمت أعواد الذرة ببعضها البعض فى خشخشة رهيبة ، وظهر فتى متلفع بمحزم من الصـــوف ، وفى يده اليسرى زقلة ، وأما اليد اليمنى فقد امتدت تربت فى مودة عنق الحمـــــار وتهدهده ··!

وأجفلت (عشم) قليلا ·· وبغير أن تترجل امتدت يداها فأزاحتا الدمعتين بسرعة ، ثم أطرقت تقول فى ألفـــة ، وبصوت هادىء رزين ثابت لا يتفق البتة وصغر سنها :

.. محـــروص !؟ ·· دى آخـــر مرة يامحروص يا ابن الناس تكلمنى فيها !·· ان كنت تعزنى ابعد عنى !·· أنا فكرت وفكرت لما قلبى اتوجع ··!

ـ وأنا كمان فكرت وفكرت لما قلبى انقطع !·· انسليت !·· انضنيت !·· اتجنيت !

ـ وأبويا يامحروص ··؟!

ـ أبوكى ··· !!!

ـ ايوه أبويا !·· الراجـل السبـــع النضيف اللى كل الناس تهابه !·· أبويا اللى عاملنى (راجل) فى ضهره ؟!

عندئذ نفر الحمار متململا كأنه يشارك فى الحديث ، ويسهم فى استشعار الهول حتى لقـــد تأهب ـ من فرط الألم ـ للنهيق ··!! فضربته (عشم) بيدها ضربة جعلته يكتم نهيقه على مضض !·· وتمامل محروص أيضا وهو ينظر فى شغف الى عينى فتاته ·· ثم أكمل حديثه فى ضراعة هادئة ، ولكنها ـ على رقتهـا ـ قوية ، فيها اعتزاز ، وفيهـا صدق وتصميم :

ـ أبوكى هو أبويا !·· يعتبرنى أنا ابنه فرج !·· أنا خليفة (فرج) !·· كفاية ياعشم ربنا لايحمل النفس الا طاقتها !·· انتى حرمة ·· وكيف يا اختى الحـــرمة تكون راجل ؟! ·· لما هو عاوزك تكونى راجـــل ·· أمال ـ ما تآخذينيش ! ـ شناباتك فين ؟؟!!··

اضحكى !·· اضحكى ياشيخـــة !·· اضحكى والنبى ياعشم !·· عاوز أشوفك بتضحكى ولو مرة واحدة فى العمر !

ولكن الفتاة الشاردة ، أرسلت من على ظهر حمارها بصرها الى الامام البعيد ، جامدة الوجه ، منجهمة الملامح ؛ غارقة فى تفكير رصين عميق ·· عميق ·· نهزمت شفتيها فجأة ونخست بسن مركوبهـــا الجلدى بطن حمارها ، وتنهدت فى كبرياء وهى تقول :

ـ لا لا يامحروص !·· ده لو سمـــح

حاجة ، أقل حاجة عن كدة ، كانت تنزل عليه نقطة!.. كان ينشل ؛.. يتجنن!.. لا لا .. أبدا . . عشمه لازم يكون فى محله ؛.. عن اذنك .. أفوتك بعافيـــة يامحروص ؟

ولكن محروص تصدى ثانية للحمـار يحتوى رقبته بين ذراعيه ويرنو اليهـا مستعطفا بذات اللهجة الحزينة الهادئة :

ـ عشم !.. أنا يستحيل أعيش من غيرك.. اسمعنى.. أنا.. أنا أروح له !

أخاصمك طول العمر ؟

ـ والحل ؟!

ـ فى يد الله .. حا .. حا ..!!

وانطلق الحمار مسرعا وكأنما سر ـ هو أيضا ؟ ـ بالخلاص من هذا المأزق .. وما أن انحدر براكبته فى نهاية الطريق تجاه الجرف ، حتى علا من بين أشجـار النخيل ذلك الصوت الفريد الذى تعرفه جيدا ، وتحبه كثيرا .. مجلجلا راعدا :

ـ عشم !.. اتأخرت يعنى ..!

ـ الدكاكين كلهـــا كانت قافلة .. اشتريت من غرب البلد ..!

ونزلت (عشم) لتجد أباها وأمهـــا يتناولان عشاءهما ؛ فجلست تشاركهما اياه ثم قعدت الأم من داخل العتبة تتولى صنع انشاى.. وجلس أبو فرج القرفصاء وراح يلقاط صفيحى بعد جمـرات من النار ليرص على الجوزة نفسا من المعسل .. وتناولت عشم بندقية أبيها صائحة وهى تزدرد آخر لقمة :

ـ شقيت يا بويا على القمح ؟!

ـ لا والله يا أبو الاعشام !.. روحى انتى لفى لفه ..!

وانطلقت (عشم) ببندقيتها تشق فى خفة واطمئنان عباب السنابل ، كانهـا طفلة تلهو فى حوض شاسع من الماء .. وقال أبو فرج وهو يشفط أنفاسا يزفر دخانها بشدة وقد بدا صدره على ضوء الموقد كث الشعر كفروة قنفد ..!! :

ـ وبعدين يابت ؟!.. أنا حاسس كدة أن عشم اليومين دول تعبانة معانا !

ـ عشم خدت على كدة ..!

ـ لا .. أنا من رأيى ...

وفجـــأة تراخت يمناه .. وضاقت حدقتاه .. وهمس الى زوجته فى حماس مفاجىء وهو يطفىء موقد الغاز :

ـ الحقى بسرعة اندهى عشم .. سامع خشخشة ..!!

وسرعان ما عادت الأم بابنتهـــا .. فمد أبو فرج ذراعه من خلفه حتى لمس كتفى ابنته ، ومال رأسها اليه ، ليهمس فى أذنها :

ـ أقفى يا عشم على جـدر النخلة ، وبصى كويس .. ونشننى تمام.. وأول ما أقول لك اضربى ، تضربى طوالى !.. أوعى ياعشم تخيبى عشمى!.. أهم حاجة ظبط النشان ، والاصابة من أول طلقـة فى المليان .. ! (ثم ربت كاهلها الغض فى حنو وهو يتنهد مكملا) : ..

خليك راجل يا أبو الاعشام!.. الخطوة دى خطوة واحد جاى قاصد!.. والعدوين كتار .. وأبوكى ماخلاش له ولا صـدر حنون ..!

ودفع (عشم) ، ومن ورائه زوجتـــه بظهر الجذر ، وتمتم :

ـ هبه.. هاناخد زماننا وزمان غيرنا.. الواحد نظره ضعف يالا السلامة

ثم رفع صوته الجهورى عندما اقتربت الخطوات واستبانت ، صائحا من وراء ظهر الرابضة على الجذر قدامه واصبعها على الزناد :

ـ مين اللى هناك ؟!

ـ أ ٠٠ أ ٠٠٠ أنا ٠٠

ـ انت مين انطق ؟

ـ أنا ٠٠ محروص !!

ـ محروص ايه ؟٠٠ محروص مين؟!٠٠ وعاوز ايه ؟ ٠٠ آه ٠٠ محروص!٠٠ لازم محروص قريب ابن سليمة اللى اتهمونى فيه عمنول !٠٠ والا يمكن جاى تتحامى لابن سعد الهنا !٠٠ واللا عـال !٠٠ هى حصلت كمان٠٠ حتى العيال جايين يهبطوا فى أرض الرجـال !؟٠٠ لا لا دى شربت باللجام!٠٠ اضرب ياواد يابو الاعشام٠٠!!

ولم تنطلق الرصاصة ٠٠٠!!

ودهش أبو فرج عندما خـذله (أبو الاعشام !) بينما كان صوت القادم يرتفع متجلجلا مضطربا ، وهو يتقدم مرددا : (أنا محروص أبو ٠٠ انت مش عارفنى؟ ٠٠ أنا مش قاصد الا ٠٠٠) وزأر أبو فرج مزمجرا وهو يلكز وحيدته أمامه :

ـ عشم ٠٠ اضربى ياعشم ٠٠!

ومرة أخرى توانت الاصابع التى دربها على الخشونة ، وعودها الصلابة ، وأعدها أيما اعداد لمثل هاته المواقف الحاسمـة العصيبة ٠٠ ولاح له أن البنت ترتعد ، واسنانها تصـطك وصوتها مبهـور محبوس ، وأنفاسها لاهثة متحشرجة ، ولـكنه لم يكف عن المزمجرة الهـادرة الفائرة :

ـ اضربى ياعشـم !٠٠ اضربى !٠٠ اضربى !

وحاولت (عشم) أن تلفظ كلمة٠٠ كلمة واحدة ٠٠ ولكن حشرجة صوتها المحتبس خرجت منتحبة مهزوزة مبتورة . وهـو لا يفتأ يواصل زئيره الجنونى: (اضربى!٠٠ اضربى !) ٠ والقادم يقترب وهو يصيح بدوره : (أنا محروص ٠٠ أنا جاى ٠٠ جاى عشان ٠٠) ٠٠ ولكن الرجل الثائر كالبركان الموار مضى يقذف بحممـه المتتابعة سراعا بلا رحمة : « اضربى!٠٠ اضربى !٠٠ اضربى ياعشم ٠٠ » !!

و ٠٠٠ وضربت عشم ٠٠٠!!

وانطلقت من بندقيتهـا الرصاصـة المنتظرة ٠٠!

وتنهد الرجل فى ارتياح ساخط!!٠٠ فـ ـ على كل حال ـ أخـيرا وضح أنه (عشمه فى محله) وتحقق أمله فى أن (عشم) لا تقل رجولة عن أى رجل !

ونهض ليفحص جثة القادم الذى جندلته عشم ٠٠ ولكن ٠٠ ولكنه قبل أن يذهب اليه ، فطن الى شىء كان قد غاب عنه ٠٠ شىء جعله يرتبك قليلا ، فيعود ويحـدد بفكره قياسا لصوت القذيفة النارية التى انطلقت ٠٠ ولم يدم ارتباكه طويلا ٠٠ فقد تعثر وهو يثب الى الامام فى جثـة ملقاة على الارض تتفجـر منها الدماء بغزارة !٠٠

كانت جثة (عشم) فتاته الوحيدة وقد ماتت أصابعها متقلصة على بندقيتها التى سددتها بيدها الى موضـع القلب من صدرها !٠٠ صـدرها الذى انطوى ـ الى الأبد ـ على أدق أسرار قلبها ٠٠٠!

محمد الحضرى عبد الحميد

تشيكوف الشاعر

لعل الشهرة الواسعة التى نالها انطون تشيكوف الكاتب الروسى والمجد الخالد الذى سعى اليه ٠٠ يتمثلان فيما أحرزه من انتصارات كبيرة فى عالم الروايات والقصة القصيرة والمسرحيات ٠٠

ويعد تشيكوف بحق احدى الحقائق الانسانية الناصعة فى تاريخ البشرية جمعاء لا فى روسيا فحسب ٠٠ فأبطاله البسطاء بصراعهم المرير فى سبيل الحياة يمثلون الانسان فى كافة أنحاء العالم ويسعون جميعا فى اخلاص واضح لتلقين البشرية الحقائق ٠٠ بل أكثر من هذا انهم يعرضون تجاريب كفاحهم الدائب فى بأس وصرامة ٠٠ وانتصاراتهم المشرفة فى سبيل توطيد المبادىء النظيفة لبناء هذا العالم على أسس من المحبة والسلام ٠٠هذا ما تعرفه الغالبية العظمى ـ وربما أكثر من هذا ـ عن تشيكوف العظيم ٠٠ ولكننا فى هذا المجال سوف نركز اهتمامنا فى ناحية أخرى من كتابات تشيكوف ٠٠ والمجالات ما زالت كثيرة ومتسعة لاكتشاف الاشياء الجديدة من كنوز هذا الرجل ٠٠ فهو وحده يمثل عالما قائما بذاته ٠٠ يضم بداخله حقائق وأسرارا لا تقل عظمة ومقدرة عما يحتويه عالمنا نحن بأسره ٠٠ والناحية التى نركز فيها اهتمامنا الآن هى ٠٠ تشيكوف الشاعر ٠٠

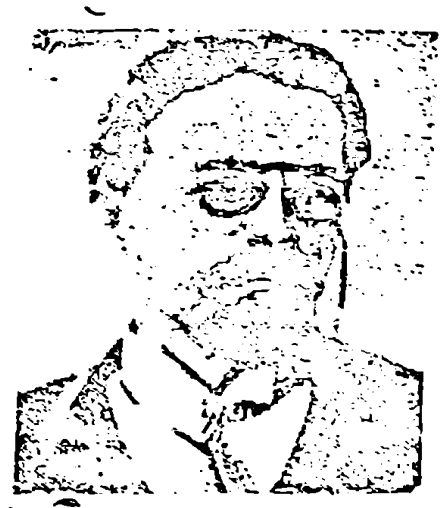

وليس هذا بالامر الغريب ٠٠ اذ اعتدنا دائما العثور فى كتاباته على الاشياء الجديدة الجادة العميقة ٠٠ والتى تصلح لكل عصر من العصور ٠٠ ويعبر تشيكوف عن احاسيسنا المنطوية المبهمة والمبثوثة فى جوانحه ٠٠ أصدق تعبير فى لمسات انسانية ساخرة غاية فى الدقة ٠٠ فتوقظ فينا الاشواق لعالم جميل ٠٠ أجمل مما نعيش فيه ٠٠ واذا طالعتنا قصة «الجرادة» أو «المفتونة» التى ترينا النوع التافه من الناس ٠٠ والذين يعجزون تماما عن ادراك الحقائق على وجهها الصحيح ٠٠ تعرض لنا هذه القصة فى وضوح كامل حياة امرأة مفتونة ٠٠ تحلم بالمجد والشهرة وتسعى اليه باحثة عنه فى دأب من خلال اندماجها فى الاوساط الفنية من موسيقى ورسم وغناء وتمثيل ٠٠ ونعرض صداقاتها

على الهواة فى هذا المجال وعلى من بلغ منهم المجد .. غافلة فى كل هذا عن حقوقها الزوجية وواجبها الكبير نحو زوجها الطبيب الذى تنصرف عنه غير مبالية .. ولو كانت تدرك فعلا حقيقة هذا الزوج الطبيب الخجول الذى يحبها ولا يضن عليها بشىء ما .. لاكتفت بما يدخه من ثراء عظيم ومقدرة فائقة فى عالم الطب .. ومن خلال سير القصة نبرز لنا قصة حب بين «ألجا ايفانوفا» الزوجة المفتونة وبين شاب رسام يدعى « ريابوفسكى » .. وفى اللحظة التى يلتقيان فيها على ظهر احدى سفن الفولجا ذات ليلة ساكنة مقمرة من شهر يوليو .. يتحدث «ريابوفسكى» اليها فى تأثر بالغ عن الطبيعة من حوله قائلا : ـ

وكل تلك الظلال السوداء على سطح الماء ليست ظلالا بل أحلام ..

ومن الخير للانسان أن ينسى كل شىء ..

أن يموت ويصبح ذكرى يحيط به هذا الماء السحرى النمير ..

وهذه السماء اللانهائية ..

وتلك الشواطىء الحزينة الغارقة فى تأملاتها ..

كلها تحدثنا عن تفاهة حياتنا ..

وعن جود شىء ما أسمى منها

شىء خالد يفيض بالطمأنينة السرمدية

وأن الماضى تافه وخال من كل متعة ..

والمستقبل موحش ..

هذه الليلة الالهية لايمكن أن تعود ..

بل لن تلبث أن تنتهى وتصبح جزءا من الابدية ...»

وننتقل فى القصة نفسها الى موقف آخر .. يبرز لنا المكان والشواطىء الجميلة من خلال احاسيس الفنان «ريابوفسكى» .. فى اللحظة التى يصرح فيها العاشقان بالحب الجديد .. فنجد «ريابوفسكى» قد جلس أمام الشباك فى الفندق حزينا .. ينظر الى النهر .. تتطالعه هذه الاشياء :

« كان الفولجا قد غادره اشراقه وأصبح غائما معتما باردا ..

وأصبح كل ما حوله ينبىء بمقدم الخريف بما فيه من أحزان وجدب ..

أما بساط الشواطىء السندسى الجميل وأشعة الشمس الماسية والفضاء الأزرق الشفاف ..

وكل ما تكتسى به الطبيعة من رقة ودلال ..

فقد بدا وكأنه انتزع من الفولجا انتزاعا ..

ووضع فى صندوق انتظارا لقدوم الربيع المقبل .. »

وفى قصته «العروس» يدفع الينا تشيكوف طاقاته العذبة الشاعرية .. فتتصدر فى هدوء ساكن .. وتنساب نحو أحاسيس الغافية المغلقة .. فتوقظ فيها ذكريات الامس الحزين البعيد .

.. الظلال تمتد فى أرجاء الحديقة فى هدوء وصمت ..

ونقيق الضفادع يسمع من بعيد ..

لعله خارج المدينة ..

وكان كل ما فى الجو يشعر الجميع بأنهم فى شهر ما يو ..

ذلك الشهر الساحر ..

ففى مقدرة كل انسان أن يتنفس ملء رئتيه ..

وان يتخيل الربيع قد بدأ حياته الخاصة هناك ..

فى مكان ما .. فى الناحية الاخرى من المدينة ..

تحت السماء .. وفوق قمم الاشجار وفى الحقول والغابات ..

وأن تلك الحياة الحلوة الغامضة الثرية المقدسة ..

تغلق أبوابها أمام الآثمين من البشر كان ذلك يكاد يدفع بالمرء الى الصياح»

* * *

وفى قصة «يونيك» فى الوقت الذى تعاهدت فيه «كنه» مع الشاب «ستارتسيف» طبيب الاقليم المقيم بها .. على ان يلتقيا فى الحادية عشرة مساء أمام المقبرة خارج المدينة .. ولم يشأ «ستارتسيف» فى البداية تنفيذ ما اتفقا عليه .. وكاد يلغى هذا اللقاء من حياته .. ولكن قوة غريبة دفعته الى الذهاب فى الموعد المحدد .. وفى الطريق بدا له كل شىء عجيبا ..

« .. كان الجزء الاخير من الطريق يمر عبر حقل ..

والمقبرة تبدو من بعيد كالشريط الاسود ..

كأنها قطعة من غابة أو حديقة كبيرة .

وبعد لحظة لمح جدار من الحجر الابيض ثم باب كبير ..

وفى ضوء القمر استطاع أن يقرأ على الباب هذه الكلمات ..

« ستدق ساعتك أنت أيضا .. » ..

وفى القصة نفسها يعرض لنا تشيكوف على لسان بطله «ستارتسيف» وصفا رائعا للمقبرة من الداخل من خلال تأملاته الصامتة للاشياء التى أمامه .. والعالم الغريب من حوله : —

« .. أحس ستارتسيف أنه يرى عالما يختلف عن غيره من العوالم ..

عالما يبدو فيه ضوء القمر ناعما عذبا

كما لو كان هذا المكان مهدا له ..

عالما يخلو من الحياة .. من كل حياة

ولكن يحس فى كل شجرة من أشجاره ..

وفى كل قبر من قبوره .. ،

بوجود سر ملىء بوعود الحياة الابدية العذبة المطمئنة ..

وكأن الحزن والسلام يتصاعدان كالشذى ..

من شواهد القبور والازهار الذاوية ورائحة أوراق الخريف الميتة ..

واذا نحن تصفحنا كل كتابات الكاتب العظيم تشيكوف طالعتنا مثل هذه التعبيرات العذبة الهادئة .. فتغزو أحاسيسنا وتنقلنا الى عالم من الرؤية البعيدة .. ولا غرابة من ذلك فان تشيكوف يمتاز بشاعرية رقيقة وحس مرهف .. ومقدرة فائقة فى بلورة الاحداث وتنقيتها فى صورة واضحة الوجوه .. تنساب الى أعماقنا فى يسر وسهولة .. وتغمر كياننا بأسره وترطب مشاعرنا حتى أعماقنا الضحلة ..

واذا نحن كتبنا كل يوم عن الكاتب الكبير لن نوفيه حقه أبدا .. فكم أتحفنا بروائعه الساحرة .. حتى أطبقت شهرته الكبيرة العالم بأسره ..

حسن النجار

« من جماعة مصر العليا »

ثارت في حقلنا الادبى فى الاسابيع القليلة الماضية معركة أدبية صاخبة حول قضية الشكل والمضمون خاض غمارها النقاد وانقسموا فيما بينهم الى معسكرين أحدهما يولى الاهمية كلها للشكل وان كان لا يهمل المضمون وعلى رأس هذه القائمة الدكتور رشاد رشدى ٠٠ اما المعسكر الآخر فانه يولى الاهمية للمضمون بالرغم من أنه لا يهمل الشكل وعلى رأسهم الدكتور محمد مندور ٠٠ وتناقش النقاد حينا وتهاترو أحيانا ولم يملك الادباء والقراء غير الفرجة ، فى الحالين ٠ وبالرغم من كل ما قيل فى الصحف والمجلات والندوات الادبية فان أحدا من هؤلاء النقاد لم يتطوع بتعريفنا معرفة صحيحة بأس كل هذا الخلاف والتنابذ ، وهو الناقد الشاعر الانجليزى ت٠س٠اليوت الحاصل على جائزة « نوبل » فى الادب عام ١٩٤٨ ٠ ٠ حتى الدكتور رشاد رشدى فى كتابه « ماهو الادب » يتعصب لكل ما ذكره عن اليوت تعصبا من السذاجة معه ان نحاول الظفر عنده بمعرفة حقيقية عن اليوت هذا ٠

ولذلك سأحاول فى هذا المقال ان القى بعض الاضواء الكاشفة على ت٠س٠اليوت وان أنظر اليه نظرة موضوعية محايدة لاتنحاز ٠٠لنعرف من خلالها ما له وما عليه٠

★ ★ ★

لعل أهم ما كتبه اليوت هو مجموعة من المقالات جمعها فى كتابه المعروف باسم « مقالات مختارة » وفيها يرسى قواعد مذهب جديد فى النقد يمكن تسميته « بالمذهب الاتباعى » أى النقد على طريقة الشعراء القدامى والحكم على الاعمال الادبية المعاصرة وفهمها بمقارنتها بالادب القديم ٠

واهم مقالاته فى كتابه « مقالات مختارة » هى مقالته المشهورة المعروفة باسم «التقاليد الأدبية والنبوغ الفردى» أو « الاتباعية والموهبة الفردية » ٠

ومعظم مقالات اليوت تطبيق مباشر لهذا المذهب ٠٠ من ذلك مقاله « المظهر الهوثورنى من جيمس » وفيه يقارن بين القصصى الامريكى هنرى جيمس والقصصى هوثورن ويبين تأثر أحدهما بالآخر ٠ ومن ذلك أيضا مقاله بعنوان « شكسبير ورواقية سنيكا » وفيه يبين انعكاس رواقية سنيكا على الادب الشكسبيرى ٠

ولما كانت اتباعية اليوت تميل الى القديم لذلك نجد أسلوبه النثرى محافظا فصيحا وكأنه أسلوب القرن الثامن عشر

---

١ ــ هذه نبذة تشبه الترجمة ، وجمعت فيها الى ماكتبه عن اليوت معاصروه ؛ ومن خير المراجع فى ذلك كتاب «النقد الأدبى» للناقد الامريكى «ستانلى هايمان» ففيه فصل ضاف عن اليوت ٠

لا القرن العشرين .. وهذه الاتباعية نفسها هى التى تجعله يقبل الشعر الكلاسيكى فى حين يرفض الشعر الرومانسى .. الا أن هذه القاعدة لا تطرد باستمرار بل تبدو معكوسة فى بعض الاحيان ، اذ نجد اليوت يمتدح بعض الشعراء الرومانسيين مثل الشاعر الانجليزى «كيتس» أو «تنيسون» فى الوقت الذى يتنكر فيه لشاعر من أعظم الشعراء الكلاسيكيين مثل « بوب » .

وقد اختلف النقاد أيما اختلاف حول ت.س.اليوت وهل هو «ناقد تاريخى» يحكم على الاعمال الادبية ويفسرها على ضوء ملابساتها الزمنية وظروفها التاريخية أو أنه « ناقد غير تاريخى » يقارن بين آداب العصور المختلفة وكأنها وجدت كلها معا فى زمن واحد . ومن ظواهر هذا الاختلاف البين ، ما ذهب اليه الناقد « ادموند ولسن » من أن اليوت نموذج للناقد غير التاريخى ، أما « جون كرو رانسوم » فقد اعتبره ناقدا تاريخيا .

وأهم ما يلحظه القارىء لاليوت هو هذه الكثرة الكاثرة من المصطلحات الغامضة التى ابتدعها مثل تعبيره « اللاشخصائية فى الفن » ويعنى بها أن الكاتب لا يعبر عن ذاته ، فالشعر عنده « ليس تعبيرا عن الذات بل هروبا منها » ، وابتدع اليوت أيضا ما يسماه «التبادل الموضوعى» أو «المعادل الموضوعى » ، فالعمل الادبى يعبر عن عواطف الشاعر واحساساته وهو فى نفس الوقت يثير فى القارىء هذه العواطف والاحساسات ، ومن ثم فالعمل الادبى يعتبر معادلا لهذه العواطف ..

الا أن الشعر عند اليوت ليس اطلاقا لسراح العاطفة كما هى الحال عند شعراء الرومانسية .. « **ليس الشعر اطلاقا لسراح العاطفة بل هو هروب منها** » كما يقول اليوت . **والشاعر بواسطة عقله الخالق « يحول آلامه الذاتية الخاصة الى شىء خصب غريب .. الى شىء كونى عام لا ذاتى » .. وكلما كان الفنان أكمل كان فى مقدور عقله الخالق أن يهضم العواطف التى هى مادته و « يشكلها » على وجه أكمل .**

ومن المبادىء الهامة عند اليوت ما يسميه « بالتوافق الشعرى » أو « اللاتناسب بين العقيدة والفن » بمعنى أن القارىء لحظة قراءة القصيدة يكون منفصلا تماما عن مسائل العقيدة ، والعقيدة هنا ليست هى العقيدة الدينية فحسب ، وانما هى كل ما يؤمن به الشاعر من المبادىء والمثل والنظم الاجتماعية والقيم الاخلاقية وغيرها .. يقول اليوت : « **ان الشعر الاصيل ينتقل الى المتلقى قبل أن يفهم** » .. وهذا المبدأ هو أخطر ما فى مذهب اليوت على الاطلاق اذ أنه يجعل الشاعر « غير مسئول » عن شىء .. يؤمن اليوم بما تحلل منه بالامس . وهو فى الوقت نفسه يحدد بالضبط مفهوم اليوت للشعر والنقد فما دام الشاعر لا يؤدى رسالة ولا يستهدف هدفا بناء ، **فغاية الشعر فى هذه الحالة أن « يمتعنا »** فحسب .. وبناء على ذلك تكون غاية النقد أن يتيح لنا قسطا أكبر من هذه المتعة ، أو على حد تعبير اليوت : « **أن يمنحنا نوعا خاصا من المتعة** » ولهذا السبب — الامتاع — لم يرض اليوت عن شعر عصره ولا نقده حين قال : « **اننا حين لا نتطلب المعرفة التى تحشى بها كراسات الطلبة ، بل**

نتطلب متعة الشعر ونبحث عن قصيدة فاننا قلما نعثر على واحدة » .

وأهم ما وجه لاليوت من نقد هو ضيقه بالموضوعات التى ينقدها وتهربه منها الى الحد الذى جعله يقول انه « لا يفهم الشعر البسيط » عندما تعرض بالنقد لقصيدة الشاعر الانجليزى « شللى » أو ما قاله عن بيت « كيتس » « **الجمال هو الحق والحق هو الجمال** » من أن هذا البيت لا يعنى شيئا .

ويتسم اليوت عموما بالتناقض السافر وهناك أكثر من دليل أو واقعة تؤيد ذلك أكتفى بأن أسوق بعضها مثل ما جاء فى مقاله « شكسبير ورواقية سنيكا » اذ قال فى بدايته : « **ولا اعتقد أن شكسبير وقع تحت تأثير سنيكا ولكنى اريد أن اظهر هذا الشكسبير السنيكاتى قبل أن يظهر** » ومع ذلك فباقى مقاله يوضح أثر سنيكا ــ بالفعل ــ فى شكسبير .

و « اتباعية » اليوت لا تقتصر على النواحى الادبية فقط وانما تتعداها الى النواحى الاجتماعية . من ذلك مقاله « المجتمع المسيحى » وفيه يبدو اليوت اقطاعيا وهذا مثال آخر على التناقض الذى وقع فيه اليوت اذ بينما نجد اتباعيته الادبية النقدية تستهدف المتعة الشعرية أى « الشعر من حيث هو شعر » **نجد اتباعيته الاجتماعية تستهدف غايات سياسية وان كانت رجعية اقطاعية .**

واليوت الاقطاعى استعمارى أيضا يؤمن بمبدأ الشاعر الانجليزى الاستعمارى « كبلنج » .. « **ان من واجب الدول الراقية أن « تربى الاطعان » التى لم تنل حظا من الرقى** » .

واليوت شاعر وناقد فى نفس الوقت والاجتماع النقد والشعر معا من العيوب أكثر مما له من المزايا ، وبالرغم مما يقوله الشاعر الانجليزى « عز رابوند » : « اذا أردت أن تعرف شيئا عن السيارة فهل تذهب الى من يعرف عنها وعن قيادتها شيئا أو تذهب الى من سمع بها فحسب » . بل ان اليوت نفسه ــ طبعا ــ يرى هذا الرأى اذ يقول «اننى لاعتقد أن النقد الذى يجريه أديب ماهر ذو مران على انتاجه لهو أشد أنواع النقد حيوية وأعلاها درجة » .

بالرغم من أقوال هؤلاء النقاد فهناك اعتراض ضخم يقوم فى وجه الناقد الشاعر ، ذلك أنه اذا تحدث عن شعره فسيكون ذلك أشبه بالسيرة الذاتية التى لا يستطيع أحد مناقشته فيها . أما اذا تصدى بالنقد لشعره غيره فانه سيكون فى هذه الحالة متأثرا بطريقته هو فى الكتابة ، ومن ثم فان يتسم نقده بالموضوعية اطلاقا فقد يطرى شاعرا أو يذم آخر فيكون اطراؤه أو ذمه فى حقيقة الأمر دفاعا عن شعره هو فى حقيقة الأمر .

ومما هو جدير بالذكر أن اليوت قد تخلى عن مذهبه « البروتستانتى » الى المذهب « الأنجلو كاثوليكى » واعلن ذلك صراحة فى كتابه « من أجل لانسلوت أندروز » اذ قال فيه انه «كلاسيكى فى الادب .. أنجلو كاثوليكى فى المذهب .. ملكى فى السياسة » . وفى عام ١٩٢٨ أعاد اليوت طبع كتابه « الغابة المقدسة » وأوضح فى مقدمته أنه تخلى عن مبدأ « الشعر من حيث هو شعر » ؛ أو ما نسميه « الفن للفن » .

محمد عبد الهادى محمود

الواقعية .. فى القصة ، والمسرحية

محمد الخضرى عبد الحميد

كتب أديب فى (الادب) — ابريل ٦١ — تحت عنوان (محاولة لابداء رأى فى القصة القصيرة) كلمة ضمنها هذا التساؤل : « هل من أديب خلق عملا فنيا عن مأساة القطن والدودة) !؟ وهى عبارة يحسن بنا أن نقف عندها طويلا . صحيح ،.. لم « يتفضل » أديب من أدبائنا بالكتابة عن مثل هذه الادواء التى تهم طوائف عديدة من البشر .. لأنهم — قواهم الله — مشغولون بتسخير كل ما أوتوا من « صنعة » فى عرض نماذج شاذة ، خذ عندك — مثلا — (دقدق) أو (فلفل البوهيجى) وما شاكل ذلك من دمى يصطنعون لها المواقف اصطناعا لا لشىء الا لاستعراض طول الباع والنفس فى الوصف ، والوصف ، ولا شىء غير الوصف فاذا قدر لك أن تجالد ذلك الكرب العظيم الذى يصبونه فوق الادمغة صبا — باسم القصة — ووصلت ، سالما ، الى (النهاية) هالك أن لا تجد فى القصة ... قصة !!

أجل !.. فياليت هذه النماذج وتلك الانماط تأتينا من لدنهم فى عمل أدبى كامل .. فنيا وعقليا .. انما هو شىء أشبه بـ (الترقيع) المتنافر . الذى لا مقصد من ورائه الا تسويد صفحات .. واستعراض عضلات ...!

وأكاد أجزم — وأنا الذى بح صوتى بأن القصة القصيرة عندنا فى أزمة — بأن المسألة — أولا وآخرا — مسألة (موضة) فما هو أن ينجح قاص فى أقصوصة عن (الواد) فلان بائع القشدة ، حتى تنهال الاقاصيص ، حول باعة الزبادى والفلافل وعلى هذا تمضى المواكب والجحافل ...!!

وأعود ثانية الى ذات السؤال : هل منا من كتب عن (الدودة) أو القطن؟!.. وأنا أطمئن المتسائل بأن منا — لابد ! — من كتب !! .. فقط لا تقولن لى (اذن أين؟) فانه وحتى ان جرؤ كاتب على ذلك فلن ينشر سيبدو شاذا لا يتفق و(ألوان الموضة) !! ... وأنا بالطبع أقصد الادباء الذين اصطلح الكبار على تسميتهم بالادباء الجدد .. ومعنى هذا الذى خلصت اليه أن الكبار لم يكتبوا لنا شيئا عن واقعية ريفنا أو الصعيد !..

ولا أريد — وقد فتحنا الباب — أن أحصر الاتهام ، ولنسمها (المؤاخذة والعتب) فحسب مؤقتا ، فى دائرة الادب القصصى وحده ، فهناك مثلا ذلك المشعل المزدهر — المسرح — الذى صار لزاما عليه أن يؤدى زكاة بعثة وازهاره ، فيقدم بين ما يقدم من روايات ، موضوعات تعالج أدواء الريف ، وتسهم فى حل مشاكل الصعيد .. ونذكر هنا أن (المسرح الاقليمى) انتخب فى مسابقة حكومية عامة ثلاث مسرحيات نبعت موضوعاتها من مشاكل الريف ، ثم بدأ (المسرح

البقية فى صفحة ١٢٨

حول تجارب موراڤيا أيضا

خرجت علينا أصداء ادبية بمجلة الاداب عدد ابريل بتعليق للاديبة تحية عبده سعد حول التحقيق الذى أجرته دانا ماديادى ، مع أديب ايطاليا الكبير (البرتو موراڤيا) تنحى فيه باللائمة على أدباء جيلنا وتتهمهم بالغموض وأرجعت ذلك الغموض فى نظرها الى أسباب منها على حد قولها انهم يريدون أن يحتفظوا بتجاربهم لانفسهم لئلا ينتفع بها غيرهم فيسلك مسلكهم أو انهم يريدون أن يكونوا ألغازا ليربطوا الناس بهم ويحملوهم على التفكير فيهم دائما .

وفى نظر الاديبة أن صراحة الاديب توفر على الباحثين جهدهم وعلى الناشئين مرارة التجربة التى قد تخنق مواهب بعضهم فى بداية الطريق لعدم وجود نموذج كامل يقتفون أثره :

والسؤال الذى أحب أن أوجهه للاديبة بعد هذا التجنى هو هل لصالح التراث الفكرى والعمل الادبى مضافا الى مبدعه أن نترك حرية البحث لمجموعة من الباحثين يتناولونه كل من وجهة نظره أم يقف الامر عند حد معين من شخص الاديب بناء على ما استقى منه ؟

والاجابة على هذا السؤال تازمنا أن نقف عند مجال النقد بالذات لنرى ماذا يمكن أن يحدث لو اقتصرنا فى بحثنا على ما يصدر من شخصية الأديب

فالواقع أن النقد مثل هذا الموقف لن يخرج عن كونه سردا تاريخيا يقتفى أثر الحادثة لينبتها وفى ذلك تضييق لمجال النقد بل أجرؤ فاقول انه قضاء على مهمه النقد الأساسية وهى الكشف عن مواطن الجمال فى العمل الأدبى . لان عملية الكشف تحتاج الى نوع من الغموض يجرى وراءها الناقد ليكشفها . ولأن الناقد سيكتفى بما قال الأديب عن أدبه ولن يكلف نفسه عناء البحث عن شىء عرفه

وعلى ذلك فيجب علينا أن نطالب منشىء العمل الأدبى بمذكرة تفسيرية توضح لنا كل عمل أدبى أبدعه لتوفر الجهد على الباحثين على رأى الأديبة .

بل لن تعدد البحوث حول العمل الأدبى يخلق وجهات نظر مختلفة تكثر من صوره الجمالية تبعا لتعدد تلك البحوث فكثير من الأعمال الأدبية اكتسبت صفة الخلود بسبب ما أثير حولها . بل لعل العمل الأدبى يكون نكرة اذا ما تناولناه من وجهة نظر واحدة

بقى شىء أحب أن ألفت اليه نظر الاديبة وهى أن التجربة التى يعانيها الناشىء هى التى تخلق شخصيته المتميزة وتحدد معالم أدبه وتجعله قادرا على مواصلة السير . وليس أضر على الناشىء من أن يجد أرضا ممهدة يمشى عليها أو نقول له سر كما سار فلان لأن ذلك يضعف منهجه الفردى ويجعل منه ومن أدبه صورة مشابهة لما الفه

محمد جمعه الحلوى

يستر عرضك

تأليف صبحى الجيار

تميزت قصص « يستر عرضك » للاديب صبحى الجيار بظاهرة تدعو الى الاعجاب حقا .. وهى ن صاحبها — وهو أديب كما نعرف — لم يخالط المجتمع بشكل مباشر لأن المرض سجنه فى فراشه وهو فى السابعة عشرة من عمره .. حتى الآن ، ونرجو من قلوبنا .. لا يكون الى الأبد .

رغم أن أديبنا لم يباشر المجتمع بما فيه من مشاكل ومتناقضات وأزمات و.. الخ ، الا أنه — وقصصه خير دليل — قد فاق فى تصويره وعرضه لازماتنا الاجتماعية الكثيرين من الادباء .. الذين يعزلون انفسهم عن المجتمع رغم أنهم يعيشون بين الناس كل لحظات حياتهم .

والقارىء الذى لا يعرف صبحى الجيار عن كثب ويجهل أنه لم يغادر فراشه منذ صباه، لا شك أنه سيعتقد حتما أن صبحى هو بطل معظم قصصه لصدقها ودقة تصوير أحداثها وبراعة حوارها وطبيعة عرضها .

***

ونظن اننا هنا نستطيع أن نبدى رأينا فى هذه المجموعة ، وأولى قصصها هى قصة « يستر عرضك » ذات المغزى الانسانى العميق الذى يجذب احساسنا معه الى الأعجاب بالكاتب . فرغم أنه لم يمارس الحياة وسط الناس — كما أسلفنا — الا أنه استطاع — وبنجاح — أن يعرض لنا صورة للطبيب الذى وجد نفسه — وهو فى الصعيد — يواجه مشكلة فتاة أسلمت نفسها لمن أحبها . والقصة تبدأ بأم الفتاة التى تراوغ الطبيب فى الاعتراف بمرضها ولا تنى تقول له وكأنها تتحداه « مش تكشف وتشوف » أمال دكتور ازاى ؟! » واستطاع الطبيب بعد جهد أن يعرف علتها ويصف لها الدواء فعبرت عن اعجابها بمهارته بأن جاءته بكشف على بنتها التى أصابها السقم والشحوب .

وعندئذ يكاد الطبيب أن يثير أزمة حادة عندما قال عن الفتاة « تكونش الست حامل ؟! » فقد صرخت أمها « كلام ايه ده ياراجل «دى بنت» وعرف الطبيب مأساة الفتاة .. عرف أنها أسلمت نفسها لرجل فدارى موقفه بلباقة . وكان المؤلف دقيقا فى تصويره لمشاعر الطبيب ، الذى يجد نفسه فى مأزق كهذا . ومن الواضح أنه قد أفاد الكثير من حياة شقيقه الطبيب ، الذى يمثل نافذة له على العالم الواسع الذى لا يعاشره ..!

ولنا مأخذ بسيط على هذه القصة .. على نهايتها .. اذ نرى الشاب الذى سلب حبيبته عرضها وظل على علاقته الآثمة بها فترة طويلة — بدليل أن الفتاة كانت فى بداية الحمل — تقول ان بطل القصة ظل صامتا ، بليدا .. اذ لم يتقدم للزواج .

من الفتاة ، ولم يعرض لنا الكاتب ـ حتى ولو من بعيد ـ أنه حاول التقدم لأهلها ورفضوه «مثلا» !

وذلك يؤكد لنا أنه كان مصرا على أن يظل يعاشر الفتاة فى الخفاء ، ومع ذلك نراه ينهار ويوافق فورا على اقتراح الطبيب بأن يتزوج منها .. فالتحول هنا فى نفسية البطل جاء سريعا وليس له مقدمات سوى مساومة الشاب للطبيب، وهذا هو المأخذ الوحيد فى القصة .. اذ أن لحظة التنوير عن البطل ـ كما يقول النقاد ـ جاءت شبه عفوية ، فجأة .. فى حين كان يجب التمهيد لها ولو حتى من خلال الحوار الذى دار بين الشاب والطبيب فنعرف مثلا أن موارده لم تكن تسمح له بالزواج ، أو أن هناك عوائق أخرى تحول دون ذلك ، لأن الذى فهمناه من استعطافه للطبيب بأنه لا يملك ثمن «الاجهاض» لا ثمن الزواج ..!

***

الا أن القصة الثانية «ثم هدأت العاصفة» سرعان ما تنسينا هذا المأخذ على نهاية القصة الاولى لبراعة عرضها لأزمة ناهد هانم .. وهى فى الواقع ليست قصة ناهد هانم وحدها ، بل هى قصة أغلب الزوجات ـ على الاقل ـ فى بيئات معينة ..

فناهد هانم تعانى من الجوع الى زوجها تتمناه .. تريده كزوجة تريد زوجها . وبينما هى تحدثه تليفونيا ليعود مبكرا لتطفىء شوقها اليه .. نراه يعود متأخرا جدا كعادته فاقدا وعيه من الخمر ، فتثور وتترك له البيت الى بيت صديقتها التى تحتفظ لها بعشيق ولهان يتمناها ، وتخطىء الزوجة وتطفىء ظمأها الى العاطفة والحب مع رجل غريب . ولكننا نفاجأ فى الصباح بعودتها الى زوجها الذى أفاق الى نفسه بعد أن تناول « قرصين اسبرين » ونحن قد نوافق المؤلف على أن «قرصين الاسبرين» قد أعادا عقل الزوج المخمور الى رأسه فذهب ليعيد زوجته . ولكننا لا نتفق معه على قوله فى ختام القصة « كانت ناهد ساهمة تتأرجح على شفتيها ابتسامة راضية ، فقد كانت تنفعل باحساس جديد مريح لا تشعر معه بالحقد على زوجها الخائن .. » (!!) هل لانها «خائنة» و«استغفلته»؟ ان مشاعرها هنا مبهمة ، وخاصة أنها رأت نفسها ـ مع الرجل الغريب ـ شابة مثيرة .. فهل كانت نظرتها الى زوجها متسمة بالرضا لانها أخذت تطلع الى ملامح زوجها الهادئة فى شىء من الرثاء ؟ لا نظن أن رثاء الزوجة لزوجها، أو الزوج لزوجته كفيل بأن يحل المشكلة .. مشكلة الزوج الذى يترك زوجته تتألم من الظمأ الى رعايته، بينما هو غارق فى الخمر والنساء ، ولكن نعود ونكرر أن القصة كانت بالرغم من ذلك شيقة فى عرضها ، وجعلنا الكاتب نحس فعلا بفداحة الاخطار التى تحيق بالبيوت التى يستهتر بقداستها أزواجها أو زوجاتها .. ولكنا نرى أن الموقف فى نهايته كان فى حاجة الى عناية أكثر من الدقة فى التصوير ومتابعة نمو الاحداث حتى النهاية .

***

و «عذاب» القصة الثالثة ، لا نستطيع أن ننساها بسهولة بعد قراءتها . لأن المؤلف عرضها بأسلوب يلصق باحساسنا وعاطفتنا . فهذه «مبروكة» تحكى قصتها فى صدق الريفية الساخرة المأساة . مات أبوها .. وترك لها ولأمها حمارا عجوزا عاشتا على القروش القليلة التى كانتا تؤجرانه بها للفلاحين فى العزبة .. ولكن الحمار مات ، وتقمص روحه جنى كبير من

اللقمة الضرورية ، و .. » فكرت أمى فيمن يعوض الحمار فتزوجت .. »

سخرية لطيفة من الزوج القاسى التى مهدت هذه العبارة لظهوره فى القصة ورسمت معالم قسوته فى دقة. وها نحن نرى «بلطجية» هذا الزوج الذى طوى الأم فى قبضته ، وسام الطفلة صنوف العذاب ولما ضاق بها أخذها ليخدمها فى مصر طمعا فى أجرها . ولا نخفى اعجابنا بقول المؤلف على لسان الفتاة « وجذب أذنى الى أعلى حتى رفع كعبى عن الارض » وذلك عندما كان يقدم الطفلة الى مخدمتها .

والى جانب صورة هذه البطلة المعذبة نرى صورة أخرى للزوج « الخيخة » الذى يرهب زوجته المستأسدة، فعندما تحصره فى ركن الحجرة لتنتقم منه يحطم ثورتها بقوله فى استعطاف «ياشيخة ماتفرجيش علينا الناس » حرام عليكى ماتفوريش بمك كدة .. ده انتى عندك ضغط .. «فهو لا يقدر يجرالك حاجة» صورة معبرة عن بعض البيوت ، ويحمد لها أنها تومىء لنا الى طريق الرجولة والهيبة اللازمين للبيت .

ولكن لايفرتنا فى غمرة اعجابنا بالقصة أن نذكر شيئا هاما وهو أن القصة يعيبها أنها عرضت صورتين متباينتين . الاولى أسرة مبروكة وما فيها من جفاف وعذاب وصراع بين الأم وزوجها البلطجى حول تخديم ابنتهما ؛ والثانية للأسرة التى عملت عندها مبروكة وما فيها من أزمات ومضايقات وعذاب للطفلة أيضا.

حقا ان مبروكة كانت الخيط الذى يربط بين الصورتين ، الا أن ذلك لايكفى مبررا لكى يعرض لنا المؤلف حدثين كبيرين فى قصة قصيرة بينما كل حدث منهما يكفى مع شىء من الرعاية — أن يكون قصة بذاته . كان يكفى أن يركز المؤلف على الحدث الاول ويبلوره ليبرز بوضوح أكثر ففيه مصير الأسرة التى يتولى أمرها مثل هذا البلطجى وليبين لنا دور الأم فى مثل هذه الحالة ، انها لا يجب أن تظل اما سلبية بخصوص ابنتها الى هذا الحد . أجل .. القصة كانت فى حاجة الى تركيز على الحادث الاول وحده وبلورته كما حدث بالنسبة للحدث الثانى الذى نستطيع أن نعتبره قصة بذاته منفصلة عن الحدث الاول كلية .

***

والانفصال فى موضوع القصة السابقة لا نجده فى قصة « كروديا » التى تعد من أحسن قصص المجموعة باستثناء «ندم» فهى تصور لنا لحظات من حياة — عطيه — الذى يضرب على قفاه و « يتمسخر » من صبى المقهى كلما دخل ليبحث عن رزقه بين الأحذية التى يمسحها . ويكابد عطيه الأمرين من صبى المقهى ومن الزبائن ، والسباب يملأ أذنيه ، وسخرية الناس به تمزق احساسه ، ولكنه يتحمل ويكبت فى نفسه ويواصل عمله سعيدا من أجل القرش . ويفوز أخيرا بحذاء يمسحه ويعود بالقرش الى بيته ، وهنا تتضح لنا براعة المؤلف فى تصويره لانفجار كبت عطيه وغيظه من « السخرية » التى نالته طول يومه من الزبائن ومن صبى المقهى، وذلك عندما يرى ابنه وقد جرح وضرب من أولاد الحارة فيضربه .. ويظل يضربه فى غيظ ، ويضرب زوجته التى حاولت أن تحمى ابنها الجريح ، ويصرخ فيها وكأنه يصرخ فى أمه هو أو كأنه يمزق ماضيه هو « اخرسى ياوليه إنت اللى حتطلعيه جبان وملطشة لعيال الحارة .. » فى هذه الكلمات القليلة صور لنا المؤلف فى ايجاز وبراعة حياة عطيه وأزمته النفسية، وصنع

بها نفسية الأمهات المريضات بداء التدليل والحنان القاتل لمعنويات أولادهن وارادتهم .

***

وقصة « أنكرت أبى » ، لا نستطيع أن نجارى المؤلف فى ادراجها تحت اسم قصة فهى تاريخ لحياة شاب لا يجد مصروفات المدرسة لأن والده «الحـــلاق» مريض بالمستشفى ، ويخجل الطالب من صفة والده ، ويجيب ناظر المدرسة عندما سأله عن عمل والده بقوله ـ موظف فى الحكومة ـ ويطرده الناظر فيخرج الى أزمات أسرته التى مر بها المؤلف بسرعة كما مر بغيرها من أحداث فى حياة بطل الصفحات التى كتبها عن حياته . ويقتنع الطالب بأقوال عمه المنطقية ويفتح صالون والده ويصبح «أوسطى» يحلق للزبائن بعد وفاة والده ويقبل الشاب على تعليم اخواته ، وتتغير حياته فجأة عندما كان يحلق لأخيه ـ ولا ندرى أى مبرر فنى دفع المؤلف لأن يعرض هذا الموقف بطريقة غامضة اذ قال أنه بينما كان يحلق « رأســـا أمامه » و .. « رفعت الفوطة عن الزبون » ثم اكتشفت أن هـذا « الرأس » وهـــذا « الزبون » هما .. أخوه الذى صرف على تعليمه حتى أصبح طالبا فى الجامعة !

وينتقل المؤلف سريعا من هذا الموقف الذى نراه بذرة صالحة لكى نتعمق مأساة بطل «حكايته» .. ينتقل المؤلف ليخبرنا أن بطله انتسب لمدرسة ليلية ثم .. أصبح محاميا . ان القصة فيهـا ملامح قصة بلا جدال ولكنها خالية من عمق القصة القصيرة رغم أبعادها الفنية الصالحة لعرض مأساة مثل هذا الطالب .

انها كما قلنا تاريخ ـ مجرد تاريخ ـ لحياة شاب تعثر فى تعليمه ، ولكن المؤلف أراد « كروتة » موضوعه فى سرعة فظلت البناء الفنى للقصة . وكان يكفى جدا أن يبدأ قصته من الموقف الذى يصور بطله وهو « يحلق » رأس أخيه ثم يغوص بنا الى حياة بطله ويعرض مأساته وبذلك كنا نحصل من المؤلف على قصة لها عمق وبها فنية القصة القصيرة واثارتها .

***

وقصة «ذات ليلة» تعرض نصيحة والد لابنه بعثها اليه فى رسالة حيث يعمل فى أسوان ويواجه الحياة لأول مرة ، ورغم أن هذه القصة ـ كما قلنا ـ ليست الا نصيحة فى رسالة الا أن الصور التى مرت من خلالها كانت حية صادقة لأنها تجربة «أب» فى بدء حياته العملية . فقد اشتهى الوالد أكلة سمك ، فأكلها وأصيب بالتسمم فى الصحراء وفى الوقت الذى كان يتأرجح فيه بين الموت والحياة ، لم يكن يحرص على شىء الا على أجور العمال التى تركها فى «الخيمة» تحت المخدة .

ونحن نعتبـــر هذه القصة انموذجا حسنا لقصة فى رسالة لولا أكلة السمك التى طالت « متعلقاتها » عن حد اللازم .

***

وقصة « نصيحة يا أم فلفل » هى من القصص التى لا يستطيع المرء أن ينساها بسهولة « قصة الزوج المستبد » فى كل شىء يتعلق بحقوق بيت الزوجية .. قصة الرجل النهم الذى ينطلق وراء رغبـــات النفس ونزعاتها الوقتية فيترك زوجتـه وبيته وأولاده ويسعى الى امرأة أخـرى متعللا بأن الشرع يبيح له الزواج بأكثر من واحـدة . وتبلغ القصة حد الروعة عند محاولة الزوجة أن تبقى زوجها الى جانبها فتقول « انت خارج البيت الى كمان يامعلم؟ » فيرد بجفـاء « آه .. بلزم خدمة ؟ » . ويتدرج الحوار بين الزوج وزوجه الى أن

يقول الزوج فى عدم مبالاة « انا سايب لك الخرابة دى .. ومش حاتشوفى وشى تانى .. بعد النهاردة .. ومن الليلة دى حاكتب على ستك عزيزة .. اتفو .. » . انها قصة الرجل الذى يستغل سماحة الدين اسوأ استغلال - كما أسلفنا - ولقد نجح الكاتب فى تصوير هذا الجزء حتى لقد جعلنا نشعر بالنفور من مثل هذا الرجل و .. « ذات مساء دخل المعلم بيته القديم مطأطىء الرأس بطىء الخطوات ... وصادف ابنه فلفل فى طريقه ، فأجفل الولد .. » عاد الزوج الى بيته الاول يقول فى أدب جم «دستوريا اللى هنا » ومن خلال الحوار عرفنا أن المعلم ذاق الأمرين على يد زوجته الجديدة « الفاجرة » .. فتلقاه كل من فى البيت بالفرحة والترحاب ماعدا فلفل الذى أجفل لغيبة والده .. انها قصة تعالج مشكلة اجتماعية خطيرة حقا ولكنا شعرنا من خلال الحوار بأن الكاتب يتميز بقدرة «حوارية» بديعة فى العامية التى لا تجد لها صدى عند دعاة الفصحى، وحبذا لو استغل الكاتب قدرته تلك فى كتابة تمثيليات قصيرة وقصة حضرة المساعد هى قصة « الجهل والجهلاء » ، قصة الجهل الذى لا يزال متفشيا فى بعض بيئات معينة . وقصة الجهلاء الذين يدعون العلم ويحرصون على استلاب فتور البسطاء أكثر من حرصهم على حياتهم ذاتها . « والاسطى حنفى » أحد هؤلاء الذين يمتهنون الحلاقة والى جانبها .. الطب ! و «الزبون» الذى ساقته المقادير السيئة الى «حنفى» هو طفل أتت به أمه قائلة .. والنبى ياخويا تعمل له شوشه زى الواد سعيد .. » وينتهى حنفى من عمله وينظر الى عينى الطفل ويقول فى اشمئزاز « ايه ده ياوليه .. ده الولد عينه تعبانه خالص .. ازاى سايباه كدة ؟ » وعندما تبدى الأم رغبتها فى الذهاب به الى المستشفى يرشقها بنظرة قاسية فيها كثير من الامتهان لعقليتها، قائلا - شوف ياخويا اللى حتضيع الواد .. هى دى حاجة بتاعة دكاترة .. ؟ ده شغلنا احنا، وينتهى الأمر بأن يحل الاسطى حنفى محل الطبيب فى علاج عينى الطفل الملأى بالصديد ، وبقسوة يخلع رموشه بالملقاط فتدق الأم صدرها قائلة بفزع « ياخبر اسود .. دى عين الواد بتخرم !!! ولكن « النطاسى » البارع يقول بثقة «معلش» أنا عارف .. ده الدم الفاسد .. هاتى الواد هاتى .. ده بكرة يروق وتدعيلى .. » .

ثم يكبس عينى الطفل بالدم والششم! ويفقد الطفل بصره ...!! وكما سيطر الحوار على أحداث قصة أصيلة يا أم فلفل سيطر أيضا الحوار فى هذه القصة التى تحبذ رأينا فى أن المؤلف لديه القدرة لممارسة التمثيليات القصيرة .

وقصة « ندم » هى قصة فنان تبنى طفلة كبرت وتفتحت أنوثتها ولم يشعر نحوها سوى بعاطفة الأب، ويحكى الفنان قصة فتاته فى أسى لصحفى وينتهى الى أنه بحث عن «موديل» فقدمت له «نعيمه» - ابنته بالتبنى - نفسها عندما عرفت أنه يجتاز ضائقة مالية بعد أن قدمت له قرطها الذهبى الذى لم يحل مشكلته ، فقالت ذات صباح «بابا» لقيت الحل .. لقيت الموديل » . « فين ؟ » . « أنا » . و « قفز كمن لدغته أفعى ، وصمت فى دهشة » بتقولى ايه ؟ انتى اتجننتى ؟ تقفى قدامى عريانه ؟ » فتجيبه «ومالە؟ مش أبويا ؟ » . وتجردت أمامه عارية لأول مرة فتحركت فيه الغريزة الحيوانية واشتهى ابنته بالتبنى ولكن « نعيمه » وجدت أن الشارع أنظف من بيته

و « عادت الى ركلات الحذاء الأرعن ، فهو أرحم بجسدها من أبيها الذى كاد يفترسها» ان هذه القصة تعـــد من أروع قصص المجموعة لولا ما جاء بها من « مثالية » وقد وافقنا الاستاذ عباس خضر على هذا الراى عند مناقشة المجموعة فى الندوة التى أعدت من أجل هذا الغرض . ولا يسعنا فى الختام الا أن نذكر أن المؤلف كان دقيقا فى الحوار الذى أجراه على ألسنة أبطاله رغم أنه كان بالعامية . كما اننا نلحظ أن المرأة عند صبحى الجيار ليست أعلا حرم منه هو لمرضه فقط ، بل كانت فى قصصه باستثناء قصـــة « ندم » التى جاءت صادقة العـــرض والتصوير لدقائق مشاعر الانثى ورغباتها على الاخص فى قصتى «عدات العاصفة» و « جر شكل » . وبعد ..

فنحن اذ نهنىء المؤلف على مجموعتـه القصصية الاولى عنده ، نرجو أن تكون بداية لامتداد فنى خصب .

الثنائى الأدبى
محسب ــ المندى

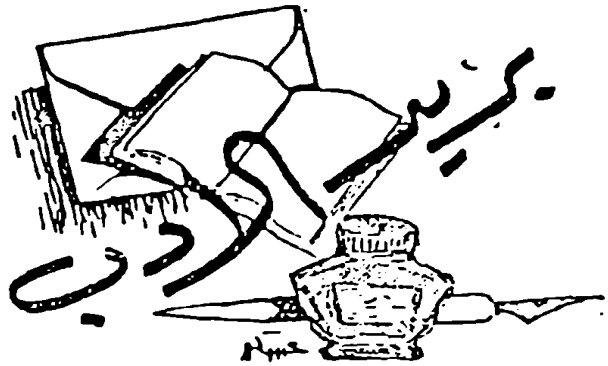

تقويم و تدريب

رعاية الشباب

بين يدى فى بريد هذا الشهر شكوى نفسية مؤثرة لشاب جامعي تعثر به الطريق فى دراسته ، لانه لم يطع هوايته الادبية ، واتجه الى الدراسة العلمية ، فأمضى فيها سنوات ، انتهت بعدم توفيقه ، فاضطر الى استئناف الدراسة الثانوية ، لينال شهادتها مرة ثانية ، حتى يستطيع الالتحاق بكلية الآداب ، منتسبا .. وقد انتهى به ذلك الى لون من القلق العنيف ، والسخط الشديد ، الذى جعله يقذف مجلة « الأدب » بغضبه فى حدة ، ثم يعود فيعتذر عما كتب .

و « الأدب » من ناحيتها رحبة الصدر ، حانية القلب ، بأكثر مما يطمع فيه منها ذلك الشاب وأمثاله ، وهي بحيث تحتمل منهم ، مثل هذه الرسائل وأكثر منها ، لكنها لا تحسب أن ذلك ومثله معه يحل شيئا من مشكلة أمثال هذا الشاب المعذب المناضل ، مهما تحتمل ، وتتلطف ، وتحاول التخفيف أو التهوين عليهم ، من وقع مثل هذه الصدمات ، لأن هذا الشاب يستحق أكثر من هذه الرعاية الشكلية السطحية ، ويحتاج الى رعاية عاملة تفحصه نفسيا ، وتروضه عمليا ، لتحل عقده ، وتشفى اضطرابه ، وتنقذه من قلقه وسخطه ، وفى الدولة نشاط كبير لرعاية هذا الشاب ، والجامعة أجدر بأن تدبر لذلك تدبيرا ايجابيا فعالا ، فهل نطمع فى أن يكون لمثله فرصته ، من تتبع لحال من يضطرب به الطريق ، بعد التقدم اليها ، على أساس مقبول ، من مستوى النجاح العالى ، الذى نشترطه ، فى مثل كلية الطب ، ثم يفاجأ الطالب بعده بالاضطراب الذى يستمر سنين ، تنتهى بفصله لاستنفاد مرات الرسوب ، أو لغير ذلك من أسباب ظاهرة تنص عليها اللوائح الجامعية ! واذا ما حسبنا أن مثل هذا الطالب له من العزم ما يقبل معه استئناف الدراسة الثانوية ، ومعاودة الامتحان فيها ليأخذ توجيهية جديدة يتقدم بها الى الجامعة من جديد ... اذا ما حسبنا هذا كله استطعنا أن نؤكد أن هذا الطالب لم يؤت من تقصير أو قصور ، بل من شىء غير ذلك نفسى أو اجتماعى يستحق عناية الدولة وعلاجها له فى فحص نفسى أو اجتماعى ، لا يسوى بين المتخلفين ، الذين يقعد بهم ضعف علمى أو سلوك سيىء ، أو انحراف مائل ... فهل نطمع فى أن تعنى رعاية الشباب ، فى مجلسها الاعلى ، أو رعاية الجامعة لمن يصلون الى مرحلتها بأمثال هذه الحالات ؟

التى لا نحسبها قليلة ، ولا نظنها وان قلت غير جديرة بالاهمال ؟؟ ... وليس من الكثير أن نطمع فى شىء من ذلك ، ونتوقع له تنظيما ، يتتبع مثل هذه الحالات ، ولا يرى الفصل والطرد هو كل ما يفعل فى مثلها .. واذا كانت الدولة تفكر فى عدم اهدار شخصية المجرم المسجون ، وتحاول أن توجد هيئات تعنى بعلاج المسجونين ، ولا تكتفى بسبب حريتهم ، أو ارهاقهم بالتشغيل ، وخشن الحياة .. اذا كانت الدولة تفكر جديا فى هؤلاء المسجونين ، وهو ما توجبه روح المدنية العصرية ، التى لاتنظر للمجرم نظر الانسان الاول الى عدوه ، الذى يريد الفتك به والتخلص منه بل نظر الاسرة الى فرد منها مريض ، فهذا الشباب الذى استقام به الطريق حتى مرحلة التعليم العلى ثم اضطرب أمره ينبغى أن ينظر اليه هذه النظرة الانسانية ، ولايكتفى فى أمره بالطرد والفصل ، والتشريد .

ولعل هذا الرجاء الانسانى يلقى اذنا صاغية ، وقلبا رءوفا ، فى وقت نتحدث فيه عن بناء مجتمعنا بناء سليما .

أقدم ياشباب . ولا تنتظر إذنا

كتب الى سيد ، لا أدرى ان كان فى صدر شبابه ، أو تقدم به الشباب ، يقول : انه يكتب القصة ، والاقصوصة ، والمقال ، ومشترك فى مسابقة المجلس الاعلى للفنون هذا العام ، وهو ينتظر موافقة « الادب » ليرسل اليها مقالات ، وقصصا لنشرها ، ويطلب الرد برسالة خاصة ..

واقول للسيد : ان كان عندك ما تحس أنك تريد قوله فلن تنتظر الموافقة .. وان لم يكن عندك ما تجده لتعبر عنه ، فلن تضمن الموافقة المتقدمة نشر شىء منه ، مهما يكن الامر ، ومهما تسبق لك كتابة القصة والاقصوصة ، والمقال وحتى المقامات !!

ولا أعتذر عن الرد على مثل هذه الرسالة بطلب الموافقة مقدما ، بعدم استطاعة « الادب » التزام مثل هذا المبدأ الغريب ، من طلب الموافقة أولا ، بل قد يكون عذرى فى ذلك يا صاحب القصص والمقالات ، وداخل المسابقات أن عبارة خطابك تتعثر بأخطاء لا تحدث عن صلاحية ما زعمت كتابته ، ولا أطيل على القراء بعرض هذه العثرات .. ولكنى أقول لغيرك ممن يحاول دخول الميدان: ان الامر ليس بالادعاء .. كما أنه ليس بالتمنى ، ولكنه باثبات الوجود ، وتحقيق الذات .. فليقدم القادر غير منتظر موافقة سابقة ، ولا خائف رفضا لاحقا ..

لو غيرك قالها . . !!

تحدث الى سيد صباح الجمعة ٢٨ ابريل الماضى يقول : ان صاحبة ادب المازنى التى طلبت اليها « الادب » فى عددها الماضى ، أن تحتفظ بكرامة الاسياد ، ونشرت ما أرسل عنها جامعى كان يختلف الى محاضرات سمعتها وسمعها معها ، وقد ضمنت منها صفحات فى كتابها ، دون عزو ، ولا نسبة .. فوق ما فعلت برسالتها هذه عن أدب المازنى حين نشرتها .. صاحبة هذا كله الذى قالته « الادب » فى عدد ابريل قد كتبت الى الجمهورية تشكو صحفيا قد نقل من رسالتها عن النيل دون عزو .. ونشرت

الجمهورية فى هذا اليوم هذه الشكوى فى استنكار ، ولكن الجزاء من جنس العمل ،

كما يقول السيد المتحدث الى بالتليفون. وعنده أن الشر بالشر ، والبادى أظلم ... وقد زاد السيد فى حديثه أن تهمة أخرى بالسطو توجه الى كتاب « أدب المازنى » وتدور حوادثها فى دار الهلال ، حين كانت السيدة متصلة بها .

ولا يدفعنى الى نشر هذا الحديث التليفونى الا أن « الادب » لسان حال الامناء وانهم يحرصون الحرص كله ، على هذه الامانة ، ويرون الخلق الادبى أولى من الابداع الفنى ، ويحسبون أخلاق الشباب أجدى على الحياة ، من تفوقهم فى علم أو فن .. واما ما وراء ذلك من حديث السيد المتحدث عن الجزاء الذى من جنس العمل ، وأن البادى بالشر أظلم فذلك عندى لا يبرر بحال خيانة الامانة ، ولا سطو القلم على أحد ، ولو كان المسطو عليه ساطيا ، وصدقت الآية الكريمة « ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون » . وكل ما نخرج به من هذا هو تكرار لفت الشباب الى احترام الامانة القلمية ، مع الترفع الكريم ، الذى يليق بكرامة الفن ويجدر بسيادة الفن وقيادته .. وليثق الشباب أن هذه « الزحبطة » وتلك الخيانة لا تصل بصاحبها الى شىء يبقى ، وما يرتفع بذلك من بناء ليس الا بناء على الماء .. ومهما تشتعل به نار فانها ليست الا شعلة تطفئها بصقة .. وضمير المجتمع الذى لا يغفل هو الذى يبصق تلك البصقة المخيفة ، على نار الغش .

وخير ما تقدمه « الادب » لحماية الامانة ، وصون الكرامة هو تقبل النقد ، واعتبار تطوير النقد وتطهيره هدفا جليلا .. من أهدافنا .

ونتقدم الى رسائل القراء من :

الشعر

* ـ وصلت قطع تضامت .. من قلم واحد هى «تحية الربيع» و «على رصيف المحطة» و «سيارتى وصديقتى» و «حديث بالنظارة» و «سلام» .. ونحب أن نقول للسيد صاحبها انه مهما يمكن القول بان كل ما فى الحياة يصلح لتناول الشعر فان شيئا من الشعر لا يكون الا بمعان وجدانية ، داخلية ، تحدث عن احساس بوقع هذه الاشياء على الوجدان : كما ان للشعر عباراته ولغته التى يجب ان يتم لها من الشفيف المنوى ما تؤدى به مثل هذه الوجدانيات والمعانى الداخلية . فى غير التقرير السطحى ، والافهام العادى ، بل بالاعتماد على ايحاءات للالفاظ ، وانارات للعبارة تجاوز هذا المدى القريب ، من الدلالات الساذجة الصماء ، الى يؤدى بها الحى مطالب الحياة اليسيرة التافهة ، ومثل هذا القول عن الشعر وشاعريته ، والمعانى وجدانيتها والالفاظ ووقعها يتكرر ويعاد .. ونضرب له «الادب» امثلة وامثلة ولكن الامر فى ذلك ليس مما يكتب ويلقن ، بل هو شىء ادق من ذلك واكثر روحانية. وهذه القطع الست تفقد غير قليل من هذه القسمات والملامح الفنية ، فى المعنى او التعبير .. ولعل لا اجد الفرصة لتتبعها واحدة واحدة ، فحسبى وحسب القراء امثلة لذلك من بعضها .. فليس من المعنى الشعرى الذى يعنى به الشاعر مثل قوله :

دست الفراهل فى انفعال صارخ .
ووقفت جنبك احسن استقبالا او قوله
وفتحت بابى ثم قلت تفضل
فالحسن سوف يحقق الآمالا

وحين يقول :

رحماك مالى من لحاظك مهرب
وانا اعول قريته وعيالا

وفى مثل هذا لا اجد انا ولا القارىء ما نقوله : وقوله :

يا عذب النظرات والاهداب
زادتها جمالا حين تنظر باكعاب
سازور المانيا لاجلهما غدا
ان كنت تنوين الرحيل والاغتراب

مما لا يسعفنى كلام فى التعقيب عليه ، فاين المعنى ؟! واى شىء يريد قوله : فى هذا الكلام الكثير .. والمانيا وامريكا معها لا تستطيع ان تجعل مثل هذا من فن القول ، الذى ينظم او ينثر .. فاذا سمعته يقول :

والناس مجتمعون بل متدفقون هناك فى هذا الزحام والاضطراب عذرنى فى العجز عن نقد هذا الكلام نقدا مفصلا او موضحا . مع هذا الزحام والاضطراب .. والشعر صعب طويل سلمه !!

* ـ ووصلت « انى لست ادرى » والعنوان معروف لشاعر حار فى مشكلات حقة من شئون الدنيا والحياة ، اما هنا فاشياء سطحية او تحت السطحية ، اذ يسال عام سابكى من هنا اميال .. وليس من المشكلة ان يقيس بكاءه بالاميال او الكيلومترات ، اذا كان البكاء عنده سيقاس بالابعاد .

والمسافات ... فاذا ما سال : هل نسيت الحب ام في القلب يمسى لا يزال فالكلام رض واو امسى او اصبح .. والعجب انه ليس يدرى : هل الشمس في اشراقها ام في الزوال .. مع ان السيد من الاقصر ، والشمس في الصعيد اقسى واحرق من ان يشتبه اشراقها بزوالها .. ومعذرة اذا لم نشتبه في ان هذا الكلام ليس شيئا من فن القول !!

* ـ ووصلت « عيد » وصاحبها من رجال التعليم ، بل من متقدميهم ، وهو جدير بان يعرف ان مثل قوله :

اطفال تعبث في لعب لا تحصى عين العداد
ليس من معاني الشعر ولا الفاظه .. كقوله
في العيد سياخذني معه لازاجيج عند النادى

لا يتفق مع ما يهدف اليه السيد من الضجر بالعيد مع قتل لوموميا فان هذه اللعب من الازاجيج والكرة التي يذكرها قبلها ، مما لا يهيىء لشيء من الغرض الذى يريده ، وهو انصراف الام الى التفكير في عالم الشهداء عند تفكير ابنها في هذه التفاهات ، بل ان هذه التفاهات التي استهلكت نحو ثلث القصيدة جديرة بان تغرى بالسذاجة في تناول الحياة .. فاين الجو النفسي الذى يريد صاحب هذا الكلام تهيئته لسامعه ؟!

وابعد من هذا ان الاسلوب الطفلي الذى في عرض تشبث الطفل بهذه التفاهات يكفي وحده ـ بلفظه ووزنه ـ لنقل قارئه الى بعيد عن عالم الشهداء ودنيا البطولة .. ومثل هذه الملاحظ وان دقت لا ينبغي ان تغيب عن سيد في مستوى صاحب هذه الابيات .. وعلى قدر اهل العزم تاتي العزائم ... ومن هنا كذلك كانت هذه الاطالة ، لان السيد مرجو لاحكم من هذا واعمق ..

* ـ ووصلت « اغنية للام » وربما تكون قد قدمتها عن غيرها من قلم صاحبها نفسه مناسبة عيد الام ، ثم ضاق المقام عنها في عدد مارس .. ولى مع صاحبها شان اى شان فنحن في « خناقة » متصلة ، لا اكف فيها عن غضبه من الحق ، ونظره من زاوية واحدة .. ويظهر ان لى دائما في البريد « فتوة من الفتوات » دائما يضرب بالروسية ، ويجر الشكل ، ولكنها محسوبة دائما ، وانا عند حسن ظن اخوتي الصغار ، والكبار ايضا ، وابنائي ولا بد من دفع ضريبة النقد التي هي عندى اوجب والزم من ضريبة الايراد ، وكل الضرائب المالية ، لان صلاح دنيا الفن بها اوكد من صلاح دنيا المادة بضرائب الاموال ...

وفي اغنية الام ظاهرة واضحة من عدم تذوق اللفظ ، فاذا ما جاء اللفظ على اى جنبيه مصروعا اخذ المعنى معه ووقع .. وبدا ان صاحب هذا الكلام لا يتمثل معناه الادبي واضح المعالم ، بل يشيمه من بعيد مخيم الدخان يغطيه الضباب : وفقدان هذا الوضوح للامح معانيه يجعله عند ما تختلف على تقويمها يذكر اشياء قد تقال وتعد ، لكن مع فقدان الايحاء والتاثير ، فلا يستطيع السامع ان ينكرها من حيث هي اشياء تقال ، ولا يجد فيها شيئا من الاقتناع لانها في وجدانه بغير الصورة التي في سرد صاحبنا ولعله يسمح ان ياخذ ـ في هدوء ـ مثلا ، هو قوله عن مشاعر الام : ـ

يالها نفخة من الخلد تزرى
بعبير الورود .. بل بالدنان

فانه يتراءى له ان الشعر كله قد اجتمع في هذا الكلام : فالنفحة .. والخلد ... والعبير .. والورود .. ودناق الخمر كلها من دنية الانس ، وعالم الفن ، متصلا بالعالم الاعلى من الخلد ، والنفحات المنبعثة من عالمين سعيدين .. وهل لى بعد هذا ان اعيب قولا من هذا الافق ، مواطلعه له من ذيول الشعر .. وخد طفح الكيل ، وبلغ السيل الزبى ، .. الخ ما يقول من هذا الصنف ... ولا ازال الوذ بما يعاوده من الهدوء وعدم اتهام «الادب» والدعة لها بخير على صراحتها وصدقها ، التي لا تصدق بهما غير وجه الله .. فاقول : ان ازراء نفحات الخلد تعبير الورود ينزل بنا الى جنينة بسيطة ولا يربطنا بشيء من الخلد ونفحات وهل ترى عبير الورود شيئا يمس النفس شماما روحيا ساميا فاذا ازرى به نفح الخلود مثل ذلك عوالم الخلود !! ان مثل هذا في الكلام العادى كمثل من يقول ... انه فارس مغوار يزلى بجراة الكلاب مثلا .. واذا احست «باللزقة الباردة» التي وضعها لهذا الكلام بقوله : بل بالدنان شعرت بقشعريرة ثلجية .. فلفظ الدنان لفظ «مطنن» «كلبط» .. اولا .. واذا كانت للخمر رائحة يتشممها المد من على بعد ، فذكر كلمة الدنان لا يكفي لنشر هذه الرائحة .. وليس كل حس يحسن الانتقال من نفحات الخلود الى رائحة الشمول ، بل هما في بعض الاحساسيس عالمان متنافران ، بينهما بعد المشرقين ، فما المخلود والنفحات ، والخمر الدنسة النجسة ، التي يجب على عشاق الخلد ان يكسروا دنانها ، ويريقوها قذرا وهدرا على الارض .. واشياء اخرى من هذه الوديان تحطم المعنى وتميته؛ واذا سالني صاحبي عن المذهب النقدى الذى اعتنقه وانكر على ان اكون تاثريا او شخصيا لا يدخل في اسمى او نعتى ، اولا ادخل انا في اى تسمية من تسميات الـ «ايزم» فلسمح لى ان اصنع صنيع شهر زاد فاسكت عن الكلام المباح ، ويدركني الصباح الذى يبدد هذه الاوهام ، ويطلق لى ان هذا الكلام اجوابه ... وما هذا الذى اقوله هنا في فهم بيت كبير السيد الذى هنا الا القراءة القارئة ، والفهم المتفهم ، والتذوق الذواقة ، الذى يقدم بين يدى كل تقويم ، وتعبير ، ويسبق كل مذهب وتحزب .. وليته وليت المشتغلين بهذه

الاوهام الصخابة يشتغلون بما يجب ان يكون قبل ذلك كله من الثقافة القادرة ، والتمثل النفسى لما يتحدثون فيه وعنه ، دون ان يتهيا لهم من وسائل الصلة به الا هذه البقايا «الخردة» من مصانع الفن، ومعامل الادب ، فى دنيسا الامم التى مارست من التجارب فى هذا المجال ما خلق فيها ، على الزمن والكد تلك السمات المميزة للتناول النقدى ، والحكم الادبى .. ومعذرة يا صاحبى فقد طفح الكيل فى دنياى ، وبلغ السيل زبى اعل من الزبى التى بلغها السيل فى دنيـاك .. وصار هـذا التطبيل عى الضفيح القـديم هو موسيقى العصر ، والحـان النقد ، مع العجـز عن ادارة جملة من معنى .. وهس ... والى هنا فاغنيتك للام اهون عند الحياة من ان تثير هذه الزوابع العنيفة الصراحة ، مهما يكون فيها من عشرات الامثلة المشابهة للبيت ، الذىطال فيه القول هذا الطول المسرف .. واحتراما لحق اصحاب الرسائل الاخرى ، الذين يستحيل ان يظفر كل منهم ببعض ما شغلت من فراغ ...

ولعل السيد ، بعدنصيبالاسد هذا يجدنا يغنى عن مثل هـذا فى رسالة له من وادى الاموعة وعيدها ، واذا لم يف ما مضى ببعض المراد فلا خير فى مزيد .. ونلعب غيرها فيما يجد من الفرض ..

* ـ ووصلت «تعالى» و «قلبى المعنى» لشاد ، حسن التقبل ، غـير متعجل ، يصف الطيب من الاستعداد للنقد ، ومن عـدم التسرع فى النشر والضجر بالنقد ، حتى حين يقسو .. ويشير الى معنى حيوى هام ، هو : ان الكتابة مرتبطة بوجوده، وانه حين يكتب يعبر عن احساسات تنـبع من كيانه ، فيجد الراحة الـكبرى فى ذلك ، ويحس بالسعادة اى سعادة .. ولو كان هـذا من شانه حقا لكانت تلك طليعة طيبة ، ومعنى فنى جليل ، ومتى صحبه مثل هذا الـذى ذكر ، من التقبل ، والاستفادة ، وعدم التعجل والتسرع كان من ذلك مع الرياضة الواجبة ، خير كثير .. فهـل يثبت المعنى صدق قوله لاقبال على هذا الاريـض ، فى جد يليق بحمية الشباب وسـعة امله ، وله على «الادب» ان تحاول ما استطاعت نشر ما يحتمـل نشره من كتابته ، التى ترتبط بوجـوده هـذا الارتباط ، الذى وصفه ... وحين يقبـل على الرياضة الفنية اقبال الجادين من اصحاب الرياضة البدنية سيصبـح اسلوبه اقوى مما هو الان وستسلم معانيه مما فيها اليـوم من وهن او قرب اتق .. فلا تضطره القافية الى ما ليس بصحيح لغة .. ولا يضع الكلمة المكملة فى غـير موضعها لقوله : لهيب الشـوق آتاتى !!.. ، ولا يلفق الصورة من اجزاء متنافرة لقوله :

وروحى خمرة تدنى شعاع البهجة الحائر

ولا تتدافع اجزاؤها فى مثل قوله :

وانقضى الالام غريقة كانت او صريعة

فانها متى غرقت لم تحتج لنفض بعد هذا ، ومتى صرعت لم تحتج لشىء من النفض كذلك ومع الرياضة لا يهتز الوزن كذلك ، ولا يفسد الشكل .. وانى لمنتظر ان ترى فى مقبل رسائله اثر هذا التدرب واضحا .. وساتلقى رسائله بصدر رحب كل الرحابة ما دامت الكتابة ضرورة حيوية له ، الى الحد الذى يزعمه ..

النـشر

* ـ وصلت كلمة غير طويلة بعنوان «ادبنا.. عالمية» عرضت لاشارات عن اسـتقبال الادب ، وامثلة منها ؛ ثم ما لبثت ان اختصت بالـكلام قصتين لصاحب قلم معاصر فبالغت فى امرهما ، وزعمت ان مثل هاتين القصتين لو وجدتا من يدعو لهمـا ويعرف بهما فى الخارج لوقفنا جنبا الى جنب مع سائر القصص العالمية .

وهكذا لم تف الكلمة بعالمية ادبنا ومظاهرها ! ولم تظفر بنجاح الدعوة لهـاتين القصتين .. ولا بالنشر ..

* ووصلت «الخلال» لصاحب الكلمة السابقة ، ويسميها صاحبها قصة ، وهى ملاحظة ساذجة ، اساسها فكرة بدائية ، فى ان الناس يصـحون ويمرضون بحسن اخلاقهم وسوئها .. ومثل هذا من فهم الحياة اليوم لا يقبلهالشعور الدقيق بسير الحياة .. ولئن لم تنشر «الادب» هذا الكلام فانها تشير الى انه مثل عن صلة الفنبالعقيدة ، بمناسبة ما يقال من ان القول بالقضاء والقـدر على الوجه الشائع له اثره على الفن المسرحى عندنا .. ولا يتسع المجال لاكثر من اشارة عابرة .

* ـ ولصاحب هذا الكلام كلمة اخرى باسم طفل ، تحدث عن زوجة عاقر هددها زوجها ، بعد سنين طويلة بانه سيتزوج ليكون له ولد ، فقالت له : اندر حاجة لله يمتّن اخلف لك .. فندر جملا لله .. وحملت الزوجة وولدت بطريقة عمياء ، لان امراتين عرفتا ـ او توسطتا للزوجة ـ فسافحها رجل آخر ، وقد طلبت المراتان منها بعد ما اخذتا خمسة جنيهات بشرى .. ان تعطيهما نصيب الفحل . الذى هو الاب الطبيعى ، والبشرى له هى جلابية تشمير من بتوع الاب الرسـمى .. فترضى الام طبعا ، وتطلب منها الا ترفعا صوتهما ...!!

والمسالة يا سـيدى كانت بسيطة جدا من زمان ، والزوجة بفطرتها تعرف ان الاولاد هم كل شىء فى حياتها ، كما تعرف سهولة هذه الطريقة العمياء بالحصـول على فحـل على يد وسيطة او وسيطتين يطلبان الحلاوة بعـد الولادة !! وصاحب هذا الكلام يحسب ان ذلك يجرى بمثل سـهولة كتابته على الورق .. ولا يحسب حسابا لانتمان

الزوجة امراتين على مثل هذا واشراكهما فيه بهذه البساطة ؛ وعقم الزوج الذى لا يدفعه الى شىء من الشك رغم تاييد الاطباء الذين لخصوه جميعا أنه لن ينجب .. وهو غنى واسع التجارة ، وذلك يغرى بالاحتيال عليه .. والايمان والنذر لا يكفيان - غالبا - للاستسلام هكذا .. ولا تجرى الامور بهذه البساطة ، وعرض مثل هذه الشئون يحتاج للياقة اكثر من قصة «طفل» .

* - ومن وادى هذا الكلام ما وصل بعنوان « حفلة زار » فيها حكاية امراة غضة بضة ، لم تلد ايضا ، ذهبت الى حفلة الزار ، ومع ما يكون فى هذه المساخر من جرائم فان عرضها فى هذا الكلام تعوزه اللباقة ايضا ، فحسين كان الزار منتشرا ويحتاج امره الى اقلام الكاتبين لم يكن الرجا لو تختلطون بالنساء هذا الاختلاط الموصوف فى هذه الحكاية ، وحين اختلط الرجال بالنساء هذا الاختلاط العنيف ، وصار فى بيوت الذاهبين بهذه الزارات نور كهربائى يفتح بزرار هربت العفاريت ، وساعتها حفلات الزار .. وتصورت الى صورة من الفن الشعبى يعرض للفرجة .. ومن هنا ندرك ان ما وصفه صاحب حفلة الزار من قيام رجال يسند النساء وحملهن الى حجر منورة بالكهرباء ، وفيها اسرة تاخذ منها النساء حملا .. ليس مما تالفه الحياة اليوم بسهولة ، الا حين تكون صورة من حيوانية وبهيميه لا تظنها تتحملها هكذا ، او على الاقل لا تحتمل اعلانهما بهذه البساطة .. فمايحس به الشذاة من مثل هذا له مسارب اخفى كثيرا مما يقولون ، وعرضهم وتحليلهم له يحتاج الى خبرة وبراعة اكثر واليق .. !!

* - ووصلت «الاسطى خميس» واللقطة تصلح للقصة القصيرة ، بل الطويلة ايضا ، لانها الفقر وعمله فى نشر المخدرات ، بما تصنعه من احلام متعاطيها .. لكن هذه اللقطة الصالحة عرضتها جمل ، لو سميناها الجمل المنحلة لم نبعد ، مثل وقد اصبح العائل الوحيد المسئول عن الاسرة بعد وفاة ابيه - المكونة منه ، ومن والدته .. الخ ، ومثل .. او تهديه السلام ، كلما برح بها الشوق ، مع اخيها الصغير ، هى ما اعنيه من الجملة المنحلة التى تصور اسلوب صاحب الاسطى خميس ، ومع انحلال الجملة فوضى نحويتها ، بل لغويتها ايضا فالصبية اشرفت على الخامسة عشر من عمرها .. والثلاثة قروش ، وان خفى مثل هذا فلن يخفى مثل : وضع جزء منها .. ولو تجاهلت ذلك كله لم تتجاهل فرطحة فى القصة يتسع معها المجال كثيرا ، وتسرف سعته بما يزيد عن حاجة القصة الطويلة ذاتها .. كتفاصيل التغزل فى فص الحشيش ، وبوضعه فى العسل ، وتوبيخ العجوزه وطريقته ، وحالة كل من يشد منها ... الخ

وتفاصيل التحية فى الفرح ، بكل ما قيل فيها ، والعناق والقبل ... الخ .. وكثرة الاشخاص كابى الفتاة .. وابن عم خميس .. كل ذلك بدد اللقطة وحرمها طابع القصة القصيرة اللماحة .

* - ووصلت «بنت بديعة» او « الفاكهة المحرمة» والبجحة فيها زائدة فى الانشاء والحركات واضحة فيها ، بل مسرفة .. وتتخللها مع ذلك عبارات تعقيب واعتبار عن الحياة وما يدل فيها الانسان ، وتوشى ذلك كله جمل متعاطفة ، يمكن الاستغناء عن نصفها ، مثل : الجمال الذى ياسر اللب ، ويملك القلب .. الخ ، فالقصة القصيرة لا تقبل ذلك ، بل لا يحتمل المجال القصصى كله عرض الطاقة الانشائية ، التى تثبت ملك الفاظ تزيد اضعافا عن حاجة المعنى .. والربط المفتعل المصطنع بين جر الشرطى امراة تبيع الفاكهة ، وسقوط بنته بديعة ربط متكلف جدا ؛ وعبارة الخاتمة « والشرف والرغيف ليسا متساويين » عبارة وعظ ساذجة ، ولا يهيىء لها شىء من التفصيل الواسع ، بل الملل ، عن الام التى كانت « فاتحة بيت » من زمان ، ووجهت بنتها توجيها مصريا ، ليس اثرا للحاجة !! ...

وكل هذا فى تكوين القصة ، وهلهلة نسجها ، لا يهيئها للنشر .

* - ووصلت « انت صغير » ومهما يكن «للادب» من رغبة خالصة فى تشجيع المبتدئين الصغار منهم فانها لا تستطيع أن تبلع من التعبيرات مثل :-

ونسيم الليل الذى يلفح الاوراق » فى حنان .. والذكريات التى تتلاعب على مخيلتى .. وابتساماتنا المعلقة على شفاهنا .. ويضيق بالدنيا ويكفهر بها .. فاذا سايرت امثال ذلك الاخطاء النحوية والصرفية والاملائية ، ومع ذلك كله كانت الحياة كلها ان صبيا كان يدور مع المسحراتى سنين والمسحراتى لا ينادى اسمه عند بيتهم ، لانه صغير ، فلما كبر ونادى المسحراتى باسمه كان والده واخوه الاكبر قد ماتا فليته لم يصبح صغيرا ، او يسرع صاحب الحكاية « ليتك لو دمت طفلا » !! ويسال صاحبها عن العيوب ليتلافاها ؛ والعيب الاكبر هو التعجيل بالكتابة على الاوراق المنتزعة من كراريس الدروس ، والعنب حصرم .. جدا .. بدرى .. والله بدرى .. والمسالة ليست من السهولة بالدرجة التى يتصورها السذج منكم فالى الدرس الرسمى اولا .. ثم الى التدريب الفنى الطويل ان واتت الموهبة .. وبعد ذلك يكتب ما يكتب ، ثم لا يطلب له النشر العاجل .. لان اثبات الوجود مطلب كبير .. واذا كان المسحراتى ظل سنين يقول لبطله : انه صغير ولا ينادى باسمه امام بيتهم ، فقولة الادب ليست اقل خبرة من المسحراتى ... ولا كسبها اسهل من كسب هذا الرجل البسيط .

* - وصلت « النطار » والشعور فيها باسمه الالم ، وحاجتنا الشديدة اليه شعور طيب ، تجسمه صرخة الاب سائق القطار فى ختام القصة :

الليسانس مش كفاية .. لازم يابنى تكمل وتاخد الدكتوراه .

لكن هذه القصة ، على حالها تلك لا تستطيع بث هذا الشعور ، وتجسيم قوته ، فالاشخاص كسائق القطار وحتى زملائه الذين سافروا برفقة مهندسين الى الخارج ، وهناك رات عيونهم ما لم ترعين .. هؤلاء الاشخاص ، ليسوا الذين تلفتهم فى الصحف اخبار مناقشة رسالة دكتوراه فى جامعة القاهرة .. والقطار الذرى ، وتدور فى عقل الاسطى شحاته عبد السلام ، لتؤصل ايمانا بالعلم وعظمته .

وفى دنيا السواقين الذين لم يستوفوا حظهم من التعليم تناسى لاؤلف مل : بعد أن يغسل قفاه .. وعلى ساقيه اللتان .. ولم يحيد يوما.. ولكنك لا تستطيع أن تنسى بسهولة ضرورة سلامة جو اللغة القصصية ، ووضوح الشخصيات التى تؤديها .. وضلاحيتها لما قدمت لتعبر عنه .. فالى غيرها .

* ـ ووصلت « الطابور » لسيد قطع فى الطريق خطوات ، ونشرت له «الادب» غير مرة .. كما لحظت اكثر من مرة انه لقوة انفعاله بظواهر خفى فى الحياة الفردية والاجتماعية يتخير لقصصه موضوعات ، يحس القارىء معه بانه يعيش فى نفس الظروف التى يعرضها ، ويتنفس ضجره بهذه الاوضاع ، فى صرخات السيد صاحب «الطابور» الا ان العرض الحى الحار الواعى لدقائق الصورة المعروضة ، وظلالها الخفيفة لايكون قصة .. بل هو صورة .. لا اكثر .. وصورة .. لا غير .. صورة قلمية .. نعم .. لكنها ليست التعبير بالحادث كما تفعل القصة ، دون شرح وبيان فى الحوار المصطنع ، ودون تقرير مسهب او مبالغ ، او عنيف ، الخ ما هو من خصائص الاساليب التعبيرية ، غير القصصية .. والصورة العلمية التى تتضح معالمها فى مثل «الطابور» لاتحتاج الى اشخاص كثيرين او قليلين .. ولا ضرورة لرسم شخصياتهم ، واشباه ذلك مما هو عمل الفنان فى القصة .. وحين يوجد ذلك العمل الذى تحتاجه القصة ، فيما هو غير القصة فى الاصل ، يكون هذا الخليط غير متجانس ، وبقدر ما فقدت القصة من عناصرها بوجود الصورة القلمية فقدت الصورة من خطوطها واضوائها وظلالها بقدر ما وجد من عناصر القصة .. ولعل هذه الاطالة كافية لايضاح الموقف لدى السيد صاحب «الطابور» فقد تكررت هذه الظواهر فى نتاجه .. و «الادب» حريصة على ان تظفر منه مع الوقت بصاحب قلم راسخ فى الميدان الادبى .. ولا سيما القصصى منه .. وهذا الحرص هو الذى ترجو «الادب» ان يبرد عنده حديثها هذا الطويل ، عن بعض اثر له دون نشره هذه المرة ..

البقية صفحة ١١٤

العائم) تطوافه فى المدن والقرى .. وذهبت مع من ذهب ، على الاقل لاشهد روايتى (ياخسارة الجدعان) ـ الفائزة فى المسابقة ـ والتى تدور حول محاربة العادة المرذولة الذميمة: «الاخذ بالثار»!.. فماذا وجدنا ؟ ...

عرض المسرح العائم على (الصعايدة) الذين جاءوا متفتحى العقول والافئدة ، والذى جاء هو اليهم ليشاركهم فى واقع حياتهم ، من فوق خشبته.. أقول عرض عليهم مسرحية متهافتة (ممصرة) تحكى قصة زوجة تائهة فى خضم المنتديات والمحافل ، بينما زوجها قابع فى البيت لا يبرحه لانه مشغول بمغازلة خادمة الدار والاصرار على المضى فى ايقاعها فى حبائله ..!!

ذلكم هو ما كان ! ..

والذى ينبغى أن نوجز به هذه الكلمة السريعة العابرة ليس أقل من رجاء حار الى السيد الاديب الفنان ثروت عكاشة وزير الثقافة والارشاد، والسيد القصاص يوسف السباعى ، بالعمل على ايجاد مخطط مدروس يضع فى الحسبان ذلك (السواد الاعظم) من جمهور ذواقة يسكن الريف والصعيد .. وله علينا ـ وعليكم ياسادة ـ واجب الاخذ من واقعه ، واعطائه ما له من حق فى ركب الواقعية البناءة .. فى القصة .. والمسرحية ، جميعا ..!

محمد الخضرى عبد الحميد

الأدب

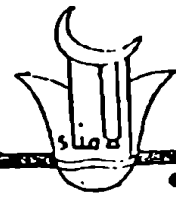

فنية . شهرية

يصدرها الآداب

الإدارة: مصر الجديدة . ألمجم ١٣
ت ٦١٧٥٠

***

الرسائل الفنية والمالية
ترسل باسم

أمين الخولى

رئيس التحرير

***

الرسائل الادارية
ترسل باسم

محمد جابر عبد العال

مدير الادارة

***

الاشتراك

عن سنة بالبريد العادى

الجمهورية العربية ٥٠ قرشا
الخارج ..... ٨٠ قرشا

أو ما يعادلها

ثمن العدد ٥ قروش

***

البريد الجوى
والمسجل بحسابه

تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

فهرس

العدد الثالث ـ السنة السادسة
يونية ١٩٦١

١٣١ ـ واجبنا فى النقد : عن الإمناء بين الاخلاق والقانون .

١٣٥ ـ تراثنا .. . تحقيق النصوص متى يصح منهج .؟ أمين الخولى

١٤٢ ـ الاخطاء فى تدريس النحو . . يعقوب عبد النبى

١٥٢ ـ خجلى ... شعر : أنس داود

١٥٣ ـ يا نعم الزوج .... شعر : كامل شعبان

١٥٤ ـ خواطر لاجئ .... شعر . يس الفيل

١٥٥ ـ اذا استطعت ... فانك ستكون
شعر : رديارد كبلينج
ترجمة : شفيق فضول

١٥٦ ـ الى سمراء ..... شعر : على الشباسى

١٥٧ ـ ليلة مقمرة ...
قصة : ياجين الصينى
ترجمة : أحمد رزق المليجى

١٦٣ ـ زينات ....
عبد الله خورشيد البرى

١٦٩ ـ اين عمرى ... نقد : علاء الدين وحيد

١٧٨ ـ هل للنـــاقد ان يخوض فى شخصيات الكاتب :
حسين صبحى

١٨١ ـ اصداء .. الخضرى عبد الحميد

١٨٤ ـ بريد الادب

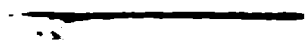

من الغرب والشرق

واجبنا في النقد بين الأهداف والقانون

لعل « الادب » قد بلغت وأشهدت ، فى بيان أهمية النقد ، وحاجة حياتنا اليه فى انحائها كلها ، وكافة جوانبها .. وان الحياة الادبية احق الحيوات بذلك النقد واحوجها اليه .

واحسب ان « الادب » قد ادت غير قليل ، من الامانة فى سبيل النقد ، فجعلت تتقبله وترحب به .. بل تتطلبه وتحث عليه .. وتعرضه فى غير محاباة ، ولا مجاملة ولا اشفاق على أحد .. أومن أحد .. وبذلك جاهدت بروح عالية فى سبيل تطهير النقد وتطويره ، وجعلت ذلك كله من رءوس أهدافها وآمالها .

وقد يذكر الواعون من القراء : أن « الادب » قد نقدت منذ حين مقاييس تقديرنا الادبى وقوانين تقديرنا الادبى نقدا صريحا صادقا ، لم تخش فيه لومة لائم .. وقد يذكرون كذلك ان هذا النقد قد أثار فى حينه ثائرة الذين لا يستطيعون الحياة فى النور وتقتلهم الروائح الطيبة .. فنشرت « الادب » ما كتبوا اليها حين نقدت مقاييس التقدير الادبى فى الجامعة وبينت انها ليست الا حبرا على ورق ..

وكانت جملة هذا المكتوب ان هذا النقد منها نبش للقبور ، لا يفعله من الحيوان الا الذئب لخبثه ولؤمه ، ولا باعث لمثل هذا النقد الا الحقد .. وعندما عرضت «الادب» هذا الكلام لم تعقب عليه بشىء من قول المحدثين فى هذا وفهمهم لمهمة التاريخ ، وتقديرهم للواجب فى النقد .. وانما عرضت بهذه المناسبة فهم الاقدمين لهذا كله ، وأنهم من وراء نحو اربعة قرون قد اصدروا حكما تأديبيا بالتوبيخ العلنى ، ثم بغيره من العقوبات بعده على من يقول مثل هذا الذى قاله المنكر لعمل « الادب » (١) .

* * *

وقد جدت اليوم مناسبة لمعاودة الحديث الهام عن الواجب فى النقد وحق التاريخ فى ذلك التناول للاشخاص الذين دخلوا بابه ، وتلك هى القضية التى رفعها ابن سيد درويش على مطرب وصحفيين كانوا قد نشروا موضوعا عن ادمان سيد درويش للمخدرات ، وعد ما راى الابن فيه تعرضا لحرمة ابيه ، وقال مع عائب

---

(١) راجع العدد ٥ الا ... ٩ من السنة الرابعة .

« الادب » امس : ان هـذه جريمة .. وقد صدر الحكم فى هذه الدعوى اخيرا وتضمنت حيثياته حقائق هامة ، عن النقد وواجب التاريخ فيه وحقه فى التعرض لشئون رجاله الخاصة ، وان لا جريمة فى ذلك وتلك المبـادىء فيمـا نشرت الصحف (١) هى :

١ ــ ان القانون لا يعاقب على القذف فى حق الموتى .

٢ ــ وان جرائم القذف والسب لا تقع على المجتمع مباشرة .

٣ ــ وان من حق التاريخ على المخالدين ان يقول فيهم كلمـة الحق .. وادمان سيد درويش المخدرات واقعة اجمع المؤرخون على صدقها .

وهذا الحكم القضائى اليوم يقف الى جانب الحكم التاديبى الذى نشرنا خبره منذ نحو سبعة عشر شهرا .. وبين هذين الحكمين يجرى حديثنا اليوم عن الواجب النقدى بين الاخلاق والقانون . . على ما فى عنوان هذا المقال .

وقد يسأل القارىء : فيم هذا التعبير بين الاخلاق والقانون . . اذ يبـدو ان الامر قانونى فى الحكمين حكم القضائى امس ، وحكم المحدثين اليوم ؟

فنحب ان نقول له : ان حكم القدماء امس حكم قوامه خلقى ، اكثر مما هـو قانونى ، او هو خلقى وقانونى معا ، لكن الاساس القانونى فيه خلقى .. بل خلقى بحت .. وتلك ظاهرة ينبغى ان نقدرها فى احكام الشريعة الاسلامية ، ونقـدر افتراقها بها عن الشرائع الوضعية ، وهو افتراق جوهرى جذرى ــ كما يقال ــ لا ادعاء فيه ولا محاباة . وسبب ذلك ان الشريعة الاسلامية تقيم تقديرها على اسس خلقية خيرية تقدرها فى النـاس وتأخذهم بها وتعاملهم على اساسها .. بل تحاكمهم على هـذا الاساس . . فتقدر وجود ضـميرهم الدينى الذى يشعر بوخز المخالفة حين يراقب الله فى السر والعلن ــ كما تدخل فى عقـابهم العقاب الاخروى والثواب كذلك .. وهى قبـل ذلك كله تحملهم ما تحملهم من الواجبات على اساس خيرى خلقى ، هم مأمورون بتقديره واتباعه ، فلا تعتبر مصدر الزامهم هو النص التشريعى فقط بل تعد الامر الخلقى والتكليف الوجدانى مصدرا من مصادر الالزام ، واصلا تقام عليه المؤاخذة .. و هو فرق واضح كبير بين الشريعة الوضعية ، والشريعة الدينية وبخاصة تلك الشريعـة الاسلامية .. وليس لدينا المجال الكافى لسوق الامثلة الواضحة لهذا الفرق فى الاجـراءات الاسلامية نفسها ، فضـلا عن التكاليف والعقوبات ، وغيرها .

ويحسبنا فى بيان هذا الفرق مانعرضه هنا من فرق بين الحكمين القديم والحديث فى النقد ، وحق التاريخ على من يؤرخهم ويدخلون فى حسابه .

فأول هذا الفرق الذى ينشأ عن خلقية التنظيم القرآنى والتشريع نفسه وانه يعد من الواجبات ما تفرضه الخيرية الخلقية لا العملية القانونية .. اول ذلك الفرق :

١ ــ هو التوسع الشامل فى هـذا التناول للناس بالحكم والتقدير ، بحيث يجب فى نظر الشريعة ، عند كل مناسبة ينشأ عنهـا اى اضرار بمصلحة عامة ، فيجب الجهر بالحق وبيان الواقع واعلان التقدير الصحيح للاشـخاص وسلوكهم كلما مس ذلك مصلحة اجتماعية ، سواء اكان الشخص جاكما ام محكوما .. ميتا

(١) جريدة الجمهورية يوم ١٥/٥/١٩٦١ وترجو « الادب » ان تنشر يوما الحيثيات الكاملة لهذا الحكم .

م حيا .. عاملا ام خاملا — يلى عملا حكوميا او عملا فرديا اهليا — وهكذا يجب الجهر بما يعرف عن سلوك الاشخاص حين يشهدون عند الحكام .. وعند تهديد بضياع لحقوق الناس من دماء واموال واعراض وسائر الحقوق .. وعندما يلى احد ولاية لا يقوم بها على وجهها ، بان يكون غير صالح لها ، او يكون فاسقا سيء السلوك ، او طيبا لكنه مغفل لا ينتبه لحماية المصلحة . . او عندما ترتكب رشوة من حاكم يأخذ ، او فرد يعطى .. وعندما يأكل احد مال احد بالحيل والباطل .. او عندما يتصدر احد لافناء الناس وهو متساهل او جاهل . . وعندما يتصدر كذلك لتعليم الناس من لا يحسن المعرفة . . ففى كل هذا وما يشبهه يجب على الانسان دينيا ان يجرح هؤلاء المجرحين ويعلن عيب سلوكهم وعدم صلاحيتهم ويشهد بذلك ..

وهذا الجرح والجهر فرض كفاية على المجتمع اى يجب ان يوجد فى المجتمع من يؤديه ويقوم به ، واذا لم يقم به احد كان الجميع امام عقيدتهم آثمين خاطئين ، مستحقين لمؤاخذة الدينوية والاخروية

ومن هنا قال الاقدمون الذين لم يفصلوا الجانب الخلقى عن الجانب العملى : ان القيام بفرض الكفاية هذا يفضل القيام بفرض العين ، لان ذلك النقد والوزن ، بجرح المجرح وتعديل المعدل ، فى كل مناسبة تمس شئون الجماعة ومصالح أفرادها يعد عند هؤلاء الاقدمين من الواجبات التى لا يسع الاخلال بها ومن القواعد التى يتعين حفظها ، ورعايتها حتى قال احد العلماء : ان ذلك التقدير النافذ افضل من [illegible] .

ومن الفروق بين القانون الوضعى - والنظرة الخلقية فى الشريعة ايضا .

٢ — عدم اعتبار هذا النقد الجارح جريمة ما ، بل عده فضيلة وعبادة ، كما سمعت .. فقد قال حكم اليوم ان عمل مؤرخى سيد درويش قذف ، لكن لا عقاب على القذف فى حق الموتى .

اما الشريعة فلا تعد هذا فى شيء من الغيبة المحرمة ، ولا هو داخل فيها ، بل يجمع القوم على جوازه ويعد من الواجبات للحاجة اليه .

والفرق واضح جلى بين من يعد هذا انتقد عملا معاقبا عليه فى اصله ، لكن سقطت العقوبة عليه فى حق الموتى ، وبين من يعده عملا واجبا وعبادة وتكليفا تدفع العقيدة القلبية ، والشعور الوجدانى الى ادائه واحتمال الالم فى سبيله .

كما يتاكد هذا الفرق بين النظرة الخلقية لنقد الواجب ، والنظرة القانونية له عندما نذكر انه لا يقف فى الشريعة عند الخالدين ، ولا عند التاريخ ، على ما سمعت فى حيثية حكم اليوم ، بل هو كما رايته يصدر من الشعور الاجتماعى المرهف ، الذى يحمل على دفع الاذى عن الناس فى حياتهم ، فينقد المعلم ، والواعظ ، والحاكم ، والمفتى ، والقاعد ، وكل صاحب عمل يمس حياة الجماعة ، ويخشى ان يحدث فيها اثرا سيئا .

ومن هنا يتبين بوضوح سافر فرق آخر هو :

٣ — اجتماعية النظرة الشرعية الخلقية للنقد الذى يدفع كل ضرر عن المجتمع

« الادب » امس : ان هـذه جريمة .. وقد صدر الحكم فى هذه الدعوى اخيرا وتضمنت حيثياته حقائق هامة ، عن النقد وواجب التاريخ فيه وحقه فى التعرض لشئون رجاله الخاصة ، وان لا جريمة فى ذلك وتلك المبـادىء فيمـا نشرت الصحف (١) هى :

١ ــ ان القانون لا يعاقب على القذف فى حق الموتى .

٢ ــ وان جرائم القذف والسب لا تقع على المجتمع مباشرة .

٣ ــ وان من حق التاريخ على الخالدين أن يقول فيهم كلمـة الحق .. وادمان سيد درويش المخدرات واقعة اجمـع المؤرخون على صدقها .

وهذا الحكم القضائى اليوم يقف الى جانب الحكم التاديبى الذى نشرنا خبره منذ نحو سبعة عشر شهرا .. وبين هذين الحكمين يجرى حديثنا اليوم عن الواجب النقدى بين الاخلاق والقانون .. على ما فى عنوان هذا المقال .

وقد يسأل القارىء : فيم هذا التعبير بين الاخلاق والقانون .. اذ يبـدو ان الامر قانونى فى الحكمين حكم القضامى أمس ، وحكم المحدثين اليوم ؟

فنحب أن نقول له : ان حكم القدماء أمس حكم قوامه خلقى ، اكثر مما هـو قانونى ، أو هو خلقى وقانونى معا ، لكن الاساس القانونى فيه خلقى .. بل خلقى بحت .. وتلك ظاهرة ينبغى ان نقدرها فى احكام الشريعة الاسلامية ، ونقـدر افتراقها بها عن الشرائع الوضعية ، وهو افتراق جوهرى جذرى ــ كما يقال ــ لا ادعاء فيه ولا محاباة . وسبب ذلك ان الشريعة الاسلامية تقيم تقديرها على اسس خلقية خيرية تقدرها فى النـاس وتأخذهم بها وتعاملهم على اساسها .. بل تحاكمهم على هـذا الاساس .. فتقدر وجود ضـميرهم الدينى الذى يشعر بوخز المخالفة حين يراقب الله فى السر والعلن ــ كما تدخل فى عقـابهم العقاب الاخروى والثواب كذلك .. وهى قبـل ذلك كله تحملهم ما تحملهم من الواجبات على اساس خيرى خلقى ، هم مأمورون بتقديره واتباعه ، فلا تعتبر مصدر الزامهم هو النص التشريعى فقط بل تعد الامر الخلقى والتكليف الوجدانى مصدرا من مصادر الالزام ، واصلا تقام عليه المؤاخذة .. و هو فرق واضح كبير بين الشريعة الوضعية ، والشريعة الدينية وبخاصة تلك الشريعـة الاسلامية .. وليس لدينا المجال الكافى لسوق الامثلة الموضحة لهذا الفرق فى الاجـراءات الاسلامية نفسها ، فضـلا عن التكاليف والعقوبات ، وغيرها .

وبحسبنا فى بيان هذا الفرق مانعرضه هنا من فرق بين الحكمين القديم والحديث فى النقد ، وحق التاريخ على من يؤرخهم ويدخلون فى حسابه .

فأول هذا الفرق الذى ينشأ عن خلقية التنظيم القرآنى والتشريع نفسه وانه يعد من الواجبات ما تفرضه الخيرية الخلقية لا العملية القانونية .. اول ذلك الفرق :

١ ــ هو التوسع الشامل فى هـذا التناول للناس بالحكم والتقدير ، بحيث يجب فى نظر الشريعة ، عند كل مناسبة ينشأ عنهـا اى اضرار بمصلحة عامة ، فيجب الجهر بالحق وبيان الواقع واعلان التقدير الصحيح للاشـخاص وسلوكهم كلما مس ذلك مصلحة اجتماعية ، سواء أكان الشخص جاكما ام محكوما .. ميتا

(١) جريدة الجمهورية يوم ١٥/٥/١٩٦١ وترجو « الادب » ان تنشر يوما الحيثيات الكاملة لهذا الحكم .

م حيا .. عاملا ام خاملا — يلى عملا حكوميا او عملا فرديا اهليا — وهكذا يجب الجهر بما يعرف عن سلوك الاشخاص حين يشهدون عند الحكام .. وعند تهديد بضياع لحقوق الناس من دماء واموال واعراض وسائر الحقوق .. وعندما يلى احد ولاية لا يقوم بها على وجهها ، بان يكون غير صالح لها ، او يكون فاسقا سيء السلوك ، او طيبا لكنه مغفل لا ينتبه لحماية المصلحة .. او عندما ترتكب رشوة من حاكم يأخذ ، او فرد يعطى .. وعندما يأكل احد مال احد بالحيل والباطل .. او عندما يتصدر احد لافناء الناس وهو متساهل او جاهل .. وعندما يتصدر كذلك لتعليم الناس من لا يحسن المعرفة .. ففى كل هذا وما يشبهه يجب على الانسان دينيا ان يجرح هؤلاء المجرحين ويعلن عيب سلوكهم وعدم صلاحيتهم ويشهد بذلك ..

وهذا الجرح والجهر فرض كفاية على المجتمع اى يجب ان يوجد فى المجتمع من يؤديه ويقوم به ، واذا لم يقم به احد كان الجميع امام عقيدتهم آثمين خاطئين ، مستحقين لمؤاخذة الدينوية والاخروية

ومن هنا قال الاقدمون الذين لم يعصلوا الجانب الخلقى عن الجانب العملى : ان القيام بفرض الكفاية هذا يفضل القيام بفرض العين ، لان ذلك النقد والوزن ، بجرح المجرح وتعديل المعدل ، فى كل مناسبة تمس شئون الجماعة ومصالح أفرادها يعد عند هؤلاء الاقدمين من الواجبات التى لا يسع الاخلال بها ومن القواعد التى يتعين حفظها ، ورعايتها حتى قال احد العلماء : ان ذلك التقدير الناقد افضل من [illegible] .

ومن الفروق بين القانون الوضعى - والنظرة الخلقية فى الشريعة ايضا .

٢ — عدم اعتبار هذا النقد الجارح جريمة ما ، بل عده فضيلة وعبادة ، كما سمعت .. فقد قال حكم اليوم ان عمل مؤرخى سيد درويش قذف ، لكن لا عقاب على القذف فى حق الموتى .

اما الشريعة فلا تعد هذا فى شيء من الغيبة المحرمة ، ولا هو داخل فيها ، بل يجمع القوم على جوازه ويعد من الواجبات للحاجة اليه .

والفرق واضح جلى بين من يعد هذا النقد عملا معاقبا عليه فى اصله ، لكن سقطت العقوبة عليه فى حق الموتى ، وبين من يعده عملا واجبا وعبادة وتكليفا تدفع العقيدة القلبية ، والشعور الوجدانى الى ادائه واحتمال الالم فى سبيله .

كما يتأكد هذا الفرق بين النظرة الخلقية لنقد الواجب ، والنظرة القانونية له عندما نذكر انه لا يقف فى الشريعة عند الخالدين ، ولا عند التاريخ ، على ما سمعت فى حيثية حكم اليوم ، بل هو كما رأيت يصدر من الشعور الاجتماعى المرهف ، الذى يحمل على دفع الاذى عن الناس فى حياتهم ، فينقد المعلم ، والواعظ ، والحاكم ، والمفتى ، والقاعد ، وكل صاحب عمل يمس حياة الجماعة ، ويخشى ان يحدث فيها أثرا سيئا .

ومن هنا يتبين بوضوح سافر فرق آخر هو :

٣ — اجتماعية النظرة الشرعية الخلقية للنقد الذى يدفع كل ضرر عن المجتمع

وعلى العكس من هذا تماما تسمع تأكيد النظرة الفردية القاصرة ، فيما يقوله الحكم القضائي اليوم من ان جرائم القذف والسب لا تقع على المجتمع — فالاولون لم يعتبروا هذا النقد الجارح لمن سلوكه مجرح فى شىء من الجريمة ولم يسموه غيبة ، ولا قذفا ، اما القانون الوضعى فيسميه قذفا ، ثم يعفيه من العقاب لانه واقع على الافراد لا على المجتمع .. مع اننا ندرك فى قرب وجلاء ان كل جريمة تقع على المجتمع مهما يكن المصاب المباشر بها فردا — فالقاذف فى نظر الشريعة يجرح فى خلقه ، وحين يتصدر او يتصدى لعمل علمى او عملى يجب على من يعرف من امره هذا ان يجرح هذا السلوك فيه ، اما القانون الوضعى العملى فيترك الفرد المعتدى عليه بالسب والقذف ليطالب هو شخصيا بحقه .

ومن كل اولئك يستبين فرق آخر بين النظرتين فى :

٤ — اعطاء القانون الوضعى الحق للتاريخ فى ان يقول كلمة الحق فى الخالدين .. والزام الشريعة كل عارف بحال شخص ان يعلن الرأى فى سلوكه المنتقد المؤاخذ عليه ، مهما يكن مركزه .

فالنقد عند الشريعة واجب لاحق ، وهم يحدثون فى افاقهم الخلقية عن المؤرخ ولزوم الورع فيه ، وان يكون ذا دين وخير ، لايتوقف عن الجرح والتعديل خوفا من السيف والضرب ، ويحذرون من اخطاء التاريخ والمؤرخين ، فى مجاباة الدولة القائمة ، واخفاء مساوئها .. وما الى ذلك من آفات معروفة ويهددون على هذا بوخز الضمير ، بمراقبة الله وبخوف العذاب الاخروى ، وهو مالايعتز القانون العملى المجرد بشىء منه .

واوضح من هذا فى الفرق بين الاخلاق والقانون فى الاخلال بواجب النقد.

٥ — صرامة العقاب فى خلقية الشريعة على تعييب النقد والجرح لاعلى تركه ، مع سهولة الامر كما رأينا فى القانون الوضعى الذى لا يرى للامر صفته الاجتماعية الحقة .

ومن هذه الصرامة تراهم يقولون : ان من يجهل واجب النقد — اى الجرح والتعديل — نعلمه ان هذا ليس غيبة ، بل هو فرض كفاية ، فان اصر على ان النقد ليس كذلك فليؤدب بما يليق من زجر ، حتى يرجع عن الطعن فى عمل الناقدين — المجرحين لمستحق التجريح — ومن المعنى الخلقى فى هذا المجال قولهم : ان وئى الامر يثاب على تأديب من يقف فى طريق واجب النقد : المنكر للجرح انعائب للتاريخ .. ثم تقسو عبارتهم فى ذلك حين يقررون ان الاجماع منعقد على الاعتناء بهذا اللون .. وان الدق لراس من يمنعه اوفق .. ان لم يقطع .

وهكذا يبدو بكل جلاء : ان واجبنا فى النقد ، خلقى ، اجتماعى انسانى ، يؤيده تدين المتدين ، وتدعمه خلقية الفاضل الخير ، وان الاخلال بذلك الواجب اثم عظيم ، امام الضمير الفردى ، وامام المسئولية العامة .

ولكل اولئك تمضى « الادب » فى طريقها ، مقدرة امانة النقد الكبرى ، شاعرة مع اقدامى هذا الشعور الفاضل الخير ، الذى ينظر الى النقد تلك النظرة التى سمعنا عنها بالامس فى بيان الحكم التأديبى للقدماء مثل الذى سمعناه اليوم فى الموازنة بين الحكم القضائى الآن والحكم التأديبى القديم ..

ولعل حملة الاقلام عندنا يعديهم هذا الشعور الكريم بجلال النقد .. ووجوبه وبعيد اثره وضرورة حريته .. وخيرية اهله .. فيكون للحياة الادبية من هذا النقد خير الاثر واصدق الاصلاح .

عبد الأمناى

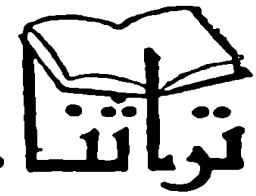

تحقيق النصوص

متى يصح منهجه؟

منذ عقود من السنين ترتفع الصيحات المدوية فى جنبات الوادى تؤكد اهمية التراث ، وانه دعامة النهضة ، تساندها دعامتان اخريان ، هما ترجمة الجديد ، الذى تقدمت به الدنيا حولنا ، ثم الدراسة الجادة منها ، نصل بها ماضينا الموروث بحاضر العالم المتجدد .

ولم تذهب تلك الصيحات مع الريح ، وان تأخرت الاصاخة اليها ، والاستجابة لها ، فشعرت هيئات مختلفة باهمية التراث وخطره ، ولعل أبرز ذلك وأقواه هو ما كان فى مؤتمر ((الفنون والثقافة)) ، الذى دعت له وزارة الثقافة والارشاد القومى ، بالاقليم الجنوبى ، سنة ١٩٥٩ ، وألفت له لجانا ، كان من أبرزها لجنة ((احياء التراث)) ، التى والت عملها فى المؤتمر وبعده ، حتى انتهت فى ذلك الى سياسة مرسومة ، متصلة ، طويلة المدى ، ليت الزمن يمدها بقوة فعالة منفذة ، لا يعوزها العزم ، ولا ينقصها المال !!

وما بنا أن نحدث عن السياسة الجارية فى خدمة هذا التراث ، وتفرق قواها ، بين هيئات ، ووزارات مختلفة ، تتنازع الاختصاص ، وتتجاذب السلطة ، فتتبدد قواها ، بهذا التنازع والتجاذب ، ويظل العمل راكدا ، مشلولا فى مكانه ، لا يتقدم ، الا أن يكون شىء من ذلك باهتزازات خفيفة ، لا يجاوز أثرها ما يكون فى حركة ((محالك سر)) كما وصفت ((الادب)) ذلك فى مقال سابق . . ولا نعود هنا الى هذا الحديث المعاد ، فقد افرد هذا المقال لغيره من أمر التحقيق .

ولقد كانت ((الادب)) منذ مطلع حياتها صحيحة الوعى لاهمية التراث ، مقدرة ضرورته ، لفهم تاريخنا ، الذى كتبته شخصياتنا المتميزة ، ودونه ابناؤها على الاجيال والدهور . . ومن وعى ((الادب)) لاهمية التراث انها فى عددها الاول من تاسع سنوات جعلت تحدث عن تشريعات ينبغى اصدارها من اجل معرفة هذا التراث وجمعه ، كما عرضت لاحاديث عن هذا التراث ، فى يد غيرنا ، وفى يدنا ، ودبرت لخدمته ، واشارت فى ذلك ، وحاولت اثارة الهمم فى مواطن ومناسبات مختلفة ، ولدى هيئات متعددة ، هنا وفى الخارج . .

ومهما يكن الراى والعمـل فى معرفة هذا التراث وجمعه فان شيئا من نشر هذا التراث قد كان منذ امد بعيد ، وتولته هيئات وافراد ، على خطة كان يصيبها الوناء حينا ، وينالها النشاط حينا ، ولكن الاهم من ذلك ان هذا النشر لم يكن دائما ذا حظ كبير ، من سداد المنهج وسلامته فى تحقيق النص المنشور ، بحيث يكـون على اقرب ما يمكن من الصورة التى خرج بها الكتاب من قلم مؤلفه يوم دفعه الى الحياة ..

والدعوة الى تصحيح منهج تحقيق النصوص لم تكن اقل عناية واهتماما ، من الدعوة الى حماية التراث ، فقد تهيات الفرصة لذلك ، لدى اكثر من هيئـة ، وفى اكثر من مناسبة . ففى الجامعة العربية ، والجامعة المصرية ، ودار الكتب ، وسواها قد تردد الحديث وتكرر القول ، عن منهج التحقيق واسسه الصالحة ، واصوله المقررة قديما وحديثا ، حتى لقد دونت لذلك قواعد محددة ، واضحة ، مفصلة ، مستفيدة مما حرر اسلافنا من المنهج النقلى الذى دق عنـدهم ، حتى ما يكاد التقدم الفكرى الحـديث يضيف اليه من التحرير شيئا كثيرا .. وتدوولت تلك القواعد لمنهج التحقيق فى البيئات التى يعنيها الامر ، موزعة من دار الكتب التى وضعت لجنة التراث من مجلسها الاعلى هذه الاصول المنهجية ، فى تحقيق النص القديم .. ولكن التواصى بتصحيح هذا المنهج ، والحض عليه لم يكن ـ فيما يبدو ـ اكثر تلقيا وقبولا من الدعوة الى الاهتمام بتعرف التراث وجمعه ، وصونه .. فحتى اليوم ، وبعد سنوات من الدعوة ، والاياانة ، وتقرير الاصول لا يزال يدفع الى النشر من الهيئات والافراد جميعا ما يعـوزه الضرورى الاساسى ، من تصحيح المنهج .. واشد هذا وقعا ما يكون نشرا باسم هيئة رسمية ، او ما يكون على يد رجال مرجوين لهذا العمل ، يقوى الامل فى الظفر عندهم ، بالخطة الدقيقة والمنهج المصحح ..

ويثير هذا الحديث عن تصحيح منهج التحقيق ما وقع الى ، من تحقيق تولاه اسـتاذ صديق هو اهل للعبء يحتمله قادر على الاجادة ، بقدر ماتمرس به من تجربة فى هذا المجال .. ومن هنا تكون الاشارة الى عمله واجبة ، على كل من يرجون عنده الخير ويعرفون له الوفاء ، بهذا المنهج .. وعلى قدر الامل تكـون العتبى .

وقـد حقق الاسـتاذ الابيارى كتاب « نهاية الارب فى معرفة انساب العرب » للقلقشندى ، ونشر فى مجموعة تراثنـا العربى ، ولا اعرف تماما مقدار الصفة الرسمية لهـذا النشر ، لكنى اعرف ان هذا المحقق يقوم المقام المسئول عمليا فى وزارة الثقافة والارشاد القومى التنفيذية فهو بحيث تطلب بجهده سلامة المنهج ، فى تحقيق النصوص ، حين تؤدى وزارة الثقافة واجبها فى هذا الميدان ، والاستاذ الابيارى فوق ذلك جـولات واسعة فى ميدان نشر التراث ، خارج الوزارة ، بل قبل انشائها .. ومن كل اولئك يكون عمله فى التحقيق موضع الامل ، ومثال مايرجى فى هذا الشان ، وهذا هو ما اوجب على القول عن منهج التحقيق وصحته حين وقع الى كتاب القلقشندى الذى قد يعد ثمرة التجربة الطويلة للمحقق فى هـذا

المجال ، وفيه نرى الصورة التى وصل اليها التحقيق عندنا اليوم وعند محققه نبتغى المثل الصالح والقدوة الحسنة ، ونقول فى التقدير كل ما يجب ان يقال ، لنلفت الى اصول تحقيق النصوص لفتا مؤيدا بالمثال والتطبيق العملى .

* * *

واول ما يسلم به المنهج فى تحقيق نص هو جمع اصوله التى تمكن معرفتها حيثما كانت ، وان قلنا « على قدر الطاقة » فان من قوة اتصال انحاء الدنيا وسهولة المراجعة ، بين اجزائها النائية ما يجعل الطاقة فى هذا الجمع تنال البعيد وتصل الى النائى بايسر جهد ، كان الاقدمون يبذلون اضعاف اضعافه ، طلبا لخبر او اثر ، او مروى ما لا يجاوز اسطرا . . ومن هنا لا نستكثر القول بلزوم جمع اصول المخطوط المحقق حيثما وجد فى الدنيا ومن كافة الارجاء ، واذا ما كان النشر يعتمد على تأييد رسمى فطاقة الدولة اوسع واحفل ، ورجالها منتشرون فى جوانب الارض ، ملاحق ثقافيين ، ورجالا مبعوثين وطلابا دارسين وتجارا مترددين ، وغير ذلك كثير ، مما يسهل معه التكليف ، ويهون الوصول ، وتنقطع المعذرة .

لكن هذا الاصل الاول والاهم من اصول التحقيق قد اهمل فى تحقيق نهاية الارب فى معرفة انساب العرب ، واغفل دون تحرج او تأثم ، او ما يشعر بحاجة الى شىء من الاعتذار ، فالسيد الناشر يقول (١) ما نصه : « وكنت حريصا على الحصول على النسخة الباريسية ، ولكن الظروف التى طبع فيها الكتاب حالت دون ذلك . . » ونحن نعرف ان المترددين على باريس كل يوم لايكادون ينقطعون لو كان الحصول على نسخة باريس لا يكون الا على يد انسان لاغير . . فكيف المراسلات متبادلة ، والصورات تملأ الاركان ، والتبادل الثقافى مشرع وميسر ، والمكتبات انفسها توافى من شاء بما يشاء من صور المخطوطات ، بالاجر الزهيد ، فى الزمن القليل . . !!

واذا لم تحضر نسخة باريس فى تحقيق نص كهذا ، ومن محقق كهذا فلن يحضرها ناشر تاجر ، او فرد رقيق الحال .

واذا لم يسمع كل شاهد يمكن سماع اقواله فهل يكون ذلك تحقيقا فى تسمية القانون !! ان كل نسخة من نسخ المخطوط الموجودة فى اى مكان ليست الا واحدا من شهود تاليف الكتاب ، بل ليست الا قطعة مادية ، وجزءا محسوسا من صورة ما كتبه المؤلف ، فان غاب شاهد عيان فكيف يكون ماتم بدون اقواله تحقيقا . . وان نقص جزء مادى من جسم فكيف يقدم للناس مبتورا منقوصا !! واذكر ما تشاء من تمثيل وتنظير يصور لك تحقيق نص لم يقم على نسخه جميعا .

على ان المحقق حين لم يحضر نسخة باريس من نهاية الارب لظروف طبع الكتاب قد تعلل عنها بشىء آخر يعوض المفقود ، ويرد الناقص ، ويرضى به نفسه فقال : « مضيت اقنع نفسى بان اصول الكتاب ، التى نقل عنها بين يدى ، وان فى هذه الاصول اكثر الغناء » . . وهى تعلة قد يقر المحقق على الاستعانة بها — ولو مؤقتا — اذا كان قد عرف بتلك الاصول وبينها ، وكانت من السلامة

(١) صفحة « ى » من المقدمة

والتحرير بحال تجعل فيها شيئا من الغناء عن نسخة من عمل المؤلف كما صنعه وقتها على عينه ، حين تصرف فى تلك الاصول التى نقل عنها واخذ منها وعمل عملا آخر غيرها .

فاذا لم تذكر هذه الاصول المزعومة ولا شيئا منها ، ولا احصى المؤلف نفسه شيئا من اصول بعينها قد اعتمد عليها ، ونقل منها بذاتها فبم يكون التعلل ؟ وكيف يمكن الاستغناء عن مخطوطة ما من مخطوطات الكتاب الذى يحقق نصه لتقدم منه الصورة التى ركبه عليها مؤلفه !!

على ان هنا معنى دقيقا لايصح اغفاله وهو ان الرجوع فى تحقيق نص تراثى انما يكون بالرجوع الى اصول يذكر مؤلف الكتاب نفسه ان كتابه صنع منها وادرجت فيه ، كما فى لسان العرب مثلا حين ذكر مؤلفه انه ضمنه كذا وكذا من كتب اللغة السابقة .. او يكون المؤلف قد ذكر انه اعتمد عليها ، ولو لم يضمها كتابه ، بنصوصها ، وهو مالم يتوافر منه شىء فى « نهاية الارب » توافرا صريحا يعلنه القلقشندى المؤلف ، الا ان يكون السيد المحقق قد وجد هذا الاعلان للمؤلف عن اصول كتابه فى موضع لم يتهيأ لى الاطلاع عليه .. وعلى كل حال فعدم ذكر تلك الاصول فى مقدمة المحقق وجهة رسالتها لا يجعلها سببا ما للاستغناء عن نسخة خطية من الكتاب المحقق .

ثم ان وراء ذلك معنى آخر لعله اكثر دقة واهمية ، فى الرجوع الى الاصول التى لكتاب بعينه ، وذلك المعنى هو : ان الرجوع الى كتب هى اصول فى الموضوع المؤلف فيه دون ذكر صريح من المؤلف انها اصوله التى ضمنها كتابه ، او اعتمد عليها فيه لايغنى هذا الرجوع غناء ما فى تحقيق كتاب .. فرجوع ناشر « نهاية الارب فى معرفة انساب العرب » الى الكتب الامهات فى علم الانساب لا يكون تحقيقا لمؤلف القلقشندى بالذات ، بل يكون فى الحقيقة موازنة بين النسخ المحرفة من كتاب القلقشندي ، وكتب الانساب الاخرى ، ولا يكون ذلك تحقيقا يحرر ويصحح مؤلف صاحبنا ، ويقدم منه صورة تمثل صنيع المؤلف .

وهب اننا اعتبرنا هذه الموازنة بين الكتاب وامهات كتب الانساب نوعا من تحقيق فهل نستبعد ان يكون القلقشندى فى تأليف كتابه قد وهم او اخطا او حرف او اشتبه عليه الفهم ، او رجع الى نسخ غير محررة من كتب الانساب التى اعتبرناها اصولا مقررة فى المادة حتى لا يخرج مؤلف فى الانساب فى اى زمن عما فيها .. ؟ اليس يظل هذا الاحتمال القوى الذى تؤيده بشرية القلقشندى وبشرية كل انسان قد صنف ، فلا تكون المراجعة على الاصول عملا سليما .. فوق ان تكون تحقيقا .. او تصحيحا .. واذا ما قام هذا الاحتمال فى عمل المؤلف وكان احتمالا طبيعيا قريبا ، فاننا بتقويم كتابه ، ورده الى الاصول المعتمدة فى المادة لا نكون قد حققنا نصه ، ولا عرفنا مكانه فى تاريخ المادة ، بل نكون قد صححناه واصلحناه اى عملنا فيه عملا جديدا ليس هو تحقيق نصه .

ولسنا نفترض فى المؤلف النقص الذى تحتمله البشرية فقط ، بل نفترض

الكمال الذى تستطيعه البشرية ايضا ، كأن يكون القلقشندى قد رجع من الاصول الى ما اضاعه الزمن ولم يصل الينا ، او ان يكون قد رجع من تلك الاصول نفسها الى نسخ ادق واحكم مما وصلنا من نسخها ، او ان يكون المؤلف بمقابلته بين تلك الاصول قدكشف منها عن القويم الدقيق الذى لم يهتد اليه سواه ، ويكون قد نبه الى هذا التحقيق تنبيها لم تحمله النسخ التى وصلتنا من كتابه ، او حملته النسخة التى لم نرها ، كتلك التى لم نحضرها من باريس .. واذا ما كان فى الامكان القريب ان يكون للمؤلف مثل هذا الصنيع الجميل والموقف الدقيق من كتب المادة فهل يكون ارجاع كتابه اليها وتحكيمها فيه عملا رشيدا ، وتحقيقا لنص كتابه ؟

واذا ما كان هذا هو نتيجة تحكيم كتب بعينها فى كتاب شاركها فى المادة ، حينما تكون تلك الكتب معروفة مسماة معينة قد ذكرها المؤلف ، فقدكان واجب التحكيم فى هذه الحالة هو التتبع الدقيق والمقابلة التامة المستوفاة ، بين نصوص الكتاب المنشور ، ونصوص تلك الكتب التى عدت اصولا له ، ومراجع معتمدة فى تاليفه ، ولا يكون ذلك الا بان يدل المحقق فى صراحة واضحة واستيفاء تام ، على تلك الاصول ويعلن انها تحت يده وان ما معه منها هو نسخ محققة موثقة ، حتى تمكن مقابلتها بالكتاب الذى اخذ عنها .. ومالم يتم ذلك كله لا يكون الاعتماد على كتب اخرى ذا قيمة ما فى تحقيق نص ، سواء أكان ذلك الاعتماد على الكتب الاخرى تصحيحا للكتاب المراجع عليها ، او تحقيقا لنصه .. !!

وفى واقعتنا هذه رجوع الاستاذ الابيارى الى الكتب الاصول لم يتحقق شىء مما اشرنا الى ضرورة توافره عند هذا الرجوع .. فلا المؤلف عين اصوله — فيما نعرف — ولا المحقق عرف تلك الاصول بطريقة ما ، وسماها وحددها .. ولا هو ذكر انه يملك من تلك الكتب نسخا محققة موثقة ، تكون المقابلة عليها تصحيحا للكتاب المقابل او تحقيقا مدعى ؛ ولا انت واجد فى الكتاب صورة ما من المقابلة المتبعة على تلك الكتب تدل عليها صفحات الكتاب بدقة .

ان الاستاذ المحقق يقول فى مقدمته(١) « ولولا ان الكتاب منقول ، وتكاد تكون تلك النقول كلها معزوة الى كتبها » .. ولو سلمنا ان « يكاد » هنا تكفى ؛ وان دعوى النقل المعزو صحيحة فى الكتاب وسلمنا ان المقابلة فى هذه الحالة تكون تحقيقا لا تصحيحا واصلاحا للكتاب فهل قام الاستاذ الابيارى بهذه المقابلة الواجبة ؟ .. وهل ادت تلك المقابلة الى تحقيق « نهاية الارب » أو تصحيحه ..؟ لعلنا لا نطمئن الى الاجابة عن السؤالين بالايجاب ؟ .. فعن الاول لم يسم المحقق الكتب كما قلنا ، ولا بين ان لديه منها النسخ التى تصلح للمراجعة !! .. وعن السؤال الثانى سنجد فى الكتاب ما يؤكد الشبه التى شعرنا بها فى صنيع المؤلف المعتمد على كتب .. فهذا السيد المحقق نفسه يذكر فى هامش (٥) من صفحة (١٥٠) أن المؤلف ينقل عن الرياض ما ليس فيها » .. وهذا قد يعلل بأحد الاحتمالين اللذين سبق عرضهما : خطأ المؤلف ، أو تحقيقه .. ويبقى مع هذين

---

(١) صفحة « ث » من المقدمة

الاحتمالين احتمال ثالث هـــو اختلاف نسخة المؤلف من «الرياض» عن نسختنا اليـوم .. !! ويبقى غير هـــذا كله من الاحتمالات .. !

ولهذه الاحتمالات او لسواها ، ممـا تستطيع ان تقدره لم تنفع هذه المقابلة على الكتب ، فبقيت فجـوات لم يملأها المحقق ، فقال عندها « كذا فى الاصول » ولم يزد ، كما ترى ذلك فى صفحات ٢٨ ، ٧١ ، ٨٠ ، ٢٢١ — كما انه قد اكد ما اشرنا اليه من ضعف ما سماه اصولا ، بمثـل قوله — ص ٧١ .. و « كتب اللغـــة لا تؤيده » وهذه التى يسميها اصـولا سنسمع قوله هـو فى اهدارها .. فاين الاصول التى يشير اليها .

ان الاستاذ الابيارى قد اهمل ما اهمل من حصر الاصول ، والاعتماد على الموثق منها ، والتتبع المستقصى لهـا فى مقابلة الكتاب بها ، فلم يؤد لكتاب « نهـــاية الارب » على هذه الصورة تحقيقا لنصه ولا تصحيحا واصلاحا . . ثم هـو مع ذلك لم يستكمل اصوله باحضار النسخة المعروفة منه فى باريس ، وبالبحث الجاد المستوفى المبرىء للذمة عن مكان نسخه الاخرى ، وما عسى ان يكون موجودا منها اذ لم يشر الى ما قام به فى سبيل معرفة الاصول .. ثم هو بعد ذلك كله ، قـد اهدر ما فى يده من النسخ الخطية وقاله « .. وكدت اقيم للنسخ وزنا ، فارمـز لها بحـروف ، فرمزت للنسخ المصرية بالحروف ا ، ب ، حـ ، على ترتيبها الذى سقته من قبل ، ولكنى انثنيت فى اكثر الاماكن عن المتابعة ، حين وجدت ما بين يدى شيئا فاسدا كله .. » !!

واذا كان مافى يده شيئا فاسدا كله .. فاذا كان فى الرجوع الى الكتب الاخرى ، ما بيناه من انتقص ، او الفساد .. فهل الذى خرج ، مع هذا كله ، من نهاية الارب هو تحقيق لـكتاب القلقشندى ، وبعث لتراثنا العربى .. !! وهل يمثل هـــذا يسوغ للسيد المحقق ان يختم مقدمته قائلا حينا : « .. وارجـــو ان اكون قد بلغت ما املت » ، وقائلا حينا آخـــر « .. واطمع ان اكون حققت لهم الثانية حين صححت ما صححت »

ونحن لا نعرف علام راجع الكتاب ؟ وكيف راجع .. ؟ !! وما الفرق بين مافى اليد من نسخ نهاية الارب المهدرة ، وما فى غيره من كتب الانساب الاخرى ؟

***

واذا ما كانت تلك حال منهج تحقيق النص فى نشر حكومى أو شبه حكومى ، ومن ناشر متمرس ، بل هو مسئول ادبيا ، وكالمسئول رسميا عن خدمة هذا التراث . . . اذا ما كانت هذه هى الحال فانى لا استميح القراء عذرا فيما ساشغله من فراغ هـذا المقام بنشر قواعد التحقيق التى وضعتها لجنة النشر فى المجلس الاعلى لدار الكتب المصرية وابلغتها للمتصلين بها ، من المشاركين فى تحقيق ما كانت تنشره آنذاك واليكم تلك القواعد :

— ١ —

لايجوز ان يصدر عن دار الكتب كتاب دون ان تستقصى اصوله بقدر المستطاع وان يحقق نصه على ادق مناهج التحقيق العلمى ، لان الدار عنوان لمصر من جهة ، وهى قبل كل شىء معهد من معاهد العلم والبحث والتحقيق .

فكل ما يصدر عنها يجب أن يكون مثالا يحتذى ، وخير للدار الا تنشر شيئا من أن تنشر كتابا لا تقف على النسخ الموجـودة منه فى المكاتب المختلفة فى العـــالم الشرقى والغربى .

وليس ينبغى أن ينهض الافراد من المستشرقين وغـــيرهم بنشر الكتب على أدق المناهج وتقصر الدار التى تمثل الدولة المصرية عن ذلك .

— ٢ —

ما نشر من أجزاء الكتب دون استقصاء لاصولها فيجوز — مع الاسف الشديد — توزيعها حتى لا يضيع ما أنفق فى نشرها ، بشرط أن تلاحظ أصول البحث فى الاجزاء الباقية ، وأن ينبه بعد المراجعة والاستقصاء على ما وقع فى الاجزاء المنشورة من نقص أو خطأ فى أول جزء جديد ينشر .

— ٣ —

يجب أن يقتصر عمل الناشر على تحقيق النص واخراجه كما صدر عن مؤلفه حسب الطاقة ، وتسجيل ما يكون بين النسخ من اختلاف ، دون تعرض للموازنة بين ما قصد اليه المؤلف وما وصل اليه العلم الحديث ، فهذا نحو آخر من البحث ليس من شان الناشرين .

— ٤ —

يحسن أن يشرح بعض الالفاظ التى يمكن أن تستغلق على القـــارىء المثقف من الناحية اللغوية بوجه خاص .

— ٥ —

لايجوز بحال من الاحوال أن تمس النصوص القديمة بحـذف أو نقص أو تغيير مراعاة لظرف من الظروف مهما تكن .

والخير الا ينشر الكتاب ، فاما نشره مشوها فاثم عظيم .

— ٦ —

لا يكلف العمل فى نشر الكتب الا من تتحقق لجنة النشر من كفايته المنهجية لهـذه المهمة .

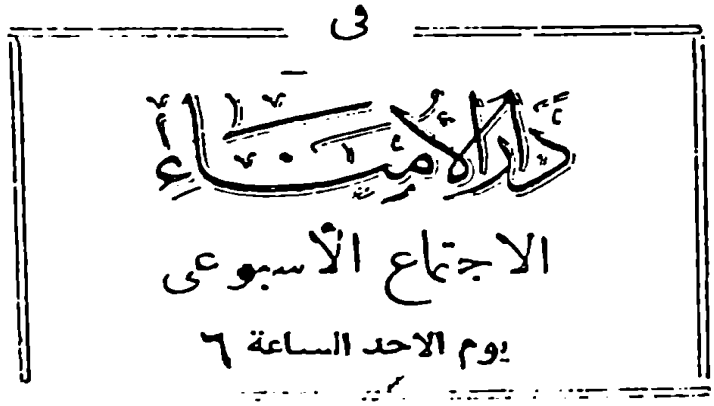

تتلخص الاخطاء المتبعة فى تدريس النحو العربى فى ست مسائل أساسية : مفهوم النحو ، ومفهوم اللغة ، وارتباط كل من المفهومين ببعضهما ببعض ، ونقطة البدء فى تدريس النحو ، والمناهج الدراسية وطرق التدريس .

اما عن مفهوم النحو فان العصور السابقة قد اصطلحت على اعتبار النحو علما قائما بذاته ، يمكن أن يدرس مستقلا عن اللغة ، كما يدرس علم الجغرافيا بعيدا عن السياحة فى الارض ، أو علم التاريخ بعيدا عن مشاهدة الاحداث التى غابت فى ماضى الزمن .

ولكن النحو ليس علما مستقلا عن اللغة ، بل هو وسيلة فقط لصناعتها قولا باللسان وكتابة بالقلم ؛ ولا يمكن فصل قواعد اية صناعة عما يصنع من هذه الصناعة ؛ فقواعد النجارة مثلا لا يمكن فصلها عن صناعة الابواب والنوافذ ، ولا يستطيع الصانع أن يكون [illegible] صناعته بمجرد حفظه لقواعد صناعته ، ودرايته التامة بقوانينها ، ما لم يظهر اثر ذلك عمليا فيما يباشره من عمل ويتقنه من مصنوع .

ونحن فى ايامنا هذه لا زلنا نساير القدماء فى اعتبارهم النحو علما قائما بذاته ، يدرس دراسة مستقلة لا صلة له باللغة الا فى تلك الامثلة التى يؤتى بها لاثبات القاعدة لا غير ، وكذلك لا قيمة لتلك التمارين التى كل هدفها معاونة امثلة القاعدة على تأكيد صحتها مرة ثانية .

اما موقف الطالب فى كلتا الحالتين ، فهو سلبى لانه لم يستعمل لغة فى ظل قواعدها وانما عرضت عليه اللغة مصنوعة ، ليعرف كيف انطبقت القاعدة عليها .

وهذا الموقف السلبى من الطالب شبيه بمن يتعلم النجارة كلاما ثم تعرض عليه بعض المنجورات ليحكم عليها بما عرف من قواعد النجارة واصولها .

وبهذا الادراك الخاطىء لمفهوم النحو ، الذى توارثته الاجيال ، واخذناه عنها تقليدا واجب الاتباع — نلغى فائدة النحو الغاء كاملا ؛ ونهدم فى الوقت نفسه تعريف النحو من اساسه كما وضعه النحاة انفسهم ، حيث يقولون :

« النحو علم بأصول تعصم مراعاتها من الخطأ فى القول والكتابة » .

وللتخلص من هذا الخطأ المتوارث فى مفهوم النحو ـ يجب ان تدور دراسته فى جميع مراحل التعليم كلها ، ما عدا العالية منها ، حول محور واحد ، وهو اتخاذه وسيلة لصناعة اللغة قولا وكتابة ، تصريفا واستعمالا واعرابا وبناء .

اما ان يحفظ الطالب جميع قواعد النحو ، او الفية ابن مالك ، وهو لا يستطيع أن يقيم عوج لسانه او يتحاشى اخطاء قلمه ـ فان كل هذا المجهود لا قيمة له ولا غناء فيه ، وسرعان ما ينسى لانه لم يجد المجال العملى لتطبيقه .

واكثر المعلومات التى يحصلها الانسان مصيرها الى النسيان ما لم تستخدم استخدامها متكررا . فالطبيب مثلا اذا ترك الطب سنوات ضاعت اكثر معلومات الطب من ذاكرته ، وكذلك كل ذى علم لا يمارس مادة علمه ممارسة تطبيقية متكررة .

وقد نستطيع ان نعتبر النحو علما قائما بذاته فى المراحل النهائية فى التعليم ، حيث يستطيع طلاب الدراسات العالية ان يستيقنوا دقائقه ويستكملوا معارفهم عن اصوله وفروعه ، وما يعتور بعضها من وجوه الاطراد او الشذوذ .

ولكن النحو فى غير دراسات التخصص يجب ان ترتبط دراسته بصناعة اللغة ، على اساس ان تطبق كل قواعده على كل ما يستعمله الطلاب من اللغة قولا او كتابة .

مفهوم اللغة

اما اللغة ، فهى كذلك ليست علما من العلوم من ناحية الصياغة والتركيب ولكنها صناعة قولية باللسان وكتابية بالقلم ؛ واجادتها لا تتحقق بفهم مفرداتها او نصوصها ، وانما تتحقق اجادتها بالاقتدار على تناولها على اوسع مدى ، تناولا موافقا لقواعدها ؛ والماهرون فى اللغة هم الذين يتخذون صناعتها مهنة لهم ، كالمعلمين والكتاب والادباء والشعراء

ولما كان مستودع اللغة هو حافظة الانسان ، فان الطريق الوحيد لاجادتها وتقويم السنة المتعلمين ـ هى ان نودع فى ذاكرة الاطفال منذ مرحلة الطفولة وبواكير الصبا اكبر قدر ممكن من الثروة اللغوية فى اية صورة كانت : قرآنا او شعرا او نثرا او قصصا او حكما او امثالا ، حتى ولو لم يفهموا بعض ما يحفظونه فى هذه المرحلة .

فان هذا الزاد العظيم سوف يجترونه فيما بعد ، وسيجدون فى اجتراره اذا كبروا اكبر فائدة ومتعة ، وسيجدون فى مفرداته واساليبه وشتى صوره الفكرية والتعبيرية المنبع الفياض الذى يغترفون منه ما يشاءون ، للاستعارة او الاستنارة او المحاكاة .

علاقة الفهم بالحفظ

ان الذين نقلوا الينا فى شئون التربية والتعليم اسوأ ما فى الاستعمار الثقافى من نظريات فى علم النفس التربوى والتعليمى ـ يشنون حربا لا هوادة فيها على كل ما يحفظه التلاميذ سواء اكان نصوصا لغوية او معلومات ثقافية او علمية ، تحت حجة كاذبة وتعليل خاطىء وهو ان الغاية من التعليم هى تشغيل العقل لا شحنه بالمعلومات ؛ ولنا ان نسأل : هل يستطيع العقل ان يستغل ويفكر من غير ان يكون

فى حافظته رصيد ضخم من الثروة اللفوية والمعلومات الثقافية ، والقياسات الفكرية ، قد سجلت فيها تسجيلا قويا واضحا ، بحيث يسهل استدعاء ماتقتضى الضرورة استدعاءه منها ؟ ! اليس العقل الفارغ من المعلومات كمثل البئر النازحة ؟

فهل يطلب منهاالماء ؟ واليس العقل الخالى من المعلومات كمثل الطاحون الفارغة من الحب ؟ فعلى اى شىء ندبرها ؟ وماذا ننتظر من تشغيلها وهى فارغة من الحب ؟ !

اليست وظيفة العقل كوظيفة البنك سواء بسواء ، فكما لا يستطيع البنك ان يقوم بجميع اعماله المصرفية من غير ان تمتلىء خزائنه بانواع النقود المختلفة ، وبالاوراق المالية ، من جميع الفئات — فكذلك العقل لا يستطيع ان يقوم بصور التعبير او الحكم او التصرف من غير امتلاء حافظته بثروة لغوية متصرفة ، ومعلومات ثقافية متنوعة ، ليقيس على الاولى فى التعبير ، ويسترشد بالثانية فى الحكم والتقدير .

واذا كان القدماء قد اخطأوا عندما جعلوا التعليم يدور حول محور الحفظ فقط ؛ واهملوا تشغيل العقل فيما يحفظ ، فان طريقة المحدثين كانت اشد بلاء واعظم نكرا ، حينما عكسوا الامور فحاربوا الحفظ بكل شدة وعنف بحجة تشغيل العقل .

واذا كان الكثيرون ممن خرجتهم طريقة القدماء فى الحفظ يصدق عليهم قول الله تعالى : مثلهم كمثل الحمار يحمل اسفارا — فان طريقة المحدثين فى تحريم الحفظ تجعل اكثر المتخرجين على منهجها : حميرا لا تحمل اسفارا فوق ظهورها ، ولا قيودا فى ارجلها ! !

والطريقة التى لا مفر من الاخذ بها فى التعليم هى الجمع بقوة واسراف بين طريقة القدماء فى الاكثار من حفظ نصوص اللغة ، وانواع الثقافات ، وخلاصات العلوم ، وبين طريقة المحدثين فى الاكثار من تشغيل العقل فيما تسجله الحافظة ، لتوليد الافكار ، والتفنن فى صور التعبير .

ولقد كان من نتائج محاربة الحفظ فى نصوص اللغة وخلاصات العلوم ، ان عجز الطلاب عن صناعة اللغة لعدم وجود امثلة يحاكونها ، او مادة يفترفون منها وعجزوا كذلك عن صناعة الافكار وفقدوا ملكة الحكم الصائب لخلو اذهانهم من المعلومات التى تسند احكامهم ، او يؤلفون منها المقدمات .

ان الذاكرة بجميع مستوياتها الشعورية واللاشعورية ، وجميع افلاكها القريبة والبعيدة — هى التى تكون شخصية الانسان ، وتحدد خط سيره فى الحياة ، ومما تمتلىء به من معلومات نافعة او ضارة يفترف صاحبها ، وكل اناء بما فيه ينضح ! !

والواجب من ناحية التربية والتعليم ، ان نملأ هذا الاناء بكل نافع ومفيد لا من العلوم والنصوص اللغوية فقط ، بل من التجارب العلمية ذات الهدف الموجه ، ويجب ان نسرع فى ذلك ماوسعنا الاسراع فى المرحلة الاولى من التعليم ، قبل ان

يصل الاطفال الى دور المراهقة فتدمر انتباههم بغرائزها الحيوانية .

* * *

وقد بلغ من قسوة وكلاء الاستعمار الثقافى — انهم خاربوا كل ما كان مقررا حفظه من سور القرآن الكريم فى جميع مراحل التعليم ، ولم يبقوا منه فى كل فرقة دراسية الا آيات قلائل للذكرى أو التعمية .

ومن امثلة ذلك فى المنهج الابتدائى انهم لم يتركوا للسنتين الاولى والثانية الا اربع سور (الفاتحة ، الاخلاص ، العصر ، الكوثر) .

وهذا القدر يستطيع اضعف الاطفال حافظة ان يحفظه فى اقل من اسبوع واحد ، لا فى عامين كاملين ، ولن اجادل هؤلاء السادة باسم الدين ، ولا باسم اللغة العربية ، وانما اريد ان اقول لهم : انهم بهذا العمل يرتكبون اكبر حماقة تعليمية فى حق عقول ملايين الاطفال الذين يتعلمون على مناهجهم ، لان حفظ النصوص ايا كانت مادتها فى مرحلة الطفولة — هو الوسيلة الوحيدة لتكوين الذاكرة الجيدة القوية عند الاطفال ، باعطائها هذا اللون من المرانة على سرعة التسجيل وسرعة الاستعادة والاسترجاع . وهل الذكاء ، او السير فى التعليم بقدم ثابتة الا اثر من آثار الذاكرة القوية ، ذات القدرة على سرعة التقاط ما تسمع وفهم ما تقرأ .

ولكن طريقة محاربة الحفظ فى الطفولة لا تعنى الا شيئا واحدا ، وهو تدمير اغلى ملكة عقلية عند الانسان ، بل انها أم الملكات جميعا ، وما الانسان بغير الذاكرة وما فيها من صنوف المعارف والتجارب ، الا حيوان فى صورة آدمية ! !

ومما يترتب على محاربة الحفظ فى الصغر ، ان تصاب ذاكرة الاطفال بالخمود والعجز ، ويفقدون القدرة على تركيز الانتباه الذى هو الوسيلة الوحيدة لتسجيل المعلومات ، ويصابون بآفة الشرود الذهنى وعدم القدرة على حصر الانتباه وتركيزه ، فيحتاج المدرس ان يكرر الشىء الواحد عدة مرات ، وحتى الكلمة الواحدة كثيرا ما يكررها فى دروس الاملاء ، بسبب ضعف الحافظة وعجزها عن التقاط ما تسمع . لسوء تكوينها واهمال تدريبها .

ولو استطعنا ان نفير من هذه الطريقة المخربة للعقول من الصغر ، بأن عملنا على تكوين الذاكرة القوية لدى الاطفال ، فأكثرنا من تمرينها تمرينا متصلا على حفظ الكثير من النصوص اللغوية والثقافية والعلمية ، لتكونت لدى هؤلاء الاطفال ذاكرة فتوغرافية سريعة الالتقاط سريعة الاستعادة ، ولتعلموا فى عام واحد مالا يستطيع غيرهم ان يتعلمه فى اعوام ، ولوفرنا من اعمارهم فى التعليم بضع سنين ، بدلا من ان يقضوا نصف اعمارهم طلابا للعلم ، كما هو الحاصل الآن ، عالة على الدولة وعلى ذويهم لتكرر رسوبهم .

ولو بكرنا بتعليمهم على النهج السديد لانتهوا من دراستهم الثانوية فى الخامسة عشرة من اعمارهم بينما الذين يتعلمون الان فى مدارسنا وعلى الطريقة الخاطئة

لا يستطيعون ان يتخلصوا من لغة الامية في هذه السن .

* * *

على ان هؤلاء السادة الذين ينادون بالفهم بدلا من الحفظ ، لا يعرفون ان انهم وحده مرة واحدة لا يكفي ، بل لا بد من تكرار تسجيله في الحافظة ، لان الفهم نوع من الادراك ، والانسان قد يدرك في الدقيقة الواحدة ، مئات الافكار والصور ، ولكنه بعد ساعات قد يعجز عن استعادة شيء منها ما لم يكن قد سجل بعضها تسجيلا قويا بأحد عاملين اما تركيز الانتباه نحوه واما بتكرار استعادته . ولهذه الظاهرة العقلية كان الطلاب دائما يسألونني : اننا نذاكر كثيرا ونفهم ما نذاكره ، ولكنا بعد ايام قلما نتذكر شيئا مما فهمناه ، فما العمل ؟

فكنت اجيبهم : ان الطريقة الوحيدة لاستبقاء مافهمتموه حيا دائما في اذهانكم هي ان تركزوا انتباهكم نحو باب واحد من العلم ، فتقرءوه قراءة متأنية مرة او مرات ، ثم تضعوا الكتاب جانبا وتحاولوا استرجاع ما قرأتم ، وتكرروا ذلك مرات ، فاذا غاب عنكم شيء فارجعوا ثانية الى الكتاب ، ويحسن بعد ذلك ان تلخصوا كتابة كل ما فهمتموه بأوضح خط واجمل تنظيم ، لان الكتابة الواضحة من اقوى انواع التسجيل في الذهن ، بل ربما كانت خيرا من القراءة مرات كثيرة فهذه الاستعادة المتكررة (للمفهوم) هي التي اعنيها (بالحفظ) .

اذ لا قيمة لكل ما يتعلمه الانسان او يفهمه او يعرض عليه ما لم يجد له مكانا امينا في حافظته تسهل استعادته منه عند الحاجة اليه .

النحو وسيلة لصناعة اللغة

اما عن ارتباط مفهوم النحو بمفهوم اللغة ، فقد قدمت ان اللغة صناعة ، وان النحو هو قواعد هذه الصناعة ، واذن فاللغة والنحو شيئان متلازمان لاينفصل احدهما عن صاحبه كما لا ينفصل الظل عن العود . وكل تعبير او تصريف لغوي انما يعنى قالبا من قوالب اللغة ، وليس القالب الا صورة لقاعدة النحوية .

وعندئذ فلا ينبغي ان نكتفي بربط القاعدة بمثال او اكثر ، بقصد اقامة البرهان على صحتها ، ثم نهمل ربطها في جميع ما نصنعه من صور لغوية ، اكتفاء بأمثلة البرهان والاكتفاء بفهم القاعدة لا قيمة له ما لم يستخدم هذا الفهم في جميع ما يصنعه الطالب قولا وكتابة .

فالفاعل اسم مرفوع تقدمه فعل مثل (قام زيد ، وقام الزيدان ، وقام الزيدون وقامت هند ، وقامت الهندان ، وقامت الهندات) .

فهذه الامثلة ليست الا قوالب للفاعل في صوره المختلفة ، والواجب ان نحمل الطلاب على ان يصنعوا عشرات الامثلة على مثال هذه القوالب ، وبذلك تتضح في اذهانهم وتنطبع على السنتهم واقلامهم صور هذه القوالب . ثم تعرض عليهم بعد ذلك قصة او موضوع غير مضبوط ، ونطالبهم بتعيين الفاعلين فيه مع ضبط اواخر الكلمات كلها ، ثم لا نكتفي بهذه المرحلة من التطبيق ، بل لا بد من

استمرار ربط النحو بكل ما يصنعه الطالب من انشاء وبخاصة فى موضوعات الانشاء ، حيث يتمرن الطلاب على ضبط اواخر الكلمات بقدر ما تعلموا وبقدر ما يستطيعون ، وبتكرار الضبط يتاكد القياس ويقوى تسجيله فى الحافظة الى ان يصل الى مرحلة السليقه .

ولقد جربت هذه الطريقة كثيرا فى جميع مراحل التعليم ، فسرعان ما كانت تصعد بالتلاميذ فى مهارة ويسر نحو السليقة الاعرابية ، لان كل حركة يفكر التلميذ فى وضعها فوق آخر حرف من الكلمة كانت تستدعى منه اول الامر ، بذل مجهود فكرى لاستحضار الحكم الموافق لوظيفة الكلمة فى الجملة ، وما يناسبها من حركات الاعراب او البناء ، وقد يتردد الطالب فى مبدا الامر او يبطىء فى استحضار الحكم من ذهنه ، ولكنه مع التكرار سيكون اسرع استحضارا واصح حكما . وهل السليقة الا اثر من آثار هذا النوع من الاستعادة المتكررة للحكم الواحد والقاعدة الواحدة ، ونتيجة حتمية لهذا التطبيق العملى المتكرر ؟

واذا لم يستطع المدرسون تنفيذ هذه الطريقة بتعويد تلاميذهم ضبط ما يستطيعون ضبطه بحركات الاعراب والبناء فى كراسات الانشاء ، فانى اقترح ان تؤلف للطلاب (كتيبات) لا تزيد صحائفها عن الستين صفحة بها مقدمة مختصرة فى قواعد الضبط والاعراب ونماذج اعرابية ، ثم موضوعات قصيرة ، لتكون هذه الموضوعات هى المادة اللغوية للتطبيق العملى الشامل لجميع ما تعلمه الطلاب من قواعد النحو دفعة واحدة ليتم الترابط بينها وسيكون هذا (الكتيب) بدلا من كراسات التطبيق ذات الموضوعات المحدودة التافهة مثل : اعرب ما تحته خط او اضبط ما تحته خط ، بينما طريقة كتاب (الضبط والاعراب) تستدعى من الطالب ان يضبط بحركات الاعراب والبناء اكثر من مائة كلمة فى الدرس الواحد ، وكثير مما يضبطه الطالب يتكرر فيه القياس الواحد عدة مرات ، فيكون تكرار وروده وتكرار ضبطه هو الوسيلة الناجعة لاكتساب السليقة .

ويمهد لهذه الطريقة ما كنت اسميه (بالمطالعة الاعرابية) — فقد كنت فى دروس المطالعة اخصص وقتا منها ليطالع التلاميذ مطالعة اعرابية ، على طريقة ان ينطق التلميذ الكلمات نطقا منفصلا غير موقوف عليها ، ثم يتبع ذلك بذكر وظيفتها فى الجملة بصورة مختصرة لا تزيد عن كلمة واحدة او كلمتين مثل (فاعل . مفعول . خبر . حال . تمييز . ماضى . المتكلم . مضارع . النائب . امر المخاطبين)

وهكذا الى ان يطالع بضعة سطور من كتاب المطالعة ، او على الاصح يعربها .

وكان هذا النوع من المطالعة الاعرابية موضع الانتباه الزائد من التلاميذ ، وعليه كانوا يركزون انتباههم ، لانهم يعلمون انهم سوف يرددون ما سمعوا من زميلهم او ينقلونه فى كراساتهم كما ضبط واعرب .

نقطة البدء فى تعليم النحو

ان الحل السليم لاية مسكلة مرهون دائما بالاهتداء الى نقطة البدء فيها ، ثم الاهتداء بعد ذلك الى معرفة الخطوات التى تتبع فى السير فيها ، بحيث تكون هذه الخطوات مرتبة ترتيبا تصاعديا

رمنيا ، فلا يبدا الانسان بالخطوة الثالثة قبل الثانية ، ولا بالخامسة قبل الرابعة ، وهكذا .

ونقطة البدء فى تدريس النحو العربى لم تعرف الى اليوم ولم يتبعها احد فى اى زمن مضى ، مع انه من ايسر الامور معرفتها والسير بعدها والبناء على اساسها . وذلك بملاحظة الخطوات التى كان ابناء البادية يتعلمون بها اللغة الفصيحة فيتصرفون فى القول فلا يخطئون ، ويعربون فلا يلحنون .

فمن الاخطاء الشائعة عنهم انهم كانوا يولدون وفى السنتهم السليقة ، وهذا وهم كاذب ، لان اللغة صناعة لا تكتسب الا بالمرانة والتكرار بالقياس على القوالب اللغوية ، ومحاكاة الصور الاستعمالية ، وليس من شك فى ان ابناء البادية قد اكثروا من التقليد والمحاكاة ، حتى استقام لهم اولا القياس التصريفى والقياس الاستعمالى ، لعدم احتياج هذين القياسين الى بذل اى مجهود فكرى كالذى يصاحب القياس المعنوى وهو القياس الاعرابى .

ومن هنا نعلم ان القياس التصريفى والقياس الاستعمالى هما (نقطة البدء) فى تعليم النحو العربى . واما القياس الاعرابى فيجب تأخيره الى ما بعد اجادة هذين القياسين ، لاحتياج هذا القياس الى مزيد من المرانة الفكرية والتصرف العقلى .

واعنى بالقياس التصريفى صور تصريف موازين الافعال الاكثر شيوعا فى اللغة ودورانا فى الاستعمال مثل ميزان (كتب ، وقال ، وباع ، ومد ، واستمد ، واستفاد) وكذلك صور الافراد والتثنية والجمع ، والتانيث والتذكير .

واعنى بالقياس الاستعمالى صور استعمال الضمائر المنفصلة مع الصفات مثل :

(انا صادق ، نحن صادقون . انت صادق ...)

واستعمال صور الضمائر المتصلة مع الافعال مثل (ساعدنى ، ساعدنا ، ساعدك ..)

ومع الاسماء مثل (كتابى ، كتابنا ، كتابك ، كتابك ، كتابكما ..)

ومع الحروف والظروف مثل (عندى ، عندنا ، عندك ، عندك ...)

وكذلك صور استعمال الاشارات والموصولات ، وادوات النفى والاستفهام والجواب ، والحروف الجارة والعاطفة .

فكل هذه الصور من القياسين التصريفى والاستعمالى ، قد استطاع ابن البادية فى طفولته ان يجيد محاكاتها والقياس عليها بدون ادنى مشقة او اقل تفكير .

اما القياس الاعرابى فقد جاء متاخرا فى الزمن ، وفى اواخر الطفولة لا فى بواكيرها كما قد يظن بعضهم ، نظرا لشدة حاجة هذا القياس عند محاكاته الى مزيد من الروية وقدر من التفكير حتى تطابق حركة آخر الكلمة ما يقصده القائل من معنى الفاعلية او المفعولية او الاضافة .

والقياس الاعرابى قياس عقلى يلازمه قياس صوتى بحركة الاعراب فى الاسماء المعربة .

ومما تقدم نعلم ان القياس التصريفى والقياس الاستعمالى يبدآن معا ويسيران جنبا الى جنب ، ابتداء من قدرة الطفل على الكلام فى الثالثة من عمره الى السابعة وما بعدها ، اما القياس الاعرابى فلا يمكن للطفل ان يحسن القياس عليه الا اذا نما عقله وقوى حكمه واستقام تفكيره ، وقلما ينم له ذلك قبل العاشرة .

واذا كانت هـذه هى الخطوات التى مرت بابن البادية وسار فيها حتى أجاد لغته تصريفا واستعمالا واعرابا وبناء ، فان الضرورة القصوى تقتضينا ان نتبع خطواته ونسير نفس المراحل الى قطعها ، لانها هى الخطوات الطبيعية .

والطفل الآن عند ما يدخل المدرسة ، يشبه ابن البادية عند ما يستطيع الكلام ، ويبدأ فى محاكاة ما يسمع من القياس التصريفى والقياس الاستعمالى ، فيجب ان نعامله هذه المعاملة ، ونسير معه فى نفس الخطوات ، فى السنوات الثلاث الاولى من التعليم الابتدائى ولا نبدأ معه بالقياس الاعرابى الا فى السنة الرابعة الدراسية .

ولكن المناهج المتبعة تعكس هذه الخطوات عكسا سيئا ، وتقلب الاوضاع قلبا شنيعا فتضع الراس فى موضع القدم — وذلك انها لا تبدأ بأى قياس لغوى الا فى السنة الرابعة ، وفى السنة الرابعة تبدأ بالقياس الاعرابى ، وتؤخر القياسين التصريفى والاستعمالى الى سنوات دراسية تالية ، وتجعلهما مشتتين وموزعين على عدة ابواب ، وطريقة عرضهما من اسوا طرق العرض التعليمى الذى لا يستفيد منه الطالب الا فائدة ضئيلة غايتها التمثيل للقاعدة لا التطبيق عليها .

ومن اهم اخطاء المناهج الحالية انها لم تعرف بعد (نقطة البدء) فى تدريس النحو العربى ، ونقطة البدء كما قدمنا هى الدعامة وهى الاساس ، وكل بناء ينم بعيدا عنها فهو بناء منهار لا بقاء له ولا ثبات !

وانى استطيع ان اقرر بعد تجارب كثيرة وفى مراحل تعليم مختلفة انه من اليسير جدا ان نجعل ابناءنا يكتسبون السليقة التى كانت لابن البادية بأسرع مما كان يكتسبها ابن البادية نفسه ، ذلك ان العرب الاولين كانوا أميين فلا يصنعون اللغة الا قولا باللسان فقط وعند الضرورة ، وما اقلها فى مجتمع البداوة ومعيشة الصحراء !!

واما نحن ففى عصر ذيوع العلم وانتشار كتبه وتقييد ما فيها من علوم ومعارف ، والتعبير عن ذوات انفسنا بالقول والكتابة ، وكل هذه الظروف تجعلنا نصنع من اللغة عشرة اضعاف ما كان يصنعه ابن البادية وآباؤه الاولون قولا باللسان فقط .

ولا شك ان العامية عائق كبير فى طريق الفصحى ، ولكن العامية تفترق فى اكثر مادتها عن الفصحى الا فى تحريف اللفظ ، ولحن القول ، ومغايرة الاسلوب ، ومن السهل ان نخضع كل ذلك لموازين

الفصحى ومقاييسها واستعمالاتها ، بالطريقة التى شرحتها فيما سبق من وجوب البدء بالقياس التصريفى والقياس الاستعمالى ، ثم الربط بعد ذلك بين القياس الاعرابى وبين صناعة الانشاء بجعل التلاميذ يضبطون بحركات البناء والاعراب الكثير مما يكتبونه .

ولن يمضى اكثر من عامين دراسيين على اتباع هذه الطريقة حتى يتبين التلاميذ بسهولة الفروق الاساسية بين العامية والفصحى ، فيستعملون كلا منهما فى موضعه ، وبذلك يسيرون نحو السليقة الاعرابية بقدم ثابتة .

والانسان قد يتعلم عدة لغات ، ويعرف عدة لهجات ، ولكن هذا التعدد لن يؤثر بالافساد ولا بالمزاحمة فى القضاء على احدى اللغات التى يتعلمها .

واذن فالعامية التى يراها بعض ذوى الآفاق الضيقة كارثة ونكبة على الفصحى ومانعا وعقبة لا يمكن تخطيها ، ليست كارثة ولا نكبة ، وانما الكوارث والنكبات التى اصابت ولا تزال تصيب تعليم اللغة العربية ، انما تجىء من طرق التعليم الخاطئة التى فرضها وكلاء الاستعمار الثقافى عليها لتدميرها ، وهى طرق كاذبة لانها لا تساير خصائص اللغة العربية من من جهة ، ولا تتفق مع سلوك العقل فى تعلم اللغات من جهة اخرى .

الصور الكلامية

لقد سألت نفسى من اكثر من خمسة عشر عاما عن الطريقة التى كان يتعلم بها ابن البادية لغته فجعلته يتصرف فى القول فلا يخطىء ويعرب فلا يلحن ، وما الخطوات التى سار فيها حتى بلغ هذه الغاية ؟ فاتانى الجواب سريعا واضحا ، وهو ما شرحته فيما سبق .

فعزمت على تجربة طريقته واتباع خطواته فى تعليم اللغة العربية ، ولقد كان النجاح الذى حالف تجاربى فوق ماكنت اقدر ، وآمنت بعد هذه التجارب ايمانا لا يتزعزع ان بلوغ ابنائنا للسليقة التى كانت لابن البادية من ايسر الغايات منالا واقربها تحقيقا لو اتبعنا الخطوات المنطقية فى تعليم اللغة العربية ، واسترشدنا فى الوقت نفسه بسلوك العقل فى التعلم ، وعرفنا قيمة الدور الخطير الذى تؤديه الحافظة عندما تختزن قدرا طائلا من الثروة اللغوية ، للاستمداد منها ، او محاكاة ما فيها من صور كلامية او قوالب لغوية

ولتقليد ابن البادية — فى الطريقة التى تعلم بها لغته اثناء طفولته — وضعت منهجا خاصا سميته (الصور الكلامية) وهو صورة مما ذكرته سابقا عن القياس التصريفى والقياس الاستعمالى ، مع اضافات اخرى كثيرة من قوالب اللغة ، والحقت به نماذج مختلفة لتحويل الجمل من المفرد الى غير المفرد ، وقواعد مبسطة لرسم الهمزات والالف اللينة .

وبدات بتدريس هذا المنهج للسنة الاولى الابتدائية على النظام القديم ، وكانت طريقة تدريسه تدور حول محور واحد (الصناعة على القالب) وهى ان اقدم للتلاميذ القالب التصريفى ، او القالب الاستعمالى ، ثم اطالبهم ان يصنعوا على مثاله — قولا وكتابة — عشرة امثلة او عشرين مثالا ، وهنا يستطيع اى تلميذ

أن يصنع على مثال القالب المعروض أمامه ما شاء من الامثلة .

وهذه الطريقة فى صناعة اللغة على هذا المدى الواسع قد اقدرت الاطفال على اجادة القياسين التصريفى والاستعمالى اجادة كاملة .

وقد درست هذا المنهج بعد ذلك لجميع فرق التعليم الابتدائى ، والسنة الاولى الثانوية على النظام القديم ودرسته كذلك فى مدارس المعلمات ، مع تحوير فى مادته وطريقة عرضه بما يناسب كل مرحلة تعليمية .

ولقد دلتنى تجاربى فى مراحل التعليم المختلفة ، على أن هذا المنهج هو (الحلقة المفقودة) فى تعليم اللغة والنحو معا ، وان جميع التلاميذ فى مختلف مراحل التعليم لا يستغنون عنه ، وان تكراره مع جميع الفرق الدراسية ضرورى حتى يسير مع القياس الاعرابى جنبا الى جنب ، لان الكل يخدم هدفا واحدا وهو صناعة اللغة فى ظل قواعدها .

وقد حقق هذا المنهج (الصور الكلامية) النتائج الآتية :

١ — حول الثروة العامية التى يحملها التلاميذ من البيت والشارع — الى لغة عربية فصيحة بعد اخضاع هذه الثروة العامية الى موازين الفصحى ومقاييسها واستعمالاتها

٢ — استطاع تلاميذ التعليم الابتدائى بعد هذا المنهج ان يفرقوا بين العامية والفصحى فكانوا يستعملون كلا منهما فى موضعه .

٣ — محا محوا يكاد يكون تاما جميع الاخطاء الهجائية والاملائية والتركيبية والاستعمالية ، تلك الاخطاء التى تفشو بكثرة زائدة فى كتابات التلاميذ ، وفى جميع مراحل التعليم .

٤ — اقدر التلاميذ على حسن التصرف فى كتابة موضوعات الانشاء ، بالمعلومات التى فى اذهانهم ، وبالصيغ السهلة التى تستجيب لها عقولهم .

٥ — استطاع تلاميذ السنة الاولى الابتدائية على النظام القديم أن يكتبوا عشرات الموضوعات الانشائية بأسلوب أصح واقوم مما يكتب به التلاميذ الذين يسبقونهم بعدة سنوات فى سلم التعليم .

* * *

وفى العدد القادم سأتحدث عن مناهج النحو ، وطرق تدريسه .

يعقوب عبد النبى

«مهداة الى معبد العيون فى درب الشفق»

اقبلت والصباح مبتسم النو ر، ومرت .. قديسة الخطوة ، خجلى
كل يوم تسير .. نهر اناقا ت ، وتهمى على طريقى . . فلا
شهق الدرب حولها بقلوب واجفات ، واعين تتملى
وهى زمت على صباها رداء وشح الطهر والصباح وولى.

* * *

يا صباها ، علامَ يمضغك الصمت وتمضى مجرح الكبرياء
جمعتنا على مطافك الوا ن ربيع محير الاضواء
غارس الفل فى صباحك يدرى انني يا جميل بين الظماء
اينما لحت . . سوسن حير الظن وهامت به رؤى الشعراء

* * *

حدثتنا . . اذ انفلت خفيفا وتهاديت ساحر الاغضاء
حدثتنا نسائم العطر عن روح وريف وجنة خضراء
كلما شاعر الجمال تغنى بالرقيق الانيق من حسناء
ارهف الصمت اذنه للحون الهمت من عيونك الحوراء

* * *

يا فتاتى . . الام ينتحر اللحن وتمضى الحياة جيلا فجيلا
وترفين عند كل صباح زهرة حلوة وعطرا نجيلا
فضح الحب نفسه فى عيون اخلصت فى هواك عمرا طويلا
حملت روحها فداء هواها واراها لدى الفداء قليلا

* * *

ما تريدين ؟ . . اين تمضين ؟ قولى ما الذى خلف صمتك المجهول ؟
صغت عمرى اللحون فانسكب ا لسوسن غضا على وشاح خضيل
الف عام على خطاك اغنى لم اجد غير يا سمين خجول
كيف تغضين والضراعات حرى تتهاوى على صباك الجميل

* * *

لاترودى منابع الغيم . . عندى صحوة الشمس تستثير الخيالا
بعثر الليل جرحه فى كئوس وانثنى لا يطيق شيئا محالا
رفرفى فى يدى حنينا وذوبى عند ايكى ضراعة وابتهالا
انا من موسق الوجود ليحيا يعبد الفن والهوى والجمالا

انس داود.

يانعم الزوج !!

اقتلها . . !!
أقتل زوجتك المسماء
العاصبة بخرز أحمر
واشرب من دمها القانى . . واملأ
لبنيك ـ اذا شاءوا ـ كئسات
وأذكر أياما تاعسة . .
كانت كالحة منحوسة
وادفن فى الوحل حكايتها
وتهيأ يا زين الشبان . .
لتكون ضحية تلك الحية
ويكون بنوك ضحاياكا . .
فبنوك صغار . .
من يطعمهم . . من يؤويهم ؟!
لا . . لاتفعل !!

***

أصليها . . !!
واسمل عينيها . . !!
والطم خديها بحذائك . .
واتفل . . وتوقح . . وأخمشها
واملأ أذنيك بصوت الانثى
ترجوك . .
وتموء مواء القط الاجرب . .
وازرع صبارا بدموع العين الشوهاء
وانفخ صدرك . .
لكن . . ستظل كما كانت . .
هى أم بنيك !!

يتوقاها كل الناس . .
ويشيرون اليها مرة . .
وانيك مرارا !!
لا . . لا تفعل !!

***

طلقهـــا . . !!
طاق كل بنيك !!
وادفع قنطارا من ذهب . .
وتنسم نسم الحرية . .
فالعمر ليال معدودة . .
واركب طائرة . . وتخلص . .
من كل بقاياها النذلة . .
واشرب أنخاب النسيان
واذا كان ذماء بنيك
سيظل يلاحق أذنيك
ويؤرق مضجعك الهانى
ورأيت بان النسيان
أمر لا يمكن ادراكه . .
وبانك ستعود لترمى
دنياك باحضان أخرى . .
حتى لا تنسى . .
لا . . لا تفعل !!

***

اهجرها . . !!
واسكن فى دار قرب الدار . .
وأقم احراسا . .

وحذار ان يخلو الاحراس بها . .
وادفع من جيبك . . لاتبخل . .
وتشعل بسواها غيرتها . .
واسهر . . وارقب طول الليل . .
مصباح الشباك البحرى . .
فاذا كان المصباح يضيء . .
ويضيء . . وليست تطفئه . .
واذا ما كنت بحيث ترى المصباح
ولست ترى ما فى البيت . .
لا . . لا تفعل ! !

***

دعبها . . ! !
خير أن تشبع رغبتها . .
وتهز جوانبها الحيرى . .
وتبيت تدلك كفيها . .
وتشد اصابع رجليها . .
وتقص عليها من ايامك . .
ايام هتكت حجاب الجنية . .
وتركت الجن الاحمر يعوى . .
أيام سعدت بطلعتها . .
فسهرت ليالى وليالى . .
وتتيح لها تحكى عما فعل الجيران
وتعد قصائد ـ تنشرها ـ عن كل طعام
وتحاول تنسى ما يبدو منها طيشا
وتظل تدور بها فى المجتمعات . .
وتكون طويلا ((كالصارى)) . .
وعريضا صلبا كالحائط
وتكون غليظ المنظار . .
ودقيق الكف
فاذا ما كنت بحيث تجيد . .
من شغل البيت
وملاعبة الاطفال
فلانت بحق . .
نعم الزواج ! !
كامل سعفان

خواطر لاجىء

انا لاجىء مالت خطى وطنى . . فهمت على الطريق
كان الرحيب لامتى . . واليوم بى وبهم يضيق
شردت عنه بليلة سوداء ليس بها بريق
لا هيم عريانا بجوعى فى المساء وفى الشروق
وارى صغارى فى العراء طعامهم قطع الحريق
هذا كثير ـ كيف أصبر ؟ ـ يا ابى ـ انا لا اطيق
العود فى رمس ولا احيا كاسلاب الرقيق
انا لاجىء ساعود يا وطنى طموحا للقتال
فالنخلة الخضراء ما زالت هناك على الرمال
وهناك كوخى لم يزل رغم الاسى تحت الظلال
وهناك مهد صباى مات على الثرى تحت النعال
وهناك قبر ابى يصافح خاطرى عبر التلال
اهفو له وابثه شوقى على وتر الزوال
فيجيبنى . . لاتبتئس . . ستعود تجتث الضلال
ركب العروبة لى حدا . . فانهض بقائده ((جمال))
انا لاجىء ساعود بالآمال يا وطنى السليب
سأمر من ((يافا)) الى ((حيفا)) الى القدس الرحيب
لا ضىء مسجد أمتى وارى انضياء على الصليب
ساعود فاهدأ يا ابى فصباح عودتنا قريب
ساعود يا ابتاه يوما لا كما ياتى الغريب
ساعود أحمل عزتى وكرامة الوادى الحبيب
اقسمت بالدم بالحياة ، بكل ما ملكت يدى
بعروبتى ، بكرامتى ، بمعذب ، بمشرد
انى اعود اليك يا وطنى ولست المعتدى
حقى الرجوع فقبلتى يا قدس فيك ومعبدى
ساعود خلفك ((ناصرى)) واللاجئون من الغد
يس الفيل

اذا استطعت .. فانك ستكون ..

اذا استطعت . . .
ان تحتفظ بصفاء ذهنك حين يفقد كل من حولك صوابهم ويلقون اللوم عليك ..
وان تثق بنفسك حينما يشك فيك الناس جميعا وتتجاوز انت عن شكهم ..
وان تنتظر دون ان تمل الانتظار مهما يطل ..
وان يفترى الناس عليك وترفع انت عن المناجرة بالاكاذيب ..
وان يكرهك الناس فلا تستسلم انت للكراهية ، ولا تبدو وافر الصلاح او حكيما فى حديثك اكثر مما يلزم ..
اذا استطعت . . .
أن تحلم بدون ان يسيطر عليك خيالك ..
وان تفكر دون ان تجعل مطمحك مجرد الافكار . .
وان تواجه الفوز والفشل وتتخذ من هذين المخادعين موقفا متماثلا ..
وان تحتمل سماع الحق الذى قلتـــــه انت والاوغاد يحرفونه ليصنعوا منه فخا يوقعون به الاغبياء . .
وان ترى كل الذى بذلت حياتك فى بنائه ينهار ويتحطم فتنحنى ؛ وبأدواتك البالية تاخذ فى العمل على تشييده من جديد ..
اذا استطعت . . .
ان تجمع كل ارباحك وتجازف بها دفعة واحدة فتخسرها وبدون ان تنبث بكلمة واحدة عن خسارتك الفادحة تشرع فى العمل من جديد ..
وان تضغط على قلبك وأعصابك وعضلاتك التى وهنت منذ زمن طويل فتهيب بها ارادتك التى لا تملك سواها ان تستمسك وتثابر لتمكنك من تأدية دورك العملى فى الحيـــــــاة . .
اذا استطعت . . .
ان تتحدث الى الجماهير فتظل محتفظا بسجاياك الشخصية وتسـير مع الملوك دون ان تفقد طابعك الشعبى . . واذا لم يستطع .. الاعداء ولا الاصدقاء الاحباء .. ان يجرحوا احساسك ..
واذا حاسبك الناس جميعا دون ان يصيبوا منك ماخذا .. واذ استطعت ان تملأ الدقيقة من الوقت الذى لا يرحم بعمل خليق بالستين ثانية العابرة ..

فالارض وكل ما فيها ستكون لك .. بل اكثر من ذلك ..

فانك ستكون رجلا .. يا ولدى ..

للشاعر الانجليزى ((رديارد كبلنج))

ترجمة شفيق فضول

الى سمراء ...

اغنيات الحب فى شفتيك بسمات وضيئة
وليال العمر فى عينيك احلام جريئة
وهوانا لم يزل عبر الليالى مثل غرس
فبعمرى ذكريات ودموع وأمل
يوم القاك وأقضى لك ماضى وأمسى
أنت يا سمراء يا من عشت فى أعماق نفسى
كلما القاك لا القى سوى الشك بحسى
وارى الحب ولكن لست أدرى أين يمسى
وهوانا لم يزل عبر الليالى مثل غرس
وهوانا لم يزل بين معانيه خجل
لم تبوحى بالذى عشنا به عمر القبل
وانا بالصمت مغلول الامانى لم أزل
وبعنى حياة مثل أفراح وليدة ...
وأمان تتغنى مثل أطفال سعيدة
ملء جنبى احاسيس بدنيا الجديدة
وبانا سوف نحيا العمر أفراحا تغنى
فمتى القى مع الايام احلامى وظنى
ونغنى للهوى كل الذى ينبع منى
انا أهواك فبوحى ليس هذا الصمت يغنى

علاء الشباسى

من شعر طاغور فى السمراء :

يدعوها جيرانها السمراء ... ولكنها زنبقة عند قلبى
هى سمراء كفل الغابة المزدهرة
سمراء كالشوق الى حب مبهم
فى ليلة من ليالى الربيع المشوق

ليلة مقمرة

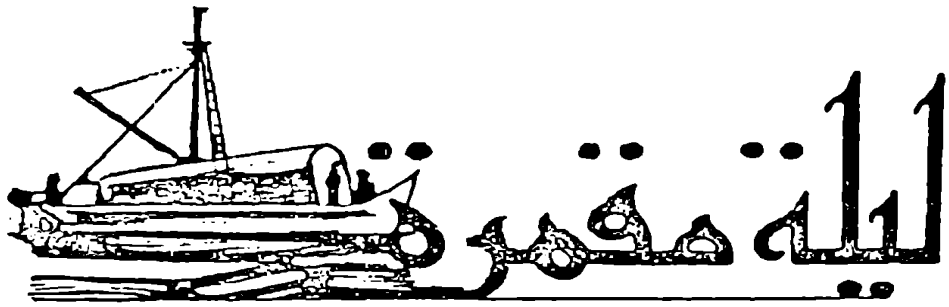

للكاتب الصينى الكبير « باجين »

ترجمها عن الصينية

« احمد رزق المليجى »

مركب « آلى » على وشك الاقلاع الى المدينة . اجتاز البدر قمة الجبل ببطء وارسل اشعته على النهر ... هذا النهر الصغير المستلقى عند سفح الجبل فى الظلام ، تلقى ضوء القمر فسرت فيه رعشة خفيفة ... وكان الماء ينساب ببطء فيتموج ضوء القمر على سطحه كأنه يريد الذهاب مع الماء المنساب الى البحر .

يتبدد الظلام رويدا رويدا ، ولكن ما زالت هناك شبكة من ظلام تخفى تحتها الجبال والاشجار والانهار والحقول والمنازل ... وكان ضوء القمر باهتا فلا يستطيع النفاذ من عيون الشبكة .

وهناك على الشاطىء سلم حجرى ممتد الى النهر وبجانبه يرسو مركب « آلى » وكانت حوله نباتات «النيولوفر» الكثيفة وفيها كثير من الازهار البنفسجية واوراق « النيولوفر » تلصق تماما بمقدمة المركب .

وكان بداخل المر[illegible] صباح زيمى [illegible] لمركب يبدو

وكأنه نائم فى ظلام ... لا صوت لاحد فيه ... كأنه بجوار احدى الجزر المهجورة ... ولكن فى الحقيقة هناك اناس بالمركب .

كان بداخل المركب مسافران راقدان ... وفى مقدمته طفل يغالبه النعاس .. وجلس « آلى » صاحب المركب فى استرخاء عند المؤخرة يدخن سجارة .. وقد خيم الصمت على الجميع ... وكأنهم قد استنفدوا كل الكلام . وكان المسافران عميلين قديمين ... فالمركب يذهب مساء كل يوم الى المدينة وفى صباح اليوم التالى يعود ثانية . وهذا البرنامج اليومى الثابت من النادر ان يتغير ... فالزبائن يستقلون المركب عدة مرات فى الاسبوع ... يأتون فى ميعاد معروف ويناموا فى المركب بعد ان يتبادلوا كلمات قليلة ، وحين يستيقظون يكون المركب قد وصل الى المدينة فيغادرونه اليها ... واحيانا يتناولون الى باخرة صغيرة للذهاب الى المحطة ... وكان بين المسافرين شاب يعمل " مدرس ابتدائى " بالقرية .. يقطن بالمدينة وفى مساء كل سبت يزورها .

ومسافر آخر موظف بمحل تجارى فى المدينة يقطن فى القرية وكثيرا ما يرسله صاحب المحل الى المحافظة لقضاء حاجات المحل ..

ضوء القمر يمشط شعر ذلك الطفل غير المنتظم ، فى مقدمة المركب ، والطفل يبدو كانه لا يشعر بذلك فلا يهمه الا ان يهز راسه ببطء حين يغالبه النعاس فيغمض عينيه واحيانا يفتحهما فجاة فينظر الى صفحة الماء والطريق الممتد الى الشاطىء والهدوء يسيطر على المكان ولا يتخلله الا صوت انفاس الطفل تتردد فى همس وهو نائم .

اعتدل المدرس فى جلسته ونظر الى مقدمة المركب ثم توجه الى النافذة الصغيرة واخرج راسه منها وهو يحدث نفسه بصوت منخفض قائلا : « عجيب .. !! الهربات « جنشنغ » حتى الآن ! ؟»

لفت نظره السكون المطبق الذى يسود المكان وضوء المصباح الذى يكاد يكون منعدما ... وحتى ذلك المعبد الموجود على الشاطىء قد نام نوما عميقا لا حركة فيه .. والطريق يمتد تحت ضوء القمر خاليا هادئا ... وفى ناحية اخرى من المركب وقريبا من مقدمته توجد مجموعة من نباتات « النيولوفر » وكثير من الزهور الحمراء المتفتحة .

ثم ادخل راسه من النافذة واغلقها ، وسمع ذلك الموظف « وان شنغ » يسأل الملاح بصوت عال قائلا :

« آلى » كم الساعة الآن ؟ ولماذا لم ترحل ؟ »

فاجابه من المؤخرة بصوت عال :

« لم يحضر « جنشنغ » بعد ولا زال فى الوقت متسع فلا تخف » . فقال المدرس :

« ان « جنشنغ » ياتى كل ليلة فى الساعة السابعة واليوم ... (ثم اخرج ساعته وفتح النافذة ونظر اليها واستطرد قائلا) :

« قد بلغت الساعة السابعة والاربعين دقيقة واظنه لن ياتى . ؟ ؟

فقال الملاح بحزم :

« سوف ياتى .. ومن المؤكد انه سياتى .. لانه يريد ان يحمل اشياء الى المدينة ... ارجو الا تقلقوا ... فانتم عملاء قدامى وانا اوصل المسافرين كل يوم بمركبى الصغير الى الباخرة .. ولم اتاخر مرة واحدة . »

فقال المدرس :

« ان (جنشنغ) ياتى مبكرا كل مرة ولم يتاخر من قبل قط . ولكنه الآن قد ترك الناس ينتظرونه . »

وقال الموظف وهو يضع ساقه اليمنى على اليسرى ..

ربما حالت بعض المشاغل بينه وبين الحضور هذه الليلة . » فاخذ الملاح (آلى) يحبو ببطء من المؤخرة الى المقدمة مارا بالمسافرين ثم قال :

« اننى اعرفه جيدا . فليست عنده اية مشاغل ... وليس ثمة ما يؤخره عن المجىء لانه لا يدخن الافيون ولا يشرب الخمر ... فسوف ياتى حالا .

ثم صاح قائلا : « آلين »

فنهض الطفل الذى كان يغالبه النعاس فى الحال فالقى (آلى) اليه نظرة ثم

اعتلى السلم الحجرى وطلع نحو الشاطىء عدة خطوات ثم رجع وفك رباط سرواله وبول وكانت الاضواء الفضية من اشعة القمر تتلألأ على صفحة الماء الفضى ، والبدر ساطع فى السماء ينعكس ضوؤه الباهر على وجهه ويبدو باردا فكأنه قد غسل رأسه بماء بارد .

وهناك على الشاطىء وتحت شجرة الصنوبر الموجودة بجوار المعبد يتحرك شبح اسود .. وما ان رآه (آلى) حتى حدث نفسه مسرورا :

« لقد جاء جنشنغ . »

ثم قال لنطفل : « آلين .. استعد جيدا حتى اذا حضر (جنشنغ) شرعنا فى الرحيل . »

فأجابه الطفل بالموافقة ... ثم اخذ عودا من القصب وحرك المركب قليلا حتى استوى مع الشاطىء .

ما زال (آلى) واقفا على السلم الحجرى ... ثم رأى بوضوح ان ذلك الرجل يحمل حقيبة صغيرة من الخيزران ... ان القادم قصير القامة . فهو ليس اذن (جنشنغ) بل انه (آجان) صاحب محل تجارى بالقرية فما ان وصل الى السلم مسرعا ورأى آلى حتى سأله مبتسما :

« الم ترحل ؟ »

فأجابه (آلى) :

«سنرحل بعد قليل لاننا ما زلنا فى انتظار (جنشنغ) » .

وفى هذه اللحظة صاح المدرس من داخل المركب :

الساعة الآن الثامنة ... ومن المؤكد انه لن يأتى ..

فقال (آجان) « عجيب . الم يات (جنشنغ) بعد !؟ انه يأتى دائما مبكرا . » قال هذا ثم صعد الى المركب وجلس على مقعد ووضع حقيبته بجواره وأخرج من جيبه علبة دخان وتناول منها سيجارة واشعلها واتجه الى القمر واخذ يدخن فى هدوء .

ثم اقبلت امراة فى مقتبل العمر ترتدى ملابس حريرية حافية القدمين منادية : « آلى ... الم يات جنشنغ ؟! »

فهتف آلى بتبرم قائلا :

« جنشنغ ! اننا ننتظره الان .. اين يختبىء .. لابد انك تعرفين مكانه .؟؟ »

فبدا عليها القلق والدهشة وقالت :

« الم يات هذه الليلة ؟ ! »

فرد عليها : « لم نر حتى خياله . »

فسألته وهى شديدة الاضطراب :

« الا تمزح معى !؟ » اننى قلقة مضطربة . »

فرد عليها (آلى) وعلى وجهه يبدو الوقار :

« امزح معك وليس لدى متسع من الوقت ؟ هل سيأتى (جنشنغ) للرحيل ام لا ؟ »

وما ان سمعت هذا الكلام حتى صرخت عاليا : يا للمصيبة ! ثم رجعت تجرى فناداها (آلى) مندهشا وهو لايعرف ماذا حدث : « مدام جنشنغ .. مدام جنشنغ .. ارجعى . »

ولكنها لم تعره اى انتباه بل جرت نحو الشاطىء واستمرت تجرى بلاتوقف ثم بكت ونادت اسم (جشنغ) وما ان وصل صوت المراة وصياحها الى مسامع آلى حتى نالم تالما شديدا وهو واقف على السلم كالمعتوه . وفى اثناء ذلك كان (آجان) يتتبع ما يحدث بدقة بينما مد موظف المحل التجارى راسه ليرى ما حدث . . اما المدرس فقد اطل بعنقه من النافذة ثم سال ثلاثتهم آلى فى دهشة: « ماذا حدث ؟ »

فاجابهم متذمرا : « الشيطان وحده هو الذى يعرف . » فقال (آجان) متكهنا بما حدث :

« لابد ان هذه المراة قد تشاجرت مع زوجها (جنشنغ) ففضب منها وهرب » قال هذا ثم القى بعقب سجارته فى الماء وبصق ثم قال بصوت عال متهكما :

« يقال ان كل الازواج سعداء . . فكيف وقع ذلك ؟ » ثم قهقه .

فقال آلى بوقار : « انى اعرف ان (جنشنغ) لم يتشاجر مع زوجته مطلقا . . فلا بد ان هناك شيئا آخر . . لا بد . . لا بد . » ثم ظهر عليه الحزن العميق حيث انه لا يعرف ماذا حدث بالضبط . دوى صوت المراة الحاد باسم زوجها فانتشر فى الجو ، وانقطع . . لم يابه آلى بنداء الطفل واستمر فى الجرى . . فذهب صوت الطفل ادراج الرياح ولم يترك اى اثر فى الفضاء بل احتل صراخ المراة الحزينة كل الفراغ فاختلط بكل شىء قديمه وحديثه وبدت اشعة القمر الفضية تتموج وترتعد لهذا الصراخ الذى يمزق قلب الانسان ويمزق اوصال الحياة اربا اربا .

وفى الطريق الموحل جرى الثلاثة — المراة وآلى والطفل — يلاحق بعضهم بعضا ولكن الطفل لم يستطع متابعة الجرى فوقف فى منتصف الطريق وكان المركب لا يزال راسيا كما كان تحت السلم الحجرى وظهر فى مقدمته ثلاثة من المسافرين جلسوا يتحدثون فى استغراب عما حدث لجنشنغ تسيطر عليهم تخيلات وظنون فكل منهم حاول بكل جهده ان يتخيل ويتكهن . . وامتلأ المركب بالضوضاء .

وخفت صياح المراة الحزينة رويدا رويدا حتى انعدم . . ثم ان آلى وجدها مستلقية عند جذع شجرة منهكة القوى مبعثرة الشعر تغسل الدموع وجهها متجهة ببصرها ناحية الضاب المظلم والواقع على الشاطىء الاخر وهى تئن انينا خافتا .

اسرع آلى اليها وقبض على ذراعيها ثم هزها بقوة وقال بصوت عال . . « ماذا تفعلين ؟ ! هل جننت ؟ ! ماذا حدث ؟ ! تكلمى . »

فمالت براسها وتوقفت عن البكاء وحملقت فيه بعينين سوداوين وكانها لا تعرفه . . ومرت لحظات صامتة ، ثم اجهشت بالبكاء ثانية هاتفة باسم زوجها « جنشنغ . . جنشنغ »

وتوالت اسئلة آلى عليها قائلا : « ماذا حدث لجنشنغ ؟ ! تكلمى » فاجابته : « لا ادرى » .

فبصق (آلى) على الارض وعنفها

قائلا : الم تعرفى شيئا حقا ؟ فلماذا كنت تبكين اذا ؟

اجننت ؟ !

فصاحت المراة بجنون : « لابد انهم قبضوا عليه .. لا بد انهم قبضوا عليه .

فسالها (آلى) خائفا وقلبه يخفق بشدة فقد كان (جنشنغ) صديقه « قبض عليه ! ؟ من الذى قبض عليه ؟ اتقولين انه قد قبض عليه ؟ ! » ثم شرد ذهنه مفكرا .. انه شخص مستقيم حسن السلوك .. فكيف يقبض عليه ؟

فقالت زوجة جنشنغ وهى تبكى : لابد انه من تدبير (ثان) .. انه هو .. فقد اخبرنى جنشنغ امس انه قد اتهمه (ثان) فى محكمة البلدية باتصاله بعصابة اللصوص .. واننى لازلت اشك فى هذا الاتهام .. وفى صباح اليوم خرج (جنشنغ) فراى بعض الناس ان رجال (ثان) ورجال المباحث يقتفون اثره والان لم يرجع فلا بد انهم قد قبضوا عليه .. ثم استطردت فى البكاء .

فقال لها (آلى) بصوت اجش اقل وقارا من ذى قبل محاولا التخفيف عنها .. (ثان) !! ذلك الشيطان العجوز الاقطاعى المستغل .. لماذا يريد ان يوقع الضرر (بجنشنغ) ؟ اننى اظن ان ذلك غير صحيح ما دمت لم تشاهدى هذا بعينك . فقالت وهى تبكى متأففة : « الا تثق بهذا القول ؟ انك الوحيد الذى يقول هذا . فهو غاضب هذه الايام اشد الغضب لانه ارسل رجلا لاغتيال عدوه (آى) ولكنه فشل وبسبب ذلك أضاع مركزه . وفى هذه الايام قد اشترك جنشنغ) مع اخى (آى) فى تنظيم نقابة لعمال الزراعيين لتعمل ضده ولقد نصحته من بعيد بالا يقف فى وجه ذلك الشيطان العجوز لكنه لم يسمع كلامى وكان ينادى طول اليوم بسقوط الاقطاعيين والانتهازيين والان قد انتهى كل شىء .. فقد قبض عليه وان لم يعدم فان يعود سليما .. فهو متهم باكبر جريمة وهى الاتصال بعصابة اللصوص . »

فرد (آلى) .. اننى اشك فى ان (ثان) يصره بهذه الصورة .. فارتفع صوت المراة مرة اخرى ونار الغضب تخرج من عينيها حتى تغلب الغضب على حزنها وقالت : « انه رجل مالى ومدير البلدية صديق حميم له ويسمع كلامه .. فقد اراد (ثان) ان يغتال الرجل الطيب (آى) وهو امر واضح مبين ... انسيت قصة (آلو) ان قصته لا تختلف عن قصة (جنشنغ) فى شىء . »

قالت هذا وظهر على وجهها الخوف مرة اخرى .

ولم يئس (آلى) بنت شفة فهو لا زال يتذكر قصة (آلو) بوضوح .. انه فلاح مستقيم فى سلوكه يشتغل عاملا الفلاحين ايام الحصاد ، وفى الايام الاخرى يشتغل حمالا وذات يوم لم يرض ان يدفع ضريبة الحمل واصطحب عددا كبيرا من الحمالين وذهبوا الى منزل (ثان) ملتزم الضرائب . واشتكوا اليه من هذه الضريبة وبعد يومين ارسل مع شرطة البلدية اشخاصا فقبضوا عليه واتهموه باتصاله بعصابة اللصوص ثم حكم عليه بالاشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاما .. وقد راى (آلو) ذلك بعينه [illegible]

قبضت الشرطة عليه وهو يصعد بكابة الى مركبه .. وشرد بذهنه حينذاك ، كيف تتهم النيابة هذا الرجل المستقيم الذى لم يرتكب اى ذنب باتصاله بعصابة النصوص ؟ .. وقال « ما اعجب هذا العالم ؟ ! » ثم بدا (آلى) يصدق كلام زوجة (جنشنغ) .

واكفهر وجه آلى ، وثقلت نبضات قلبه وعقد يديه خلف ظهره واخذ يفكر ولكن بلا جدوى ـ فلم يخرج باية نتيجة واحس بدوار فى راسه لكثرة الاحداث التى جالت بخاطره ثم امسك ذراع زوجة (جنشنغ) وقال : انهضى بسرعة فلو كان قد قبض عليه حقا فلا بد ان نفكر فى انقاذه فجلوسك هذا وبكاؤك لا فائدة منهما . ثم جذبها وساعدها على الوقوف وسارا على الطريق الممتد مع النهر مسرعين .

ولم يصلا الى منتصف الطريق حتى قابلهما الطفل (آلين) وهو يجرى نحوهما بسرعة وكان وجهه مغبرا وصاح بصوت عال : ابى .. جنشنغ .. وامسك بذراع والده ولم يقدر على الكلام واسرعت المراة متسائلة وصوتها يرتعش بشدة .. اين جنشنغ ؟؟؟ ثم جرت ناحية الطفل وهزته بعنف فتاثر (آلى) متشائما آلين ... تكلم .. ماذا حدث ؟ .

فتصلب وجه الطفل الصغير بالعرق وبدا عليه الخوف وقال متلعثما : « جنشنغ .. فى .. » ثم جذبهما ورجع بهما مسرعا .

وعلى لسان فى مجرى النهر كان هناك ثلاثة من المسافرين جرى الطفل نحوهم مسرعا متقدما اياه والمراة وصاح بصوت عال يبدو عليه الخوف : « ابى انظر !! . »

صرخت المراة صرخة حادة ثم اسرعت الى الطفل ولحقها (آلى) مسرعا .
وكانت زهور (النيلوفر) المتفتحة تغطى صفحة الماء .. وكان المدرس الابتدائى يحثو على الارض ويمد يده فى الماء ويزيح النباتات فبرز جسم ضخم لانسان بدين يطفو على صفحة الماء فى هدوء وسكون وقد امسك فرع الشجرة بملابسه الحريرية وظهر فى قميصه وتحت ابطه الايسر ثقب كبير .

صرخت المراة بصوت حزين .. « جنشنغ » وانحنت بجسمها نحو الجثة ومدت يدها لتجرها وبكت متسائلة « جنشنغ » وادار المدرس راسه وقال بصوت منخفض يبدو منه الحزن « انه لا يجدى » .

وقال موظف المحل التجارى « لابد انه قد اصيب برصاص اولا .. انظر !! هذه آثار دماء كثيرة .. »

وقال صاحب المحل التجارى « لنخرجه الى الارض . »

وتنهد (آلى) مخرجا نفسا طويلا وقبض بشدة على ذراع الطفل المرتعش وهو ينظر الى صفحة الماء بذهول .

وكان بكاء المراة يدوى فى الفضاء بلا انقطاع فيحز فى قلوب كثيرة ويمزقها .

هذا الصراخ الحزين يمزق سكون تلك الليلة المقمرة ويملأ الفضاء ، فى السماء وعلى الارض وفى الماء وقد تاثر به كل شىء فى العالم .. فان الاشجار والحقول والازهار ونباتات النيلوفر كلها تبكى معها .

وهذه القرية ترقد تحت ضوء القمر فى هدوء .. وهذا النهر يمتد هو الاخر تحت ضوء القمر فى هدوء .. وفى هذا الجو الحزين تبدو القرية كان كل شىء فيها يبكى دون استثناء .. فتذرف الدموع عيون كل شخص .

هذه الليلة هى احدى الليالى المقمرة الجميلة فلم ترعد ولم تمطر .. الا ان مركب (آلى) الذى لم يتاخر عن موعده قط قد تاخر عن موعده لاول مرة .

احمد رزق المليجى

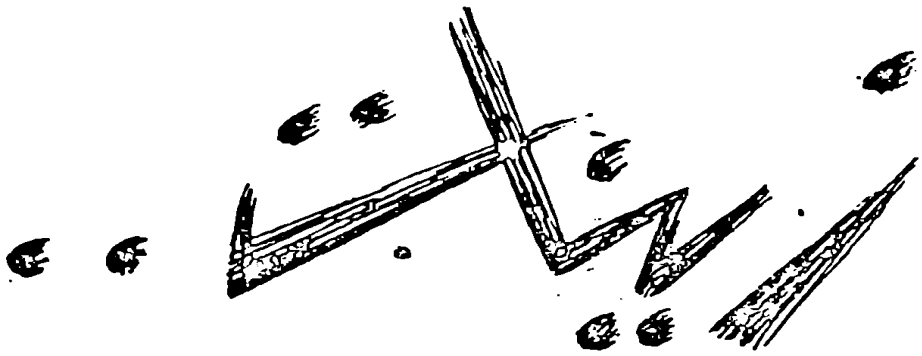

من قلم : عبد الله خورشيد البرى

اى خطأ فادح نرتكب حين نحكم على الشخص بظاهره ، متوهمين اننا قد بلغنا الاعماق بنظرة القيناها على السطح ؟

هناك ناس يسدلون حجابا صفيقا دون حقيقتهم ، ويلبسون ثوبا مؤقتا يظهرون فيه امام الاخرين ويسعون به بينهم . وغالبا ما يكون هذا الثوب بسيطا يبدو للناظر طبيعيا لا غرابة فيه ، وكأنهم يريدون ان يصرفوا العين عن تأمل ظاهرهم خشية ان يطول بها التأمل فتنفذ الى الباطن من فرجة فى الحجاب تنفتح فى غفلة منهم .

وهؤلاء الناس — غالبا — هم الذين يكتمون فى صدورهم الما عظيما .

اما السعداء ، المنعمون الذين لاينقصهم شىء ذو بال فيعنيهم ان يرى الناس مبلغ سعادتهم ليلتذوا بزهو التفوق ورضا الانانية .

والا فمن يصدق ان « زينات » ظلت طوال ثلاث عشرة سنة الانسان الوحيد فى العالم الذى يعرف امر هذه الخيبة المحزنة ، حتى قدرت لى منذ شهور قليلة فقط ان اشاركها سرها المرير ؟

ومن عجب انى وصلت الى هذه المعرفة لا لانى نفذت الى اعماق نفس زينات — فما اجتمعت بها قط طوال تلك السنين — وانما عثرت عليها فجأة وانا اقلب اعماق نفسى انا واتعرف على سكانها الذين لا اكاد اعرف عنهم شيئا بما التزموا من صمت وارتضوا من نأى حتى ليوشكوا ان يدلفوا الى المجهول .

* * *

احدق بذاكرتى فى ذلك الطريق الطويل الذى يبلغ طوله ثلاث عشرة سنة مكتظة بالحوادث والاصوات والصور والعواطف والاحوال ، فأرى — ولكن فى وضوح كاف — حزن هذه الفتاة المسكينة ما زال يصنع وما زال يحيا ، واحسب أن سيظل كذلك ما دامت هناك ذاكرة تكفل له البقاء .

كيف يعيش كل هذا الحزن اليائس داخل كل هذا المرح الراضى فلا يحرقه او يمزقه ؟

كيف تشتعل نار حية داخل كرة من ورق فلا تنطفىء او لا تحيل الفلاف نارا مثلها ؟ !

ولدت مرحة كالعصافير ، مع جراتها الرشيقة ونشاطها الدائم . يتكون وجهها من عين سوداء ذكية ، وجبين واضح ، وانف صحيح ، وقبلة متقنة : وابتسامة دائمة الاستبشار .

ترحب بكل شروق ، لانها تنجز كل عملها .

لا تخاف ، لانها لا تخطىء .

لا تكره ، لانها تعذر .

لا تشكو ، لانها تقتنع .

لا تخجل ، لانها لا تفكر بالاثم .

تنظف كل ما يدخل فى دنياها كانما تخشى ان تنفذ الى نقاوتها الظلال .

هكذا رايتها منذ ثلاثة عشر عاما ، منذ ان اتخذت لنفسها مكانا معنا : ابى ، وامى ، واخى ، وانا . ولست استطيع ان احدد موقفها بيننا اذ لم يكن لها مكان بعينه ، فقد انتشرت فى وجودنا كله انتشار الرائحة المتميزة ، حتى كنت اجدها فى سترة ابى مثلما اتذوقها فى الطعام مثلما اراها فى مكتبى ، بل يخيل الى انى كنت اتنفسها مع الهواء . أصبحت بيننا منذ اللحظة الأولى — ضرورة لازمة لكل فرد منا ينال منها ما لا يحس معه حاجة . ترى متى كانت تعنى بنفسها ؟ انها كذلك لم يكن يبدو عليها نقص او اهمال ، كالاحجار الكريمة : غنية وتمنح الغنى من يقتنيها .

واجمعنا على حبها كما يجمع كل الناس على حب دفء الشمس وجمال الطبيعة .

احبها ابى حبه ابنة لطيفة نشيطة ، مهذبة مؤنسة .

واحبتها امى حبها بنتا معاونة نافعة ، مطيعة جميلة .

ولست اميز كيف احبها اخى . وانما ثق من انى احسها حبى لشخصا استطيع ان اطلب اليه — فيؤدى — ما اطلب الى امى التى اتعودت ان اطلب اليها وعودتنى ان تجيبنى الى ما اطلب .

وكنت فتى فى منتصف التعليم الثانوى عودت الا اشغل ذهنى بغير نفسى وعملى ، فكنت اعيش فى دنيا لى مغلقة اعاشر فيها نفسى واتأملها واقرا لها واكتب عنها ، ولا يعدو كل ما يدور حولى اكثر من ان يخطف بعيدا عنى الاحظه احيانا فى غير اكتراث ولا تفهم من خلال ذلك الغلاف السفاف برغم صلابته الذى يحيط بوجودى . وهكذا مضيت امارس حياتى فى حدود سجنى الزجاجى ، لا اخرج الى الاشياء بل اجتذب الى ما يروقنى منها وما يستطيع ان ينفذ من الزجاج دون ان يحطمه . وما جرؤ احد على اقتحام برجى ، ولا احتجت الى الخروج منه ، حتى أصبحت لا انتبه الا الى ما اريد الانتباه اليه ، ولا اعرف الا ما احب ان اتعرف عليه . كنت أتمتع بحرية مطلقة ، ولكن فى جزيرة منعزلة ، او سجن لا باب له .

وكذا لم انتبه فى زينات الا الى انها تؤدى لى ما اريد من امى .

لم احتج الى ان ارى فيها صديقا يجمعنى معه تقارب السن ، او انثى تدفعنى اليها هواتف الشباب ، او جمالا لا تلفتنى اليه اشواق الروح .

ثم ار فيها اكثر من احد المكلفين بحكم الوضع الطبيعى بالمحافظة على تفرغى لنفسى وانصرافى الى عملى .

لم تسر فى كفى رغبة الشمس وانا ارى شعرها الفاحم الغزير ، ولم تختلج شفتى شوقا الى اقطاف الثمرة المستوية على سرها ، ولا نفرت عروقى تطلعا الى احتواء جسدها الفض النظيف بين ذراعى

لم احدث شيء من هذا ، لا لانى قديس تسامى على نزوات البدن — فلقد كنت زاخر القلب بعواطف الهوى ، مزدحم

الخيال بصور الجمال ، مسعور الشوق انى خمر الحب ـ ولكن لم يخطر لكبريائى ان تكون هذه ملهمتى ، كان بصرى معلقا بالقمر العالى ، فكيف انتبه الى شمعة منزوية فى ركن مستور ؟

* * *

ان القلب الذى يحب لا ينتظر حتى يؤذن له .

وما اكثر الاشياء التى تتعلق بهـا عواطفنا دون ان يكون لنا حتى مجرد الحق فى التطلع اليها ، ولكننا نتجه اليها بكل قوانا ، ونحتضن خيالها بكل حرارتنا ونرضى بامتلاك موهوم منالها لا ننال به سوى الحرمان واليأس . وما اعتقد على اية حال ان زينات كانت تهدف واعية الى غاية جنسية وهى تسرع الى اذا دعوتها ، وترقنى اذا حدثتها ، وتبالغ فى الاداء اذا كلفتها ، وانما كانت تستجيب لطبيعتها التى توحى اليها ان تظفر باعجاب الكل وحب الجميع .

ولكن لما مر على زينات عام بيننا كانت قد تغيرت تغيرا عظيما . لم تزدد طولا ولا حسنا ، ولا بشاشة ولا نشاطا ، وانما تفجر فى كيانها ينبوع جديد كان ما زال مطمورا ، ولعله كان آخر ما هنالك من طاقات لهذه النفس القوية المحبوبة ، وذلك بانها اصبحت : انثى .

وكأنما انتشرت هذه الانوثة فى كل ذرة من كيانها انتشار رائحة جذابة فى جو مكان جميل ، لاتغير فى نظامه ولكن تكسبه شخصية جديدة ، فلم يطرا على زينات جديد يلفت العين وانما نبع فيها جديد يجذب القلب . ظلت عينها سوداء ذكية ولكنها رقت وعمقت ، وظل جبينها واضحا ولكنه اضاء بمثل نور التضحية الذى يلمع على جباه الشهداء ، وظل انفها صحيحا ولكن اصبح كانه يتعرض لانفاس حارة ، وظل ثغرها دقيقا انيقا ولكنه اكتسى لون الترمز ، وظلت ابتسامتها مستبشرة ولكن شاع فيها حلم لذيذ . وظلت هى كلها مرحة نشيطة ولكن خالطها دلال . حتى نظافتها اصبحت تجملا . انتشرت الانوثة فى كل جزء منها فاكسبت جماله حياة ، واعطت وجوده غاية .

واحسبنى لم اكترث لهذا الذى وجدت هى فيه حدثا تاريخيا . احسست الدفء الذى جعل يشع منها . ولمست الرقة التى اخذت تنغم حركاتها . ورايت الحلم الذى بدا يلف وجودها . ادركت هذا كله فلم اكترث له ، ولم افكر فى ان امنحه نظرة تقدير او اعلق عليه ببسمة استحسان ، بل كنت اذا قابلتها جاوزتها بنظرى ، واذا خاطبتها لويت عنها وجهى وما اذكر انى عنيت بأن اتحدث معها فى غير تكليف بعمل او سؤال عن امر . كنت فى غنى عن هذا كله بالجمال الذى يصنعه لى خيالى ، والحديث الذى تقدمه لى كتبى ويؤنسنى فيه قلمى .

وحتى هذا الحد لا اجد ما الوم نفسى عليه ، ولا اجد ما يسبب حزنا لزينات . . زينات التى لم تبحث بعد عن مرآة .

تستطيع المراة ان تقضى حياتها بلا مرآة ما دام معها رجل واحد يرى جمالها والمراة لا تطيل الوقوف امام المرآة لتمتع عينها بمحاسنها ولكن لتعرف صورتها التى تراها عين الرجل . واجمل امراة تكذب كل مرايا العالم اذا قال لها رجل انها غير جميلة ، فالرجل هو وحده مرآة المراة .

ولم يطل بزينات العهد حتى تحرك

بغريزتها تنشد مرآتها . ويبدو انها كانت معتزة ببيتها مثل ثقتها فى نفسها ، فلم تنشد المرآة خارج الجدران التى تضمها ، وانما وقفت امامى ـ امامى انا ـ تتامل وجهها الجميل .

لشد ما اخطات اذ اختارت مرآة تولى ظهرها لكل شموع الارض الذائبة مستقبلة صفحة القمر الباردة الخرساء . ولكن ما اكثر الاشياء التى تتعلق بها عواطفنا دون ان يكون لنا حتى مجرد الحق فى انتطلع اليها ، ولكننا نتجه اليها بكل قوانا ونحتضن خيالها بكل حرارتنا ونرضى بامتلاك موهوم منالها لانتال به سوى انحرمان واليأس . سوء حظ .

* * *

اتساءل وانا احد النظر فى هذا الطريق الطويل ، مستحضرا امام مخيلتى حوادث تلك الايام باعثا الحياة فى هذه الذكريات التى بقيت ثلاثة عشر عاما لااهتم لوجودها فى باطنى ، مندهشا لهذا الحمل الضخم الذى تسير به بين جوانبنا دون ان نحس له ثقلا او حتى ننتبه منه الى وجود . . اتساءل لماذا اختارتنى زينات المسكينة دون غيرى من الناس لتهب لى اولى نظراتها المعبرة ، وتحيطنى بدفئها المنبثق وتنسج حولى حلمها الوردى ، وتهتف باسمى فى نشيد قلبها الاول ؟ لماذا وماكنت التائب الوحيد فى دنياها ، وما كنت اوسم من حولها من شبان ، ولا كنت ابدى لها رقة او اظهر بها اهتماما ؟ كنت اولهما ظهرى تماما ودائما ، فلماذا ابت الا ان تستقبلنى ؟

لست ادرى ، ولن ادرى ما حييت ، فما استطيع ان اعلل حتى انسانا ما ، فكيف اعلل حب احدهم اياى ؟

يبدو لى ان زينات لم يهمها ان وجدت نفسها تقف خلف جنتها المشتهاة ، اذ لم يصعب عليها ان تسعى الى الباب ولكنها اعز واعف من ان تلج بغير اذن .

ها قد بدات اكره نفسى ، اسخط على قسوتى ، الحن غرورى .

انى اراها تحرص على أن تبدو فى وجودى ، فهى تسرع اذا دعوتها وتاتى وان لم انادها ، وتفتح فى عينها الذكية القوية بحنان ، وتصوغ كل ما فى نفسها من امل ومرح ابتسامة مشرقة ، وتعبىء كل ما تملك من لباقة وفطنة تستحث لسانها وتحرسه من بلادة او غلط او تفاهة . انها تجتهد لكى تقنع رب الجنة بانها تستحق الولوج . ولكنه رب مغرور يتحول كثير من الدعاء فى مسامعه طنين بعوض ، ويرى كثيرا من الاعمال حماقات

ولكن زينات المرحة ، المتفائلة ، الذكية الواثقة من نفسها لا تتعب ، ولا تقلق ، ولا حتى تتاسف . انها مؤمنة ، والمؤمن لا يعترف بالتعب فى طلب الجنة .

واخيرا يلوى صاحب الجنة عنقه المنتفخ ، ويدير خده المصعر ، ويحول عينه المعلقة بالهواء الفارغ ويتجه الى زينات . . الى الطارق الذى تسلخت كفه قرعا للباب ، وكلت قدماه وقوفا فى انتظار الجواب .

خرجت عن مألوفى معها ، صرت اعطيها وجهى كله ونظرى كله ، جعلت اتحدث اليها كثيرا ولكن لا لاهش لها ، ولا لاسر اليها كلمة رقيقة بعينى ، ولا لاسمر معها بحديث جميل هادىء . ابدا . لشد ما اتمنى لو انى كنت التفت اليها لاصيح بها : اذهبى عن بابى ايتها الحمقاء . كنت اذا نفعتها ، وكنت ابرات ذمتى . ولكننى اتجهت اليها فى حجرية الجلادين ، وبرودة

السادة المتفطرسين ، وقاحة الفتى النزق .. اتجهت اليها بهـذه الهيئة المنكرة لامارس معها ما يمارسه طفل سادى وقع فى اصابعه عصفور .

فتحت لها انى عالمى بابا ، ادخلتهـا عندى ولـكن الى الجحيم . جحيم انا خازنه العملاق ، يحرق بلا لهب ، ويدمى بلا شوك ، ويسحق بلا حجارة . جحيم لا يطلب من اسيره جسده ، وانما يفيض نقمته على نفسه ، على شخصيته ، على قيمته المعنوية التى تعطيه حق الايمان بوجوده ، على حقه الطبيعى فى الاعجاب بنفسه والرضا عنها . جحيم يزرع الفتنة بين عناصر المرء ، ويجعل النفس الواحدة تنقسم على نفسها وتفقد سلامها لانه : السخرية . السخرية التى تجعل الساخر يحرص على احتفاظ ضحيته باحساسها وانتباهها الى وجودها ، ولكن ليجعلها دائمة القدرة على الاحساس بسخريته منها ، وتشكيكه فى حقيقتها .

اصبحت زينـات تسمعنى كثيرا ، وتجدنى كثيرا ، وتحسنى كثيرا . ولـكن فى الجحيم دائما .

قبضت عليها كلها ، وسخرت منهـا كلها .

كلما لقيتها ، كلما نظرت اليها ، كلما كلمتها ، كلما ذكرت لى ، كلما استطعت سخرت منها ، وعذبتها .

وكنت اجـد نشوة دفينة راعشة عندما اسخر من جمالها ، كمـا لو كنت انما اقضم خدها ، او اطبق بشفتى على شفتيها ، اواحتوى بكل عضلاتى جسدها .

اكاد اثب واقفا اذ ارى بعينى المفتوحة فى بهو السنين الطاعن فى جوف المـاضى صورة واضحة مجسمة المعالم لو مددت نحوها يدا : صـورة زينات وهى تتلقى لعنتى فوق كاهليها الرقيقتين ، وقـد اتجه راسها الدقيق النبيل نحو الارض ومال قدها الى امام ، وانسابت جفنيها ، وبدا خط خفيف بين حاجبيها الفارسيين وازدادت شفتاها انضماما ، وصار كل وجهها الصبوح النظيف وردة محمومـة لدغتها نحلة .

اراها تجرى مرة كانما تهرب لاخفـاء دموعها ، واخرى كانما تفر من قدر لامفر منه ، وثالثة كانما تنجو بحيائها من كلمة دنسة .

لماذا تنبعث تلك الصورة فى وعيى بكل هذه الحياة ؟

تلك هى هدية زينات الى ، بل التذكار الوحيـد الذى شاءت لى حماقتى ان احتفظ منهابه : شوكة لا تنكسر من الم ومرارة لا تحلو من ندم .

قـد وخزتها وجرحتها ، وحرقتها فلا اقل من ان يصيبنى منها شوك ومرارة

انا ؟ اى جريمة اتيت !

اطفأت النار المقدسة التى اضـاءت عينها . خنقت الحمامـة الوديعة التى هدأت فى فؤادها . اخرست الصـلاة المؤمنة التى ترددت على لسانها . فجعت العروس البكر التى ازينت فى انوثتها .

اقوى سهم يرميه المرء هو السـهم الاخير .

وكل محاولة اخيرة هى فى حقيقتهـا مقامرة .

عندئذ يضع المرء نفسه فى الميزان ، فاما ان يثق بها كل الثقة اذا نجح ، واما ان ييأس منها كل اليأس اذا خاب .

عندئذ يقف المرء بقدم فى الامل ، وبالثانية فى اليأس .

عندئذ يهيىء المرء اعصابه للفوز والخيبة على السواء .

عندئذ يفقد المرء كل خوفه ، وكل تردده ، وكل اشفاقه ، وربما كل احساسه .

وهكذا ـ يخيل الى ـ كانت زينات لما وقفت لتلقى السهم الاخير .

كنت فى صالة المنزل لا افعل اكثر من التصفير فيما اذكر ، فشعرت بها الى يمينى تناديني . والتفت فرايتها جالسة القرفصاء وبين يديها وعاء ممتلىء ترجوني ان اعاونها على حمله . ولعلى كنت سعيدا وقتها اذ سرعان ما هبطت فى شهامة جالسا القرفصاء امامها ؛ ومددت الى الوعاء يدا لم تلبث حتى سكنت فوقه بينما كانت عينى تأخذ طريقها فى هدوء لتستقر على ما تجد امامها من بدن زينات الحى المنور البكر الذى جعله قميصها الداخلى الاحمر كانما يتراءى من خلال شفق وردى رقيق . والظاهر انى اصبت بدوار دام بضع ثوان ، فقد انتبهت فجاة على صوتها الضاحك الجذلان يهيب بى ان ارفع الوعاء ، ولكنى مضيت اتفرس فى وجهها وقد انطلقت اساريره ، ودبت فيه البهجه كجدول زاخر اريح السد من مجراه . نعد رايت بصرى يعلق بدحنر بدنها . وهى تضحك . انها مسروره ، سعيده ، لا تريد حتى ان تنهض يا لسماجة ! لقد تعمدت هذه الحركه . لقد خدعتنى .

ومض هذا كله فى ذهنى ، فانتصبت واقفا كانما اختطف نفسى من هوه ، والقيت الى زينات نظرة لو تجسدت لاصبحت بصقة كبيرة .

لا شك فى ان زينات عاشت بيننا بعد هذا اليوم ستة شهور فى الاقل ، ولكننى لا افلح فى رؤية لحظة واحدة من هذه الفترة التى تعيش فى ذاكرتى فى ليل دائم حتى لاكاد اقول انها لا وجود لها على الاطلاق هناك .

كانى بزينات قد رحلت عنا بعد هذا اليوم . ولقد رحلت فعلا ، ولكن من وجودى . يبدو لى انها حرصت على ان تختفى عنى ما استطاعت ، فاذا لم يكن بد من ظهورها امامى فعلها لم تكن تبقى اكثر من لحظات .

لقد دخل قلبها دير كل حب مرفوض : الوحدة .

دير مسوحه الحزن ، وقوته اليأس ، وصلاته البكاء ، وقربانه الكتمان .

عبد الله خورشيد البرى

* * *

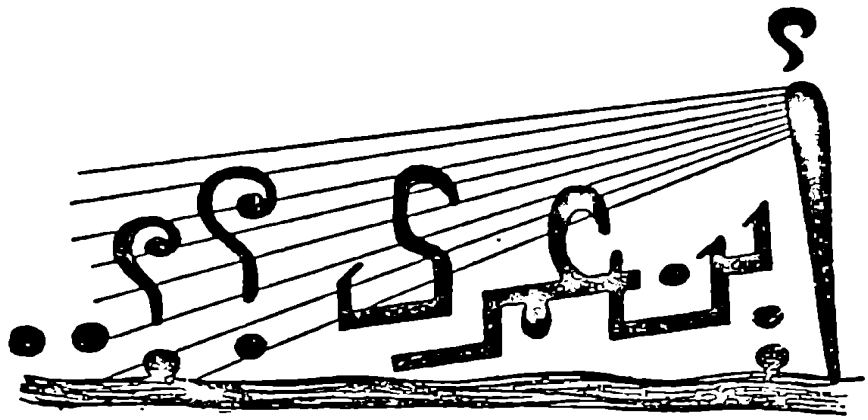

في اول الامر كان يحاول ان يبعد عن نفسه تهمة كتابة القصص الجنسى ، ولما رأى انه لا قبل له بمدافعة اللعنة ، حول دفاعه الى شرعية هذه القصص وانها اون من الادب الرفيع تعترف به الآداب جميعها فى كل اللغات .

ونحن جميعا نعترف واحسان عبد القدوس بان شخصياته لها وجود فى مجتمعنا المصرى . نعم ! ولكنها قلة شاذة ، وهذا مالا يريد ان يوافق عليه احسان أبدا ..

وعنده حق ! اسبب بسيط ، لانه لو اعترف بهذه الحقيقة وان ابطاله ليسوا بالكثرة التى يكتب عنها ويرددها لا نتفت حجته فى أن الجيل الجديد يرى صورته فى قصصه الجنسى ، والناس لا تتطلع ابدا الى مرآة الشواذ لترى فيها صورتها !

اننا لا ناخذ على احسان كتابته للقصة الجنسية ، ولكن نأخذ عليه اسرافه فى عرض الشخصيات المريضة فى المجتمع .

وحتى هؤلاء الذين يعجبون باديبنا ويدافعون عنه ليس فى استطاعتهم ان يزيفوا الواقع ويدعوا بأن النماذج التى يأتى بها احسان شخصيات عادية منتشرة كوضع ثابت فى مجتمعنا كما يحب احسان ان يدعى . فنجد توفيق الحكيم يقول : « على انى ـ شخصيا ـ لا احب للفنان أو الاديب أن يلعب فى كل حين على هذه الحبال الرفيعة بغير داع . فهذا السبيل المحفوف بالمكاره يجب ان يواجهه الاديب أو الفنان وهو مضطر الى ذلك اضطرارا . » (١)

وفى هذا المعنى يقول أيضا يحيى حقى : « لازلنا نؤمل أن يكتب لنا الاستاذ احسان قصة كآلام فرتر ، لا تعنى بالشواذ وان كثروا ، بل يقدم لنا انموذجا يرى فيه شبابه الجيل نفسه كما هو وكما يجب ان يكون » (٢) .

---

(١) توفيق الحكيم ـ مهمة الكاتب ـ الرسالة الجديدة . ابريل سنة ١٩٥٦

(٢) يحيى حقى ـ نقد الوسادة الخالية ـ الرسالة الجديدة . ديسمبر سنة ١٩٥٥

وقد أعجبنى موقف لكاتب مصرى آخر كان بارعا فى تاليف القصص الجنسى ، هو الاستاذ ابراهيم الوردانى من ناشر لبنانى طلب منه منذ شهور قليلة كتابة بعض القصص من النوع الذى كان يدفع به الى المطبعة منذ عهد ليس بالبعيد أى أدبا مكشوفا ، ولكن الوردانى اجاب على الدعوة بالرفض ، فقد ترك هذه الطريقة فى معالجة قصصه بعد قيام الحكم الجديد وبدأ تنفيذ التخطيط الثورى للحياة المصرية . لقد رأى أن هذا الاسلوب قد أتى أكله وقام بعمله خير قيام فى دفع الناس الى استعراض بعض الزوايا التى كانت قائمة فى مجتمعنا الملكى المترف . فهل يحذو احسان حذوه ؟

ان احسان نفسه يدفعنا الى هذا الامل بقصصه الجديدة التى كتبها فى الآونة الاخيرة . .

وعن احدث مجموعة قصصية للمؤلف فى السوق ـ الكتاب الذهبى عدد ابريل ١٩٦١ ـ وهو اين عمرى ـ اخترنا نحن هذا العنوان الذى خرج به قبلا ، لان احسان آثر عرض محتويات كتابه بقصصه الثلاث عن فاترينة الفلاف ـ نتحدث . وهذه هى طبعته الثالثة . .

واحسان عبد القدوس يؤمن بالانسان ونقائه ، وبأنه خير مهما لاقى من احداث وان المجتمع هو الذى يفسده ، ورغم ادراك الاسفل الذى ينزل اليه ابطاله والقاع الذى يهبطون اليه والهبوط الذى يتمرغون فيه فى اكثر الاحايين ، فليس لهذا من معنى الا انها مرارة لابد منها كى تستقيم الحياة البعيدة . . هذه التجارب القاسية ضرورة اصيلة حتى ينقى المعدن من شوائبه والنفس من ادرانها .

قدم الينا المؤلف فى الجزء الاول من قصة « اين عمرى » فى صورة ساذجة بريئة « كان قلبها خاليا كصفحة النور ، وكان خيالها انقى من انفاس الملائكة » رغم مرحها وحيوية صباها ، ولكنه لم يحاول ان يرينا كيف انها لم تتاثر ببيئتها وكيف ان صبية مثلها تشترك فى الاندية وحمامات السباحة وتذهب الى السينما وتهتم بركوب الدراجة « فى الشارع » الذى لا تمل القلوب جوانبه ولا يعرف العشاق له نهاية الا اذا اصطدموا بعسكرى البوليس « ص ١٢٦ » كيف لا يرسب فى اعماقها بعض تاثير هذه المظاهر جميعا .

واذا كنا نستطيع ان نفهم أو نستسيغ موقف الام والابن فى تحفظهما رغم ان احسان قدم الينا ابطاله وعليه ايضا من الخارج ، فلأن الصرامة تعنى جمود الحرية بثبتى الوانها بعكس المرح الذى يعنى انطلاقها . .

ان عليه من بنات الجيل الجديد ، واذا كنا نعلل ظواهر انحلال ابنائه ، فليس من الظلم ان نغفل المثل بالنسبة الى براءة بعض بناته ! فلا بد من اقتناع برأى معين ولا اقول فلسفة كيما يخط المرء سلوكه ونر فعل احسان ـ ونذكر هنا براءة منى الطبيعية المعللة المفهومة فى « دموع التوبة » بصوفى عبد الله ـ واشار الى الراى الذى كونته عليه لنفسها عن

الاخـــلاق والنظر الى العلاقات لكانت سطوره عن سذاجة البطلة فى يوم خطبتها اروع ما يكتب ويجيـــد مؤلف ، فنحن لا نستطيع ان نتناسى اننا نعيش فى عصر بلغت فيـه بنت الخامسة عشرة منتهى « الوعاية » !!

ويخيل الى ان الكاتب قـــد جانبه التوفيق عندما التقت عليه بأمها يوم دفن عزيز ، فالمشهد المسرحى وقـد دخلت الام على ابنتها فى غرفتها الخاصة ، فاذا بالاخيرة تطردها طردا ــ كذا من الباب لنطاق ــ لانها رات فيها نجسيدا لما تخافه من مستقبلها كأرملة ، كان بادى الافتعال وابعد عما يتطلبه الموقف من واقعية .

واذا كان القارىء يكاد يوافق المؤلف فى صورته التى تبدو لا انسانية وقـد مات الزوج فلا تفكر فيه زوجه وقـــد عاشرته اثنى عشر عاما لم يكن فيهـــا الا رفيقا رفيقا بها محبا لها ، لم تأخذ عليه شيئا ولم تبغض له معاملة ، ولم تذكر له فى اثنائها اياما شقيت فيهـا وبها . فاذا مات وقضى امره محى هـــذا كله ولا تنظر الا الى نفسها تفكر وتطيـــل التفكير فى هذا الامر المرعب الذى نتج عن الموت وقد ترملت ، والترمل لا يعنى الاستجداء فلها المال الوفير ، ولكنه ذواء الشـــجرة وجفاف عصارتها . تخاف ان تضطرها المقادير الى ان تسلك هـذا السبيل الجاف الذى يتحول فيه صاحبه الى شبح يسير على قدمين كمـا فعلت الام . تستحضر عليه صورة امها وقـد اصبحت ارملة فى الثلاثين فاذا بهـا كى تتجنب المزالق والمهالك التى تردى اكثر الارامل ومن شر كلام الناس تختار عن طواعية ان تنفى شبابها الى وتنزوى بين اربعة جدران ، وتسجن نفسها فى بينها تعانى الجفاف والحرمان والوحشية وتسرب احلى سنوات العمر قطرة فقطرة

القارىء اذن يكاد يقف فى صف عليه وهى لا تفكر فى الزوج الذاهب وتجمـع خواطرها وآلامها فى الترمل الحـاضر ، ويراه موقفا طبيعيا يجابهـه الانسان فى لحظات سود من حياته . وبدلا من ان يحاول احسان تطوير الموقف فى صورة غير مفتعلة تتسم بالصدق فتلتمس الابنة من والدتها انفراجا لازمتها عنـــدها ، او ينتظر قليلا حتى نرى ما فى جعبـة الام من راى وعاطفة ، نجده وكأنه يريد ان يستغل تعاطف القارىء او يريد انهاء هذا الفصل من القصة بأسرع ما يستطيع فلا نشعر الا وهو يفتح الباب وتدخل الام فلا تكاد الابنة تراها حتى تذعر ويجن جنونها فتطردها طردا مهينا ، وحينمـا نرى ان الكلمات لا تسعفها لا تكتفى بالقول فنشارك يداها اللسان فى دفعها خارج الغرفة ! « ص ١٥٨ » .

لقد كان فى الاستطاعة الا نجد غرابة بهذه الحدة فى مسلك عليه لو انها فوجئت بوفاة عزيز على حين غرة ، ولكن الزوج مرض طويلا وفكرت الزوجة بالتـــالى طويلا فى المصير الذى يمكن ان ينتظرها اذا اصبحت ارملة .

ولعل هذا الموقف يوقفنا على طريقة احسان فى معالجة شخصيات قصصه ، فهو لايختار الا الصورة الشاذة والنموذج الشاذ دون سائر الصـــور والنماذج ، فحتى ونحن هنا بعيـــدا عن الموقف الجنسى الذى يتعلل به احسان فى الامر الفاضح ، نجده لا يتوقف عن الاستطراد

الزائف الذى يغاير طبائع الاشياء ، وان خيل للبعض انه بريق لا يصدر الا عن جوهر كريم .

لست ادرى هل جاء المؤلف بعادل ليصور فى المرتبة الاولى شباب جيله الجديد المراهق الذى يقلد جيمس دين ام اراد ان يمثل به نقيض الواقع الذى كانت تعيشه عليه بطلة القصة ؟

لانه مما لاشك فيه ان وجودشخصية عادل فى القصة تخدم الاتجاهين .

ولسنا الآن فى مجال نقاش او حديث عن احسان عبد القدوس مصور المجتمع بقدر حاجتنا الى الاشارة الى وجود عادل كعالم اندفعت اليه عليه لتثأر من ايامها التى ذهبت وشبابها الذى تقلص ظله مع ايام اخريات تجىء ..

لقد ادخل المؤلف هذه الشخصية فى قصته « اين عمرى » ليرمز الى عهد جديد بداته الارملة الشابة .

ولكن الم يكن فى وسع احسان ان يصل الى ما يريد من خلال شخصية الدكتور خالد ؟ ان خالدا طبيب الزوج المعالج ، والمفترى عليه منه بان بينه وبين عليه اشياء تنتظر ان يموت هو لتتشجع وتقف على اقدامها .. كان فى الامكان من خلال الصراع الذى سوف يحدث ـ وخالد يمثل عند عليه الماضى ـ ان يكون على اشده بصورة اقوى بكثير مع عادل ، اوفتح له احسان صفحة جديدة نرمز الى الحاضر ايضا .. ولقد كان يستطيع ان يبدا من حيث انتهت المقابلة الساصفة بينه وبين الارملة الشابة الى. ما قبل ظهور عادل على مسرح الاحداث بدلا من الانتظار حيث ينهى عادل دوره. ويرجع المؤلف ثانية الى خالد ، ولكان. احسان جنبنا على الاقل هذه المشاهد التى تنبأ بها القارىء مع خلق المؤلف شخصية عادل والتى لايملك احسان عبدالقدوس نفسه من الوله بها وتكرارها

ان التجربة التى انتهت اليها عليه. مع عادل وان كانت تبدو ضرورية لكى. ترجع الى نفسها وتثوب الى رشدها وتدرك جيدا انها ارملة فى الثلاثين وليست عذراء فى السابعة عشرة ، كان يمكن. الوصول الى اثرها ذاته باكثر من سبيل. فكلام الناس الذى مر شبحه مرورا عابرا والاسراف فى التشبه بالفتيات الصغيرات ومنظر ارملة وسط تركب الدراجات وتداعب فى هذه الاثناء مراهقا يصاحبها والتعليق المر المتهكم بهذا كله . . كان. يستطاع بتجسيمه الا يلجا المؤلف الى. عادل لو اراد ..

ان التجاء عليه الى عادل معناه ايضا انهروب من واقعها والالتجاء الى خالد بمعنى مجابهة هذا الواقع ، وابدا لم يكن. انهروب من الواقع وسيلة للوصول والحل. وفك العقدة .

* * *

و « اشرف خائنة » قصة لايكاد القارىء يقف عندها ، لا لانها تنحو المنحى الرومانتيكى ولا وجود للاحلام والرقة الزائدة فى هذه الايام ، ولا لان الحب. العنيف الثائر فيها يبدا من اول نظرة فى لحظة خاطفة ، ولا لان القارىء لقصص.

احسان المثيرة اصبح ينتظر بوعى وبدون وعى الصور الفاقعة اللون ، ولكن لانه يحس ان المؤلف يهزل وانتقلت العدوى بالتبعية الى بطليه فبدت القصة فى شكل مراقص وكانها حدوتة حديثة تستغل فى اضاعة وقت فائض ، ولو قال لنا احسان ان قصته مترجمة او مقتبسة او مستوحاه من الغرب وواقع الغرب او خياله لفهمنا ، ولكنه يريد ان يقنعنا فى مقدمة القصة انه اخذها من الواقع ، وانه يفتك سر بطليه اذ هو يسرد قصتهما !

المراة ناضجة والرجل ناضج وكلاهما متزوج وصاحب اسرة ، التقيا لقاء عابرا وافترقا ، وبسرعة تطلبه فى التليفون وتقول له :

« — انى اتعذب بك

— تعالى نفر من العذاب

— الى اين ؟

— لست ادرى . ان العذاب يحيط بى حتى الافق !

ثم يستطرد :

قل لى انى لم اخطىء اذ حادثتك

— كلانا لم يخطىء .. فان اقل حق لمعذبين ان يشكوا العذاب ..

— قل اننا لن نخطىء ابدا ..

— لن نخطىء . » « ص ١١٩ »

ما هذا كله ؟ ! اهذا كلام تقوله امراة ناضجة متزوجة وسعيدة فى زواجها وبقوله رجل ناضج متزوج وسعيد فى زواجه ؟ ما هذه التفاهة والهذر ولعب الاطفال ؟ ! لو كان البطلان من النوع الفارغ الذى لا يعمل لقلنا ان « الفاضى يعمل قاضى » كما يقول مثلنا الشعبى ، ولكن الامر بالعكس . ويستمر التليفون ومقابلة اللقاء ، ولا تمسك كل منهما سماعته الا وهو فى اتم زينته وفى ملابس الخروج ايضا . وكما يحدث فى كل غرام اذ يتحول من العذرى الى غير العذرى ، يقلع صاحبانا عن افلاطونيتهما ويستمتعان به ايضا بالتليفون ، فهما يمسكان بالسماعتين ويتخيلان ، فتتلاقى الشفاه والاجساد ..

وفى نهاية القصة يتساءل احسان ! هل هما خائنان ، ويجيب بسرعة لا « انها اشرف خائنة وهو اشرف خائن !! » « ص ١٢٢ » ونتساءل نحن هل هما عاقلان ، فنقول لا « انها اعقل مجنونة وهو اعقل مجنون » والسلام على احسان !!

قدم الينا احسان اكثر من عشر شخصيات فى القصص الثلاث التى تحويها المجموعة ، ولكن انضجها وادقها جميعا ، عليه فى « اين عمرى » وشخصية الاستاذ فى « الخيط الرفيع »

فهما شخصيتان مدروستان جيدا ، عرف المؤلف كيف ينفذ الى اعماقهما رغم وسيلته المعروفة التى توصل بها الى ذلك .

ولعل اجمل ما فيهما ، عليه فى مرحلة صباها المنطلق ، وفى زواجها المقيد ، ومع افكارها العميقة اثناء مرض عزيز وخوفها من الترمل .

وفى الاستاذ الجزء الاول من قصته ويقظة غرائزه الطبيعية وغرامه بيولند فى بدايته ، وحزنه باختفائها من البنك ولهفته عليها وتخيله لها ، ثم خواطره وقد عثر عليها مع عبده بك واصبح ذيلا للاحير من اجلها حتى ليذكرنى هنا باحساس من القصة الالمانية العتيدة « الملاك الازرق »

تم بتمزقه بين انانيتها وحبه فى الجزء الاخير من القصة وهو ميدان الصراع بين التملك والحب الذى اراد المؤلف ان يقول فيهما شيئا . . لقد اجاد احسان هذه الاجزاء واتقنها اتقانا لا يمكن انكاره .

وبعض الشخصيات تكاد تتفق مع البعض الاخر فى نفس الملامح والخطوط فى مواقف معينة بالذات . فهناك الشبه بين عادل فى اين عمرى والاستاذ فى الخيط الرفيع ، لقد بدا كل منهما قصته وهو لايكاد يصدق انه صاحب خطوة عند عليه او يولند ، وعندما تأكد ان الطرف الآخر يحمل له قليلا من اهتمام سعد به سعادة لا توصف . ولكن الايام تمر ولا يكتفى كل منهما بما وصل اليه بل يطمع فى المزيد ويتطلع الى الكثير وكأنه صاحب حق يجب ان يحصل عليه وترضخ له الانثى سواء ارضيت او لم ترضَ ، او كما يقول المؤلف « بدا العبد يتمرد ليصبح سيدا » « ص ٢٣٠ » . . انها طبيعة البشر !

وما اشبه عليه ببيولند فى فترات بالذات من حياتهما ، انهما يشتركان فى احاسيس بعينها ونفس انظر الى الاشياء تقريبا . . ونذكر كيف انزلقت عليه وقدمت جسدها الى عادل . . فهى لم تستمتع وكذلك كانت يولند عندما قدمته الى الضابط الانجليزى .

وعند الاثنين لم يكن الحب هو صاحب هذا القربان .

الاولى كان جسدها مغتصبا بالقوة وتركها جثة باردة لا ينبض فيها شىء ولا تحس منه بشىء . . « ص ٧٧ » ، والثانية كان جسدها مغتصبا برضائها هى — اذا صح هذا التعبير — فعلت ذلك لتنسى الضابط البريطانى غربته ، وتخفف من لوعته وحنينه الى وطنه وبيته ، والسبب قلبها «الضعيف الذى يحنو على كل ضعيف محزون » « ص ٢١٧ » . والنتيجة واحدة فى الحالين .

واحسان فى بعض الاحيان يريد ان يثبت وجوده فيتدخل ، وتدخل المؤلف فى سياق القصة لم يكن ابدا من مصلحة المؤلف او القصة لانه تطفل على السياق ، وصورة من الاستعلاء يرفضه القارىء الذى يبغض ان يأخذ احد بيده ويقوده كأنه طفل صغير ، او اعمى لا يبصر ، او غبى لا يدرك ويقوم له الكاتب بالهداية والشرح . .

« وهى فى ظل ذلك ابتعدت عن صباها الجميل . . ابتعدت عن عمرها . . اولا هذه النفثات الصبية التى تطرأ عليها بعد حين وحين دون وعى منها » (١) .

اذا كان المؤلف يحتاج الى ان يكتب مثل هذه « الملحوظة » ليفهم القارىء غير اديب فاشل ، واذا لم يكن فاشلا فهو امتهان لذكاء القارىء ، واظن انه ليس هناك من الكتاب من يريد لنفسه جمهورا فى هذا المستوى العقلى !

واحسان لا يترك قصة فى هذه المجموعة التى بين ايدينا دون ان يتدخل ويحشر نفسه حشرا ، ويقوم بدور مدرس وباليته كان استاذا جامعيا على المستوى النموذجى طبعا يلقى علمه على شباب مهما كانوا طلابا فهم اصحاب وعى وادراك وثقافة — يشرح لتلاميذه الاغبياء ما غمض عليهم من نصوص ، ويمسك

---

(١) ابن عمرى . ص ١٤٠ .

بالمؤثر ويلقى علينا درسه الذى تشارك فيه قبلنا بطلة قصته « الخيط الرفيع » الانسة يولند . .

«كانت سعيدة . ولم تكن تدرى سر هذه السعادة» ولكن هناك من يدرى بهذا السر . . وهو المؤلف ! ويستطرد احسان عبد القدوس الذى يصر بالقوة على اقناعنا بانه يفهم النفس ، ولا تظن انها نفسه هو انه اعرف بنفس البطلة اكثر من البطلة نفسها ومن القارىء بطبيعة الحال ، فيستطرد المؤلف شارحا لنا فى عقله قصر « لم تكن تدرى ان الشفقة التى تحس بها نحوه هى سر سعادتها . . لان الشفقة ما هى الا نوع من الانانية وحب الظهور وحب العطاء . »

هل انتهى ؟ ليس بعد ! « . . انها احساس بالقوة تجاه ضعيف . . احساس بالعظمة ازاء انسان ضئيل . . وهو احساس يرضى صاحبه ويملأ نفسه غرورا وزهوا فيخيل اليه انه سعيد . . » (ص ٦٥) .

الوصول الى اسلوب خاص وهو بمثابة اعتراف بنضج الكاتب وشخصيته الادبية المنفردة . واحسان صاحب اسلوب خاص ، ليس من الصعب عليك ان ترجعه الى صاحبه او لم يوقعه .

وليس من العجيب ان يجىء الاسلوب على غرار صاحبه ؛ فهذه قضية قديمة نزلت الى مستوى الاشياء العادية المعترف بها من الجميع منذ وقت طويل .

فاسلوب مؤلفنا اذن عصرى رشيق انيق متوثب سريع الحركة لا يهدأ مبتكر متحرر . .

فهو اذا كان متحرر المضمون فهو محرر الشكل ايضا ، فالموضوع والاسلوب ينبعان من تحرر صاحبهما . وكما ثارت عليه الاقلام حينما تناول شخصيات شاذة داعره صبغت ادبه بالون المكشوف . لم يسكت عليه النقاد وهو يستعمل اداته الخاصة لهذا التناول .

« الفاظه كالوانه الراقص الملونة تتواثب امام عينيك ، فكيف تريد منها ان تستقر على الورق ؟ ! (١) ويقول يحيى حقى فى موضع آخر يصف اسلوب احسان « لا انكر انه ينجح دائما فى خلق الجو الذى يريده ، ولكن باى ثمن ؟ بتضحية الالفاظ وامتهانها والازدراء بمقامها وكرامتها ، مع انها البنات التى لا تقوم بدونها بناء يكتب له البقاء . اصبحت الفاظه تجول وتتصادم فى فوضى لا ضابط لها ، وتساق الى امكنة ليست لها ، وعذره ان لها رنينا ونغمة . . » (٢) الرسالة الجديدة . ديسمبر ١٩٥٥ .

والامثلة كثيرة على تأكيد ما ذهب اليه يحيى حقى . نكتفى منها هنا وبصورة مخففة بقول احسان « وهذا القوام وقد نضج وشد بعضه بعضا حتى كان النهدين يحاولان تقبيل العنق ، ولكأن الساقين فخورتان بحملهما هذين النهدين » ! (٣) و « شفتاه الغليظتان تخبطان احداهما بالاخرى ، كأنهما « صاجات بائع الفرقسوس » (٤) !!

وشىء آخر . . هناك قطعة موسيقية مصرية معروفة من النوع الراقص لهز البطن اياه يردد فيها الكورس لفظ النبى والفين صلاة عليك يا نبى . .

(١) ، (٢) يحيى حقى فى نقده للوسادة الخالية
(٣) ابن عمرى ص ١٤٧ .
(٤) ابن عمرى ص ١٢٦ .

وقد فعل احسان ما يشبه هذا فى قصته الاولى من المجموعة ـ الخيط الرفيع ـ فجاء بالفاظ تحمل عند بعض اصحاب الاديان ـ المسلمين ـ معنى القداسة ، كاستعارات وتشبيهات استعملها فى مجال هابط .. وسنجتزىء بعضا منها هنا ..

يضمها الى صدره ويمسح وجهه بشعرها .. كانه مؤمن يمسح يده فى استار الكعبة ... !! (١) .

ويصغى اليها « باذنى مؤمن يستمع الى آى الذكر الحكيم » ! (٢)

هل نقول الذوق ؟

وهل ننسى ان احسان عبد القدوس حاول مرة أن يسمى كتابا له بـ «القرآن» ولو لم ترفض رقابة المطبوعات لخرج به على الناس ..

هل نستطيع ان نصل الى الدافع او الدوافع التى أملت عليه هذا الوضع ؟

هناك شهوة العناوين المثيرة لجذب القارىء التى كثيرا ما تطمس العين ، وهناك التحرر الذى لا يحده حد فتكون نتيجة طبيعية ان ينزلق صاحبه وهو لا يدرى . وهناك ما يمكن ان نستخلصه من كتابة مؤلفنا فى مجلته اكثر من مرة ، انه يصوم ويصلى ولا يترك ركعة ، ويقرا كتاب الله ـ فهو يعرف ربه جيدا ـ الى آخر ما يردده ليبعد بذلك عن ذهن القارىء الصورة التى تكونها قصص احسان الجنسية عن صاحبها الفاضل !

ومن حق احسان علينا وقد استمعنا الى يحيى حقى ان ندع الحديث لكاتب كبير آخر هو توفيق الحكيم ليدلى برايه فى اسلوب كاتبنا ، يقول « ما من احد ينكر على عبد القدوس .. اسلوبه الذى لا يقاوم .. يكفى ان يكتب ليقرأ الى النهاية .. ان الحركة فى اسلوبه ظاهرة ملموسة . فهو يستطيع باسلوبه المتحرك ان يحيل المقال السياسى الى قصة تنبض ، فى حين اننا نجد من يكاد يحيل القصة الى مقال ممل لانطفاء الاسلوب وركوده . » (٣)

وهذه القضية التى لازال بعض الكتاب يناقشونها والتى سئم القراء الاستماع اليها واليهم ! قضية استعمال الفصحى والعامية فى الحوار !

نستطيع ان نفهم انحياز الكاتب الى الفصحى أو العامية فى حواره ، فهذا شأنه وله مطلق الحرية فى تناول ادبه . ولكنا لا نفهم اضطراب الكاتب الواحد بين الفصحى مرة وبين العامية مرة بلا سبب مفهوم وبدون داع . فهذه البلبلة يضطرب لها العمل الفنى ، ويضطرب لها القارىء ايضا ، وتبدى الكاتب فى صورة المتذبذب الذى لا يستقر على راى فيخسر تأييد القارىء له وهو لا يعرف الى اى جانب يميل كاتبه ..

واحسان عبد القدوس يؤثر العامية ، ولقد استعملها فى حواره فى «اين عمرى» ، ولكنه ينكرها انكارا فى « الخيط الرفيع » ويجعل ابطالها جميعا يتكلمون بالفصحى ، حتى يولد ابنة الاب المالطى والام الايطالية !

---

(١) الخيط الرفيع ص ٩٦ .
(٢) الخيط الرفيع ص ٦٨ .
(٣) توفيق الحكيم . ادب الحياة ص ١٤٦ .

وفى قصته الثانية « اشرف خائنة » يريح نفسه ويريح القراء معه فيخلط بين الفصحى والعامية ، وكفى الله المؤمنين القتال !! (ص ١١٨)

●

يختلف احسان عن كثيرين غيره من القصاص فى انه يؤمن بالخاتمة المفتوحة للقصة ، التى تترك المجال فسيحا امام خيال القارىء يجول فيه ويصول ويأتى كل مرة بجديد متنوع الاشكال . فهو يبغض النهايات الفاصلة الحاسمة التى تكتب الكلمة الاخيرة ويكون فيها فصل الخطاب ، والتى لا تسمح بالذهن بأن يبتعد أكثر مما وصل اليه المؤلف ، فهى تريح القارىء ويشعره انه ادى ما عليه من مشاركة الكاتب فى هذه الساعات التى قضاها معه واستمع اليه فيها وانفعل بالاحداث واحتمل نصيبه منها . وقد آن لهذه المشاركة ان تنتهى وان تنفصم عراها مع كلمة « تمت » فكان المؤلف وهو يريح القارىء او المتفرج يسحب منه حماسه ، ويحفزه ، ويسحب منه الاحساس بالمعركة التى يعيش فيها .. معركة الخير والشر » وهذا ما يقوله احسان فى احدى خواطره » (١) .

ولا شك ان الخاتمة المفتوحة تعلق القارىء وتدفعه الى التفكير غير السطحى الذى لا ينتهى بانتهاء ما يطالع . وانما يبقى امدا يقصر او يطول فى اللاوعى حتى تستفزه احداث مشابهة من جديد .

واذا كان هذا هو راى المؤلف فى الخاتمة عموما ، فهو بالنسبة الى عنصر الشر يأخذ موقف المصر على النهاية المفتوحة . لا يكفى ان نعاقب المنحرف جزاء جرمه ونعلن ان الجريمة لا تفيد ، وان العين بالعين والسن بالسن والبادى اظلم . لماذا ؟ لان « القضاء على الشرير فى نهاية القصة او الفيلم السينمائى ، يريح القارىء او المتفرج ، ويجعله يخرج وهو مطمئن الى ان الشر سيقضى عليه حتما . يخرج متواكلا ، دون ان تستمر المعركة فى نفسه .. دون ان يمتلىء صدره باحساس السخط والتحفز للقضاء على الشر » (١)

ورغم ايمان احسان بالقالب الذى تخرج منه الخاتمة ، فانه لا يفعلها دائما . فاذا وجدناها فى .. « الخيط الرفيع » و .. اشرف خائنة . فاننا نفتقدها فى القصة الثالثة ..

هل قصص احسان عبد القدوس — ولزيادة الدقة اعنى قصصه الجنسى — ادب خالد ؟

ورغم انه لا حق لنا فى القاء مثل هذا السؤال ، لاننا لا نستطيع ان نسبق الزمن ونتنبأ الغيب ، ومع ذلك ففى استطاعتنا مع القياس ان نرد بأن الايجاب ليس فوق مستوى الشبهات . فما قيمة النظارة السوداء مثلا اليوم ؟ ! اننا نتفق مع يحى حقى وهو يقول عنه « لا اظنه يطمع فى ان تعد قصصه من الاعمال الادبية التى يكتب لها البقاء ، ومع ذلك لا اقول انها استمرت بعد عمر طويل ، فستظل مرجع الباحثين ، لا لقيمتها الادبية الفنية ، بل باعتبارها سجلا صادقا لطبائع هذا الجيل حين يراد كتابة تاريخه فى مستقبل الايام » (١)

علاء الدين وحيد

---

(١) احسان عبد القدوس حوادث وخواطر — روز اليوسف ١٤ سبتمبر ١٩٥٩ .

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) يحيى حقى فى نقد الوسادة الخالية . الرسالة الجديدة . ديسمبر ١٩٥٥ .

هل للناقد أن يخوض فى خصوصيات الكاتب

بقلم : صبحى الجيار

طالعتنا مجلة « الادب » بنقد لكتابى الاخير « يستر عرضك » بقلم الثنائى الادبى « محسب والمندى » . وانى لأشكر للناقدين ما أسبغناه على شخصى ككاتب من عبارات التقدير والاعجاب . ولكنى آخا لفهما فى حكمهما على نقاط معينة لم تتفق فيها آراؤنا . واحب أن أوضح فى السطور القادمة ما قد يكون قد التبس على الثنائى الناقد من اختلاف فى وجهات النظر .

وسأتناول بالتعليق القصص التى تعرضا لها فقط فى نقدهما .

القصة الاولى « يستر عرضك » .. ولا اعتراض للثنائى على شىء فيها غير النهاية . اذ يتساءل الناقدان .. كيف ظل العاشق صامتا بليدا لا يقدم على الزواج من الفتاة التى يحبها ، وحملت منه سفاحا ؟

مع ان السبب واضح تماما ، وهو ان العاشق كان فقيرا معدما ، بدليل انه ظهر فى سياق الحوار ان العاشق لم يكن يملك سوى قروش قليلة ، عرضها على الطبيب كأجر .. وهو يتوسل اليه كى يجهضها ويستر عرضها .

ويدهشنى ان الثنائى يقول بالحرف : « ان الذى فهمناه من استعطافه للطبيب بانه لا يملك ثمن الاجهاض ، لا ثمن الزواج .. ! »

ولا أعتقد ان القارىء يحتاج الى عقلية اقتصادية فذة ليدرك ان تكاليف الزواج أبهظ من تكاليف الاجهاض . وبالتالى فان من لا يملك الثانية ، فهو بديهيا عاجز عن الاولى .

اذن فالعاشق فى القصة كان يحب البطلة ، ويتمنى ان يتزوجها ، ولكنه عاجز ماديا عن تحقيق امله . ولما جاءت فعلتهما الشائنة منذرة بالفضيحة كان هم البطل ان يؤجل الطبيب الفضيحة ، حتى يعطيه فرصة تدبير المال لاتمام الزواج الشرعى .

* * *

وفى القصة الثانية « ثم هدات العاصفة » يلجأ الثنائى الناقد الى مغالطة مكشوفة . أو لعل الامر التبس عليهما فلم يدركا مضمون فقرة معينة من هذه القصة .

اذ يقول الثنائى متهكما : « ولكننا نفاجأ فى الصباح بعودتها الى زوجها الذى افاق الى نفسه بعد ان تناول « قرصين اسبرين » ونحن قد نوافق المؤلف على ان « قرصين اسبرين » قد اعادا عقل الزوج المخمور الى راسه ، فذهب ليعيد زوجته .. »

وانى أؤكد للثنائى الادبى ان من يقرأ القصة بامعان يدرك ان الاسبرين كان لعلاج الصداع الذى ينتاب المخمور صباح اليوم التالى .. عادة ، أما تأثير الخمر نفسها فهو يزول تلقائيا مع الوقت بدون اسبرين .

اما الاعتراض الآخر على نفس القصة فهو دهشة الناقدين للتغير الذى طرا على نفسية الزوجة ، وازال من نفسها انحقد على زوجها الخائن .

السبب بسيط وواضح . وهو ان

الزوجة انتقمت فى تلك الليلة من زوجها ، واهدرت شرفه ، فاصبح هو المجنى عليه بعد ان كان جانيا .. فاستحق الرثاء لغفلته .

ومن المفهوم ايضا انى ككاتب لا احبذ ان ترد الزوجة خيانة زوجها بالمثل . ولكنى فقط سردت واقعا منطقيا كى احذر الازواج الخائنين من مثل هذا المصير .

فاحداث القصة تقول ـ فى غير وعظ وارشاد ـ ما معناه .. « هذه قصة بيت هدمته الخيانة .. فليكن عبرة لكم .. »

اظن انى بهذا الشرح قد جلوت الابهام الذى حير الثنائى الناقد . واعدهما بانى سأفكر فى توزيع نشرة توضيحية مع كتابى القادم لمن لايفنيهم التلميح عن التصريح !

* * *

وفى قصة « عذاب » يعترض الناقدان على عرض صورة لحياة « مبروكة » فى بيت امها ، ثم صورة اخرى لمبروكة فى بيت مخدومتها ، رغم اعتراف الناقدين بان « مبروكة » كانت حقا الخيط الذى يربط بين الصورتين »

ولا اعتقد انى محتاج بعد هذا الاعتراف الى مزيد من التاكيد بان بطلة القصة « مبروكة » كانت محور القصة ومتطورة مع احداثها المتتالية ، كما ان هناك خيطا آخر يربط الصورتين الكبيرتين « على حد تعبير الثنائى » وهذا الخيط هو « العذاب » نفسه الذى قاست منه البطلة فى بيت امها ، وكذلك فى بيت مخدومتها . فهو حدث مستمر متكرر بصور مختلفة .

* * *

ثم يعطينى الناقدان فرصة لالتقط انفاسى من الهجوم المتواصل عندما يعلنان رضاءهما التام عن قصة «كروديا» ويحللان اخداثها بفهم وادراك .

ولا تكاد الفرحة تستقر فى قلبى حتى يزعزعها تصريح الثنائى بان القصة التالية « انكرتابى » لا يمكن مجاراة المؤلف فى ادراجها تحت اسم « قصة » !! ثم يتفضلان مشكورين بتسميتها « .. حكاية .. لها ملامح القصة بلا جدال ، ولكنها خالية من عمق القصة القصيرة رغم ابعادها الفنية الصالحة لعرض مأساة مثل هذا الطالب »

ثم تقمص الثنائى شخصية الاستاذ الناصح ، وراحا يشرحان لى الطريقة الصحيحة لكتابة هذه القصة .. اقصد الحكاية ! ..

وما دام الثنائى الناقد يؤكد ان هذا الجزء من الكتاب الذى سميته انا قصة .. ليس الا « حكاية » او « مجرد تاريخ » كما جاء فى رواية اخرى ، فانى لا اجد مجالا للدفاع عن شىء لا يعترفان به اصلا . ولكنى اشكرهما على ما جاء بالمقال من نصائح غالية ! ..

* * *

اما قصة « ذات ليلة » فقد مر عليها الثنائى مر الكرام ، ولم يبديا الا اعتراضا هينا . ولكنى انا الذى اعترض بشدة على الملحوظة التى ابداها الناقدان عن العقدة الرئيسية للقصة ، اذ فهما خطأ « ان بطل القصة المصاب بالتسمم فى الصحراء ، وفى الوقت الذى كان يتارجح فيه بين الحياة والموت لم يكن يحرص على شىء الا على اجور العمال التى تركها فى الخيمة .. »

وهذا التعليق يؤكد ان الناقدين لم يدركا ـ من القراءة السطحية ـ الهدف الواضح من هذه القصة . وهو ما جاء

على لسان البطل فى وحدته بين الحياة والموت . وانا انقل هذه السطور من الكتاب :

« واحسست بالوحدة القاتلة تجثو على صدرى ككابوس ثقيل . وتمنيت فى تلك اللحظات العصيبة ان يكون لى شريك يملأ فراغ حياتى ، يؤنس وحشتى ، ويقوم على رعايتى .

وتصورت يدا ناعمة تمسح جبينى فى لبفة وحنان . وكلمات رقيقة تواسى محنتى ، وثغرا باسما يشيع الطمأنينة فى قلبى ، وعيونا ساهرة اذا ما رفعت اليها بصرى هتفت فى صمت .. انا معك .. الخ »

الى ان كتب البطل لابنه قائلا :

« وبدات افكر جديا فى الزواج بعد تلك الصفعة التى افاقنى بها القدر قبل فوات الاوان ، حيث اجد نفسى وحيدا فى قيود الشيخوخة . »

هذه هى العبرة التى كنت اهدف اليها من القصة . ولم تكن افكارى بوليسية ، حتى اجرى وراء المحفظة فى الخمية ! .

* * *

ثم يعترف الناقدان ان قصة « اصيلة يا ام فلفل » لا يستطيع المرء ان ينساها بسهولة ، ويضفيان عليها من التقدير ما لا أطمع فى مزيد عليه . كما اشكر اللفتة الكريمة من ناقد هذه القصة الذى نوه الى « القدرة الحوارية البديعة » التى جاءت بها .

والحقيقة انى لاحظت ابتداء من هذه القصة ان أسلوب النقد وحدته قد اتخذا طابعا معقولا . ولعل الثنائى قد تبادلا مركزيهما على مائدة النقد . وارجو الا يؤخذ كلامى هذا على محمل التهكم ، فليس من حقى ان اعترض على فكرة هذا الثنائى ، ولو انهما ارهقانى بمراعاة «الف الاثنين» طوال المقال. وكان الايسر ان اوجه حديثى الى فرد واحد !

ثم يمر الناقد المنصف على قصة «ندم» بالتحليل والشرح السليم الواعى. غير انه وصفها بالمثالية ، ولكنه لم يبين اين المثالية فى القصة ، وبالتالى لم يتح لى فرصة للرد على اعتراضه اليسير .

* * *

واخيرا فاننى وان اختلفت فى الراى مع الثنائى الادبى « محسب والمندى » فى بعض الآراء ، الا انى لا اخفى غبطتى وامتنانى لتقديرهما المشكور .

ولكنى اعتب عليهما بشدة ، او الوم — على الاقل — صاحب العبارة التى جاءت فى آخر المقال ، وفيها يقرر بثقة :

« .. كما نلحظ ان المراة عند صبحى الجيار ليست املا حرم منه هو لمرضه فقط .. بل كانت .. الخ .. »

ولست ادرى كيف تسنى للسيد الناقد ان يستنتج هذه النظرية ، التى لا ادرى لها مبررا الا جهل الناقد بطبيعة مرضى وحقيقته . !

وسواء كان استنتاجه الافتراضى صحيحا او خاطئا ، فانى اعتقد ان من اللياقة الا يخوض الناقد بقلمه فى حياة الكاتب الخاصة .

صبحى الجيار

دور الأمناء . . فى إعداد الصف الثانى من الأدباء

كل ما ابتغيه ان لاتؤخذ كلمتى هذه على انها (عينة) من صنوف (المركة) السائدة فى الوسط الادبى هذه الايام . . معركة تبادل التحايا وموفور الثناء ، المتفرعة اصلا من المبدأ المرذول (شيلنى واشيلك) ! ! . ويقوى حجتى ان الامناء ليسوا هم — فحسب — القائمين على اصدار « الادب » . . انما هم — الامناء — انت . . وهو . . وهى . . وانا . . وكل (الامناء) على شرف الكلمة ، وامانة الدعوة ، ونظافة الخطة . .

وينزه كلمتى عن اوضار المنحى الادبى السائد انه — فضلا عن ان (الامناء) ليسوا ، كذلك ، بحاجة الى قلم ضئيل كهذا الذى يسطر لك هذه الكلمات — سبق ان نشرت فى مجلة « العالم العربى » ، عدد ابريل ٦١ ص ٤٨ — ٤٩ من مقالى « موكب الادب » — اى فى منبر خارجى كما ترى ! — مصداقا لهذا الرأى الذى انا الآن بصدد اثباته لوجه الحق ، والحقيقة .

وضح لنا من منهاج « الادب » تشجيع (العمل) الفنى ذاته . . دون ادنى احتفال بـ (الاسم) المدون على ذلك العمل . . و (العمل) يتحدث عن نفسه ، ولا عبرة اطلاقا بما اذا كان لذلك (الاسم) من دوى ، او سكون ! . . والمتتبع المدقق لردود « الادب » على بعض من (وصلت) قصصهم اليها ، سيكتشف — اذا كان مخصرما غزير الاطلاع — ان (قصصا) او (قصائد) لم تنل لديها حظوة النشر . وانما تلقت المسهب المستفيض من لاذع النقد الموضوعى المخلص . . هذا البعض من الاعمال الفنية نشر قبلا فى مجلات اخرى ونشر محفوفا بـ (هالة) وضاءة من مزركشات العناوين ، ومنمقات الرسوم والتصاوير ، ومفننات الالوان والروتوغرافور !! وظن اصحابها — وانهم لمعذورون ! — انهم بقادرين على اعادة نشرها هنا — حيث الميزان (المتموغ !) . . والتقييم المضبوط — فاذا بالمجال الجديد ، وهو يعرفهم ، قد وضع جانبا اسماءهم ، ونظر — كما تعود — الى (اعمالهم) ، غير متأثر باضوائهم ولا بسابق (روتوغرافورهم !) واذا فى النهاية يصدر الحكم العادل بالرفض ذى الحيثيات) التى — بالطبع — قد لا تعجبهم . . وان حمدوا — فى قرارات انفسهم — للمجال الجاد الوقور ان (تستر) على (اسمائهم) !!

فـ (الادب) — اذن — يعنيها من القصة : هل هى (قصة) اولا ، أم لا ؟ . . وليس يعنيها فى شىء ان كاتبا معروفا — او شبه معروف — (تكرم) مثابا مشكورا فبعث اليها باحدى درره الغوالى ، دوجب — اذن النشر . . على العين والراس . . دونما اى بحث او فحص ! ! . . تعنيها (القصيدة) وليس (كاتب) القصيدة . . يعنيها (العمل الفنى) بصرف جماع النظر عن اى اعتبار خارج هذا النطاق الصارم المحمود ! . . ومن هنا تعرضت (الادب) فى شهور قريبة مضت الى هجوم متأدبين و(متقصصين !) ممن (نفخهم) الروتوغرافور . .

وعرهم البرواز المزركش بالكاريكاتير ، فراحوا ـ وقد ايسوا من أن يرق هذا الميزان المتزمت او يلين ـ يتقولون بأن الادب تعنى بالناشئين : ! .. وانعم بها من (تهمة ! !) تزيد (الادب) الى مفاخرها .. فخارا ! !

لقد بح صوت كاتب هذه السطور ، وهو يصرخ من فوق كل (منبر) متاح بان : نظرة يا سادة الى كائن كبير حى يعيش بينكم ، ويرنو من امل اليكم ، اسمه (الصف الثانى) من الادباء !.. انه انجيل التالى ، الذى له عليكم حق رعايته واعداده لكى يتسلم من ايديكم ـ بعد عمر طويل ـ امانة الرسالة .. ومشعل الصنعة !!

قلنا الف مرة : (مدد ! ! .. يا من بيدكم مقاليد الموازين ، وادوات النشر ، وامكانيات العون) .. وفرقوا ـ اصلحكم الله ـ بين الخامة الفنية ، والموهبة الفنية .. وبين الخضوع لمقتضيات صداقات شخصية .. او مجاملات ودية واخوية!!

وكانت الصرخات تذهب بددا .. ولا نستطيع القول بأن (الادب) قد استجابت .. لانها رسمت هذا ونفذته ، منذ أول اعدادها ، ولا تزال ماضية فى تنفيذه قدما الى (عددنا) هذا .. ! ! . و .. ومن هنا جاءتها الاتهامات المشرفة .. !!

ان القارىء عندنا لا يكاد يضع يده على مجلة او جريدة .. الا ويجد فيها (القصة) و (القصيدة) .. ولكن ـ وهنا المصيبة ! ـ تجد أن احد اساتذة الادب يجار من خلال ميكروفون (البرنامج الثانى) من كل الاذان بأنه غير معترف بمعظم ما تعبت فى (رصه) المطابع ، وتحملت وزره بيض الصحائف .. ! !

وفى مجلات كثيرة ـ واللهم لا انتقاد ! ـ نجد الذى تجابه به اعمال الادباء الجدد ما هو الا (تملص) وتخلص ، لا تحدوه النية الاكيدة ، ولا يرتكز على الاستعداد الصادق لنشر ما هو صالح للنشر ! .. بعكس ما هو حاصل هنا من تقييم متأن .. متئد .. وتشريح واع ، متمهل ، مثمر ..

ولكن لا يفوتنى هنا ان اومىء بالتقدير الى مجال آخر يسير على ذات النهج منذ ان تولى الناقد النزيه الاستاذ عباس خضر القسم الادبى بمجلة (الحياة) .

وبعد ذلك تستطيع ـ يا اخى القارىء ـ ان تتكل على الله وتبعث بقصة او مقال او قصيدة الى بعضهم .. وكن على ثقة بعدها ـ مهما كان فنك كاملا ، وعملك قيما ناضجا ـ من نزول اسمك الكريم ، عاريا وصريحا ، (بريد القراء) ، مشفوعا بالكليشيه الرهيب المعهود : (اسلوبك لا بأس به ، وننصحك بكثرة الاطلاع) ! ! !

ويا له من كليشيه سهل مريح ، رخيص التكاليف ... ! !

واوجز هنا ختاما للموضوع فاقول : .. ان على هذا الجيل المعاصر من كبار الادباء ، واولى امور النشر ، وذوى التقييم والتثمين ، مسئولية فادحة الاهمية والخطورة .. عليهم تجاه الصف الثانى من الادباء حقوق التمهيد .. والتعبيد .. وليس ـ كما هم الآن فاعلون ! ـ النأى والاعراض ، والتعقيد .. !!

محمد الخضرى عبد الحميد

* * *

قبر الغريب

لغيرك ليس ينقطع المزار ... وانت على اجتنابك لا تزار
يمر عليك من يجتاز مرا ... فلا نظر اليك ولا اعتبار
وتغمر غيرك الازهار حبا ... وليس عليك من زهر نثار
على جدرانك البكم التياعي ... وفي الآجر ذل وانكسار
اسفت وللجماد اسى وبشر ... كما للناس صفو واعتكار
ومن يدرى ؟ لعل فتاك راض ... وكان له بما تلقى الخيار
قضى متبتلا فشوى قريرا ... وللرحمات كالسيل انهمار
واسلف صالحا فالعفو تاج ... يكلل راسه ، والخلد دار
فظاهرك الذى يبدو انقباض ... وباطنك الذى يخفى ازدهار
وغيرك — رغم مظهره المعلى — ... لديه عند مخبره انهيار
يورقه عذاب سوف يصلى ... جهنمه ، وان طال انتظار
له فى القبر تانيب ممض ... يضيق به ، وبعد القبر نار
ومن يدرى ؟ لعل القبر ايضا ... يؤججه لهيب مستطار
فهل يسليه من اهليه ود ... وهل يشجيك صد وازورار
فلا يغررك مظهر من تراه ... اخا جذل ، فقد كشف الستار
يجافيك الانام وانت صنو ... لهم ، فعلاته هجرك والنفار
قد اعتذروا بانك اجنبى ... فشان اخا المروءة الاعتذار
لقد جحدوا لدى الانسان معنى ... تؤكده الكرامة والنجار
ـدع الدنيا ومن فيها ، وحدث ... افى اخراكمو حفظ الجوار
ابينكمو وئام مستطاب ... تزور مجاوريك كما تزار
وهل فى عالم الارواح حب ... يزول به التطاحن والشجار
فان تك لم تزر — والامر هذا — ... فلا غبن عليك ولا خسار
جفاك الناس فاعذر من تراهم ... فقد صدفوا عن الحسنى وجاروا
ومن يدرى ؟ لعل هناك اهلا ... تعذبهم ، وقد شط المزار
لقد جهلوا مكانك حيث تغفو ... فليس لهم على الدنيا قرار
فخطوا فى جوانحهم ضريحا ... وراحوا يحملونك حيث ساروا
اجل والله قد لطمت خدود ... مجرحة ، وقد شق الازار
وشر مصيبة للاهل ثاو ... تباعده المهامه والقفار
اذا جن الظلام بكوا حنينا ... ولا يسلون ان طلع النهار
يقينا انت تعرف كيف صاروا ... وتعلم ان عيشهم دمار
فان هجر الانام حماك فاذكر ... مصابهمو ففى ذاك اصطبار

محمد رجب البيومى

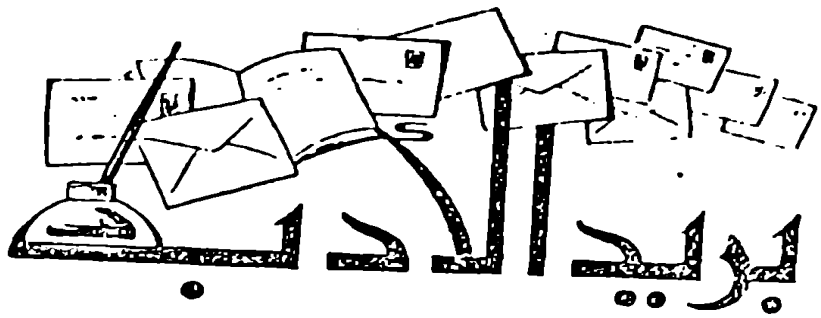

بقلم و. تدريب

حفرة النار

ومعذرة أيها القارىء عن هذا العنوان اللافح ، يرسل فى الصيف اللاهب ، لان التعبير ليس لى ، ولا هو تعبير اليوم ، بل هو لغيرى ، وهو تعبير يباغ من العمر قرونا ، وهو تعبير قصد منه الارهاب ، بل الارهاب الشديد ، لانه مقول فى سياق خلقى اجتماعى ، من وصف للمسئولية الكبرى ، التى يتعرض لها من يتحدث عن الناس ، ويقدر سلوك الناس ..

والى هنا أشعر أن القارىء قد أدرك أن هذا الحديث عن أعراض الناس وحرماتهم التى تصونها الاخلاق ، ويحميها القانون ... الا بحق .. وماذا عسى أن يكون هذا الحق الذى تذال من أجله حرمة العرض ، وتذاع الشئون الخاصة ، من حياة الناس ؟ .. أقرب ما يذكرك به هو :

النقد : وهو هجيرى « الادب » التى لا تمل ذكرها ، ولا تسأم الحديث عنها .

وقد اتفق أن يكون هذا العدد من « الادب » فى اكثر من موضوع فيه ، قد مس هذه المسألة مساسا حادا حساسا ، اذ صدر بمقال « من الفن والحياة » عن واجبنا — فى النقد ، بين الاخلاق والقانون ، وكانت مناسبته هى الحكم فى قضية الفنان سيد درويش ، وهل يتحدث الناقدون ، عن خصوصياته ويذيعون على الناس منها ما يعتبره ابنه اليوم غضا من كرامته ، ومسيئا لسمعته ؟؟ — ويرى القارىء فى حيثيات حكم القضاء الاخير أن من حق التاريخ على أمثال هؤلاء الرجال أن يقول كلمته فيهم .. كما يرى أن التشريع الاسلامى الذى اجتمع فيه العنصر الخلقى والعنصر العلمى جميعا قد عد هذا الخوض فى تقدير الناس بالجرح والتعديل عملا اجتماعيا ضروريا ، يجب أن يكون فى المجتمع من يقوم به ، والا لحق الاثم جميع افراده ... وبلغ الامر الى أن يعد القيام بهذا الفرض الكفائى افضل من القيام بالفروض العينية من العبادات وقواعد الدين ...

ثم يتجدد التعرض لهذه الناحية فى كلمة الاديب السيد صبحى الجيار التى يرد فيها على ناقدى مجموعة «يستر عرضك» ، فيناقشهم مناقشة تفصيلية ، فيما عرضوا

له من قصصها قصة قصة ، ولكنه ـ فيما يبدو ـ يهتم اكبر الاهتمام باشارة قصيرة.

ـ هل للناقد أن يخوض فى خصوصيات الكاتب ؟ .. فيذكرنا اهتمامه بهذا المعنى فى نقد الناقدين ، فيختم مناقشته لهم ببضعة أسطر ليست أكثر مما كتبه فى مناقشته قولهم عن قصة ، الا انه يجعل عنوان كلمته كما يراها القارىء فى غير هذا المكان هو :

أكثر مما اهتم بأى تعرض صائب أو خاطىء لمجموعته بالعود الى الحديث فى هذا الجانب الذى صدر عدد ((الادب)) يقول فيه مفصل ..

ولقد يكون فى التعرض لخصوصيات الكتاب الذين يعيشون بيننا شىء من مضايقة لهم ، وثقل على انفسهم كما يكون فى تعرض الناقد المتعرض للخصوصيات حرج يحد من حريته فى هذا التعرض ، وينتهى بقلمه الى ضرب من الكبت الخانق ، ان كان الناقد لا يجد الجرأة الكافية لهذا ، أو ينتهى بقلمه الى نوع من الاقذاع ان كان الناقد طويل اللسان .. وفى كل حال سيتأثر بما يكون بين المتعاصرين دائما ، من صلة ايجابية محابية تكبت القلم أو توقفه ، أو تنحرف به .. أو ما يكون بينهما من صلة سلبية متحاملة ، يجمح بها القلم ، ويتطرف ، فيسرف .. وتلك عقبات وصعوبات ، لا يخلو الامر من بعضها ، أو منها كلها ، حينما يكون تعرض الناقد لخصوصيات كاتب معاصر .. ويرحم الله من قال من أشياخنا : المعاصرة صعبة يا أبلى .. ولكن هل تحول هذه الصعوبات أو أكثر منها ، دون البت فى المبدأ ، والانتهاء الى رأى قاطع فى تعرض الناقد لخصوصيات الكاتب ؟ ..

للاجابة عن هذا السؤال تذكرت هذا العنوان ((حفرة النار)) . والتعبير قديم ، سار فى مجتمع لعله لم كن يشعر بما نشعر به ، من حق الحرية الفردية ، والحرية الاجتماعية ، وأثر تلك الحرية فى الحياة ، ولا سيما الحياة الفنية ، التى لا تزكو أبدا الا بالحرية .. ولكن هذا المجتمع بخلقيته الدينية قد قال ما قال من فرض الجرح والتعديل ، على ما سنقف ببيانه ، فى حديث الفن والحياة .. وكان من قوله السائر : اعراض الناس حفرة من حفر النار ، لكن يوقف عليها فى الشهادة والرواية ، وكذلك جعلوا الشهادة التى تؤدى اثباتا لحقوق الافراد ، كالرواية الدينية ، التى تعتبر شهادة على الرسول ـ ص ـ تؤدى الى اثبات حقوق الله ، وهى فى فهمهم وتعبيرهم نظير حقوق المجتمع ، فى التعبير الحديث الآن .

وكان من نظامهم أن يطلبوا فى القضاء التزكية للشاهد ، لتكون شهادته قاطعة للحق ، كافية للحكم ، ومن هذه التزكية ما يكون سريا ، يؤدى فى غيبة الشاهد ، ومنها ما يكون علينا فى مواجهة الشاهد .. وحسبنا من منهجهم فى الشهادة والرواية هذه الكلمة السائرة ، المعبرة فى قوة وجلاء عن مدى ما يستطيع الانسان أن يمسه من تقدير لسلوك الناس وأخلاقهم ، بل قل مدى ما يجب أن يفعله الانسان تقديرا لسلوك الناس ، وجهرا بتقويمهم تقويما تثبت به عدالتهم ، أو يعلن به عدم عدالتهم ..

هذه العبارة الواضحة القوية قد تصلح اليوم ـ فى تقديرى ـ اساسا للاجابة عن السؤال الذى وصل بنا الحديث اليه : الى أى حد يتعرض الناقد لخصوصيات الكاتب ؟ .. فهى تشير ولا شك بما وضعت من حفر النـــار فى الطريق : الى حرمة الاعراض ، وشخصية الخصوصيات الانسانية ، وان خوضها وقوف على حفرة من حفر النار .. لكنها فى الوقت نفسه تدل على ان خوض هذه النار واجب صونا لحرمة الحقوق الفردية والاجتماعية ، فلمثل ذلك يوقف على حفرة النار .

فهل يوافقنا السيد الاديب صبحى الجيار على أن خوض هذه النار واجب فى سبيل النقد ، الذى هو واجب علينا ، حماية للحق ، وتطهيرا للفن ، وصونا لعافيـــة المجتمع ، الذى يتلقى الفن المنقود ، والعلم المنقود ؟.. لئن وافقنا السيد الجيار فيما نرجو ـ فانا لنقدر ان هذا الطلب المفروض علينا يحمل فى صميمه كل احتياط مرجو ، عند ما تمس تلك الشخصيات .. نعم .. فانها لا تمس الا لحماية حقيقـة ، وما دام الفن وصاحبه يتبادلان التنوير والابانة ، فلا يفهم الفن الا باضواء على شخصية صاحبه ، ولا تتجلى شخصية الفنان الا باضواء من فنه ـ على ما هو مبين فى المنهج الادبى ـ .. ما دام الامر ليس الا كذلك فقد اصبح التعرض لشخصية المتفنن حماية لحق كبير ، فى المجال الفنى ، ومن هنا حل فيه خوض النار ، والوقوف على حفرة النار ..

ولن يكون التعرض لشخصيات صاحب الفن اذن الا فى صـــورة موضوعية ، وباسلوب نفسى تجريبى يؤدى الى كشف المؤثرات على الفن ، والموجهات للفن .. وليس من ذلك فى شىء ما يعرض له بعض الناس ـ ولا سيما فى بعض الصحف من الخوض الهاجى ، المشهر ، القاذف ، الذى ليس من البحث فى شىء ، وليس له من الادب حظ ، بل هو لا يعرف الصدق والامانة ، فيما يعرض له ، فضـــلا عن أن يعرف كيف يكون العرض الكريم لهذه الخصوصيات عرضا شهما ، نبيل الحس ، عفيف اللفظ ، مرهف الذوق ، تجرحه خطرات النسيم ، ويدميه لمس الحرير ، كما قال الاول .

والموقف ـ على ما نرى ـ دقيق ، يعز فيه الفهم الصحيح لاعتبـارات البحث ، الذى يحس بوجوب معرفة عناصر الشخصية التى صدر عنها الفن .. كما يصعب فيه العرض الذى يحدوه الذوق الفنى ، الذى يجد وقع اللون ، ودفع الضـــوء ، وهمس النسيم ... ولكن لا حيلة فى الامر ، فواجب على التاريخ ، وواجب للحق .. وواجب للنقد ، ان نقول الكلمة المحللة ، المفسرة ، المعللة المبينـــة ، التى لا بد منها لفهم الفن .. ونقده ..

ولعل هذه الدقة والحساسية التى اشرنا اليها كثيرا فى هذا المقام لا يجليها الا المثل والتطبيق لا الوصف والتعبير .. وقد تكون قضية السيد الاديب صبحى الجيار ، مع للثنائى الادبى فرصة لهذا التمثيل المبين .. ولعل الجميع يقدرون ما فى تعرضى لهـذه القضية بينهم ، من حق للنقد فى خوضها ، ولو كره طرف منهم ان تكثر الاشارة اليها ، او احس طرف ان فى القول شيئا من لوم له ، او تعرض لذوقه .. فالذى يبـدو ان

للثنائى الناقد ان يمس خصوصيات الكاتب ، ما دام ذلك واجبا لفهم عوامل مؤثرة فى انتاجه الادبى ، وهى عوامل لا يصح النقد الا اذا وضحت للناقد .. ولكن الثنائى ـ فيما يبدو ـ كان غليظ العبارة ، جاف الاداء ، قد فاته بعض ما أشار اليه السيد/ الجيار ، من معرفة صحيحة لطبيعة ظروفه الخاصة ، وحقيقة تلك الظروف ـ وهذا العذر هو الذى يسوغ للسيد الجيار أن يقول أخيرا : ((.. فانى اعتقد أن من اللياقة الا يخوض الناقد بقلمه فى حياة الكاتب الخاصة)) .. لان الخوض ـ فى تقديرى ـ قد اعوزته الدقة الفاهمة لطبيعة الحال الخاصة .. واعوزه شىء ـ قد يكون غير قليل ـ من لباقة العرض ، والترجمة عن الدوافع البعيدة العميقة ، التى دعت الى التعرض لهذه الخصوصيات ... فانها حفرة النار التى يقف عليها المتعرض للخصوصيات .. وللقراء بعد ذلك ما يشاءون من معاودة الحديث عن حق الناقد فى التعرض لخصوصيات الكاتب ..؟؟ ((والادب)) لا تمتنع عن نشر ما يقال فى هذا .

الناشئون ... والهدف المنشود

الناشئون هم ((الصف الثانى)) ،كما يجد القارىء هذه التسمية ، فى الاصداء الادبية من هذا العدد .. ((والادب)) معروفة المسلك ، مع هذا الصف ، قوية العواطف نحوهم ، مهما يكن فى هذا السبيل من نقد ، أو تعييب .. وما بها حاجة الى تاكيد شىء من ذلك ، أو الحديث عنه بجديد . ولكنها مناسبة دعت الى هذه الكلمة ، اذ جاءت فى بريد ((الادب)) نشرة مطبوعة عنوانها : نداء الى الناشىء .. الهدف المنشود ، يدعو فيها واحد من هذا الصف الثانى اخوانه الى عملين :

أحدهما تكوين اتحاد للناشئين .

والثانى : اصدار مجلة لهم ولآرائهم . .وبموقف ((الادب)) المستقر ، من هؤلاء الناشئين اتحدث الى الداعى واخوانه حديثا عطوفا حانيا ، ومهما يكن فيه من شىء اختلف معهم فيه فان حسن النية مبعثه ، والعطف القلبى يثيره .. فليكن لكم أيها الاخوة والابناء ما تشاءون من اتحاد وتجمع وتكتل ، فكل تعاون للشباب بحسن وجميل ، بل كل تعاون لاى جيل وفئة محبوب مفيد .. وعند ما تلتقون وتتفاهمون ، وتقدرون قوتكم ، وتختبرون طاقتكم يكون لكم بعد ذلك من العمل ما يكون ، على هدى من الواقع المدروس ، والفهم الصحيح ، والتقدير الدقيق .

ولعلى لا أسبق الاحداث فاشير عليكم بشىء فيما تدعون اليه من انشاء مجلة ، أو غيرها .. ولشد ما اتمنى لكم أن تكون تلك المجلة كما نعتها داعيكم ((المجلة الخالدة)) .. واحبب الى أن تحطم مجلتكم الاسطورة القديمة ، التى تجعل المشهورين هم اصحاب النفوذ .. فانى لاعيش الساعة وانا اقرأ نشرتكم ثم عالم من الذكريات يرجع الى عقود من السنين ، حين كتبت اذ ذاك أول ما كتبت للصحافة مقالات بعنوان : المشهورون والعظماء .. أين فيها الفرق الكبير ، بين الشهرة والعظمة ، وانهما شيئان يختلفان .. ولكن لا عجب فى أن يكون المشهورون هم أصحاب النفوذ .. فاحسنوا التقدير ليصح ويقوى أساس كل بناء لكم وانشاء .

وليست النصيحة الواعظة ، ولا الارشاد الخطابى ، بل هى التجربة المخلصة لكم ايها الشباب . الا تبدءوا بدءا غير صحيح ولا دقيق ، فيقول داعيكم فى توقيع نشرته اليكم : اخوكم .. فلان .. الصحفى ، الشاعر ، الناثر .. فانه لاستعجال خاطف ، لا احسب ان فيه خيرا ، وليس هذا ما يقوله قائل عن نفسه ، وان يكن مما يامل طامح فى نفسه .

واخرى اختتم بها حديثى هذا المحب لخيركم ، وهى : ان الشقة بعيدة ، والمطلب جليل ، لا يبتغى الا بما كررت المشورة به فى هذ البريد لكم : وهو الفلاب .. والجهاد .. او كما قال القائلون : العرق والدم .. وليس بالكثير عندى ان انبه الى ان نشرتكم هذه تحمل ادلة قوية على الحاجة الشديدة ، الى كثير من العرق .. وكثير من الدم قبل البدء بشىء .. ولا استشهد لذلك ، لانى رغم كل شىء واثق بالشباب ، وهم بحكم الحياة أصحاب الغد .. وما أكثر ما نحب لكم ان يكون غدكم وان تكونوا لغدكم قوة حقة ، وأحياء لكم حق الحياة ، بجدارة ، بارئة من الادعاء .. والى الامام : يا اصحاب الغد .. وقلوبنا معكم ايها الناشئون ..

والى الرسائل من : الشعر

وارانى مضطر الى ان اضع :

خارج النقد

ما عنوانه : أنا الحياة .. لانه شىء لا يستقيم له نظم ، ولا يصح فيه تعبير ، ولا يتماسك معنى ، وحسبك من امثلة ذلك مثل قوله :

تلك طبيعة النفاق وشر حقود
عقيدة الناس بتلك الازمان
واذا نظرت لقبس بالدجى
لرأيت العجاب بهذا الانسان

وقوله :

فالمجد ليس المال وجمعه
بل المجد ان تعشق العرفانى ..!!

وفى سبيل الله ما يضيع من وقت ، وورق ، ومداد .. !!

واوسد الى جانبها ما يسمى :

((عد لى يا حبيبى)) فى اخطائها المتطرفة كقوله : وانت تنيىء عنا (اى تنأى) ؛ وقوله : وانشقها الزهر عبور (اى عبيرا) ، وما يوشيها من اخطاء فى الرسم وغيره . ولا وزن .. ولا نثر مهذب الجوانب .. وعند صاحبها قطع اخرى .. ولا حاجة لشغل البريد بها الان ..

وصلت

((سبحات الخيال)) وهى سبحات مبددة ، لا تجمعها وحدة غرض ، فهى عاطفية ، ثم هى حماسية ، وحينا اجتماعية .. الخ .. وفى نسجها خيوط فنية ، قد تصنع مع الزمن شيئا ، لو تلطف صاحبها فى تذوق عباراته فلم يقل

مثل : تمشيت مستعطفا زهرتى .. وقوله : فم زعاليها ترانى هشيما . وقوله تهزا مما يسمى الخطوب .. الى اشباه لذلك من عبارات ادبية ، مع صور بيانية مهزوزة مثل :

فهيا نخلد ذكر الربيع
يسبح فيه اله الندى

ولا داعى للاكثار على القراء .. وننتظر السلم منها لنجد دورها فى النشر .

* ووصلت « **من وحى فلسطين** » لسيد طال حديثنا معه ، وعنه ، ونشرت له الادب ، شيئا من النثر ، لكن هذه لا تزال اقرب الى افق اخواتها ، اللائى لم ينشرن .. اذ يعوزها التعبير الدقيق لغويا ، كقوله : « **ناعق العصفور** » .. الى صور بيانية مفتعلة ، تعوزها خفة الظل ، وانتعاش الروح ، وانه للشىء الذى ليس فى الكتب ، وقد طالت مناقشة « الادب » لصاحب هذه الصور فى العدد الماضى حتى ما بقى مع ذلك مجال لمعاودة مناقشته ..

* ووصلت « **بقيـة من ذكريات** »

و « **اغنيتان للحب : اشواق ، ورسالة ضارعة** » وكلها لسيد نشرت له « **الادب** » لمحات عن شعر اديب غربى .. وطابعها جميعا يبدو فيه جو شعرى ، لاباس به ، ويرجى غده ، كما ان فيها كلها عبارات قلق بها موضعها ، كقوله : اعزف للحياة تعبير ملحمة جديدة ، ولعل للسيد انسابا لعبير فهو يستاع كثيرا ، ويقول : اولا عبير من ضياء الامس يفترش الظلام .. فللملحمة عنده عبير .. وللضياء عبير .. والعبير يفترش الظلام .. وعلى جبينها الف رؤيا من عبير الشمس .. ولامر ما يدون ذلك كله !! .. ومع ذلك الفاظ لا يسلم استعمالها مثل : حسب السنين بانها .. فالى غير هذه ...

* ووصلت « **جنازة امل** » و « **قبر الغريب** » و « **ياليل** » .. وهى تنتظر دورها فى النشر

النثر :

* وصلت « **البديع فى الامثال الشعبية** » وهى كلمة قصيرة ذهبت بغير قليل منها مقدمة عن البديع فى اللغة الفصيحة وغلبته ، واثره ، كما ذهبت ببعضها فى الاخر كلمة عن النكتة ومشابهتها المثل ، من حيث معرفة اثر ظروفها ، فى اضحاكها .. والكلمة بعد كل هذا قريبة الغور .. بل قريبته جدا ، لا شىء فيها من العرق .. ومثل هذا مما لا تخف « الادب » لشغل الصفحات !!

* ووصلت « **الضياع** » من القول المنثور : الذى يعوزه الاسلوب الادبى ، وتقرأ فيه مثل قوله « اناقوة فطرية تشكلها احساسات طبيعية » وقوله « انا احدى الخلايا تنقسم فى جسد الوجود ، فعندما جرح جسد الوجود .. الخ ، فاذا ما عرفت اين تضع هذا الكلام من فنون القول عرفت اغراض صاحبها مما يقول .. وحتى يستبين ذلك كله يتاخر النشر .. !!

* ووصلت قصة « **ياخبر كان** » لسيد نشرت له « الادب » قبل الان ، وهى لمحة اجتماعية صالحة ، تشعر بفرق ما بين الاجيال ، على تطور الزمن ، وان ما كان

يلقاه جيل بالاستسلام ، ويخفى عليه سبيل التخلص من نشره يبدو للجيل الذى بعده واضح الخطا ، ويتهيا له سبيل القضاء عليه ، لكن الاسلوب وعظى خطابى ، والحادث غير معبر التعبير الذى تقوم به القصة ، وفى الاسلوب — على فصاحته — هنات ، من الخير الا توجد ، وبكل هذا وما اليه لا تقتحم القصة طريقها الى النشر ..

* ووصلت « موظف » لصاحب السابقة ، وقد تبدد مجالها ، وفقدت عالم القصة القصيرة ، اذ تساير فيها جوان ، لكل جو حوادثه ، واحد جو عائلة بعد عنها عائلها ، وامضه التنقل من اقصى الغرب فى مصر الى اقصى الصعيد ، وشغله ذلك عن الوفاء بحقوق الاب والام والاخوات فى الموسم .. الخ .. والعالم الثانى عالم الصعيد وثاره وتسلسل الدماء فيه بالثار ، واستحلال كل شىء من اجله ، والاطمئنان الى ان قتل الثار لا يمس تدين القاتل وتدبيرات ذلك ، وتتابع حوادثه ، حتى يبدو الفرق بين موظف فيه خفيف .. وتابع قتال .. ومن هنا ضاعت الوحدة واتسع المجال سعة مسرفة ، فتبدد جهد الكاتب ، وتاهت معالم الصورة ، وضاعت ملامح القصة القصيرة — ومع ذلك كله قصور ما فى الاسلوب ، يحول دون وفائه فى صوره البيانية ، وسلامة تعبيره عما يريد الكاتب ان يقول .. وتخمش وجه الاسلوب مع ذلك غلطات نحوية ، او شوهات فى الرسم تسقط ظلالها على الصورة التى رسمها الكاتب فى مخيلة قارئه ، فتسىء الى تناسقها ووضاءتها . وهكذا تدفع اليد بها الى غير ملف النشر ..

* ووصلت « صدمة غرام » لسيد نشرت له « الادب » كذلك ، واشارت انى مرونة فى اسلوبه ، وحركة حية .. ولكن هذه القصة العاطفية ، وصدمتها الغرامية لا تاخذ مجرى حيويا ترسمه تجربة شعور تحرك قلما ، بل هى الى الافتعال ادنى .. و لانشغل القارىء بتفصيلها او تلخيصها .. وانما اقف عند ظاهرة من التسرع فى الحب ، والتسرع فى التصرف ، تخرج فى اصلها عن الشعور العاطفى ، والعادة الغرامية .. — ان صح هذا التعبير — لتنتهى الى اغراب متكلف ...

فى القصة حب من نظرة غير مباشرة .. نظرة انعكاس فى المرآة ، .. وهب هذا يكون . . فانه بعد ذلك قد كان هجر تانه السبب ليكون عقدة القصة ، فتلاه هجران الخى وعزال تشيل الحمام ، فهل يموت الحب الاول مباغتة ، ولانه كان لاول مصادفة .. وهب هذا يكون فلاى سبب يحتفظ هذا المحب بالمجلة المصورة التى لمستها يد المحبوبة من اول نظرة ، ويحتفظ بها خمسة عشر عاما ، ولا يحتفظ بصورة الجمال الآسر ، الذى اغرقته القصة فى وصفه ، اشهرا بعدد السنين التى احتفظ فيها بالمجلة التى لمستها الفاتنة !!! ولو احتفظت النفس ببعض هذا التاثر لعرفت سر الهجر المفاجىء ، ولم تجره الاحداث هذا المجرى الغريب ، وهو انها كتبت على المجلة المصورة التى طلبتها بمرسال ، تسأله هل تحبنى ؟ اذا لم تجب على مجلة مما ترسله . فهمت الحقيقة .. هذا الذى رسم القصاص ، فى غير تماسك ولا اتزان ، فالنظرات ، والبسمات ، والحركات المتقاربة المتقابلة

لم تدل على عاطفة ، وغريزة الانثى اباحت لها ان تسال كتابة : هل تحبنى ؟ ولما لم يحب على هامش صفحة المجلة مما طلبته هى لتقراه فهمت الحقيقة ، واختفت من النافذة ! ! لا . .لا .. ليست هذه تجربة . .ولا تلك عاطفة .. ولا هاتيك فطرة .. ولا انوثة . . ولا صنعة مسبوكة .. وليس فى الامر صدمة غرامية .. ولكنها .. فى الحق ـ صدمة فن .. دفعت الى هذه الاطالة فى نقد ما لم يعرف القارىء منه صورة تحمله على قراءة هذا كله . فمعذرة ، وما البريد الا بابهم الخاص ، ينتزعون صفحاته من « الادب » فتدعها لهم فى سخاء ، وفاء بتطلع جنود الصف الثانى .. الى التقدم للامام ..

* ووصلت «**اطار الذهب**» مكتوبة بالشعر المرسل .. ويسال صاحبها ـ اعزه الله ـ هل ارى ما يراه اولا ؟ وقد كتبت القصة شعرا تقليديا فلم لا تكتب نثرا مرسلا ، كما فعل السيد صاحب «اطار الذهب» فليس فى امر مجال لاختلاف رأى فى هذا الاسلوب ، ولكنما القول فى المضمون ، ومجال القول فى خطوط صغرى من الصورة كمجاله فى الخطوط الكبرى والعريضة ... فمن هذه الخطوط مثلا ان السيد يقول غير مرة : انه يكتب فى الترام !! فهل صار ترامنا مريحا الى هذه الدرجة حتى يستطيع الكاتب ان يكتب فيه ! ! لقد سمعناهم يقولون فى وصف المريح من المواصلات : انك تشرب فيه فنجان القهوة ولاينكب .. وهى على مبالغتها اقرب من ان يكتب الكاتب فى الترام ، ويحل مشكلاته فى الترام ، بعد اقامة الحدود على مشكلاته هذه ، فى الترام نفسه ، وامضاء السويعات فى خفة ، مع ترامه الصديق ، كما يقول ..! ! والدنيا اذواق .. وهو مزاج غير مألوف على الاقل ..

وندع هذه الخطوط لننظر فى معالم الصورة وخطوطها الكبرى فاذاهى ليست الا حكاية كل يوم : فاطار الذهب هو القيد الذى قيد به عجوز قبيح انشخير فتاة جميلة ، طلبها هذا الشاب فحالت السادسة ـ يعنى الدرجة المالية ـ بينه وبينها ، لان اباها يرى الا تشتغل بعد الزواج ، مع انها تشتغل قبله .. وتنتهى الحكاية عند هذا ، بصدمة غريبة ، هى ان الفتى يلقى الشيخ الهرم فى الترام (الصديق) ايضا ، فقد سمع شخيره القبيح ، وتنفسه الشاذ ، وفى الترام ايضا راى صورة فتاته مع الشيخ الهرم داخل اطار الذهب ...

واختيار الترام مسرحا لحوادث قصة ليس غريبا ، الا حين يكون فى مثل هذه الصدفة المفتعلة .. !!

وعلى كل حال فان هذا الاطار الجديد ، من النثر المرسل ، او الشعر المنثور الذى كتب به السيد قصته القصيرة .. هذا الاطار قد انتظم مضمونا ليس له طرافة هذا الاطار الذهبى .. ولا جدة الكتابة بأسلوب الشعر المرسل ... .

ونرجو ان يوائم المضمون الاطار .. فيكتمل العمل الفنى مع الرغبة فى التجديد .. واذ ذاك ـ فقط ـ يكون النثر .

* ووصلت « **نداء الاعماق** » وفيها من الاخطاء غير قليل ، ينبغى اللفت اليه ،

ما يبدو من حرص صاحبها ، على ان يدون شيئا ، فهو يقول مثلا : كلما طرقت كلما ازدادت ، وتكرار كلما خطأ .. وهو يقول : العشرة قروش ، واصح ما يقال : عشرة القروش ، وهو يؤنث الشذى وليس كذلك ، وهو يقول : حسبك تعلم ، والصحيح «ان تعلم» وهو يقول : خمسة عشرة قرشا ، وهى خمسة عشر ، ومن الكثير على مثله ان يكتب الزكريات — بالزاى — واخطاء الاعراب اوضح من ان اقف عندها .. ولعله — كما قلت له غير مرة — يصلح من امره بالرياضة الايجابية قبل ان يكتب . .ونداء الاعماق اهون من هذا العنوان ، فهو تردد عادى من ريفى ، يعيش فى بيئة تشيع فيها الجريمة فاذا ما تردد عن اخذ الذرة ، بعد ما خاض اكوازه فليست هذه قصة ! !

* ووصلت « **الصاحى** » وخطها الردىء يهيىء للكثير من الخطأ ، فى قراءتها ، فوق ما بها من اخطاء مكررة ، مثل : وبريق العين — سوى عينان — واجابه صوت باكى ، ويحتج ذى الصوت !! ومثل : تتوسله الستر ! ! وتبدوان ثم تجوسا !! وهى بعد ذلك صورة لحريق فى قرية ، لا يسعفها وابور المطافى — ويرتبك اهلها فى اطفاء الحريق .. وقد يكون فى هذه الصورة من الدقة واليقظة ما يلفت النظر ، لكنها ليست قصة ، رغم موقف الصاحى فيها .

* ووصلت « **بلا امل** » وتفجؤك منها الاخطاء الآتية : يرونه ضاحك باسم .. حقيقة كونه اديب !! ، كل نفيس وغالى ، ولم يوافق اباه ابدا ، وصاحبها فى الطب ، ولذا قرانا له فعل « تجرثم الميكروب » وهو اشتقاق غريب نوعا ما علينا كما يبدو ان السيد لم يانس الى الافق الا ، ليربى انسانا فى فن النشر كما يسميه قصة !

* ومما وصل « **قصة خطاب** » وهى حكاية اخبار شاب خطب له اهله وهو غلام ، على العادة ، وخطبه جيران على العادة كذلك ، ولم يتزوج هذه ولا تلك .. وليس فى الامر قصة ، ولا ترتبط الحكاية بخطاب ، الا ان خير زواج ابنة الخالة التى كانت مخطوبة ايام التلمذة فدجعله صاحبنا مذكرا بحكاية هذه الخطبات ، فى افتعال واصطناع ، لا مكان له .

واسلوب صاحب هذا الكلام بعيد عن حس اللغة ، وذوق التعبير ، ملىء بالاخطاء حتى ، ما يرجى من اللفت اليها فائدة له ، او جدوى عليه ، لانه يحتاج الى الكثير من القراءة المبتداة التى تدنيه من العبارة العربية ، ولو انصفته اوضعت ورقاته خارج النقد ...

ومن البريد بقية بل بقايا كثيرة بات معها اللحاق بما يرسل غير مستطاع ، فلعل السادة اصحاب الرسائل يقدرون هذا الواقع ، ويقبلون اثر هذه الكثرة المسرفة ، فى التاخير ، مع ما يستاثر به هذا الباب من كثير صفحات المجلة .. وطالما قلت : اننا لو سايرنا الرسائل لنرد عليها فى شهرها لصارت « الادب » كلها بريدا ..

* * *

الأدب

فنية . شهرية

يصدرها الآداب

الإدارة: مصر الجديدة . العجم ١٣
ت ٦١٧٥٠

***

الرسائل الفنية والمالية
ترسل باسم

أمين الخولي

رئيس التحرير

***

الرسائل الادارية
ترسل باسم

محمد جابر عبد العال

مدير الادارة

***

الاشتراك
عن سنة بالبريد العادي
الجمهورية العربية ٥٠ قرشا
الخارج ..... ٨٠ قرشا
أو ما يعادلها
ثمن العدد ٥ قروش

***

البريد الجوي
والمسجل بحسابه

تصدر في اليوم السابع من كل شهر

فهرس

العدد الرابع ـ السنة السادسة
يوليو ١٩٦١

١٩٥ ـ امارة الشعر .. اليوم
عن الامناء

١٩٨ ـ تاريخنا الاسلامي .. متى يصح
له منهج
امين الخولي

٢٠٢ ـ الاخطاء في تدريس النحو
العربي ـ ٢ ـ
يعقوب عبد النبي

٢١١ ـ الشرق الادني في الادب الفرنسي
بقلم : حسين النوتي
ترجمة : احمد عبده عبد اللطيف

٢٠١ ـ الطريق ..
شعر : ابراهيم حماد

٢١٧ ـ يا اخي الابيض
شعر : محمد مصطفى الشريف

٢١٩ ـ جنازة امل
شعر : عبد الحفيظ صقر

٢٢١ ـ الى شمعتي
شعر : ابراهيم حافظ

٢٣٠ ـ العروبة والوحدة
شعر : على حسن العزب

٢٢٢ ـ الاسى
قصة : تشيكوف
ترجمة : انيس توفيق

٢٢٦ ـ المأوى
قصة : مصطفى الاسمر

٢٣١ ـ آدمي ! !
قصة : عمر الراكشي

٢٣٣ ـ تحقيق النصوص * * *

٢٣٦ ـ الانسان : في شعر دعبيس .
حامد الاطمس

٢٤١ ـ المغزى القصصي عند نجيب
محفوظ
عزت ابراهيم

١٤٣ ـ الناقد وخصوصيات الكاتب
محمد عبد الهادي محمود

٢٤٦ ـ غرفة على السطح
نقد : ماهر شفيق فريد

٢٥٠ ـ بريد الادب :
وزارة الثقافة .. والقراءة ـ ٢٥٠
وازمة المطبعة ـ ٢٥٢
الشعر ـ ٢٥٢ ـ النثر ٢٥٥

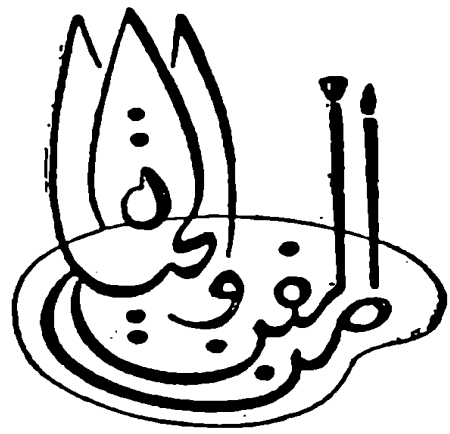

إمارة الشعر اليوم

معان و تجارب

اقيم فى بيروت مهرجان لتكريم الشاعر بشارة الخورى ، الملقب « الاخطل الصغير » فقيل فيما القى فيه من شعر .. فعقدنا له لواء الامارة » .. كما قيل كذلك .. « انت فى دولة القوافى امير » . ولم ينته المهرجان حتى اعلن ان الشعراء الذين فيه بايعوا « الاخطل الصغير » بامارة الشعر .

وسمعت هذا الكلام وقراته ، وسمعت معه تعليقات وتعقيبات لاصحاب شعر ونثر ، لم يرضوا هذا التأمير .. ومنهم من ابى ان يخلع من عنقه البيعة القديمة لشوقى ، لانه كان قد قرر قبل اليوم ان لا شعر بعد شوقى ولا زجل !!

وسئلت .. وتساءلت : ما هذا الذى يقال ؟ واين هو من معنى الفن ؟.. وما وقعه فى تجارب الحياة ؟

واردت لاجيب عن هذا كله ، فذكرت ما حدثت به « الادب » غير مرة عن معان للفن بعيدة المدى ، واسعة الافق ، او معان قريبة مالوفة متبادرة ، فابن يقع منها هذا الصنيع الاخير ؟

وذكرت كذلك مبادىء عن مكانة الادب فى الحياة وموقع الفن فيها . . وكيف وجدت الحياة امس ، من هذه الامارة ؟ وماذا يظن ان تجد الحياة منها اليوم ؟ فكانت ذكريات .. وكانت خواطر ، افضى بها الى اصحاب الفن والحياة ، فى امانة وصراحة .

ذكرت ما هتفت به « الادب » منذ سنين من ان الفنان انما هو سيد غير منازع .. وما رددته من ان الفن سيادة وقيادة ..

كما ذكرت ما حدثت به عن معانى السيادة فى شعر شوقى عند ذكراه ، وقد ذهب شوقى حينا بهذا اللقب من الامارة او كان اعرف من دعى به .. فهل ترى « الادب » وهذا هو المعنى السامى للفن عندها تحيى هذا اللواء المعقود ، ولاسلطا هذا الشاعر المتوج ؟ اتراه عملا من الفن فى شىء ؟

انها لتشعر فى وعى : ان السيد الذى لا يدافع عن سيادة ، ولا ينازع فيها انما هو سيد النفس ، الذى يشعر من السيادة بما لامكان معه لسيطرة متفردة ، ولاسلطة مطلقة ، ولا جبروت مطاع ، ولا يسلم بالفردية فى صورة من صورها ، وباى حال من احوالها .

ان السيد .. غير المنازع لا يدرك الا بحواسه .. ولا يعقل الا بفؤاده . . ولا يجد الا بوجدانه .. ولا يستشرف الا بطموحه .. ولا يرنو الا لمثاله .. ولا يرى دنيا الغد الا فى امله وبرجائه .

وهو اذا كمل ذلك فيه وتجلى كان

اكثر الناس شعورا بما يمسه وامضهم لها بما يعوقه ، واشدهم بغضا لما يناقضه .. ومن هنا يكون الفنان اقوى الناس كراهية لوضع لايحتمله من غيره ، ولا يقبله من سواه . . والفردية المميزة والواحدية المدعاة تمس تلك السيادة الفنية .. وتعوقها وتناقضها .. عند الفنان الذى استحق ، عند نفسه تلك السيادة .

واقوى الناس ايمانا بحريته هو ابعد الناس عن ان يحد حريتهم .. وضعاف الايمان بحريتهم هم الذين يخف عليهم ان تمس الحرية ، او هم الذين يمسونها .. وكذلك يقوى عندى ان هذا الذى يقال اليوم ويسمع عن الامارة الفنية ، وما لتلك الامارة من وقع ومس ، انما هو صدى النسيان للسيادة الفنية .. والتجاهل للفنان السيد . . غير المنازع .. والانتهاء بالفن والفنية الى معنى من المهنية او النقابية ، او المظهرية ، فيها قرب ، وفيها بساطة ، دون المدى البعيد والافق الاعلى ، الذى هتفت « الادب » به يوم جهزت : ان الفنان سيد .. غير منازع .

ثم انك حين ترنو من الفن الى المعنى القريب ، والمفهوم اليسير لتجد فى ذلك ما ينكر هذا الذى يقال اليوم عن لواء الشعر المعقود لواحد ، وامارة الشعر المبايع بها لفرد ..!!

ولا يحتاج ذلك الى فضل بيان وجلاء لان القدماء على ماكان فى عصورهم من قرب الفور ادركوا فى وضوح ان الفن انوان وصنوف وان ليس يهون فى الحياة ان تكتمل لشخصية واحدة تلك الموهبة الشاملة ، وان ليس اى الناس يحسن كل شيء وانما هى مكونات الشخصية من وراثه ، وبيئته ، ثم مامعها من رياضة تجعل هذا فكها باسما ، وذاك مقطبا عابسا ، وواحدا مغوار حرب ، وفارس معمعة ، وآخر رسول سلام ، وآية صفاء .. ومن هنا توزعت اجادة الشعر فيهم انفس متميزة ، فقالوا : هذا اشعرهم اذا ركب ، وهذا اشعرهم اذا رغب . .وثالث اشعرهم اذا رهب .. وهكذا .

واذا ما كان هذا امر الاولين ، على سبق العصر ، وقدم الزمن ، فما للآخرين مع تغير الدنيا ، وتجدد الدهر يهون عليهم فى طيبة : تلك المبالغة المسرفة ، فيهبون الشاعرية لفرد ، ويبايعون بالامارة لواحد وحده .

هذه فى معنى الفن القريب ليست دقة .. وتلك المتقدمة كانت فى المعنى البعيد للفن ليست من الحكمة .

وتسائل الحياة المجربة ، عن هذه الامارة المبذولة ، والولاية المعقودة ماذا وجدت منها ؟ وكيف تجدها اليوم ؟

فتذكر الحياة — والذكرى شجون — تذكر من الحديث القريب تلك الامارة ، وقد عقدت حديثا لشوقى ، لان شاعر الامير امير الشعراء .. وما اقرب الصنعة وقد كانت للشعر مع الامارة جولة ، لا نحسب التاريخ ينساها ولا نحسبه يذكر منها الخير الكثير للحياة بهذه الامارة الشعرية وصلتها بالامير الحاكم .

وتمضى صعدا فى أطواء التاريخ فترى اول تلك الامارة يعقد للملك الضليل ، الذى عرفت له امارة الحكم ، قبل امارة القول ، فاذا بك تراه حامل لواء الشعراء الى النار — وايئس به مصيرا لامارة .. ومكانا قصيا للفن فى الحياة ..

وما اخال الا ان الاولين قد كرهوا هذه الفردية المتحكمة ، ولم يهشوا لتلك الامارة خلال هذه الاجيال ، مع انهم فيما تعرف كانوا يعانون الحياة ، تحت نظام فردى

الحكم ، مستبد السلطان ، فكانوا بذلك آنس الى الامارة واجوائها فلعلها كانت نفحة السيادة الحرة فى الفنان ، قد جنبته ذلك الوضع البغيض ، الذى انقادت له الحياة حولهم ومن هذا ماكنت تجد من فخرهم فى شعرهم على ممدوحيهم انفسهم وامتنانهم عليهم بما قلدوهم من البواقى الخوالد فى الفن ، لايعدلها شىء من العطايا الذواهب .. فكانوا بمثل هذا الشعور اصدق حسا فى ادراك سيادة الفنان التى لا تدافع ، ولا تنازع ، فهى كما قلت : نفحة من روح الفن السامى ، تكرم بها الحياة دائما .

واذا اتصل الحديث عن مكان الفن فى انحياة بالاقدمين وشعورهم بهذه المكانة فمن الدقة ان نعرف لهؤلاء القدامى ادراكا حسنا لهذه المكانة ، وشعورا دقيقا بتلك المنزلة ، انتبهوا به الى ان هذا الفن يصنع التاريخ ، كما نقول بتعبير اليوم ، والفن هو الذى يستشرف الغد الافضل ، والمستقبل الاكرم ، حين يقسو الواقع على الحياة ، ويلزمها الظلم الرغام ويفض الذل من بصرها ، ولا تستكثر هذا الذى نقوله عن شعور الاقدمين بطموح الفن واسعاد الغد فان قائلهم ليقول :

ولولا خلال سنها الشعر مادرت

بناة المعالى كيف تبنى المكارم

وهل ترى هذا باسلوب اليوم الأجهرا بأن الشعر هو الذى يخط طريق المستقبل ويسن الخلال التى تعلم بناة المجد كيف تبنى المكارم ، بل كيف تبنى الممالك ..

ومهما يكن الراى فى استكثار هذا المعنى على بيتهم فان فيه ـ بلامراء ـ نواة من ذلك واصلا واضحا .

وانه ليسلمنا ذلك المعنى عن رسالة الشعر ومكانته عند الحديث عن الشعر وامارته اليوم الى ان نسأل اولئك المؤمرين المبايعين : اى شىء هذا الذى تصنعون من واقع الحياة الان ؟ .. لقد ثلت العروش .. وتدهدت التيجان .. وشرد الملوك .. وتبدد الامراء .. وباتت تلك كلها كلمات بغيضة منفرة ، فما لكم وانتم حداة الغد وادلاء الركب ، تنظرون الى الوراء ، وتنحرفون عن الطريق .. لقد ابتغت الانسانية الآن شيئا غير هذه الامارة والسيادة ، ومضت نحو آفاق اكرم واسمى ، فخلوا عنكم هذه الاوهام انزائلة ، والاحلام الشاردة وما يكفيكم ان تعيشوا فى عصركم ، بل يجب ان تكونوا طلائع عصر مجدد اكرم .. تستشرقون له بشفيف روحى ، وتسام وجدانى ، تلفتون اليه الانظار وترفعون نحوه الرؤوس ، وتبعثون الآمال .

وان كان لابد لكم من مجد فردى ، وسيطرة مظهرية فابتكروا لذلك نظاما من وحى العصر ، واتخذوا له لقبا ، من غير هذه المخلفات البوائد .. من الإمارة والولاية .. ولن يعجزكم ذلك يا اصحاب انبيان .

عبد الأمناى

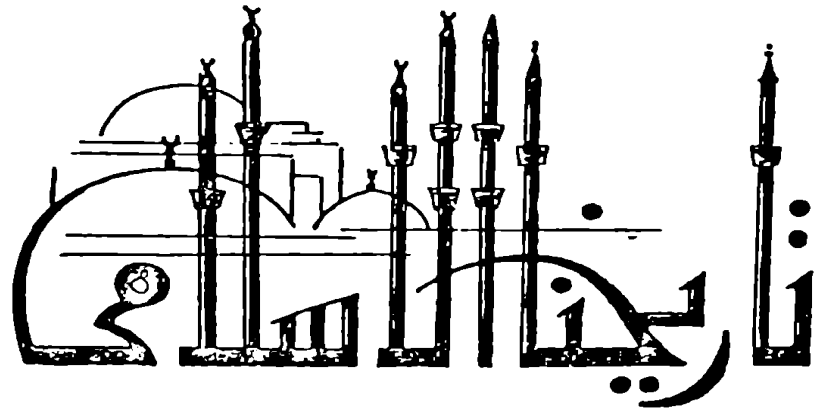

متى يصح له منهج ؟

ـ ١ ـ

الاسلام .. وما قبل الاسلام

اذا ما سألت متى يصح لتاريخنا الاسلامى منهج ؟ فليس معنى ذلك ان تاريخ ما قبل الاسلام قد صح امس منهجه ، او اصلح اليوم ما فسد منه ، واكمل ما نقص .. كلا فتاريخ ما قبل الاسلام قد يكون جديرا بهذا التساؤل عن منهجه ، واستكمال الناقص منه ، لكنى تركت هنا وضعه تحت هذه الاضواء الكشافة . لاسباب فنية واجتماعية ، اشير الى بعضها :

فمن الاسباب الفنية لتركى الحديث عنه هنا ، او لتأخير هذا الحديث ، ان الشعور السائد هو أن ذلك التاريخ الجاهلى لم يخدم الخدمة اللازمة ، وان شيئا من اعمال التنقيب ، فى الجزيرة العربية ، مهد هذا التاريخ قد تم بعضه ، ويوشك أن تتم له يوما ما بقايا ، تلقى الاضواء اللازمة عليه ، وهو جانب تعنى به الدوائر العلمية الخارجية ، التى يرجى عندها تصحيح المنهج التاريخى واستكماله ، وعند هؤلاء ـ مع الاسف ـ يطلب الامل المبتغى فى ذلك ، فهذا الشعور بالنقص ، وتلك المشاركة العامة تهون الامر ، وتحول التبعة ، وتجعلنى اترك هنا الحديث عن هذا التاريخ .. ولو تركا مؤقتا .

ومن الاسباب الاجتماعية لتقديم الحديث عن التاريخ الاسلامى ، وترك الحديث الآن عما قبله : أن المتناولين منا لهذا التاريخ كثيرون ، بل يكونون مسرفى الكثرة لاسباب دفعتهم بالامس القريب الى هذا التكاثر ، ولا تزال تدفعهم اليوم الى هذا التناول .. وهؤلاء الكثيرون المتناولون يقررون فى هذا التاريخ ، وعنه اشياء كثيرة ، لا تلبث ان تتركز فى اذهان ناشئتنا ، واذهان كبارنا كذلك ، فلا يكون من الهين تغييرها وتعديلها .. ومن هنا وجبت العناية بتسليط هذه الاضواء الكشافة على تناولهم .

وجلى ان هذا التاريخ الاسلامى اقوى اتصالا بحياتنا ، واكثر تذكيرا بسير الحياة فينا ، واليه نفزع ، او اليه يجب ان نفزع كثيرا ، فى فهم جوانب حضارتنا المختلفة ، من علمية ، وفنية ، وعملية .. وهو فهم ينبغى ان يكون صحيحا ، ودقيقا ، وسليم الاساس ، وذلك مالا يتحقق الا اذا كان تناولنا لهذا التاريخ صحيح المنهج .

ومن أجل ذلك سألت هذا السؤال ؛ الذى يتوج تلك المقالات ، وفى النية أن اتصدى للاجابة عنه اجابة صريحة ، بل جريئة ، قد تسخط احدا ، ويعتبر فيها مساس ما بمؤلفات ومؤلفين .. وقوتى فى ذلك ما مضت عليه « الادب » منذ دهر ، من الا تخشى فى الحق لومة لائم ، ولا تكتم الحق ، او تؤخره لسخط احد أو غضبه ، لان الحق عندها اكبر من كل شخص أو شىء ؛ وهى له اقوى صداقة واكثر محبة من اى شخص أو شىء .. ولا سيما حين تقول الحق لوجه الحق دون اى اعتبار أو تأثر ، أو دخيلة . . ومن هنا ينبغى أن يصدق الناس جميعا ، أن ليس اى احد مفموزا بأية كلمة أو اشارة ، أو همسة من الحديث الحق ، ولكنه منقود ، بكل حرية النقد ، وواجب النقد ، وأمانة الحقيقة .. وكذلك ينتهى الامر الى أن كل أحد ستسلط عليه هذه الاضواء الكشافة الباهرة ، مهما تكشف مما يحب هو ستره أو اخفاءه ، وتأبى الحقيقة الناصعة الا ان تبرزه ، فى صدق وانصاف ، وذلك واجب لايفر الامناء من ادائه ، ولايحجمون عن احتمال اى شىء فى سبيله .

— ٢ —

الادب . والتاريخ

لعل اقرب ما نسمعه بعد هذا الجهر بالحق ، والصدع به أن يقول قائل : ان للتاريخ متخصصين فرغوا لدرسه ، وعكفوا عليه ، وهم اصحاب الكلمة فيه غير مدافعين ، فهلا تترك لهم هذه الكلمة فى منهجه وصحته ؟!

واقول لصاحب هذا الراى أولا :

انه فرض الكفاية لا بد أن يؤديه احد فئلا يأثم الجمع ، وقد طال المدى ، دون ان يقوم بهذا الواجب من ينبغى أن يقوم به ، اذا كان الصالح لادائه فلان دون فلان ، وهو ما لا نؤمن به ، لانا ثانيا : نكفر بكهنوتية المعرفة التى ترد الامر سرا ، يستأثر بعلمه قوم دون سواهم ، وينفرد به ناس لا يشركهم فيه غيرهم ، وليس هذا معنى التخصص ، الذى لا يراد به الا القصد الى الاجادة والاحسان لا الاستئثار والانفراد .. وقديما قيل : رب مبلغ اوعى من سامع ، وحامل فقه الى من هو افقه منه .. والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها انى وجدها .. ولهذا نقول ثالثا :

ان الامر امر منهج .. والقضية قضية اصول التفكير ، والمسالة مسالة خطة التناول ، وهذا كله مما يشارك فيه كل صاحب منطق موضوعى ، وليس هذا المنطق ، ولا ذلك المنهج ، ولا تلك الخطة ، مما يختص به احد ، أو ينفرد به منفرد دون سواه .. ولهذا نقول : رابعا :

انه هو المنهج الادبى بالذات ، يصيب الحق فيه فهما وتطبيقا اصحاب الآداب جميعا ، ودارس الادب الصرف صاحب حق فى نقده ، بقدر ما عليه من واجب فى تعمقه ، والبحث الادبى لا يستقيم بلا فهم تاريخى صحيح دقيق ، للحياة حول الادب ، ولما يتزاحم فيها من عوامل ومؤثرات اجتماعية عامة ، وفنية خاصة ؛ يتأثر بها الادب اقوى التاثر ، وتتفاعل والادب اقوى التفاعل ، بل للادب فيها فاعلية قوية موجهة ، فما تفهم حقائقها الا بفهم فاعلية الادب فيها ، وكثر ماقيل : ان الادب يصنع التاريخ اكثر مما قد تصنعه الفنون الاخرى .

ومازال التاريخ حتى اليوم مشغلة اصحاب الادب ، ولهم فيه الجولات البعيدة المدى .. ولو قد صار التاريخ علمى النهج ، فلا يطرف له جفن نحو الادب واهله ، فسيسرع اصحاب الادب

انى تمثل هذا الدرس العلمى للتاريخ نشدة حاجتهم ـ كما بينا ـ الى هذا التاريخ ، فى فهم ادبهم وتذوقه .. وسيضطرون بهذه الحاجة الماسة الى تمثل هذا المنهج العلمى للتاريخ تمثلا قويا ، ويشعرون باضطرارهم اليه ، ليستقيم لهم ذوق فى الادب والفن ، ويصح لهم منهج درس ذلك تقويما وتقديرا ، أو تحقيقا وتاريخا ، أو غير ذلك من فنون درسهم .

فالحديث عن التاريخ ومنهجه حديث تسمع فيه كلمة أصحاب الادب ، ولا يدفعون عنه ، لما سبق من اسباب لذلك ، ولما لحق من نشاط لهم فى هذا الميدان لا يجحد . قديما ولا حديثا ، ولما لهذا الادب واخواته الفنون من قوة التاثير والدفع فى الحياة العاملة ، .. ومن هنا ما كان منا من التعرض للتاريخ الاسلامى ، والتساؤل الجهير عنه : متى يصح له منهج ؟ ـ

وهو ما نتقدم على الاجابة عنه بعد ما لا بد منه من بيان بين يدى ذلك .

ـ ٣ ـ

الخبر .. ومنطق الخبر

واذا كان الحديث عن التاريخ ومنهجه ، وقد تطور الزمن بهذا المفهوم ، واختلفت به المناهج ، وتنازعه الادب والعلم ـ كما أشرنا ـ ويجرى من ذلك حديث غير قليل ، لا نريد الخوض فى تفاصيله ، كما لا نستطيع فى هذا المقام ان نترك جملته .. ولهذا نجمل القول فى تطور مفهوم التاريخ وتغير منهج تناوله ودرسه اجمالا ، لا بد عنه شىء من راى او بيان لهذا التطور فى المفهوم والمنهج ، ولا يتناول شيئا جزئيا من تفصيله ، يضل فيه القارىء ، ويتوه فى شعاب القول .

وهذا الاجمال هو ما عنونا به هذه الفقرة الثالثة ، بكلمتى «الخبر» و«منطق الخبر» اذ تشمل الكلمة الاولى ـ الخبر ـ صورة او صورا كثيرة من الصور الاولى لوجود التاريخ ، وفهمه ، ودرسه ، حين كان قصة ، على نوع من القصص ، ثم صار سردا ، بنوع من انواع السرد ، التى تسمع او تقرا فيها الحوادث مروية مسرودة ، فى اسطورية ساذجة ، لا ترد غريبا ، ولا ترفض مبالغة ، بل لا تنكر خارقة .. او مع تقدم التناول تدريجيا فى هذه الرواية ، بحذر ينقد ، ووعى يستبعد وينكر .. ومع شىء من الاحتياط والتحرز فى الرواية والنقل ، يتثبت قليلا او كثيرا من التثبيت .. او يدق حتى ينقد المتن نقدا ما ، فنيا ادبيا ، او عقليا فكريا .. ، وفى كل اولئك لا يعدو التاريخ ان يكون ذلك السرد والاخبار مشافهة ، او كتابة ، وقد يكون مع الرواية والاخبار شىء من عبرة تستخلص ، او عظة تستفاد من تكرار الحوادث ، وتشابه التاريخ ، فيظل التاريخ مع ذلك خبرا او عبرة من خبر ، وهذا هو الخبر الاول الذى ينتظم ـ كما قلنا ـ غير دور من ادوار حياة التاريخ .

ثم يلى ذلك مرحلة او مراحل اخرى ، يستفيد منها التاريخ رواية ونقلا ، او تدوينا ونقدا ، من تقدم المعرفة الانسانية ، فيتسع فيه افق الناظر ، فى الاحداث ، والاخبار الى ابعد من العبرة البادية ، والموعظة اللائحة ، وينعم فى سير الحوادث ، يربط بين اسبابها ومسبباتها ، ويصل بين بعيد منها وقريب ، يستبين الخفى من صلتهما وتفاعلهما .. فيكون ذلك ضربا مما سميته « منطق الخبر » وعددته

مرحلة من مراحل تطور التناول التاريخي ودرسه ، يجاوز فيها ما عددناه من أفق الاخبار فى سذاجة أو فى شيء من تبصر .

وتمضى منطقية الخبر الى آفاق تتسع كلما اتسعت دائرة المعارف البشرية ، واستخرجت من عالم الضباب الفلسفى حقائق تتجلى فى عالم الضوء العلمي ، فتمتد النظرة فى الخبر الى ماوراء بيئته ومجاله ، لما يجاوره من بيئات ومجالات ، لم يكن يبدو للاقدمين بينها اتصال ، لكنها عند المحدثين تتصل وتتفاعل ، وما تزال تتسع الدائرة ، ويتبين التواصل حتى تمسى الحياة الانسانية وحدة متماسكة ، متواصلة ، متفاعلة ، يرتبط فيها ما بين الاحداث الجوية ، بل المجاميع الكوكبية ، وتتضح السنن والنواميس التى تمسك هذا وتصله ، ويكون للعقل البشرى ما يكون من جولات نافذة جريئة ، فى طوايا الاحداث ، وخفايا الكائنات ، يعلل بها هذا ويفسر ذاك ، ويستنتج ويسبب ، ويؤكد ويؤيد ... وكل أولئك مهما يتسع مداه ، وتنبسط آفاقه يدخل فيما دعوته « منطق الخبر » بأى معنى يتجدد ويستحدث من هذا المنطق الذى هو ميزان ومخبار فاحص .

ولهذا لا أحد التقدم التاريخى بفترة أحددها ، أو ابيته ، بل ننظر من ذلك كله الى وحدة متصلة متطورة ، سائرة .. بذات بالسرد الساذج ، وتمتد الى المنطقية النامية للخبر وعملية الاخبار ، بكل مايشترك فيها من قوى الانسان ، وما يمد به تلك القوى الفطرية من آلات ومستكشفات لا تتناهى .

وفى هذا التحديد نعرض بعد ذلك لصنوف التناول للتاريخ الاسلامى داخل هذا الاطار الفسيح .

امين الخولى

الطريق

اترك الايام تمضى لا ابالى كم وقفت
ان هذا الدهر يعلم كم على قلبى مشيت
كم سبقت العمر وحدى، ثم ماذا قد جنيت؟
هذه الدنيا تداعت لشبابى فأبيت
عشت أرويها بعمرى مخلصا حتى ظمئت
ثم ماذا ؟. قد تنكر لاحتياجى من رويت
قد أضات الكون حينا . . ثم ماذا ؟. احترقت
ثم ادركت اخيرا . . . كان ذنبى ان مشيت

* * *

عشت اطوينى بنفس لا تقدر ما طويت
ثم نادانى منادٍ مستبد فانتبهت
ويح هذم النفس ماذا فى سلاسلها يفت
أم ترى ضاقت بحملى فانطوت عنى فتهت
فانطلقت على طريقى بادئا حيث انتهيت
مل اقدامى، فأبرز صخرة لى فارتطمت . .
ها انا يا نفس انظر للطريق وقد افقت
من انا؟ . . ماذا اتى بى ها هنا؟. يانفس حرت
من اكلم؟. اين نفسى . .؟ أم ترى انى جننت
ضاق بى فكرى وضاقت هذه الدنيا وضقت
ثم ادركت اخيرا . . . كان ذنبى ان مشيت

* * *

هذه الدنيا تسابى وتغضب ان سبقت
ان اردت الخير آخر جهدها مما اردت
او اردت الشر تندب فى ضميرى ما اضعت
هكذا القى عذابى دائما فيما فعلت
لست اكرهها . . وماذا يعتريها ان كرهت!
هل يضير الكوكب السيار شيئا ان وقفت
هذه دنياى احياها بنفسى كيف شئت
انى لا زلت حيا . . ما عميت، وما صممت
كيف والايام تمشى كان ذنبى ان مشيت !

ابراهيم حماد

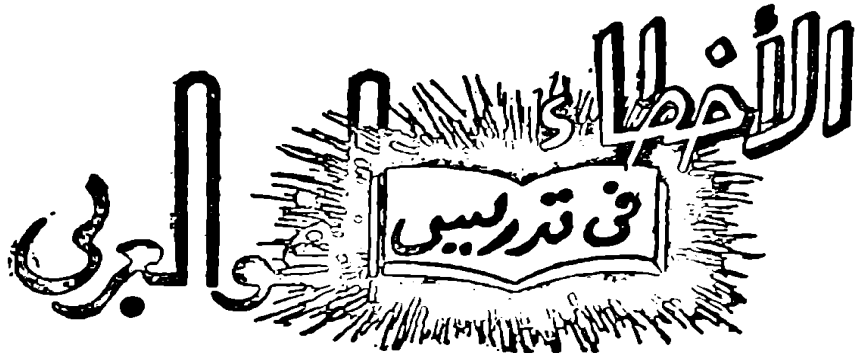

المناهج

اريد ان اسمى المناهج التى استخدمت فى تدريس النحو العربى فى السبعين عاما الماضية باسماء اشهر الذين اشتركوا فى وضعها ، والفوا الكتب على مقتضاها ، وهم بحسب الترتيب الزمنى : حفنى ناصف ، والجارم ، وابراهيم مصطفى .

- منهج حفنى ناصف

وضع المرحوم حفنى ناصف وزملاؤه اول منهج للنحو العربى سنة ١٣٠٤ هـ والفوا عليه للتعليم الابتدائى ثلاثة كتيبات ، وقد جعلوا الكتاب الاول للسنة الثانية الابتدائية ، وعدد صحائفه ٣٩ ص من القطع الصغير ، ومع ذلك فقد اشتمل على نحو ٧٠ ٪ من ابواب النحو كله باختصار ، مع قليل من التمارين والايضاحات .

وقد رسم هذا الكتيب صورة متكاملة للنحو العربى من الراس الى القدم ، صورة لا تقطيع فيها ولا تمزيق ، ففيه انواع الكلمة ، واقسام الافعال ، والمبنى والمعرب من الكلمات ، وكل المعربات تقريبا من مرفوعات ومنصوبات ومجرورات ، كما حوى انواع التوابع ، واكثر الحروف والادوات العاملة وغير العاملة ، وفيه ايضا علامات الاعراب ، وكيفية اجراء الاعراب بصورة مختصرة مع استبعاد الاعراب المحلى والتقديرى .

وهذا القدر من ابواب النحو وقواعده كان يدرس لاطفال فى الثامنة من اعمارهم وهو بلا شك اضعاف ما كان يدرسه تلاميذ المرحلة الاعدادية فى سنواتهم الثلاث قبل منهج المسند والمسند اليه ، مع ان اعمارهم ما بين الثانية عشرة والسادسة عشرة !!

وهنا نترك المؤلفين يتحدثون عن منهجهم كما جاء فى مقدمة كتابهم الاول : قالوا : واستعنا بالله تعالى فى وضع ثلاثة كتب : اولها لتلاميذ السنة الثانية الابتدائية ، وغير خاف ان اذهان هؤلاء خالية بالمرة من كل شىء من القواعد النحوية ، واعمارهم بمقتضى القانون لا تتجاوز التسع ، ولذلك لم نضمنه الا مبادىء النحو الضرورية جدا ، مؤثرين فى بيان ذلك الامثلة والضوابط السهلة ، لا التعاريف المطردة المنعكسة

اصول الاعراب الظاهرة ، فلم نتعرض لذكر الاعراب التقديرى ولا المحلى ، الا الماما خفيفا ، ولم نتكلم عن علامات الاعراب الفرعية كلها ، حتى لا يضطرب ذهن الطالب باختلاط هذه المطالب ، ويكفى تلاميذ هذه السنة ان يحصلوا على معرفة العلامات الاصلية وقليل من الفرعية والعوامل اجمالا ، حتى اذا تدربوا عليها لا يعسر عليهم أن يشرعوا فى الكتاب الثانى ، المتضمن لما فى الكتاب الاول وزيادة مع توسعة المطالب وتوفية الشرح بعض حقه ، ثم الثالث المتضمن لما فى الثانى وزيادة ايضا مع تتميم ما يطلب تتميمه .

ولقد توخينا بقدر الامكان فى ايراد الامثلة والتمرينات — تراكيب تدخل فى الاستعمال وينتفع بها فى اكثر الاحوال ، تنطبع فى ذهن التلميذ من عهد الصغر ، وترتسم فى صفحات قلبه فيسترشد بها فى اقواله وافعاله ، ليصل الى غاية كماله ، وقد عاش هذا المنهج اكثر من اربعين عاما

* * *

وكل ما يؤخذ على هذا المنهج انه اوسع قليلا ، وان فيه ابوابا كان يمكن نقلها الى الفرقة التالية كما نلاحظ على على اصحابه انهم لم يفطنوا الى (نقطة البدء) فى دراسة النحو العربى

وقد استوفيت الكلام عن اهميتها وضرورتها فى المقال السابق .

الا ان هذا المنهج مع ذلك قد تضمن اصلا هاما ، غفلت عنه جميع المناهج التى جاءت من بعده وهذا الاصل هو اعتبار ابواب النحو الاساسية كلا لا يقبل التجزئة والتوزيع ، كما توزع ابواب العلوم الاخرى على السنوات الدراسية ، لعدم ارتباط ابواب هذه العلوم بعضها ببعض — لارتباط قواعد النحو فى تعاونها جملة واحدة على صناعة اللغة صناعة خالية من الاخطاء .

* * *

ومن السنن الحميدة التى سنها اصحاب هذا المنهج — بدؤهم بالمبادىء الاساسية الضرورية جدا ، مع الزيادة عليها توسعة وشرحا وايضاحا ، فرقة بعد فرقة ، ذلك لان الالمام بقواعد النحو مجتمعة هو الوسيلة الوحيدة لصناعة اللغة صناعة صحيحة قولا وكتابة .

وصناعة اللغة تتكرر كل يوم مع الطالب ، واذن فيجب ان يكون على صلة دائمة بكل القواعد الاساسية .

اما طريقة توزيع ابواب النحو على الفرق الدراسية ، فقد كانت من اكبر الاخطاء التى اصابت تعليم اللغة اصابة قاتلة ، فجعلت تعليمها يسير نحو الانحدار عاما بعد عام ، من غير ان يفطن المسئولون الى علة هذا الضعف المتواصل ، فيعملوا على تلافيه ، ولكنهم كانوا دائما يبتعدون عن مصدر العلة ، ويصفون من الادوية وطرق العلاج ما يزيد المرض استفحالا والداء تمكينا .

واهم الاسباب التى ادت الى توالى ضعف الطلاب فى اللغة هو تلك المناهج التى اتبعت طريقة توزيع ابواب النحو على الفرق الدراسية ، والاستغناء عن بعضها من ناحية اخرى ، ذلك ان الطلاب يدرسون كل عام عددا قليلا من ابواب النحو ، ثم تنقطع كل صلة لهم بكل مابقى من ابوابه وقواعده ، سواء ماسبقت لهم دراسته فى فرق سابقة ، ومالم يدرسوه بعد .

والطالب محتاج دائما لتكوين سليقته فى اللغة ان تتكرر كل عام لديه جميع ابواب النحو وقواعد الاساسية ، وجميع

ابواب النحو وقواعده الاساسية تتداخل وتتشابك ، ولا يمكن فصل باب منها عن الآخر ، او الاستغناء باى عدد من الابواب عن بقية الابواب فى صناعة اللغة . فلا يمكن مثلا الاستغناء عن علامات الاعراب أو التواصب او الجوازم ، او احد المرفوعات ، او احد المنصوبات ، لانها درست فى فرقة مسابقة او مرحلة سابقة ؟

واللغة الفرنسية تتبع هذا الاصل العام فى تدريس قواعدها ولا تنحرف عنه ابدا وهى تبدأ بدراسة النحو مع مرحلة انهجاء ، وتكتفى فى هذه المرحلة بعرض صور من تصريف الافعال ، واستعمال الضمائر والاشارات والموصولات وبعض الحروف والظروف ، فاذا انتهى التلاميذ من مرحلة الهجاء عرض عليهم النحو فى صورة متكاملة وفى خطوط مستقيمة قليلة كما صنع اصحاب منهج حفنى ناصف .

ولا تزال هذه الصورة تتكرر فى الفرق الدراسية فرقة بعد فرقة بالزيادة والتفريع والتكميل والايضاحات المتتابعة اما نظام التوزيع والتقسيم فلا تعرفه هذه اللغة .

ولقد وقع الذين ارتكبوا خطا توزيع أبواب النحو على الفرق الدراسية فى خطأ اشد ، ذلك انهم كانوا يوزعون ابوابه عند كل منهج جديد بالقسمة والنصيب ! ! وكيفما اتفق !!

فاذا راوا وضع منهج جديد اعادوا توزيع أبواب النحو توزيعا مغايرا للتوزيع الاول ، اما بمخالفة الترتيب او بالزيادة او بالنقص ، من غير مراعاة التسلسل الطبيعى لابواب النحو ، فلا يعرفون ما ينبغى وضعه فى اول المنهج او وسطه او آخره — وكل الذى يعنيهم عند وضع اى منهج جديد — هو اجراء حركة تنقلات بين أبواب النحو !!

فعلامات الاعراب ، التى كتب عليها النشرد ، تارة تكون فى اول منهج ، وتارة تكون فى آخر منهج ثان ، وحينا فى وسط منهج ثالث ؟!

وقد يتقرر ترقيتها من فرقة الى فرقة اعلى ، او من مرحلة الى مرحلة اعلى .!!

منهج الجارم

اما منهج المرحوم الجارم فقد اشتمل على ثلاثة كتب للمرحلة الابتدائية سماها (النحو الواضح) والجزء الاول منها للسنة الثانية الابتدائية كالكتاب الاول من كتب حفنى ناصف .

واول خطأ فى توزيع ابواب النحو على الفرق الدراسية كان من عمل منهج الجارم وكتبه .

ولكى توازن بين الكتاب الاول لحفنى ناصف والجزء الاول من النحو الواضح ، وكلاهما للسنة الثانية الابتدائية — نذكر ان كتاب حفنى ناصف اشتمل على ٤٥ بابا ، بينما اشتمل النحو الواضح على ١٧ بابا ، اى ثلث ما فى كتاب حفنى ناصف تقريبا !!

ومن الفروق بينهما ان النحو الواضح لم يذكر من المنصوبات سوى المفعول به ، وخبر كان واسم ان ، بينما استوفى كتاب حفنى ناصف جميع المنصوبات ، فذكر المفاعيل الخمسة ، والمستثنى بالا والحال والتمييز والمنادى ، كذلك لم يذكر النحو الواضح سوى النعت ، بينما استوفى كتاب حفنى ناصف التوابع الاربعة : النعت والعطف والتوكيد والبدل ، وهناك ابواب كثيرة اغفلها منهج الجارم كل الاغفال ، بينما استوفاها منهج حفنى ناصف .

* * *

ومع هذه الطفرة بين المنهجين فى الكمية

من ناحية والتوزيع فى المنهج الثانى من ناحية اخرى ـ فان كتب الجارم اذا قيست بالكتب التى تتابعت من بعدها ـ تعتبر من النعم الكبرى ، ولقد ادت اجزاء كتاب النحو الواضح مهمة جليلة فى تعليم اللغة العربية لا فى مصر وحدها بل فى البلاد العربية والبلاد الاسلامية .

واستطاع المدرسون ان يكملوا منهجها فى الاحوال التى كان يستدعيها تداخل ابواب النحو وارتباط بعضها ببعض .

مناهج ابراهيم مصطفى

لس للاستاذ ابراهيم مصطفى منهج واحد ، بل له عدة مناهج فى فترات متقاربة ، وآخرها منهج المرحومين الخالدى الذكر (المسند والمسند اليه) !!

وقبل ان اتحدث عن مناهج الاستاذ احب أن اتحدث عن امامته للنحو العربى مع مقته الشديد له ورغبته الجامحة فى تحطيمه !

ذلك انه نشر فى سنة ١٩٣٧ كتابا سماه (احياء النحو) وهو اول كتاب يؤلفه وآخر كتاب وكان يظن ان هذا الكتاب سوف ينسى الناس شهرة سيبويه ويخمل ذكر ائمة النحو من بعده كابن مالك وابن هشام .

ولم يكد يظهر كتاب (احياء النحو) حتى ثارت عليه جميع الهيئات العلمية فى جميع البلاد العربية ، مستنكرة له اشد الاستنكار ، وما زالت به تجريحا حتى قتلته ودفنته حيا الا أن الثورة على الكتاب وما تضمنه الكتاب من الغاء للنحو

واماته ـ قد اذاعت اسم مؤلفه وشهرته فى ارجاء العالم العربى .. وهى ظاهرة اجتماعية معروفة فى الشهرة واسبابها .

وفى سنة ١٩٤٩ ـ اختير الاستاذ ابراهيم عضوا بالمجمع اللغوى فالقى اول بحث له عن (اصول النحو) وختمه بهذا الاقتراح الاعجيب الذى لم يعره اى عضو من اعضاء المجمع اهتماما لغرابته ولان فيه ما يشعر بعدم قدرة اعضاء المجمع على النظر فى امور النحو بطريقة سليمة .

قال : واقتراحى الذى اتشرف بتقديمه الى المجمع هو :

ان نسعى لدى الهيئات التى تتصل بدراسة النحو واللغة وان نتعاون معها فى وضع درس النحو على اسس من الدراسات اللغوية الحديثة ، وعلى الاكثار من البعثات لدرس علوم اللغات باوربا وامريكا والتخصص فيها ، حتى يكون لنا من هؤلاء الدارسين بقدر ما لنا الآن من العلماء فى الفية ابن مالك !!

وهنا نرى من الامانة ان ننقل عن الجزء الثامن من مجلة المجمع رأى المرحوم احمد امين فى صديقه الاستاذ ابراهيم مصطفى فى حفلة تقديمه للمجمع .

قال : ومن الحق ان يقال : ان كل مشتغل بعلم يتعصب له ويراه كل شىء ، فالبلاغى عنده ان البلاغة كل شىء ، والفيلسوف عنده ان الفلسفة كل شىء ، وهكذا .

ولكن ابراهيم مصطفى مع تبحره فى النحو واشتغاله به ، اكثرنا مناهضة لتقرير قواعده فى المنهج (؟!) فهو فى لجنتنا الاخيرة (١٩٤٧ ـ ١٩٤٨) قد لقينا منه العناء فى محاولتنا اثبات بعض الابواب ومحاولته اهدارها (؟!)

ولا انسى انه فكر مرة فى ان يجرب مبدأ تعليم النحو والصرف بدون قواعد (؟!)

بل بكثرة القراءة والكتابة ، وتعويد

اللسان والقلم النطق الصحيح والكتابة الصحيحة بالتقليد من غير قواعد كما كان يفعل العرب الاقدمون ، فطلب من اولى الامر أن يعطوه فصلا من المدرسة النموذجية ، او كما كانت تسمى اذ ذاك الفصول التجريبية ، وظل عامه يجرب هذه الطريقة ، ولا ادرى ما رصده من نتائجها !!

ثم انهى الاستاذ احمد امين تقديمه بقوله :

والحق ان ملكات ابراهيم مصطفى لم تقتصر على النحو والصرف ، فهو الى جانب ذلك اديب ممتاز ، جيد الاسلوب ، واسع الخيال ، يضع القصة القصيرة فيجيدها وتعرض له الفكرة فيولدها ، وله الافكار الدقيقة فى الادب .

ولكنه — مع الاسف — كان السلك الدقيق الذى بين ذهنه ، وبينه ، به بعض العطب (؟!) ولولا ذلك لانتج ولكان اديبا بجانب كونه نحويا كبيرا .

* * *

ولقد أجاد احمد امين تصوير صديقه والحق ان ابراهيم مصطفى لو تفرغ للادب وحده لكان اديبا ممتازا من خيرة ادباء هذا العصر ، ولعل آخر شىء كان يصلح له ، هو أن يكون نحويا من اى طراز شاء ، محققا او جماعا للاقوال والمذاهب . لان المواهب الادبية تابى دائما أن تكون سجينة القيود والحدود التى تزخر بها مؤلفات النحاة

ومن جل هذا نرى عقله الباطن يستعلن . فى صورة ثورة جامحة على النحو ولا يرضيه الا ان يهدم كل ما صنعه النحاة جملة وتفصيلا .

وسبب تلك الثورة كما يقول الاستاذ احمد امين يرجع الى ذلك (السلك المعطوب) .

ويشترك الاستاذ ابراهيم مصطفى فى عمل لجنة ترقية اللغة العربية

وقد جاء فى تقرير هذه اللجنة ما يلى :

لجنة ترقية اللغة العربية

١ — فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٥ اصدرتم معاليكم قرارا بتشكيل لجنة تقوم ببحث وسائل ترقية اللغة العربية فى المدارس الابتدائية والثانوية ، والنظر فى البرامج والكتب المؤلفة وتيسير قواعد النحو العربى ، ولقد نص القرار على تاليف اللجنة برياسة حضرة الاستاذ احمد امين بك ، وعضوية كل من حضرات الاساتذة على الجارم بك وابراهيم مصطفى وعبد الحميد حسن ومحمد خلف الله ، ثم ضم اليها الاستاذ محمد على مصطفى فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٥

وعقدت اللجنة بعض الجلسات ، ثم وقفت عملها الى ان اعيد تشكيلها فى فبراير سنة ١٩٤٧ مع ضم حضرتى الاستاذين منصور سليمان ، والدكتور عبد العزيز القوصى (؟!)

وقد والت اللجنة العمل بعد ذلك وقدمت فى ٢٢ اغسطس سنة ١٩٤٧ تقريرها النهائى متضمنا خلاصة ابحاثها وللقترحات التى انتهت الى وضعها .

ويسرنى أن أسجل هنا ان هذا التقرير ينم عن جهود عظيمة ونظر واسع وعمق فى البحث (؟!) مكن اللجنة من النفاذ الى صميم مشكلات تعليم اللغة العربية فى المدارس (؟!!) كما ينم عن الجراة فى الاخذ بوسائل الاصلاح وميل الى التجديد ولكن من غير طفرة ، واللجنة جديرة بكل شكر وثناء !!

٢ — ورغبة فى تعرف آراء جمهور المشتغلين بتعليم اللغة العربية فى مقترحات اللجنة أمرتم معاليكم بارسالها

الى جميع مفتشى المادة ومدرسيها الاوائل بالمدارس الثانوية ونخبة من مدرسيها ليبدوا ملاحظاتهم عليها .

ولما تجمعت هذه الملاحظات لدى تفتيش اللغة العربية عقد مؤتمرا عاما من رجال اللغة العربية لمناقشتها بمقر معهد التربية بالمنيرة (؟!) فى ايام ٩، ١٠، ١١ فبراير سنة ١٩٤٨ ، وسجلت خلاصة الآراء التى انتهى اليها المجتمعون فى محضر رفعه حضرة عميد مفتشى اللغة العربية للوزارة، وهى فى جملتها مؤيدة لمقترحات اللجنة مع طائفة من التوصيات والرغبات التى يراها المجتمعون كفيلة باتقان وتنفيذ تلك المقترحات .

وجاء فى تقرير اللجنة عن النحو ما ياتى :

بحثت اللجنة طويلا فى موضوع تيسير النحو العربى ، ورأى بعض الاعضاء أن يعاد النظر فى مصطلحات النحو وابوابه ، ووضع قواعد جديدة على اسس جديدة وقدم لذلك نماذج (؟!) ولكن رات الاغلبية العدول عن هذا الآن ، لان ذلك يحتاج أولا الى اقرار الهيئات العلمية العليا كالمجمع اللغوى والازهر والجامعتين ، وهذا يحتاج الى وقت طويل واخذ ورد فى تنفيذها ، ولذلك رات اللجنة ان خير وسيلة لتذليل هذه المادة ، أن يوضع المنهج على أساس التيسير والحذف (؟!) والاعتماد على الناحية العملية فقط من غير كثير تحوير فى المصطلحات والقواعد .

قرارات لجنة الابراج العاجية

لو ان اى باحث او مجرب له تجاربه الواقعية التى يعتز بفاعليتها وتفوقها فى تعليم اللغة العربية ، وله دراساته الوافية عن (اكذوبة السيكولوجيا الحديثة) التى تنبع عن مصادر متهمة مريبة لو ان هذا الباحث المجرب قام فى سنة ١٩٤٩ يسفه آراء هذه اللجنة ويرمى كل ما وصلت اليه من قرارات ومناهج وتوجيهات بالعقم والفساد ، والسعى لتخريب تعليم اللغة العربية فى شتى موادها — لقذفه الجمهور بالحجارة ولقيل له آخر الامر : من انت ؟! وهؤلاء قادة الفكر ، وائمة اللغة ، واساطين العلم ، ورسل سيكولوجية ما وراء الاطلسى ، الذين أرسلتهم العناية الالهية ليطوروا تعليم اللغة عندنا على أحدث ما تمخضت عنه القرائح الامريكية !!

* * *

ولكن تاريخ السنوات التى تلت هذا التقرير المشئوم ، وما تم فيها من تأثيره المخرب للتربية والتعليم على السواء ، هو الذى أستطيع ان اريه الآن .

فقد استيقن الناس جميعا الآن من ذلك الانحدار المتوالى فى تعليم اللغة ، بسبب سيكولوجية القوصى وبيداجوجية اسماعيل القبانى ، و (نحو) صديقهما النحيم صاحب (السلك المعطوب) .

واما عن اعضاء اللجنة (لجنة ترقية اللغة) فانى اقول غير متحرج ان موقف اعضاء اللجنة على جلالة اقدارهم واتساع آفاقهم — كان موقف العاجز عن رد طغيان هذا الاستعمار الجديد ، الذى ظهر بصور صارخة فى كل صفحة من صفحات هذا التقرير ، وبهذه السلطة الوهمية التى كانت تؤيدها الدولة عمليا ، استطاع القوصى أن يكمل التخريب الذى صنعه ابراهيم مصطفى فى مناهج النحو، بتخريب اشد واقسى بالتقاليع الامريكية التى فرضها ادخالها على جميع مواد اللغة من هجاء ومطالعة وقواعد مما سنعرض له بالشرح والبيان فى العدد القادم .

ومن هذا اليوم وعقب هذا التقرير تم التحالف بين الامام المسند المسند ، وبين المتعهد الوحيد لتوريد السيكولوجية

الامريكية الى مصر ، فاسسا معا جمعية تاليف الكتب المدرسية ، واشتركا معا فى تاليف كتب المطالعة ، بينما انفرد أولهما بتزعم مؤلفى كتب النحو ، وانفرد ثانيهما مع صديقه السندباد بتزعم مؤلفى كتب انهجاء !!

أما موقف رجال اللغة العربية من مدرسين ومفتشين ، فانه كان موقفا عجيبا يستحق الرثاء ! فانه منذ ان فرض معهد التربية نفسه وصيا على تعليم اللغة العربية ، وقيما على رجالها أصبح الكل غرباء عن المناهج التى توضع والطرق التى تخترع ، والسعيد الحظ من رجال اللغة العربية ، هو من يتامرك ويتمسح برجال المعهد ويطوف بأركانه ، ويسير فى قافلة سدنته !!

ولم تكد تتالف لجنة ترقية اللغة العربية سنة ١٩٤٥ حتى كتبت لرئيسها المرحوم احمد امين اقول له :
لدى عندى طرقا جديدة لتعليم النحو والهجاء ، واريد ان اتقدم بها الى اللجنة ، فكتب لى بتاريخ ١٩٤٥/٦/٦ يقول : انى مقدر كل التقدير مجهودكم ، واللجنة التى شكلت لا تعمل الا اعمالا تمهيدية ، وسادعو حضرتكم وبعض الممتازين لعرض ما تصل اليه عليكم وسماع ملاحظاتكم .

وفى احدى مقابلاتى له فى الجامعة العربية سنة ١٩٤٨ ، وفى اثناء حديثنا عن التعليم وطرقه ومناهجه سالنى : هل قرات كتاب (اللغة والفكر) للقوصى ؟ فلما اجبته بالنفى اوصانى بقراءته وسرعان ما اقبلت على هذا الكتاب بشغف زائد ادرس فلسفته ونظرياته الجديدة فى تعليم الهجاء ، وقد اشتمل الكتاب على تقريرين هامين للاستاذ القوصى عن تجربة قام بها لتعليم الهجاء بالطريقة الكلية فى سنة ١٩٤١ ، على خمسة عشر تلميذا (لاغير) بروضة قصر الدوبازة وقد حشد لهذه التجربة كل امكانيات المعهد ووسائله التعليمية .

وسر اهتمامى الزائد بهذا الكتاب انى كنت فى ١٩٤٧ قد انتهيت من وضع طريقة جديدة لتعليم الهجاء ومكافحة الامية ، مكافحة لا رجعة لها ، فى شهور قلائل .

ووضعت لهذه الطريقة اداتين هما (اللوح الكاتب ، والهجاء الكاتب)

وقد صنعت هاتين الاداتين بعد دراسة عميقة لسلوك العقل وخطواته فى التعلم من ناحية ، ومراعاة الخصائص التى تنفرد بها اللغة العربية فى طريقة كتابتها وقوالبها الهجائية من ناحية اخرى .

فلما قرات اقوال القوصى عن تجربته فى تعليم الهجاء ، ودرست الحجج الفلسفية التى اعتمد عليها للدفاع عن طريقته وتجربته ـ ادركت كل مافيها من فساد وعرفت سر الاخطاء التى تردى فيها ، ذلك انه لم يلاحظ الخصائص التى تنفرد بها اللغة العربية فى ان جل اعتمادها على القوالب التصريفية ، ولم يلاحظ الفارق العظيم بين كتابتها الخالية من حروف الحركة وبين طريقة كتابة اللغات الاجنبية .

ومن أخطائه انه لم يستطع ان يفرق بين معنى الادراك ومعنى التعلم ، ولا بين انبادى فى تعلم اللغة ، وبين من تعلمها بالفعل ، اذ ان اللغة بالنسبة لمن تعلمها مدركات عقلية حقا تصدق عليها فلسفته التى تقول : ان الانسان يدرك الاشياء لاول وهلة ادراكا كليا ، ولا يدرك الاجزاء والتفاصيل الا بعد ذلك ، واما البادئون فان اللغة بالنسبة لهم (صناعة) يراد تعلمها قولا باللسان وكتابة باليد ، وتعلم الصناعات لا بد فيه من معرفة الاجزاء والتفاصيل اولا قبل التركيب والتاليف ، وما قال احد قبل القوصى ان التعلم يتم بادراك المصنوعات ادراكا كليا وما قال احد من قبله ان التعلم والادراك شىء واحدا .. !!

فلما قرات كتاب اللغة والفكر بكل عناية واهتمام ، قلت فى نفسى :

لا حول ولا قوة الا بالله !! هذا هو الاستاذ احمد امين العالم الفاضل ، ذو الافق الواسع يخدع بالتفاسير المضللة لبعض النظريات الفلسفية الخاصة بالادراك لا بالتعلم واذا كان رئيس لجنة ترقية اللغة العربية قدخدع بفهم القوص لسيكولوجية التعلم فلا بد ان جميع اعضاء اللجنة سيكونون اكثرمنه انخداعا وتسليما ! !

تيسير النحو العربى

لقد راينا فيما سبق ان لجنة ترقية اللغةالعربية قد اقرتذلك المبدا الخطير ، وهو ان تيسير النحو يجب أن يقوم على اساس حذف اكثر أبوابه جملة واحدة ، وتوزيع الباقى على السنوات الدراسية ولكن النحو ليس علما يمكن تخفيف دراسته باقتطاع اهم اجزائه ، والاقتصار على القليل منها ، وانما النحو قواعد متكاملة متعاونة لا يمكن صناعة اللغة صناعة خالية من الاخطاء بدون دراسة جميع أبوابه وقواعده جملة واحدة من غير اقتطاع ولاتجزىء ولا تمزيق .

وهل من الجائز ان نكتفى من كل مجموعة نحوية بحرف واحد ، او اداة واحدة ، أو باب واحد ؟ كالاكتفاء بحرف واحد من حروف الجر او العطف او الجزم ، او الاكتفاء من المرفوعات بدراسة الفاعل والفاء المبتدأ ونائب الفاعل ، او الاكتفاء من المنصوبات بدراسة المفعول به والفاء المفاعيل الاخرى وكل المنصوبات .

وهاهو ذا منهج السنةالثانية الابتدائية كما وضعته لجنةترقية اللغة العربية

١ ــ الجملة الاسمية والفعلية .

٢ ــ مكملات الجملة من المفعول والظرف والوصف(١) والاضافة والجار والمجرور .

٣ ــ الافراد والتثنية والجمع والتانيث والتذكير .

٤ ــ الاستفهام والنفى والنهى والامر

وبمقارنة هذا المنهج بمنهج الجارم من ناحية الكمية نجد انه يساوى أقل من انربع ، وبمقارنته بمنهج حفنى ناصف نجد انه يساوى ١/١٢ .

ولا شك ان مستوى تعليم اللغة العربية بعد تطبيق هذا المنهج ، قد نزل بنفس تلك النسبة .

ولو دخل التيسير بالمعنى الذى راته لجنة الترقية ــ على العبادات ، لكان معناه الاكتفاء بنصف ركعة فى الصلاة كل يوم وليلة ولكن معناه ايضا فى الصيام ــ الاكتفاء بصيام ربع ساعة قبل مغرب كل يوم من ايام رمضان !! ولله فى خلقه شئون!!

السريالزم فى النحو العربى

لم تقف مناهج النحو عند الحد السيء الذى ارتاته لجنة ترقية اللغة العربية فى سنة ١٩٤٨ ، بل اخذت بعد ذلك المناهج تنطور تطورا عجيبا بالاتفاق مع عميد النحو الجامعى المجمعى وبين عميد السيكولوجياومستشارها الفنى فى وزارة التربية والتعليم ، وانتهى هذا التطورالى ادخال اسلوب (السريالزم) فى النحو .

---

(١) ان الوصف ليس مكملا للجملة ولا للمفرد ، كما توهمت لجنة ترقية اللغة . وانما هو تابع من توابع المفرد ، وفرق بين التابع والمكمل وكذلك المضاف اليه ليس مكملا للجملة ولا للمفرد ، وانما يؤتى به لتعريف المضاف او تخصيصه .

العربى بمنهج (المسند والمسند اليه) المعروفة شهرته .

والسريالزم طريقة جديدة فى الرسم تدور حول تشويه الصورة المجسمة وقلب أوضاعها بكل وسائل القلب والتشويه . وفائدة ذلك كما يقول اصحاب الطريقة ، هو تشغيل العقل ودفعه الى البحث والتفكير فيما وراء هذا (المسخ) من أفكار عالية ومعان سامية !!

كرسم صورة انسان ، وفى راسه قرن ثور وحافر حمار وذيل كلب !! او كرسم انسان ذى وجهين احدهما يمثل الحاوى وهو يخرج (الكتاكيت) من البيض ، والثانى يمثل (القرداتى) وهو يرقص قردا امامه ويقول له : العب يا ميمون !!

وكلمة السريالزم اختلف الناس فى أصلها ، فقال قوم : انها فرنسية الاصل لان أول من استعملها هو الرسام الفرنسى الشهير (بيكاسو) مبتدع هذه الطريقة ، وقال قوم آخرون : انها عربية الاصل لانها مركبة من فعل الامر (سر) و (يا) حرف نداء ، واللزم — كما فى القاموس — فرس لبشر بن عمرو بن اهيب وقيل : اللزم — هو (السندباد) لسرعة تنقلاته فى كل الافاق ، وقالوا : ان (السندباديزم) هو السريالزم وزنا ومعنى لاعتماد كل منهما على التزييف والتدجيل !!

ومن احدث مناهج المسخ والتشويه فى مناهج النحو العربى التى جاءت على طريقة السريالزم — توزيع اسماء الاشارة الخمسة على فرقتين دراسيتين فهذا وهذه وهؤلاء فى فرقة ، وهذان وهاتان فى فرقة تالية وتوزيع اسماء الموصول كذلك ، فالذى والتى والذين فى فرقة ، واللذان واللتان فى فرقة تالية .

وكذلك الضمائر ، فانا ونحن وانت وانتم وهو وهى فى طرقة ، وانتما وهما وانتن وهن فى فرقة تالية ولو طبقنا هذه الطريقة فى تعليم الاطفال مبادىء الحساب لوجب دراسة الارقام الآتية فى السنة الاولى (١ — ٢ — ٣ — ٦ — ٩) والارقام الآتية فى السنة الثانية (٤ — ٥ — ٧ — ١٠) .

وآخر ما أصاب النحو العربى من المسخ والتشويه على طريقة (بيكاسو) هو جمع النحو كله فى (برشامة) واحدة اسمها (المسند والمسند اليه) يتعاطاها التلاميذ اثناء الدروس ، فتغنيهم عن دراسة النحو كله ، او تنسيهم آلام النحو كله ، كانها احدث ما اكتشف من الفيتامينات أو المخدرات !!

ولله فى خلقه شئون ! !

وفى العدد القادم سأتحدث عن طرق تدريس النحو العربى .

يعقوب عبد النبى

ظهر

كتاب

مناهج تجديد

فى النحو . والبلاغة . والتفسير . والأدب

بقلم

أمين الخولى

الناشر دار المعرفة

الشرق الأدنى فى الأدب الفرنسى

فى القرن التاسع عشر

تاليف : حسن النوتى
ترجمة : احمد عبده عبد اللطيف

فلوبير فى الميزان

الحافة الاجتماعية فى مصر :

جاب فلوبير مصر برهة كانت الاحداث فيها تضفى على المتناقضات لونا خاصا . لقد شاهد القرن التاسع عشر ظاهرة تغلغل الحضارة الاوربية فى مصر ، بأسرع مما تغلغلت فى غيرها من بلاد الشرق . وجذبت سياسة التغريب التى اتبعها محمد على وخلفاؤه الى مصر عددا كبيرا من الاوربيين . والى جانب الشخصيات البارزة التى قدمت للبلاد أعظم الخدمات بادرت عناصر مشكوك فيها ، تدفعها شهوة الربح ، ووجدت فى الامتيازات الاجنبية ضمانا لها .

وفوق هذا فان حكم الارستقراطية التركية للمصريين حكم السيد للمسود ، مكن محبى الصيد فى الماء العكر من تقسيم البلاد تقسيما منظما بيسر وسهولة .

وتكون خليط من الناس من أوطان متعددة ، يتجمعون حول بعض الاوربيين والمالطيين والشوام والارمن .. وعبثا تظاهروا بحمل مشعل الحضارة الاوربية ، اذ لم يكونوا يعرفونها ، ولم ينقلوا عنها الا أكثر الجوانب زيفا .

وانجذب الى فلكهم شرقيون أصلاء ، أغرتهم الرذيلة ، أو الامل فى منفعة قريبة . وأصبحت هذه الطفمة من الناس مرتعا خصيبا للفساد . وكان هناك ايضا شرقيون معينون يجاهدون فى تمثل حضارة الفرنج بخيرها وشرها ، اما استرضاء للحاكم ، واما لانهم أقاموا فى اوربا . ولعل هذا الخليط الشرقى الغربى كان هو المكان المختار للمسخ ، ولعل القارىء الفرنسى قد اشبع من متناقضات عظمة الشرق عن طريق هذا الخليط .

وقد لاحظ فلوبير بلا عناء هذا الخليط من الثقافة المتعددة الاوطان ، حتى قيل انه يريد ان يتجاوز المنظر الخارجى ويواجه الكواليس ، وانه يريد انتزاع الحقيقة من أعماق النفوس اى ان يكون عالم نفس ، وانه كان ميالا الى ان يؤلف كتبا عن الشخصيات التى لقيها .

الهدف العام لفلوبير :

الظاهر انه وضع نصب عينيه على عجل رواية عن المسخ الانسانى لما سيسميه برزخ السويس ، وهذا التعبير الساخر يحتوى على برنامج كامل بما يتضمنه من معان .

ولو لم نفسر موقف فلوبير فى الشرق بأنه مستوحى من هذا الهيكل العام ، لاثار موقفه امامنا مشاكل لا تحل . واذا كان هذا السائح يبحث عن الوثائق التى تثبت حالة الشعب ، ودور الاجانب ، وعلامات انحطاط المجتمع الاسلامى ، وحتى عن الادب الشعبى والعطور

والـــدهانات ، فذلك لانه يرهف الحس للمواد التى سيؤلف منها الكتاب المنتظر .

اجترار التجارب :

ويفتر حمـــاس فلوبير كلمـا طالت الرحلة . ويقل بالتدريج بحثه عما يزود به مجموعته ، ليتأمل فيما حصل عليه فعلا ، ولن يزود مجموعته من القسطنطينية الا بحثالة من الطبقة السفلى .

لم حدث هذا التقلص المتزايد فى البحث عن برزخ السويس ؟ من المستحيل ان نتجاهل تعب فلوبير المتزايد ، ولن نذهب الى حد تأييد ما قاله البعض من انه اكتفى فى هذه المرحلة بنسخ مذكرات غيره ، ان مذكراته نحس فيها احساسا قويا بروحه ، ولكنها تنم عن التعب الذى تزداد وطاته كلما طالت الرحلة .

وعلينا الا ننخدع بهذا الكسل الظاهرى ففى خطاب سابق على الرحـــلة بمدة كبيرة ، يلقى ضوءا على المغزى الحقيقى لهذا الفراغ الذى يحس به ، اذ قال انه يريد ان يكون بمفرده حين يسيح ، ليفعل ما يشاء ، وليترك افكاره البالغة الحرارة تنطلق بلا عوائق ولا مواربة ، لانه سيكون لديها الوقت لتجيء ولترغى وتزبد كما تشاء . ويقـول : « ان الوسـيلة تلتهم الهدف ! ، ان فراغا جيدا يقضيه الانسان فى الشمس ، اقل اجدابا من المشاغل التى لا يكون القلب فيها موجودا » ان الخمول فى مصر يرجع الى أن شيئا لا يزال غامضا ، وهو فى دور المخاض قبل الظهور ، ومن هنا جاءت هـذه الجملة « واود من كل قلبى أن اتصور شيئا ، ولكننى لا اعرف هذا الشى » !

وفى هذه الاثناء تظهر حقيقة جديدة ، عقب انتهاء الرحلة النيلية مباشرة ، ان فلوبير يحس « باحتياج متزايد للكتابة » لقد اقترب التبلور ، والفكرة تبحث عن مخرج لتندفع منه الى الخارج ، ان الرصيد الذى جمعه فى مصر يطلب جوا ملائما ليتحول الى عمل فنى .

سبب الشكوى الحقيقى :

و هو يعدل عن زيارة ايران مع شدة قربها منه ، وينتظر حتى يتأكد من ان شيئا لن يؤخر عودته الى فرنسا ليصيح معلنا عن رغبته فى رؤية الصين والهند وكاليفورنيا ! انه لم يعد يخدع احدا . وفى القسطنطينية يفضل الاعتراف لصديق بأن الميل الى البكاء يأخذه حين يفكر فى مكتبه وفى ايام الاحد التى كان يقضيها هناك .

ان الحماس للشرق الذى ضعف بعد مصر ، يحتضر على شواطىء البوسفور .

الشرق يعلم فلوبير :

عاد فلوبير مقتنعا ان الغربة التى امل فيها ان تجعله سعيدا ، وهو لن ينخدع بعد اليوم بمغزى صرخاته الحماسية فى شبابه ، فعند التطبيق العملى انقلب البطل الصنديد الى قعيددار ، وسيحلم الكاتب من الآن فصاعدا برؤاه الباهرة بين اربعة جدران ، وعند ما لا يستطيع الجسم ان يجارى الروح ، فان الفن يهدىء من ثورة الانفس .

وقد لقن الشرق فلوبير درسا آخر فقد تعلم فيه ، وهو يتابع بحثه عن المسخ ان ينظر الى الاشياء ، وان يدقق فيها ، وان يحتفظ بلبها . وهو يتعلم ذلك بسرعة بحيث لا نستطيع ان ننكر انه كان من الاصل ذا ميل واقعى ، وقد اظهرته التجربة الشرقية على حقيقته المجردة ، وارجعته الى نفسه .

مدام بوفارى والشرق :

اينبغى ان نرجع الى الشرق كذلك

ـ جزئيا على الاقل ـ مدام بوفارى ؟. ان بعضهم يقرر ان الكتاب نضج فى مصر .. وليس أقل من انه من المحتمل ان تكون مدينة للشرق بشىء ما . ان تنهد شارل بوفارى : « انها غلطة القدر » ضربة قاضية موجهة الى شخصية يسخرمنها ، ويرجع ـ اذا اردنا التدقيق ـ الى نوع من الجمود الشرقى .

وبالاضافة الى ذلك ، فلا شك ان ثلة العينات البشرية التى رجع بها من الشرق تتشابه بالضرورة مع نماذج عالمية . وفى خطاب له يلاحظ الجانب النفسى والانسانى من رحلته ، ما دام قد وجد دائما وفى كل مكان « هذه الحثالة البائسة التى لا تتغير ولا تتزعزع » ، ووجد البله هو هو « على جميع صوره » .

خطأ فلوبير :

وبالرغم من هذا لقد حرمنا الثمرة الاساسية التى كان ينبغى أن تؤتيها الرحلة . ولن نرتضى ما قاله بعض الادباء الفرنسيين من قيمة قصصه فى تصوير اثر الاتصال بين الغرب والشرق ، اذ لم يكن من السهل اعادة بناء الجانب البالى من الشرق ، ما دام يواجه مجتمعا حيا على الرغم من انه يحتضر ، يعيش فى المكان الذى اختفت فيه قرطاجنة او فلسطين الرومانية منذ وقت طويل .

ولم يتعد الرحالة الاوربيون ابدا فى الحقيقة فى ابحاثهم فى البلاد الاسلامية ، حدود الحافة الاجتماعية التى افسد شرقيتها غرب يتفاوت فى اصالته ، والتى نمت على حافة الشرق الحقيقى الذى احكم عليه الاغلاق اختلاف اللغات والمعتقدات ومئات من العقبات الاخرى .

ولا تخلو مذكرات فلوبير من اخطاء جسام . انه يتعجل فيبخس الاسلام حقه . ويأخذ عن فلوبير فينسب للاسلام دورا لن يقوم به الا بعد ذلك بسبعين عاما بفضل أتاتورك . لقد فاتت فلوبير تماما عوامل انحلال المجتمع الاسلامى الاقتصادية والسياسية ، فقد جعل سببا لهذا الانحلال بعض مؤثراته العجيبة المقهى وموجة الشبان الرقعاء .

ولو ان فلوبير بدل هذه الزخرفة المفرضة ، حول اهتمامه الى صورة الحافة الاجتماعية وحدها ، ولو انه نفذ بعض افكار اخرى له ، اذن لاتحفنا بعمل ممتع للغاية . ونحن نحكم هذا الحكم مستندين الى المواد التى تضمنتها مذكرات « رحلة الى الشرق »

منافسو فلوبير

التقاء الشرق والغرب :

عند ما بعث اتباع سانت سيمون ـ وهم من حركات التجديد فى الدين ـ بمرسليهم الى القسطنطينية ، التى اختاروها عاصمة لامبراطوريتهم العالمية ، ليقوموا فيها بالوعظ امام الجمهور ، خدموا على طريقتهم اعتقادا اخذ يعم وينتشر فى القرن التاسع عشر ، وهو حتمية التداخل بين العالمين الشرقى والغربى. وكذلك فعلت الاصلاحات المبهمة التى قامت بها قوى التحرر والحكام الاتراك والمصريون ، وكذلك اتحاد القوى الغربية مع الاسلام ضد مطامع القياصرة ، واخيرا قنال السويس . وتبعث الوسائل الحكومية اثر هذه الافكار وراحت تشيد بدورها بالارتباط الوثيق بين بنى الانسان .

صعوبة البحث فى هذا الالتقاء :

يقرر فلوبير أن الثمار الاولى التى امد انقرب بها الشرق كان فيها كثير من الفساد والحق انه قبل فلوبير ـ الذى نبه الى ما استطاع التنبه اليه ـ لا يذكر الا اديبين

اثنين جرؤا على ان يخطو بضع خطوات نحو هذا البحث ، ثم نرقال ، الذى القى ضوءا على الشرق الذى تسكنه جنسيات متعددة : « الزواج عند القبط » ، « ارمنى دمياط الغامض » ، « الكابتن نيكولا الامريكى » ، ثم نكص عن التقدم اكثر من هذا . وهناك آخرون — نذكرهم هنا — حاولوا هذا البحث بعد فلوبير ، ولكن بذور البحث كانت لسوء الحظ بالغة الصلابة على الايدى الهشة بصغارهم بينما اخطأ كبارهم الهدف .

الفونس دودى

لقد كان فى متناول الفونس دودى المثل الحى للمغامر فى « برزخ السويس » — أى مصر فى ذلك العصر — ولكنه تركه يفلت من يده . انه برافاى ، هذا الرجل الذى اتى الى مصر بكنز من الاحذية ، واثرى ثراء عظيما فى عهد سعيد واسماعيل وكان عليه ان يبرز شخصيته التى بان منها فى الشرق الجراة والدهاء ، ولكنه لا يرينا اياه الا وهو شبعان ومتخم بالذهب ، يعود الى فرنسا ، وقد استبدل بثوب المغامر الخلق ملابس الرجل الشريف الذى يكافح ليعترف به المجتمع الراقى

والشخصية التى يدرسها دودى لا تخلو من متعة ، ولكن هذه المتعة كان يمكن أن تتضاعف مائة مرة لو ان الكاتب قابل بين الجانبين المتعارضين : الرجل الماكر ، والرجل الشريف .

ان رواية « نابات » رواية بتر منها نصفها ، اذ لم يحسن رسم هدفها .

ادموند آبو

يعتبر بعض الادباء الفرنسيين الفلاح الذى صوره ادموند آبو فى سنة ١٨٦٩ صورة ثمينة لمصر فى عهد اسماعيل . ونستطيع ان نضيف ان الصورة غير كاملة

ان آبو يذكر بجراة العيوب التى لا تغضب حكام مصر اذ ذاك ، اما العيوب الاخرى فان حذره يدفعه الى ان يمسك عنها .

ويصدم الاذن مثل هذا الكلام : « ان الاتراك ليسوا الاسياد فى مصر .. والبلاد بأيدى اهلها .. وكل الوظائف العامة تقريبا فى ايدى الفلاحين .. » . ونحن نعرف ان ثورة عرابى التى قامت بعد ذلك كان سببها الاساسى احتكار الاتراك للمناصب الرئيسية فى المصالح الحكومية

ان كتاب ادموند آبو من هذه الناحية فاسد ، انه نشرة من الدعاية الرسمية .

اميل اركمان

رحل اركمان الى الشرق سنة ١٨٧٣ ليشفى نفسه من العبء الذى كان يشعر به من جراء هزيمة سنة ١٨٧٠ ، ورأى أن يزور قناة السويس ، المشروع الفرنسى الذى عوض نجاحه — فى رايه — هزيمة سيدان . وقد الح الجانب السياسى عليه الى حد يبدو انه اعماه عن حقيقة الشرق . ولا شك أن اركمان قد استحضر فى ذهنه « ذكريات رئيس سابق لورشة فى برزخ السويس » خلال حديثه مع رفيقه فى "رحلة « جوجول » ، الذى ادار فعلا ورشة اثناء اعمال حفر البرزخ . ولن يظهر كتاب « الذكريات » على كل حال الا فى سنة ١٨٧٦ .

يقول فى خطاب قبل طبع الكتاب : « يجب أن نبين العالم الشرقى فى هذا الكتاب تبيينا دقيقا ، واللون الصارخ الاصيل لهذه البلاد يجب أن تبين شدته بوضوح تام ، ولكن بلا مبالغة .. » فهل كتب اركمان « الذكريات » على عجل وبلا عناية ؟.. ام انه لم يستطع ان يصل الى حقيقة الشرق ؟ على كل حال ان النوعود المذكورة فى الخطاب نفذت بالعكس

ولقد كان يمكن ان تكون « الذكريات » يوميات نفيسة لاعمال البرزخ ، وكان موضوع كهذا يمكن ان يكون من ذهب بين يدى هذا المؤلف وقد عرفت له روائع ولكن اركمان وهو منصرف كل الانصراف الى التشنيعات السياسية ، يمس هذا الموضوع الهام مسا رفيقا ، ونرى العمال الذين كانت ظروفهم احيانا قاسية ليسوا الا صورة باهتة . ومدار القصة لا يكاد يرضينا .

ومع ذلك فقد كان يمكن المؤلف ان يكون حيا وصادقا ، والشاهد على هذا لوحته التى رسمها فى السويس عن شرق مجرد من معطفه البراق الرومانسى ، ولم يعد يخفى خرائبه ولا غباره .

الفريد دانكر

يمكننا ان نحكم بأن المؤلف توصل — بفضل بعض الحيلة — الى ان ينقب فى مذكرات فلوبير ، ليخرج من مجموعة المسخ « حنا افندى » ، أبا الفاسدة اسكندرة ، بطلة اقصوصته الاولى .

وليس فى ملامح هذا المالطى ، الذى لجأ الى الاسكندرية بعد افلاس مزيف وجريمة ، ملمح لا يمكننا العثور عليه الان فى حيوان معين من حيوانات موانىء البحر الابيض المتوسط الكبيرة ، ان الشخصية تحمل اكثر قليلا من طاقتها ، وهى تحصل بهذا الشذوذ على قيمة دلالية : انها مغامرة برزخ السويس . ومن الحق ان بقية القصة لا تسير على هذه الوتيرة : ان دانكر كاتب صغير .

والاقصوصة الثانية فى الملامح الشرقية وهى « الانصارية » تتحفنا بمواجهة ساخرة بين رجال الدين المسيحيين والمسلمين ، فان الصدفة تجمع فى قارب واحد ، فى رحلة من مصر الى يافا ، ثلاثة قسس من الفرانسيسكان ، وهم مهذبون اشداء ، ياكلون اللحم يوم الجمعة ، وقسيس بروتستنتى شاب مزهو فى ردائه المضحك ، ورجل دين مسلم مفرط فى السمنة ، يعيب تناول لحم الخنزير الذى يتناوله الفرنسيسكان ، بينما يغرق همومه فى الروم !

ان الفريد دانكر مؤلف غامض . ولقد قام — بافضل بكثير ممن جاوزوه قدرا — بتبين ملامح برزخ السويس ، وهى الملامح التى قد يكون لاحظها عندما كان يصاحب المستكشف « دابادى » ، ولكن ذلك لا يهمنا ما دام عمله عبارة عن بعض الرسومات الكروكية الحية .

ولقد كان لدانكر فضل الاهتمام بالعنصر الانسانى ، بينما سمع معاصرون له مشهورون لانفسهم ان يجذبهم بريق الوان الشرق المجموعة بغير تجانس .

ويكفى فضلا لالفريد دانكر انه كان اكثر جراة من فلوبير برسمه برزخ السويس رسما ادبيا ، ولا باس بهذا النجاح لكاتب صغير .

شارل ادموند

يمثل المسخ بعنفه وشراسته عند فلوبير جاذبية تضاف الى الفتنة التى يثيرها الشرق ، بل لقد يصل الفساد الخلقى عنده الى درجة بطولية . وعند الفريد دانكر يثير برزخ السويس الاشمئزاز والضحك ولكنه لم يعد فاتنا ، ويفصح شارل ادموند عن عمد مبين الى تحقير الشرق ، والى تفجير ما يعتبره بالونا من اهواء الحيوان ! وما تبقى من قبس رومانسى عند فلوبير انطفأ فى قلب شارل ادموند .

ولا شك اننا حين نفتش فى كتابه فاننا نعثر هنا وهناك على بعض بقايا « اللون المحلى » المشهور . ونجد اصبع

الرومانسية فى الصفحات المخصصة لليالى رمضان فى القاهرة . وتاخذنا هزة رومانسية اخرى عند ما يحلم شارل ادموند ـ تحت ابواب القاهرة ذات الحنايا او امام جامع السلطان حسن ـ بالمماليك الذين يرتدون الملابس الزاهية المزودة بالخناجر ، وهم يستحثون الفهود المستانسة ، او بخليفة على حصان يتلالأ بالمذهبات والجواهر . ولكن التهكم والسخرية يحتلان المقام الاول فى كتابه ، وتندر الصفحات التى لا يرصعها التندر والاستهزاء ، وبحث وصف الشعوب كتب عن طريق سلسلة احداث هزلية .

ولم يستطع المؤلف ـ مدفوعا برغبات الاستهزاء ـ أن يقاوم متعة الذهاب للصيد على أرض برزخ السويس ، ووجه بعض الطعنات الى المجتمع التجارى فى ذلك العصر ، وكان على حد قوله ، مسرحا لحرب تشبه حرب الهنود الحمر ! : « انهم يحرقون دمهم ليحصلوا على اكياس القطن ، وليظفروا بأرادب الفول ، وليتفانوا ماليا على ضربات قصب السكر » ، والقطع التى من هذا النوع قليلة لسوء الحظ .

وفى النهاية يسير الكتاب فى كل شىء بالعكس : كاريكاتور لجنرال بلى من كثرة التكرار ، تحمس غير مفهوم ضد بعض الشخصيات ، مؤامرة حب مملة مع عالمة (راقصة شرقية) ، تأليف متهافت الى اقصى حد : لقد أصبح الكتاب يكاد الا يحتمل .

الخلاصة

توسط بين اتجاهين :

لم تضع محاولات فلوبير سدى ، والتوفيق الذى صادفه جيراردى نرفال فى مصر كان حادثا منفردا لا يمكن أن نستخلص منه اى استنتاج عام . وبالاضافة الى هذا كان ما كتبه عن مصر فى منتصف الطريق بين استشراق الرومانسيين المزيف ، وبين واقعية برزخ انسويس . والكتابة عن مصر لم تتبع لا هذا الاتجاه ولا ذاك .

تركيا ومصر :

ان الواجهة الرائعة ، الموروثة عن العصور الوسطى الاسلامية ، لم توح ابدا فى مصر بمثل ما اوحت به من صفحات رائعة فى تركيا . ذلك انه لم يظهر على ارض الفراعنة انتاج اصيل ، نابع من البلاد نفسها ، وانما كانت هناك أحكام على بلاد تنقل لتطلق على بلاد اخرى . ونحن نزداد اقتناعا بهذا كلما عرضنا الدراسات المصرية على المجال العام .

جوهر مصر الحقيقى :

لقد توجه القوم جماعات تحو الاثار التى مر عليها آلاف السنين فى صعيد مصر ، وادهشهم انهم اكتشفوا هناك اماكن لم تتقير ولم يشوهها التدخل الاجنبى ، وشيئا فشيئا تجلى الانسجام بين بقايا ماض عريق وزخرف حديث ورقع جانب من القناع الاسيوى عن وجه مصر .

« يتبع »

يا أخي الأبيض

على لسان زنجي بامريكا

يا أخي الابيض هل تغدو الى روض الاخاء
تنزع الاحقاد من قلبك ريان الصفاء
كم تنساب حمياك بروح الكبرياء .. ؟
أنا لحم ودم ! هل انت نجم في السماء ؟
هل أنا الليل وانت الشمس تزهو بالضياء ؟
لست داء يقصف الناس لتمضي في ازدرائي
لست أحيا كالجراثيم على مص الدماء
أصلنا آدم يمتد الى ترب وماء
لست الا آدميا أرتدي فجر العلاء
انا انسان وانسانيتي ملء الفضاء

* * *

أنكرت اللون في جلدي ممتد السواد ؟
انما الجلد غلاف لا يعي ما في الفؤاد
وهل اللون سوى القشرة ؟ هل غير مداد ؟
تكتب الصفحة بيضاء بآثار اسوداد
يوزن المرء بما في لبه من خير زاد
ليس بالتمويه فوق السطح يعلو للسداد
وصباحي غامر بالنور دفاق الرشاد
أنا بالنبل بياضي وبتيار اجتهادي
أبيضاض القلب والاعمال وحيي وعمادي
أنما اللون تفاهات كذرات الرماد

* * *

هل يضر الدولة العلياء لوني الاسود ؟
هل يخط المجد من وجهك لون أمرد ؟
بئس من دستوره الوضاء جلد أملد
دفقة الضوء بصدري نبضها لا يخمد
فشعاري الحق والفعل السديد الامجد
انما وحيك صبغ تافه لا يصمد
نيلك العابث في كوني غباء ملحد
سار في تيار موج السعار المزبد
أين ما في عقلك الجبار ؟ أين السؤدد ؟
ومتى أنت على أمري ونفسي سيد ؟

* * *

يا أخي ما حيلتي في اللون حتى تزدريني
وتصب الثورة الحمقاء تفري في يقيني
وترد النور أن يدنو الى كوني الثمين ؟
كيف لم أخلق لغير الذل يسري في معيني ؟
كيف لا تنمو بوادي العزة الخصب غصوني ؟
كيف لا يزهو مع الحرية الزهراء حيني ؟
أن انسان شدت في موكب الحق لحوني
أن روح قد سرى في نهرها أمضى سفين
أنا احساس غني بانفعالات السنين
كيف لا أمضي مع الركب الى الفجر الامين ؟

* * *

لم تنـأى عن وجودى فى اباء وازدراء ؟
هل ستجتاحك من افقى جرائيم الوباء ؟
هل سيفشى حقلك الحالم طوفان البلاء ؟
ان جوى طاهر الاطياف دفاق الضياء
ان بحرى رائع الاصداف رفاف الهواء
ان لحنى راقص الاصداء شفاف الصفاء
فلم العزلة عنى ؟ لم الهاب العداء ؟
لم غرس الشوك فى وادى يمتص دمائى ؟
لم تغتال باجوائى الزهيات رجائى ؟
انت لص تسرق المتعة من دنيا هنائى

* * *

ليس لونى هو ذنبى انما وحى الطبيعة
هو ارث الاب والام واسرار الزريعة
هو صنع الله ما لليد فيه من ذريعة
فاضىء فكرك كى يرتاد للحق ربيعه
اطلق العقل بدنيا البحث لا تطفىء شموعه
ستـرى انك مخدوع طوى الكبر سطوعه
وستمضى فى ربا الاخلاص كى تروى زروعه
فاطرح الكبر لكى تبصر للصبح الطليعة
وانبذ الحمق الذى اعماك ان ترنو نصوعه
كم هوت نفس حميـاه فالقاها صريعة

* * *

يا اخى الابيض انى سوف امضى فى طريقى
احمل العزة كالشعلة تزهو فى عروقى
لن اذل اليوم لن اخضع للقيد الوثيق
ساقد الصخر من خطى بايمانى العميق
فاذا صافحتنى بالقلب فالسلم رحيقى
وهفا الحب بوادينا كاحلام الشروق
واذا لم تحمد البغضاء بالمهد العريق
واذا لم تنج من كبرك باللحن الرقيق
فساروى الغضبة الرعناء بالعنف الطليق
وسامضى كالضحا الالاق ممتد السموق

محمد مصطفى الشريف

أجازة

الادب

فى شهرى اغسطس وسبتمبر

وللقراء الكرام يديل هو

كتاب

قيم جديدة

للأدب العربى

تأليف

الدكتورة بنت الشاطئ

جدارة أمل

أمل نمـــا بين الجوانح من ســـــنين
شرب المـدامع واغتـذى لهب الحنين
أنا لست أدرى كم أطل من العيـــون
ما زلت أذكر : كم شـدا أندى اللحـون

كم أطلق الثغـــر المصـــفد بالاسى
وهنـــا بأضـلاعى تخطـر مائســا

كالورد يخطـر حين يلثمـــه النسـيم
يحنـو ، فتنفض كفه عنـــه الهمـوم

بين الجوانح هـــكذا نشـــــأ الامل
عبر الســـنين نمـا ، وأوشـك يكتمل
رشف الظمـــــا حينا ، وآونة ثمـــل
واليـوم فى الريعـــان وافاه الاجـــل

قـــد مات بين جـوانحى أملى فجـاءه
متضرعا للمـوت لمـــا الموت جـاءه

لـــكن خنجـره تغلغـــل فى الصـميم
فى القلب .. فى الشريان قد نفث السـموم

والآن أمضى للقبـــور مشـــــيعا
أملا عزيزا فى الفـــــؤاد ترعـرعا
أملا معى طاف الدروب وكم ســـعى
القى عليـــــه ناظـــرى مودعا

أملى قضى ، لـــكننى ما مات حبى
ما زال مختلطـــا هنـا بشغاف قلبى

وبرغـم أن النـــور كفن فى الغيـــوم
قلبى سـيذكر عمـره الحب القـــديم

انى أسـير مشـــيعا أملا شـــهيدا
وغدا أشـــيع بعـــده أملا جديدا
واعود بين مســالكى أمضى وحيـــدا
وتهيجنى الذكرى ، فارســـله نشيدا

قـد رصـــعته مدامعى ، واسى فؤادى
لف المقـــاطع .. لفها بين السـواد

فهنـــاك آمال توارت فى الـــديم
سيظل قلبى حولهـــا ابدا يحـــوم
الاننى قد ضم صـــدرى قلب شـــاعر
قـد بات تزحمه العواطف والمشـــاعر
اقضى الحيـــاة رهيبـــة ، والقلب حائر
طول المـــدى لهب المآسى فيـــه ثائر
يبـــكى على أمل توارى فى التـــراب
هجـــر المآقى ، واســـتحال الى سراب
فمتى يعـــود البرء للقلب الـــكليم ؟
هـــذا سؤال كم تردد من قـــديم !
واحس همســـا خافتـــا فى مهجتى :
سيكون هـــذا حين تكمل قصـــتى
واضـــم اشـــلاء المنى فى رقـــدتى
ويلف أناتى ســـكون الرهبـــة
لـــكننى والقلب يعصره اســـاه
ســـاظل ابحث ناشـــدا املا ســـواه
وبذكرياتى والمنى قلبى يهيـــم
حتى يضم رفاتنـــا القبر الرحيـــم

«عبد الحفيظ صقر»

رسالة الازهر
فى القرن العشرين
بقلم
أمين الخولى
خطة رسمت منذ خمسة وعشرين عاما
وتحققها الحياة اليوم
تعيد طبعها دار المعرفة

الى شمعتى

اتبكين حتى تجف الدموع ... وتكويك نارك بين الضلوع
ولا تفزعين لقرب الفناء ... وعمرك ما بين سهد يضيع

●

ارى الليل عندك أغلى حبيب ... تحبين فيه السكون الرهيب
ويقسو عليك فلا تهجرين ... ويرقب عمرك فيه يذوب

●

وألقى الفراش من الروض هام ... وجاء يبثك أوفى غرام
فلا ترحمين ، ولا تسمعين ... ولا أنت تبدين أى اهتمام

●

ولكنه عاشق مغرم ... يعذبه صدك المؤلم
وأنت على عمره تشفقين ... من الموت ، ياليته يعلم !

●

حياتك تقضينها ساهرة ... وأنت معذبة حائرة
وعند الصباح ، تطيب الجراح ... وتسكن أنفاسك الثائرة

●

أنا كم احبك يا شمعتى ... فنورك يذهب من وحشتى
اذا ملنى الناس كنت الصديق ... الذى لا يمل من الوحدة

●

احبك يا شمعتى الغالية ... فانت مضيعة مثليه
تموتين والناس فى نشوة ... فهل بعد ذلك من تضحية !

ابراهيم حافظ

●

الأسى ...

ترجمة انيس توفيق

نقلت عن الترجمة الانجليزية

لآيفى لتفنوف

كان جريجورى بتروف يحمل زوجته الى مستشفى (زمستفو) . وجريجورى بتروف خراط توطدت شهرته كصانع رائع ، وفى نفس الوقت كاعتى سكير عربيد فى كل ناحية (جالكينو) . كان عليه ان يقطع ثلاثين فرسخا . وكان الطريق مريعا ، حتى ساعى البريد لا يكاد يقوى على مجالدته ، فما بالك بشخص كسول مثل الخراط جريجورى ؟ وهبت فى وجهه ريح باردة قاسية ، وراحت ندف الثلج تدوم فى سحائب هائلة . كان من العسير ان يعرف هل يجىء الثلج من الارض أم السماء ، فلا الحقول ولا أعمدة التلغراف ولا الغابات بمستطيع هو ان يراها من الثلج ، وحين تنقض عليه عصفة ريح عنيفة لا يستطيع ان يرى حتى عربته الصغيرة . وراحت الفرس العجوز المتهالكة تدب دبيب القوقعة . كانت تحتاج لكل طاقتها كى تنتزع كل حافر من الثلج العميق وتمد رأسها الى الامام . وكان الخراط فى عجلة من امره ، فهو قائم ، قاعدة ، متململ ، ملهب ظهر الفرس بالسوط من حين لآخر .

تمتم : « لا تبكى يامتريونا ، حاولى ان تصبرى . سنكون فى المستشفى سريعا باذن الله ، وسيعنون بك فى الحال . سيعطيك بافل ايفانتش بعض نقط الدواء ، أو يأمرهم أن يفصدوك ، أو عساه يتكرم ويطلب اليهم تدليكك بالكحول ، انه يسحب الوجع من الجنب كما تعرفين بافل ايفانتش سيفعل كل ما فى وسعه . سيصيح أو يضرب الارض بقدمه وبعد ذلك يفعل كل ما فى وسعه . انه سيد لطيف جدا ، فليباركه الله . بمجرد ان نصل سيخرج جريا من بيته ، ويبدأ فى السباب والصياح :

ـ ايه ؟ هيه ؟ لم لم تأت مبكرا ؟ هل انا كلب حتى انشغل بكم طيلة اليوم ياملاعين ؟ لم لم تات فى الصباح ؟ اخرج ! نسال غدا !

وساقول :

ـ ايها السيد الدكتور ! بافل ايفانتش ! انها المبجل !

شيه بالعينة ، شيه !

وهوى الخراط على الفرس بالسوط ، وتابع شتات حديثه غير متلفت الى زوجته :

ـ « ايها المبجل ! يشهد الله ، اقسم بالصليب المقدس انى خرجت من بيتى فى الصباح المبكر . كيف أصل هنا فى البعاد وقد ارسل الرب فى غضبه مثل هذه العاصفة الثلجية ؟ انظر بنفسك ... حتى الفرس الكريمة ما كانت تستطيع الوصول ، وفرسى ، انظر اليها ! انها ليست فرسا ، انها عرة الخيل !

ويعبس بافل ايفانتش ويصيح :

ـ انا اعرفك ! انك تجد العذر دائما ! خاصة انت يا جريجورى ! انا اعرفك جيدا . اظنك توقفت خمس مرات فى الطريق ، عند الحانات .
واقول :
ـ ايها المبجل ! هل انا وحش بلا قلب؟ كافر ؟ امراتى العجوز على وشك ان تسلم الروح وانا اجرى الى الحانات ! كيف تقول مثل هذه الاشياء ؟ فلتذهب الحانات الى الجحيم !

ثم يأمرهم بافل ايفانتش أن يحملوك الى داخل المستشفى . وانحنى امامه :

ـ بافل ايفانتش ! ايها المبجل ! نحن نشكرك بخضوع ! اغفر لنا نحن الحمقى المساكين الخطاة . لاتحكم علينا بقسوة ، انا مجرد فلاحين ! نا نستحق ان نركل ، وانت تخرج فى الثلج لمقابلتنا .

ويبدو بافل ايفانتش كانه على وشك أن يضربنى ويقول :

ـ بدلا من ارتمائك على قدمى ، يحسن أن تكف عن عب الفودكا ايها الغبى وان تشفق قليلا على امراتك العجوز ـ انك تستحق الجلد !

ـ الجلد ، بافل ايفانتش ، يعلم الله انا نستحق الجلد ! لكن كيف نمنع انفسنا من الارتماء على قدميك والانحناء امامك وانت ابونا والمحسن الينا ؟ ايها المبجل ! الحق اقول لك امام الله ، وابصق فى وجهى ان حدت عنه ! فى اللحظة التى تتحسن فيها زوجتى متريونا ، فى اللحظة التى تعود فيها مثلما كانت ، ساصنع لك ما تتكرم بطلبه : صندوقا للسجائر من القصدير المرقش ان شئت ، كرات للكروكيت ، تسعة أوتاد ومدحاة مثل المصنوعة فى الخارج ... ساعمل لك اى شىء ! ولن آخذ منك كوبكا واحدا . انهم يأخذون فى موسكو اربع روبيات نظير صندوق للسجائر كهذا ، ولن آخذ كوبكا .

ويضحك الطبيب ويقول :
ـ حسنا ! حسنا ! هذا يكفى . من المؤسف انك سكير بهذا الشكل .

انا اعرف كيف اكلم السادة ايتها العجوز . ليس من سيد لا استطيع تملقه . لو ساعدنا الله كى لا نفقد طريقنا ! يا لها من عاصفة ! انى لا اكاد ارى من الثلج . »

وراح الخراط يتمتم دون توقف ، تاركا لسانه يثرثر آليا ليكتم قلقه . ومع ان له رصيدا من الكلمات يسعفه وقتما شاء ، فقد ظلت الافكار والاسئلة فى راسه أكثر من الكلمات . لقد فجا الهم الخراط كصاعقة من السماء ، فضاع ، ما عاد قادرا ان يفيق ، ان يثوب الى نفسه ، ان يفكر . لقد عاش حتى الان حياة لاهية ، فى ضرب من ذهول مخمور ، لايعرف الهم او الفرح ، واذا به على حين غرة يحس المرا مبرحا فى قلبه . السكير الكسول الخالى القلب وجد نفسه فجاة فى موقف رجل مشغول مهموم ، رجل فى عجلة من امره ، فى صراع مع الطبيعة ذاتها .
لقد بدا الهم كما يذكر الخراط فى الليلة السابقة . فى الليلة السابقة حين عاد الى البيت مخمورا ككل ليلة وبدا بحكم العادة

القديمة يسب ويلوح بقبضته ، نظرت زوجته الى جلادها كما لم تنظر اليه من قبل . ان عهده بعينيها شهيدتين صاغرتين كعيني كلب يضرب كثيرا ويطعم قليلا ، لكنهما الان صامدتين ساكنتين كعيون القديسين في الايقونات او عيون اناس يموتون. لقد بدأ الهم بهاتين العينين الغريبتين المزعجتين . وتوسل الخراط الحائر الى جار له ان يعيره فرسه ، وها هو يحمل زوجته الى المستشفى ، آملا ان يعيد بافل ايفانتش بمساحيقه ودهاناته التعبير المألوف الى عيني المراة العجوز .

تمتم :

«اسمعي يا متريونا ، ان سالك بافل ايفانتش اذا كنت اضربك قولي : « اوه ، لا يا سيدي » ، ولن اضربك بعد ذلك ابدا . بحق الصليب المقدس لن اضربك انت تعرفين اني لا اقصد حقيقة ان اضربك لعجزي عما هو افضل . انا احبك . ما كان غيري يهتم ، لكني احملك الى المستشفى ، اني افعل كل ما استطيع وفي مثل هذه العاصفة الثلجية ! مشيئتك يا رب ! لو ساعدنا الله كي لانفقد طريقنا كيف جنبك يا متريونا ؟ لم لا تقولين شيئا ؟ اني اسالك ـ هل جنبك يؤلمك ؟ »

ظن انه من العجيب الا يذوب الثلج على وجه المراة العجوز ، من العجيب ان انوجه نفسه يبدو كأنما طال وغدا بلون التراب ، بلون الشمع المصفر ، وانه جامد وقور .

وتمتم الخراط :

« ايتها الفيبة العجوز ! اني اسالك باخلاص امام الله ، وانت .. ايتها الفيبة العجوز ! لن آخذك الى بافل ايفانتش ، هه ! »

وترك الخراط لفرسه العنان ، وترك لافكاره العنان ؛ لم يستطع ان يحمل نفسه على ان يلتفت وينظر الى المراة العجوز ـ كان خائفا . كان خائفا ايضا ان يستمر في سؤالها دون ان يتلقى جوابا . واخيرا ، كي يضع حدا للقلق ، ودون ان ينظر الى المراة العجوز ، تحسس يدها الباردة . وحين تركها سقطت كالحجر .

« لقد ماتت ! يا ويلي ! يا ويلي ! »

وبكى الخراط . لم يحس بالحزن قدر ما احس بالضيق . فكر في نفسه :

بالسرعة الاحداث في هذه الحياة . لم يكد حزنه يبدأ حتى انتهى كل شيء . لم يكد يعيش مع زوجته ، يعبر لها عن مكنون قلبه ، يعزها ، الا وماتت . لقد عاش معها اربعين سنة ، ومرت هذه السنون الاربعون في ضرب من سديم . بين الشراب والعراك والفقر مرت الحياة دون ان يدري . ولقد ماتت المراة العجوز في نفس اللحظة التي احس فيها انه يحبها ، انه لا يستطيع ان يعيش بدونها ، وانه جار عليها جورا فظيعا .

تذكر : « لقد كانت تتسول . كنته ابعثها تتسول الخبز ، نعم ! يا ويلي ! يا ويلي ! كان يمكن ان تعيش عشر سنين اخرى ، الفيبة المسكينة ، وهي الآن تفكر اني كنت كذلك حقا . يا امنا المقدسة ، اين ذاهب انا ؟ انها تحتاج الى الدفن الآن ، لا الى الطبيب ! شيه انت الاخرى ! »

ادار جريجوري راس الفرس ، وانصب عليها بالسوط بكل قوته . وكل ساعة يزداد الطريق سوءا . انه لا يستطيع الآن ان يرى عريش العربة على الاطلاق . وبين حين وآخر ترتطم العربة بشجرة شربين صغيرة ، فيخمش كل شيء اسود يد الخراط ويندلع من امام عينيه ، ولا يعود يرى سوى البياض المحوم .

وفكر الخراط : « لو استطاع الواحد ان يبدأ الحياة من جديد . . . »

تذكر ان منذ اربعين سنة كانت متريونا شابة ، جميلة ، مرحة ، وانها جاءته من بيت موسر . لقد زوجوها ! لمهارته . كانت لهما كل مقومات الحياة السعيدة . لكن مد القى بنفسه مخمورا على اقريز

المدفأة ، بعد انتهاء الزفاف ، وهو يبدو غير قادر أن يفيق تماما . يمكنه ان يتذكر الزفاف لكن مما حدث بعده لا يمكنه ان يتذكر — ولو أمضى عمره — الا الشراب والنوم والعراك . وهكذا ضاعت اربعون سنة .

وبدات السحب البيضاء من الثلج المحوم تغبر بالتدريج . انه الغسق .

وسأل الخراط نفسه من جديد : « اين ذاهب انا ؟ على ان ادفنها وهانا اسوق الى المستشفى ، لا بد انى جننت ! »

وثانية ادار الفرس ، وثانية راح يضربها . واستجمعت الفرس كل طاقاتها ، وزنخرت ، وبدات تركض . وراح الخراط يلهبها بالسوط مرة بعد مرة . واذا هو يسمع هبدا فى مكان وزاءه ، فعرف دون ان ينظر خلفه ان راس الجسد يرتطم بجانب العربة . وراح الظلام يزداد ويزداد ، والريح تمسى اكثر بردا وقسوة .

وفكر الخراط : « ان ابدا الحياة من جديد ، ان احصل على أدوات واتلقى طلبات واعطيها النقود .. نعم ! »

ثم افلت منه العنان ، وراح يبحث عنه ويحاول التقاطه دون جدوى ، لم تطاوعه يداه . وفكر : « لا يهم ، ستمضى الفرس من تلقاء نفسها ، انها تعرف الطريق — لو استطعت ان انعس الآن ، لو استطعت ان ارتاح حتى وقت الجنازة والصلاة . »

واغمض الخراط عينيه واغفى . وبعد قليل سمع الفرس تقف ، واذ فتح عينيه وجد نفسه امام شىء مظلم ككوخ او بيدرقت .

كان يعرف ان عليه ان ينزل من العربة فى كل اطرافه فهو لا يستطيع التحرك ليكتشف اين هو . لكن كان هناك فتور فى كل اطرافه ، فهو لا يستطيع التحرك ولو لانقاذ نفسه من التجمد حتى الموت ، فنام فى سلام .

استيقظ فى حجرة كبيرة مطلية جدرانها بالجير . كان ضوء الشمس المشرق يتدفق من النافذة . واستطاع الخراط ان يرى فى الحجرة اناسا ، وكانت فكرته الاولى ان يبدو وقورا ذا دراية . قال :

— لا بد ان نقيم الصلاة على المراة العجوز ، لابد من أخبار الكاهن .

وقاطعه صوت :

— طيب ، طيب ! لا تتحرك الآن .

فصاح الخراط فى دهشة وقد راى الطبيب فجاة :

— ايه ، انه بافل ايفانتش ، ايها المبجل ! ايها المحسن !

وحاول ان يقفز من السرير ويخر على وجهه امام علم الطب لكنه احس ان ذراعيه وساقيه لاتطيعه .

— ايها المبجل ! اين قدماى ؟ اين يداى ؟

— قل السلام على يديك وقدميك .. لقد تجمدت . هيه ، هيه ، علام تبكى ؟ يكفيك ما عشت ، ولتشكر الله ! اظنك فوق الستين ، لقد فات زمانك .

— يا ويلى ! يا ويلى ايها المبجل ! اغفر لى ، لو استطعت ان اعيش ست سنين فقط !

— لم ؟

— لم تكن الفرس فرسى ، على ان اعيدها ، على ان ادفن امراتى العجوز . آه ، يا لسرعة ما يحدث كل شىء فى هذه الدنيا . ايها المبجل ! بافل ايفانتش ! صندوق سجائر من احسن القان المرقش ! سأصنع لك طاقم كروكيت ...

فخرج الطبيب من الحجرة مشيحا عنه . انتهى الخراط .

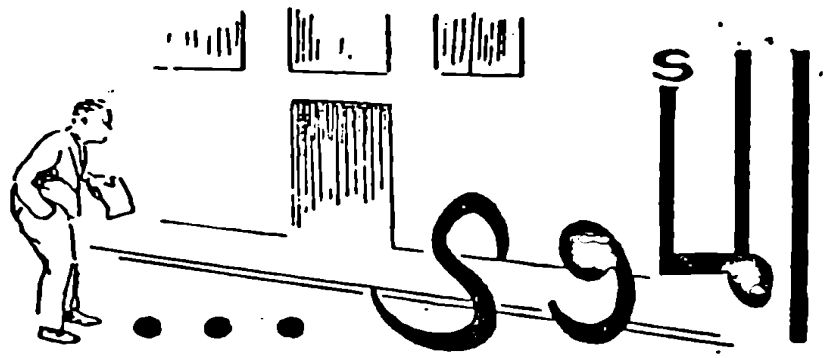

قصة بقلم : مصطفى الاسمر

حيا عبدالفتاح زميله تحية الصباح ، ثم اتجه فى تثاقل واعياء الى منضدة قديمة صغيرة ، قيد أحد أرجلها الاربعة بسلسلة حديدية صدئة مثبتة فى وتد ، ودق بعناية فى أرضية ممر مبنى الشهر العقارى والتوثيق ..

وبغير مبالاة ابتدأ ينظفها ، وهو يردد بصوت خفيض غير مسموع أدعية مأثورة طلبا للرزق .. وعند ما اطمأن عبد الفتاح الى نظافة المنضدة ، وضع فوق ظهرها حقيبته الجلدية القديمة ، وبتأن وحرص فتحها ، وأخرج محتوياتها من أوراق مختلفة الاحجام والالوان ، وقطع نشاف عديدة ، ومسطرة خشبية متآكلة ، وممحاة حبر زرقاء اللون .. ومن جيب جاكتته الأيسر اخرج محبرة ممتلئة بحبر ازرق ، ومن الجيب الأيمن اخرج محبرة اخرى بها حبر أحمر ، فوضعها فوق ظهر المنضدة بحذر وانتباه ... ثم نادى بصوت خفيض يائس على صبى المقهى المجاور لمبنى الشهر ...

وحضر الصبى يهرول ، وهو يحمل بيد كرسى عبد الفتاح الخيزرانى ، وباليد الاخرى صينية عليها فنجان القهوة السادة التقليدى .. وفى استرخاء جلس عبد الفتاح على الكرسى ، وابتدأ يحتسى قهوته فى بطء وتلذذ ، بينما أفكار عدة ، وخواطر عديدة تملأ ذهنه وتشغل باله.. وانتهى عبد الفتاح من احتساء قهوته انسادة فتأمل زميله وقال :

ـ « يعنى الساعة بقت تمانية ومظهرش ولا زبون . »

ومن امام منضدة صغيرة مشابهة تماما لمنضدة عبدالفتاح ، نهض رجل طويل انسيب ، واتجه اليه بصوت اجش غليظ متفائل قال :

ـ « الوقت تفرج يا عبده يا بنى . »

وعندما حاذاه ربت على ظهره واستطرد :

ـ « انا مش عارف انت ليه شايل الدنيا كلها على دماغك .. بقالك أسبوع يا اخى وانت مشغول قوى ... »

وتنهد عبد الفتاح وقال :

ـ « اعذرنى يا سى يوسف ، أصل ميعاد تنفيذ الحكم قرب ، وزى ما انت عارف يا الدفع المرة دى يا الطرد .. ولحد الوقت منيش لاقى ولا بيت .. »

وابتسم الرجل العجوز وقال بالفة :

ـ « سيبها على الله ياشيخ ومتشلش هم بكرة تفرج »

وتنهد عبد الفتاح ، ورفع وجهه الى السماء ، وتامل صفاءها بعينيه ، ودعا الله ان يفرج كروبه ...

ومن بعيد ظهر رجل طويل ، ضخم الجسد ، ذو شارب كثيف ، يرتدى جلبابا ابيض ، وعمامة ضخمة وبجانبه تسير امراة عجوز دميمة ...

ونهض عبد الفتاح من فوق الكرسى ، وفى عجلة اتجه نحوهما ، وهو يرجو ويتمنى ان يكونا بشرى زبائن اليوم .. وعندما حاذاهما سلم على الرجل بترحاب كبير ، وحياه باحترام زائد ، وبحرارة واضحة ، ثم قدم للمراة كرسيه الخيزرانى ، واحضر بنفسه كرسيا آخر للرجل ... وابتدأ يكتب له صيغة التوكيل الذى كلفه بكتابته ..

وارتعشت يد عبدالفتاح وهو يكتب الصيغة التقليدية .. (وله حق ادارة املاكها من املاك وعقارات وتاجرها واستلام الريع الناتج منها واعطاء الايصالات ، والمخالصات والتوقيع عليها نيابة عنها ، وتوقيع الحجوزات التحفظية وغيرها بكافة انواعها على المستاجرين وتنفيذها وقبض قيمتها .. وصرحت له بالمرافعة والمدافعة والمخاصمة والاقرار والانكار والابراء والتنازل عن الدعاوى وشطبها والصلح والتوقيع على محاضر عرفية كانت او رسمية وطلب تحليف اليمين الحاسمة وردها وقبولها وفى رد القضاة وفى الاقرار بالدين والابراء منه وفى تسليم الاوراق) .

ومع انه كتب مثل هذه الجملة من قبل عشرات المرات ، بل مئاتها ، الا انها لم تحدث فى نفسه اثرا كما تحدث الآن .. وتقلصت اصابع عبد الفتاح النحيلة على القلم ، وتوقف عن الكتابة .. ولاحظ المعلم رعشته وارتباكه ، فاستفسر منه عن السبب وهو يتعجله .. وتاسف عبد الفتاح متعللا برداءة الحبر وسن القلم .

ثم رج القلم بشدة ، فتساقطت منه قطرات من الحبر الازرق ، لوثت اصابعه وحذاءه ...

وثار المعلم وهدد بالانصراف .. فعاد عبد الفتاح الى الكتابة من جديد دون توقف .. وعندما انتهى من كتابة التوكيل تماما ، تنهد فى ارتياح ، وابتدأ يقرؤه على المعلم بصوت منغوم ، كان له اكبر الاثر على نفسه وخاصة عندما كان يعيد بعض الجمل ، ويضغط على بعضها الآخر بطريقة مقصودة ، لاريب انه كان يعرف مقدما انها ستجد لها فى نفس المعلم صدى ، يساعده فى المستقبل على المطالبة بأجره ..

واستعاد المعلم بعض العبارات واسترجعها .. واعاد عبد الفتاح تلاوتها من جديد فى خيلاء وعظمة وسعادة ، حتى اكمل قراءة التوكيل ...

وصفق عبد الفتاح مناديا صبى المقهى .. واتى الصبى ، يهرول كعادته ، وصوته الحاد يسبقه ويعلن عنه ، وامره عبد الفتاح باحضار قهوة للرجل ، وشاى للمراة .. وبأدب شديد طلب من الرجل نقودا ليدفع الرسوم .. واخرج الرجل من جيب (صديريته) الحريرى ، الوردى اللون ، حافظة جلدية ضخمة ، معلقة فى سلسلة طويلة ، لا احد يدرى من اين تبدأ ، فتحها ، ثم اخرج منها ورقة مالية جديدة ، من فئة الخمسة الجنيهات ...

وتناول عبدالفتاح من المعلم الورقة المالية ، فقبض عليها باصابعه النحيلة فى قوة ، كأنه يخشى ان تطير منه .. وعندما احس بحرارتها فى قبضته ، انتابته رجفة ، هزت جسده النحيل هزا عنيفا متصلا .. وبدهشة استفسر المعلم عن السبب .. وللمرة الثانية تاسف عبد الفتاح واعتذر

متعللا بنوبة برد طارئة .. ثم استأذن في الانصراف ليورد الرسوم ...

واتجه عبد الفتاح الى داخل المبنى قاصدا غرفة التحصيل ، وعشرات الخواطر والافكار تملأ راسه ، وتسبب له قلقا وهما ...

واحس عبدالفتاح بدوره بدهشة من تصرفاته .. لقد شهد من قبل مئات التوكيلات ، وكتب عشرات العقود — عقود بيع وعقود شراء — وتم عن طريقه شراء عديد من المنازل والعقارات ، وسجلت بواسطته وتمت عشرات الصفقات ، ولم يتمنى في يوم ما ان يكون هو احد طرفي عقد من هذه العقود كما يتمنى الساعة .. فمنذ استصدر صاحب المنزل ضده حكما بالطرد لتاخره عن سداد اجر المنزل عن خمسة شهور كاملة ، وهو يتمنى بكل ما في نفسه من رغبة ، وبكل ما في طاقته من امل لو اصبح مالكا لمنزل صغير لايزيد على حجرتين ، واحدة له ولزوجته واطفاله ، والاخرى لامه القعيدة ، وشقيقته العانس ، وابن شقيقه اليتيم ..

وافاق عبد الفتاح من خواطره ، على صوت الصراف يسأله :

— « خير يا عبده ، هاتدفع ايه .. ؟ »
— « رسوم توكيل يا بيه .. »
— « توكيل عام يا عبده .. ؟ »
— « ايوه يا بيه .. »
— « واخذت عليه تقدير .. ؟»
— « ايوه يا بيه .. »
— « طيب استنى شوية لما ييجي دفتر الايصالات من المراجعة .. »

وجلس عبد الفتاح في الحجرة الممتلئة بالرجال والنساء ، واسلم نفسه من جديد لافكاره ومشكلاته .. واحس بنفسه على الرغم منه ، يفكر في مشكلته الاخيرة التي احالت عيشه الى جحيم من القلق ما عرفه في حياته قبل اليوم ..

حقا انه لاينكر انه عرف من قبل الكثير من المشكلات ، بل لقد مرت بحياته ازمات وصعاب عدة .. ولكن لم تكن ابدا في عمق هذه المشكلة ....

لقد عرف الالم من قبل كثيرا ، فكر وارق ، وحمل هموما ، وذاق مرارات وقلقا عرف مرارة الاستجداء ، وذل الترجي ليعفى احد ابنائه من بعض المصروفات المدرسية .. وبكى .. بكى كثيرا وبحرقة من اجل امه القعيدة . عرف صنوفا عدة من الالم ، ولكن كل هذه المرارة وكل هاتيك الهموم والآلام لا تقاس بما يعانيه الآن من هم وقلق . . حتى المرض ، استطاع بوسيلة ما ان ينتصر عليه .. فعندما مرضت زوجته بحمى النفاس بعد مجيء طفلهما السادس مباشرة ، استطاع ان يوفر لها الدواء ، الذى انقذ به حياتها وحياة ابنائه من الضياع ...

وتنهد عبد الفتاح واستطرد مع افكاره .. وقامت زوجته وانتصرت على الموت ولكن بقيت له المشكلة الرهيبة .. التي يقف امامها الآن عاجزا جامدا ، لا يعرف كيف يتصرف ، وما عاد في مقدوره ان يقترض اكثر مما اقترض .. والزمن يجرى ، والمهلة تنقضي ، ولم يبق امامه غير اسبوع ، اسبوع واحد لا غير ثم يجد نفسه واسرته واثاثه البسيط القديم في الطريق بلا مأوى ... وعليه وقتها ان يواجه قسوة التشرد والضياع .. وتمنى عبد الفتاح ان يبكى ويقص مأساته على الجميع ، ثم يقسم لهم انه ما كان يعرف ابدا قيمة السكن الذى يأوى اليه الانسان ويحتمى به ويلوذ كما عرف الآن . . . ولاول مرة احس عبد الفتاح بحنين طاغ لهذا السكن ، واحس بلوعة محرقة لمجرد التفكير في فراقه بعد ان اصبح عنده كل شيء .. نعم كل شيء . فلو خيروه بينه وبين قصر منيف لاختاره هو بالذات ، وما تخلى عنه ابدا بعد ان اصبح جزءا من كيانه .. عشه .. ماواه هو واولاده

الستة .. وحرام ان يرمى هو وهم فى الشارع ، يتفرج عليه الناس فى هـذا التشرد .. حرام ان يقف هكذا مكتوف اليدين ، عاجزا لا يعرف كيف يتصرف ، بينما حياته ، وحياة أولاده وزوجتـه ، وسمعتهم ، كل ذلك مهدد بالضياع .. يجب ان يفعل شيئا .. اى شيء .. بل كل شيء .. كل ما يستطيـع ان يفعـله وما لا يستطيعه ايضا .. ليحمى عمره ، تاريخه ، كفاحـه ، ذكرياته الحـلوة الجميلة ...

وتأمل عبدالفتاح الورقة المالية الجديدة بين اصابعه ، وتمنى لو امتلك واحـدة منها .. واحدة فقط ، ففيها النجاة .. ورقة مثلها تفعل الكثير ، تنقذ حيـاته وحيـاة أسرته من الضـياع .. وابتسم عبد الفتاح فى سخر وساءل نفسه (ولكن انى لى بواحدة مثلها .. ؟) .. وأعاد السؤال لوجومه وافكاره .. وفجاة لمع فى ذهنه خاطر .. « ماذا يحدث لو هرب بالورقة الآن ..؟.. نعم الآن ، وفى التو واللحظة .. هل سيشعر به احـد .. محال ان يحس به انسان ما ، حتى المعلم نفسه ربما لا يدرى بهربه الا بعد ان يكون قد دفع الايجار المتاخر .. وحينها فلن يقدر ان يثبت عليه شيئا ، فان اراد فدون ذلك اجـراءات لا حصر لهـا ومحاكم ومحضرون وكتبة ومحامون ، وعليه ان يعانى من الجميع الكثير قبل ان يتنازل عن حقه تماما راضيا ، طائعا مختارا ، ويشترى نفسه واعصابه من هول هذه الاجراءات وطولها وتعقدها .. آه لو كان صاحب المنزل قد يئس هو الآخر ، ولكن ليس هذا هو المهم الآن .. بل المهم ان يعرف كيف يتصرف .. ان يهرب بالورقة قبل ان يحلظ احد .. ونهض عبد الفتاح من فوق المقعـد متجها الى الخـارج فى خطوات قلقة ، تكاد تفضح امره ، وقبل ان يتخطى البـاب ـ باب الحجـرة ـ استوقفه الصراف ...

ـ « على فين يا عبده .. خلاص يا عم الدفتر وصل واتراجع وفتحته كمان ، ابدك بقى على الرسوم خلينـا نستفتح بك »

وارتبك عبد الفتاح وانزوى فى ركن الحجرة ، ونطق بكلمات متقطعة لا رابط بينها ولا معنى لها .. فنظر اليه الصراف فى دهشة وقال :

ـ « مالك يا عبده ، انت مش هتدفع ولا ايه .. ما وركش زباين النهاردة . ؟ مشـينى امال انا مش فضـيلك انت وبس .. »

ولم ينطق عبـده بحـرف .. فمط الصراف شفتيه وهـز كتفيه ومد يده وتناول من أحد الجالسين أوراقه ونقوده ثم أعطاه الايصـال .. وانهى الصراف أوراق الكثيرين بينما عبده واقف فى مكانه اتقصى من الحجرة شارد الذهن يتجاذبه عاملان ، وهو لا يقدر ان ينتصر لاحدهما على الآخر ، أو ينحاز اليه .. ـ عامل الهرب بالنقود ، وعامل توريدها ـ ... وظل عبد الفتاح نهبا لحيرته وتردده ، وشروده ، حتى ظهر المعلم بجسده الضخم تتبعه زوجه العجوز .. وارتجف عبـد الفتاح لمرآه ، وانكمش على نفسه ، وحاول ان يخطو ويسير ، ويتجـه الى الصراف ولـكن قدماه خانتـاه ، فما قدر على الحركة ...

واتجه المعلم نحوه وقال :

ـ « انا سايب القهوة يا عبده ، انت فاهم . ؟ .. خلصنى بقى أمال يا اشوف غيرك .. والله عجايب ، الظاهر ما انتاش عارف تعمل التوكيل .. ايدك على الفلوس وزميلك يعمله .. يا الله .. »

وعبثا حاول عبد الفتاح الكلام ولكنه لم يوفق ، فتح فمه واغلقه ، لوى لسانه واداره داخـله ، ولـكن لم يصـدر عنه صوت ما .. فاصفر وجهه وتثلجت

العروبة والوحدة

ضمدى يا عروبتى من جـــراحك ... وانفضى هجعة الكرى عن صباحك
وازيحى من كلة الليـــل والاحـــــلام تهفو طيوفهـــا فى بطـــاحك
واسفرى عن مواكب الفجـر تجلو ... طلعة النـــور فى جبين طماحك
وانفضى عن جفونك النـوم واسرى ... فى ليالى النضال تحت ســـلاحك
جمدى عزمـــة البنين رهيفـــا ... من سيوف ونافذا من رماحـــك
اذن الفجـــر لا مجـــال لنوم ... بل نهوض الى صـــــلاة كفاحك
وحقـــــول الضياء ينبتها الفجـــــر فتذكو سنابلا فى براحـــك
فاحصدى من سنابل الضوء واهدى ... غلة الحقـــل للضرير بســـاحك
وابعثى الضـــوء فى المحاجر حتى ... تبصر الفجـــر ناديا فى اقاحـــك
زين الوحـــدة الـــكبيرة تاج ... فوق هام الفخار بين صـــداحك

●

اهرعى يا عـــروبتى من ضريح ... جبلته ايدى العـــلى بنواحـــك
وانهضى من مراقـــد النل ان البعـــــث يسرى رحيقه فى جراحـــك
مزقى عن مناكب الفجـــر اكفـــــان الردى وارفلى بزاهى وشاحك
واضربى الافق بالخوافى جســـورا ... تجدى الافق واجفـــا من جناحك
واخفضى بالشراع فـــوق عباب ... تجدى الموج خاضـــعا تحت راحك
لا تهابى العباب والمـــوج يطغى ... دفـــة الفلك فى يدى مـــلاحك
هـــو ربانه ورمـــز فـــداه ... فاطردى الفائمات من آتراحـــك
ها هـــو المرفا الامين تجـــلى ... فى الضـــفاف الفيناء من افراحك
عنـــد محراب وحـــدة قدسيتها ... امـــة العرب فى ظـــلال فلاحك
هى مصـــباح امـــــة ودمانا الزيت فامشى على هـــــدى مصباحك

« البقية فى صفحة ٢٣٥ »

اطرافه ،وانتابته قشعريرة ، ونضحت حبات العـرق من جبهته ، وتامل المعلم عبد الفتـاح فى دهشـة ، ثم ضرب كفا بكف ، وجـذبه من رباط عنقـه المزق وقال :

ـ « وبعدين معاك بقى .. يا اقولك انا مش فاضى .. انت عيان يا عبده .. ؟ انطق .. عجيبة وطب ومدامك عيـان يا اخى جاى ليه .. واللا قصدك تعطل مصـالح النـــاس .. ايدك امال على الفلوس ... ..

وتدخل الصراف فى الحديث بصوت ساخر :

ـ « معاك حق يا معلم ، عبده النهاردة مش زى عوايده ابدا ، الظاهر انه تقل العيار امبارح حبتين ... »

والتفت المعلم للصراف فى اسـتغراب وقال :

ـ « طب وانا مالى يا سيدنا لافندى ، يتقل العيار ولا ميتقلوش ، انا مالى انا راجل مش فاضى .. ورايا شغلى .. »

ـ « معاك حق برضك يا معلم ، شوف زميله »

وللمرة الثانية هـز المعلم عبد الفتاح بقبضته القوية ، وارتفع صـوته مهددا متوعدا ، وهو يقسم يمينا بالطلاق :

ـ « يعنى هتجيب الفلوس ولا لا ..؟»

ولم يجب عبده على السؤال ، بل انفلت من قبضة المعلم القوية ، واتجه فى يأس وقنوط الى الصراف ، واعطاه الورقـة الجديدة ، ثم دمعت عيناه ، وفجأة بكى بحرقة ...

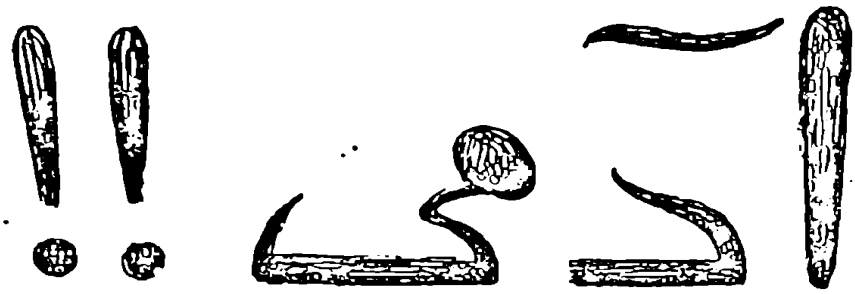

لكل فرد عادة .. رجلان ، وانا احوز منهما واحدة ، ويقوم بوظيفة الرجل الغائبة عكاز خشبى طويل ، طرفه السفلى يمس الارض ، واعلاه ينتهى تحت ابطى بحيث يرسم العكاز شكل صليب فقد طرفه العلوى .

ولكل فرد عادة عينان ، وانا لا املك منهما سوى محجرين اجوفين .. اشبه بكهفين بجفون تنقصها الرموش ، والجفون عندى .. لا تنطبق .. ولاتتلامس .. وهكذا تظل ، فكل جفنين .. مسطحين .. وبينهما فرجة .. اشبه بصورة بيضاوية سوداء يحيط بها اطار اخمر .

وسرت اتلمس الطريق بأذنى .. وجهتى محطة الترام المقابلة ، وكى اصلها على ان اعبر الشارع الفسيح العريض الذى يقسمه بالطول طواران فيجعلان منه شارعين ، يمر بينهما الترام .

ويصك سمعى حيث اقف على الطوار الجانبى — اتهيأ لعبور الطريق العريض اصوات الحافلات وضجيج مركبات الترام وسنابك الخيل ، وصرخات ابواق السيارات المتفاوتة الدرجات ، فهذا بوق عميق عريض .. كانه ينبعث من حنجرة حكيمة مجربة .. واخر رفيع جاد .. كامراة مولولة .. وثالث بين بين .. يتنحنح بقوة .. ثم اعبر الطريق ، ويختلط هذا الضجيج كله .. بصيحات الساعة الجائلين .. واحس والعربات والسيارات والحافلات من حولى تتهددنى .. كانى فى غابة تحيط بى الوحوش الكواسر من كل جانب ، تؤلف اصواتها سمفونية مرعبة ، تعنف لها دقات قلبى وتعدو هيابة وجلة .

واحيانا احس بيد حانية تلمس ذراعى .. وتمسك به .. ثم تجذبه لتساعدنى على عبور غابتى ، فادعوا لصاحب اليد الحانية .

وعندما اصل محطة الترام ، اتخير مكانى تحت شمس الشتاء الدافئة ، واجلس وعكازى الى جانبى ، مادا يدى .. واظل هكذا حتى تكل .. فاجمعها فى حجرى وامد الثانية .

ويطرق سمعى خطو الراجلين ، فهذه خطوات شاب .. سريعة عالية ، وتلك الثقيلة المتانية .. لابد انها لشيخ ، اما هذه الطرقات الرشيقة التى يعقب كلا منها صوت يشبه صوت حرفى التاء والشين متعاقبين ، فهى لشابة فى ميعة الصبا . اما تلك الخطوة البطيئة المتمهلة فهى لامراة مكتنزة مترهلة ، تمشى الهوينا تمن تنقل رجليه فى الطين ، ويتكرر هذا الخطو مجتمعا ومتفرقا كلما اقبل ترام وادبر .

وادعو لكل بما يلائمه .. فيمنحنى او يمنع عنى .

وبحساسية اللمس ، اميز بسرعة وفى سهولة بين القطعة المعدنية ذات الخمسة الفروش وبين القرش الصاغ الذى يماثلها فى الحجم ، وذلك بأن ادور بظفرى على حافتها المجعدة . . وان كانت التجربة الاخيرة هذه .. لا اجتازها الا فى الاعياد ومواسم الزكاة . اما القرش تعريفه فاننى اعرفه بوزنه .. متى وضع باى مكان فى كفى قبل ان ادركه باصابعى . وليس من العسير على ان اميز العملة الرديئة ، فما ايسر أن أمر باصبعى على وجهيها الاملسين الناعمين كخد حسناء حتى اتبينها .

وكثيرا مايصادفنى نوع من المتصدقين البخلاء .. نعم البخلاء .. لانهم يتخلصون من العملة الرديئة بالتصدق بها على ، فاسهل عليهم ان يلقوا بهـا الى عن ان يتجشموا مشقة اقناع الغير بقبولها ، ويعلم الله مانوع هذه الصدقة وماحكمها ، فهم ينقلون الى مشقة اقناع الغير بقبولها .

وفى شمس الصيف الحارقة ، احاول بقدر المستطاع ان اجعل مكانى تحت مظلة المحطة وابقى ماوسعنى الجهد الساعات الطوال الممضة هكذا ، مادا يدى ، داعيا الناس الى الاحسان ، داعيا للمتصدقين ويبلغ بى العطش فى قيظ الصيف مداه حين ينتصف النهار ، فارفع عقيرتى بالصياح مناديا « خميس » صبى القهوة التى تقابل المحطة ، وقد يبلغه صوتى او يبلغه الضجيج .. فاذا بلغه بعد ان يجف حلقى قد يحمل الى كوب الماء او يضن بها .

وكما اطلب الماء ، احبسه .. فلايخرج الا عرقا .. فلكى اتوجه الى دورة المياه العامة على أن اعود الى عبور الطـريق المعين .. ويعلم الله .. أى مخاطـرة اتعرض لها كلما اقبلت على عبوره .

وفى يوم قائظ .. اضطررت الى القيام بتلك المخاطرة .. واحسست بالترام مقبلا نحـوى لكننى لم اتبين من اى الجهتين يقبـل ، ثم دلنى الصوت انه قادم من الجهتين معا .. وتحيرت ماذا افعل والى اين اتجه .. وتلاحقت دقات قلبى فى سرعة وعنف .. وخيل الى انه يكاد يقفز من ضلوعى .. وتجمدت فى مكانى من فرط الرهبة والهلع لا أستطيع حراكا ، كانما تسمرت رجلاى بالارض .. ومرت اللحظات رهيبة قاتلة .. زلزلت كيانى كله .. واذا بصدمة هائلة تطيح بى فى الهواء .. محطم العظام .. وقد احتبست صرخة فى صدرى كهمهمة مكتومة .. لافيق من نومى فى فراشى .. فزعا لاهثا .. يفمرنى العرق .. فى فجر ذلك اليوم من أيام الصيف الخانقة ... فقد كنت احلم .

عمر الراكشى

آراء أدبية

حول تحقيق النصوص

المنهج .. أولا وآخراً

تفضل السيد الاستاذ حمد الحاسر ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ورئيس تحرير صحيفة اليمامة ، فأرسل الى « الادب » نسخة من العددين الاول والثاني ، من السنة الاولى ـ فبراير ١٩٦٠ ـ من مجلة المعرفة ، التى تصدرها وزارة المعارف السعودية ، مع التنبيه الى مقال لسيادته عن كتاب نهاية الارب فى معرفة انساب العرب ، الذى جعلته « الأدب » فى عدد مايو الماضى مثالا يلفت الى تصحيح ما فى منهج التحقيق من اخطاء شائعة .

وفى المقال المرسل فقرة عن عدم اعتماد الاستاذ الابيارى ، محقق نهاية الارب ، على النسخ الخطية القديمة ، وفقرة ثانية طويلة عن عدم ضبطه الاعلام ، وثالثة عن التصحيف والتحريف فى النسخة .. وهو جهد قيم مشكور ، فى التتبع ، يحدث عن عناية ونشاط موفور .

ويذكر القراء ان مقال « الادب » فى العدد الماضى ، عن تحقيق كتاب نهاية الارب قد انتهى الى ما خلاصته :

ان الاستاذ الابيارى قد اهمل حصر الاصول . . ولم يستكمل الاصول المعروفة .. وترك الرجوع الى ما فى يده من النسخ الخطية للكتاب ، اذ انثنى عن المتابعة حين وجد ما بين يديه شيئا فاسدا كله .. وبذلك لم يعد ما اخرجه من نهاية الارب شيئا من تحقيق كتاب القلقشندي .

واذا كانت النتيجة هى ان المطبوع من هذا الكتاب ليس تحقيقا ، من حيث المنهج فلن ينفعه ان تكون قد ضبطت فيه الاعلام اصح الضبط ، ولن يشفع له ان يكون قد خلا من التصحيف والتحريف خلوا تاما ، لان النسخة ـ فى هذه الحال ـ منكرة النسب دعية ، ، لا تعد من التراث فى شيء ، ولا توضع بين ما كتب الاقدمون ، فى الانساب ..

ولو كان المنهج قد صح وسلم ، على ما وصف مقال « الادب » من امره لظفرنا بنسخة من الكتاب ثابتة النسب ، معروفة الاصل ، تعد من كتب الانساب الموروثة ، ولا يضيرها فى هذه الحال كثيرا ان يخطىء الناشر فى ضبط الاعلام ، او يقع فيها شيء من تصحيف أو تحريف ، يقتضيه عدم عصمة البشر .. بل كانت المقابلة المنهجية نفسها ستقى من شر الكثير من تلك الاخطاء .. وكان يمكن تدارك ذلك كله بالرجوع الى الاصول القريبة ، التى جمعها وعرف بها ، وقومها منهج التحقيق الصحيح .

فالامر فى التحقيق اولا واخيرا إنما هو امر المنهج ، اذا ما صلح صلح العمل كله ، واذا ما فسد فسد العمل كله من اساسه ، ولن يضيره مع الصلاح خطأ او نقص .. كما لن ينفعه مع الفساد ضبط صحيح أو عدم التحريف او التصحيف . وما اشبه .. كما قال القائلون : لاتضر مع الايمان معصية ، ولا تنفع مع الكفر طاعة ..

ومن هنا أقول للسيد الاستاذ الجاسر : ان المراد من مقال « الادب » لم يكن الا بيان اهمية المنهج تلك ، وايضاح خطواته ، لا بيان الاخطاء — من اى نوع كانت — فى نهاية الارب ، بعد نقص منهج تحقيقها هذاالنقص الواضح .

* * *

وبهذه المناسبة ، وتتمة لما وصف من خطوات المنهج فى العدد الماضى نستميح السيد الاستاذ الجاسر فى اشارة الى الفقرة الرابعة ، من مقال المعرفة ، وعنوانها ملاحظات عامة ، لانا نشعر بضرورة الوقوف عندها لحظة ، ونص المطلوب من هذه الفقرة هو :

« يفهم من كلمة (التحقيق) الاعتماد على اصول جيدة للكتاب المحقق ، وتقويم عبارته بحيث يسهل فهمها ، والرجوع الى المصادر التى استقى منها المؤلف ، لتصحيح ما نقل ، وتيسير النصوص المحققة ، وتقريبها للقارىء بالايضاحات للعبارات المبهمة ، ووضع الفهارس المفصلة » .

والحاجة ملحة للتعليق على معانى هذه الفقرة ، معنى معنى ، اكمالا لايضاح منهج تحقيق النصوص وخطواته ، ومتمماته ، ومالا يحسب منه ، ولاتتوقف صحته عليه .. فنقول :

ا — اما ان ((يفهم من (التحقيق) الاعتماد على اصول جيدة للكتاب المحقق .. فنقول نعم .. لكن المنهج بالتحديد انما هو : **جمع كل ما تصل اليه اليد ، وتبلغه الطاقة من اصول الكتاب المحقق اولا .. ثم تقويمها وتقدير جودتها .. وبيان ما يستحق الاصالة ، وما هو زائف .. ثم مقابلة النسخ الجيدة ، واثبات فروقها بعد ايثار النص الاوثق بالتقديم ، وجعله صلب الكتاب .. واما قوله .**

ب — **((وتقويم عبارته بحيث يسهل فهمها))** فنقول فيه : انه ليس من تحقيق النص فى شىء ، والذى على المحقق أن يثبت عبارة المؤلف ، التى ثبت نسبها ، وغلبت على الظن صحة صدورها من قلمه ، على حالها التى ثبتت عليها ، وله ان يعلق عليها ، بما ييسر الفهم ، او لا يعلق ، لانه انمايقدم للعلم نسخةالكتاب التى خرجت من قلم المؤلف ، لتكونمادة العلم ، ووثيقة للتاريخ فى الوقت نفسه ، واثرا من العصر والشخص ، بجميع نواحيها ، كما بدت فىحينها . . واما قوله :

جـ — **((الرجوع الى المصادر التى استقى منها المؤلف ، لتصحيح ما نقل))** فنقول فيه كذلك : انه ليس من تحقيق النص ، اذ المطلب هو : معرفة نص المؤلف بصورته التى كتبه بها ، وكما فهمه هو ، وكما أراد ان يدونه ، فهو عمله الذىيقدر له أو عليه ، ويصور فهمه ، وتناوله ، واداءه .

وانما يرجع الى المصادر التى استقى منها المؤلف حين يكون كتابه جمعا لاصول بعينها ، ذكر هو : انه ضمنها كتابه .. أو يكون ذلك الرجوع حين تشتبه العبارات ، أو يستبهم النص ، فيكون من وسائل قراءته ، وترجيح عبارة له ، أن نرجع الى اصول اعتمد عليها ، أو الى شروح وضعت عليه ، أو الى اختصارات تناولته .. أو ما يشبه ذلك ، فلا يكون هذا الرجوع لشىء من تصحيح عمل المؤلف ، بل يكون لشىء من ترجيح عبارة وايثار قراءة ، ودفع اشتباه ، أو اكمال نقص ، فى كثير من الحذر عند هذه الحالة .

ولا يوقف عند مخالفة الكتاب المحقق لغيره من المؤلفين ، الا عند التفرغ لدراسته ، او ان يكون هذا الوقوف نوعا

من خدمة النص حينما يضم الناشر الى التحقيق خدمة أو خدمات مقربة للنص ، مقربة للفائدة منه .. وتلك كلها اغراض وراء التحقيق ، وخارجه .. واما قوله :

د ـ « **وتيسير النصوص المحققة ، وتقريبها للقارىء ، بالايضاحات للعبارات المبهمة** » فذلك ايضا شيء وراء التحقيق ، وغيره ، وبعده ، يخدم به الكتاب خدمة علمية ، تقرب فائدته وتزيدها ، واذا لم تستند هذه الخدمة واشباهها على تحقيق اصيل ، وتوثيق صحيح للنص فلا خير فيها ، ولا فائدة منها ، لانها تكون خدمة للنص لم يثبت انه النص الذى تركه زمنه ومؤلفه صورة للمعرفة عندهما ، فى هذا الشأن .. واما قوله بعد ذلك :

هـ ـ « **وضع الفهارس المفصلة** » فكذلك القول فى أن وضع هذه الفهارس المفصلة ، او المجملة ليس من التحقيق ، ولو قد حقق نص ، فوثق ، وحرر ، على نحو ما اشرنا اليه ، فقوبل على الاصول المجمعة ، المقومة .. الخ ، ثم ترك لم ينشر لبقى ثروة علم خطية ، لها قيمتها الكبرى ، ولو لم تنشر ، ولم تفهرس ، ولم يخدم لنصها بشيء من الخدمات ، التى سبقت الاشارة اليها ..

والفهرسة ليست الا عملا ، فى الاخراج والتقديم عند النشر ، وهى ليست الا عملا آليا يستطيعه الكثيرون ، حين يعز المحققون الموثقون المنهجيون ..

* * *

ولعل السيد الاستاذ الجابر يقرنى على هذا التحديد لخطوات منهج التحقيق ، ومكان كل خطوة فى خدمة النص ، فيسلم من التحقيق منهجه ، الذى هو المطلب .. اولا واخيرا .

* * *

العروبة والوحدة

تمام ما فى صفحة ٢٣٠

الملايين فى بلادى اصرت ... تستظل الافياء من أدواحك
لم تعد هذه الملايين ترضى ... بمزج السم فى طلى أقداحك
أقسمت هذه الملايين أن تطرد ... كل الذئاب من مستباحك
أقسمت هذه الملايين تذكى ... عبق الطيب فى جنى فواحك
فاعصفى كالرياح فى وجه باغ ... ثم ذريه فى مهب رياحك
وانتفاض الشعوب ثورة بركان ... تذيب القيود حول جناحك
وتصب الفناء من حمم الموت ... ونار اللظى على سفاحك
وتزيل الانصاب من موطن العرب وتقضى على سدود سراحك
فارفعى يا عروبتى راية الوحدة تهفو بنورها فوق ساحك
الملايين فى بلادى تلاقت ... حول محراب وحدة فى بطاحك
وهفت نحو وحدة تشمل العرب جميعا وتكتسى بوشاحك
تخالة النيل يا عروبتى فى حمص سقاها مسلسل من قراحك
وكروم الشام فى ضفة النيل مدام يشف فى اقداحك
بردى فى الصعيد يجرى طروبا ... شاديا باللحون من صداحك
وأبى النيل عند أرض حماة ... يمزج الحب والوداد براحك
فاهنئى يا عروبتى بلقاء ... لبنى العروبة فى ظلال نجاحك
على حسن العزب

الإنسان ...
فى شعر دعبيس

بقلم : حامـــد الاطمس

طالعنا الشاعـــر « سعد دعبيس » بديوانه الاول « اغانى انسان » ، جمـــع الشاعر فى هذا الديوان عددا من قصائده التى نظمها فى الفترة ــ ما بين عام ١٩٤٩ الى ١٩٦١ ..

والذى احب ان اشير اليه ، هو اننى لن اتعرض للديوان ــ بالنقد والتحليـل ولكننى سأكتفى بالبحث عن « الانسان » والحـــديث عنه . من خلال قصـــائد الديوان .

ويجدر بنا ــ قبل البحث ــ ان نقف قليلا عند « المقدمة » التى قدم بهـــا الديوان الناقد الاستاذ « مصطفى عبداللطيف السحرتى » والتى اختتمها ــ بعد دراسة وافية للقصائد ــ بقوله :

. . اكتفينا فى هـــذه المقدمة بذكر القصائد التى قيلت بين فترتين تاريخيتين متناقضتين . وأبنـا تارجح الشاعر بين الواقعية والابداعيـــة فى الفترتين .. وحاولنا ان ننقد بعض مالاح لنا من هنات فنية ، فى بعض هذه القصائد مما لايؤثر اكيدا فى بنائها العام ، ونود ان نؤكد ان الشاعر « سعد دعبيس » كان انساناحقا فى اغانيه . كان انسانا فى حبه العاطفى . كما كان انسانا فى التغنى بامجاد الوطن . والقومية العربية ، وبلغت انسانيته درجة عالية فى قصائده الافريقية .

الطفـل والقمر

اذا تجاوزنا مقدمة الاستاذ السحرتى لنبدأ البحث عن الانسان فعلينا ان نبدأ بآخر قصائد الديوان « فانوس رمضان » والتى كان بودى ان تكون اولى قصائد الديوان ! حتى تتم « وحدة الزمن » بين قصائد الديوان .
فى هذه القصيدة يرسم لنا الشـــاعر لوحة رائعة للاطفال وليل « رمضان » والقمر ..

وطفـل السمـاء يقلب الغـــدير ... حبا نحوهم فرحا باللقـــــاء
رآهـــم بعليـــائه فانثنى ... يزيح الغيـــوم ويطوى الفضاء
وراح بقلب الغـــدير الحنون ... يصوغ لهم رقصـــة من ضياء

ونحن على الشط من حـــوله　　حيارى أمام « غـلام السماء »
لمـــا يهيم بقلب الغـــدير　　ويترك العابنا فى الخـــلاء

ويدعو غلام الارض ــ غلام السماء ــ ليشاركه وصحبه اللعب ولكنه لايستجيب فيقذفونه باحجارهم ويعلنون الخصـــام ويتركونه وحيدا فى الغدير ، ويمضون الى العابهم .

واما تعبنا جلســـنا هنـــاك　　ليبدا دور اخينـــا « ربيع »
ويبـــدا قصاصنا العبقرى　　يصـــوغ لنا ما يخيف الجميع
شياطين تســـكن فى منزل　　باعينها ومض برق مـــريع

ومثلما ترك الطفـــل القمر .. يترك حديث الشياطين ويذهب للنوم ليعيش فى احلام تقفز فيها الشياطين وتلعب فى راسه الصغير فيهب من نومه مذعورا .. ويتحســس كل شىء حوله .

ولا يطمئن قلب الصغير الا عند سماعه للمسحراتى مناديا باسمه فى ابيات مديحه .. فينسى ما كان به منذ لحظات . ويطل على المسحراتى ببسمة وهى كل ما يملك ان يدفعه .. بسمة كلها امـل .. وتطلع للحياة .

ليال من العمـــــر يا صاحبى　　تراءت بقلبى هـــــذا المساء
ســـعدنا بها حين كان الزمان　　اراجيح تسرى بنا فى الســـماء
وكل مضى وحـــده فى طريق　　وما عاد يبحث عن أصـــدقاء
وقـــد نلتقى بين حين وحين　　ببعض كمـــا يلتقى الغـــرباء
واما الغـــدير الذى طالمـــا　　لعبنا به فى ليـــالى الصـــفاء
فقـــد عبدوه طريقـــا كبيرا　　تسامت عماراته للســـماء

وفى قصيدة « سطوح واعماق » يكبر « الانسان » الطفل ــ ولم يعد يدعو غلام السماء للعب . ولم بالغلام المتمرد الذى يقذف القمر بالاحجار فقد اصبح رجلا يحمل من المسئولية ما ينوء به عـــوده الغض !

ففى ليلة ذهب ابوه . ولم يعد . وعرف الفتى مصير والده . وانكره عن اخته الصغرى .. ! ماذا يقول لها ؟

أأقـــول يا أختـــاه . مات أبوك أم ماذا أقـــول
أأقـــول ورآه التراب وأغمض الجفن الكليـــل
أأقـــول واراه التراب وأغمض الجفن الـــكليل
كل القوافـــل قد تعـــود . ولا يطـــول بها الرحيل ــ
الا اباك فلن يعـــود . لسطوة القيـــد الثقيـــل
أأقـــول قـــد مل « السطوح » ومـــل ثرثرة الزبد
فمضى ! « الاعمـــاق » يبحث فى متـــاهات الابد ؟

وفى قصيدة « من الحـــارة » ترى« الانســان » وقــد اصبح شاعرا يعرف دوره من المجتمع ــ لذلك فهو يستنكرمن صديقه دعوته بأن يحلق فى السماء .. ويتسامى عن التراب .. ولم يدرالصديق بان سماء شاعرنا . . فى ذلك الحين هى « الحارة » ..

على مهـــدها رقصت فرحتى ... وفوق ثراها جـــرت أدمعى
وعانقت امى فى ليلهـــــ ... وخفت من « الشـــبح » المفزع
وفيهـــــا رايت ابى حائرا ... يغلفـــه صـــمته المبهم ..

ويمضى شاعرنا فى الحديث عن الحارةواهـــل الحارة . من الكادحين . الى ساهرى الليل ء . ثم مكتب الشـــيخو « عصا سيدنا » وما يدور فى «الكتاب»!

ثم ينتقل بنا « الشاعر » الى الجامع.. فى وقت وقف فيه « الامام » يخطبه فى الناس .. وكانه ليس من الناس . .

وأسال نفسى لماذا أرى «الشيخ» يصرخ فى أوجه الســـامعين
لماذا يهـــددهم بالعـــذاب ونار تمـــزقهم أجمعين . ؟
وألعن فى السر هـــذا الذى يكيل الشـــتائم للبـــائسين !
ومن يومها كونت « عقـــدة » باعمـــاق نفسى للواعظين
وأصبحت حين أرى واعظا يعـــود خيالى لمـــاضى السنين
وأذكر شيخى و « كتابه » وتلقينـــه الجهـــل للناشئين

الصـــعاليك !

وفى عام ١٩٤٩ . جاء شـــاعرنا الىالقاهرة . وعاش بها فترة من الزمن ، عارس فيهـــا القلق والضياع والحيرة !مما دفعه الى « الحزبية » شأنه فى ذلك شأن كل شاب ــ فى ذلك الحين ــ رأىفى الحزبية أقرب الطـــرق الى تحقيق غايته ،. !

ولكننا بعد حين قصير .. كشفنا الســـتار عن المهزلة
وجدنا الضحايا بلا غاية تساق تباعا الى المقصـــلة
ويمضى الزعيم بأشـــلائهم يساوى فينـــا المدى القاتلة
ويضحك من وهمنـــا العبقرى ويحلم بالصفقة المقبـــلة
وثرنا على حزبنا العبقرى فضـــاق بنا . وبأفكارنا
وقالوا : اطردوا هؤلاء الكلاب فالقوا بنا وباشـــعارنا
وعدنا حيـــارى لعرض الطريق نبعثر فى الصمت آيامنا

الليل والانسان ..

واذا تركنا قصـــيدة « الصعاليك »طالعتنا زميلتها فى الديوان « الليـــل والانسان » وفيها نرى الشـــاعر وقدارتمى فى احضان الليـــل . . هاربا من واقعهوحياته ــ بعد أن ضاقت بهوبآماله ورأى فى الليل والانطواء صدرا حنـــونا يلجأ اليهما كلما لفحته عواصف النهار .

في المســـاء الغريب تولد نفسى ... وأزيح الاكفان عن وجـــدانى
وأعانى بعثـــا عنيفا لروحى ... وشعورا ينساب ملء كيـــانى
واحس الوجود فى اعمـــاقى ... يتمطى .. يشـدنى من مكانى
معلنا آدميتى فى تحـــد ... باعثا بى ارادة الانســـان

ويظل شاعرنا « الانسان » فى دوامةمن الشك المرير والحـــيرة والقلق . . ويرى فى ليله مالا يراه فى ضوء النهار !

آه من يقظة المســاء اذا ما ... بعثت بى ارادة الانســـان
وارتنى من الحياة خفيـــا ... واطاحت بالزيف والبهتـــان

ويشرق الصباح فلا يرى فى ضـــيائه واشراقه ما يغرى على التطلع اليه . . بل نظر اليه بعين كليلة . اسهدها السهر والليل .

فاذا طارد الصـــــباح الدياجى ... واستفاقت تفاهـــة الانسان
عدت قلبا محنطا ــ ليس يدرى ... غير ان يرتمى مـــع انقطعان !

ثم كان الحب !

وفى قصيدة « همسة مصباح » حيث عرف الحب طريقه الى قلب ــ انساننا ــ نراه وقد تبدلت نظرته للحياة .. وخرج من ليله .. ليرى الحياة فى عيـون من أحب ..

نظرت لى وانا أهيم بليلى الاعمى وحيد
ما أروع القلب الشريد يحن للقلب الشريد

وتتعانق القلوب وتذوب الآلام فى الآلام وتنساب همسات الحيارى .. فنبسم لها الجراح وتنمو شجيرات الامل السعيد

ورأيت دنيـــاى الشقية بســـمة الام الرؤوم
ونسيت حقـــد الناس . والامل المحطم . والهمـــوم
وتنير بســـمتك ــ الطريق ــ فتنتشى ظلمـــاؤه
ويعـــود للمصـــباح أفراح الصبا ورواؤه

وانتصر الانسان

ترعرع الحب ونما . وانطلق شاعرنا يمارس الحياة كما يريد .. لا كما يراد له . ثم كانت « الثورة » وانتصر « الانسان » على القوى الغاشمة التى عاقته عن ركب التقدم . احس بكيانه المفقود وقد عاد له فاحب الحياة . والناس ، ورأى الشمس التى كان يخشى رؤيتهـــا . رآها وهى تشرق فوق « السد » فغنى « اغنية للشمس والسد العالى »

ذلك السـد من ادلك تسامى ... قم تأمله يا شـــهيد القنـــال
قم تأمله فى نهيب الصـــحارى ... غنوة من جداول وظـــلال . .

قم تامـــــله منبعـا لرخاء . . خـــيره للجنوب مثـــل الشمال
لن يرى الشعب بعـــده يوم بؤس تنحنى فيـــــه كبرياء الرجال

وتتوالى انتصـــــارات الانســان . فيخوض معركة « بور سعيد » باصرار وعزم . . وهاهو فى قصيدة وداعا ياوطنى . . يخاطب أمه . .

أماه . . ! نعصف الحـــديد . انا هنـا قلبى حديد
قـــد يفلح الجـــلاد فى نزع الاظافر والجلود
لكنهم لن ينزعوا الايمـــان من قلب الشـــــهيد
لن ينزعوا منى المبادىء بالســـلاسل والقيـــود

وينقلنا شاعرنا « سعد دعبيس » الى امريكا لنرى . « الانسان » الملون الذى لم يسلبه العذاب ارادته ولم يزعـــزع الاضطهاد من كبريائه وثقته فى الغد .

ان يســـــفكوا البيض الـــكرام دماء زنجى فقـــير
ان يأسروا منـــا النســـاء ويذبحوا منا الصغير
فغـــدا . . وما أقسى غـــدا سنفجر الحقـــد المرير

وفى قصيدة « بطل من أوراس » وهى اولى قصائد الديوان يحدثنا الشاعر عن انسان الجزائر . .

وقد مات لم يكتحل بالضـــياء وأغفى عـــلى انة هامـــــدة
ونام على قيـــده والعـــذاب وعانق آلامه الخـــــالدة !

ولكن . . هل مات « الانسان » بموت البطل الاسير ؟ الاجابة فى نهاية القصيدة يقول الشاعر . .

وحين أطل الصـــــباح الجديد تولد فى «الشمس» ضوء جديد
وحـــدق فى الشمس من أسلموا مشاعرهم للظلام البعيـــــد
ولاح لهم من وراء الســـحاب وفى مقلة الشمس وجه عنيـــد
وكف مخضـــــبة بالدماء . . تناديهم : لن يموت الشـــهيد !

وبعـــد . .

فهذه لمحة سريعة عن « الانسان » فى شعر « سعد دعبيس » راينا فيها تطور الانسان فى مجتمعنا والشاعر فى قصائده التى ضمنها كتابه الاول « أغانى انسان » ولا ازعم انى تحـــدثت عن الكتاب بشىء . . فالكتاب فى حاجة الى دراســـة وافية . اترك للسادة « النقاد » مهمـــة القيام بها . فما قصدت من وراء كلمتى — كما ذكرت فى مطلع الكلام — ســـوى الحديث عن « الانسان » .

المغزى القصصى

عند نجيب محفوظ

لعل نجيب محفوظ ان يكون الوحيد من بين جميع قصاصينا الذى لاتستطيع ان تتعرف عليه بسهولة من خلال عمل واحد من اعماله ، بل ان عليك ان تقرأ اكثر من عمل له ، وتطيل فيه التفكير والتأمل حتى تستطيع ان تصل اخيرا الى ما يريد من مغزى ، هذا اذا قدر لك الوصول الى هذا المغزى .

وهو بذلك قد استطاع ان يصل بالقصة عندنا الى مستوى فذ بحق .. مستوى العمق الذى كان يفتقر اليه قبل ذلك ، ولا اريد هنا ان اتحدث عن المغزى القصصى عند نجيب محفوظ فى قصصه الطوال فقد سبق ان تناولت عمله الكبير « بين القصرين » على صفحات هذه المجلة تناولا احسب انه كان وافيا . ولكننى اريد فى هذه اللمحة السريعة ان اتناول خاطفا هذا المغزى فى قصصه القصيرة التى ينشرها تباعا ، ولما تجمع فى كتاب بعد ، والتى تثير بعد نشرها كثيرا من التساؤل .

والحقيقة انه عندما بدا نجيب محفوظ نشر هذه القصص اشفقت عليه اشفاقا كبيرا ، بل اشفقت على المستوى الرائع الذى بلغه فى « بين القصرين » و « أولاد حارتنا » ان يصيبه شىء من هوان ، وكانت أولى هذه القصص « جوار الله » محققة — بعض الشىء — لما انتابنى من هواجس ، فقد كانت طويلة مملة لا شىء فيها غير الوصف بالتفاصيل الضئيلة التى يمكن الاستغناء عنها ، وهى الى كل ذلك تفتقر الى المغزى الذى يحرص عليه نجيب محفوظ حرصا كبيرا . ولكنه لم يلبث ان استرد مقدرته الاولى ، وتتابعت قصصه الرائعة ، الواحدة تلو الاخرى ، فتات « جوار الله » قصته « دنيا الله » التى تستطيع عندها ان تفترض وجود خط وهمى يصل بينها وبين ماتلاها من قصص ، قد يمحى هذا الخط — اذا صح التعبير — عند قصة أو اكثر ولكنه لا يلبث ان يعود سيرته الاولى كما حدث فى قصة « قاتل » و « زينة » والاخيرة من الاعمال التى كنت أود أن يناى نجيب محفوظ بنفسه عنها ، فهى ليست الا من قبيل القصة الصحفية السريعة ، بل ان من غرائب المصادفات ان موضوع هذه القصة ، قد تناوله كاتب آخر فى كلمة له بنفس الصحيفة التى نشرت القصة .

واذا تركنا هاتين القصتين وجدنا امامنا قصة « موعد » وفيها نلمح احدى سخريات نجيب محفوظ من القدر ، ومنها يمتد الخط الوهمى الى قصة « الجامع فى الدرب » حيث نجد امام الجامع الذى يفر منه وقت الغارة لان امرأة ساقطة لجأت الى رحابه ، وعندما تنجلى الغارة تنجو الساقطة التى لاذت بالجامع ، ويهلك الشيخ الذى انكر عليها التجاءها الى بيت الله .

واذا كان مغزى نجيب محفوظ فى مثل هذه القصص يبدو واضحا جليا ، فانه فى قصته « زعبلاوى » يبدو غامضا اشد الغموض وبالرغم مما يبدو فى القصة من واقعية ، يلوح انها مغرقة فيها ، الا انها — واستطيع أن أؤكد ذلك — ليست سوى قصة رمزية ، وهو لم يشر الى ذلك ، ولن استطيع هنا ان الخص القصة ،

فذلك عبث لا طائل منه ، ولا حتى ان اذكر لك ما يريده منها ، ولكنني استطيع فقط ان اقول لك ان « زعبلاوى » في هذه القصة هو « جبلاوى » في قصة « اولاد حارتنا » ، وبذلك اثبت نجيب محفوظ انه اذكى من كل هؤلاء الذين هاجموه في « اولاد حارتنا » ، ولعله وجد من المسلى ان يصفعهم صفعة اخرى — وليست اخيرة — لا يعرفون ماتاها .

ولعل عدم فهم هؤلاء لحقيقة الرمز الذى عناه قد اغرى نجيب محفوظ بمواصلة هذا النوع من القصص فكانت قصته الثانية « ضد مجهول » تدور هذا المدار بالرغم من محاولاته المتقنة لابعاد جوالرمزية عنها ، فهى قصة قاتل يمارس جرائمه بلا هدف او غاية ، والشيء الوحيد الذى يدل على جريمته هو الطريقة التى يمارسها بها ، والاثر الذى يتركه في ضحيته هو « **اثر الحبل حول عنقه ، وجحوظ عينيه ، وتجمد الدم حول انفه وفيه** » وهو يدخل الى مكان الضحية « **كالهواء ، وحتى الهواء يترك في البيوت اثره** » .

وكانت ضحيته الاولى مدرسا بالمعاش والثانية لواءا قديما بالجيش اما ما هى العلاقة بين المدرس واللواء ، فيجيب عنها نجيب محفوظ بأن « كليهما قابل للموت » وتتابع بعد ذلك جرائم هذا المجرم الغريق خبط عشواء ، غير مفرق بين متشرد يجوبه الحوارى والازقة وسيدة تنام في سريرها ، وراكب ترام لايدور بخلده شيء مما يحدث للناس ، وقد اتخذ هذا المجرم منطقة العباسية مسرحا لجرائمه حتى ضج الناس منه ، وانحصر تفكيرهم في « الخطر الداهم الذى يزحف غير مكترث لشيء ، ولا يفرق بين شيخ وشاب ، غنى وفقير ، رجل وامراة ، صحيح ومريض ، في البيت او في الطريق مجنون ، وباء ، سلاح سرى ، خرافة من الخرافات » .

ويظل هذا كله تأولا بغير جواب شاف ، ويحتار ضابط البوليس امام هذا اللغز المحير ، ولكن لا تطول به الحيرة ، فانه يقع آخر الامر ضحية لهذا المجرم ، وهو جالس على مكتبه ، وكانما دخول هذا المجرم عليه في مكتبه هو دخول الموت نفسه كما صوره المتنبى في بيته :

وما الموت الا سارق دق شخصة

وبالرغم مما بذله نجيب محفوظ من اثبات التفاصيل الدقيقة التي توحى بانها قصة واقعية ، فانها ايضا ليست سوى قصة رمزية ولو غير عنوان القصة « ضد مجهول » بعنوان « القدر » مثلا لما احسست بتغير ما في القصة ، وان كان هذا التفسير لا يوضح تماما ما اريد ان اقوله عن مغزى نجيب محفوظ في هذه القصة .

ولعله اخيرا من الظلم البين لنجيب محفوظ ان تناول قصصه هذا التناول السريع ، ولكن الذى دفعنى الى هذه الكتابة غير المستانية ، هو ما قرأته في صحيفة يومية من ان « الادباء يتساءلون عما يقصده نجيب محفوظ بقصته « زعبلاوى » ولعل من حقى بعد ان اجبت عن هذا السؤال ، ان اتساءل انا ايضا : أى ادباء هم هؤلاء الذين يتساءلون ؟؟

عزت محمد ابراهيم

الناقد وخصوصيات الكاتب

اثار الاستاذ صبحى الجيار فى العدد الماضى من مجلة الادب قضية ادبية هامة وذلك عندما تعرضت الادب بالنقد لمجموعته القصصية « يستر عرضك » واقتضت طبيعة البحث من الناقد أن يشير الى تأثر القصص بحياة كاتبها الخاصة الامر الذى اغضب الاستاذ صبحى فأنحى على الناقد باللوم والعتاب . . واريد اولا ان اقول للاستاذ صبحى الجيار اننا جميعا — قراء وادباء ومتأدبين — نحبه ونحترمه ونعاطفه كاشد ما يكون التعاطف فيما قست عليه الاقدار .

ولا اريد ان اتناول المسألة من زاوية خاصة بكاتب معين او ناقد معين لانها قضية عامة تخص كل ناقد وكل كاتب . . بل هى تخص كل فنان ايا كانت اداته الفنية . وساحاول فى هذه الكلمة أن اجيب عن السؤال الذى طرحته الادب للمناقشة وهو : هل من حق الناقد ان يخوض فى خصوصيات الكاتب؟ . . وهناك بلا شك اكثر من حق يخول للناقد ذلك ، وقد تحدثت « الادب » باسهاب فى مقالها الافتتاحى « من الحياة والفن » عن حق التاريخ على الخالدين فى ان يقول فيهم كلمة الحق وعن الحق الدينى الذى تخوله الشريعة الاسلامية لابنائها فى «نقد المعلم والواعظ والحاكم والمفتى والشاهد وكل صاحب عمل يمس حياة الجماعة » . . الا أن هناك حقا آخر هو الحق الفنى وله ما للفن نفسه من حرمة وقداسة . . وتكاد تكون معظم المذاهب الادبية مجمعة على ذلك . . فحياة الكاتب وما يحيط بها من ظروف وما تحفل به من تجارب هى المعين الثر الذى يستقى منه الاديب ادبه .

ولو تدرجنا من أول السلم لوجدنا ارسطو فى كتاب الشعر «البويطيقا» يرسى اساس المذهب الكلاسيكى فى الادب حينما يضع «نظرية المحاكاة » التى اختلف النقاد فى فهمها ففسرها بعضهم مثل سيشرون واليوس دوناتوس بأنها تعنى ان الادب « نسخة من الحياة . . مرآة لعادة . . صورة منعكسة للحقيقة » وقد يبدو لاول وهلة ان هذا التفسير الضيق يلغى شخصية الكاتب لانه لن يكون فى هذه الحالة اكثر من جهاز تسجيل يسجل الحياة كما هى وينقل عن الواقع صورا طبق الاصل . . الا ان النظرة الفاحصة قد تثبت خلاف ذلك فالحياة مليئة بالافراح والاتراح والكاتب — المتفائل — الذى يصور خيرية الحياة غير المتشائم الذى يصور شريتها . . وهذان غير الآخر الذى يبتغى بين ذلك سبيلا . . ولكل ذلك اسبابه وجذوره التى يعزى اليها من حياة الكاتب الخاصة .

بيد ان نظرية المحاكاة تحتمل تفسيرا اوسع . . فالادب كما قال هيدلان فى القرن السابع عشر : « لايصور لنا الاشياء كما هى بالفعل بل كما ينبغى أن تكون » وهذا التفسير يضع فى الحسبان شخصية الكاتب مباشرة لان ما ينبغى أن تكون عليه الاشياء اى المثل الاعلى للحياة فى نظر الكاتب انما هو عصارة التجارب التى عاناها وثمرة طبيعية لطفولته ومراهقته وشبابه ومن ثم فمعرفتنا شيئا عن هذه الحياة الخاصة يكون عظيم الفائدة فى فهم الادب .

فاذا تركنا الكلاسيكية جانبا الى الرومانسية وكان احسن تعريف

الرومانسية أنها « تغليب ما وراء الحس على المحسوس » أى تغليب القلب على العقل والعاطفة على الفكر المحصن .. ومن هنا كانت تهويمات الرومانسيين التى قد تصل الى حد الهذيان فى بعض الاحيان .. ومن هنا تعريفهم للادب بانه « تعبير عن شخصية الاديب » وتبعا لذلك فحياته الخاصة متصلة أوثق الاتصال بادبه وللناقد — باسم الرومانسية — حق التدخل فيها .. ولعل الرومانسيين — لهذا السبب — لم يعنوا بشىء عنايتهم بكتابة اعترافاتهم التى يروون فيها بصراحة ادق التفاصيل واخفى الاسرار فى حياتهم ، ففى فرنسا كتب جان جاك روسو اعترافاته .. و فى روسيا فعل مكسيم جوركى نفس الشىء .. وفى مصر كتبها احمد امين فى شجاعة ادبية يحمد عليها فى كتابه « حياتى » وحذا حذوه سلامة موسى داعية الرومانسية فى كتابه « تربية سلامة موسى » وكذلك الدكتور طه حسين فى كتابه « الايام » وهو اقرب ما يكون انى ادب الاعتراف والترجمة الذاتية منه الى القصة ، كل هؤلاء فعلوا ذلك لا رغبة منهم فى التشهير بانفسهم ولكن لانهم بذلك يخدمون الفن الذى اخلصوا له ووقفوا حياتهم عليه .

اما عن مدرسة الواقعية فالكاتب الواقعى لا يستطيع — مهما تحرى الموضوعية — أن يلغى ذاتيته لانه(١) « حين يؤلف قصة أو يكتب مقالا أو ينقد رايا انما يصدر فى كل ذلك عن نفسه وابطال قصصه انما هى تمثيل لبطولته هو وفضائله ورذائله هو .. وهو بالطبع يعمد الى خياله كى يعوض به ما كان ينقصه فى حياته أو يزيد وينقص فى الحوادث كى يلائم بين ما يجب وبين مجرى القصة » ..

شخصية الكاتب اذن تتدخل فى العمل الادبى ومن ثم فلا مناص للناقد من الرجوع اليها فى حياته الخاصة حيث تكون الشخصية اكثر حرية ووضوحا .

ولا يكاد يشذ عن ذلك الا انصار النقد الحديث فالكاتب عندهم لا يعبر نفسه وعلى ذلك فلا قيمة لحياته الخاصة فى ادبه وهم يعترضون على ان(١) « كثيرين من الناس يدرسون حياة الكاتب ليروا انى اى مدى جاءت كتاباته صورة صادقة لحياته . ومن الاجدر أن نحاول أن نعرف انى اى حد استطاع الكاتب حماية فنه من ذاتيته » .. وهذا الكلام لا يخرج عن كونه ترديد النظرية « اللاشخصانية فى الفن » التى ابتدعها الناقد الانجليزى ت.س.اليوت .. ولذلك فالناقد على طريقة اليوت لا يتدخل فى خصوصيات الكاتب .

هذا من الناحية النظرية اما من الناحية العملية فنجد كثيرا من النقاد طبقوا هذا المنهج اى دراسة الادب على ضوء حياة الادباء الخاصة .. وهذا أحدهم وهو الدكتور اسماعيل أدهم يقول (٢) « نحن لا نؤمن بالرأى القائل بوجوب فصل حياة الفنان الخاصة عن فنه كيما يتسنى الحكم على قيمة آثاره من الروح الفنية لاننا نعتبر الموازنة الفكرية والشعورية وربط احساسات الفنان بها اساسا للنقد الادبى » .

ولا يتحرج الدكتور ابراهيم ناجى من الخوض فى أخص خصوصيات توفيق الحكيم وذلك كى يفسر لنا ما يتضح فى كتابته من عداء للمراة .. يقول ناجى (٣) « هل كان عاملا المراة المحترمة المحبوبة والخوف موجودين فى حياة توفيق الحكيم الاولى ؟ .. أحسب ذلك .. فان والدته

---

(١) الادب للشعب — سلامة موسى ص ١٥٢ .

(١) ما هو الادب — رشاد رشدى ص ٢٠ .
(٢) توفيق الحكيم — اسماعيل ادهم ص ١١١ .
(٣) توفيق الحكيم — ابراهيم ناجى ص ٢١٢ .

تركية والتركيات مشهورات بالصرامة والمهابة » .

وفى المجال التطبيقى ايضا نجد ابراهيم عبدالقادر المازنى يشير الى حياة الدكتور طه حسين الخاصة حين يتعرض بالنقد لاسلوبه .. (٤) « فلا شك أن اظهر عيب فى مقالات الدكتور هو التكرار والامر يرجع فى اعتقادنا الى سببين جوهريين أولهما ما اصيب به الدكتور فى حياته من فقد بصره والمرء اذا حيل بينه وبين المرئيات ضعف اثرها فى نفسه فلم تعد الكلمة الواحدة تفنى فى احضار الصورة المقصودة الى ذهنه .. وثانيهما انه مدرس والتعليم مهنة تعود المشتغل بها التبسط والايضاح والتكرير ايضا » .

وقد يتساءل القارى بعد ذلك او قبل ذلك عن جدوى هذا كله .. ما جدوى أن نعرف أن طه حسين يكرر فى اسلوبه لكذا من الاسباب او ان توفيق الحكيم يعادى المراة لسبب او لآخر وكيف ننتفع بهذه المعرفة فى فهم ادبهما ؟ .. وقد تبدو الاجابة صعبة على هذا السؤال لكننا بانعام النظر فيما قاله المازنى ـ مثلا ـ عن طه حسين نستطيع ان نصل الى نتيجة لا باس بها وهى أن التكرار عند طه حسين ليس اداة فنية او مظهرا جماليا يتعمده الدكتور وانما هو شىء يجد نفسه مضطرا اليه فالتكرار هنا من سيئات الاسلوب وليس من حسناته .. فاذا عرف المقلدون ذلك .. افلا يعدلون اذن عن التكرار والحشو الذى يتخمون به اسلوبهم ليكون « جميلا » مثل اسلوب الدكتور طه حسين ؟

والذين قراوا مسرحيتى « سر المنتحرة والخروج من الجنة » لتوفيق الحكيم يرتاعون للتناقض السافر الذى يقع فيه الكاتب .. ويكاد هذا التناقض يفسد استمتاعنا بالمسرحيتين جميعا .. فهو فى الاولى يرمى المراة بالحقارة والتفاهة وفى الثانية يرفعها الى المرتبة التى تخلق فيها الفنان وتلهمه .. لكننا نستريح تماما حين نعلم ان عواطفه تجاه المراة وفكرته عنها هى هى لم تتغير فى كلا المسرحيتين وذلك عندما يقول لنا الباحث فى حياة توفيق الخاصة أن (١) « عامل الخوف من المراة هو الذى يسيطر على نفس توفيق الحكيم لا الكره » وشتان ما بين الخوف والكره .

والامثلة اكثر من أن تحصى للدلالة على ما لحياة الكاتب الخاصة من اهمية بالغة فى تعمقه وفهم اتجاهاته وتحديد خصائصه الفنية .

محمد عبد الهادى محمود

---

(٤) قبض الريح ـ المازنى ص ٢٢ .

(١) توفيق الحكيم ـ ابراهيم ناجى ص ٢١٢ .

نقد مجموعة :

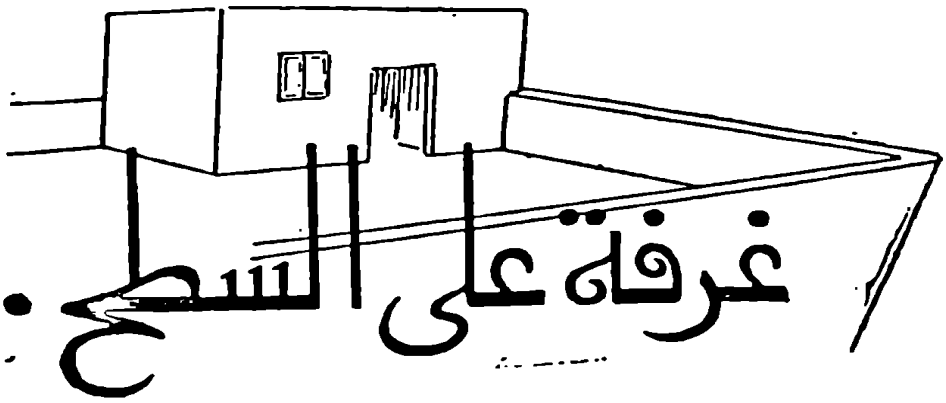

تاليف : محمود البدوى

ولد محمود البـــدوى عام ١٩١٢ فى قرية الاكراد وتلقى دراسته فى مدرسة اسيوط الابتدائية ثم تخرج من المدرسة السعيدية الثانوية فى القاهـرة والتحق بكلية الآداب قسم اللغة الانجليزية وعندما قطع مرحـــلة الدراسة عاش دهرا من حياته فى فنادق القاهرة وجال فى أوربا حيث التقى بعميد مدرسة التحليـــل النفسى سيجموند فرويد وتاثر به فى القاء الاضواء العلمية على السلوك العـــاطفى لأبطال قصصه وجال فى ربوع آســـيا فكان لذلك أثر واضح فى كتاباته وعندما قفل راجعا الى مصر كانت دوامة الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) تعصف بالملايين وتقوض القيم الانسانية فى النفوس ومن هذه الاجواء استوحى مجموعتـه الاخيرة « غرفة على السطح » .

فالقصة الاولى فى المجموعة « امراة فى الجانب الآخر » تصور شابا يســكن فى حى عابدين اثناء الحرب .. اتاحت له الظروف فرصة التعرف على فتاة فقيرة تقـــوم على تدبير منزله وبمرور الزمن تولدت فى صدره نحوها عاطفـــة الحب وتزوجا وحدث يوما ان اتجه الشـــاب الى محل حقائب فالتقى بزوجة صاحب المحل وكانت امراة رومانية نارية العواطف وقع زوجها فى المعتقل . ولجأ الشاب الى اجضان الرومانية ومنحتـــه مفتاح بيتها يتردد عليه فى أى وقت شاء ومرت عليه الايام وهو غارق فى حماة الرذيلة حتى كان الحادث الذى رده الى صـــوابه اذ راى يوما على ناصية الشارع فتـــاة رقيقة كزوجته تماما وقد وقف بجوارها شاب مصرى يرتدى الجلباب ويهمس فى اذنها ببضع كلمات فتتوقف فى مكانهـا وكانها تفكر ثم تركب سيارة اجرة مـــع الجنود الانجليز الى حيث يعـــلم الله . هز ذلك المشهد أعماق الشاب وايقن ان زوجته ربما تتعرض لهذه التجربة نفسها فانطلق نحو بيته واحتضن زوجتـــه فى حنان ثم القى مفتاح المراة الرومانية من النافذة فسقط بين اوحال الشـــارع ولعل أروع ما فى هذه القصة الرمز الذى ترمى اليه حين جعل محمود البـــدوى ن الوحل شعارا للرذيلة فضلا عن روعة أسلوبه الشاعرى ولم يكن البدوى فيها مجرد فنان بل عمد الى نقد الاوضـــاع الخاطئـــة فى مجتمعنا من ذلك قوله : « وعندما دخلت مكتب الصحة روعت من الروتين المعقد ومن بطء الاجراءات ومن

بلادة الموظفين وعدم انسانيتهم واستهتارهم بالموتى » .

والقصة الثانية فى المجموعة « ساعة المحطة » تصور فراشا يشتغل منذ اربعين عاما فى محطة سكة حديد بالصعيد وكانت الفوضى تعم المحطة عدا شيئا واحدا ظل سليمان وهو ساعة المحطة التى علقها بيده واحبها . وكان الفراش قانعا بحياته لولا ان مدة خدمته قاربت الانتهاء فحاول عبثا الغاء قرار الاستغناء عنه وفى اللحظة التى فشل فيها جلس حزينا فى المحطة وما ان توقف قلبه عن الخفقان حتى توقفت الساعة هى الاخرى عن الدوران ويقول محمود البدوى انه كتب هذه القصة فى حالة انفعال حار وتجاوب عميق مع بطلها ومع اننا نلمس حرارة الانفعال حقا بين سطورها الا ان المصادفة الساذجة قوام حادثتها وانها لتذكرنا بقول الشاعرة الروسية « فيرا انبرا » : « ان الاحساسات التى تصاحب العمل الفنى عرضة لان تكون خادعة تماما وتذكرنا بقول ستانسلافسكى : لقد لهثت وحاولت التقاط انفاسى اثناء الكتابة وحسبت هذه العصبية الحادة نوعا من الالهام واخيرا بقول الروائى الفرنسى جوستاف فلوبير : حذار من كل ما يشبه الالهام فانه فى أغلب الاحيان ليس الا نية مبيتة للتفخيم الذاتى . وهذه العبارات الثلاث تعبير دقيق ينطبق على قصتنا ذلك ان عاطفة المؤلف كانت من الحدة بحيث طمست معالم القصة ولو انه ترك فكرتهما تتبلور فى رأسه مدة كافية لكانت شيئا ممتازا حقا .

وفى قصة « المنارة » نرى طبيبا شابا يزاول مهنته فى الصعيد ويعمل على رفع مستوى قريته جهد الطاقة حتى منحه سكانها ثقتهم واعتبروه المنارة المضيئة فى القرية وكان الشىء الوحيد الذى يحز فى نفس الطبيب ان زوجته الجميلة رفضت ان تعيش فى الريف واخيرا قبلت بعد الحاح شديد ان تغادر القاهرة اليه اياما قليلة . وفى اللحظة التى قررت فيها الرحيل عن القرية جاء الخفير الى المنزل على عجل واخبر الطبيب بان فلاحا مريضا فى الخارج بين الحياة والموت وكان الطبيب يقدس واجبه فاسرع الى الرجل واعطاه حقنة مقوية ولكنه مات . هنالك ثار اهله وزحفوا نحو منزل الطبيب بالعصى والهراوات يريدون الفتك به ولما وصل الخبر الى وكيل العمدة اسرع الى المكان وافهم الفلاحين ان ما حدث كان قضاء وقدرا اما الطبيب فظل يعمل من اجل قريته ومكثت زوجته بجانبه . وهذه القصة طيبة على وجه العموم وحبذا لو كان المؤلف قد اشتد فى مراقبة نفسه عند كتابتها وزاد من اهتمامه بصياغة العبارات وترتيب الافكار حتى يصبح نسيجها اكثر التماما .

ولعلنا لانغالى اذا قلنا ان قصة « الوجه الصامت » درة هذه المجموعة من اروع القصص على الاطلاق ولذلك نسهب قليلا فى الحديث عنها .

تصور القصة شابا مكافحا يعمل صرافا فى مصلحة حكومية وتدفعه عواطفه الرحيمة الى اقراض زملائه الموظفين من اموال خزانته رغم ما فى ذلك من خطورة عليه وحدث يوما ان جاءه موظف طالبا منه عشرين جنيها دفعة واحدة زاعما ان امراته فى حاجة الى عملية جراحية عاجلة ثم وعده برد المبلغ فى اليوم التالى غير ان الموظف انقطع عن المجىء الى المكتب فتولى الشاب القلق وذهب الى منزله فلم يجد غير زوجته التى اخبرته والدموع فى مآقيها بأن زوجها ما زال ساهرا مع اصحابه خارج المنزل . وعندما اشتد القلق بالشاب ذهب مرة اخرى الى منزل الموظف فوجده يتمارك مع زوجته وامام اصراره على استرداد المبلغ اعترف له الموظف بانه اضاعه على المائدة الخضراء . هنالك ذعر الشاب وهم بان يبطش !.

ولكنه راى زوجتـــه فى الصالة بوجهها الصامت المعـــبر عن كل ضروب الاسى فترك عنق الرجل ومضى . وجاءت الطامة الكبرى عندما اكتشف العجز فى خـزانة الشاب فزج به فى السجن حتى دفـــع ساعى مكتبه المبلغ للنيابة وادعى انه عثر عليه فى حجرة الخزانة وانتهى الامـــر بفصل الشاب من وظيفته . وعاد الشاب الى فندقه وقضى عدة أيام فى شـــبه غيبوبة فلما افاق وجد الراقصـــة التى تسكن الحجرة المواجهة له قرب فراشه تمرضه حتى شفى وظلت واقفة بجانبه حتى اصبح من كبار تجـــار الشاى فى الســـويس . وبينما كان الشاب يعبر شريط السكة الحديد ذات يوم اذا به يرى الموظف مخمورا على الرصيف فحمله فى عربة الى بيته . وفى البيت راى زوجته وقد اطفأ الدهر جمالها ولكن بقيت النظرة الانسانية فى عينها النظرة المحيرة للألباب التى منعته من ان يسىء الى زوجها كمـا اساء اليه . وظل الشـاب يتوقع موت زوجها السكير فى اية لحظة فان هاتفـا قويا كان يحدثه من أعمـاقه بأن يظـل بجانب هـذه السيدة حتى يعصمها من الجوع والدنس .

فى هذه القصة القصيرة ابدى محمود البدوى مقدرة هائلة على تحليل النفس الانسانية وقدم لنا وصفا دقيقا للحياة فى الفنادق ويبدو انه عندما كتب هـذه القصة كانت تسيطر على وجدانه فكرة « جون سنانبك » التى نادى بها فى روايته « شارع السردين المعلب » وهى ان الخير قد يكمن فى أعماق النفوس التى ينظـر اليها المجتمع بعين الازدراء او الاستهانة فعندما ادلهمت الظروف حول الشـاب تنكر له زملاؤه الموظفون الذين طالمـا احسن اليهم ولم يجد من يسأل عنه فى مرضه او يسدد دينه سوى راقصـــة محترفة وفراش فقير وقد تأثر البدوى فى هذه القصة بكاتب آخر هو ارويك وبنيج فى روايته « سوريل وابنه » ويكفى ان نقارن بين الحيلة التى اصطنعها كلا الكاتبين لجذب النزلاء الى فندقيهما لنرى مصداق ذلك . وقد شاب القصة مأخذ واحد كان حريا بأن يخرج بها من الدائرة الفنية الى لغة المقال وهو نزوع المؤلف الى النهجة التقريرية فى التعليق على الاحداث من ذلك قوله : « ولقد اكسبنى هـــذا الحادث تجربة هزتنى وخرجت منـــه وانا احس باننى اشد فهما للحياة واكثر جسارة . أو قوله فى موضوع آخر : « وقد علمنى الحادث الاول الحذر والحيطـــة من الناس والتسامح كما عرفت قيمـة الحرية فى العمل والكفاح والانتصار على الحياة » .

وفى قصة « عند البحيرة » يتجاوب محمود البدوى مع الاحداث الجـــارية فيخرج لنا قصة حسنة عن كفـــاح بور سعيد عام ١٩٥٦ ضد الغزاة وهـو يمزج هـــذا الجو العنيف الذى تدور فيه قصته بنفمة شفافة نلمسها دائما فى الادب الروسى : نغمة الانسانية العميقة التى تشارك البشرية فى آلامها وتحنو على جراحها ولا تقنع بالسخرية منها كمـــا يفعل كتاب المدرسة الطبيعية مثـــلا فى فرنسا . القصة تصور لنا قطاعا من حياة زبيدة الســـيدة التى يداهم مدينتها العدوان الثلاثى ويلقى زوجها مصرعه فى ساحة المعركة فلا تعدم شابا شهما يدافع عنها وعن المدينة كلها . حتى اذا فارقت بور سعيد الى المنصـــورة على اثر غارة جوية عنيفة فوجئت به يطرق بابها ليقدم لها علبة النقود التى كانت نسيتها ومـع ان المستوى الفنى لهـــذه القصة طيب الا اننى لا أحبذ كثيرا لجوء ادبائنـــا الى التعبير عن احـداث سياسية لم يكتمل تبلورها واعتقد ان الشعر اصلح لهـــذا

انون لان قوامه العاطفة والانفعال ولان تصوير الاحداث الجارية تصويرا فنيا يتطلب من القصاص وقتا وجهدا .

وقصة « المجداف » تصور رحلا عبر النيل الى احدى قرى الصعيد ليهنىء صديقا له عاد من الحج وعندما فعل ذلك وخرج من القرية رأى قاربا صغيرا يجدف قرب الساحل فركب مع ملاحه العجوز الى الضفة الاخرى من النيل . وفى مؤخرة القرب لمح الرجل فتاة فلاحة تجلس فى وداعة وتود العبور الى الضفة بدورها . وبينما كان الملاح يجدف سمع الثلاثة طلقات نار وصوت مطاردة وفجأة ظهر شبح ملثم على الشاطىء وقفز الى القارب لكى يهرب من مطارديه لقد كان مجرما هاربا من القانون فراح الملاح يرقب الشاطىء الآخر فى اهتمام شديد واذا به يكسر المجداف زاعما ان ذلك حدث عفوا وظل يجدف ببطء حتى وصل القارب الى الشاطىء الآخر فقفز المجرم اليه واختفى بين الاحراش غير ان البوليس وصل فى هذه اللحظة واطبق على المجرم بفضل الملاح الذى عطل القارب بذكائه . والحق ان هذه القصة من اجمل قصص المجموعة وقد ابدع صاحبها فى رسم شخصياتها ولا يعيبها سوى تناقض طفيف فى السياق فقد ذكر المؤلف ان الظلام بدأ يزحف على الكون واذا به بعد سطور معدودة يصف السماء بانها لازوردية واذا تركنا قصة المجداف التى تدور حوادثها فى الريف الفينا انفسنا امام قصة ذات طابع خاص يميز محمود البدوى عن سواه من الكتاب وهى القصص التى تدور حوادثها فى الشرق الاقصى عامة وفى اليابان بوجه خاص . قصة « التفاحة » تصور شابا يستغل فقر المرأة اليابانية فى اشباع ملذاته ولكنه لا يلبث ان يفطن الى الدوافع التى تدفعها نحو الخطيئة فيستيقظ ضميره ويساعدها على شق طريق شريف فى الحياة .

والظاهرة الواضحة فى هذه المجموعة ان محمود البدوى لايكتفى بتسجيل القصص المحلية داخل بيئتنا فى القرية والمدينة ولكنه يجول فى آفاق فكرية واسعة ويرتاد المشاكل العالمية عن وعى ويدعو الى السلام وقد ادت هذه الاتجاهات الى ارتفاع الحوار عن المستوى المعقلى للشخصيات فى بعض قصص المجموعة ولا تخلو المجموعة من لقطات ساخرة تحلل نفسية المرأة فى رشاقة . فى احدى القصص نرى امرأة تضع صورة المرحوم زوجها على المائدة فاذا كان الصفاء تاما بينها وبين الرجل الذى يسكن فى فندقها جعلت وجه الصورة الى الحائط واذا تعاركا عادت تضع الصورة معدولة .

اضف الى ذلك ان المجموعة تحوى عددا من الصور الفنية الجميلة . واستمع الى هذا الوصف الرائع لغروب الشمس : « وعندما خرجت وتطلعت من الشرفة الزجاجية الى ناحية البحر رأيت قرص الشمس يتوهج بشدة كان احدا صب عليه مقدارا كبيرا من الزيت المغلى ثم انطفأ اللهب الاحمر كله فى الماء »

وخلاصة القول ان ظهور مجموعة « غرفة على السطح » فى هذه الفترة من حياتنا الادبية ثروة جديدة تضاف الى الادب العربى فتدخل عليه تعديلات مبتكرة فى الشكل والمضمون وتثير فى الوقت نفسه بعض القضايا الادبية .

ماهر شفيق فريد

* * *

تقويم و تدريب

وزارة الثقافة .. والقراءة

فى الحق أن وزارة الثقافة والارشاد القومى بمصر تبذل جهودا محمودة مشكورة ، لا ينكر فضلها على الصحافة الادبية ، والثقافةالعامة ، والحياة الفنية، فى مختلف ميادينها .. وكل هذه الجهود التى يقضى الانصاف بحسن تقديرها ، وحسن شكرها يرجى أن يكون شكرها عليها شكرا عمليا ، يحسن استعمالها ، وصدق الانتفاع بها ، فذلك هو الشكر الحق ، الذى يرضى الوزارة ، ويرضى الوطن ، ويحقق الاهداف الكريمة ، التى تزمى الوزارة الى تحقيقها بجد وامل .

ولعل ما يعنينا هنا قبل غيره هو الثقافة المكتوبة ، فان خير الشكر عليها انما هو الاستفادة القارئة ، والقراءة المستفيدة ، وهو مالا يطلب الى الوزارة وحدها العمل على تحقيقه ، بل يطلب ذلك الى كل ذى شان فى تكوين الشباب ، وترقية الثقافة العامة ، والعمل الايجابى لخلق نهضة ثقافية تساير نواحى النهضات الاخرى ، فى كافة الميادين ..

وهنا نوجه الحديث الى العاملين فى الميادين التربوية المختلفة ، من المدارس على اختلاف درجاتها ، والمعاهد على تنوع اغراضها ، والجامعات فى كلياتها المختلفة .. ولقد كان الشعور الدقيق بالحاجة الى الاستفادة الجادة بالنشاط الثقافى المتنوع ، من احياء لتراث قديم ، او ترجمةللجديد المفيد ، او تاليفدراسى يصل الماضى بالحاضر ، ويمد جيلنا بمواد التغذية العقلية والفنية الدسمة . — كان الشعور الدقيق بهذه الحاجة مدعاة الى طرح هذا الموضوع للدراسة فى جو « الامناء » على صور مختلفة ، من المحاضرة ، والمناقشة ، وتبادل الراى فى الندوات الجامعة ، فعرضت ازمة القراءة لهذا الفحص ، مطلع الموسم الثقافى بدار الامناء ، وقدمت الاحصائيات العامة ، عن مستوى الانتاج الثقافى عندنا وعند غيرنا، ومعدل ما يخص الفرد من الكتب عندنا وعند غيرنا ، ووسائل تيسير الحصول على المواد الثقافية المختلفة — كما بحثت الآفاتوالعوارض التى تحول دونالانتفاع الصحيح بما تيسر من ذلك .. ومهما تكن نتائج هذه الاحصائيات والموازنات ، واختلاف المستويات عندنا عما وصلت اليه عند سوانا فان شيئا من الشعور الصحيح بوجود ازمة القراءة عند نا قد انتهت اليه هذه الدراسة — كما اختلف

الرأى فى وسائل علاج هذه الازمة علاجا ناجعا ، وليس من اليسير ان اعرض هنا تلك الآراء المختلفة ، وانما يكفى ان تشير «الادب» الى ملاحظ عامة عن تلك الازمة ، ازمة القراءة وعلاجها ، فتحدث حديثا موجزا عن تلك الازمة فى مجالات التعليم المختلفة ، وسواء بدانا من هذه المجالات باعلاها وهو الجامعات ودراساتها العليا ام بدانا باوسطها وهو الدراسة الثانوية ، ام نظرنا فى ايسرها وهو مرحلة التعليم الابتدائى فانا سنجد ظاهرة مشتركة يمكن ان نفردها بهذا الحديث القصير .. وتلك الظاهرة هى : **ان الدارس فى المراحل المختلفة لايشعر بوجوب القراءة المستفيدة فى غير مواد الدراسة المقررة ، التى يؤدى فيها الامتحان الرسمى ، الذى يعد الغاية الوحيدة الفردة للتعليم ، دون شىء آخر ، من رغبة التكمل ، أو كسب المعرفة ..**

ومع ان طبيعة الدراسة الجامعية توجب على الطلاب العمل الفردى ، والمرانة على الكسب الشخصى للحقائق والمعارف .. ومع ان طبيعة الدراسات العليا فى البيئة الجامعية انما هى العمل الفردى ، والكسب الشخصى فيما بتولاه الدارس من بحث ورسالة هى مادة تقديره ، وصورة جهده ... مع هذا كله نجد ان شواهد وقوف الطلاب ، عند كتب بعينها ، وضآلة عملهم الشخصى فى ابحاث الدراسة العليا ، شواهد تبدو واضحة ، وعليها دلائل كثيرة ، مع ان العلاج فى هذه الدراسة ايسر واقرب ، لان الطلاب يكلفون فى دراسة الليسانس ، بما يسمى أعمال السنة ، وتتوقف عليها — فيما عرف — نتيجة الطلاب ، ولو اخذت هذه الاعمال او الابحاث مأخذ الجد لكانت فرصة كبرى لالزام الطلاب بالقراءة ، وعدم قبول مالا يشهد بتلك القراءات المطلعة ، ورفض ما ينتهى الى النقل الساطى على مرجع واحد ، دون دلالة على الوعى الصحيح المتكامل ويسلب ..

ومثل هذا الالزام بالقراءة المتفتحة ، فى أعمال طلاب الجامعة لا يحتاج الا الى جد من اساتذتهم ، فى قبول أعمالهم ، وتشدد فى تقديرها .. ونحن نعرف ان مثل هذا الجد والتشدد لا يستطيعه الا الاساتذة الذين يقدمون فى تدريسهم قدوة صالحة ، من نضوج الشخصية ، ووضوح الجهد ، والالمام بالموضوع ، وسعة الاطلاع على أصوله ومراجعه .. وعلى رغم ما يقال ويعاد ، حول هذا فانا لا نستيئس مطلقا ، من وجود هذه القدوات بين الاساتذة ، وفى أمل وثقة نستصرخ بتلك الشخصيات لنجعل اعمال السنة وسيلة من وسائل القراءة ، المستفيدة من كل ما حولها من نشاط ثقافى ، تشارك فيه وزارتنا للثقافة ، والى جانبها مجالس وادارات تؤدى نصيبا من ذلك ، ينبغى الا يبخس .. ولعلنا لا نملك فى هذه المناسبة الا الذكرى ، رجاء ان تنفع تلك الذكرى ، فيكون فى الاساتذة القدوة القوية التى تغرى بالاطلاع والتكمل ، والقراءة الواسعة الافق ، ليخجل امامها طلابهم من تقديم ابحاثهم هزيلة ، تافهة ، منقولة .

واذا ما وجدنا سعة ما فى القول الآن ، عن المرحلة الثانوية خطر بالذاكرة مشروع كان قد قدم لوزارة التربية والتعليم ، منذ سنوات ، لتأكيد الانتفاع بالمكتبة المدرسية انتفاعا ايجابيا ذا اثر فى حياة التلاميذ ، كما انه ذو اثر فى استفادة المدرسين ، من وجود المكتبة ، فى توسيع افق طلابهم ، واطلاعهم على شىء خارج دائرة الكتاب المقرر .

ومدار هذا المشروع هو ان يعد العمل فى المكتبة عملا اصيلا للمدرس ، بحيث يطلب الى كل مدرس ان يعرف تلاميذه ما فى مكتبة مدرستهم ، من كتب أو مراجع خاصة بالمادة التى يدرسها لهم ، فيزور مع التلاميذ تلك المكتبة ، فى وقت الحصص نفسه ، ليعاونهم على معرفة ما فيها ، من مراجع او كتب عامة فى مادته

التى يدرسها معهم ، ويكلفهم فى سبيل تلك المعرفة بالاتصال بتلك الكتب والمراجع واثبات هذا الاتصال بشىء مكتوب يحققه ، وتكون هذه الاعمال داخلة فى تقدير درجات التلاميذ ، التى يقدر بها نجاحهم ، كما يكون عمل المدرس موضعا للناكد ، عند انسفتيش عليه كما يكون عنصرا اساسيا ، فيما يعطى له من تقدير .

وهو — كما نرى مشروع لا يتطلب تغييرا كبيرا او صغيرا ، فى نظام الدراسة او عمل المدرسين ، او كفايتهم او غير ذلك مما تتكلفه المشروعات الاصلاحية ، مع انه يحقق فائدة كبرى ، فى تكوين الطلاب وتزويدهم الثقافى .

ولقد كان فى المشروع جانب عملى آخر لتمكين التلاميذ من تكوين مكتبة خاصة لهم ، من نسبة مئوية تستهلك من كتب المكتبة وتعطى لهؤلاء التلاميذ حينما يبدو الجدمنهم ، فى الاستفادة من المكتبة ، وتراعى هذه النسبة فى تزويد مكتبة المدرسة بالكتب والمجلات ، ولا سيما كتب القراءة العامة .

كما كان فى المشروع جانب آخر ، فى تشجيع القراءة ، بجعل مكتبة المدرسة مكتبة للحى ، يرتادها من اهل التلاميذ ، من يريد ذلك ، فيما بعد اوقات الدراسة

وما بنا ان نفصل القول فى جنبات المشروع المفيدة ، ولكنما نلفت منه الى القسم الاول ، من جعل المكتبة وكتبها عملا اصليا للمدرس والتلميذ ، ومايحققه ذلك من علاج قريب لازمة القراءة . كما دعوناها .

واذا كنا قد فزعنا الى ضمائر الاساتذة الجامعيين فى دفع طلاب الجامعات الى القراءة . فانا لنفزع الى ضمائر المدرسين فى المدارس الثانوية فى التنظيم العملى ، الذى لا يقتضى وزارة التربية الا صدق الرغبة فى الانتفاع بالكتب التى تزود هى بها المدارس ومكتباتها .

وقد اثار العناية بذلك كله ما اردنا ان نقول فى هذه المناسبة عن تقدير جهد وزارة الثقافة والارشاد القومى بمصر ، فى تشجيع الثقافة وامدادها ، ورجاؤنا ان يكون شكر هذا الجهد بحسن استعماله فذلك اقوم طرائق الشكر .

وأزمة المطبعة

وفى بريد هذا العدد ، كما كان فى كثير قبله ، وفى الممارسة الشخصية لعملية الطباعة .. فى كل أولئك مثيرات للشكوى الصارخة من الخطأ المطبعى ، فانك ترى الدور القادرة ، بل الجبارة القدرة لا تنجو من هذه الآفة ، كما ترى كل المحاولات التى تبذلها « الادب » مثلا تتبدد امام واقع قاس من عمال المطبعة ، ولو قلنا ان عناء الطباعة وآلام اخطائها اقسى على الذين يمارسون عملية النشر من كل ما يقاسونه ، فى سبيل المادة العلمية التى تنشر .. لو قلنا ذلك لم نكن مبالغين .

ولقد اشارت « الادب » غير مرة الى هذه الآفة ، التى تلوث الجو الطباعى ، والقت التبعة فى ذلك كله على مستوى عمال الطباعة فى التعلم والتثقف ، ورجت ان يؤخذ هؤلاء العمال بشىء من التدريب الفنى ، يصلح من حالهم ، ويعالج هذه الآفة القاتلة للثقة بالمطبوع ، رغم الجهد الرهيب الذى يتحمله اصحاب المطبوعات فى التصحيح والاصلاح .. والى ان يتحقق شىء من هذا الامل فى اخذ اولئك العمال بالتدريب الذى يرفع مستواهم سنظل نبذل جهد المستميت فى تفادى الخطأ المطبعى فى « الادب » ما امكن ذلك .

الشعر

* فقد وصلت « قروية فى الصبح » ـ

صورة شعرية » تصف قروية بكرت تملأ واختلط دمعها بماء الجرة المكسورة ! ! الترعة ، ثم وقعت الجرة وانكسرت فبكت

وهب هذه الصورة كاملة ، ولافتة ؛ وتعال معى بعد ذلك لترى خطوطها وألوانها فى خبرتنا الساذجة ، التى تعتذر لاصحاب الاختصاص فى التصوير ونقده .

تركت مخدعها مذعورة .. لماذا .. والملو من عمل الفلاحة الاصلى ، الذى نسير من أجله مسافات لتملأ من الحلوة !!

نسيت طرحتها ونادتها الحماة لتأخذها !! غريب هذا من تصرف القروية .. احتارت عينها فى البحث عن انجرة فى الدار !! وللجرة مكان معروف ، وهى مهمة لا تتوه !! انسلت كالطيف .. بعدما خرجت مذعورة .. وهى تتلفت خشية ان يراها احد عند النهر !! وليس هذا هو سفور الريفية الشائع ، الا فى نفر من القلة يزعمون لانفسهم التحجب ، ويقول اهل بلدنا عنهم : انهم يتحجبون من العرى !!

بعد كسر الجرة كان الماء يغطى رجليها كأن مقطعا انقطع أو ترعة ساحت .. والامر ايسر من هذا حين تنكسر جرة فى الطريق الترابى !!

وبكت القروية لكسر الجرة حتى اختلطت دموعها الحارة بمياه الجرة .. وهذا كثير ، فالامر معتاد ، ولايكون البكاء إلا من الطفلة الصغيرة حين تبدأ الملو ببطة صغيرة ، فتنكسر منها ، وتبكى لكن لا بدموع حارة .. ولامناسبة غزيرة تختلط بماء الجرة المكسورة التى تغطى رجلى حاملتها ! !

هذه هى الخطوط المتعثرة ، والاضواء المزغللة .. فيما ندعوه صاحب « القروبة فى الصبح » صورة شعرية ، وقد أطلت فى عرضها ، واطيل فى نقدها لتكون مثلا مما يتوهمه النشأ من ظواهر فنية ، ليس لها فى نفوسهم صورة واضحة ؛ ولكنهم يأخذونها على الطاير ، وخطفا دون فهم ، ولا وعى .. ولا قدرة .

ومن هذا ندعوهم كثيرا ، ونقسو عليهم أحيانا ، ونرجوهم حينا أن يدركوا ان الامر ليس من السهولة والبساطة بهذا الحد ، وانه يتطلب منهم عملا جيدا وجهادا ورياضة ، تقتضيهم عناء وعرقا ، وبذلا من النفس والنفيس كما يقال .

ولو وقفنا عند الجانب اللفوى او الشكلى ، بعد وقفتنا الحائرة امام المضمون الهزيل ، لرأينا عجبا من العجب . اخطاء لغوية غريبة مثل : مزعورة — بالزاى — وخشية أن يرها ! ودمعات حرة — يعنى حارة — !! وعيناها مشدودى (كذا) النظرة .. ! ! والى ذلك صور بيانية شوهاء مثل : صوت منسكب !! ومشت فوق الجسر كعصفور بلله القطر !! والعصفور فى هذا الوضع — لو كان صاحبى قد رآه — ينتفض ليلقى عنه الماء الذى بلله !! فكيف تفعل وهى تحمل الجرة !! أن الريفيات فى الجو المناسب يتعمدن الابتلال فى الماء ويبرن ثيابهن المبتلة ، لتكون وسيلة لاظهار المفاتن ، كما تفعل المدنية ، اذا حزقت ملايتها ، و فستانها !! ولا تكون الريفية عند ذلك كعصفور بلله القطر ، بل تكون كعروس البحر !

ومن صوره الشوهاء : ومشت خطاها تسبقها !! ولا نعرف كيف تسبقها خطاها ابدا !! .. ولما انكسرت الجرة ، وقفت مفروسة كالنخلة .. وكيف تتجمد هكذا ، وهى تبكى بدموع — حرة على رأيه — وبطرف الثوب تزيل الدمعات ، والامر — كما نعرف — ايسر من هذا كله ! !

ايها الناشئون .. يا رجال الصف الثاني ، العاقل يعتبر بغيره ، وهذه الاطالة المسرفة فى نقد ما سمعتم مما يعتبر به العاقل منكم .. وكلكم عاقل .. جاهدوا وارتاضوا قبل ان تطلبوا النشر .

* ووصلت ((ياس)) وفيها مشابه من سابقتها ، وان كانت اقل منها مآخذ .. فمن حيث الجو الفنى ليس من خير حال الشباب ، فى عمر الامل والجد ان ييأس ، ويحدث عن اليأس .. فاذا اضطرب هذا الحديث ، ولم تجله اسباب نفسية ، ولا نقدات حيوية ولم يبدله جو واحد ثابت ، ولم تعرضه صور بيانية مجلوة جذابة ، وشوهه الخطأ التعبيرى ، فذلك مالا نحب ان يشغل الشباب به ، ولا ان ينشغل بعرضه وتقديمه ، ولا ان ينتظر نشره .. وحسبى هذا الاجمال ، واحدة تشيل واحدة .

* ووصلت من الشعر المنثور «شوق .. وحنين)) وهى اثر تدريب صناعى ، لا شعور نفسى ذى اصل صحيح .. فصاحبها مشتاق محروم .. لكنه بعد وصف الحرمان بالصيغ التقليدية من (الكليشيهات) القديمة والجديدة ، مع ما بها من مفارقات لا يلبث ان يحمله بساط النوم رفيقا .. رقيقا .. شأن الخلى البال ، وينام حتى السابعة صباحا الى ان يوقظوه بنداء مكرر ، وترتفع حوله اصوات الباعة ، ويلبس فى هدوء ويخرج لشغله ، وهو فى طريقه لعمله يتذكر — عربة خيل كانت تمر بجانبه وفيها فتاة « صبوة » تصيح بفهلوة ، وتقول له : نهارك فل .. وتسير العربة .. ويلهب السائق ظهر الحصان بالسوط ، وهو يتمنى ان يربت السائق ظهره ليبطىء السير .. وهو بعد ذلك يذهب الى القاهرة ويترك بعضه !! فى دمياط .. وهكذا تنتهى المسالة كما بدات ، صناعة تدريبية ، غير سليمة الصور ، ولا خالية من الخطأ الاعرابى .. ولا صالحة للنشر . ومعذرة اذا ما حميت حق القراء فلم اسق الامثلة لما ذكرت من ملاحظ .. وصاحبها ادرى بما فيها .

* ووصلت ((القمر .. أول الشهر)) لصاحب قصص ، نشرت له « الادب » كما وصلها قبل اليوم نماذج ، من شعره الفكه ، الذى عنونه هذه المرة «من الشعر الضاحك » ومع ان بعض القراء قد كتب الى « الادب » يقول انه يستمتع بأسلوب صاحبى الفكه .. مع كل هذا فانى رجل لا اعرف التقليد .. ولا اضحك على ضحك الناس ، ولا اعتبر الضحك بالزغزغة فكاهة .. واكرر ما قلته لصاحبى من ان ادب الفكاهة ليس من السهولة بالمكان الذى تحسبونها فيه .. وهذه الاخيرة تشهد بذلك ، فكل ما فيها ان السيد فى موقف فنى ، ، ومشهد رومانتيكى ، بين البدر .. والفجر والنهر .. والزهر .. يحلق بجناحيه ليقول الشعر .. فيطير الوحى منذعرا لصوت الخباز .. كصاعقة .. ينادى هل لمح احد فلانا ..!! واظن الخباز بالليل ، وفى جلوة القمر مشغول بالخبز والعجن .. لا بالجرى والمطالبة ، التى قد يرسل لها مراسيله فى النهار ..

والفنان الذى تقدم الى موقفه الشاعر ، رغم بلاوى الدنيا التى وصفها ، فى الترزى والبقال ، والجزار .. و.. و.. متى وقف هذا الموقف منسجما (منشكحا) مع وجود هذه المشاغل كلها ، لا يجد عليه شىء حين يسأل الخباز الناس عنه !! ماهش نكته ..

* ووصلت ((ذات مساء)) والسيد ، يبدو كحديث العهد بقراءة « الادب » اذ يقول فى خطابه : لاول مرة اقرأ فى مجلتكم .. صدق النبرة فى حديثكم عن جماعة الادباء ، الذين تسمونهم الناشئين .. و « الادب » كما يعرف قراؤها ترفع الصوت عاليا ، بل مندويا بهذه الدعوة من دعواتها منذ بضع سنين .

ويبدو ان للسيد تجارب قاسية فى هذا

انشان مع مجلات وصحف ، ونرجو الا يكون لهذه التجارب اثرها القديم على نفسه حين يطمئن الى صدق الدعوة فى تأييد الناشئين ، وامكان ان تنشر قطعته « ذات مساء » مع شيء من لين اعطافها .. يحتاج منه الى قوة اكثر فيما يلى من عمل فنى ... والى المستقبل الآمل .

* ووصلت « **الى شاعرة** » و « **اشواق قلب** » لسيد نشرت له « الادب » غير مرة ، وهى تحفظ الصورتين التين ارسلتا اليها قبل الآن ، من هاتين القطعتين بذاتهما .. واذا وعدت عند التقويم بالنشر فان النشر بعد ذلك مرهون باشياء كثيرة ، ولا يدل تأخيره على شيء ما ، من خلف الوعد كما قال لنا فى هذا البريد احد الكاتبين .. والقطعتان على كل حال فى « الحفظ والصون » الى ان يكون لهما نصيبهما من النشر ..

النثر :

* فقد وصلت « **المعركة التقليدية .. بين الفصحى والعامية** » بمناسبة ما كان فى لجنة جوائز القصة التشجيعية » من استبعاد المقدمة باللغة العامة .. و « الادب » لا تنظر الى هذه المسألة من خلال تلك الاعتبارات اليسيرة القريبة ، بل تنظر اليها بما هى ظاهرة من ظواهر التصدع الاجتماعى ، التى تتعرض لها حياتنا ، فى غير ناحية واحدة .. تلك الظواهر التى يهز حياتنا بها عدم الجد الحازم ، فى معالجة مشكلاتنا الاجتماعية ، مع مايسامت ذلك من عدم الفحص الدقيق الموضوعى لتلك المشكلات ، وتناولها تناولا ارتجاليا مؤقتا ، يضعف حينا ويشتد آنا .. ويبدأ ثم لا ينتهى الى شيء ، او ينتهى بغير نهاية ، اذ يصاب بالسكتة فجأة .. ونرجو لهذا المجتمع وعيا اكثر من ذلك ، وجوا اقوى من ذلك ، وصبرا امضى من ذلك ، تحدوها خبرة اعمق من ذلك .. ليواجه تلك المشكلات ، فى العقيدة .. والفن .. واللغة .. والحياة العملية فى ميادين مختلفة .. وكل ذلك مرجو ، مأمول — لابد ان ينتهى اليه التطور الذى لا يقف احد فى طريقه .

و« الادب » فى مشكلة العامية والفصحى اوضح رايا ، واكثر تناولا واشد ما كان من تناولها لها تركزا ، العدد الخاص بالمرحوم بيرم التونسى .. وليس فى المقال الذى اثار هذا كله شيء جديد لم يقل فى « الادب » فى مناسبة من المناسبات الكثيرة ، التى قال فيها القائلون فى هذه المسألة — على انه : ربما جدت مناسبة ما يكون فيها لنشر هذه الكلمة سبب ومناسبة .

* ووصلت « **صديقتان** » تتوجها كلمة شيشرون : ان من ينكر الصداقة كمن يحجب عن نفسه اشعة الشمس » .. ولكن مسألة الصورة التى كانت بين فريال وسامية ليست حادثا يعبر بشيء عن هذه الصداقة الجليلة .. وكل ماحول هذا الشيء البسيط من بيان لحال ابويهما ، ووصف مفصل لهما ، ولطريقة معيشتهما و .. و .. مما لا يرتبط بشيء ، ولا يجمعه شيء .. ولا يتم به كيان لقصة او قصقوصة !!

* وصلت « **حدوته** » واسلوبها فضفاض بشكل غريب ، حتى لو قلت انه جاوز فى ذلك كل اعتدال لم اسرف .. ومن هنا كتبت الحدوته فى ست صفحات كبار ، مع انها تكتب بأوفى اسهاب فى اقل من نصف هذه الصفحات .. والحادث او الفرض المصنوع يصلح لحد ما هيكل قصة ، رامزة نوعا ما — لكن بغير هذا الاسلوب يكون اخراجه .. فهل تكتبه ثانية بطريقة ادنى الى الاسلوب والجو الذى يلائمه ؟.. من الخير ان تفعل ليكون نشره موضع نظر .

* ووصلت « **عم منسى** » فى اسلوبه سليم ، فيه رونق .. لكن ليس فيه بعد

ذلك مادة لقصة ، رغم كل اقحام فيه ، عن الحاكي وغيابه وحضوره .. وليس بالقصة ان رجلا سعيدا فى اسرته ماتت زوجته فكان يجد صورتها فى ابنها الاصغر منه .. موقف عاطفى .. لكنه ليس حادث قصة .. فالى سواها .

* ووصلت ((عقدة)) وهى لمحة منتبهة (للدلوعة) الذى تفسده امه ، فيحق عليها ما قرأته اليوم فى « الاهرام » من تقرير أحد المحامين ان الام هى المسئولة الوحيدة ، عن كل ما يرتكبه ابنها .. لكن هذه اللمحة المتنبهة لم يسعفها تمام صنيع قصصى يحسن التعبير بالحادث ، كما تقول « الادب » دائما .

الحكاية على هذا الوجه تشبه كثيرا تلك المحاولات التى قد يصوغها أصحاب علم النفس شرحا للظواهر النفسية ، وبيانا لها ، فلا تتم فيه القصصية .. ويلفت النظر ان صاحب « عقدة » منتبه انتباها حادا الى هذه العقدة : فى عنوانه .. وفى حواره .. وفى بيانه وذلك مما يجعلها اشبه بالصنف الذى أشرت اليه ، مما يسمى قصة بفير جدارة .. وبعد هذا فالشفاء الذى تم للدلوعة تم بعلاج غير كاف لحل عقدة .. والموضوع جدير بالمعاودة ، لانه من ظواهر الحياة الاجتماعية عندنا ، فى مناسبات كثيرة ، مما يعيش فيها الاولاد ، كان يكون الولد وحيدا .. أو اخا لشلة بنات — أو عاش بعد حوش ودوس .. على رايهم ، فيكون دلوعة أمه ، وتبدو لذلك ظواهر غريبة بل شاذة فى حياته ، لو عالجها الفن لاجدى فى ذلك وأفاد .. فهل لصاحب العقدة ان يعاود وصفها القصصى الاحكم .

* وصلت ((مش النهارده)) و ((قدر)) وقد يقدر لهما النشر

* وصلت ترجمة « الحرب » لبيراندللو — وقد جاءت « الادب » متأ مزن ترجمة اخرى لها .. واحسب انها قد اخرت لسبق ترجمة القصة قبل ذلك كله .

النقد الذى لم ينشر

وبين يدى نقد لباب «١٤» توقف نشره لاسباب فى الناقد والمنقود . فاما المنقود فله سابقة فى الادعاء لآثار غيره ، تذكرها « الادب » .. واما الناقد فقد منع خطؤه النحوى الكثير نشر نقده بعدما قدم للنشر .. ورد الى فقلت فى البريد هذه الكلمة عن « النقد الذى لم ينشر » .

ومن الاخطاء التى جعلته يرد مع انها اصلحت قبل تقديمه للنشر مثل : لان فى قولهم كثير .. ، فيتمسك كلا منهما — بطلها اباه — لم تختار — ثم نجده بلاداعى .. وتصوير واعى للنفس .. واشباه ذلك مما اغضب من صد المقال عن النشر فكتبت هذا حين علمت بهذه المراجعة المستانفة لقرار الصلاحية للنشر .. ماذا يرى الصف الثانى فى نشر هذه الكلمة فى ضعف الاسلوب الفصيح ضعفا بجعل انعامية افصح منه !!

ويظهر ان سجل « الادب » قاس .. لا ينسى ، ولا يزيل اثر السابقة فى مدة قريبة .. وعلى كل حال فانى اقول للشبان : بارك الله فى من بكانى وبكى على

القصة الطويلة المسلسلة .. هل تنشر ؟

كتب سيد ممن نشرت لهم «الادب» غير مرة ، منذ زمن طويل ، وكانت مطمئنة الى النشر له .. يقول : انه قد فرغ من كتابة قصة طويلة بعنوان « اى حاجة » ويقترح نشرها فى « الادب » على هيئة حلقات .. والمعروف حتى الآن ان « الادب » لا تجنح الى نشر قصص مسلسلة لاسباب فنية عرضت لشرحها قبل اليوم .. ومن المجلات من يكره نشر الحلقات حتى فى موضوع علمى لكل حلقة منه وحدتها ، و « الادب » لا تنكر ذلك ولا تمتنع عن نشره .. أما القصة الطويلة فى حلقات فنسأل فيها القراء رايهم .. واعدين ان ننزل عند هذا الراى .

الأدب

فنية . شهرية

يصدرها الامناء

الادارة: مصر الجديدة . العجم ١٣

ت ٦١٧٥٠

***

الرسائل الفنية والمالية
ترسل باسم
أمين الخولي
رئيس التحرير

***

الرسائل الادارية
ترسل باسم
محمد جابر عبد العال
مدير الادارة

***

الاشتراك
عن سنة بالبريد العادي
الجمهورية المصرية ٥٠ قرشا
الخارج ..... ٨٠ قرشا
أو ما يعادلها
ثمن العدد ٥ قروش

***

البريد الجوي
والمسجل بحسابه

تصدر في اليوم السابع من كل شهر

فهرس

العدد الخامس ـ اكتوبر ١٩٦١
السنة السادسة

---

٢٥٩ ـ من الفن والحياة : رسالة هذه المجلة
عن الامناء

٢٦٤ ـ وحدة الفن في مصر خلال العصور
حامد سعيد

٢٧٣ ـ الاخطاء في تدريس النحو : طرق التدريس
يعقوب عبد النبي

٢٧٩ ـ في الغروب .. شعر
أنس داود

٢٩٥ ـ حلم ضائع .. شعر
كامل سعفان

٢٨١ ـ اكثر من خمسين .. قصة
باجن الصيني ـ ترجمة . فاروق البديوي

٢٨٨ ـ عجوز عند الجسر .. قصة
هيمنجواي ـ ترجمة : عبد القادر زايد

٢٩٠ ـ في الغابة السوداء . . قصة
عبد الغفار مكاوي

٢٩٦ ـ صلاح جاهين .. في القمر والطين
حسن النجار

٢٩٩ ـ عرض لمجلة الادب ـ عدد يونيو ١٩٦١
محمود ذهني

٣٠٣ ـ اشتراكية الاسلام .. نقد
امين الخولي

٣١٤ ـ بريد الادب : التنسيقات الاخيرة
٣١٥ ـ تطوير الازهر ـ ٣١٥ ـ التقدير بالاعمال لا بالاموال ـ ٣١٧ ـ الشعر ـ ٣١٨ ـ النشر

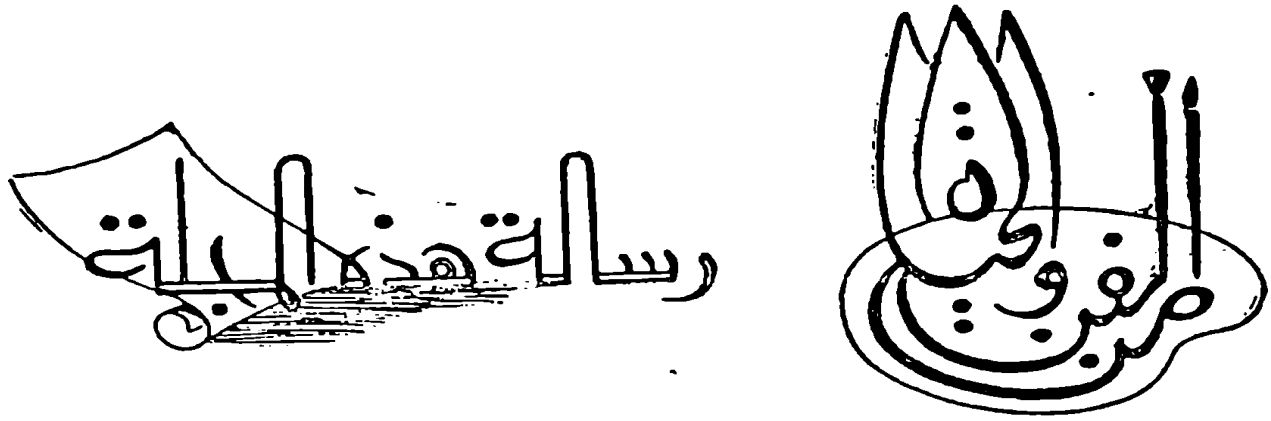

في مطلع هذا الصيف كانت تناقش ، في جامعة القاهرة ، رسالة ماجستير عن « الصحافة الادبية » .. وحوالى هذا الوقت جاءني الكتاب القيم ، لاحد أصحاب الفد ، وابناء الرءوس المكرمين ، السيد الاديب فاروق خورشيد ، بعنوان « بين الادب والصحافة » ، مما يدل على التفات خاص ، الى هذه الصحافة الادبية ، وصلة ما بين الادب والصحافة .

وخلال هذه البضعة الاعوام ، من عمر « الادب » الطويل تكرر الكلام عن هذه الصلة مرارا ، وثار الاختلاف على أشياء لم يكن فيصل القول فيها الا فهم هذه الصلة بين الادب والصحافة ، ومكان الصحافة الادبية في الحياة ، وأهدافها الحيوية الادبية ، وسلوكها في سبيل تحقيق هذه الاهداف .

وأول كلمة خطتها « الادب » في عددها الاول كان عنوانها « هذه المجلة » وكانت لفتا الى أهدافها ، واشارة الى سلوكها ، ولا شك أنها بعد هذه التجربة الخبيرة تجد مجال القول ، في هذه النواحي ، ذا سعة وفسحة .

ولكل اولئك .. كان هذا القول عن رسالة هذه المجلة .

واذكر في هذه المناسبة يوم كان بيني وبين الابن الكريم فاروق خورشيد خلاف راى ، طال فيه القول ، وبعد الاثر ولم نكد نتفق فيه على خطة واحدة ، في تقويم ماينشر في الصحيفة اليومية ، و فرق ما بينه وبين ما ينشر في المجلة الادبية ، اذكر هذا اليوم البعيد منذ بضع سنين ، وانا اقرأ كتابه الجديد اليوم عن هذا الفرق الذى لم يتقبل قولي فيه بالامس ، وانا اتقبل اليوم قول فاروق فيه ، فينشرح له صدري ، وتقرعيني وينتعش أملي ، وتزيد بالغد ثقتي ، بل انى لاقرأ بعض قول فاروق في كتابه هذا فاردده ، واعيده ، مستزيدا مستمتعا ، موقنا أن الزمن اقوى الاشياء ، والتجربة أصح الادلة .. فاقرأ ما كتب بعد فعل الزمن ، وصدق التجربة ، واجد فيه من الغبطة ما وجدت ، بل اجد فيه من الفائدة ما أجد ، دون أن يكون في ذلك مبالغة مني ولا اسراف .

وهكذا أتحدث هنا فاطيل الحديث ، لاضع بين يدى القارىء اصولا واضحة ، في فقر مما كتب فاروق ، في كتابه « بين الادب والصحافة » لانها فصل الخطاب فيما كان الراى فيه منذ بضع سنوات فطيرا لما يختمر ، ولا يزال يقع فيه الخلاف بين بعض الناس ، فلا يرتفع ذلك الخلاف — فيما اقدر — بأجرأ ولا أصدق ، من قول فاروق .

الذى وضع فيه النقط فوق الحروف .. كما يقال .. فرفع الخلاف ، وحسم النزاع ، وحدد الرأى ..

وهـذا الذى أعاود قراءته ، من كتاب فاروق لانشر هنا خلاصة شىء منه ، هو الاساس القوى ، لما قصدت اليه ، من بيان رسالة هذه المجلة ، واسلوبها فى اداء هذه الرسالة ، وتحقيق الهدف ، وذلك أن الحديث الصريح الواضح عن هذا كله من امر « الادب » لا يستقيم ولا ينضج الا بعد وضوح الرأى فى النواحى الآتية :

ا ـ فرق مابين الادب والصحافة ، والبيان الحاسم لمعنى الادب ومعنى الصحافة.

ب ـ فهم ادب الصحافة ما هو ؟ وما الصحافة الادبية بين فنون الصحافة ؟

حـ ـ ما المجلة الادبيـة بين انواع الصحف ، وبم تتميز عن تلك الانواع من الصحف الاخرى ؟

فاذا ما تجلى هذا الرأى واستبان كان القول فى هدف الصحيفة الادبية ورسالتها واضحا ، مرتفعا عن الخلاف .. وكان القول فى سلوكها واساليبها فى ذلك اقرب منالا واكثر اقناعا .

واحبب الى ان اترك الكلمة لفاروق ، فى هذه المبادىء ، التى يعتمد على سلامتها الرأى الصحيح فى الهدف والرسالة ، والخطة والمسلك ، لان كتابه قد عرض لها اشجع العرض وأصرحه ، ولان رجوعى الى هذا الكتاب يحقق اصلا من الاصول الكبرى ، فى سلوك الامناء ، ويؤيد تقليدا من كريم تقاليدهم (١) .. فى الوقت الذى يحقق فيه التكامل بين الاجيال المتلاحقة ، فى اداء الرسالة الفنية والاجتماعية ، فاذا ما تركت الكلمة لفاروق فلأنه احد اصحاب الفد الذين خلقوا لزمان غير زمان آبائهم ، فهم اذا وعوا أصدق تعبيرا عن زمنهم ، مهما يكونوا امتدادا لآبائهم .. ولان فاروق بهـذا المعنى يجب أن تتحقق فيه وبه تلك المعادلة الصادقة عن أن الطالب يساوى الاستاذ زائدا الزمن ، والا فلم يؤد الأساتذة رسالتهم ، ولم يتهيأ الطلاب لاداء دورهم ، وهكذا يجب أن يكون فاروق أصدق قيلا ، واعمق بيانا ، لتلك الاسس التى اشرت اليها ، وقوة اغرائه بها ، وشرحه لها هى التى تحقق هذا الصدق والعمق . . فلأستمع ، وليستمع القراء اليه حين يقول :

* * *

ا ـ من الاسس الدستورية للامناء : **تجديد لاتبديد** ، ومن هنا يحتفظون بالقديم الصالح من تراثنا ، ومن هـذا القديم الصالح سنة الاشياخ الاقدمين فى أن يرووا عن تلاميذهم ليثبتوا بالعمل انهم طلاب معرفة طول الحياة ، مهما يعقد لهم من مشيخة ، ويسمون هذا الصنف من تلقى الشيخ عن الطلاب ، رواية الاكابر عن الاصاغر ، ومن اطيب الذكريات فى هذا ما كتبت الى الابن الكريم الدكتور سيد نوفل ، منذ نحو ربع قرن ، فى جريدة السياسة الاسبوعية ، تحت عنوان : حدثنى .. احياء لتلك السنة من سنن السلف العلمية ، وفى صنيع اليوم اعادة سارة لتلك الذكرى الجميلة واحياء لتلك السنة الحسنة ، حين اترك لفاروق أن يحدثنى ويحدث القراء عن تلك الاسس التى يقام عليها الرأى فى رسالة هذه المجلة وسلوكها .

١ ـ **الفرق بين الصحافة والادب** : ان الادب فن التعبير .. والصحافة صناعة الاتجار بالخبر ، ولن يصل الادب فى يوم من الايام الى مرتبة الحرفة ، الا اذا تنازل عن حريته ، ومسئوليته ، ليخضع لعبودية اصحاب الحرف ..

ولذلك فالصحافة خبر .. وصورة .. وموضوع ، والصحافة توزيع .. واعلان ، والصحافة وسيلة اعلام .. ونشر ، والصحافة لهذا عمل ، له اصوله وقواعده ، وله ارتباطه بعوامل اخرى خارجية .

ولا علاقة للادب بكل هذه المؤثرات الخارجية .. وانما ينبع المؤثر على الكتابة الادبية من داخل نفس الكاتب لا من خارجها ـ وحتى مؤثرات المجتمع والثقافة ، وتيارات الحياة لا تؤثر الا بعد ان تصبح حقائق ثابتة ، مكونة من مكونات نفس القارىء اولا ـ ولا علاقة للكتابة الادبية بالاعلان .. ولا علاقة لها بالاخراج ـ والتبويب ـ ص ٤٦ ، ٤٩ .

ب ـ **وعن ادب الصحافة** يقول ما خلاصته :

انه الفهم الصحفى للامور .. وحين يعجز المختصون عن تقديم ما يريد اصحاب الفهم الصحفى للامور يتولى الصحفيون بانفسهم امره ، وهكذا ظهرت مجموعة من الصحفيين يعرفون فى الادب ، كما يعرفون فى كل شىء ، وادباء الصحافة رغم شهرتهم الواسعة لا يجدون الاعتراف الصحيح من الاوساط الادبية .. والادباء رغم اصالتهم وجديتهم يجدون ابواب الصحف مغلقة .. فادب الصحافة قد اضر بقضية الادب نفسه ، وان ترك هذا التيار يجرف كل شىء امامه ، سيجعل من صورة حياتنا مسخا مشوها ، لاجدية فيه .. والامل الوحيد هو : الرعيل الذى يمثل خط الدفاع الاخير من اصحاب الاقلام الذين لايزالون يرفعون القلم فى تشبث واصرار ـ ص ٩ ا ـ ٢٢ .

جـ ـ **وعن المجلة الادبية فى الصحافة يقول :**

المجلة الادبية ابعد الاشياء عن الصحافة ، بمعناها المتعارف عليه ، رغم نجوئها لوسائل الصحافة ، فى الظهور الى الناس .. وانما المجلة الادبية مطبوعات خاصة ، دورية ، لفئات معينة من الناس ، يحددها لون المجلة ، ورسالتها وموقفها من الحياة الفكرية .. واذا كنا نظلم الصحافة حين نطلب منها الابحاث المتخصصة ، فاننا نظلم المجلة الادبية حين نطلب منها غير هذه الابحاث المتخصصة .

والمحاولات التى تتجه نحو العناية بالمجلة الادبية ، من وجهة العرض والشكل بنفس العقلية والفهم الذى يتحكم فى شكل الصحافة ، خطأ كبير .

وعلى المجلة الادبية ان تثبت ان لها قارئها الحريص عليها ، المتشبث بها ، الذى يجد فيها زادا ضروريا ، يجعله يتجاوب معها فى انتظام .

وعلى المجلة الادبية ان تثبت انها تحمل فكرة وهدفا ، وان لوجودها ضرورة وحتمية فى المشاركة فى تطوير الحياة الثقافية والفكرية والادبية ـ ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ـ

* * *

وهذه المجلة ، منذ كانت ، تكبر الفرق بين الادب والصحافة ، وتنفر من تلك الصحافة التاجرة .. الفاترة .. اللاهية .. وكذلك قالت حين قدمت نفسها من قبل بضع سنين :

« هذه المجلة .. بتساميها الفنى والادبى .. لن تدغدغ شهوات المراهقين ، ولن ترضى رغبات المكبوتين ، ولن تغذى اهواء اللاهين ، لتزيغ الابصار ، وتبوء بالانتشار .. او تؤيد الاوهام . فترفع الارقام (١) .

وما اكثر ما نعت من امر هذه الصحافة ، التى لم يسعفها حتى التنظيم الاخير .. فهى بعده لم تسل ما هى فيه .. كالزمار : يموت وصباعه يلعب !

وفهمت هذه المجلة منذ اللحظة الاولى مكان المجلة الادبية فى الصحافة .. وما صدقت قط ان المجلة مخلوقة متبرجة .. ملونة .. تعرى نحرها .. وترفع خصرها .. وتزور صدرها .. وتصبغ شعرها .. وتقصر ثوبها .. لتغرى الاعين بمواضع الستر منها . . فاكدت منذ درجت انها : تستنكف ان تكون مجلبة للنوم فى حضر ، او مضيعة للوقت فى سفر .. او مسلاة لفارغ من ضجر (٢) .

ولقد نكثر ونمل اذا ما عدنا لشىء كثير ، سبقت الاشارة اليه ، وتكرر الحديث عنه .. واذا ما كان على المجلة الادبية ـ كما يقول السيد / فاروق ـ ان تثبت انها تحمل فكرة وهدفا ، وان لوجودها ضرورة وحتمية فى المشاركة فى تطوير الحياة الثقافية ، والفكرية ، والادبية ، فانا نركز تلك الاهداف ونزيد عليها مشاركة المجلة الادبية فى الحياة الاجتماعية العملية ، ونجمل ذلك كله فى شعار الامناء : **مدرسة الفن والحياة** .

ولمثل هذه الاهداف يحسن التكرار ويجدى التأكيد .. لنعلن ونقرر ان اهدافنا :
فن : هو سيادة وقيادة ..
وحياة : يرسم الفن مثالها ، ويقود جهادها ..

* * *

وحين نذكر الاهداف نشير الى بعض ما اختلف فيه الراى من الوسائل ، وفى هذا العدد ذاته اثارة من ذلك ، تراها فى عرض «الادب» بالاذاعة ، ورعايتها الناشئين والاغمار!

وتحب « الادب » ان تكشف عن معنى دقيق فى وسيلة المجلة الادبية الى اهدافها ، وانها فى هذا السبيل لا تقف عند ما يقول السيد / فاروق من ان : المجلة الادبية مطبوعات خاصة دورية لفئات معينة من الناس ، فيكفيها فى ذلك ان تقدم الابحاث المتخصصة ، التى تظلم الصحافة الاخرى نفسها اذا ماعرضت لمثلها .

كلا .. ليست المجلة الادبية بما تضيف من مادة للقراءة والثقافة ، بقدر ما هى فرصة لاشاعة الشعور الفنى والميل الادبى ، فى نفوس الاجيال الخالفة واثارة مكامن القوة الوجدانية فى كيان تلك الاجيال ، صاحبة الغد لتجد نفسها .. وتستبين مثلها ـ

---

(١) ، (٢) السنة الأولى ـ العدد الأول

وتهيج نشاطها .. وتسعد وجودها ، فيكون فى كل نبضة قلب ، وخفقة وجدان ، من هذه الاجيال الخالقة ، دفقة حيوية ، تدفع حياة قومها ، وتسعد وجودها .

ومن هنا آمنت هذه المجلة انها مدرسة ادبية ، بحقيقى معنى المدرسة ومجازيه .. فهى وجهة فنية ، حين هى منار مضىء .. فعملت على ان يلتقى فى صفحاتها الراسخون الذين عبدوا طريقهم بالشداة الذين بدءوا جهادهم وبسطت يدها للتقويم والتدريب .. تمد بهما تلك الثمار الجديدة بالنور والدفء الذى يكشف نضجها ، ويكفل ازدهارها .

واذا ما كنت قد تركت القلم للسيد فاروق ، منذ اول الحديث عن رسالة هذه المجلة اليوم فانى لادع ذلك كله له — واتاه الصواب دائما — ليعبر فيحسن التعبير عن موقف « الادب » ممن يسمون الناشئين ، اذ يقول :

« .. فالادب لا يعرف ناشئين ، فالتاريخ يذكر كتابا ماتوا قبل الثلاثين ، وسجلوا اسماءهم بحروف من نور فى سجل الادباء الخالدين . والتاريخ يذكر كتابا بدءوا كتاباتهم بعد الاربعين .. لان التاريخ لا يعرف الا اصحاب الاصالة الحقيقية ، بصرف النظر عن السن او الاقدمية ، اما مسالة السن والاقدمية فهى مهنية تصلح لتطلق على الصحفيين ولكنها لا يمكن ان تطلق على الادباء .. فالاديب اما فنان منتج او لا شىء » — ص ٥٦

ولعل هذه الجولة مع السيد / فاروق ، فى كتابه القويم كانت خير ما يصلح من فرصة لمعاودة الحديث عن رسالة هذه المجلة ، فى وقت كثر فيه الحديث عن الصحافة الادبية .

عن الانباء

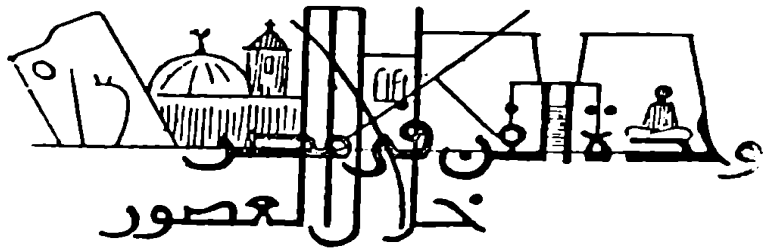

بقلم : حامد سعيد

لهذا الجزء من الارض الذى نعيش عليه تراث فى الفن التشكيلى يتصل على مدى العصور منذ العصر الحجري القديم الى اليوم . ولا تعرف بين العلوم والفنون والآداب ما اظهر فيه هذا الشعب من التفوق قدر تفوقه فى الفن التشكيلى .

الا ان هذا التراث يجمع بين اطرافه من الاختلاف والتنوع بقدر ما ظهر فى ارضه من ثقافات قبل التاريخ ومنذ بدايته الى اليوم .

والقضية التى نتعرض لها هنا هى مدى الترابط بين تلك الصور المتعددة التى ظهرت فى تراثنا للفن التشكيلى .

ولادراك هذا الترابط ان وجد لابد ان يتوفر شرط اساسى هو التقدير الموضوعى اى ان لا نفرض بادئين نظرية خاصة او مفهوما معينا لما يجب ان يكون عليه الامر فى الفن بل نُتيح الفرصة امامنا لنتعرف على تلك النظرية او المفهوم الذى يوحى به التراث نفسه .

وبقدر ما يتهيأ لنا من هذا نكون قد حققنا التقدير الموضوعى لتلك الاعمال الفنية العديدة التى خلفتها لنا الاجيال السابقة والتى على عاتقنا مهمة الاجتهاد فى تفهمها والمحافظة عليها والاضافة اليها لتوريثها الاجيال القادمة .

وما زالت تلك الأعمال التى تكون جزءا من تراث الانسان موضع الدرس من الاثريين والمؤرخين والنقاد والفنانين من انحاء العالم المتحضر الا ان الزمن الطويل الذى شغلته والثقافات المتباينة التى أوحت بها وغرابة ذلك الانتاج واختلافه عن المعايير المعهود قد حال دون النظرة الشاملة الموضوعية اليه تلك النظرة التى تدخل فى حسابها انتاج الانسان فى هذا الجزء من الارض منذ العصر الحجرى القديم الى اليوم فى ضوء الخبرات النفسية التى عبرت عنها الثقافات المختلفة التى ازدهرت فيه .

تبدو الظواهر فى هذا التراث كما لو كان هناك انسان فرد يحاول ان يجمع ويزرع ويصنع من المباديء الاولية والفطرة الانسانية والبيئة المحلية الخبرات والمعارف والقيم ويتعهدها بالتنمية شيئا فشيئا وكأنه منجذب الى المطلق الكامل أو مدفوع اليه .

وانسان هذا العصر الذى ورث دون مجهود خاص قام به تلك الذخيرة من الخبرات والقيم والتنظيمات فى حياة الفرد والاسرة والمجتمع ليشق عليه ان يتصور تماما ذلك العمل المستور الضخم الذى قام به الانسان فى عصوره الاولى ليمهد للحياة

المسعره الراسيه والمجتمع المحصر والقيم التى تضفى على الوجود البهجة والمعنى والتى يخيل الينا انها ولدت معنا او انزلت علينا .

ان الاكداس العظيمة من الاحجار وغيرها من المواد التى خلفتها لنا العصور القديمة لتصبح ضئيلة القيمة ان لم تقرأ كرموز دالة على تلك الحصيلة الكبرى من القيم والمعارف والخبرات التى كد فى كسبها وكتسفها وتركيبها الانسان فى جهاده الكبير من البداية الفجة نحو الغاية المثلى .

ولقد كان لسكان هذا الجزء من الارض الذى نعيش عليه من ذلك الجهاد نصيب وافر وعلينا ان ندرك ونتحقق من أن ما اقاموه من القيم وركبوه فى الضمير الانسانى وفى مثل الحياة الكريمة هو بعينه التراث الاساسى والرصيد الحقيقى بينما الاحجار والآثار ما هى الا شواهد وعلامات للطريق .

ان الرحلة نفسها هى فى ذاتها العمل الرائع الاصيل وهى فى ذاتها الخبرة الاساسية التى نشير الى أهمية النظر منها فى الفن المصرى وتقديره التقدير الموضوعى

ولكن كيف يتسنى لنا نحن الذين نعيش اليوم ان نتعرف على تلك الخبرة التى مرت بها تلك الاجيال القديمة الاولى والتى مهدت لنا سبل الحياة الكريمة كيف نصل بيننا وبينهم ؟ بين نفوسنا ونفوس هؤلاء الذين تفصلنا عنهم الآلاف من السنين ؟

لا بد لنا من الاعتراف بالصعوبات كما لا بد من الاستعانة بكافة الوسائل التى تساعد على معالجة هذه الصعوبات واولى هذه الوسائل أن نتحرر ـ قدر الامكان ـ من نظرتنا الخاصة الى الامور وأن لا نجعل منها القياس الوحيد . وليس هذا من السهل الميسور ولكنه ضرورى لا مناص منه اذا اردنا ان نتوخى الموضوعية فى نظرتنا الى ذلك التراث .

فالحضارة التى انبثق منها الفن فى هذه الارض حضارة زراعية بينما حضارتنا صناعية آلية ونحن نعيش فى اعقاب فترة فى التاريخ بدات بعصر النهضة الايطالية وكان لشخصية الفرد اهمية خاصة بحيث اعتبر الفن تعبيرا عن شخصية الفرد . والفرد فى تلك العصور السحيقة لم يكن له هذا الوضع . وحضارتنا الراهنة تعانى ازمة حادة موضوعها الفردية بالذات ما بين انكار لها ومغالاة فى اهميتها كل المغالاة والفن ذاته بيننا ليس من صميم الحياة وهو ان اخذ مأخذ الجد وسيلة دعاية وان اخذ مأخذ الترف من وسائل الترويح والادعاء الاجتماعى او الثقافى وهو فى الحالتين مظهر لاعراض ما تعانيه حضارتنا التى نمت فيها قدرة الانسان من الناحية المادية بينما لم يتمكن فيها بعد من موازنة هذه القدرة المادية بأخرى خلقية او حكمة نفسية وبيننا وبين الطبيعة عازل وفاصل نود السيطرة عليها ونسعى وراء القوة من دراستها بدلامن البحث فى اقامة التوافق والترابط والتواصل بيننا وبينها . وطبيعتها النفسية قد ارسلناها اشتاتا متعادية متنافرة بينما يظهر لنا العلم كل ساعة ان الحياة وحدة كما اننا قليلا ما نؤمن بالقيم العليا لاننا نرى من حولنا سلطان القوة والمال لا يعلوه سلطان .

المعروف ان حضارة الشرق القديم هى الاساس الذى قامت عليه حضارة البحر الابيض وبالتالى حضارتنا اليوم وهذا امر يحتاج الى تدقيق فى الفهم حتى تتبين لنا احدى النقاط الهامة الفاصله فيما نحن بصدده الآن .

ان الاساس الذى قامت عليه حضارة الشرق القديم فى الجزء الجنوبى والشرقى من البحر الابيض قد تغير وحل محله اساس جديد عندما انتقلت الحضارة عن طريق الاغريق فالرومان الى عصرنا الحديث .

وان لم نتبين هذا التغيير فى الاساس لا نكون قد ادركنا الواقع على حقيقته فان حضارة الشرق القديم قامت على اساس كونى بينما الحضارة المعاصرة بجذورها فى حضارة الاغريق قد قامت على اساس انسانى اعتبر الانسان فيه الاصل والمركز والمحور اما حضارة مصر وغيرها من بلاد الشرق القديم فقد كان الانسان فيها جزءا من كل كبير هو الكون ومركزه المقدس فاذا كان الانسان المعاصر قد باعد بين المقدس وبين نفسه فانه يكون قد باعد بذلك بين نفسه وبين القدرة على رؤية تلك الفنون التى انبثقت من ثقافة قوامها هذا الادراك .

وهذا الانفصام بين الانسان والمقدس الذى بدأ مع الاغريق عاصره انفصال بين الانسان والطبيعة وتأكيد للانسان ضد الطبيعة ثم عودة الى المقدس وثورة على الانسان ثم تأكيد جديد للانسان فى عصر النهضة كما ذكرنا من قبل صدرت عنه الفردية المتأزمة المعاصرة آخر الامر .

لم تستعد الانسانية تلك النظرة الشاملة للانسان والكون والمقدس . لم يصطلح الانسان مع نفسه بعد . ولقد اصبح التمرد طابع العصر وهو رائد المدارس الفنية المعاصرة من ثورة الحاسة على الذهن فى التأثيرية الى تمرد الذهن على الحاسة فى التكعيبية ومن الحاضر على الماضى فى المستقبلية ومن اللاوعى على الوعى فى ماوراء الواقعية الى خروج على كل شىء وتمرد على كل شىء فى الدادية . وهذا الموقف النفسى المعاصر مخالف اكبر المخالفة لموقف الانسان فى العصور التى نتكلم عنها فى هذا المكان من الارض فان الحاسة والذهن والوعى واللاوعى والايمان بالكل الشامل كان هو الطابع الاساسى لخبرة الانسان .

لو امكن ان نتقلب فى نفوسنا على كل ذلك الذى يكون نظرة الانسان المعاصر مما قد يقف عقبة فى سبيل تجاوبنا مع تلك الخبرة التى كابدها ومارسها ونعم بها انسان ذلك العصر لو امكن ان نتجرد من كل ما يحيط بنا من اخطار خاصة تمثل حدود العصر الذى نعيش فيه لبقى بعد ذلك امامنا ان ننمى فى نفوسنا ونركب فيها القدرة على ادراكات من نوع خاص كانت نامية ناضجة فى تلك العصور ومنها القدرة على استقبال الظواهر الطبيعية من حولنا بجميع مشاعرنا ومواهبنا والتفتح لها والامتزاج بها وقراءتها ككلمات من ذلك الستور الغامض الذى نخرج منه ونعود اليه ـ الارض والسماء والهواء والماء . النبات والحيوان والجماد . الشمس والقمر والنجوم ما تصدر عنه وما يحدث لها وتدور فيه من تغيير وتبديل وتشكيل .

ذلك التفتح فى الحس والتوثب فى الملاحظة والشدة فى الادراك لهذه الظواهر التى قتلتها العادة فى نفوسنا الحديثة هى اهم ما نحتاج اليه اذا اردنا ان نتقرب من ذلك الموقف النفسى تجاه الكون والحياة فى تلك العصور التى استانست قوى الطبيعة ونظمتها واستخدمتها لسعادة الانسان .

فان وادى النيل لم يكن باديء ذى بدء صالحا للسكنى بل كانت الفيضانات العالية قوى مخربة محطمة الى ان قامت تلك العصور بتمهيد الارض وتجفيف المستنقعات

وتنظيم الرى بما انشأته من سدود وحفرته من قنوات ليصبح الفيضان نعمة يتمتع بها الجميع .

هذا الترويض للطبيعة الخارجية تتطلب ترويضا للطبيعة الداخلية فى نفس الانسان وتنظيما للمجتمع وكان وراء ذلك الترويض للطبيعة الخارجية والداخلية والاجتماعية ذلك الموقف النفسى الذى نحاول ان نتقرب اليه حيث تتضافر قوى النفس من دينية وخلقية واجتماعية وعلمية وعملية وفنية فى وحدة متكاملة .

قرأ الانسان فى ذلك العصر فى الماء والانيات فلسفة الحياة كما قرأ فى الشمس والارض والسماء والهواء والحيوان عناصر حياة المادية والروحية على السواء . وما دمنا غير قادرين على التجاوب معه فستظل ثقافته أمامنا بابا مغلقا وسنفقد بذلك فسحة فى نفوسنا من الممكن ان تضيف فى أبعاد حياتنا اذ اننا محتاجون بالفعل الى تلك القدرة القديمة على توليد القيم الكبيرة من المبادىء والعناصر الاولية البسيطة .

كان الاتصال بالعالم الخارجى اتصالا يتحقق فيه الوعى العلمى والواقعى ويتنبه له الوجدان الدينى وينمو الضمير الاخلاقى والتنظيم الاجتماعى وكان هذا قوام ذلك الاسلوب الفذ فى الحياة الذى اعطى فهم ذلك الطابع الفريد . فاننا نقابل فيه حرصا على الواقع العلمى للمخلوقات التى سجلها فكشف لنا فيها عن حقائق ودقائق قد لا ننتبه اليها من تلقاء أنفسنا لولا هداية ذلك الفن المتين كما تضفى علينا تلك الصور التى تحقق فيها الواقع الموضوعى الخارجى للكائنات كما لم يتحقق من بعد فى فن من الفنون سلاما وامنا واطمئنانا وسكينة ذات قرار مكين وكأنها الحقيقة ذاتها قد اسفرت من حولها الحجب وبدت فى كمالها وتمامها واشعاعها وكان واقعية الغرب الاوربى فى فنونه التى لم تكن قد ولدت بعد وروحانية الشرق الاسيوى فى فنونه التى لم تكن بعد قد ظهرت فى الوجود قد لاحت نبوءتهما واضحة بينة فى ذلك الوقت السحيق متعانقة فى وحدة واحدة يوثقها عنصر آخر جديد ندين بكشف قيمته للمعاصرين من ذواقة الفن فى البلاد الاوربية وهو ذلك الجمال الغريب الذى اشتقت منه فيما اشتقت اوربا فنها التكعيبى وان كانت قد اشتقت من المظهر دون الجوهر ومن الجزء دون الكل . ذلك الجمال الافريقى الهندسى الذى يتجلى فى فن النحت الزنجى حيث تآلفت موسيقى الاستدارات مع موسيقى التكعيبات فى ايقاع وجلال دينى ... ...

أيام كانت النفس المصرية متفتحة للعالم الخارجى تتعامل معه فى ثقة واطمئنان وتفاؤل كبير مكنها من أن تستأنس الطبيعة الخارجية وتروض الداخل النفسى وتنظم الكيان الاجتماعى فى وحدة حضارية عمادها القيم الخلقية والدينية .

اما فى هذه المرحلة الجديدة وقد كانت البلاد تحت ظل الحكم الاجنبى الثقيل بظلامه الدامس وظلمه العنيف فقد يئست من العالم الخارجى المضطرب وانطوت على نفسها تبحث فى اعماق ضميرها عن ذلك المطلق الذى كانت ابدا تحن اليه من قديم ولم تكن المسيحية نقلة مفاجئة فى سياق الخبرة المصرية اذ ان الديانة المصرية القديمة التى بنت من ابسط المظاهر الدينية ووصلت بالتدريج الى التصورات الروحية للحق والعدل والصدق والتمسك الشخصى والخشوع الروحى كادت فى آخر مراحلها الحية ان تكون مسيحية بالفعل .

ولكن النفس الانسانية فى هذه المرحلة الحاسمة من التاريخ الروحى للانسان فى هذا الجزء من الارض كانت تتهيأ لطور جديد تترك فيه الرمز المحسوس الملموس الى ما وراء المحسوس والملموس كانت الديانات القديمة قد استنزفت فضائلها وتبقت قشورها وحان حين زوالها ليخرج منها فرع جديد وكان لابد لصورة الفن ان تتغير فى المظهر وان كان الجوهر الاساسى وهو السعى نحو المطلق ثابتا لا يتغير .

كان الفن المصرى المسيحى بصورته العامة نزوعا فى اتجاه الهندسة الفنية المقدمة التى كانت العلامة الحاسمة لنضج الاسلوب المصرى فى الفن منذ عهد الاسرات الاولى : تسلم الفن المصرى المسيحى خيالات متعددة من مصادر متعددة نظهرها وخلصها وجردها من واقعية العالم الخارجى الذى عزفت عنه النفس فى هذه المرحلة وصاغها ورتبها وحورها فى هيئة هندسية هى حديث نفس ونجوى داخلية وهى وان كانت لا تحاذى المرئيات الخارجية بأسلوب واقعى الا ان لها واقعها الخاص ومنطقها المقنع . هى العالم الداخلى فى صورة مرئية .

. . . . . .

وسارت خبرة النفس المصرية نحو مرحلة تالية هى بدورها النتيجة الطبيعية لتيار الخبرات السابقة : هى امتداد للصورة الجديدة التى اتخذتها الديانة فى انتقالها الى ما وراء المحسوس والملموس وتكملة لها .

كان من الطبيعى لهذه المرحلة ان تتفتح للخارج الى جانب تفتحها للداخل وكان عليها أن تنتقل الى جديد هو البحث عن المطلق فى صورة يتحقق فيها التوحيد والتجريد وكانت هذه هى غاية الفن المصرى فى مرحلته الاسلامية .

كان الموقف الجديد عودة الى التفاؤل والايمان والاقبال على معالجة الخارج والداخل والتطلع الى المقدس باعتباره الغاية . كانت محاولة تفتحت فيها النفس مرة اخرى للقبول وسعت الى التكامل الواسع وتوجهت الى اللامحدود فقبلت هذا العالم بحياته الدنيا والعالم الآخر ... الحس والعقل والروح ... البصر والبصيرة ... العمل والتأمل .. تفتحت لتراث الانسان الحضارى فحافظت عليه وتمثلته واضافت اليه .

كان عالم الشرق القديم مفرقا فعملت على توحيده باللغة والفكر والدين والفن

ومقاييس الاخلاق والعدالة وامل المساواة بين الاجناس والطبقات وكانها استمرار وتنمية للتصورات الروحية التى نبتت فى هذه الارض من قديم .

كانت بمثابة الحياة تنبض بقوة من جديد فى انحاء الشرق القديم ليحقق دورته الثقافية الثانية على نفس الاساس الكونى الاول حيث المقدس لا الانسان هو المركز وحيث التهذيب يتناول الخارج كما يتناول الداخل لتتحقق سعادة الانسان .

... ...

وكان المراحل التى مرت بها خبرة النفس فى هذا الجزء من الارض هى اطوار نمو فى خبرة واحدة بدات بالمرحلة القديمة حيث صنعت الحضارة للمرة الاولى نتيجة لمعالجة الظروف الخارجية والداخلية والاجتماعية واستشفاف المقدس خلال المادة واستنهاض الضمير من اعماق النفس وادراك معانى الحق والعدالة والخير .

وكانت المرحلة الثانية فى ظل السيطرة الخارجية واليأس وانتظار قيام الساعة هى العزوف عن العالم المادى والظروف الخارجية والاكتفاء بداخل النفس للبحث فيها بالتامل والرياضة والمجاهدة عن الامن والسلام والطمانينة نتيجة لاشراق ذلك النور الداخلى المرتجى والذى ظهرت اشد بوادره وضوحا فى المرحلة السابقة فى الاعتراف بالخطيئة والنسك الشخصى والامل فى رحمة الله .

اما المرحلة الثالثة فكانت عودة الى قبول الخارج والداخل وتعلق بالمقدس الا أن هذا القبول كان يختلف عن قبول المرحلة الاولى فى خروجه عن قيد المادة دون امتهان لها وخروجه عن محلية المقدس ورؤيته فى الخارج والداخل على السواء وتنزيهه عن كل ما يخطر على بال واعتبار كل ما عداه عرضا زائلا ومن هنا كان فن هذه المرحلة فنا تجريديا يسعى الى أن يركب فى النفس ذلك الوعى الجديد بالمقدس وكانت المرئيات اذا حوزيت فعلى سبيل العرض البسيط الزائل الذى لا ثبات له والتركيب الحادث الذى لا يلبث حتى يتحول فلم يكن لها ان تاخذ الهيئة القديمة القوية الرابضة . الا أن الاتصال الوثيق بالواقع ومحبته والاقبال عليه جعلته يضفى على الحياة كلها فتنة وسحرا .

... ...

لو صح ما ذهبنا اليه وكانت المراحل الثلاث قد تتابعت بالفعل لا عن طريق المصدفة بل بحكم كونها أدوار تطور فى خبرة واحدة مر بها الانسان فى هذا المكان فى سعيه من البداوة الاولى الى حياة الاستقرار والحضارة وان فكرة المقدس كانت نصب عينيه وانه تدرج فى ادراكه له من المحسوس الملموس الى ما وراء المحسوس والملموس مما لا يخطر على بال لكان الانتقال فى الفن من محاذاة المرئيات كالاساس فى المرحلة الاولى والتخلى عن محاذاتها فى سبيل هيئات هندسية بينها وبين المرئيات صلات بسيطة فى المرحلة الثانية ثم التخلى عن المرئيات وتغليب التجريد فى المرحلة الثالثة هى بدورها مراحل منطقية السياق فى الجانب الفنى .

ولكن امر وحدة الفن فى مصر خلال العصور لا يقف عند هذا الحد لان الطابع

الهندسي الذى انتهينا اليه فى المرحلة الاخيرة كان متوفرا فى المرحلة الثانية وان حجبته بعض الشيء ما اختلط به من شبه بالمرئيات قليل كما كان موجودا منذ النضج الاول للاسلوب المصرى فى اقدم المراحل الثلاث فى الاسرات الاولى قبل بناة الاهرام وان تمثلته الواقعية العلمية للمرئيات التى اهتم الفن بتسجيلها فى هذه المرحلة .

هذا الوعى الهندسى الذى تخلل المراحل الثلاث كعامل ثابت تحف به المتغيرات هو من مقومات الوحدة التى تحاول الاشارة اليها وهو فى ذاته ادراك لذلك الثابت الرابض وراء العالم الحادث المتغير الذى شغفت به النفس المصرية خلال العصور . ولقد ساعد مجموع الخبرات الجزئية على تنبيه هذا الوعى فى الاعماق .

الوعى الرياضى الفنى لون من الوان الوعى الفنى وان كان الفن التشكيلى والرياضة « التناسب » يكادا ان يتلازما فى الفكر عادة ، ولكن الواقع يسمح للفن التشكيلى ان يصل الى درجات رفيعة دون ان يكون التناسب الرياضى دعامته الاساسية ... ولكن الفن فى مصر خلال العصور لم يتخل عن هذه الدعامة بل هى فى الواقع دعامته الاساسية اذ ان الطابع الهندسى للفن المصرى سمة واضحة كل الوضوح فى مرحلته الثالثة « الاسلامية » والثانية « المسيحية » والاولى « القديمة » على التدريج .

كما نلاحظ ان بدايات الفن المصرى عندما نزع الى محاذاة المرئيات فى ما قبل الاسرات لم يكن لها صفة المصرية الكاملة الناصعة . وما كان ذلك الا لخلوها النسبى من عنصر الجمال الرياضى وان توفرت لها عناصر اخرى تضفى عليها القيمة الفنية . فاننا نلاحظ فى اسراب الحيوانات من تلك الفترة قدرة على التجاوب معها وادراك مخصصاتها ولكننا قليلا ما نلمس فى صياغتها العنصر الرياضى بارز الوجود .
ولما تبلورت الحضارة المصرية فى الاسرات الاولى كان ذلك الطابع الهندسى هو العلامة فى الناحية الفنية لنضج اسلوب خاص فى الحياة كانت العصور السابقة بمثابة التحضير له .

ولكننا لا نكون قد ميزنا الفن المصرى عن غيره من الفنون التى يتوفر فيها ايضا ذلك العنصر الرياضى ما لم نبين ذلك اللون الخاص من الهندسة الذى يشع من الاعمال الفنية فيكسبها صفة المصرية التى لا يخطئها من تميزها مرة بوضوح . حتى اننا لنسم بالمصرية اعمالا ليست فى الواقع من التراث المصرى لشدة الشبه بين ما يلوح خلالها من تناسب خاص وجمال رياضى معين وبين الاعمال المصرية كما يحدث احيانا امام بيرودلا فرنسشكا وسيران . الامر الذى ينبهنا الى ان هذه القيمة الفنية التى يتميز بها الفن المصرى هى فى ذات الوقت قيمة انسانية ولكنها طراز خاص ونسيج معين .

كما نلاحظ ونحن فى حضرة اعمال اخرى رائعة ذات نصيب موفور من الجمال الرياضى كبعض الكاتدرائيات القوطية انها ليست مصرية على الاطلاق رغم ما يتجاوب فيها من وعى رفيع بالمقدس ورغم ما يتجاوب معها أحيانا من الاعمال المصرية التى تشاركها ذات التطلع والسمو وتلك التى تردد الى حد ما تسلسلها الاخاذ البادى فى صفوف اعمدتها تنطلق الى غير حد ... ... هذا الجمال القوطى الصاعد كاللهب فى حالة العلو والنافذ كالشهاب فى حالة العمق غير الجمال الرياضى المصرى الذى نحاول ان نتلمس طابعه الخاص .

وكذلك الحال ونحن فى جو العمارة الاغريقية الكاملة التناسب والتى تتمتع بطابع

ساكن مستقر على خلاف العمارة القوطية الا انها تختلف فى نفس الوقت عن ذلك الجمال الرياضى المصرى رغم ما بينهما من اتسام بالسكينة والاستقرار . لان الاعمال المصرية لها جوها الخاص الذى يميزها حتى عن الاعمال التى خرجت مثلها من ثقافة واحدة الا انها فى بيئة اخرى .

كما هو الحال فى الفن الاسلامى فى الهند وايران والعراق وتركيا وبلاد المغرب واسبانيا حيث تشترك جميعها مع الفن المصرى الاسلامى فى وحدة ثقافية كبرى ولكن الفن المصرى الاسلامى يشيع فيه ذات الجمال الرياضى الذى هو طابع الفن المصرى خلال العصور .

كما كان الحال فى عالم الشرق القديم الذى كان فيه للأنتاج السومرى والآشورى طابع يختلف عن طابع الفن المصرى القديم رغم تبعيتهما لثقافة تلك العصور فى هذا الجزء من العالم . ورغم ذلك الرباط الذى يجمعهما فى ناحية وانتاج العالم فى ناحية اخرى بحكم ما بينهما من اشتراك فى اللون الثقافى ادى الى تجاوب فى الاسلوب الفنى .

واخيرا يختلف هذا الطابع الرياضى الخاص بالفن المصرى عن الانتاج الحديث فى العمارة والتكعيب رغم ما يبدو من شبه سطحى بينهما اذ أن وراء الانتاج الحديث عصرنا الآلى بينما كان وراء الانتاج المصرى العالم العضوى وان تعلق بالمحل الاعلى .

فما هى اذن خصائص تلك الهندسة المصرية ؟ وما هى مقوماتها ؟ وما هو مصدرها ؟ وما هى الاسباب التى جعلتها تلعب ذلك الدور الكبير فى الفن المصرى خلال العصور ؟ .

ولكى نجيب على هذه الاسئلة يحسن ان نتعرف عليها فى اتم حالاتها اى كما هى متحققة فى اكمل صورة . وفى نفس الوقت نتعرف عليها فى دور تكوينها حتى نكون قد احطنا بها فى النشأة والتمام وسنجد ان الاشياء كما تبدو لنا يفسر بعضها البعض كما ستتضح لنا الاجابات على أسئلة اخرى لم نسألها بعد بخصوص ما يبدو من غرائب نصادفها فى التراث المصرى التشكيلى قد يصعب تفسيرها اذا لم نتأمل الموضوع فى صورته الكاملة .

ولا بد لنا أن ندرك من اول الامر ان جميع فروع الفن التشكيلى فى هذا التراث وحدة وان الاستقلال الذى نشاهده فى هذا العصر لكل فن على حدة هو امر لم يكن فى تلك العصو انما كانت كل الفنون متآزرة فى فن كبير هو فن العمارة التى كانت بدورها تتآزر مع الطبيعة من حولها كما كان الفن بهذه الصورة جزءا من الفن الاكبر « فن الحياة » . . . هذا الترابط مسئول عن الطابع الهندسى الذى نحاول أن نتفهمه .

فان الحياة التى بدأت على هذه الارض من البداوة الاولى وانتقلت من الصيد وتنقل الرعاة الى الزراعة واستقرارها اتخذت من فن البناء رمزا لهذه الحضارة الجديدة واصبح الثبات والارتكاز والدوام وهى القيم الجديدة التى كان المجتمع يحاول ان يؤكدها تجد اكمل تمثيل لها فى فن العمارة .

كما تطلب استئناس النيل بتنظيم الرى أن يعمل الكل كفرد واحد . وقد وجد هذا العامل الجديد فى ذات الفن بما يتطلبه من عمل جماعى ينظم الفرصة الكاملة .

كما وجد تعلق هؤلاء الناس بالمقدس فى هذا الفن ايضا متنفسا يناسب السمو الذى جذبهم اليه .

فاذا كانت العمارة هى الفن المثالى وكانت هى الام الكبرى لكل الفنون وكان العمل الجماعى لا العمل الفردى باهوائه ونزواته هو صورة النشاط الانسانى لهذا المجتمع وكانت صفات السمو والجلال هى القيم المثلى وكانت هذه العمارة ستنهض متآزرة مع طبيعة هذه الارض الواسعة البسيطة بسمائها الصافية الرحبة كان من الضرورى للنظام الهندسى القدسى المصرى ان يكون كما كان وان يتشربه الجزء والتفصيل الصغير كما يتشربه الكل الكبير .

... ...

لم تكن الزراعة هى اهم ما صنعته تلك العصور بل كانت الحضارة نفسها والمجتمع الانسانى والاسرة وتلك القيم التى تجعل الحياة هانئة مهذبة لا اسفاف ولا اسراف بل رقة ورهافة وحساب دقيق فى الحركات والسكنات . هذه الصفة التى تتجلى فيها اناقة الحضارة تتجلى فى النسب الهندسية فى الفن المصرى كما تتجلى فى سمات ولفتات الاشخاص التى اثبتها ذلك الفن . وهى واحدة من صفات ثلاث تكون متكاملة الطابع المصرى الذى نحاول ان نستشفه خلال الاعمال .

اما الصفة الثانية فهى القيم والمشاعر الاخلاقية لا باعتبارها عرفا واصطلاحا بل باعتبارها موقفا تجاه الحياة تتحقق فيه قيم ومشاعر الرواقيه والمسيحية والصوفية والبطولات النفسية دون ان تكون واحدة من هؤلاء بالذات . بل يتحقق فيه الاصل وراء هذه المظاهر المختلفة التى تتولد حسب الظروف التاريخية . اما هذه القيم والمشاعر الاخلاقية فى صورتها المجردة فيندر ان تظهر فى غير الاعمال الفنية ان لم تتحقق فى حياة شهيد او بطل او قديس وقد كانت قوام المثل الاعلى فى الحياة الذى كونته هذه الحضارة للمرة الاولى فى التاريخ عندما استنهضت الضمير من اعماق النفس وان كانت قد وجدت مظهرا لها فى الديانة والادب الا ان مظهرها الكامل كان فى الفن ومايوحى به من كونه فوق الاحداث .

واليه تنتسب صفات القوة والثبات والنبل والرحابة والدعة التى نراها متجلية فى التراكيب الهندسية لهذا الفن .

هذه القيم والمشاعر الاخلاقية متحدة مع الرفاهة الحضارية مع القداسة بسموها وجلالها تكون الصفات الثلاث المتكاملة التى كان فى اجتماعها معنى الطابع المصرى الذى تولد كنتيجة طبيعية للخبرة التى مرت بها النفس المصرية حيث انتقلت من البداوة الى الزراعة والاستقرار وتعلمت قيمة العمل الجماعى وشقت طريقها الى الحضارة للمرة الاولى بما ركبته من قيم فى حياة الفرد والاسرة والمجتمع وما وصلت اليه من وعى فى الضمير جعلها تقف تجاه الحياة ذلك الموقف الجاد المشبع بالاحترام والمحبة والعزم كما كانت دائما وقلبها معلق بالمقدس .

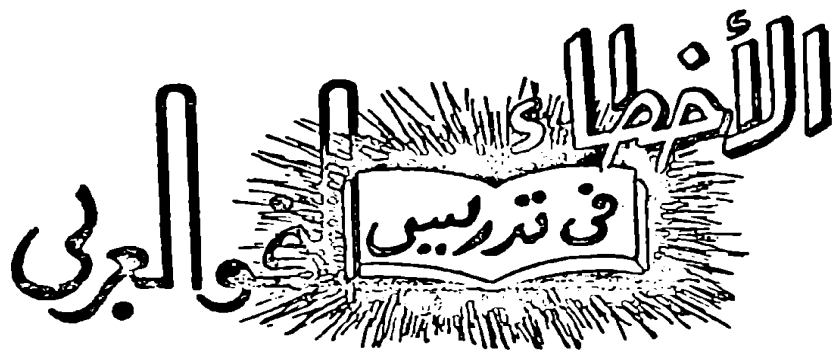

(٣)

طرق التدريس

كما تطورت مناهج النحو العربى فى السبعين عاما الماضية ، من مناهج تبدا فى الفرق الاولى متكاملة مختصرة ، ثم تأخذ بعد ذلك فى التدرج ، بالزيادة والايضاح فى الفرق التالية ، ثم الى مناهج تقوم على اساس خاطىء ، وهو توزيع ابواب النحو كيفما اتفق على الفرق الدراسية ، وانتهى الامر اخيرا الى مناهج تمسخ حقيقة النحو وتشوه معالمه .

وعلى اساس هذا التطور العجيب الذى تقلبت فيه مناهج النحو ـ تطورت كذلك طرق تدريسه الى ما هو اشد من هذه المناهج سوءا ، حتى اصبح السواد الاعظم من التلاميذ لا يستطيعون صناعة اى قدر من اللغة صناعة خالية من الاخطاء الفاحشة فى القول او الكتابة .

وطرق تدريس النحو فى مصر مرت بثلاثة ادوار ، وتتابعت عليها ثلاث طرق ، وكل طريقة كانت تزدرى بمن سبقتها وتلعنها ، فأما اولى هذه الطرق ، فقد كانت الطريقة الازهرية التى تمثلها كتب خفنى ناصف ، وجاءت من بعدها الطريقة الدرعمية السبنسرية ، ثم خلفتهما طريقة التقاليع الامريكية التى ربطت دراسة النحو بالالعاب الشعبية ، ومخترعو هذه الطريقة جماعة من الدراعمة بتوجيه ومشاركة معهد التربية للمعلمين .

اما الطريقة الازهرية ، فقد كانت ـ على ما بها ـ اقل الثلاث سوءا ، واقربها الى طبيعة اللغة ، واكثرها تجاوبا مع خصائصها ، كما انها لم تقطع الصلات التى كانت تربط اللغة بماضيها ، وبطرق تعلمها التى سايرتها مئات السنين . اما الطريقتان المشئومتان اللتان جاءتا من بعدها ، فقد قطعتا كل صلة كانت تربط اللغة بماضيها ، وبالطرق التى كانت تدرس بها ، فقد فرضت الطريقة الدرعمية على اللغة العربية ـ العقلية الانجليزية ، والطريقة السبنسرية ، وبمثل ذلك صنع دكاترة معهد التربية ، فقد فرضوا على تعليم اللغة العربية ـ التقاليع الامريكية من مشروعات ، وبطاقات ، ووحدات ، والعاب شعبية ، واغان ومواويل ، للترفيه والتشويق ! !

وكتب النحو على الطريقة الازهرية ، تقوم على اساس البدء بتعريف القاعدة ، ثم الاتيان بالامثلة عليها وتختم الباب بنماذج سهلة من التطبيق الاستخراجى لا التكوين ، وهذه الطريقة التى يزدريها الدراعمة ودكاترة معهد التربية هى المتبعة فى تدريس نحو اللغة الفرنسية من مئات السنين الى اليوم .

واكثر البلاد العربية لا تزال تتبعها ، مع تحوير فى طريقة العرض . ولا شك

ان مستوى الذين تعلموا على نهجها خير من الذين تعلموا النحو بالطرق الدخيلة والمستوردة .

وفى العالم العربى جماعة اشتهرت باجادتها واتقانها لتعليم اللغة العربية على خير الطرق واسهلها واسرعها واوفرها محصولا ، وهى جماعة الاباء اليسوعيين ، وكتب هذه الجماعة فى النحو لا تخالف فى طريقتها كتب حفنى ناصف الا فى انها تتفوق عليها تفوقا ظاهرا فى الجودة وغزارة المادة ، مع حسن العرض وجمال التنسيق والتبويب ، ولقد انتشرت كتب هذه الجماعة فى العالم العربى انتشارا كبيرا واقبل عليها المعلمون والمتعلمون اقبالا عظيما ، لانها من خير ما الف فى نحو اللغة العربية من حيث غزارة المادة وحسن العرض . وجماعة الاباء اليسوعيين هم أول من جدد فى علوم اللغة العربية وفى طريقة عرضها ، فالبسوا تلك العلوم اجمل الثياب ، بينما غيرهم لا يزال يتبرك بأكفان الموتى من علماء اللغة

وها هى ذى مؤلفاتهم فى معاجم اللغة وفى نحوها وصرفها وآدابها تشهد على اللغة وحسن صنيعهم بعلومها .

ولو اننا — فى مصر — حينما تخبطنا فى مناهج النحو وفى طرق تدريسه ، وفقدنا الثقة بانفسنا الى الحد الذى نستعين فيه بخبراء من اليونسكو والنقطة الرابعة الامريكية فى تعليم الهجاء والنحو — لو اننا بدلا من ذلك التمسنا هذه الخبرة عند قومنا من العرب وهم الاباء اليسوعيون لوجدنا لديهم مع الاسف افضل مما وجدنا من الاستعانة بمن لا يعرفون من العربية كلمة واحدة !

* * *

ومما يؤخذ على كتب حفنى ناصف انها لم تلحق بالقواعد — التمرينات الكافية التى تربطها بالقواعد ربطا متكررا ، تساعد على تثبيت القاعدة حتى تصبح قريبة من السليقة ، والنحو ليس غاية فى ذاته وانما هو وسيلة فقط لصناعة اللغة صناعة محكومة بقواعده .

الا ان تكرار جميع ابواب النحو مع الفرق الدراسية ، فى هذه الكتب — قد جعل لهذه الطريقة اصالة وفاعلية ، لان تكرار دراسة ابواب النحو كله عاما بعد عام ، قد اقدر التلاميذ على تقويم السنتهم ، ويسر لهم تكرار الدراسة سهولة الربط بين القواعد وبين استعمال التلاميذ للغة فيما يكتبون ويقرءون .

ومن الاخطاء التى ارتكبتها كتب حفنى ناصف ، وشاركتها فى هذا الخطأ جميع الطرق التى جاءت من بعدها — انها تعرض جميع ابواب النحو عرضا واحدا ، تبعا لطريقتها الخاصة ، ولكن ابواب النحو يجب ان تختلف طريقة عرضها ، باعتبار الاقيسة التى تمثلها الابواب ، فعرض الابواب التى تعتمد على القياس اللفظى التصريفى او الاستعمالى ، يجب ان يختلف اختلافا اساسيا عن طريقة عرض الابواب التى تعتمد على القياس المعنوى الاعرابى ، فاذا كانت ابواب القياس المعنوى يجب البدء فيها بالقاعدة فان ابواب القياس اللفظى يجب البدء فيها بصور التصاريف والقوالب وامثلة الاستعمال ولا تذكر القواعد الا بعد ذلك .

ومن امثلة ذلك ان جميع كتب النحو لا تعنى فى باب الاسناد الى الضمائر الا بذكر القواعد التى تعبر عن التغيير الذى يحدث فى الافعال عند اسنادها الى المضمرين ، ولكن الوضع الصحيح يوجب علينا فى هذا الباب ان نعرض اولا جميع صور الفعل التصريفية مع المضمرين الاثنى عشر — فى الماضى والمضارع والامر ، ونكرر هذا العرض مع انواع الافعال المختلفة ، الثلاثى منها والرباعى ، الصحيح منها والمعتل ، وبعد عرض هذه الصور التصريفية ، نتبعها بذكر ما حدث فى الفعل من تغيير .

وبمثل هذه الطريقة نسير فى جميع الابواب ذات القوالب الخاصة ، كباب اسم الفاعل واسم المفعول وتثنية الاسماء وجمعها وبخاصة المقصور والمنقوص والممدود ، فلايصح الاكتفاء بذكر القاعدة وضرب الامثلة عليها ، بل ينبغى البدء بعرض مجموعات من الكلمات ، التى تمثل كل مجموعة منها قالبا من القوالب ، لتكون عمدة للتلميذ فى قياسه قبل أن تكون وسيلة لاستنباطه القاعدة أما الابواب التى تمثل الادوات العاملة وغير العاملة كالنواصب والجوازم وأن واخواتها وكان واخواتها وادوات النفى والاستفهام والجواب والجر ، والعطف والشرط — هذه الابواب يجب ان تعرض أدواتها قبل قاعدتها — مرتين — مرة مرتبطة فى اطار خاص مجردة عن اى استعمال ، وفى المرة الثانية تعرض مع أمثلتها . وبعد هذين العرضين لابأس من ذكر قواعد استعمالها أما فائدة عرضها مترابطة فى اطار خاص ، فلكى لاتشتبه أدوات أى باب بباب آخر — واما عرضها مستعملة فى عبارات وجمل — فلكى تربطها بعملها ان كان لها عمل ، أو بمعناها أن لم يكن لها عمل أو بالاثنين معا ان كان لها معنى وعمل .

بين طريقتين

أما طريقة الدراعمة فى تدريس النحو العربى ، فقد كانت من صنع الرواد الاول من ابناء دار العلوم الذين ذهبوا الى انجلترا لدراسة طرق التعليم الحديثة ، وعلم النفس التربوى ، وقد رجع هؤلاء الرواد بعلم غزير وطرق جديدة ومفيدة فى دراسة اكثر العلوم الحديثة ، الا أن التوفيق قد تخلى عنهم عندما حاولوا أن يجددوا فى طرق تعليم النحو العربى وغيره من مواد اللغة ، ففرضوا عليها طريقة هربرت سبنسر وخطواته المعروفة . أما دكاترة معهد التربية للمعلمين فقد فتنوا ايما افتنان بالشكليات والتقاليع الامريكية فى طرق التعليم ، وساعدتهم الظروف على فرض هذه الشكليات والتقاليع على جميع مواد اللغة العربية من هجاء ومطالعة ونحو ، وازالوا بسلطة مناصبهم كل اثر للطرق الازهرية او الدرعمية ، ونظروا الى اصحابها كانهم يعيشون فى العصور القديمة ، قائلين :

كيف نعيش فى عصر النفاثات ونتبع فى طرق تعليمنا ما كان متبعا فى عصر ركوب الجمال والبغال ؟ ! وتخيلوا أن تركيب العقل البشرى قد اصابه التغيير والتبديل بنسبة ماطرأ على حياة الانسان من تقدم مادى فى الحضارة ! !

وقبل ان اتحدث عن طريقة الدراعمة والاماركة فى دراسة النحو العربى بالتفصيل — احب ان اقف وقفة قصيرة مع علم النفس ، لانه هو العلم المتهم فى جميع قضايا التعليم ، والمجنى عليه فى الوقت نفسه من مدعى تأليهه والغوص فى اعماقه ، ومدعو هذا العلم ليسوا الا تراجمة ينقلون الينا ما يقوله فلاسفة الغرب ، نقلا ! !

واذا كان نبى الدراعمة الذين اخذوا عنه طريقتهم فى تدريس النحو العربى هو (هربرت سبنسر) الانجليزى ، فان الاماركة يفاخرون بأن انبياءهم فى اوربا وامريكا اكثر عددا من انبياء بنى اسرائيل ! ومن اشهر هؤلاء الانبياء الذين نقلوا الينا شرائعهم المخربة :

(جون ديوى) الامريكى ، (وفرويد) اليهودى ! (وكلاباريد) السويسرى ، و (وليم جيمس) الانجليزى .

الدراعمة والنحو

لما انشئت دار العلوم سنة ١٨٧٠ — اخذت الحكومة ترسل بعوثا من خريجيها الى جامعات انجلترا لدراسة طرق التعليم الحديثة ، وعلم النفس التربوى ، ولقد استمر ابناء دار العلوم الذين عادوا من انجلترا يحملون وحدهم رسالة التربية

والتعليم فى مصر ، كما اخـــذوها عـــن أساتذتهم الانجليز ، حتى بعـــد انشاء مدرسة المعلمين العليا سنة ١٨٨٦ ، فقد كان الاوائل من خريجى هذه المدرسة ، يرسلون الى انجلترا للتخصص فى دراسة العلوم الرياضية والطبيعية والجغرافيا والتاريخ واللغة الانجليزية ، ولم يشاركوا فى حمل رسالة التربيـــة والتعليم من الناحية التعليمية الا بعـــد انشائها بزمن طويل ، ولكنهم كانوا يشاركون فيهمـــا بأوفر نصيب من الناحيـــة التطبيقية ، فكانوا رجالها الذين يتولون سائر المناصب فى وزارة المعارف ، ولم يتركوا لابناء دار العلوم من الاعمـــال الا تدريـــس اللغـــة والتفتيش على مدرسيها .

ولما الغيت مدرسة المعلمين العليا عقب انشاء الكليات الجامعية ــ انشىء معهد التربية للمعلمين فبدأ بالثـــورة على كل ما وجدوه من طرق ومناهج ، ولم يفرق بين الصالح منها والفاســـد ، ولم يكن يهمه الا احـــداث أعظم قدر من التغيير والتجديد ، ولم يجد ميدانا يتسع لنشاطه وطرقه الجديدة سوى ميدان اللغـــة العربية .

ومن هذا اليوم صـــارت اللغة هى الضحية التى تجرب على أشلائها الطرق الامريكية والتقاليع الامريكية ! ولـــد استطاع رجال معهد التربية أن يفرضوا أفكارهم المستوردة وطرقهم الدخيلة على وزارة المعارف ، ولم يجد أبناء دار العلوم الذين يحملون وحدهم رسالة تعليم اللغة فى وزارة المعارف ــ مفرا من الخنـــوع والتسليم بقضاء الله وقدره !

هربرت سبنسر
(١٨٢٠ ــ ١٩٠٣)

لا يستطيع احد أن ينكر فضل الرواد الاول من أبناء دار العلوم الذين ذهبـــوا فى بعثات الى انجلترا ، فقد ساهموا بأوفر نصيب فى النهضة الحديثة ، وظهر منهم كثير من العلماء الاجلاء الذين شاركوا فى شتى فنون المعرفة ، ولا نريد هنـــا ان نحصى آثارهم ، او التحدث بفضلهم وانما نريد أن نحاسبهم على خطأ واحد ارتكبوه فى حق تعليم اللغة العربية ، ولقـــد كان خطأ فاحشـــا جسيما ، وكانت له آثار بعيدة المدى فيما أصاب تعليم اللغة من ضعف ، ولم يكن هذا الخطأ الا فرضهم طريقة هربرت سبنسر على جميع مواد اللغة ، من هجاء ومطالعة وقواعد .

مع ان هربرت سبنسر لم يضع طريقته هذه لتعليم اللغات ، لانه كان عدو الاداب واللغات القديمة وكان همه الاول منحصرا فى العلوم الطبيعية ، وبخاصـــة ما كان متعلقا منها بأصل الانواع ، ونظـــرية النشوء والارتقاء .

ومع انه لم يشتغـــل يوما من الايام بالتدريس ، فانه وضع طريقة خاصـــة لدراسة العلوم الطبيعية ــ لا اللغات ــ وتقضى هذه الطريقة بتقسيم الدرس الى خمس خطوات او خمس مراتب : التمهيد او المقـــدمة ، والعـــرض ، والربط ، والاستنباط ، والتطبيق .

وهذه المراتب لا انكر انها ضرورية فى اكثر المواد التى يقصد بها كسب المعـــرفة مثل العلوم الطبيعية ، لان كل جديد من المعارف يحتاج لتمهيد قبل عرضه ، وفى اثناء عرضـــه يحتاج الى روابط تربط اجزاءه بعضها ببعض ، وبعد الربط يأتى دورا ستنباط القواعد والقوانين العـــامة والخاصـــة ، وبعد الاستنباط يأتى دور التطبيق لطرد القانون أو القاعدة على عدد آخر من الامثلة .

اما المواد التى يقصد بها كسب المهارة كالصناعات واللغة منها ، لانها صـــناعة قولية باللسان ، وكتابية باليد ــ فانها فى غنى تام عن هذه المراتب فى تعليمها .

لانه اذا كان دور العقل مع المواد التى

يراد بها كسب المعرفة ـ هو دور المستقبل فان دور العقل مع المواد التى يقصد منها ، كسب المهارة ومنها اللغة ، هو دور المرسل للاوامر والتوجيهات ليقوم اللسان بالصناعة الصوتية ، والى اليد لتقدم بالصناعة الصوتية ، والى اليد لتقوم التى تقدم للتلاميذ صوتا او كتابة ، لمحاكاتها والصناعة على قوالبها وامثلتها المعروضة .

واذن فقد كان من اخطاء الدراعمة فى تدريس اللغة انهم فرضوا عليها خطوات هربرت سبنسر الخمسة ، لان مرحلة الاستقراء والاستنباط قد قام بها القدماء الذين وضعوا النحو من أكثر من الف عام ، ومن التعسف الممقوت ان نلزم اطفالنا بالقيام بالدور الذى قام به النحاة الاولون أمثال الخليل بن احمد .

ولكن الدراعمة طبقوا هذه الخطوات تطبيقا تعسفيا على جميع مواد اللغة فقيدوا تعلمها بقيود ثقال ، عاقتها عن الانطلاق ،وعسرت فهم قواعدها على المتعلمين تعسيرا شديدا .

ولنضرب مثالا واحدا على ما كان يتبع فى دراسة النحو على هذه الطريقة الخاطئة فقد كان المدرس المسكين المغلوب على امره ، اذا اراد ان يدرس درسا فى النحو ، عن الفاعل مثلا ، فان عليه اثناء تحضير الدرس وكتابة كل ما سيجرى فيه ـ ان يكد ذهنه كدا عنيفا ، ليسبح به فى دنيا الخيال باحثا عن تمهيد مناسب لكلمة (فاعل) واخيرا يهتدى لتاليف حوار مضحك يدور بينه وبين تلاميذه ، ويتالف هذا الحوار من عدد كثير من الاسئلة التى تلقى على التلاميذ بائتتابع ، ومن جواب كل سؤال تتالف صيغة السؤال التالى له ، وهكذا الى ان يرد فى الجواب الاخير من التلاميذ كلمة (فاعل) وعندئذ تنفرج ازمة المدرس ، ويعلن ذلك الحدث الخطير والنبأ المثير للتلاميذ قائلا لهم : (درسنا اليوم عن الفاعل !)

ثم يدير ظهره للتلاميذ بعد هذه التمثيلية الحوارية التى عبرت عن مرتبة التمهيد للدرس الجديد ، ويأخذ فى هندسة السبورة بالخطوط الراسية والافقية ليكتب ما حضره من الامثلة بين تلك الخطوط ، والتلاميذ فى اثناء تلك الفترة الطويلة من تزويق السبورة وتزيينها امالاهون او لاعبون اومتفرجون

فاذا انتهى المدرس من ترصيع السبورة بالدرر الغوالى ـ استدبرها واستقبل التلاميذ ليبدا معهم معركة جديدة او مرحلة ثانية من خطوات هربرت سبنسر ، وهى مرحلة عرض هذه الامثلة التى كتبها ليناقش التلاميذ فيها بطريقة يطول الحديث عنها وتاخذ هذه المرحلة أكثر من الدرس الى ان يظفر المدرس اخيرا « ببيضة الديك » وليست بيضة الديك هنا الا اكتشاف ان « الفاعل اسم مرفوع تقدمه فعل ! »

وبهذا السخف السبنسرى ضاع النحو وضاعت الفائدة من دراسته ، وتسأل بعد ذلك اين الكتاب المدرسى ؟ ولماذا لم يتخذه المدرس لعرض درسه وشرح مصطلحاته وامثلته وحل تطبيقاته ـ واذا كان الكتاب لا لزوم له ، فلم الف وطبع ووزع على التلاميذ ؟ ومن سيتولى شرح ما فيه للتلاميذ بعد ان استغنى عنه المدرس بهذه التمثيلية التى قام بها امام شاشة العرض السوداء .

ونسأل ثانيا : ما الدور الذى قام به التلاميذ فى صناعة اللغة قولا وكتابة اثناء الدرس ؟

انهم لم يصنعوا شيئا سوى القيام بدور المتفرجين بينما ضاع الدرس كله فى قيام المدرس بدور الممثل والحاوى فى عرض الالعاب !!

ان القاء المحاضرات لايكون الا فى الجامعة ، وفى العلوم النظرية ، اما فى

المدارس وفى دروس صناعة اللغة فيجب ان يقوم التلاميذ بالدور الاول ، دور العمال الصانعين ، وليس على المدرس بعد تقديم مواد الصناعة الا ان يتولى الاشراف والتوجيه ، ولكن طريقة هربرت سبنسر كما فهمها الدراعمة خطا تقتضى ان يكون المدرس مهرجا كل الوقت !

التطبيقات

واما انواع التطبيقات التى كان الدراعمة يطالبون بها تلاميذهم ، فقد كانت أعجب من دروسهم السبنسرية ولا تزال الى اليوم موضع السخرية والتندر ، فقد كانت عبارة عن الغاز واحاج ، ومعادلات جبرية معقدة ، طالما شقى بها التلاميذ أيما شقاء ، ولعنوا بسببها النحو ومن وضعه ، ولقد كانت هذه الانواع من التطبيقات من اقوى الاسباب فى جعل التلاميذ يكرهون اللغة العربية ويكرهون مدرسيها بالتبعية ، اما محور هذا النوع فكان يدور حول شىء واحد ، وهو مطالبة التلاميذ بتكوين جمل مقيدة بعدة مواصفات ، كمواصفات الانشاءات الهندسية ! وفيما يلى امثلة مما كان يرد فى الامتحانات العامة فى الشهادة الابتدائية القديمة .

(١) هات جملة فعلية تكون صلة لموصول المثنى المؤنث ، وفعلها ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر .

(٢) هات فعلا مجزوما باداة شرط ، وفاعله موصوف باسم موصول لجماعة الذكور .

(٣) هات جملة بها اسم اشارة لجماعة الذكور ، ونائب فاعل ، ومفعولا لاجله .

(٤) هات جملة بها اسم موصول لجماعة الاناث ، يقع اسما لفعل من افعال الاستمرار ، وخبره مضاف .

(٥) هات مضارعا متصلا بياء المخاطبة جواب شرط لاى الدالة على الزمن .

وعلى هذا الاسلوب العجيب فى التطبيق الذى لاصلة له بصناعة اللغة سار الدراعمة عشرات السنين ، الى ان جاءت دولة دكاترة معهد التربية فى العهد الاخير ، فكفروا بطريقة الدراعمة فى تدريس النحو والتطبيق عليه ، وكان لهم العذر فيما كفروا به ، وكان لهم العذر عندما ثاروا ثورة جامحة غاضبة على كل مخلفات السنين الماضية فاحدثوا فى مناهج التعليم وكتبه وطرقه ، تغييرات بعيدة المدى ولكنهم لم يحاولوا فهم عيوب الطرق القديمة لاصلاحها ، ولا عيوب المناهج لتقويمها ، بل قذفوا بكل قديم الى الجحيم ، واستبدلوا به طرقا ومناهج امريكية خالصة . سواء لاءمت اللغة العربية أو لم تلائمها .

وكانت نتيجة طرقهم ومناهجهم ، ان صيروا اللغة العربية كانها من لغات سكان الغابات أو لغة المصريين القدماء ، فى استغلاقها واستحالة تعلمها .

وفى العدد القادم ساتحدث عما صنع أولئك المعهديون بتعليم اللغة ونحوها وهجائها .

يعقوب عبد النبى

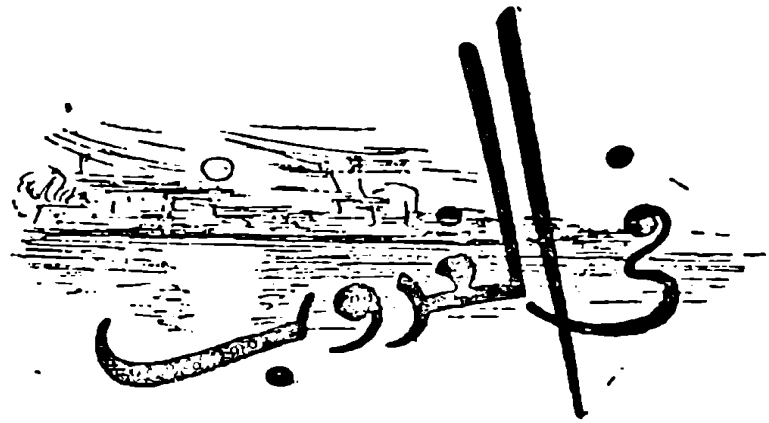

كان الغروب . . على شواطئ الحزينة . . مبهما
متوحشا بالصمت ، سامان الرؤى ، متجهما
متاملا فى الجرح ينزف من جوانحه دما
غصان بالآلام . . لا يجد الشكاية بلسما

* * *

ولمحت ظل حمامة . . طاف الوجود وحوما
ورأيت ما أبقى الخريف ، وما تصوح وارتمى
وعذاب مجداف على الريح الغضوب تحطما
لكن سمعت ، وخلت انى قد سمعت توهما
اصداء اغنية لنوتى صغير . . الهما
طاف الفرام به . . . فاغضى للذى ، وترنما

* * *

ورسم المدى فصلا ، ودوحا شاعريا مفعما
وحنين زنبقة ، وقلبا لايزال متيما
المنحنى . . ضم ارتعاشة خافقينا . . مرغما
شهد اللقاء ، وبوح عينينا ، وحبا اضرما
يا قصرها العالى . . اذا أوغلت فى كبد السما
وسحقت يوما كبرياء الطفل يمشى معتما
يقضى عن الشرفات ، يزدرد المذلة علقما
فى قلب طفلتك الصغيرة زهر حبى قد نما
ما انت . . ؟ . . ان زرع الغرام على جديبك برعما

* * *

وسمعت قهقهة الرياح . . ترد ردا مفحما
القصر يا ليلاى أوصد بابه ، وتجهما
فسربت فوق ضوارى الاشواك انتعل الدما

حـــولى رفاقى المتعبـون يؤرقون الانجمـــا
ويهدهدون الفجـــر فى دمهم ليشرق اعظمـا
مروا بقصرك . . فانبرى منهم فتى وترنمـا
ان كنت ملحمة من الطغيـــان ، وحشا اتخما
من دمعنا هـــذا الطلاء على جـدارك نمنمـا
ودماؤنا كم انزعت كاســـا وطابت موســما
ومشـــيـد ركنك ـ يا مؤله ـ كان يوما اعظمـا
قـــولى لقصرك ان طغت ثاراتنا لن يعصـــما
هذا الاسى يضرى ـ اذا اشتعل الضرام ـ ليحسما

* * *

جرحى الصغير . . الم يزل ـ وهواك ـ جرحا مؤلما
هذا هواى الطفـــل عشش فى الجـــوانح واحتمى
احلامـه لما تزل برؤاى . . صـــبحا ملهما
يجتاح هـــذا الليل ـ يا ليلاى ـ مهمـا اظلمـا

* * *

يا فتنتى خلف ـ الاسار . . سقيت أيامى ظمـــا
وهمت على الحـــادثات ، ملأن قلبى اســـهما
فحضنت أشجان الشعاب ، حضنتهـــا متبسما
فلقـــد رايت بكل جرح من هـــوانا معلمـا

* * *

الجـــرح فى أوراس ينزف من جوانحنـــا دما
والافق المحـــه على يافا الحزينـــة ماتمـــا
وعلى الخليج ، وفى عمـــان ، وفى العراق ، واينمـــا
جيـــل على اللجج الغضاب يخوض بحرا مظلمـــا
حصن العروبة فكرة وعقيـــدة وتقـــدما
كالهـــول شق طريقـــه نحو الوجـود وصمما

* * *

وهبته كف الخـــلد موطنه الخصيب المفعم ـــا
وحبته وافقة الجنـان بكل شـــبر منجمـــا
ورعتـــه فى قلب الدنى . . بين المحيطين احتمى
وروته من همم الرجال فتـــاه عجبا وانتمى
ســهروا عليه . . فوسدوه ـ كما ارادوا ـ الانجما
لكن جيلى حين حـــدق فى المـــرائى . . دمدما
الفى على هام الربا ، وبكل شـــبر . . مجـرما

انس داود

ترجمها من الصينية فاروق محمد سليمان البدبوى
مراجعة : الدكتور تجو رئيس قسم اللغة الصينية بمدرسة الالسن العليا

باجن كاتب صينى كبير وهو من الكتاب الاشتراكيين ، عاصر عهد ماقبل الثورة الصينية وهو كاتب ليس بغريب عنا فقد وقف معنا بقلبه وقلمه فى اثناء تاميم قناة السويس والاحداث التى تلت ذلك .

وقد كتب مقالة بعنوان : ((حدث سعيد للغاية)) عبر فيه عن شعوره نحونا ، واورد عبارات كثيرة من خطبة الرئيس جمال عبد الناصر التى القاها عند ما امم قناة السويس ، معترفا بالدور الكبير الذى لعبناه نحن الشعب المصرى بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر فى تحطيم النفوذ البريطانى .

صاح الجميع : « فلنسر ... فهنا ليس بالمكان الذى نقيم فيه » . ثم علق كل منهم على ذراعه الحزمة المجاورة له ، ورفع باليد الاخرى بعض الاشياء ، وخرجوا من ذلك الكوخ المصنوع من القش الواحد تلو الآخر .

لم يكن لديهم مالا يرغبهم فى الرحيل ... فساروا بخطى واسعة ... فى طريق ضيق موحل ... وكان عددهم اكثر من خمسين .

كان الوقت مبكرا ، والسماء غائمة ، وقد هبت ريح شمالية منذ مساء الليلة الماضية ... وتوقع بعضهم سقوط الثلج ، ولكنهم رغم ذلك لا يستطيعون الاستمرار فى الاقامة بهذه المزرعة .

بلا مكان يقصدونه ، وبلا طعام مدخر ، وبلا عمل ، وان يكن لديهم شىء فهو السير ... السير الى مكان جديد حيث يأملون فى الحصول على العمل والدفء والطعام الذى يسد رمقهم ... هكذا على مر الايام كانوا يبدءون رحلتهم الجديدة .

ورحلاتهم هذه لم تبدأ منذ وقت قريب ... بل بدات منذ نصف عام ، حين اغرق الفيضان قريتهم ، واكتسح حصاد ذلك العام . وتلا ذلك مرور جنود من تلك المزرعة . فاخذوا ما بقى من الاشياء ... وحرقوا وحطموا بعض المنازل ولم يبق

لأى منهم سوى اطمار ... ويدين خاويتين ... وحياة . فاخذ الجوع والبرد يجبرانهم كما لو كانا سوطا خلفهم يلهب ظهورهم على ترك قريتهم ... فتركوها ... والدموع تترقرق فى عيونهم ... فقد احبوا جميعا هذه المزرعة حبا جما كحبهم لابائهم . لقد كانت كرجل ناضج فى كامل صحته اصابه مرض فاخذ عوده يذوى شيئا فشيئا ، وها هو ذا الآن يقاسى الموت حسرة على ما اصابه . فهم لم يبق لهم سوى ذكرى مؤلمة .

لقد هاموا على وجوههم مارين بمدينة تلو المدينة وبمزرعة تلو المزرعة ، عابرين الجبل تلو الجبل . وهناك لم يستطيعوا ان يجدوا مكانا يقيمون فيه ... فجميع الابواب موصدة فى وجوههم ... فلم يجدوا سوى الطريق .

فايا كان الوقت ...
سواء كان صباحا ... اطلت فيه الشمس من الوادى بوجهها الاحمر .
او مساء ... اختبأ فيه القمر فى غابات الظلام .
او ليلة مظلمة ... تلألأت فيها النجوم فى السماء .
فان كل ما لديهم ... هو طريق ... يسيرون فيه الى الامام .
وتتابعت الايام والشهور ، ولون وجوههم يتغير كما يتغير لون السماء والجبال والاشجار ، وأقدامهم لم تتوقف عن السير ، ولم يستقروا اسبوعا كاملا فى مكان واحد .

وفى مدينة ما اعطاهم بعضهم خيطا من الامل ... اما بعد ذلك فلم يكن لديهم ادنى امل . وكل ما حصلوا عليه هو الاستمرار فى السير ... الى الامام .

جمع الجوع والبرد شملهم .
فاصبحوا فرقة صغيرة ... وكان عددهم اكثر من خمسين . منهم الرجال والنساء ، والشيوخ والاطفال .
لم يخافوا الريح ولا المطر .
ولم يخافوا الشمس ولا الثلج .
واتحدوا معا ... وساروا الى الامام ... بلا توقف .
والجميع لديهم أمل واحد :
العمل والحياة .
ان البطون فى حاجة الى طعام ، والاجسام تحتاج الى الدفء .
هكذا فكر الجميع ... واثار ذلك حماسهم ، واصبح هدفهم الوحيد .
ولم يكن يشغل احدهم فكرة اخرى .

وبعد ان مروا بمدينة بعد اخرى ، وبمزرعة تلو الاخرى ، وبجبل تلو الجبل ... وفى ارض جدباء جفت حشائشها ، ووسط غابات تزتعد أوراقها طوال الليل ... حملوا اكواما من الاوراق الجافة وبسطوها على الارض والقوا حزمهم الصغيرة واخرجوا منها ما يمكنهم ان يتخذوه دثارا لفوا به أجسادهم ، وهكذا قضوا ليل البارد .

مضت ليلة ... وليلتان ... وليال عديدة ... ؟ ! كان الليل فيها باردا ، وكان كل ما حولهم باردا ولم يكن هناك شيء دفيء سوى قلوبهم ، ومع هذا تسلل اليها البرد شيئا فشيئا .

اتحدوا واخذوا بلا هوادة يتصارعون مع الجوع والبرد ... وبذلوا فى ذلك كل طاقتهم فاتجهوا الى بعض الاغنياء الغرباء عنهم يسألونهم فضلات طعامهم ، فلم تفتح لهم سوى بعض ابواب محطمة قديمة ضيقة حيث لا يوجد عمل ولا حياة وان كان يوجد القليل من طعام لا قيمة له سدوا به رمقهم .

منذ ان اشرقت الشمس فى الوادى بوجهها الى ان تلألأت النجوم فى السماء والنهار والنيل يدوران كالارجوحة ... وبمرور الايام قصر النهار وتلبدت السماء بالغيوم ... وشيئا فشيئا فقدت الشمس رونقها ... وتجمدت مياه الانهار فى وقت مبكر ... ومنذ اكثر من عشرة ايام تساقط الثلج ثلاث مرات ... وكالعادة لم يتمكنوا من ايجاد مكان يأويهم ... ولم يستطيعوا الحصول على عمل فاضطروا الى ان يواصلوا سيرهم فى تلك الرحلة التى لا نهاية لها ...

« فلنسترح ... فلنقف » صدر هذا النداء عن قلوبهم جميعا ، فاجسامهم المتعبة تحتاج الى راحة كافية ، ولم يوجد بينهم من هو على غير هذه الحال ... ولكن رغم ذلك قال بعضهم « فلنسر ... فلنسر الى الامام » وكان هذا النداء هو ايضا نداء الجميع ، لان الجوع والبرد كانا خلفهم يلهبانهم بالسوط ويقودانهم الى السير الى الامام ... ولانهم يعرفون مانوع النتيجة التى سوف يحصلون عليها لو استمروا فى الاقامة بمكان لم يؤذن لهم بالاقامة فيه .

فى هذه المزرعة عاشوا يومين ... قضوا ليلتين ... وتناولوا وجبتين كاملتين ، لكنهم فقدوا طفلا ، ذلك الطفل هو ابن الارملة (تجاو) البالغ من العمر سبع سنوات .

كان طفلا مرحا محبوبا . ولكنه منذ وقت قريب ذوى عوده .

اما الارملة (تجاو) فقد كانت امراة فى الاربعين من عمرها ولم تكن تعرف كلمة واحدة ، ولم تكن تفهم ما يطلقون عليه التضحية العظمى ، ولم يجبرها احد على ان تهب طفلا من طفليها ، ولكنها شعرت بأنه يجب عليها ان تفعل ذلك وهى تدرك انها ليست اول من فعل ذلك ، « فان النجار (آصى) عندما كان يتساقط المطر فى احدى المرات السابقة ... باع ابنه الوحيد فى المدينة واحضر لهم الدفء والطعام وكان يفعل ذلك فكيف لا استطيع انا مثله ... وكلانا والد ولا فرق بيننا وزيادة على ذلك لدى طفلان » هكذا كانت الارملة (تجاو) تحدث نفسها : « لقد اشتراه آخرون ومن الطبيعى انهم سيعطونه من الطعام ما يشبعه » ، واخذت تفرى نفسها بهذه الفكرة ... ولم تر الجماعة فى مشهد افتراق الام والابن اية مأساة ... ففى وقت مبكر اخذ الطفل وسلم لاناس آخرين ... لقد كان وهو ذاهب باسم الوجه .

فى هذا اليوم رحلوا عن المزرعة بمجرد ان استيقظوا وفى ذلك الوقت تناولوا ما يسد رمقهم . ولولا شعورهم نحو ذلك الطفل لكان من الممكن ان يبقى لحياتهم فى

هذين اليومين تاثير اكثر بهجة ولكن منظر الطفل المفقود كان ماثلا امام اعينهم وجعلهم يتذكرون حزن تلك الام ... فلم يذكروه خشية ان تسمع فينفطر قلبها ، أما هى فلم تنبس بكلمة واخذت تسحب يد الطفل الباقى لها البالغ من العمر تسع سنوات وخرجت من المزرعة . والتفت الطفل الى الخلف مرات عديدة لينظر الى هناك ثم يلح فى السؤال : « اين اخى ؟ » . وبديهى انه لم يتمكن من الحصول على الاجابة الحقيقية .

واخيرا رحلوا الى منحدر الجبل خلال طريق موحل متعرج ... وكان الطريق غير منتظم كالعادة ... وكانت السماء ملبدة بالغيوم كوجه رجل ميت وكانت الريح مسرعة والرمال تتطاير فى السماء ... فسارت الجماعة بمشقة بالغة ، خطوة خطوة ، واخذوا يتصارعون مع الرياح ورءوسهم منكسة خشية أن تؤذى الرمال عيونهم ... ومن فوق الجبل انزلق العجوز (تجان) البالغ من العمر اكثر من خمسين سنة مرتين ، فاستلقى على الارض واخذ يلهث وظهره منحن وقد التصق لعابه بشاربه الذى امتزجت شعيراته السوداء بشعيرات المشيب البيضاء وعلا التراب وجهه الناحل ، وظلت عيناه نصف مفتوحتين تنظران الى السماء نظرة بلهاء وان كان من المؤكد انه لا يرى شيئا ... أوقف بعضهم خطاه واحاطوا به ليروا ما حل به وليشاركوا (شياو وان) فى معاونته ، وظل فى المؤخرة يسير فى بطء وهو يستند الى (شياو وان) .

وساروا كعادتهم فى صعوبة فى طريق جبلى متعرج واصبحوا كخط طويل غير مستقيم وكان عددهم اكثر من خمسين ... وشيئا فشيئا خفت الريح واشرقت الشمس بوجهها الباسم ... وبدا على وجوههم البشر ... ولكن فى اثناء عبورهم ذلك الجبل تغير الحال ... فقد بدات بلورات الثلج تتطاير فى السماء واصطدمت بأوجه بعضهم وأياديهم ... فصاحوا فى ذعر « لقد تساقط الثلج » ، ونظروا الى السماء ... فاذا هى قد بدت فجاة شديدة الظلام وانتشرت فى السماء كرات دقيقة بيضاء لا حصر لها ، وشيئا فشيئا اصبحت المنطقة قطعة من الثلج الابيض وقد بدت كالحفة مزق عدد كبير منها فانتشر نديفها الابيض فى السماء ثم اخذ يتهاوى على الارض ... وهبت الريح فى عنف ... وفى هذه المرة كانت الريح عنيفة حتى انها آلمت وجوههم وأيديهم وقد آذت بلورات الثلج عيونهم ، فاخذوا يكافحون فى عزم اشد ، ولكن رغم ذلك اضطروا الى السير بخطوات بطيئة وانزلق كثير منهم على الارض وفى النهاية تسلقوا الجبل .

وطريق النزول من الجبل أيسر نسبيا عند السير ، ولكن كان الطريق مبتلا ، ثم صار موحلا ، وتكاثر الثلج فصبغ الجبل بلون ابيض كما كست الاشجار بلورات الثلج ، وبدا كل ما حولهم ساكنا فلم يكن هناك مسافرون آخرون .

نظروا الى الامام ... الى تلك المنطقة التى يكسوها الثلج الابيض ... وهناك .. عند سفح الجبل آخرون كان يعلوهم الثلج . ولم يكن هناك سوى نهر صغير ينبعث منه بريق . لقد كان منظرا رائعا ... ولكن لم يكن لدى أيهم فراغ ولا حماسة ... فقد بذلوا كل طاقتهم فى صراع مع الطبيعة العاتية ... ان ما امامهم من مناظر الطبيعة الطريفة الخلابة لم يبعث فى قلوبهم السعادة ... فلم يكن نصيبهم من الثلج المتراكم هنالك سوى البرد ، وحتى الجوارب التى كانت فى اقدامهم كانت مبتلة تماما ... ولكنهم كانوا مرغمين على المضى فى الخوض باقدامهم فى الوحل وان يطئوا

اكوام الثلج .. .وكان هنالك امل ماثل امام اعينهم ... هو ان يصلوا بسرعة الى اولئك الناس الموجودين عند السفح . فقد حسبوا انهم ربما استطاعوا ان يلتمسوا هنالك الراحة والدفء .

كانوا يلهثون وهم يزيلون بلورات الثلج عن وجوههم وقد دأبوا على وضع اكفهم بين شفاههم لينفخوا فيها الهواء الساخن لتدفأ ... لقد استنفدوا كل قواهم . ولكنهم لم يترددوا ولم يخالجهم ادنى رغبة ... فى الا يرحلوا . وتملكهم نوع من التفكير الجاد ، واستمروا يخوضون فى الوحل بلا شفقة على الاطلاق باقدامهم المبتلة التى صارت لا تشبه الاقدام ، واندفعوا فى الوحل ، وكان احدهم ينزلق فيجذبه ـ او يجذبها ـ الزميل المجاور مشجعا اياه بكلمتين او ثلاث . اما الاطفال فلم يستطيعوا السير ، فسحبهم آباؤهم وامهاتهم من ايديهم وساروا ... وكان العجوز (تجان) ـ اكبر افراد الفريق سنا ـ لا يقوى على تحريك قدميه ، فامسك به من ابطه اثنان من الشبان (شياو وان ، وتشن سان ذو الانف الاحمر) ـ وساروا . وكان طوال الطريق يصدر عنه سعال ضعيف ... وكان ما يحصلون عليه هو السير .. الى الامام ... ولم يكن هنالك صياح ... واخذ كل اثنين او ثلاثة يتمايلون مقتربين من بعضهم بعضا ، او متبعا احدهم الآخر ملاصقا له ، وهكذا اصبحوا صفا طويلا ... ساروا فى بطء على الارض الثلجية البيضاء ... وكانت السماء اكثر ظلاما ، وقد اخذ الليل ينشر شباكه . واختفى فجأة من امام اعينهم اولئك الذين كانوا عند سفح الجبل . لقد خدعتهم عيونهم حقا ... فما زال الطريق بعيدا ، وانحرفوا فى شكل زاوية قائمة ولكن غابة اعترضت طريقهم .

لم تكن الغابة كثيفة ... فما زال ينتشر فيها ضوء ضعيف ، ولكن ارضها كانت قد تحولت الى مستنقع ، وكانت اقدامهم ترتجف ... ولكن لم يكن امامهم طريق آخر . فاستجمعوا شجاعتهم ودخلوا الغابة وكالعادة صاروا صفا طويلا ... وكان ما حولهم اكثر وحشة ووعورة .

وبدات عيونهم لا تميز .. .فلم يستطيعوا ان يروا الطريق الذى يسيرون عليه بوضوح ، ولا الاشجار التى على الجانبين ولا المناظر التى امامهم ... وهبت الريح على وجوههم واعينهم التى لا يحميها شىء ، واصمت آذانهم ، واخترقت ملابسهم واخذت تمزق اجسادهم ... والتصق الوحل باقدامهم فكادوا يفقدون الاحساس بما تحتها ، ولم يحتفظ بالاحساس سوى نصف جسدهم ، ولكنهم رغم ذلك لم تنبس شفاههم بأصوات تطلب الراحة . فتجارب نصف عام الزمتهم الوقار والصمت ، فلم يحدثوا ضجة ... بل ساروا صامتين كموكب يشيع جثة فى طريقها الى القبر ... ولم تكن الغابة صامتة تماما ، فصوت الاقدام وهى تغوص فى الوحل بغير انتظام كان يتردد صداه فى قلوبهم ، فكانوا يستمعون اليه فى رعب ... فلم يكن لديهم على الاطلاق افكار تبعث الامل او الطمانينة . وهم يدركون انهم ما زالوا فى غمرة الكفاح ... والحياة . وكانوا يشعرون بانهم لو تجاهلوا ذلك قليلا مستخفين به فان الموقف المحيط بهم سوف يتخذ مظهرا آخر ... وحتى ذلك المظهر الجديد سوف يكون مخيفا للغاية ... وهم لا يجرءون على ان يتخيلوا ذلك . فبالاضافة الى كل ما قاسوه ما زالت توجد مواقف اكثر رعبا . وهذه الفكرة كانت كافية لاقلاقهم .

اسودت السماء وبلغ سمعهم صوت طفل ينتحب ... انه ابن ارملة اخرى

صغيرة هى (صن ار شاو) ... كان فى الرابعة من عمره ... وكان فيما مضى مليئا بالحياة ومحبوبا ... ولكنه الآن صار مخيفا كقرد صغير ... انه لم يقو على مجرد البكاء بصوت مرتفع فكان صوته كصوت القرد الحزين ... وهز الصوت قلوب الجماعة وجعلهم يتألمون .

« يا حبيبى ... يا حبيبى ... لا تخف ... ! امك هنا ... ! » . وهكذا اخذت صرخات النسوة المرتجفة الحزينة تتردد ـ ضعيفة ـ فى اجواز الفضاء :

« نار ... نور ... ! »

نداء ... كان فى البداية صرخات طفل ... فتجاوب مع صداه الكثيرون يتصايحون .

لكن الثقاب بلله المطر والثلج ... وحينئذ حدث شجار لفترة قصيرة ، ولكن أحدا لم يحمل حقدا ... وقد تصادم البعض ، وانزلق البعض على الارض ... فانبعثت منهم انات الالم او اصوات تستغيث بالآخرين ان ينهضوهم .

لفهم الظلام كما لو كانوا قد دخلوا فى كهف تحت الارض ، فلم يتبين احد منهم ما يحيط به ، وكانت فقط تلك الريح وذلك الثلج هو كل ما انطبع فى مشاعرهم ... فأنوفهم خدرها البرد ، وايديهم تورمت ، وآلمتهم آذانهم بدرجة لا تحتمل ، واخذت اجسامهم وارجلهم ترتعد ... ولكن احدا منهم لم يوقف خطاه ... فلم يدعوا التعب والالم يهزمانهم ، وسار كل منهم باحثا فى ذلك الطريق الذى لايمكن تبينه ، ولم يفكر احد فى الراحة والعزاء . ولم يسأل اى منهم مرتابا « لماذا سنستمر فى السير الى الامام ؟ وما الاشياء التى تنتظرنا امامنا ؟ » .

ما زال البعض يتصايح :

« النار ... النور ... النار ... ! »

ولكن الريح اشتدت ، والثلوج تزايدت .

ورن فى صفوف الجماعة صوت الحداد (فن ليو) ذلك الرجل الفتى الضخم الذى فاق صوته كل شىء :

« فلنسر . فلنسر ... بسرعة . لا ضوء ولكن يجب ان نسير » .

« حسنا ! » أجاب اثنان او ثلاثة منهم ... ثم انقطع كل صوت ... لكن قلوبهم جميعا قدمت اجابات متماثلة ... « فلنسر » .

وكالعادة ساروا باحثين ، واستنفد كل منهم قوته فعض على نواجذه ... واخذوا يجركون اقدامهم دون ان يدروا ما بقى أمامهم من مسافة ، او ما خلفوا وراءهم منها . فكل منهم كانت لديه فكرة واحدة فحسب : الكفاح ... السير . ولم يشغل احدهم بنفسه ... ولم يشعر احدهم بأنه صار وحيدا ، فقد استلهم كل منهم انه وسط جمع كبير ، ومصير ذلك الجمع ومصير اى منهم سواء كان رجلا او امرأة مصير واحد . وهم لا يستطيعون أن يستلقوا الى الابد على الارض ليموتوا ... هكذا ... بلا ثمن ... من الجوع . فمن المؤكد انهم يستطيعون ان يفعلوا شيئا .

وكالعادة ساروا باحثين غير وجلين من الريح ولا من الثلج ولا راهبين الظلام

ولا الوحل ولا التعب ... فتجاربهم كثيرة ... لقد كانوا فى نفس الضيق وكان حزاما ربطهم معا وجعلهم يودعون أنفسهم وسط الجماعة ، فتلاشوا فيها ... وهنالك يستلهمون العزم حتى يحتملوا ما يرقبهم فى المستقبل ... من الالم الاكبر ، وهم يدركون انه ما عدا ذلك لا يوجد الا الموت .

رن صوت الحداد (فن ليو) مرة اخرى :
« انظروا ... اليس امامنا ضوء مصباح ؟ سيروا بسرعة » .
وكالعادة تغلب صوته فى قوة على الرياح والثلج .
واجاب قلب كل منهم : « أحقا ضوء مصباح ! » . لكنه لم يكن امامهم ضوء مصباح .

بكى ابن (صن آر شاو) فعانقته امه بشدة ... فأمسكها من كان بجانبها من ابطها وسارا فى المؤخرة . ولم يكن العجوز (تجان) يسعل ولم ينتبه اليه احد ، وكان (شياو وان ، وتشن سان ذو الانف الاحمر) يمسكانه من ابطيه ويسيران ، ولكنهما لم يلاحظا ان جسده صار متيبسا .

وهبت الريح بوحشية اكثر ، وضربت الاشجار فبعثت تنهدات عميقة حادة ، واستمرت الاوراق فى التساقط كيد رجل تضرب بخفة مناكب البعض ثم تسقط فى الوحل ... ولم يكف الثلج عن السقوط وتضخمت بلوراته ، ووسط الغابة المعتمة كانت كل الاماكن كنقط بيضاء كالقطن ... والتصق الثلج بوجوههم وتصلبت اجسامهم ، وصارت اقدامهم ثقيلة ، ولفهم الهواء البارد . ولم يكن هنالك شىء دفىء سوى قلوبهم التى ما تزال حتى الآن تردد : « فلنسر » .

صاح (شياو وان) فجأة فى ذعر :
« لقد مات ! مات (تجان جن جن) ! » .
ووقف البعض .
وصاح البعض : « نادوه ، نادوه بصوت عال ! »
وصاح آخرون بصوت حزين :
« مات (تجان جن جن) ! » .

وصاح (تشن سان ذو الانف الاحمر) : « تجان جن جن ... تجان جن جن ! » .
وصاح كذلك (شياو وان) واثنان آخران .

صاح (شياو وان) بصوت حزين : « بارد ! كل جسده بارد ، لقد أصبح كالحجر » . كان صوته واضحا فسمعت الجماعة صياحه وكأنما كان ذلك حجرا هوى فوق قلوبهم .

« كيف ؟ وماذا نستطيع أن نفعل ؟ » صمتت (صن ارشاو) طويلا وفجأة أخرجت هذا الصوت الباكى ، ومن ناحية اخرى أخذت تضم ابنها بشدة الى صدرها ، فشعرت بأنه لا يتحرك ... ولكنه لم يمت بعد ! ! !

« البقية فى العدد التالى »

عجوز عند الجسر

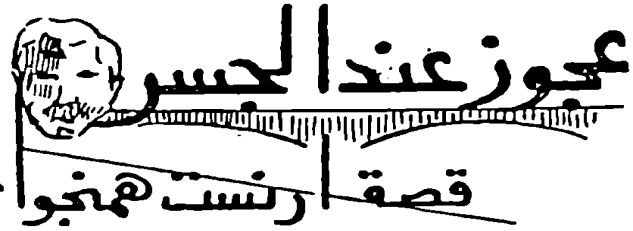

قصة ارنست همنجواى

واخيرا سكتت السيمفونية الرائعة فى تاريخ الادب العالمى بعد ان ظلت اكثر من ستين عاما ترسل الحانا جياشة رائعة يسرى نغمها عبر العالم اجمع .. اخيرا مات همنجواى .. !! .. مات الاديب الذى كرس حياته لخدمة السلام والحرية فى وسط معمعة هوجاء لا تعرف لغة الا النرة والرصاص . ويشاء القدر الا ان يموت عدو الحرب .. باداة الحرب ! !

وفى هذه القصة القصيرة التى نترجمها لك — مع قصورنا — ترى بوضوح ذلك النهكم الذريع الذى كان همنجواى يابى الا ان يرسله فى كتاباته على الحرب ودعاة الحرب وسترى ايضا ذلك الايمان بالانسانية ومثلها .. ذلك الطريق الذى افتتحه تشيكوف وسار فيه كثيرون ولكن احدا منهم لم يبلغ من النجاح ما بلغه همنجواى .

كان هناك جسر متحرك فوق النهر تعبره عربات تجرها البغال. وعربات شحن كبيرة وسابلة من رجال ونساء واطفال. وجلس رجل عجوز ذونظارة ذات محيط من الصلب وملابس جد متربة على جانب الطريق .. وكانت عربات الكارو تمر فوق المجرى العميق بمساعدة الجنود الذين كانوا يدفعون اسنة عجلها دفعا . وسرعان ما كانت عربات الشحن تجرى وتختفى ، اما عربات للبغال فقد كانت تسير بصعوبة وسط ذلك التراب الذى يصل الى مفاصل سيقان البغال .. اما الرجل العجوز فما يزال يقبع هناك بلا حس ولا حركة وكان يبدو ان التعب قد اخذ منه ماخذه حتى ليبدو عليه انه لا يستطيع ان يخطو خطوة اكثر من هذا.

وكان على ان اعبر الكوبرى واراقب الجوانب الخافية فيه واقدر الى اى حد وصل العدد فى تقدمه .. وقد فعلت هذا ثم عدت عبر الجسر .. ليس هناك الان عربات كثيرة وانما كان هناك قلة من الناس فقط ، هى التى تعبر الكوبرى سيرا على الاقدام .. ولكن الرجل العجوز ما زال يجلس هناك .. بادرته بالسؤال :

— من اين اتيت ؟

قال وهو يبتسم : من سنت كارلو .. وبدا انها مدينته الاصلية لانه عندما مر ذكرها سرى فيه شعور السعادة فابتسم

قال متخذا سمة الشارح . لقد كنت ارعى الحيوانات ..

— ياه .. قلتها وانا غير فاهم ..

فقال : نعم — لقد كنت باقيا — الا تفهمنى — لكى ارعى الحيوانات .. لقد كنت آخر من ترك سنت كارلو .

لم يكن يشبه رعيان الماشية ولارعيان الغنم .. وتطلعت الى ملابسه السوداء المتربة ووجهه الاصفر الذى يعلوه التراب وعويناته ذات الجوانب الصلب وقلت .

— اية حيوانات كانت هى ؟

قال : حيوانات مختلفة .. ثم هز راسه وقال :

— كان من المحتم على تركها .. وكنت

الاحظ الكوبرى وجانب دلتا نهر الابرو الذى يشرف على القارة الافريقيـــة .. مقدرا مبلغ بعد العـــدو من مرآنا الان ، ومنصتا الى اول ضجة يحـــدثها ذلك الصـــوت الفامض وذلك الحدث الذى يسمى الالتحام .. ومازال الرجل العجوز متربعا هناك .. وسألته :

اية حيوانات كانت هى ؟ ..

قال شارحا :

كان هناك ثلاث حيوانات بعضها مع بعض . كانت هناك معـــزيان وقطة .. وكان هناك ايضا اربع اجواز من الحمام .. سالته : كاان من المحتم عليك تركها ؟

ـ نعم من اجـــل المدفعية .. امـــرنى القائد ان ارحل من اجل المدفعية ؟

.. سالته : اكان من المحتم عليك تركها ؟

ـ حيث كانت العـــربات المتأخرة القليلة تسرع تحت منحدر النهر .. اليست لك عائلة ؟ ..

قال : لا ـ الا الحيوانات ـ لقد ذكرت لك الحقيقة .. ستكون القطة على مايرام طبعا .. انها تستطيع ان ترعى نفســـها ولكنى لا استطيع ان اقرر ماذا سوف يحدث بالنسبة للاخرين .

سألته : الى اى حزب سياسى تنتمى ؟

قال : اننى اعيش بدون سياسة . انى لى من العمر ســـتة وسبعين عاما وقد قطعت الان عشرين كيلو مترا .. واظن انه ليس فى استطاعتى البتة التقدم الى ابعد من ذلك . .

قلت : انه مكان غير ملائم لكى تتوقف عنـــده .. واذا كنت تستطيع فهناك فى اعلى الطـــريق عربات شحن تذهب الى تروتوسا ..

قال : سانتظر هنا ثم اذهب .. الى اين تذهب العربات ؟

قلت فى اتجاه برشلونة .

ـ اننى لااعرف احدا فى هذا الطريق ..

ثم قال .. ولكن شـــكرا .. شكرا مرة اخرى .

ونظر الى ببلادة وتعب وليس هناك من هو فى مثل تعبه ـ وقال .. ستكون القطة على ما يرام ـ انا متأكد ـ ولكن الاحياء الاخرى .. ماذا تعتقد عن هذه الاخرى ؟

ـ ماذا ؟ .. من المحتمل انها بخير ..

ـ هل تعتقد هذا ؟ ..

ـ لم لا .. قلتها وانا الاحظ الجسر من بعد حيث اختفت العربات الان .

ـ ولكن ماذا يعمـــلون تحت لواء المدفعية .. فى حين ان القائد سالنى ان ارحل من اجل المدفعية .

سألته : هـــل تركت حظيرة الحمـــام مفتوحة ؟

ـ نعم ..

ـ اذن سوف يطير .

ـ نعم بالتأكيد سوف يطير .. ولكن الاخـــرى .. من المستحسن ان تسىء التفكير فيها .

قلت وانا استحثـــه : اذا بقيت فانى راحل .. انهض وحاول ان تمشى الآن .

قال وهو يجر قدميـــه ويترنح من جانب لاخـــر : شكرا .. ثم جلس الى اســـفل واتكا الى الوراء فى التراب وقال ببلادة .. ولكن ليس بعيـــدا عنى . لقد كنت ارعى الحيوانات فقط ..

ولم يكن هناك عمـــل بالنسبة له .. فقد كان يوم عيد القيامة وكان الفاشيون يتقدمون تجاه الابرو وكان اليوم تتعذر فيه الرؤية حتى ان الطائرات كانت تحلق فى الجو على علو منخفض وليس مرتفعا جدا .. هذا والحقيقة ان القطة سوف ترعى نفســـها .. كانت هى كل الحظ السعيد بالنســـبة للرجل العجوز .

عبد القادر زايد

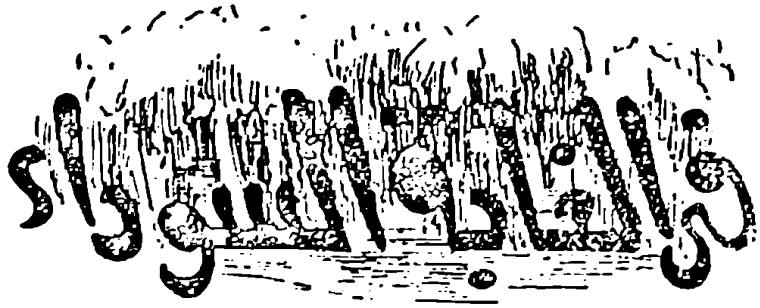

بقلم : عبد الغفار مكاوى

فى الغابة السوداء طرق لا تؤدى الى شىء ، كانها دروب فى قصر التية . طرق يعرفها الفلاحون جيدا ، ويتحاشونها فى ذهابهم وعودتهم . ولم اكن اعرف هذه الحقيقة حين توغلت فى المسير ، فى ذات يوم من ايام هذا الشتاء . تركت الفندق الذى اسكن فيه ورائى ، وليس معى غير معطفى الذى اتدثر به ، وقفازى الجلدى ومجموعة من شعر «هولدرلن» . قلت فى نفسى ان خير ما افعله ان اصل الى اعلى قمة فى هذا المكان ، فليس اجمل من ان اقرأ شاعر الوحدة وانا معه وحيد !

كانت الجبال ترتفع حولى فى كل مكان كانها جيتان رهيبة غارقة فى نومها منذ الازل ، وانا اسير بينها كالرحالة الذى تخلى عنه كل رفاقه . وكان الثلج يغمر الاشجار ، يعانق غصونها واوراقها فى حنان ، كانه نعمة بيضاء هبطت من السماء . وكلما تلفت حولى وجدت حروفا نقشت على صدره ، قلوبا وسهاما واسماء صبية وبنات .

لست ادرى كم مضى من الزمن على وانا اضرب فى الطريق المجهول ، فرحا امشى على الثلج كاننى امشى على النور . بعث البياض الناصع من حولى هذا الخيال الغريب : قلت هذه جثة معبود قديم ، مات هنا منذ زمن لا يعرفه انسان ومدد جسده فى كل مكان . فى كل عام تنسج له الطبيعة كفنا جديدا ، فى كل عام . واعجبنى اننى الكائن الوحيد الذى يتنفس هاهنا ، ويحمل فى كيانه الدفء والدم والحياة ، وفى يديه ديوانا من الشعر !

وحين وصلت الى قمة الجبل — اعلى قمة بين هذه الجبال — خيل الى كاننى ملك من الملوك التى تعيش فى خيال الاطفال . هذه جبال الثلج ترتفع من حولى كم من هاوية تمتد تحت قدمى ، رهيبة وفاجعة ومملوءة بالاسرار . فتحت ديوان الشاعر الوحيد ، ونسيت نفسى — والشعر يسرق العين والقلب والشعور — فلم اغلقه حتى تنبهت على الظلام .

كانت الشمس تجمع خيوطها الذهبية فى جانب الافق ، كانها صياد عجوز يلم شبكته . وانحدرت من على الجبل باسرع ما استطيع . كم من الوقت يا ترى يلزمنى لكى اعود الى الفندق ؟ لا شك ان الظلام سيقطع على الطريق . ووسعت خطاى ، ورحت اجرى كاننى هارب يطارده خطر مجهول . كانت انوار الفنادق المتناثرة فى الغابة كانها نجوم بعيدة قصيرة العمر ، تلمع ثم تخبو فى كل لحظة . والاشجار التى مررت عليها منذ قليل والثلج يطوقها بباقة من نور ، ترتفع الآن من حولى كأنها اشباح سود والاسماء المنقوشة على الثلج — وبينها اسمى — لم يعد لها اثر . نعم لقد جاء الظلام . وبعد قليل تطمس يداه كل شىء . والسهام المصوبة فى مطلع كل طريق .

لتهدى السائرين فى الغابة السوداء ، اصبحت افتش عنها فى كل مكان . ان وجدت احدها ، فكيف ارى الكتابة المنقوشة عليه ؟

بعد ساعة من السير الشاق اطبق الظلام على . ووصلت الى منعطف تذكرت اننى مررت به فى طريقى الى الجبل . قلت يا ترى هل انعطف الى اليمين اوالى اليسار ؟ ورحت افتش عن علامة الطريق كان كل شيء قد امحى ، غرق فى بحر اسود . قربت يدى الى وجهى فلم اكد اميزهما . رفعت بصرى الى السماء فلمحت القمر يتقد بين اكوام من السحب كانه مصباح فى قارب صغير ، تائه فى محيط معتم ، من الوحدة والظلام ويولد الموت والعدم . وطافت بذهنى قصة الطلاب السبعة الذين تاهوا فى الصباح . ونظرت الى ديوان الشعر فى يدى نظرة عتاب : اهكذا يا شاعر الوحدة والعذاب :

وتلفت ابحث عن فندق اقضى فيه ليلتى . لاشك ان الوصول الى الفندق الذى اسكن فيه ابعد من المحال . كانت الانوار تبدو من بعيد ثم تختفى ، كانها مصابيح صغيرة يعبث بها طفل صغير . وكان بعضها يأتى من مرتفع بعيد وبعضها كانه يستقر فى قعر الهاوية . ويممت وجهى نحو واحد منها خيل الى انه اوضحها واقربها الى . لن اقول شيئا عما وجدته وانا اعبر الطريق اليه . اغمضت عينى وسرت كاننى «برومیثیوس» يخترق دروب العالم السفلى !

ما كان اسعدنى حين لاح البناء امام عينى . بيت حقيقى ، بناه انسان ، وله باب استطيع ان اطرقه . ترى ما الذى يختفى وراء هذا الباب ؟ اى وجه سيطالعنى منه ؟ اى مأساة ولدت وعاشت بين جدرانه ؟ او اى ملهاة ؟ لا شك اننى سأحقق الليلة حلما يراودنى منذ زمن طويل . فكم من باب مررت به ، فى المدينة وفى القرية ، فى الجبل والسهل ، تمنيت لو فتحته يد سحرية ، ودعتنى الى الدخول ، وروت لى القصة التى ظلت تنسج خيطها وراء جدرانه عاما بعد عام كل نافذة . كل باب . كل جدار . اخترقته عينى ، وتمنت لو تعرف السر المختفى وراءه ، لتحيله بعد قليل سطورا على الورق !

واتضح البناء امام عينى . خرج من الظلمة فجاة فوجدته يقف امامى . كان بيتا صغيرا ، يحيط به سور خشبى ، وترتفع من مدخنته خيوط من الدخان ، استطعت ان اتبينها على اشعة النور الدقيقة التى تتسلل من النافذة . وفتحت باب السور فى حذر . وسرت خطوات على الاوراق الجافة الملقاة على الارض حتى وصلت الى عتبة الباب . ولم اكد اضع قدمى عليها حتى نبح كلب . اغمضت عينى وتنفست فى هدوء . حيث يوجد الكلب يوجد الانسان ! وطرقت الباب . واقبلت اقدام خفيفة تجرى ، واحسست بأنفاس تتردد قريبة منى . واختفى النور من النافذة . وسمعت صوتا يقول : « سلطان . . تعال هنا ! وعوى الكلب عواء خفيفا . وعوى الباب وهو يفتح . واطل وجه عجوز ، يكشف بمعالمه مصباح زيتى يحمله صاحبه فى يده ، وتبينت رأس كلب تمتد لتتعرف على القادم الغريب . من هناك ؟ وظل الباب مواربا . فتح البا ب . واقترب المصباح من وجهى .

— مساء الخير ياسيدى .

— مساء الخير . .

وقبل ان يسالنى الوجه العجوز عما اريده انطلقت اقول :

— انا غريب هنا ياسيدى . اقبل الليل على وتهت فى الغابة . هل استطيع ان اقضى الليلة عندكم ؟

وقبل ان يجيبنى سمعت صوتا انثويا من داخل البيت : من يا ادوارد ؟

والتفت الرجل العجوز وراءه وهتف : اوه ! اسكتى انت يامارينا !

ثم قال : تفضل . تفضل . سلطان ! لا تخف منه . انه كلب عجوز وطيب . ثم انه مريض لا يستطيع ان يؤذى نملة . تفضل !

وعوى الكلب عواء مكتوما . نظر فى وجهى لحظة كانه كان ينتظر انسانا يعرفه ، فلما انكرنى خفض رأسه ، واقعى على باب الغرفة .

واقبلت امراة عجوز حدقت فى وجهى ثم التفتت الى زوجها قائلة :

— من يا ادوارد ؟ !

قلت : مساء الخير يا سيدتى .

ويبدو انها لم تسمع . فقد اقترب ادوارد من اذنها وقال فى صوت مرتفع : السيد يقول انه غريب هنا . وقد تاه فى الغابة (ثم التفت الى) :

نعم يا سيدى . الغابة سوداء خطرة جدا . خاصة فى الشتاء . تفضل هنا . قريبا من المدفأة . هذه زوجتى ماريا .

ومددت يدى فسلمت على اليد النحيلة التى امتدت نحوى .

— اما انا فاسمى ادوارد . الجو بارد فى الخارج . اليس كذلك ؟

قلت : يظهر ان العاصفة ستهب الليلة

قال : نعم . نعم . الغابة السوداء خطيرة جدا . وكم تاه فيها شبان مثلك . مساكين . طرقوا هذا الباب ايضا وباتوا عندنا . هل يعجبك المكان ؟

قلت : بالطبع يا سيدى .

قال : كنا نتعشى الان . هل تتفضل فتشاركنا فى الطعام . تفضل . تفضل . انه طعام متواضع . نحن فلاحون ، نعيش هنا منذ عشرين عاما . ليست حياة الفلاحين سهلة كما يتصور الناس . هل تحب كوبا من الشاى ؟

قلت : اشكرك يا سيدى .

قال : اعدى لنا الشاى يا مارى . نعم . نعم . نحن نعيش هنا منذ عشرين عاما . هل يقول السيد انه غريب هنا ؟

قلت : نعم ياسيدى . جئت فى رحلة قصيرة الى الغابة السوداء .

— لست المانيا كما اظن .

— لا يا سيدى .

— من اى البلاد ؟

— من مصر .

— آه مصر . فى الصحراء . اليس كذلك ؟

— الصحراء تمتد حولنا يا سيدى . من الشرق والغرب .

— لودفيج عاش ايضا فى الصحراء . ابنى لودفيج . هذه هى صورته .

التفت انظر الى الصورة المعلقة على الحائط . كانت لشاب فى ملابس جندى . واسع العينين ، دقيق الشفتين ، تكسو وجهه مسحة من الحزن والتأمل .

قلت : ربما تاخر فى المدينة ياسيدى . لا شك انه سيعود بعد قليل .

واشار بيده قائلا : لا تتعب نفسك . انه لن يعود ابدا .

اردت ان اقول شيئا لاوجه الحديث وجهة اخرى حين سمعته يقول :

— كثيرون ماتوا فى هذه الحرب . شباب مثل لودفيج . هل عرفتم الحرب ايضا يا سيد ؟ لقد مات ابنى فى العلمين .

قلت : نعم ياسيدى . على حدودنا .

واقبل الكلب فنظر فى وجهى لحظة ثم مسح راسه فى ثياب صاحبه واقعى عند قدميه .

ـ هذا هو سلطان . ابنى سماه سلطان . هل تدرى لماذا ؟

قلت ـ ربما كان يقرأ كثيرا عن الشرق

قال : نعم . كان لودفيج يقرأ كتبا كثيرة . هذا الدولاب كله ملآن بالكتب . قراها جميعا . وحين عثر على هذا الكلب قال سنسميه سلطان يا أبى .

قلت ولم هذا الاسم الغريب يالودفيج

قال لان حكايته موجودة عند الاخوة « جريم » . هل تدرى من الاخوة جريم؟

قلت : اظن انهما الفا مجموعة من اساطير الاطفال .

قال : تماما . وقد روى لى لودفيج حكاية سلطان كما جاءت فى هذه الاساطير ... ضع قطعة من الزبد على هذه اللقمة . تفضل . تفضل . كان سلطان كلباعجوزا يعيش عند فلاح عجوز وزوجته . مثلى أنا وماريا . واراد الرجل أن يتخلص من الكلب العجوز بعد ان مرض وتساقطت اسنانه ـ أنا لا يمكن ان أفكر فى هذا يا سيدى ها ! ها !

وقال الفلاح لزوجته انه سيقتل سلطان فى الصباح . وسمع الكلب ما قاله فحزن حزنا شديدا . وذهب الى صديقه الذئب ليشير عليه ماذا يفعل .

قال له الذئب : حين يقتادك صاحبك الى الغابة فى الصباح ومعه امراته وطفلهما ، فسوف انقذك من الموت . قال له سلطان وماذا تنوى أن تفعل ؟ قال له الذئب : ستترك المراة طفلها عند الشجرة عندئذ اهجم انا عليه وآخذه بين اسنانى قال سلطان : لا ! لا تفعل ! اننى احب صاحبى واحب الطفل . قال الذئب : انتظر . ستجرى انت ورائى . وساترك لك الطفل فتعود به الى أمه . عندئذيرق قلبهما لك . ويعطف الفلاح عليك فلايقتلك .

قطعة أخرى من الخبز؟

قلت : أشكرك ياسيدى . وماذا حدث بعد ذلك ؟

قال : آه ! نعم . ان سلطان ايضا قد اصبح عجوزا . تساقطت اسنانه ولم يعد يصلح للحراسة . ولكن هل تدرى من الذى خطف لودفيج ؟ لم يخطفه الذئب . خطفته الحرب . الحرب ذئب كبير يا سيدى . يخطف جميع الاطفال . ويترك العجائز . مثلى ومثل ماريا وحدهم بلا أطفال . ان سلطان كلب مخلص . لم ينس فيلهلم ابدا . انظر . لودفيج ! لودفيج !

واشراب الكلب العجوز ورفع اذنيه . وقف لحظة يحدق فى الباب ويهز ذيله وينتظر . ولما لم يولد من الصمت العميق صوت خفض راسه ، وعوى عواء مكتوما واقعى الى جانب صاحبه .

قال الرجل وهو يتحسس الكتاب الذى وضعته على المائدة : هذا ايضا كتاب اساطير . اليس كذلك ؟

قلت : انه ديوان شعر .

قال : آه ! شعر ! لودفيج ايضا كان شاعرا . طالما جلس فى مكانك واخذ يكتب ويكتب . الليل باكمله . الاتنام يالودفيج؟ ـ اننى اكتب قصيدة جديدة يا ابى . اردت ان اجعل منه مهندسا أو معلما ولكنه كان يقول لى : ان من يولد فى الغابة السوداء يصبح شاعرا يا ابى . القدر اراد لى هذا .

كان ولدا مرحا لا يكف عن الضحك : وكم دخل من هذا الباب وهو يهتف : انظر يا ابى ! هذه هى قصيدتى . مكتوبة بحروف المطبعة . سيقراها اليوم عشرون الفا . سيقولون ولد اليوم ... ماهو اسم ذلك الشاعر يا ماريا ؟ اكبر الشعراء عندنا ؟

قلت : هل تقصد جوته يا سيدى ؟

قال : آه ! نعم ! سيقولون اليوم ولد جوته الجديد ! وذات يوم كتب قصيدة يلعن فيها الحرب . نعم . كان يكره الحرب ويقول دائما لم الحرب ؟ لم الحرب ؟

هل تنبت الحرب زهرة جديدة ؟
الحرب تحرق كل الزهور .
لم الحرب ؟
هل تداوى الحرب طفلا مريضا ؟
الحرب تقتل كل الاطفال . .
لم الحرب ؟ لم الحرب ؟

ونشرت القصيدة فى الجريدةالمحلية. وجاء الجستابو الى هنا . ثلاثة جنود كالاشجار العالية . فتحت لهم الباب فسألونى : يا هر ادوارد . اين ابنك ؟

قلت تفضلوا ايها السادة . ماذاتريدون من لودفيج ؟ قالوا عندنا امر بان نكسر قلمه ونقبض عليه ! قلت انه فى المدينة . لم يعد بعد . ولم يعد لودفيج حتى الان.

قلت : وماذا حدث يا سيدى ؟

قال : وماذا تنتظر ان يحدث ؟ قبضوا عليه فى المدينة . وبلغنى بعد ذلك انهم حكموا عليه بالسجن . ثم وصلنى منه خطاب يقول فيه انهم رافوا به لصفر سنه وارسلوه الى الميدان . الى «الالمين» . هل سمعت الراديو عندنا ؟

قلت : بالطبع يا سيدى . وماذا فى هذا ؟

قال : اقصد هل سمعت الاغنية التى يطلبها الناس دائما ؟ اغنية الجنود العائدين من الصحراء ؟

قلت : لا اذكر يا سيدى تماما .

ورفع الرجل صوته وراح يغنى . كان صوته خشنا مبحوحا وحزينا :

فى رمال الصحراء المحرقة
بعيدا بعيدا عن ارض الوطن
لا تحية ولا قلب
لا قبلة ولا فرحة
كل شىء بعيد بعيد !
هناك حيث تزدهر الورود
هناك حيث تخضر الوديان
كنت ذات يوم فى بيتى
وكان وطنى هناك .
كل شىء بعيد بعيد
هناك حيث تزدهر الورود

وسمعنا من الداخل صوتا غاضبا يزمجر : ادوارد ! ادوارد ! الا استطيع ان أصلى للعذراء !

والتفت الرجل الى قائلا : هذه ماريا مسكينة . هل ترجع الصلاة ولدنا ؟

ثم انطلق يغنى :
كنت ذات يوم فى بيتى
وكان وطنى هناك
حيث تزدهر الورود

يقولون انهم لا يعرفون مؤلفها . انه جندى مجهول . اما انا فعلى يقين من انه هو الذى كتبها . ابنى لودفيج . مسكين !

لا بد انه عطش ، وجاع ، ونزف دمه فوق الرمال الساخنة . ان ماريا تصلى كل يوم . نعم يا سيدى ! زوجتى تقية جدا . كل احد نهبط معا الى المدينة . تذهب هى الى الكنيسة لتصلى . وانتظرها فى الحانة فاشرب كاسين على روح ولدى . هاها ! لا شك انك ستقول اننى كافر ! لا يا سيدى ! ولكن هل تعيد الصلاة ولدى ؟ هل تعيد الصلاة ؟ ان

ماريا كلما رات تمثالا ليسوع ركعت على الارض . كلما شاهدت صورة للعذراء قبلتها ورسمت علامة الصليب . كانت تصلى لكى لا يأخذوا لودفيج الى الحرب . ولكنهم اخذوه . اليس الافضل اذن ان نشرب وننسى ؟ !

قلت : لا ادرى يا سيدى . لا يدرى الانسان ما هو الافضل ابدا .

قال الرجل وهو يسحب « سلطان» من سلسلته : معذرة . لقد اطلت عليك .

تقدم الليل . نسيت نفسى فى الحديث . يمكنك ان تنام على هذه الاريكة . معذرة . ولكننا لا نملك سريرا ثانيا . مساء الخير يا سيدى . نم فى امان .

قلت : مساء الخير يا سيدى .

وتمددت على الاريكة واغمضت عينى . كنت من التعب كأننى ادور فى دوامة . ويظهر اننى اغفيت قليلا ثم صحوت على شىء مجهول . صوت ضعيف كأنه طفل صغير تسلل من الغرفة المجاورة ولمسنى لمسا رقيقا . تبينت منه كلمات متقطعة : « ايتها العذراء المقدسة . . ان كان لودفيج لا يزال حيا فأعيديه الى . يا أم يسوع المحبوب . وان كان قد ذهب الى الابد فلا تعيدى الحرب مرة اخرى . انت تعرفين قلوب الامهات . يا ابتها الام المقدسة . آمين .

فتحت عينى . واستطعت ان اتبين الوجه المعلق على الحائط . تطالعنى منه العينان الحزينتان الواسعتان .

وهمست : آمين !

حلم ضائع

قالت وقد ضاءت بعينيها حقول الزهر
حسبى الآن انى قد ولدت
وتلفعت بسواعدى . . وتمرغت . .
وتشممت عطرى وناغت : بل وجدت
انا لم اكن من قبل ان القاى . .
يا اسفا على عمر عمرت وما اردت
كانت خطاى هزيلة مرعوشة
تمضى بلا ظل . . بلا دفء . . بردت
وتقلصت فى الحياة . . تجمدت . .
ومضت خطاى على الجليد الى الجليد
وحدى ويسلمنى الصقيع الى الصقيع
ولا جديد مع الجليد . . ولا جديد
كادت خطاى تضيع . . كدت اضيع
لولا ان اسر القيد خدره الصديد
وافقت ابحث فى الظلام عن الحياة . .
عن الضياء . . وعنك يا حبى السعيد
فاذا على البعد البعيد وراء اودية النجوم
اراك تفترس السماء
وتصب من نهر الحياة على النجوم لترتوى
وتفيض لى هذا الضياء
واذا انا اتعلق الاضواء . . ارتاد السماء اليك
تاركة على الارض المساء .
هل تستريح الى ؟ !
وانسابت على صدرى . .
وشع بناظريها ما تشاء
من روعة الحلم المذوب فى ينابيع المنى
وسخت . . فالقيت انا . .

« البقية على ص ٢٩٨ »

صلاح جاهين فى « القمر والطين »

لم يكن للشعر الشعبى « الزجل » قديما مكانة لائقة تقربه كثيرا من اذهان الناس بقدر ما كان لالوان الادب الاخرى اذ كانت نظرة الناس للكلمات الشعبية العادية المنظومة ضيقة ومحدودة للغاية لا تتعدى الاعجاب المؤقت الذى يزول اثره سريعا .. ورغم التصاق هذا الفن بحياة الناس وارتباطه بهم ارتباطا وثيقا ـ فقد كان تعبيرا صادقا عن وجدان الشعب ـ الا ان الشعر « الفصيح » كان اللون السائد لدى الجمهرة برغم ابتعاده غالبا عن واقع الفئات الشعبية العظمى من المجتمع خلال فترات التاريخ .. اذ كان مجاله ينحصر فى تمجيد الطبقة الفنية والتغنى ببطولات افرادها . . ولم يكن الشاعر القديم يجد حرجا فى تزييف الواقع باطلاق صفات عجيبة باهرة على الممدوح حتى يحظى منه بالكسب الوفير .. وكان الشعر الشعبى وحده مجهول المؤلف ولذا فقد ظل مجهولا عن الناس ايضا .. وقد اتاح له القدر اخيرا فرصة جميلة بان وهبه رجالا مخلصين حملوا على اعناقهم امانة تطويره وتنقيته .. وبلورة معانيه وخلق شخصية جادة له مسايرة لاحداث الواقع وقضايا المجتمع وكان .. بيرم التونسى ـ رحمه الله ـ اكبر من تحمل كل هذه التبعات .. فقد حمل لواء الشعر الشعبى فترة من التاريخ واضفى عليه من احساسه المرهف وموهبته الفذة الفريدة الكثير من الابداع والنضج والعمق .. فبعثه بذلك بعثا جديدا ورسم معالمه وحددها فى براعة واخلاص .. وجاء دور صلاح جاهين ـ بعد بيرم ـ وكان من الادوار البالغة الاهمية .. فقد طور المفهوم العام للشعر الشعبى وخلق له وجها ناصعا يشع بالدفء والاحساس وقوة الحركة والايقاع واضفى عليه ظلالا جديدة واضحة بعثت فى اوصاله الحياة .

وتبدو مقدرة جاهين فى اختيار الكلمات ذات الايحاءات الفنية الرحبة .. والايقاع المنغم المتدفق فى يسر وسهولة .. والصور العميقة ذات النفاذ السريع .. ومن اساليب الواحدة ـ تماما كالقصيدة الجديدة ـ وكانت جراة جاهين فى انه خرج عن القالب الموروث واصبح كل بيت فى القصيدة الواحدة يقوم على عدد من التفصيلات التى قد تطول او تقصر حسب المعنى الذى يريده الشاعر .. ومن اساليب التجديد ايضا ادخال مواضيع جديدة لم تكن لها مكانة فى هذا الفن رغم ارتباطها الوثيق به فمثلا فى اغنيته « البيانولا » نراه ينهج نهجا جديدا فى ادخال عناصر شعبية فازجة مزدحمة بالمعانى والدلالات العميقة فيصور الجو الخارجى والداخلى لرجل الشارع فى المدينة والذى يحمل على ظهره صندوق الموسيقى الكبير ويديره امام المحلات والعمارات ـ تماما كما يفعل المداحون فى القرى .

والجو الخارجى هو ابراز الحركة والنغمة المالوفتين لدى هؤلاء الناس .. حتى اننا نحس بالايقاع الراقص الخفيف فى نفوسنا .. واما الجو الداخلى فهو ابراز نفسية رجل الشارع هذا وتوضيح احاسيسه المعيقة .. فالقصيدة تقول ص ١٣٨ :

انا دبت وجزمتى ونعلها داب
من كتر التدوير ع الاحباب
يا سلملم لو اعتر فى حبيب
ده انا ارقص من كتر الاعجاب
كدهه .. كدهه .. كدهه

انا قلبي مزيكة .. بمفاتيح
من لمسة يغنى لك تفاريح
مع انى مافطرتش وجعان
ومعذب ومتيم وجرايح
باتنطط واتعفرت واترقص كدهه

وفى اغنية « رقص الفوازى » تعتبر محاولة جاهين فيها تجربة جديدة تستحق الاعجاب فقد نجح فى تصوير جو الافراح فى الريف ، ونسق الاغنيات التى يرددها الفتيات فى القرية .. واضفى عليها من احساسه الفنى المتدفق ايقاعا جميلا مناسبا تماما لهذا الجو حتى تدرك اخيرا ان جاهين يتزجم الرقصات الى كلمات نابضة حية :

يا ابن الناس الفلابة
فرحك فى شهر بابة
انده لابوك وجيبه
يحضر ساعة الكتابة
اصل اللى ابوه يسيبه
تطمع فيه الديابة ..

ثم يقول فيها ايضا :

ناسك يا واد قواى
أورث وهات ميراثك
اشترى سكر وشاى
يا ابن الناس الفناى

وعندما يعرض لنا جاهين احاسيس البنت الصغيرة التى تقف مترددة على ابواب الحب .. ينجح فى تصوير الجو النفسى المشحون بالعواطف والنزعات المصطرعة فى اعماقها .. من الاقدام والتردد والاوهام الجاثمة والامال الفامضة المبهمة .. والاحزان الصغيرة التى تتولد فى نفوس العذارى .. فيقول فى « اغنية البنت ام ضفيرة ص ٤٠ »

امى قالت لى : حسك عينك .. قلبك اوعيله
ضمى على قلبك دراعينك . . لا الحب يجيله
مرت نسمة قوية شوية
فيها قسوة على حنية
اعمل ايه فيك انت وهيا
حتة انا متوصية
لا اكلم حد
هزار ولا جد
وطول السكة امشى يمد
فاهم .. ؟
آه ..

ويقول ايضا فى اغنيته « عصفورة ص ٤٢ » فى نفس هذا المعنى :

انا شفت عيون حلوة ومبتسمة
آتاريها عيون قادرة ومتحكمة
يا حبيبى امانة عليك قلبى وروحى
انا لسه يا دوب عدى اول سلمة

فالفن عند صلاح جاهين هو معاناة حادة للتوغل فى بواطن الاشياء ووجدان الناس .. وابراز الحقيقة الكامنة فى صورة موحية الدلالات بما يضيفه عليها من ظلال وتلوين وخيال .

فصلاح من فناينا القلائل الذين يؤمنون بقدسية الكلمة ـ هذا عدا جولاته فى الرسم ايضا ـ .

والفن يجرى فى دمه . . ويسرى فى عروقه سريانا متواصلا .. دافئا وقويا ـ

الفن عندى هو حياتى
سفر يوماتى
سهر ليلاتى

واما عن الصور التى يحفل بها ديوانه « القمر والطين » فهذا مما لايسهل عده فقد خلق جاهين لهذا اللون روحا جديدة فضفاضة بادخال العنـــاصر الجريئة المستحدثة فيه .. والصورة فى .. شعر جاهين لاتقل عمقا عما نقرأ فى شـــعرنا الحديث « الفصيح » ان لم تكن تتفوق عليه لانه يختار لها الالفاظ الرحبـــة والموضوعات الحية والاجواء المناســـبة والخيال الواسع الناضج .. انظـر الى قصيدته « اغنية الى ذكرى صديق ص ١٤ »

الشعر شارد فى الجبل منى ..
عملت انا هجان ورحت وراه
قلبى دليلى يطير .. ويغنى
عصفور جناحه بدمه متحنى
لففنى .. لففنى الجبل ولا تاه

وتنساب الافكار فى حـــدة وعمق وصراحة تتخذ لها مجـــرى مزدحما بالصور والظلال فيقول فى نهايتها :

يا عندليب ع المشنقة عشـه
عافر مع الجـــلاد قام هشـــه
علشـــان يروق انجـــو لافعاله
يقتل ويعمـــــل كل ما بداله
يهبش فى ورد الحب ويحشـــه

وفى الحق ان صـــلاح جاهين يعتبر تلميذا لبيرم التونسى .. ولكنه امتداد خلق واع .. لا تنقصه الحصافـــة ولا النظرة التاملية العميقة التى هى اشبه بعدسة المنظار فتوضح ما نعجـــز عن رؤيته باعيننا .. واخشى ان تغـــرينى عذوبة اغانيه وسحـــرها فى الاطالة فى الوصف والتدقيق المتواضع .. فاكتفى بهذا القدر .

حسن النجار

« بقية المنشور على ص ٢٩٥ »

دنياى .. احلامى .. على اقدامها
وخلعت كل مباذلك .. ومشى السنا
بى فى ذهول .. حولها ..
كانت ملاكا الهبته ضراوة الحمى .. الضنى
والرغبة الحمراء .. والكأس المضمخ بالعطور ..
بقوة النضج .. هنا
فى عينها الزرقاء .. فى بحر القداسة .
والاحاجى .. واللآلى
فى مبسم الياقوت . . حيث غريزة الطغيان
تعلن .. فى اشتهاء .. لا تبالى
فى نحرها .. هذا امير النور والابداع
يقبض قبضتين من الضلال
من فوق صدر لا اكاد امسه
حتى تصوب الى آلاف النبال
من خافقين .. لكم وددت اضيع بين الخافقين
واستريح .. انا الجريح !!
لكن ارصاد الجمال تنوشنى
وتلفنى فى شعرها الغالى المليح
شعر كأغصان الحرير تهدلت ..
وتحلقت تاجا على وجه صبيح
كالقلعة الشماء تنهض فوق تاريخ الجمال
مع الجمال .. وتستريح
يا كم بذلت لاطوى التاريخ فى حضنى
لاحمل فوق صدرى قلعته
وطويت . ثم حملت .. لكن بعد ما انسل الظلام
ولم اذوب شمعته
من بعد ما انتفض الضياء شريعـــة تغزو ..
ترانى هل أغير شرعته ؟.
وانا الذى ضلت ضلالاتى ..
وكاد الحلم يفقد فى عيونى روعته ؟ !

كامل سعفان

في الاذاعة :

أصداء أدبية

عرض (١)

لمجلة الادب ـ عدد يونيو سنة ١٩٦١

هـذا العـدد من مجلة الادب التى يصدرها الامناء يعتبر ـ الى حد كبير ـ عددا خاصا بالنقد الادبى وان لم تصرح المجلة نفسها بذلك . وليس مرد هذا الى وفرة المقالات النقدية فيه بقدر ماهو راجع الى اثارته العديد من القضايا الادبية الخطيرة التى تمس النقد والنقاد .

واول مايلفتنا فى هذا المجال هو تعريف جديد دقيق للنقد ساقه استاذنا امين الخولى ـ رئيس التحرير ـ بين ثنايا رده على بريد الادب اذ قال :

« ان واجب النقد ان يقول الكلمة المجلة ، المفسرة ، المعللة ، المبينة ، التى لابد منها لفهم الفن » .

وفى افتتاحية العدد ناقش رئيس التحرير مشكلة الواجب النقدى بين الاخلاق والقانون . فعرض لقضية الموسيقار سيد درويش وحكم القضاء فيها بأن من حق المؤرخ والناقد أن يقولا فى الخالدين كلمة الحق مهما كان وقعها أو وضعها . ثم ربط بين أحكام هذه القضية وبين أحكام الشريعة الاسلامية .. تلك الشريعة التى أساسها خلقى بحت ، فهى وان اتفقت مع القانون الوضعى فى عدم اعتبار هذا النقد الجارح جريمة ما ، الا انها ـ فضلا عن ذلك ـ عدته فضيلة وعبادة وفرضا يجب الجهر به واعلانه كلما مس ذلك مصلحة اجتماعية عامة ، بحيث ان تركه او النأى عنه هو الذى يعتبر جريمة خلقية تستوجب العقاب الصارم .

والمشكلة النقدية الثانية يثيرها رئيس التحرير ايضا فى تعليقه على النزاع الذى قام بين أحد القصاص والثنائى الادبى الذى ذكر خلال نقده لمجموعة القصاص ملاحظة عن مرضه اعتبرها تعريضا به لاعتقاده أن من اللياقة الا يخوض الناقد بقلمه فى حياة الكاتب الخاصة . وقد تناول استاذنا امين الخولى عرض هذه المشكلة فى مقال عنوانه « حفرة النار » ناقش فيه احقية النقد فى التعرض لخصوصيات الكاتب وعلاقة ذلك بحق الحرية الفردية والحرية الاجتماعية ، واثر تلك الحرية فى الحياة الفنية ، وموقف القانون والشريعة والاخلاق من كل ذلك. وانتهى الى ان من حق الناقد ان يمس خصوصيات الكاتب ما دام ذلك واجبا لفهم عوامل مؤثرة فى انتاجه الادبى ... وهى عوامل لا يصح النقد الا اذا وضحت للناقد ، ولكن يتحتم عليه فى هذا المجال

---

(١) وصل هذا العرض بعد أن تم اعداد يوليو ، ثم تلت ذلك اجازة « الادب » ـ اغسطس وستمبر ـ فكانت الفرصة الاولى لنشره هى هذا العدد

ان يتحرى الصدق والامانة فيما يعرض له فضلا عن ان يكون عرضه لهذه الخصوصيات عرضا كريما شهم انبيل الحس ، عفيف اللفظ ، مرهف الذوق .

واضح ان جميع الموضوعات التى عرضنا لها حتى الان كتبت بقلم رئيس التحرير ، ولهذا فانها تعتبر اهم ما فى المجلة . اما ما عداها فمجموعة من المقالات الضحلة والقصائد الخفيفة لاغفال من الادباء الذين اعتقد ان المجلة اعتبرتهم ناشئين مع ان هذا الوصف ينطبق على اعمالهم دون اعمارهم .

وليس لنا ان نعترض على هذا الوضع الخاص بالناشئين من حيث المبدأ . ولكن تنفيذه هو الذى يدعو الى ابداء بعض الملاحظات لا سيما فيما يتعلق بالمادة المنشورة . فالمقال الدراسي الذى اشتملت عليه المجلة يناقش مشكلة تعليم النحو من وجهة نظر متزمته تهاجم علم النفس وتثور على اسس التربية الحديثة حتى ان صاحبها ليطالب بضرورة تحفيظ اطفال المراحل الاولى القرآن الكريم وبطولات الجاهليين والعباسيين حتى ولو لم يعوا من معانيها شيئا لان الذاكرة فى اعتقاده هى التى تكون الشخصية .

ومن الامثلة اللافتة ايضا بدعة ذلك الثنائي الادبى الذى حوى هذا العدد ردا على نقد سابق له . ونحن قد نستسيغ ان يشترك اثنان او اكثر فى بحث او دراسة ادبية ، ولكننا لم نسمع ان شاعرين اشتركا فى كتابة قصيدة واحدة او اديبين اخرجا مسرحية او قصة عن طريق المشاركة .

ولهذا فاننا لا نكاد نصدق ان يشترك اثنان فى عمل نقدى واحد لان مجرد التفكير فى ذلك يعتبر اهدارا لاهم مقوم من مقومات النقد الادبى وهو الابداع وطبيعة الخلق الفنى . فالناقد الذى يقوم بتفسير شخص فنان كما تظهر نتاجه ، وتفسير هذا الانتاج بوصفه تعبيرا عن الفنان انما يتناول فى عمله هذا الحياة نفسها تماما كما صنع الشاعر او القصاص الذى كان نتاجه مادة لدراسة الناقد .

ولعل منشأ هذه البدعة هو ذلك الاعتقاد الخاطىء بان النقد الادبى ان هو الا عمل حكمى يقوم على فرض وجود مستويات ثابتة ينشأ الادب على اساسها ويقاس بحسابها . ولقد ثبت فساد هذا الادعاء لعدم وجود تلك المستويات الثابتة حتى فى النقد العلمى التجريبى ، بل ولاستحالة امكان قيام قاعدة نقدية محققة ودائمة ، لان الادب بوصفه تعبيرا عن وجدان المتفنن يعتبر ثمرة للتطور المستمر ونتاجا تتمثل فيه الفروق الفردية بين الاشخاص . فعجيب ان يوافق استاذنا امين الخولى على هذه البدعة رغم انه اول من علمنا هذا الذى نقول .

ولعل اخشى ما نخشاه هو ظن البعض ان موقف مجلة الادب من الناشئين انما نتج عن حاجتها اليهم فى تدبيج صفحاتها . ولهذا فاننا نسارع الى نفى هذا الخاطر بكل قوة لا سيما بعد المقالين الطويلين اللذين احتواهما هذا العدد فى شرح قضية الناشئين ووجهة نظر المجلة فيها .

ومع ذلك فاننا نتساءل مع الكثيرين من القراء :

« هل من المعقول ان يقصد شخص الى حانوت فاكهى ليبتاع فج الثمار بينما دكان جاره حافلة بالناضج من اطايبها ؟.. لست ادرى » .

محمود ذهنى

تعقيب

هى الامانة .. عندها التقينا ، واليها نحتكم ...

انه لتطبيق لمبادىء الامناء ، وتحقيق لاهدافهم أن ينقد بعضهم بعضا ، وتلك خلتهم منذ العدد الاول من الادب ـ مارس سنة ١٩٥٦ ـ صفحة ٧٦ ، ٨٧ ، وهذه واحدة من مظاهر ايمانهم الفنى بالنقد ، نعقب عليها تعقيبا مركزا محدودا ، لا ينشر به الكلام ، ولا يطول الخلاف . وموضع الملاحظة حقائق مادية منها :

ا ـ اختلاف العنوان عما تحته ! ! اذ هو : عرض مجلة الادب .. عدد يونيو .. وليس العرض للادب بل لنصفها أو أقل من للنصف .. وليس عرضنا لعدد يونيو بل ثلثه أو قريب منه عن مسألة سابقة فى عدد مايو ـ عرض الدكتور ذهنى للمقالات فقط .. ومع ذلك لم يشر الى مقال طويل عن تصحيح منهج التحقيق ، وقواعد ذلك المنهج .. وعرض الشعر بانه قصائد خفيفة ،مع أن فيها قصيدة انجليزية لكبلنج ، ليست ـ فيما يظن ـ خفيفة ولم يعرض القصص ، مع أن فيها قصة مترجمة عن الصينية مباشرة ، وهذا الادب الشرقى ، عن هذا الطريق جدير بالعناية . . ولم يعرض النقد الخاص ،مع أنه تناول متوسع لاحسان عبدالقدوس ، وتفسير نفسى لقصصه .. ولم يعرض الاصداء مع ان فيها مقالا لاديب مرموق يدافع عن وجهة نظر ، تستحق النظر ، . وهكذا عرض ما هو أقل ـ عدد صحف ـ من نصف المجلة .

واستاثر حديثه عن بدعة الثنائى الادبى بأكثر من ٢٧ ٪ من عرضه مع أنها لم تكن فى عدد يونية من الادب بل فى عدد مايو ، وورد ذكرها باشارة عارضة فقط فى عدد يونيو .

ب ـ تتبع غير دقيق ، فى قوله : مجموعة من المقالات الضحلة .. لاغفال من الادباء .. ولايبقى بعد ما ذكره من المقالات ، وماتركه اكثر من مقال للاديب : صبحى الجيار ، عن تعرض الناقد لشخصيات الكاتب .. وليس الكاتب من الاغفال ، ولا هو من الناشئين فى اعمالهم ، دون اعمارهم ، كما يقول الدكتور ذهنى ! !

وأما موقف الادب من الناشئين والمغمورين ، وما تعده من ذلك واجبا فللحديث عنه مكان آخر ، فى هذا العدد .

ح ـ دعوى بلا دليل .. بل عكسها هو المكتوب : فهو يقول عن مقال ((اخطاء تدريس النحو انه مدرسى ، وهو بطبيعته منهجى أكاديمى ، لكن الذى يعنينا هو الدعوى على صاحبه انه يطالب بضرورة تحفيظ الاطفال القرآن الكريم وبطولات الجاهليين والعباسيين حتى ولو لم يعوا من معانيها شيئا ! ! وليس فى المقال أى شىء من هذا ، بل فيه عكسه تماما ، اذ هو ينقد طريقة القدماء فى الحفظ ، ويقول ان

الكثيرين ممن خرجتهم طريقة القدماء فى الحفظ يصدق عليهم قوله تعالى : كمثل الحمار يحمل اسفارا ـ ص ١٤٤ ـ كما يبين مراده بالحفظ وانه تكرار المفهوم ويقول : فهذه الاستعادة المتكررة (للمفهوم) هى التى اعنيها (بالحفظ) ـ ص ١٤٦ س ٣٠ ـ ويضع كلمتى ((المفهوم)) و ((الحفظ)) بين قوسين واضحين ، كما انه يطلب تكرار المفهوم فى العلم لا فى القرآن ولا بطولات الجاهليين و ... الخ ، ويقول بالنص : ((فالواجب ان نملأ هذا الاناء بكل نافع ومفيد ، لامن العلوم والنصوص اللغوية ، بل من التجارب العلمية ذات الهدف الموجه ـ ص ١٤٤ .

د ـ انكار واقع ، عصرى حاضر : اذ يقول العارض ((فاننا لا نكاد نصدق ان يشترك اثنان فى عمل نقدى واحد)) بعد قوله : ثم نسمع ان شاعرين اشتركا فى كتابة قصيدة واحدة ،و اديبين اخرجا مسرحية او قصة عن طريق المشاركة)) ولا نحدثه عن قديم من ذلك ، بل عن حديث قريب ، سمعه الناس لعصرنا على مسرح الاوبرا قصيدة واحدة الغرض جرت اجزاؤها حوارا بين مطران وحافظ .. كما قرأ الناس ما كتبه طه والحكيم حول شهر زاد .. وفى النقد الذى هو بيت القصيد كتب العقاد والمازنى كتاب الديوان الذى قدرا ان يتم فى عشرة أجزاء ، وخرج منه جزءان ، واليه تنسب خطة نقدية ، قد تسمى مدرسة ! ! فما عدم السماع ! ! وما عدم التصديق ! !

هـ ـ استدلال خطابى يثبت عكسه بمثله : اذ يقول الدكتور ذهنى ((ومع ذلك فاننا نتساءل مع الكثيرين من القراء : هل من المعقول ان يقصد شخص الى حانوت فاكهى ليبتاع فجج الثمار ، بينما دكان جاره حافلة بالاطايب منها ؟.. لست أدرى)) .

ولا نقول مع السيد العارض ان الناشئين ثمار فجة ، لاننا ـ كما قررنا مرارا ـ نعرف الرجال بالحق ، ولا نعرف الحق بالرجال ! ، ومهمتنا فى تفجير الطاقات الفتية لا تدع مكانا لتساؤل السيد العارض ، ثم على مثال قوله الخطابى يقال : لكننا نتساءل مع الكثيرين من القراء : هل من المعقول أن يقصد شخص الى حانوت الفاكهى ليبتاع قديم الثمار ، بينما دكان جاره حافلة ((بالبشاير ، الجديدة الطريفة منها ؟!! ..)) وهذا ما سميناه استدلالا خطابيا يثبت عكسه بمثله .

واخيرا نقول : حسن وجميل ، وممتع ، ومجد على الحياة الادبية ان ينقد بعض الامناء بعضا فيقدموا المثل على طهارة النقد ، ونقاء اسلوبه .. وهو هدف من اكرم اهداف الامناء .

((الادب))

اشتراكية الاسلام

تاليف : مصطفى السباعى
تقويم : أمين الخولى

مهداة الى الاساتذة : عثمان خليل عثمان
الشيخ محمد ابو زهرة
الدكتور مصطفى كامل اسماعيل.

- ١ -

« للاسلام مثالية تدعم كل اصلاح اجتماعى ،دون ضغط »
« الاسلام فى قوالب صناعية »

١ ــ الكتاب .. والمؤلف

كتاب « اشتراكية الاسلام » للسيد الاستاذ الدكتور مصطفى حسنى السباعى ، استاذ الاحوال الشخصية ، فى كليتى الشريعة والحقوق ، ورئيس قسم الفقه الاسلامى ومذاهبه بجامعة دمشق .

كتاب نفدت نسخ طبعته الاولى فى اشهر قلائل ، واعيد طبعه ، وتلقاه السادة المقدرون ، اعضاء جائزة الدولة ، تلقيا حسنا ، وقدروه تقديرا كريما ، وهم السادة الاساتذة الذين اهدى اليهم هذا البحث .

والكتاب ، كما يقول المؤلف : يعبر عن رأى طائفة ثالثة ، وسط ، فى المجتمع الاسلامى ، تقف بين طائفة متطرفة ، لا تؤمن بصلاحية ما فى يد الامة ، من التفكير الاسلامى ، لحل مشكلات هذا المجتمع .

وطائفة ثانية متزمتة سلبية ، تؤمن ايمانا غيبيا بان فى الاسلام حلا لهذه المشكلات الاجتماعية كلها ، لكنها لا تعرف كيف يحلها .

واما هذه الفئة الثالثة ، التى جاء هذا الكتاب صورة رايها ، فتؤمن بأن فى الاسلام الحل ، وتعرف كيف تقدم هذه الحلول لتلك المشكلات ، وكل مبادئها وقوانينها ، مؤيدة بأدلة من مصادر التشريع الاسلامى ، وهى تنادى باحياء الدعوة

الى تلك المبادىء والقوانين ، بعد ان اهملها المجتمع الاسلامى امدا طويلا . فهى اقرب الى الفقهاء من اولئك المتطرفين ، المنكرين لقيمة ما فى يد الامة ـ ص ٣٧٨ وما بعدها ـ وهى صاحبة تفكير ، يعوز اولئك المتزمتين ، الذين يؤمنون بأن الحلول فى الاسلام ، ولكن لا يقدمونها ، وتضع هذه الطائفة تفكيرها الاسلامى فى ظلال مبادىء ثلاثة :

١ ـ تحقيق النصوص الاسلامية لمصالح الناس ، فى كل ما يحتاجون اليه .

٢ ـ تحقيق هذه النصوص العدالة بين الناس ، حين تتعارض مصالحهم .

٣ ـ تحقيق التطور الاجتماعى الصالح ، فى المجتمع الانسانى .

كما تقف هذه الفئة الثالثة ، من مشاكل المجتمع البشرى ، موقف من يوجب دراستها دراسة عميقة ، ويختلط بالمجتمع ، اختلاطا شاملا ، لكل فئاته ـ ص ٣٨٣ وما بعدها ـ

والذى اتصل بتاريخ الاصلاح الدينى ، فى العصور الحديثة ، بمختلف الاقطار الشرقية ، وبمصر ، والذى يذكر ما وجدت حياة مصر وتلك الاقطار ، من الجماعات الإسلامية ، التى مست الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية ، واثرت عليها تاثيرا خطيرا ، والذى يقدر مدى المعاناة التى تكابدها الحياة فى هذا العصر ، بسبب التيارات التى تغمر العالم ، بموجات من مواجهة الدين والتدين ، لها تاثيرها على حياة هذه الاجيال . . . الذى اتصل بشىء من هذا الجو كله يقدر ان كتابا ككتاب « اشتراكية الاسلام » من مؤلف فى مركز الدكتور السباعى ، ينبغى ان تؤدى فيه واجب النقد وامانته ، حسب المبادىء الاسلامية نفسها ، على ما شرحته « الادب » منها فى مناسبات كثيرة ، آخرها ما فى عدد يونيه ١٩٦١ ، ولا سيما حين تقدر « الادب » وهى لسان مدرسة الفن والحياة ، ان الكتاب يمس الحياة الوجدانية والحياة العملية مساسا مباشرا قويا ، ويحاول دفعها الى التطور والتقدم ، فى جميع ميادينها النشاطية ، والميدان الفنى ، فى تقديرنا اشد تلك الميادين حساسية ، واستجابة ، وتأثرا وتاثيرا . . ومن هنا يكون هذا التقويم لكتاب اشتراكية الاسلام ، قريبا قربا واضحا من المناطق ، التى تجول فيها « الادب » وتحقق فيها اهدافا ، ومتصل برسالتها الحيوية اتصالا ، يوجب قيامها بهذا التقويم . .

ولكل هذه الاعتبارات ، ومثلها معها يكون تقديم « الادب » لتقويم هذا الكتاب تقديرا للكتاب والمؤلف ، بقدر ما هو وفاء بالحاجة النفسية والاجتماعية للمؤلف والجمهور من النقد ، على ما تؤمن به « الادب » ايمانا راسخا . .

٢ ـ خطة النقد

وغاية التقويم ، التى نلتمسه من اجلها هى الانتهاء الى راى ، والاتفاق على حكم ، وهى غاية يبعدها بل يضيعها ما يكون فى النقد ـ غالبا ـ من انتشار القول ، وتفرق الراى ، لعدم ضبط النقاش ، بقواعده الصحيحة الدقيقة . لكنا هنا نطمع ونرجو الا يقع شىء من هذا ، لان السيد الاستاذ المؤلف ازهرى النشاة ، ازهرى النزعة ، فهو بذلك بصير بآداب البحث والمناظرة عندالقوم ، واليها يمكن الاحتكام ، فلا يقع بذلك شىء من آفة تضيع الغاية من التقويم ، والهدف من النقد ، ونرجو ان نلتزم هذه الآداب المقررة للبحث والمناظرة ، ونشير اليها عند كل مناسبة .

على ان آفة خاصة بمثل هـــذا الموضوع ذى الصلة بالدين ، وهى آفة تفســـد الامر شر افساد .. وتلك هى ترك القول ، والاهتمام بالحديث عن القائل ، واعتبار الكلام عن القائل ، فى سريرته ونيتـه ، او خلقه وسلوكه ، او خصوصياته وشخصياته هو التقويم لقوله ، والنقد لرايه ، مع ما قرر القوم واكدوا ، من وجوب معرفة الرجال بالحق ، وعدم معرفة الحق بالرجال .

وعلى ذكر هذه الآفة اذكر بقاعدة القوم فى آدابهم وهى :

ان المناظر لا مذهب له ، فاذا ما اوردت قولا ، او رددت بفكرة فليس معنى هذا انها مذهبى ومعتقدى ، ومن هنا يؤخذ بها المناظر وتلزمه فيمـا يلى من قول وراى ، او يعاب بها ويقد ، ويترك الراى والقول لهذا العيب والتشهير . .

ولعل هذه القولة السديدة تتكامل مع قولهم : ناقل الكفر ليس بكافر ، وعلى هذا لا مأخذ على ما يرد من نقد لبعض قول السيد الاستاذ السباعى مهما يكن فيه ، من صورة المخالفة لعقيدة ، او نحلته ، فلا يشتغل القارىء او المنقود بشىء من هذا عن الاصل الجوهرى ، فيخوض فى عقيدة فلان ، او دخيلته ، او اخلاصه ، وعدم اخلاصه ، وما الى ذلك مما لا علاقة له بالقول والراى ، بعد ما عرفنا من مقررات القـــوم فى ان ما يذكره المناظر ليس يؤخذ على انه مذهبه ، وعلى ان ما ينقل من كفر لا يجعله كافرا .

وعلى هذه الخطة نتقدم الى تقويم كتاب اشتراكية الاســـلام ، بادئين بالايسر والابسط فى ترق ينتهى الى بحث الفكرة والنظرية ، وهل كملت اولا ؟ وهل اثبتت اولا ؟

وبهذه الخطة المتدرجة يكون اول حديثنا عن :

٣ ــ جفوة الاسلوب

وانا ضجر بهذه الكلمة فى العنوان « جفوة » لكنها فى الحق اقل ما يمكن تعبيرا عن شعور يملك نفسى ، من اسلوب السيد المؤلف ، فى تناول الاشخاص والآراء عنـــد المخالفة ، واعتذر عن خشونة هذه الكلمة بما سيجده القارىء من وقع اسلوب الاستاذ المؤلف .

انه ــ مثلا ــ يقول فى صفحة واحدة ــ ص ٧ ــ « ونحمد الله على ان هذا الصوت المنكر الذى يدل على جهل علمى وتاريخى فاضح ، قد اخذ يخفت » .

ثم يقول « لتحويل الانظار التى جهلوها الى الجهل الذى البسوه ثوب الحقيقة » ؛ وهذا اخف من قوله ــ ص ١١ ــ عن نائب فى المجلس النيابى السورى ينكر اشتراكية الاسلام ، « فاجبته انى لاعجب من جهلك بالاسلام ، وبالاشتراكية على السواء ، فلا انت تعرف حقيقة الاشتراكية ، ولا انت تعرف شيئا عن الاسلام ؛ فالدخول معك فى نقاش حول هذا الموضوع لا يفيد » .

فلئن قبل هذا سنة ١٩٥٠ كما يقول فقد كانت تبرد حدته سنة ١٩٦١ ، فينزه عن مثله كتاب يقدم فكرة ، لكن هذا اقل نوعا من مثل عنونته ــ ص ١٥١ ــ بـ ... وان

« افتراء جاهل » . وقوله ـ ص ١٥٢ ـ فادعاء ان الاسلام اقر الاقطاع جهل يستحق الازدراء ، وتضليل يستحق ، مدعيه الخروج من زمرة التلاميذ النابهين بله ان يكون من زمرة المؤرخين الاجتماعيين »

ومثل هذا شائع يعقد فى جو الكتاب سحبا خانقة للفكر ، ناشرة الظلال السوداء على صفحاته ، مما يضعف الفكرة ولا يخدمها ابدا .

ولعل هذه الجفوة فى الاسلوب اثر لعدم الاطمئنان الى مثل قوله تعالى « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » فانها تمهد لظاهرة اخرى فى الحكم والقطع نسميها .

٤ ـ جفوة الحكم

وسيتبين بعد ان هذا التعبير . بجفاف ما يمكن ان يقال فى تقويم مثل قول السيد الاستاذ المؤلف :

١ ـ « ومن المعلوم ان فرض الزكاة بالنظام الذى جاء به الاسلام امر مبتكر لم يرد من قبل فى شريعة قط ـ ص ٢٩ ـ !! وهذا التعميم فوق الطاقة البشرية ، وهو يرد فى عبارات السيد كثيرا .

وبمثل هذا يحكم على ما وصفه من شئون اسلامية تلك الاحكام الواسعة المرسلة بمثل قوله . .

٢ ـ « ولهذا كان التكافل الاجتماعى فى اشتراكية الاسلام ، مما تميزت به هذه الاشتراكية الانسانية الاخلاقية ، عن كل اشتراكية معروفة حتى اليوم ، ولو طبقت فى مجتمعنا لكان مجتمعا مثاليا لا يدانيه فى رقيه اى مجتمع آخر » ص ١٨٥ .

كما يقول « بيما اعلن الاسلام نظامه الكامل الشامل للتكافل الاجتماعى قبل ثلاثة عشر قرنا » ص ٢١٥ .

وفى الصفحة نفسها : بل هى نزعة انسانية عميقة قبل ان ينتبه لها ضمير العالم ، وتنظيم دقيق شامل قبل ان يهتدى الى قريب منه عباقرة العالم بثلاثة عشر قرنا » .

وسنناقش هذه الاحكام فيما يلى بتوسع ، وانما نلفت هنا الى الاسلوب الخلابى المرسل بغير تحديد فى التعبير .

ومن هذا الوادى قوله عن المبادىء الاشتراكية الاسلامية انها طبقت فى العصر الاول ونجحت فى ايجاد دولة اشتراكية لم تبلغ ذروة نبلها دولة اشتراكية ما فى عصرنا الحديث » !! ص ٢٨٢ ـ ومثل هذا كثير . .

٣ ـ يقول « . . تكون اول مجتمع ـ لا فى الجزيرة العربية فحسب ـ بل فى تاريخ العالم كله . الخ » والحديث عن تاريخ العالم كله ليس من السهولة بهذه الدرجة !!

ومن هذا الوادى جزمه بان التاريخ لا يعرف ـ اذ يقول « . . من حيث نجزم ان

التاريخ لا يعرف لامة من الامم غيرنا عشرات امثالهم ـ العظماء ـ على مختلف العصور » فمختلف العصور ، وكل امة من الامم ، والتاريخ كله كثير متساهل » !!

ولا مجال لتتبع مثل هذه الاحكام التى تذكر بقول الاصوليين فى تخصيص عموم قدرة الله تعالى نفسه بالعقل فى مثل قوله « ان الله على كل شىء قدير » فيقولون ان قدرته تعالى لا تتعلق بالمستحيل فالعموم اللفظى فى « كل » مخصص بالعقل ، اذكر هذا فاذكر المثل الطيب للدقة فى الحكم .. وهـذا الانطلاق فى الاسلوب او الحكم انطلاقا متعاليا يناقضه فى التفكير النزول الى مستوى نصفه بكلمة تحت عنوان .

٥ ـ المستوى .. الهين

اى مستوى التفكير ، الذى يلتقط منه الباحث والدارس قضاياه وادلته ، فيكون فى درجة عقلية ، تبتعد او ترتفع عما لا يكون من هذا المستوى ، لان النزول عنه يهين الفكرة ، وينزلها فى عين السامع لها ، بل يحقرها ، وهو ما نفرده عن مناقشة دلالة هذه الهينات نفسها ، لانا هنا ننكر هوانها فى الدلالة . ومن ذلك مثل قول المؤلف فى صدد بيان حفظ الاسلام للحياة ، تحت ما جعل عنوانه « حق الحياة » ان من ذلك :

ـ ايجاب تغطية الاناء المكشوف ، اذا كان فيه ماء او طعام .
ـ النهى عن الشرب من فم السقاء ، خوفا من ان تكون فيه بعض الحشرات .
ـ النهى عن الاكل او الشرب او قضاء الحاجة قائما .
ـ استحباب شرب الماء على انفاس متعددة ـ ص ٦٤ ـ

فهل من هذا الافق يتحدث الى الناس من يمثل الطائفة التى تدرس مشاكل المجتمع البشرى دراسة عميقة ، وتختلط بالمجتمع اختلاطا شاملا لكل فئاته !!

وهل ينسى الدارس المخالط ان فى المجتمع فئات تطالب الدولة بتوزيع اللبن معقما ، وقد صارت تنقية ماء الشرب عندها عملا بدائيا !! وهل يقال لكثيرين امثال هؤلاء فى المجتمع ان الاكل فى البوفيه ممنوع حفظا للحياة !! لا .. لا .

وليت السيد الاستاذ لا تدركه جفوة الاسلوب فيرسل القول ذلك الارسال المسايب ويقول :

« ومن اروع ما جاء به الاسلام تاكيدا لحق الحياة وما يحفظها سقوط فرض الوضوء بالماء وانتقال الفرض الى التيمم بالتراب ، حين يكون على الماء عدو مخيف او حيوان مفترس ؛ ويمضى فى الامتنان والروعة فيبين ان ذلك التيمم يكون كذلك بديل الغسل حينما يكون امر الماء كذلك او حينما يكون استعمال الماء مضرا بالصحة ـ ص٦٦

فما اكثر عدد من فى المجتمع ممن لا يقبلون ان يقال لهم : ان مسح الوجه بالتراب تاكيد لحق الحياة وحفظ لها ..

واما ان يقال لهم : ان هذا من اروع ما جاء به الاسلام تاكيدا لحق الحياة وحفظها ؛ فهو فى الاسلوب كما ترى !! وهو فى التفكير نزول شنيع عن كل مستوى يكون فيه الكلام عن روائع الاسلام !! فانها لدعاية **من اسوأ ما يكون** للاسلام ودعاته : اذا **كان من اروع**

ما جاء به تأكيدا لحق الحياة وحفظها اعفاء الناس من استعمال الماء عند التضرر به !! اما استعمال التراب فقد زاد وعاد ..!!

ومهما يكن الامر فان وضع غطا القلة على الماء ، وغطا الحلة على الطبيخ لا يبلغ به الامر هذا التقدير .. ولا تنصر به قضية دين، ووجهة تدبير ، وخطة اصلاح اجتماعى ، مهما تهزل .. وشبيه بذلك غير قليل من مسائل لا يتسع لها المجال هنا .

ومن جرى قلمه بهذا الاكبار للبسائط لا يفهم كيف يجرى قلمه باشياء كثيرة من :

٦ ـ التقدير .. المتهاون

يلقى به عظائم الامور ، التى جهد الناس ، طوال الادهار ، فى التغلب عليها ، فاذا به يتهاون فى امرها اشد التهاون .. او يتجاهلها اعنف التجاهل ، او يبسط من امرها ابلغ التبسيط ، فمن ذلك :

ا ـ يتحدث عن حق الحرية ، فيكون ذكر الرق ، الذى هو فى التفكير الاسلامى ، وفى الحياة الاسلامية العملية قضية تحتاج الى فهم دقيق ، ودفاع حصيف .. وهى القضية التى يكتفى فيها السيد الاستاذ بقوله : ان الاسلام اباحه ، ولم يفرضه ـ ص ٧٩ ـ كأنه كان يتوقع من ختام الاديان ان يفرض الرق ويوجبه ، ويجعله اساسا من اسسه!!! ويمضى عقب ذلك ليسوغه ، بأنه من معاملة المثل بالمثل ، كأن الاسلام جاء ليبقى الدنيا على ما هى عليه مادام مبدأ المماثلة فى المعاملة هو المبرر لتدبيراته وتشريعاته .. ثم هو حين يتقدم نوعا ما ليعقب على « معاملة المثل بالمثل » بقوله : مع تضييق حدود هذه المعاملة » لا يلبث ان يضع كلمة مفردة هائلة الوقع ، اذ يصف معاملة المثل بالمثل بانها المعاملة « الضرورية » !! فيجعل مقابلة الشر بالشر اصلا ضروريا .. متهاونا بذلك فى تقدير الاثر الشنيع لجعل هذا المبدأ وجها دفاعيا عن الاسلام !!

ويبدو التهاون فى التقدير عقب هذا الكلام اكثر وضوحا ، واشر اثرا فى قوله عن الرق : ـ هو عجز الرقيق عن ممارسة حريته الانسانية حكما ، لا حقيقة ، كما يجرد بعض المواطنين المجرمين فى نظر الدولة من حقوقهم المدنية والسياسية ـ ص ٧٩ نفسها ـ فانك حين تجاوز الحديث عن هذا القياس وصحته ، لا تستطيع ان تتجاهل الشعور المرير ، من هذا التهوين للرق ، بجعله نظير عقوبة ، غير عادلة ، عفا عليها الزمن ، ثم هى جزاء جريمة غير بسيطة ، فما جريمة المحارب دفاعا عن وطنه او دينه حتى يسترقه محارب جاءه عاديا !! ويستخف بهذا الصنيع الذى يقلب الشخص والانسان شيئا ومتاعا !!

والسيد الاستاذ فى حديثه عن الحرب فى الاسلام ، وهى اصل الرق لا يزال يلقى الامر بهذا التقدير المتهاون ، فيكتفى ـ ص ٧٩ ايضا ـ بانها مشروعة فى الاسلام للدفاع عن حرية الامة فى وطنها ، وحريتها فى عقيدتها فحسب ، لا للعدوان على حرية الامم الاخرى ومقائدها » ـ

فهو بهذا التهاون فى تقدير اهمية القضية وعمقها ينسى اشياء تقرر ، وينسى اعمالا سجلت : ينسى القول المعزو للرسول عليه السلام : امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحق »

وينسى دافعا تاريخيا عن قتال المسلمين منذ اللحظة الاولى لمجاوريهم من الامم ليسلموا . . او يسترقوا . .

وينسى بجانب ذلك ان الامر منته بقوله هذا الى مالا خير فيه ، وذلك انه ان كانت الحروب الاسلامية التى استمرت اجيالا ، وبدات منذ العصر الاول ، واستمرت صوائف وشواتى كل سنة ، يقال فيها : ان كانت هذه الحروب دينية ، فقد وقع الاكراه فى الدين ، الذى انكره الاستاذ المؤلف — ص ٨١ — مقررا « انه لم يعط احد حق اكراه انسان على عقيدته » . وان كانت حروب دولة لا حروب دين فقد كانت توسعا بلاشك ، لا مجرد دفاع عن حرية الامة الاسلامية فى وطنها ، وحزيتها فى عقيدتها ، ومثل هذه الحرب التى تنتهى بالاسترقاق توقع هذه العقوبة القاسية ، الشبيهة بعقوبة حرمان المواطنين المجرمين فى نظر الدولة من حقوقهم المدنية والسياسية — كما يقول المؤلف فى تهاون — فتوقع هذه العقوبة على من لم تكن جريمته الا الدفاع عن وطنه وامته !!

وقد قلت هذا للسيد المؤلف بلسان من يريد ان يقوله ، بيانا لتهاونه فى التقدير تهاونا جعله يعتد مثل هذا دفاعا سائغا وكافيا عن قضية الرق !! والحق ان يسمع السيد القول ، دون ان يعنيه امر القائل !! كما تقرر من خطة القوم فى ادب البحث . . ولى هنا مقال فى هذا الدفاع لا يقوم على مثل هذا التهاون فى التقدير ، لكن ليس هذا مجال تقريره . .

ومن هذا التهاون فى التقدير ان الاستاذ المؤلف — ص ٧٣ — يمتن على الارقاء بان الاسلام لم يبح قتل الرقيق ، ويعد من فضل الاسلام وسمو اشتراكيته الانسانية حماية الحياة للارقاء ، فلم يبح قتل الرقيق الا اذا جنى وقتل غيره !!

ولو كان الارقاء بلائيص قديمة مكسورة لما فكر الناس فى تحطيمها ورميها بهذه السهولة ، التى يجعل بها المؤلف عدم اباحة قتل الرقيق فضلا للاسلام وسموا !!

ومن ذلك التقدير المتهاون :

ب — قوله فى تقرير الحرية الدينية فى الاسلام — ص ٨٠ — ان تلك الحرية الدينية قد قررتها اشتراكية الاسلام على اسس تكفل قيام هذه الحرية ووجودها فعلا لا دعوى : وهذه الاسس التى يعدها هى : تحرر العقل من الخرافات والاوهام ، وتحرر الانسان من سلطان التقليد ، وما طلب اليه من استعمال عقله والتامل فى خلق السموات ، واخيرا اعلان حرية الانسان فى عقيدته ، من حيث يمنع الاكراه عليها ، ونتيجة لهذا المبدا ترك غير المسلمين فلم يجبروا على تنفيذ شريعتنا فيما لهم فيه تشريع خاص . .

ويرى السيد الاستاذ هذا الكلام البعيد عن موضع الالم كافيا فى تقرير الحرية الدينية . لان الانسان قد طلب اليه التامل فى خلق السموات — تاركا ما يطلب اليه من ان يسلم او يقتل اذا كان عربيا ، او يدفع الجزية ان كان غير عربى . وتاركا ان المسلم المرتد عن اسلامه يقتل !! فهل هان هذا كله ، حين عظم امر التامل فى خلق السموات والارض فعد موصلا لحرية التدين ، وعظم ترك الذمى على شريعته العملية فعد مظهرا لحرية التدين ؟ !

هذا هو ما يدعى هنا — فى ادب — تقديرا متهاونا

ومما هو من هذا التهاون فى التقدير ، او من تجاهل مالا يقبل تجاهله من مثل الاستاذ المؤلف ، قوله :

حـ ـ وفى وسط رمال الجزيرة العربية عاشت فى الدنيا لاول مرة عاصمة دولة لا تعرف الحقد ، ولا الاستئثار ، ولا البغى ، ولا الفجور ، ولا القسوة ، ولا موت الضمير ـ ص ٣١٠ ـ يقصد بذلك جماعة المسلمين على عهد الرسول عليه السلام .

وتسمع هذه العبارات الخلابة ، الفضاضة فتثير فيك انتباهها خلصا لما كان يعانيه هذا المجتمع اذ ذاك من النفاق والمنافقين ، الذين افردت لهم سورة خاصة من القرآن ، غير الذى تفرق من حديثهم فيه ، والذين دار تاريخ العهد المدنى على تحركاتهم ، وعانت منه الدولة الاسلامية التى عاشت فى الدنيا لاول مرة ، فى وسط رمال الجزيرة العربية معاناة قاسية .

واى شيء يكون النفاق الملعون اذا لم يكن حقدا ، وقسوة ، وموت ضمير ، وانه كذلك لفجور ، وبغى ، واستئثار .. بل هو فوق ذلك كله نذالة جبانة !!

فهل يتجاهل الاستاذ المؤلف هذا كله ، وهو يرسل فى تفسح عباراته التى لم تزد فى وصفها سابقا على انها جفوة فى الحكم .

ومما التقى فيه هذا التهاون فى التقدير ، والتجاهل لما لا ينسى :

د ـ قول السيد عن الحرية العلمية فى الدولة الاسلامية ـ ص ٨٤ وما بعدها ـ ان ميدان النقاش كان الكتب والحلقات والمجالس العلمية فحسب ، لا السيف ولا السجن ، الا مرة واحدة فى تاريخنا ، ويذكر خلق القرآن وما ثار حوله . قائلا ان التاريخ يذكرها بمرارة واسف ، ثم يتعرض من بعد ذلك لما حصل فى زمن على من مقاومته لابن سبا وجماعته .. كما يذكر ما حصل فى عهد المهدى العباسى لمقاومة الزنادقة ، ثم يشير الى حالات نادرة فى العصور المتأخرة ، كما وقع لابن حزم ، ولابن تيمية .

يذكر هو نفسه هذا من المتقادم والمتأخر ، وفى الشرق والغرب ، متهاونا فى تقديره ، مقررا معه فى عباراته المتنفجة الحرية العلمية .

وهو فى هذا السياق يقول ـ ص ٨٥ ـ ولم يقع ان تدخلت الدولة ـ وخاصة فى القرون الثلاثة الاولى للهجرة ـ ضد الآراء المهاجمة للاسلام والمخالفة لتعاليمه .. الخ ، متجاهلا ان الدولة فى القرون الاولى ذبحت الجعد بن درهم تحت المنبر ، على انه اضحية النوالى ، حين ضحى الناس بالشياه ، وفعلت الدولة شبيه ذلك بالحلاج ، كما اضطهد غريبا فى الاندلس ابن رشد وأهانه ، وكل اولئك مما لا يتجاهل ، وما قاله الاستاذ المؤلف ، وما قاله التاريخ ولم يقله يجعل تقديره تقديرا متهاونا ، ويتطلب منه عرض الامر ، عرضا آخر ، ليس هنا مكان وصفه وشرحه .

واشباه هذا الذى ذكرنا من التقدير المتهاون غير قليلة فى الكتاب ، او هى كثيرة ، ويزيدها تنافرا انها تجتمع فى الكتاب مع المستوى الهين ، الذى يهول فى اشياء يسيرة كغطا القلة ، وغطا الحلة ..

ويتلو هذا التجاهل فى سوء الاثر ما يصح ان يسمى : ـ

٧ ـ الاغفال المضيع

اذ يعرض لشئون اجتماعية ، لا تزال مشكلات اليوم ، فى حياتنـــا ، فيشرئبه القارىء الى ما سيلقاه منها ، ويتتبع فى حرص ما يرد عنه فلا يبلغ من ذلك ماربا ، فمن ذلك مثلا :

١ ـ تطبيب الفقراء ، او مشكلة العلاج الآن ، يعرضها الاستاذ المؤلف عرضا منبها ، اذ يعد ما يتعلق بحفظ الصحة ـ ص ٦٥ ـ فيقول :

« جعل الشارع من مهمة الدولة تطبيب الفقراء ، وتيسير العلاج للناس ، كما سيأتى فى قوانين التكافل الاجتماعى » فننتبه لذلك ، ونمضى فنجده ـ ص ١٢٠ ـ يتحدث عن كرامة المنزلة الاجتماعية للانسان ، فيجعل من مظهرها الايجابى « عيـــادته عند المرض » فنسأل وماذا فى العلاج ؟

ثم يعرض الاستاذ المؤلف لقوانين التكافل ويسميها قوانين التكافل المعاشى ، ولا يقتنع بتسميتها التكافل الاجتماعى ، التى اصطلح عليها الغربيون ، لان هذا التكافل فى الاسلام أوسع دائرة وشمولا مما عند الغربيين ، فتلتمس ما قررته هـذه القوانين التكافلية المعاشية ـ لا الاجتماعية فقط ـ فاذا السيد الاستاذ المؤلف يعنون : ١ ـ الفئات التى تستحق التكافل ، وهى فئات تتميز بالعجز ويقول عنها : وقد وضعت لها القوانين التى تعين احكامها ـ ص ١٨٦ ـ ويسرد ذلك سردا فى عمود فترى رقم ٢ : « قانون المرضى » .. وتسأل ما هذا القانون ؟ وما مواده ؟ وماذا اكسب الفقراء من حقهم فى التطبيب وتيسير العلاج ، وجعله الشارع من مهمة الدولة ؟

لم اجد فى الكتاب جوابا ما عن هذه الاسئلة ، ولا كلاما ما عن قانون المرضى المسرود فى القوانين ، على حين نجد كلاما غير قليل ـ ص ١٩٠ ـ عن قانون الماعون ، وتسليف الابرة للجارة ، واعارة الحلة والداو .. ! !

فأين ما جعله الشارع من مهمة الدولة فى تطبيب الفقراء وتيسير العلاج للناس ؟ وكيف نظم ذلك ؟ وكيف نفذ ؟.. لم اهتد الى مكان شىء من ذلك فى كتاب اشـتراكية الاسلام .. كما وجدت عظة عن عيادتهم وهم مرضى ، وقد عدت عملا ايجابيا فى كرامة منزلتهم الانسانية .. وذلك ما استحللت ان اسميه « الاغفال المضيع » ! رغم ما يقوله السيد باساوبه الخاص ـ ص ٢٥٣ ـ ان اشتراكية الاسلام فى تقريرها للحقوق الطبيعية الخمسة ، وما وضعته من قوانين التكافل الاجتماعى تحارب الفقر والمرض والجهـل والخوف والمهانة » .. وحسن هذا وجميل ، ولكنى لم اجد فى جعـل الشارع تطبيب الفقراء وتيسير علاج الناس مهمة الدولة ، الا مثل ما ينقله عن البدائع ـ فى ص ٢٠٨ ـ عن القسم الرابع والاخير من قانون الخزانة العامة ، عدا لما يوضع فى بيت المال من انواع الاموال فاذا من بينها :

« الرابع : ما اخذ من تركة الميت ، الذى مات ولم يترك وارثا اصلا ، او ترك زوجا او زوجة فقط ، (ويلحق به الضوائع التى لم يعرف اصحابها ، وتصرف هذه الاموال **الى دواء الفقراء المرضى وعلاجهم** ، واكفان الموتى الذين لا مال لهم ، والى اللقيط ، وعقل جنايته ، والى نفقة من هو عاجز عن الكسب ، وليس له من تجب عليه نفقته ، ونحـو

ذلك » ا هـ منقولا عن كتاب البدائع فى الفقه الحنفى ، مع تلخيص للسيد الاستاذ المؤلف وترتيب :

هل هذا هو كل مهمة الدولة فى تطبيب الفقراء وتيسير علاج الناس ؟ وكل مورده هو تركة من لا وارث له ، والضوائع التى لم يعرف اصحابها ، وهذا المورد الجدب ينفق منه على جهات وجهات ، وحسبك الانفاق منه على العاجزين عن الكسب فهل يكفى هذان الموردان الناضبان من الضوائع ، وتركة من لا وارث لهم لهذا الانفاق وحده ؟ وكيف تكون الى جوانبه اللقطاء ، والموتى المعوزون ، وعقل الجناية معطوفا عليها ونحو ذلك » وماذا يبقى لدواء الفقراء المرضى وعلاجهم ؟!

لقد ضيع المؤلف مشكلة العلاج لم يقصد لها بدرس ، وضيع ما فى الاسلام من عناية بهذه الناحية الطبية ، حين جعل ذلك موردها ؟!

ومن ذلك :

ب ـ مشكلة مكافحة الامية ، التى لا تزال حية فى مجتمعنا ، وكان علاج اشتراكية الاسلام لها ، قد يهدى السبيل الى حلها ، ولكنها ليست أحسن حظا ، من مشكلة المرض التى رأينا اضاعتها ، فى عرض الاستاذ المؤلف للتكافل الاسلامى .

لقد اعلن الاستاذ فى احكامه المتوسعة ـ ص ١٠٢ ـ « ان الرسول ـ ص ـ قد اعلن مكافحة الامية قبل أن تعلنها الدول المتحضرة فى عصرنا هذا بأربعة عشر قرنا ، وان هذا لعجيب أن يصدر من نبى امى ، فى بيئة امية ، لولا أنه رسول الله » .

وواضح ان دلالة هذا على الرسالة وصدقها ليس موضع مشاحة ، وانما الكلام هنا عن هذه المكافحة للامية ، ونظامها ، ووسائلها ، التى سميت بها مكافحة !!

وهو يستمد فى هذا كله على قول الرسول عليه السلام للاشعريين : ليعلمن قوم جيرانهم ، وليفقهنهم ، وليعظنهم ، وليأمرنهم ، ولينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ، ويتعظون ، ويتفقهون أو لاعاجلنهم العقوبة ـ ص ١٠٠ ـ ودعك ايضا من ان هذا التعليم والتعلم المطلوب هو تعلم الدين وتعليمه ، واحتسبه المرحلة الالزامية من التعليم ، التى تسمى مكافحة الامية .. واسأل الاستاذ المؤلف : ما هى العقوبة التى وضعت فى النظم الاسلامية ، والواقع الاسلامى لمن لا يعلم أو من لا يتعلم ؟.. مع عبارة الرسول ـ ص ـ المؤكدة « لاعاجلنهم العقوبة » ، ومع انك انت حينما اوردت العبارة ثانيا ، فى سياق الشرح زدت عليها قيد « فى الدنيا » ـ ص ١٠١ ـ وقلت « أو لاعاجلنهم العقوبة فى الدنيا » مع عدم ايرادك هذا القيد فى نص خطبة الرسول عليه السلام !!

وبعبارة أوضح فى السؤال : هل نظم هذا التعليم والتعلم تنظيما عمليا يجعله مكافحة ، أو شيئا قريبا من هذا المعنى العملى الايجابى الجاد ؟!! أو هو حث دينى ، بما يؤديه المسلم لجاره المسلم ، لا بما تنظمه الدولة والمجتمع !!

وهل يتفق هذا الوضع الخلقى الوعظى المكتفى بواجب المرء نحو جاره ، مع ما قررته غير مرة ، من « أن الاسلام لم يقتصر على المواعظ والوصايا الاخلاقية ، فذلك مما لا يؤثر فى سواد الشعب غالبا ، الا أن يكون معه قوانين واضحة تحدد الواجبات ،

وتحميها دولة ترهب المسيئين ، وتأخذ على ايدى الظالمين ، وتحمل الذين لا تجدى فيهم الوصايا والمواعظ على تنفيذ تلك القوانين سنة الله فى استقامة الحياة وانتظام المجتمعات » ــ ص ٥٣ ــ .

وهل كل ما ذكرته عن شرف العلم ، ووجوبه ، و .. و ــ يتجه الى التعليم المدنى ، الذى يساوى ما دعوته مكافحة الامية ، التى سبقنا الناس فيها باربعة عشر قرنا ؟ او هو ، كما تجهر نصوصك المنقولة ــ ١٠٨ مثلا ــ يتجه الى العلم الدينى ، كنقلك : ان من تعلم الصلاة ليعلم الناس احكامها افضل ممن تعلمها ليعمل بها ، وان طلب العلم والفقه اذا صحت النية افضل من جميع اعمال البر ، وان تعلم العلم المفروض اولى من تعلم باقى القرآن ، فتلك وغيرها موجهات واضحة الى أن الكلام عن العلم الدينى ، واذا ما قدرنا ما نقلته من ان تعلم ما يلزم الحياة من العلم فرض كفاية ، فانا نتذكر معه ــ ١٠٦ ــ نقلك ان « الجمهور على أن تعلم ما هو فرض عين افضل » ، وفرض العين هو العلم الدينى ــ ص ١٠٤ ، ١٠٦ ــ .

وحين نسأل عن التنظيم العملى الاسلامى الذى وسعك معه أن تقرر تشريع مكافحة الامية ، والسبق اليها ، نجد نقولك تهز كل ما ذكرت عن شرف العلم ، ووجوب العلم ، وحق العلم ، وأشباه ذلك من تكثرات ، وتوسعات ، ففى ــ ص ١٠٦ ــ « وماعدا هذين النوعين من العلم فهو مندوب أو مباح !! كتعلم ما زاد عن **فرض العين** من شئون الدين ، أو تعلم ما قام بين غيره ، من فروض الكفاية ، فان ذلك **مندوب** ، وكالتوسع فى الثقافة من مختلف العلم فانه **مباح** ، واذا اقترنت به نية التقريب الى الله ، أو خدمة المجتمع فهو مندوب » .

وهل ترى تقرير اباحة العلم ، يتفق فى شىء مع ما ذكرت من وجوب العلم وشرف العلم .. الخ ، مع أن التساؤل لا يزال يجرى عن الاباحة او عدمها !!

وبعد فقد وجدت فى مكافحة المرض موردا ضئيلا ضعيفا مشتركا يصرف منه لادوية الفقراء !! أما هذا التعليم فلم تزد فيه على وجوب ان يعلم الجار جاره ، وله الاجر والثواب .. ومثل هذا ، والكثير منه ليس مكافحة ، ولا ما يشبهها .

وليس بهذا ومثله مما هو كثرة ما فى الكتاب تخدم الفكرة الاسلامية ، فضلا عن أن تسمى اشتراكية أو نحوها !! بل على غير هذا الوجه تعرض .. وفى الاسلام كل المقدرة على اصلاح الحياة .

واذا جاوزنا هذه الملاحظ العامة ، الى حد ما ، لننظر فى الموضوعيات والمنهجيات فسنرى من ذلك أشياء .

« البقية فى العدد التالى »

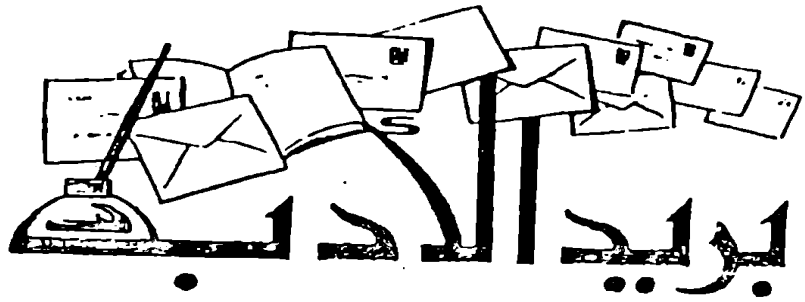

التنسيقات الاخيرة
فى دلالتها الفنية

فى اجازة ((الادب)) الصيفية تمت احداث اجتماعية ، تتولاها الصحافة اليومية بالنشر المفصل والتعليق المبين ، أما الصحافة الادبية فتتولى مثل هذا كله بنظرة أعمق وأبعد ، وأقوى ، على ما بينت ((الادب)) ذلك فى مقال هـذا العدد عن الفن والحياة ، شرحا لرسالة هذه المجلة .

وحين ينظر القانونى نظرته الدقيقة العميقة القوية كذلك فى هذه التنظيمات من حيث اختصاصه التشريعى .. أو ينظر الاجتماعى نظرته الدقيقة العميقة القـوية كذلك الى هـذه التنظيمات من حيث اهتمامه العملى ، وحين ينظـر غير هؤلاء تلك النظرة الى هذه التغييرات من حيث ما يعنى به كل ناظر وباحث ودارس .. ينظر الفن كذلك الى هذه الاحداث نظرة لعلها تكون أوسع افقا ، وابعد مدى وأعمق غورا ، وأدق حسا من نظرات هؤلاء جميعا ، فالفن فى تفسيره الوجدانى للحياة ، على ما عرفنـاه يحيط بالامس واليوم حين يستشرف للغد البعيد .. وينال السماء والارض ، والاملاك والافلاك ، فيجد الامل ، ويتمثل الهدف ، ويستبين الامانى ، ويجسم المشاعر ويحسن من التعبير عن ذلك كله ، والتقدير لذلك كله ، مالا يجد صاحب نشاط آخر مهما ترقى درجته ، وسيلة الوعى له ولا أداة التعبير عنه .

ولعله من اجل هذه النظرة الفردة الفنة ، والقدرة القادرة للفن فى الحياة دعا هذه التنظيمات والتغييرات الاجتماعية الاخيرة ، التى مست الحياة فى مصر وسواها من آفاق العروبة والشرق .. دعاها ((تنسيقات)) ولم يدعها بغير ذلك من تعبيرات مختلفة دعيت وتدعى بها عند غير الفن واصحابه .

وذلك دقيق من الحس ، وخفى من الوعى تنتبه اليه اذا لحظت ما أشرت اليـه ربما من سعة نظرة الفن ، وبعدها ، وجلائها ايضا .. فهو ينظر دائما الى الدنيا ، فى مثل البلورة السحرية ، يرى فيها كبريات الحقائق ، واعاظم الاحداث ، واضحة متجاورة فيدرك ما خفى ويخفى على غيره ، من اضطراب فى سير الحياة ، وتناقض فى متحركاتها وخطأ فى تقويمها ، وانتكاس فى قيمها ، فيهتف بها لتصلح ذلك كله ، لان فساده ماثل

امامه واضحا ، لكن البصائر المغلفة لاتجد ما يجده فيمضى به وبها الزمن حتى تصدمها الحقائق فتجد بعض ما يجده ، وتعى ما هتف به منذ آماد ، ودعا اليه قبل اجيال . . وهنا يبدو للفن فى رؤيته البعيدة ، وبصيرته الصافية ، أن شيئا من التنسيق قد تلافى شيئا من التناقض ، واصلح شيئا من الخطأ ، وصحح شيئا من القيم ، مما هتف به كثيرا ، واحسه قديما ، فيقدر هذه التغييرات المتطورة ، والتقدمات المتجددة ، بقدر ما تزيل من اضطراب ، وتحقق من تواؤم وتوافق ، وتناسق ، ويسميها لذلك تنسيقات لان هذا التعبير اقرب الى ما يريد ان يفهم أصحاب الفن . . من دلالات فنية للاحداث والتطورات والدلالة الفنية للاحداث الاخيرة فى الجمهورية العربية المتحدة ، وما فيها من تنسيق رفع تناقضا ، وصحح فسادا رنا اليه الفن منذ قديم ، وهتف به الفن منذ بعيد . . هذه الدلالة ، وعمل الفن فيها جدير بان يفرد بالمؤلفات المطولات ، ولا تكفيه المقالات المسهبات التى قد تتسع لها ((الادب)) أداء لواجب الصحافة الادبية فى التعمق الذى لا تطيقه الصحافة الاخرى ، لكنا لا نستطيع أن نخلى هذه الكلمة العاجلة عن الدلالات الفنية للتنسيقات الاخيرة ، من اشارات لافتة للقارىء الى مجملات هـــذه التغييرات وحس الفن القديم لها ، وهتافه البعيد بها ، ونشير من ذلك الى :

أولا ــ تطوير الازهر

وجملة الامر فيه : انه وصل وثيق للدين بالحياة فى تعليمه ، وتطبيقه . .
وهو تنسيق للنشاط الانسانى ، سد الثغرة ، ورأب التصدع الذى كانت تشقى به الحياة ، فى تعدد ثقافات ابناء الامة الواحدة ، فيتفرقون لايلتقون ، ويختلفون لايتفقون ويتناكرون لايتعارفون .

ويبدو التناقض فاحشا فادحا ، حين يتولى المتسمون بالسمة الدينية حياة الناس بالتوجيه القوى والارشاد الملح ، والوعظ المصلح ، ويحدثونهم عن سعادتى الدنيـــا والآخرة ، وهم فى الدنيا غرباء ، وهى أمامهم مجهل . . والآخرة على الجميع غيب مغيب . . . ولكن الجميع يتخاطبون فى هذا الحندس بدعاوى كبيرة وأحكام عريضة ؛ يكفر هؤلاء بالعلم وينكرون الواقع . . ويكفر هؤلاء واولئك بالعقيدة وينكرون الاعمال . . ويصرخ الفن يستجير من هذا ويجار بالتحذير من هذه الحال الجاهلة التاجرة الغاشمة ، المفرقـة فيحرم اهله ، ويكفر قومه ــ ودع عنك القديم ، وحسبك من الامر القريب الحديث ، منذ عقود قليلة من السنين ردد فيها القائل : ان مصر لن تكون قد ولت وجهها شطر النهضة الا حين تبرم امر الازهر . وقال الفن فى نظمه ، وزجله ونثره ، وقصصه ، ومسرحه ، ومقاله ، وصحفه ما قال فى ذلك منذ عقود من السنين . . فلا غرو اذا كان فى برمه بهذا التناقض المتدافع يعد هذا الوصل للازهر بالحياة تنسيقا فى دلالته الفنية .

وكيفما كان الرأى فى هذا الوصل ، وتنفيذه وتنظيمه ، وما يعلم فى الازهر ولا يعلم وكيف ننظم صلة الازهر بما حوله ، وغير ذلك من مواضع للنظر فان شيئا قبل ذلك كله قد لمح هذا التنسيق ، وهو وحدة تعليم ابناء الامة فى مراحل تكوينهم . . ولما وراء ذلك مجال من القول فسيح ، مهما يذهب فيه الرأى مذاهب فانه لا يقال من قيم تلك الوحدة التكوينية .

ثانيا : التقدير بالاعمال لا بالاموال

وجملة الامر فيما تم منه من تنظيم ، بل فيما يرجى ان يتم بعد ذلك : هو تقويم الانسان بعمله ، لا بماله ، وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ،

ثم يجزاه الجزاء الاوفى . فاذا كان التقدير بالعمل كان التقدير للعمل ، يرى السعى ، ويجزى به ، فلا يباح منه ماليس عملا قيما ، منتجا ، تقوم به الحياة .. وتقدر له الجزاء وتهيىء له الفرص ، وترقيه وتضبطه .

وتقدير الناس بالاموال ، لا بالاعمال ، وعدم سؤال المالك من اين ملك ، وعدم محاسبة الواصل كيف وصل ، كان على الدهر صدمة كبرى لذوى الحس ، واهل الوجدان .. وكان الفن بذلك يلقى الامرين : فهو اما مريض متهالك بهذا التقدير ، وطغيان اصحاب الاموال .. واما معنى معذب محارب بانكار هذا التقدير ومقاومته .

وحسبك ما تراه من ذلك فى حياة الفن العربى ، ولا سيما الادبى منه ، فان طغيان الخاطفين وسيطرة الناهبين ، وخزائن السارقين قد افسدت هذا الفن ، فشغفته بالمديح الزائف ، والاستجداء الذل الذى نخجل اليوم لاهله .

ثم هى قد صدعت حياة أصحاب ذلك الفن فكان لهم من شكوى الزمن ما كان ، يرمون الدهر باللؤم لانه لا يحابى الا اللئام ، ويصرخ الصارخ الحائر الجاحد .

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الاوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا

وفى هذه الازمة النفسية يحاول الفن فى رسميته وشعبيته ان يستعلى مغالطا نفسه ، بمثل قول الرسمى منه :

ولو ليس الحمار ثياب خز ... لقال الناس يا لك من حمار

وقول الشعبى منه : البلغة لما تنتلى فلوس تبقى بلغة برده !!

وكانت هذه الحياة المريضة ، والصحة المعتلة ، والحيرة المتزندقة والاستعلاء المصطنع ، وغير ذلك من آفاق سببها التقدير بالاموال لا بالاعمال تناقضا مضطربا مختلا يصرخ الفن منه قديما وحديثا ، ويراه شاخصا واضحا ، حين يخفى على بصائر غيره فاذا صارت الحياة اليوم الى شىء من الشعور بهذا المتناقض الفاسد المفسد ، وسعت الى رفعه بما تسميه كما تشاء من عدالة او اشتراكية او غير ذلك فان الفن يغتبط بما فيه من تنسيق يقلل تناقض الحياة .

وكيفما كان الراى فى تلك التغييرات الاجتماعية التى مست الحياة العملية فى الجمهورية العربية ، وكيفما كان النظر فى تفضيلها او تطبيقها ، او مدى تحقيقها للمراد منها ، فان قبل ذلك كله ومع ذلك كله شيئا واحدا من التنسيق ، هو محاولة جعل التقدير بالاعمال لا بالاموال .

والفن بتفاؤله يطمع ويرجو ويامل ان تتم الايام من هذا التنسيق ما يتمثل الفن به الحياة السعيدة الكريمة .

وهذه الاشارات اللامحة ، هى ما تشعر ((الادب)) بضرورة المسارعة به ، بيانا للدلالة الفنية فى هذه التنسيقات الاخيرة .. وللقول مجال فسيح فسيح .. ومدى بعيد بعيد .. والى رسائل القراء ، التى تراكمت فى هذه الاجازة ، بعد ما كان متخلفا عنها قبل الاجازة .

الشعر :

فقد وصلت « **البرج** » على وزن قصيدة « ابو الهول » لشوقى ، واول ما تفقده هو الوزن ، كما تعوزها استقامة العبارة ، ومن يقول « نجى ابا الهول » و « بان بنوه » كثير كثير عليه اليوم ان يجارى شوقى ، ولولا كراهية التيئيس لقلت له : اين الثريا . . !

* ووصلت « **وغنت ابنة الراعى** » لطالب بآداب القاهرة ، وكيف ساغ من جامعى ادبى ان يقول : « ابهج اللحنا » و « فى الآفاق والحزنا » و « مطلع الفجرا » و « هات اثناى هاتينه » واشباه لذلك غريبة !! وهو يحدث عن اليونان والرومان واغانى الرعاة ، والشاعرية الصافية فهلا قوم عبارته اقرب التقويم اولا .. ثم حدث وحاول الشعر والغناء؟!

* ووصلت « **ذات ليلة** » **لاديب شامى** وفيها اصل من شاعرية ، طيعة التعبير رنانة ، ومعان تكثر فيها الرقة والسلامة لقوله :

كل انثى تعشق الشعر .. تغنيه
كما تعشق يا عربيد خمرك

وهى من ديوان للسيد الاديب سيصدر قريبا .. و « الادب » لا تنشط كثيرا بالنشر ما سيجىء القراء فى مطبوعات خاصة ، وتفضل غالبا ان تجيئهم بما لا يجدونه عن غير طريقها .

* ووصلت « **تحية النيل** » لشاب حسن الاستعداد ، جميل التهيىء ، بما يتمنى من ان ينقد ولو نقدا قاسيا ، ويقول « فمرحبا بكم ناصحين وموجهين صباح مساء .. وهو بهذا الاستعداد الطيب ، والمحاولة الموفقة مرجو الفد مأمول المستقبل ، مستقيم الوزن ، طيع العبارة .. سينقلب ـ حتما ـ مع الزمن على قرب المعانى ، والوقوف عند الصور البيانية المرددة « كلجين الماء » و « سهام الحب » فيستوفى معانيه بيانا ، ويصور بريشته والوانه ما تستشفه بصيرته فتحب « الادب » حينذاك ان تنشر له غير هذه .. فالى امام .

* ووصلت « **مع الايام** » للسيد قدمت له «الادب» قبل الان « ذات مساء » فاشارت فى رفق الى لين اعطافها وحاجته الى القوة فيما يلى من عمل فنى فلم يفهم ذلك من اول وهلة ، كما يقول فى خطابه ، وشكا ان فى هذا الكلام من « الادب » شيئا من الاضغام اللغوى ، والاضغام فى قوله ابعد على الفهم من « لين الاعطاف ، والحاجة الى القوة ، فى قول « الادب » و « مع الايام » نثرمقطع على صورة الشعر ، تعوزه حينا سلامة العبارة ، وفى معانيه صور بيانية كتعبيره « بالاضغام » يتوه بها المعنى ، ولا يتضح الفرض ، ولا يفهم حاله مع الايام بمثل قوله : والاحلام كأنها كانت قبلا وكنت قبلها ، وهى عبارة تعجبه فيكررها . وهو فى هذه احوج الى الابانة ، مثل حاجته فيما قبلها الى القوة ، ولعله ينابع الارتياض ؟ . .

* ووصلت « **الطفل الجديد** » للسيد عرفته «الادب» قبل الآن .. وفى عباراته غرابة كقوله عن الطفل « يحبو .. ويتوهج !! وقوله عن الثائر : يادفئا تلوى فى العروق !! وقوله : وبكى طفل على اعناق امه .. وقوله : بعد ان دور الحزن فى اعماقنا .. ولو سلمت صوره التعبيرية وصحت عبارته مما يفسدها احيانا لكان لآثاره مكان فى النشر .

* ووصل « **راى فى موال** » لصديق « للادب » طال حديثها معه قدر ما زاد نشاطه فى مراسلتها ، وتشرت له «الادب» ما يستحق النشر من اثاره قبل الآن .. وهو اديب مناضل يشق طريقه فى دأب وثبات ، يرجى له معهما غد مبتسم .

وموالهـ هذا عن العامية .. والفصحى ، وهـو فيه – كما وصف نفسه – من انصار العامية فى الحوار ، لانه يتعاطى كتابة القصة اكثر من سواها ، من الفنون الادبية .. والموال خفيف الظل يقول فى ختامه :

والرك ع الفن .. مش على فصحى وعامية

والمشكلة قديمة ، طال القول فيها .. وافسحت « الادب » له المجال ، وليس فى الموال كبير تأييد جديد .

* ووصل للسيد نفسه ((عقول .. وبطون)) من الادب الشعبى ، فى حوار بين العقل والبطن ، قديم المعنى ، غير لافت التعبير لتخف « الادب » كثيرا لنشره .. وهى عند رياها فى أن تنشر من العامية ماله فيها بلاغة جديرة بالنشر .. وليست بلاغة العامية بالمطلب اليسير .

* ووصل للزجال البعيد العهد بمناوشة « الادب » ما عنوانه ((**جمال**)) وقريب ما قلنا هنا من أن بلاغة العامية ليست بالمطلب اليسير هو الذى تكرره وتعيده للزجال المشاغب ، ومثل قوله وكان نهار الوحدة جميل ، لايعد فى بلاغة عامية أو فصحى – وقوله : «صرح المجد» و « صارت اسطورة » واشباه ذلك ليس من افق الادب الشعبى ..

ومع ذلك مالا يسلم من التعبير فى احدى اللفتين مثل « رويت بايدك تاريخ وذكرى أمتنا » فالرواية لاتكون باليد .. ولا يتسع المجال لاكثر من هذه الاشارات وقد نشرت « الادب » للزجال يوما ، ولعلها تعود فتنشر له غير هذه .

النثر :

وصلت منذ زمن مقالة ((**العلم يصنع الادب**)) وهى من الخفة والقرب بحيث لاتجد المكان الفسيح فى « الادب » وصاحبها يجهد نفسه فى تفسير الادب تفسيرا خاصا يراه هو ، ويحس ان القراء لايتقبلونه ، فيقول فى نهايتها : فحسبى ان اقول وليس لى ان يتقبل القراء ماأقول « مع انه لا يدعم قوله هذا بما يشجع على عرضه ، ولو لم يقبل .

ووصلت القصة القصيرة ((**نابليون**)) ولا يسودها جو معين ، فما ادرى افكاهة هى أم غير ذلك ، ثم ليست هى باللمحة التى ترمى اليها القصة القصيرة ، فنابليون ولد صغير يلبس ملابس مضحكة يقلد بها نابليون ، ويجعل سلطانية الشوربة خوذته ، وذلك لينتفم مع كتيبة من الصغار من زميل لهم يمس عرض امه ، ولكن الاب لا يجد الشعور الذى يدفعه الى شىء من الغيرة على عرضه رغم ان الزوجة قد اعترفت له بما هو اصل اشتهار هذه التهمة لعرضها فماذا يريد الكاتب ان يقول ؟ !! هل الغيرة على العرض طفولة وسذاجة مضحكة فى رأيه ؟

* ووصلت قصة ((**عود برسيم**)) للسيد نفسه ، ورغم ان « الادب » قد نشرت لصاحبها قبل ذلك ورغم انه يكتب اكثر من فن من الفنون الادبية ، وهو صاحب ((**رأى فى موال**)) ، وصاحب ((**عقول .. وبطون**)) التى قدمتهما « الادب » فى هذا العدد .. رغم ذلك كله فانك ترى فى قصته « عود برسيم » تنافرا غريبا فى صورة عنجهية الصعيد ، وثورة أهله لاتفه الاسباب ، فحين ترى اسرة تهد الدنيا من اجل فرد منها قد خلعته ، وودت البراءة منه فانك ترى اسرة اخرى تستكين استكانة ضارعة ، لا يفهم مثلها فى جو الصعيد ، ولو قد كان الامر هكذا وكان فى الصعيد من يحمل كفنه ويتقدم ذليلا دون مقاومة مالكان الامر ايسر واهون وادعى الى عدم اشتعال كبار النار من مستصغر الشرر !! ان الامر يحتاج الى اتزان يبرر هياج أهل الصعيد لسبب التافه !! اما مع هذا التناقض فلا .

* ووصلت للسيد نفسه كذلك قصة

« **ليلتك سعيدة** » ويعوزها الكيان الفني فليست اكثر من اتهام مغفل لزوجة طيبة النية كانت تدخر من مصروف البيت سرا لتفاجىء زوجها بشراء تليفزيون ، دون ان يعرف ومن اجل ذلك اتصلت بالكهربائى وبائع التليفزيون اتصالا لم يتحر الزوج عن شيء منه ، على حين كان يقتله الشك .. ولا تقوم قصة بمثل هذه المباغتة الغافلة !!

* ووصلت قصة « **ضوء النهار** » ومشكلة الشكل فيها انها مرقعة من عامية يعوزها صدق التعبير المصور وفصحى تعوزها السلامة ، وتفسدها اخطاء ليس لحامل قلم ان يتردى فى مثلها .. ثم هى من حيث المضمون قصة طويلة ، لا قصيرة ، تشمل حياة خواجة منذ قدم ضعيفا متسولا الى القرية ثم صار بنكيرا صاحب قصر ، ثم اشتغل جاسوسا ، وطاردته الثورة ورجالها ، فقبض عليه آخر الليل ليظهر ضوء النهار بعد ذلك .. وتنبه الحياة لهذه الحشرات الغريبة قديم بعيد العهد ، منذ سنين طويلة ، فهيجان « ابو الغيط » وهديره متأخر جدا ، وليس طبيعيا ، والا كان الشعب المصرى فى غفلة لا نقبلها له ابدا . ليس فى الشكل ولا المضمون ما يشجع نشر ضوء النهار بهذه الحالة .. والى غيرها .

* ووصلت قصة « **أبلة جميلة** » وليست قصة ، وانما هى خاطرة اشتهاء عابرة خالجت شابا الف من سيدة رعايته وهو صغير وتقبيله فى حنان الام . . ثم خجلة فيه لهذا الخاطر وتالم كلما ذكره بعد ذلك .. وليس بمثل هذه الساذجة تكون قصة .. ولا تزال « الادب » ترجو من السيد صاحبها ان يصحح تناوله للعربية رسما وتعبيرا .. وقد يكون له غير هذه يستحق النشر .

* ووصلت للسيد نفسه « **رسل الرحمة** » تمثيلية اذاعيه واقعية مهداة الى وزارة الصحة والاذاعة « والادب » منذ عددها الاول قد نشرت رايها فى ان المسرحية ترى ولا تقرا .. وان كان فى ذلك الراى اختلاف فان الارجح هو ان ترى المسرحية .. على ان مسرحية « رسل الرحمة » ليست بذاك ، فانها فى اغلب امرها ـ اعلان عن خدمة الاسعاف والاطباء المنوبين فى المستشفيات ليلا . وليس ذلك بالشيء الذى يحتاج الى اعلان. وما ورد فيها من نقد خفيف جدا لايمس انسانية هذه الخدمة ، وقد تغلب على الشكليات فيه الفراش نفسه فى دار الاسعاف .. وهكذا لا يخرج القارىء من هذه التى سماها صاحبها مسرحية بشيء ذى غناء .. ولو كانت كذلك لارسلناها للاذاعة .

* ووصلت قصة « **المذياع** » للسيد يرى فيها الفن المحكم والصياغة اللغوية السليمة ويرجو ان تفوز بقسط كبير من اعجاب « الادب » وهو حسن ظن مسرف فليس من الاحكام فى شيء ان يشترى بسيونى بكل محصول فدان من القطن ، ذى محصول جيد ، جهاز راديو لان التركى صاحب العزبة لا يمكنه من سماع الراديو من بيته ، ويطلب اليه الابتعاد لوجود اسرته ، وعدم مضايقتها ، ومثل هذا السفه لايثير الشفقة على هذا الفلاح الاحمق مهما يكن اغتباطه وسروره لسماع ام كلثوم .. واذا كان مثل هذا التركى الاقطاعى الوغد قد هذبته الثورة ، فان محصول فدان من القطن الناجح يسد الايجار الرسمى وهو سبعة امثال الضريبة ويستطيع بعده بسيونى شراء راديو بالتقسيط مثلادون تورط فى هذا السفه وحتى الصياغة اللغوية فى هذه الحكاية الساذجة لم تسلم من اخطاء لانشغل القراء بسردها .. فمعذرة اذا كنا انشاطر السيد رايه فى تقدير قصته .. والقرد فى عين امه غزال .

* ووصلت قصة « **درس خصوصى** » للسيد مدرس اخذنا عليه قبل الآن اعتساف التعابير بما لايناسب المقام وهى ظاهرة لا تزال آثارها موجودة فى مثل

قوله : وبين اجواء نفسه خوف مبهم .. وقوله : الظلمة التى تنتشر فى احشاء المدرسة .. وقوله : اضيئت لفائف نراشه .. وفى حكايته استطرادات طويلة ليست قريبة من الموضوع — وخطابيات وعظية لامكان لها فى القصة ، قصيرة كانت او طويلة .. مع تضخيم واضح فى خواطر فلسفية يبعثها من قلوب تلاميذ مبتدئين لن تخطر ببال مثلهم واللغة اليسيرة الشأن الى تهالك المدرسين على الدرس الخصوصى لا تصلح بهذا الشكل موضوع قصة .. اذا كان السيد قد استعجل راى «الادب» ورجا ان يظهر فى عدد يوليو قبل الاجازة فليس لنا ذنب فى تأخير هذا الرأى الى عدد اكتوبر لما نكرره من كثرة البريد .. والتزام الدور فيه .

* ووصلت قصة « عبقرى » وفيها تكلف واضح فى شذوذ العبقرية كتابط زجاجة البترول ، مع صور بشرية غريبة ككون كاتب دليكات على صدره «بنتنتيف» وحول معصمه سلسلة .. ثم لا شىء وراء ذلك من هدف فنى الا هذه الفوضى المرتبكة .. واذا كان السيد قد شهد حقا مثل هذه الشذوذات فى اعمال الناس وصلاتهم بفتيات الرصيف فلعل ذلك ومثله مما لم يصبح ظاهرة اجتماعية تعالجها قصة .. بل هو شذوذ وندرة ان لم يكن تصنعا لا اصل له .

* ووصلت قصة « يد الله » ومن المؤكد ان « الادب » قومت هذه القصة قبل الان ، ولولا انى بحيث لا انال مجموعات « الادب » لبينت العدد الذى ورد فيه هذا التقويم ، والراى فى عدم النشر . والسيد المرسل يهتدى الى مثل ذلك ، فليراجع ليتأكد معى ان هذه القصة قد سبق تقديمها قطعا .

اسئلة لا تستحق الجواب

بعثها سيد له بالصحافة صلة ما اذ يقول انه مراسل الاخبار ، ومع ذلك فهو يسأل : كم اشتراك الادب ؟ وكم ثمن العدد الواحد ؟ وهل ممكن الاتصال بنا او لا ؟ وكل هذه الاسئلة تجيب عنها الصفحة الاولى من كل عدد من اعداد « الادب » وقد رآها الصحافى المراسل !!

واغرب من هذا ، سؤاله : هل تفيدنى مجلة « الادب » لو اشتركت فيها ؟ وذلك تقديره هو !! ومانشره هذا الا نموذجا مما يحتمله محرر باب البريد من قراءة رسائل كرسالة السائل .. والله المستعان على ما يكتبون ! !

ومعذرة اذا لم نجد مجالا للاجابة عن مثل هذه الاسئلة التى لا تستحق جوابا

قريبا جدا

قريبا جدا

تقدم « الادب » للقراء كتابها البديل

قيم جديدة للادب العربى

بقلم

الدكتورة بنت الشاطىء

الأدب

فنية . شهرية

يصدرها الأمناء

الإدارة: مصر الجديدة . العجم ١٣

ت ٦١٧٥٠

* * *

الرسائل الفنية والمالية

ترسل باسم

أمين الخولى

رئيس التحرير

* * *

الرسائل الادارية

ترسل باسم

محمد جابر عبد العال

مدير الادارة

* * *

الاشتراك

عن سنة بالبريد العادى

الجمهورية العربية ٥٠ قرشا

الخارج ..... ٨٠ قرشا

أو ما يعادلها

ثمن العدد ٥ قروش

* * *

البريد الجوى

والمسجل بحسابه

تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

فهرس

العـدد السادس ـ نوفمبر ١٩٦١

السنة السادسة

٣٢٣ ـ من الفن والحياة : السياسة .. والحياة

عن الامناء

٣٢٦ ـ فى الذكرى المئوية ـ نابغة الهند

شانتا راما راو

ترجمة : وديع زوفائيل

٣٣٦ ـ القـدر ، والحظ ، والبخت فى المثل الشعبى

محمد ابراهيم ابو سنة

٣٤٣ ـ من الادب الشعبى

شعر : حامد الاطمس

٣٤٦ ـ افريقيـا

شعر : اسماعيل عمارة

٣٤٨ ـ الطريق الجديد

شعر : طاهر المتبولى

٣٤٩ ـ فى الغروب

شعر : انسى داود

٣٥٠ ـ شـذوذ

شعر : محمد رجب البيومى

٣٥٢ ـ حكاية سر

شعر : بدوى السعيد راضى

٣٥٤ ـ من الادب الصـينى ـ اكثر من خمـسين قصة باجن

ترجمة : فاروق البدوى

٣٦٠ ـ حادثة

قصة : عبد الغفار مكاوى

٣٦٣ ـ شفيق غربال

امين الخولى

* * *

٣٦٤ ـ تجاوب كريم

٣٦٦ ـ اشتراكية الاسلام

نقد : امين الخولى

٣٧٦ ـ بريد الادب : مرحبا دائما

٣٧٦ ـ المجلة والكتاب ـ ٣٧٦ ـ اقرأ بانفسكم ـ ٣٧٨ ـ بلا انانيـة ـ ٣٧٩ ـ خارج النقد ـ ٣٧٩ ـ الشعر ـ ٣٨٠ ـ النثر ٣٨١

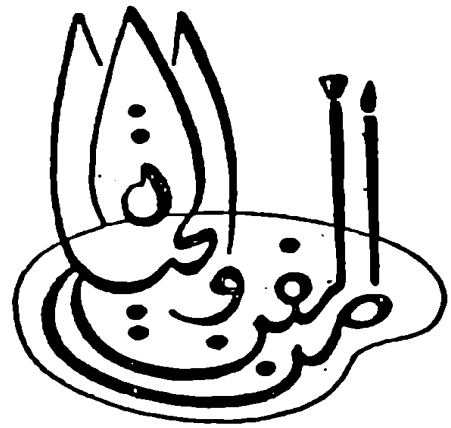

السياسة .. والحياة

لعل مثل طريقـــة الحكم ، وشخص الحاكم فى سير الحيـــاة ، كمثل عقارب الساعة ليست العقارب شيئا فيهـــا ، لكنها هى التى تدل على معانيها .

* * *

تجرى بيننا وحولنا احداث ضخام ، وما يقف اصحاب الفن والحياة امام سير الحياة صامتين ولا واجمين ، لـكنهم فى الصحافة الادبية لا يقفون وقوف سواهم ، صاخبين لاجبين ، متعجلين ، وانمـــا الوقفـــة التى هم اهلها هى الوقفـــة المستانية ، المتعمقة ، الدارسة . . وكذلك يمضى حديثنا عن السياسة والحياة ذلك المضى النافذ ، يفرد له اكثر من مقال ، ويعرض للحيـــاة بعامة ، ثم لحياة الادب والفن بخاصة ، ثم للعروبة التى نتنادى بها ، ونتداعى اليهـــا ، وليس لقارىء متعجل أن يبتغى حاجته الوقتية فى هذا العرض ، كما ليس لقارىء محدود الافق ان يطلب ما يرضى هواه ، او يتملقـــه ، فلغير هذا كله تحمل هنا الاقلام ، وتفرد تلك الصفحات .

* * *

والحياة نشاط متفاوت الدرجـــة فى الاحياء المختلفة ، نبات وحيوان وانسان . . ولعل هذا الانســان منذ بدء حيـــاته يشعر بأن للحياة سنتها ثابتة ، مطردة ، متسقة ، سواء اكان ذلك منـــه وجدانا مبهما ، ام كان علما مجربا . . فهو يفزع الى هذا الاتساق فى الحياة ، والثبـــات لنظمها ، فى صورة ايمان دينى ، بعـــدل الخالق ، وانه لا يفلت شيئا ويجزى بكل شىء ، ولو بعد حين . . ثم يتدرج الانسان فى المعرفة ، والتجربة فيثق بهذا الاتساق فى الحياة ، والثبات لنظمها ، فى صـــورة قانون علمى ، وناموس كونى ، يحـــاول كشفه وضبطه ما اســـتطاع الى ذلك سبيلا ، ويبذل فى هذا من الجهد والفداء بالانفس والاموال اضعاف ما كان يبـــذل العابدمن قربان ، ويقدم من ضحية .

وفى الوقت الذى يطمئن فيه الانســان ـ على اختـــلاف درجة المعرفة ـ الى الثبات والاتساق فى الحياة ، على مارايت ، يطمئن او يضطر الى الاطمئنان لعكس هذا الثبات والاتساق فى هـــذه التى يسميها السياسة . .

فالسياسة ـ فيما شهد الانسان قديما

وحديثا ـ هى تصريف شئون جماعة من الناس وتسيير امورهم ، تصريفا وتسييرا تسانده القوة ، فى لون ما من الوانها ، وصورة ما من صورها ، سواء اكانت قوة علوية ، خفية ، روحية او شيئا من ذلك ، أم كانت قوة مادية ارضية ، جسمية ، عسكرية او شيئا من ذلك ، وقد تستند السياسة على القوتين معا مجتمعتين .

وما يشعر الانسان بالثبات ولا الاتساق فى هذه السياسة ، لانها حينا ما تكون رشيدة ، فاضلة ، عارفة وعالمة ، فتصلح بتدبيرها حال الجماعة التى تسوسها ، وحين تكون حمقاء جاهلة ، سادرة تفسد بها حال الجماعة التي تصرف امورها .

وقد عرف الانسان فى هاتيك السياسة التقلب والاضطراب ، وشبهها بالحية الرقطاء ، الناعمة الملمس ، المزركشة الاهاب ، يحتضنها المخدوع ، فاذا ما استدفأت لدغت فكانت لدغتها والقبر .

وكثر ما يشبهها بالحرباء المتلونة : تصفر فى الرمل ، وتخضر فى الزرع فليس نذى رشد أن يختارها لونا لبشته . . وما اكثر ما شكا الانسان من أن هذه السياسة هلوك فاجرة لا ضمير لها ، ولا خلق ، ولا دين . . وترددت الاقوال بلعنها لعنة ابدية ، اشتهر منها ما لعنها به الاستاذ الامام محمد عبده ، حتى لعن المادة اللغوية وما يشتق منها .

وما هذا فى جملة أمرها الا أثر لعدم ثباتها ، واضطراب سيرها ، فيما شهد التاريخ من الماضي ، وما تكرر فى الحاضر الشاهد .

وما بك من حاجة الى كثير بيان لهذا الحاضر أو ذلك الماضى ، فانك منذ سمعت عذا الماضى قصة تسلية « وحدوته » الى ان قراته تاريخا مدونا ، مدروسا مفسرا ومفلسفا تشهد الصور المروعة الفاجعة ، والانقلابات الخافضة الرافعة ، فمن العرش الى النطع والمقصلة ، ومن النعمة الى البؤس والتسول ، ومن ومن . . الى كذا وكيت من الاضداد والمتناقضات ، لم يسلم من ذلك ملك متوج ممسوح بالزيت المقدس ، ولا قائد فاتح بطل منتصر ، ولا وزير حكيم مدبر . . ولا . . ولا .

وانت واجد اثر ذلك الاضطراب ، ومحاولة التسلية فيه ، والتعزية عنه فى كل ماعرف الانسان ، من نشاط اعتقادى ، او عقلى ، او فنى ، فالدين ـ على اختلافه ـ يرد الامر الى الاله الحاكم ، ليهون التسليم ، ويقرب ارضا ، قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء .

والفلسفة تعزى بالخالد من المثل العليا ، وتهون من هذه الكبرياء الارضية السطحية ، وتؤثر الخلود الحكيم ، على الفناء الحاكم ، وهكذا تخفف من ولوع هذا الانسان بالسلطان السياسى ، وتعوضه عنه عند فقده بما قد يلتمس من متبع المعانى . .

والفن يواسى ويعزى بالكلم والنغم وغيرهما ، شاكيا تغير الزمان ، وتقلب الدهر ، مرددا امثال ذلك تترى فى مختلف الاجيال ، وعلى سائر الازمان .

وان شئت فاذكر الكثير مما يتنفس به الفن ، وينفس عن المسكبوتين ، الذين تخنقهم السياسة ، ويكبتهم السلطان ، ويحرمهم العدوان . . فانك لواجد الكثير الجم من نشاط هذا الانسان ، طوال الاجيال قد اثارته تلك السياسة بتقلبها ، بل خلقته باضطرابها ، وفساد امرها .

وان بدا لك الماضى بعيدا فان الحاضر القريب شاهد ماثل ، فيمن ملئوا الدنيا صخبا وضجيجا ثم اصلوها سعيرا وجحيما فى تلك الحرب الثانية ، التى أوقد نارها « هتلر » زاعما انه يقرر

مستقبل العالم الى الف سنة مقبلة فلم يتقرر مستقبله هو الى نحو الف يوم ، ولقيت الدنيا ، ولقيت المانيا اقدارها ، وخضع الكل لنواميس الحياة الثابتة ، وسنن الكون المطردة المتسقة .

* * *

وما احسبك امام هذا الماضى البعيد والحاضر القريب الا قائلا معى : ان هذه السياسة الملعونة هى مبعث المحاولة الكبرى فى افساد الاطراد ، واضاعة الاستقرار فى نواميس الدنيا ، وسنن الحياة ، التى آمن الانسان بثباتها فى سذاجة ، ووثق بثباتها حين ارتقى علمه من هذه السياسة .. وعن هذه السياسة ، وبهذه السياسة ، وفى هذه السياسة ، تتعرض الحياة للاضطراب والفوضى ، فى الحروب ، والمنازعات ، والفتن الاهلية ، والثورات الداخلية ، وما اى ذلك كله ، من اصطراع سياستين ، والتقاء قوتين ، وتنازع حكمين ، وهكذا تركت السياسة على الحياة ميسمها الكاوى ، وعلى الرقاب سيفها القاتل فى حياة الدين ، والعقل ، والفن ، فهى التى حرقت بالنار ، ورمت فى الاخاديد اصحاب عقائد واتباع رسالات ، او القتهم الى الاسود ، وهى تتسلى وتسخر .

وهى التى عذبت ، وسجنت ، ونفت واحرقت ، وشردت وقتلت اصحاب فكر ، ورأى ورجال معرفة وعلم ، استعدت عليهم اغمارا مخدوعين بها ، او انصارا اشترتهم بنعيمها .

وهى التى منها فر الفن مضطهدا ، او سخر كارها ، وخنق مكبوتا ، وعذب مفاوما ، وجمد ذليلا ، بما حرمته ، وارهبته ، وافسدته .

وما ارانى فى حاجة الى امثلة مما تشير اليه هذه العبارات فانت بها عليم ، وهى اقرب اليك من حبل الوريد ، تجدها فى حياة كل عظيم ، وتاريخ كل دين ، وعلم وفن ، لم يسلم منها ماض ، ولم يبرأ منها حاضر ، ولم ينس شاهد .

فاو قلت : ان هذه السياسة فى اقرب ما تصور به هى : مبعث الاضطراب ، والاختلال فى نواميس الكون وسنن الحياة لم ابعد ولم ابالغ .. فهى التى تعطل سير هذه القوانين الثوابت ، وتصد سيرها ، بل تطمع ان تردها على اعقابها ، وتغير طريقها ، فلا تستطيع — بالطبع — الى ذلك سبيلا ، ويذهب هباء ماتبذل من جهد ومال ، وما تقدم من بشر وقودا لنار هذه المحاولات الطائشة .

وشر ما فى امر هذه السياسة الا يطمع فى كبحها او ردها ، او تخفيف غلوائها مابلغت ، وتبلغ هذه الانسانية ، من تقدم ، فى علم ، او خبرة ، او فن ، او حكمة ، او ذوق مرهف ، وامل سام ؛ بل هى على ما تسمع اليوم وتعلم ، تهدد نفسها ، بتفجير قنبلة ذرية تبلغ عشرات الملايين من أطنان المدمرات ، ولا ينفع فيها ولا يشفع ما وصلت اليه من علم ، وما تمثل لها من امل ، بل لا يردها ماتجسم لها من خراب وبؤس وشقاء ، اخف منه انهاء الحياة على الارض تماما !!

* * *

واذا ما كانت السياسة على ما نرى ونعرف هى مصدر الاضطراب فى نواميس الحياة المتسقة ، حتى ليلخص الكثير من عنيف ما قاست الانسانية بأنه صراع السياسة ضد الحياة التى تقود عقلها ووعيها ، فهل يظن مع ذلك ان السياسة وهذا شأنها وذلك امرها تصلح معه لان يحكم فعلها فى حياة معنى او مادة ، او ان تعد مقياسا لصحة راى او فساد مذهب ، او ان يربط بها سير كائن من الكائنات المادية او المعنوية فى هذا الوجود ؟

احسب ان ذلك ابين من ان يختلف

عليه ، أو يشاح فيـــه ، ليبرهن عليه ، وتثبت صحته .. انها فى جمـــلة امرها ليست الا هوى محتكما ، تســـانده قوة باطشة ، وماكانت الحياة من الهوان بحيث يضبطها هوى ، وتصدها قوة ، لا عقل لها .. فكيف بحكمتك تجعل هـــذه السياسة واهلها ، ومذاهبها ، ودولها ، واسرها ، وخططها واساليبها مدار حياة ، ومفترق طرائق ، ومعالم تطور فى الفكر او الفن !!

ارايتك هذا الذى قرب لك من معنى السياسة ، وانها تصريف اداته القـوة ، هلا تشعر معه انه ليس شـيئا فى كيان الوجود ، وجهاز الحياة ، وان كان اكثر شىء ضجيجا ، فى سير هـــذا الوجود ، واستمرار تلك الحياة .. ولكن هـــذا المظهر الخادع لن يجعل هـــذه السياسة بأسلوب تصريفها وشخصية رجالها اكثر من العقارب فى ساعتك ، هى أيسر شىء فيها ، وان كانت ادل شىء على معانيها .

واذا كان فى هـــذا الشبه ما يجلو الحقيقة ، ويقرب المعنى فانك بعده لتدرك ان السياسة ليست حقيقة سير الحياة ، ولا موجهة النشاط ، وان بعض محاولاتها انعنيدة فى ذلك لا يبوء بشىء يذكر ، ولا يترك فى الحياة اثرا يؤثر .

وعلى ضوء هذا المنطق ننظر فيمـــا حولنا من الاحداث الاخـيرة لنرى دلالة السياسة فيها ، وفعلها بها ، وتوجيهها اياها . واذا ما صح ان المستقبل يقـاس على المـــاضى ، واذا ما ثبت أن خطوات التطور السابق تحدد هدف الاتجـــاه اللاحق فانا لنقصد فى اناة وعلى هوادة الى الحديث عن :

١ ــ السياسة .. والفن

٢ ــ السياسة .. والعروبة

راجين ان نطمئن فى ذلك الى حقائق كونية تاريخية ، لا تهزها الاضـطرابات السياسية ، ولا يزيفها بريق من بهرجها خادع .

عن الانباء

تحت الطبـــع :

كتاب من هدى القرآن

فى أمـــــــــو الهم

بقلم أمين الخولى

١ ــ منهج الفهم النفسى الاجتماعى للقرآن
٢ ــ كيف يفتح الفن القرآنى آفاقا تتسع لآمال الانسانية
٣ ــ كيف تدعم مثالية الاسلام القرآنية كل اصلاح اجتماعى
٤ ــ امتناع المثالية الاسلامية عن أن تضغط فى قوالب مذهبية .

نابغة العصر

بقلم شانتا راما راو

صاحبة هذا المقال :

* شانتا راما راو : قصاصة ومؤلفة مسرحيات وصحفية .
* ولدت فى مدراس بالهند ـ كان والدها يشغل منصبا دبلوماسيا هاما .
* عاشت فترات من حياتها فى انجلترا والولايات المتحدة الامريكية وجنوب افريقيا واليابان . كما زارت ايضا الاتحاد السوفييتى .
* تعرفت بتاجور فى الاعوام الاخيرة من حياته الحافلة ، ولما تزل بعد فتاة صغيرة .

الامير . .

منذ نحو مائة وثلاثين عاما قصد اوروبا رجل من هنود البنجال ، يتمتع بثروة طائلة وجاه عريض . وكان هذا الرجل قد اعد ترتيبات رحلته على النحو الذى يشبع نزعاته الخاصة وطباعه الشخصية ، فاصطحب معه حاشية كبيرة قوامها ثلاثون شخصا بين سكرتير ومرافق وطباخ . اما

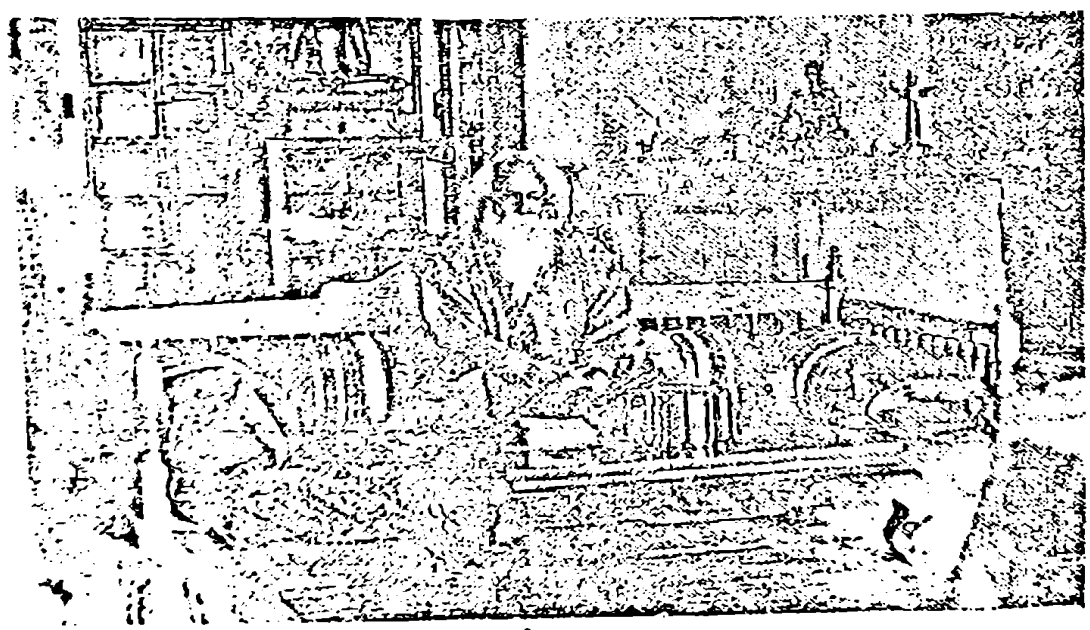

تاجور فى غرفة مكتبه فى شانتى نيكتان ـ موطن السلام

حقائبه العديدة فقد ملأها بروائع المصنوعات الهندية الطريفة ، وعدد وفير من شيلان كشمير رقيقة ، نسجت مزركشة بديعة ، ليقدمها هدايا الى حسناوات اوروبا . ومن بين الشخصيات البارزة التى استضافته خلال رحلته هذه الملكة فكتوريا نفسها ، ولويس فيليب ملك فرنسا .

اما فى الهند نفسها ، فقد كان يحيا حياة كلها بذخ وترف ، وكان اول هندى يستضيف الحاكم العام البريطانى فى بيته . لذلك لم يكن غريبا ان اشتهر هذا الرجل باسم « الامير » دوار كانات . ولم يكن غريبا ايضا انه ترك عند مماته ديونا بلغت عشرة ملايين روبية .

القديس .. ابن الامير

وقد اشتهر ابن هذا الامير باسم « القديس » دبندرانات لما عرف عنه من البساطة والورع وعكوفه على حياة التفكير والتأمل .

كان هذا « القديس » يدعو اسرته دائما الى التقشف والبعد عن حياة الترف والمغالاة من اجل تسديد الديون التى تركها ابوه — فمن قوله لهم : « انه من السهل اليسير تسديد ديون ابى ، بل توفيرمائة الف روبية لاعمال الخير ، اذا ما دبرت الاسرة ان تقضى يومها بخمس آنات (١) ، واستبدلت بكريات الكرستال الضخمة مصابيح الكيروسين » .

ابن القديس

فى هذا الجو الغريب ، منذ مائة عام خلت ، انجب « القديس » طفله الرابع عشر . ذلك هو رابندرانات تاجور الذى اصبح فيما بعد شاعر الهند وموسيقيها الرسام والقصاص كاتب المقالات ، والفيلسوف المفكر الاجتماعى ، رجل السياسة ، والمربى المعلم ، والرحالة الذى طاف ارجاء العالم شرقه وغربه . وهو الكاتب الاسيوى الوحيد الذى نال جائزة نوبل للاداب . اما تأثيره على الفكر الهندى ، والاتجاهات الثقافية والحضارية فى الهند الحديثة فهو اعمق واعظم من تأثير اى انسان آخر مع جواز استثناء المهاتما غاندى .

تاجور فى المدرسة

وفى اول عهده بالمدرسة ، صدم تاجور بوسائل العقاب البربرية ، وطرق التدريس التقليدية الجافة ، وقواعد النظام الصارم . لذلك كثيرا ما نجده يحدثنا عن المدرسة على انها « جزيرة نائية .. مستعمرة يرسل اليها المجرمون » ، اما المدرس فهو « تشخيص لعصا التأديب » . كما واجه مشكلة اخرى شائكة ، لا تزال موضع جدل عنيف فى كثير من انحاء الهند حتى اليوم ، تلك كانت مشكلة اللغة : اذ كانت اللغة الانجليزية هى وسيلة التعليم السائدة فى عصره . ووجد تاجور بادىء الامر مشقة فى تقبل هذه اللغة . وهو فى ذلك يقول : « بينما يردد زملائى التلاميذ العبارات فى سهولة ويسر ، فانى لا زلت اتعثر فى قراءة ابسط الكلمات » . ومع ذلك ، وعلى الرغم من انه لم يمض وقت طويل حتى اصبح تاجور يجيد التعبير عن نفسه باللغة الانجليزية بطلاقة وعذوبة ، فان حبه المتأصل للغته القومية دفعه الى ان يكتب معظم اشعاره باللغة البنجالية ، التى استطاع ان يزيدها عمقا واصالة ، ويضيف الى قدرتها على التعبير عن الدوافع والانبعاثات الانسانية والمشاعر القومية ، كما استطاع ان يضاعف من عذوبتها ورقتها المتوارثة حتى استحقت ان توصف بأنها « لغة ايطاليا الشرق » .

وبينما كان الاخذ بالثقافة والحضارة الغربية ومحاكاتها هو الاتجاه السائد فى ذلك الوقت ، فقد استخدم تاجور لغته القومية لاشعال جذوة الوعى الوطنى ودعوة بنى امته الى الاهتمام بالتراث الثقافى القومى . ولقد علق الناقد الهندى الكبير « شملان » على الانتصارات التى

---

١ — الانا جزء من ستة عشر جزءا من الروبية .

حرزها تاجور فى محيط الثقة بقوله : « . وحتى أولئك الذين لا يعرفون اللغة البنجالية يستطيعون الاحساس بالروح الجمالية التى تفيض بها اغانيه واشعاره العذبة ، لاسيما اذا ما ادتت مصحوبة بالنغم الذى وضعه هو لها . »

الشاعر الصغير

وبدا تاجور يقرض الشعر وهو فى الثانية عشرة . واذ تجمعت لديه بضع قصائد واغان عرضها على ابيه «القديس» الذى اعجب بها كثيرا ورحب بها قائلا : « لو ان هذه الاشعار فى زمن مضى ، لذهبت فقراتها على الامبراطور . ولا شك انه كان سيمنحك وقتذاك كيسا من الذهب » . ولكن رعاية الامراء وتبنيهم للاعمال الادبية لم تكن من التقاليد الشائعة ايام تاجور ، واكتفى « القديس » بأن منح ولده خمسمائة روبية تشجيعا له وحفزا على مواصلة القراءة والبحث .

وحين بلغ تاجور السابعة عشرة ارساله ابوه ليقيم مع اخيه الاكبر ، وهو اول هندى يلتحق بجهاز الخدمة المدنية فى الهند — لتلقينه طبائع الانجليز وطرقهم فى الحياة والعمل . ثم سافر بعد ذلك لاتمام تعليمه فى انجلترا . وقد كان تعليما عاما ، بمعنى انه لم يحصل على درجات علمية .. الا الشرفية منها .

اغراق فى الطبيعة

وبعد عودته الى الهند . وهو اذ ذاك فى الحادية والعشرين من عمره ، كان يقف ذات يوم فى شرفة احد المنازل بمدينة كلكتا ، يتطلع الى اشجار الحديقة . . . وبينما كانت اشعة الشمس تنعكس فوق ورقات الشجر الخضراء ، اذا الشعور خفى مفاجىء يغشى على حين غرة . وكانما غمامة سوداء قد انقشعت عن ناظرى ، فاذا الدنيا ترقص فى اهاب رائع فتان ، يصعب التعبير عن حسنه وبهائه » . هذا الاغراق اللا متناهى فى الطبيعة ، وهذه النظرة الخيالية الحالمة الى العالم المادى اسطبغت بها معظم اشعار تاجور ، واضفت نورا وسحرا على المشاهد التى عرضها ، وخلقت معايير واوصافا جديدة لمناظر البنجال التى احبها ، وعاش فى ظلها ، واصبحت جزءا من كيانه .

اناشيد الصباح

ونشر اول ديوان من اشعار تاجور ، « اناشيد الصباح » ، وهو فى الثانية والعشرين من عمره . وقوبلت قصائده بفيض من الاعجاب والتقدير . . لان الرقة والعذوبة ، والاسلوب الغنائى العاطفى الذى صور به تاجور المشاهد الطبيعية فى البنجال او دقائق الحياة اليومية بها اسرت القراء والنقاد على السواء واستحوذت على اعجابهم . . وادهشتهم فى بعض الاحيان : لقد اصطبغت صورة السماء او العواصف ، موسم الحصاد او الفيضانات ، الزهور او اشعة الشمس — بلون جديد فى اشعار تاجور . ووجد الهنود انفسهم مسوقين بقوة تلك الاشعار الجديدة والالفاظ الثورية الملتهبة ، لشاعر صغير السن . . شديد الحماس — الى التشبث بقوميتهم والاهتمام بفهم تراثهم والاستمتاع بمباهج الحياة فى اوطانهم .

تصير الضعفاء

وقد [illegible] فى شعره ، خاطب تاجور ابناء الهند [illegible] والرسل . لكى [illegible] والعطف الى حياة الفلاحة الضعفى من بنى

وطنهم . « .. ان وجوههم العابسة تنطق بمأساة قرون طويلة .. انهم لا يندبون حظهم ، ولا يقسمون باسم الاله . وهم لا يرضون بالاساءة ولكنهم ايضا لا يوقعون اللائمة على احد .. ان يضع حبات من الارز ، يسخو بها كل واحد ، تكفيهم لعبور هذا الوجود . وحتى اذا ما حرموا هذه الحبات اليسيرة واذا ما اخترقت قلوبهم الضعيفة سهام الظلم والجشع والطغيان فهم لا يعرفون الى العدل سبيلا يسلكونه ، ولا شخصا اليه بالشكوى يصرخون » .

وفى النشرات التى كانت تتوزع على اعضاء الجمعيات الادبية والسياسية فى البنجال ، وفى خطبه المتعددة ، دافع تاجور عن حقوق الفلاحين فى الثقافة والتعليم وحتى يدركوا معنى الوحدة والاخاء . فناشد اغنياء المدن قائلا : « ليأخذ كل منكم قرية ينظمها ويرعى شئونها . انشروا الوعى والمعرفة بين المزارعين .. علموهم كيف يكون التضامن والقوة والوحدة .. ولا تتطلعوا الى شهرة او تنتظروا شكورا . وحتى اولئك الذين قد تضحون فى سبيلهم بأرواحكم واموالكم ، لا تتوقعوا اعترافا منهم بجميل ما اسديتم اليهم من صنيع ، بل استعدوا دائما لتلقى ما قد يبدر منهم من انتقادات » .

لم تجد صيحات تاجور اذنا صاغية بين معاصريه فى كلكتا . فالفوضويون وجماعات الثوار التى اخذت تظهر فى ذلك الوقت نظروا جميعا الى برامج تاجور ومشروعاته الاصلاحية على انها « شديدة الاعتدال . بطيئة التنفيذ » . اما الاثراف وسادة الارض فقد زاوا فيها خطرا داهما يزعزع مكانتهم . وان غابتها الوحيدة هى القضاء على طبقتهم وتحطيم سلطانهم . وظل الامر على هذا النحو حتى جاء غاندى الذى الهب حماس الهنود لفكرة الخدمات الانسانية والاصلاحات القروية . وعندئذ تأكدت القيمة الحقيقية لتعاليم تاجور وظهرت جليا اهمية آرائه وصيحاته . ولعل اصدق تعبير عن ذلك هو ان برامج الخدمات الاجتماعية ومشروعات الاصلاح القروى التى تقوم حكومة الهند بتنفيذها اليوم تعتمد فى جوهرها على اساس الافكار التى نادى بها تاجور .

كيف يكتب :

لقد بلغت آثار تاجور اكثر من ثلاثة آلاف قصيدة وانشودة ، يبدو شبيها بالمعجزة ان يجد تاجور الوقت الكافى لكتابتها ، لكن يفهم ذلك اذا ما ذكر حادثة كان اثناء احدى زيارات تاجور لانجلترا ، حين استضافه الكاتب الانجليزى المعروف فرانسيس يبتس بضعة ايام . واراد يبتس ان يهيىء لضيفه جو الكتابة الذى يفضله . فسأله : هل ترغب فى باقة من الزهور يضعها فوق المكتب فى حجرة شاعرية هادئة بعيدة عن الضوضاء والجلبة . وكان مع تاجور فى ذلك الوقت صديقه ورفيقه اونيل تشاندا الذى اجاب يبتس قائلا : « لقد رايته يكتب احسن اشعاره وهو يجلس فى حجرات الانتظار بمحطات السكك الحديدية » !!

تاجور فى شانتى نيكيتان — دار السلام

فى عام ١٩٠١ . وقد بلغ تاجور الاربعين من عمره ، بدات آراؤه فى الاجتماع والفن والتربية تتخذ طابعا عمليا وتنتقل من مرحلة الكلام النظرى الى مرحلة التطبيق العملى . ففى هذا العام انتقل تاجور

انى شانتى نيكيتان Santinikitan المنزل الريفى المتواضع الذى اعتاد ابوه « القديس » ان يقضى به اوقاته فى التأمل والتفكير ، وقد صير تاجور هذا المنزل مدرسة خاصة لكى تكون نواة لبدء العمل الايجابى فى سبيل اصلاح القرية والنهوض بمستوى الحياة فى الريف. وعلى الرغم من انه بدأ مدرسته هذه بخمسة تلاميذ فقط ، فسرعان ما تحولت الى معهد مشترك يضم عددا كبيرا من فتيان الهند وفتياتها . وظل المعهد ينمو ويتسع حتى تحول اخيرا الى جامعة عام ١٩٢٢ .

واول ما اهتم به تاجور فى مدرسته هو توفير الحريات كاملة للطلبة والمدرسين على السواء ، وهو الذى لم ينس ابدا تلك الحياة القاسية المقيتة التى عاشها تلميذا فى ظل القوانين واللوائح الجامدة الصارمة — فكان التلاميذ يتلقون دروسهم فى الهواء الطلق بين الحشائش والاشجار حتى يستفيدوا مما اطلق عليه تاجور « . . . روح الاخاء والمودة السائدة بين الشجر » .

وفى مذكراته الخاصة ، يقول عن تلاميذ مدرسته هذه : « . . ولا اذكر ان قلت لهم مرة : افعلوا هذا ، او لا تفعلوا ذاك . لقد اردت تحقيق السعادة لاولئك الصبية ، فى جو تنعشه انفام الحرية » . ولم يلجأ تاجور مطلقا الى فرض العقوبات البدنية. اما اوقات الدرس وقواعد النظام فكانت دائما مرنة ، قابلة للتعديل والتغيير ، واذا كان لابد من وضع لوائح للنظام وتحديد اساليب العقاب فقد اشار تاجور بأن تقوم بهذه المهمة « حكومة » تتألف من التلاميذ انفسهم .

وهكذا نجد انه بينما كانت « اساليب التعليم الحديثة » لا وجود لها فى الهند بأكملها ، وفى الوقت الذى كانت دول الغرب لا تزال تنظر الى مثل اساليب تاجور هذه على انها ضرب من الخيال ، ولا تقوم على اساس علمى سليم ، كان تاجور ينادى بتلك المبادىء والاسس التى تطورت فاصبحت فيما بعد جوهر النظريات التربوية فى العصر الحديث .

تاجور والمسرح

وعندما عرضت مسرحيات تاجور على مسرح شانتى نيكيتان اثارت ضجة من الاستحسان والدهشة فى وقت واحد ، ولا سيما حين ظهرت على خشبة المسرح لاول مرة فى تاريخ الهند فتيات مثقفات من بنات الاسر الكريمة .

واما تمثيلياته الراقصة فقد امتزجت فيها الصياغات الكلاسيكية بالرقصات الفولكلورية وعنى فيها تاجور بعرض المشكلات وحلولها ، مثل عنايته بالنواحى الدينية — بعد ان كانت مثل هذه التمثيليات قاصرة على النواحى الدينية فحسب .

وكثيرا ما كان يقوم تاجور نفسه بادارة المسرح وتوزيع الادوار على الممثلين ، كل حسب مواهبه واستعداداته الصوتية والحركية . بل كثيرا ما قام هو بأداء بعض الادوار فى مسرحياته باجادة . واتقان نادرين — جعلا احد كبار الممثلين فى البنجال بعد مشاهدته لاحد ادوار تاجور على المسرح يقول : « من حسن الحظ ان تاجور ليس ممثلا محترفا ، والا فقدنا عملنا » .

رحلات تاجور

قام تاجور بعد ذلك برحلة طويلة الى اوروبا وامريكا حيث القى فى جامعاتها بعض المحاضرات فى التربية والفلسفة والاجتماع ، وجمع بعض المال اعانة

[illegible] . وعرج في طريق عودته الى الهند على اليابان والصين وكثير من البلدان الاسيوية . وهو في هذه الفترة لم يكف عن الكتابة والتأليف . فهو كما عهد فيه كان يكتب ويؤلف ، يصور مشاعره واحاسيسه ، ثم يرسل كتاباته الى اصدقاء له في الهند لينشروها بين اخوانه الوطنيين ، يعيد اليهم فيها صورا رائعة من تراثهم الماضي القديم ، ويذكرهم بما طواه النسيان من علاقاتهم بالعالم الاسيوي ، ويفتح أمامهم آفاقا جديدة — من أجل مستقبل جديد .

انه لمن المؤسف — حقا — في تاريخ المستعمرات الاسيوية ، ان جمهرة سكان هذه المستعمرات قد فقدوا علاقاتهم بجيرانهم الاسيويين انفسهم ! وعندما كان احدهم يفكر في السفر الى الخارج لا يجد امامه سوى اوروبا .. موطن الغزاة والمستعمرين . لذلك لم يكن غريبا ان اصبحت معرفتهم بآداب الغرب وحضارته اعمق في كثير من الاحيان من معرفتهم لانفسهم . .

ولم يكن تاجور ليرضى عن هذه الامور ، فمضى يشرح مظاهرها واسبابها ، ومع انه اسهم في معالجة هذه الاوضاع بانشاء أول مدرسة في الهند للدراسات الصينية فانه لم يتعصب في ثورته ضد الثقافة والحضارة الغربية ، ولم يؤيد الدعوة التي انتشرت بين أوساط الشعب الهندي والتي نادت بأن « التربية والثقافة الغربية لا تستهدف الا ايذاءنا » . لقد كانت وجهة نظر تاجور في هذه المشكلة هي . . **« ان سبب المأساة يرجع الى اننا اهملنا علاقتنا بتراثنا وثقافتنا مدى طويلا ، فتجمعت عن ذلك الاخطاء التي وقع فيها الغرب عند محاولته فهم ثقافة الشرق وحضارته . ولكن .. هل مما يصلح الامور أن يسيء الشرق بدوره فهم الغرب ؟ »**

وفي كل بلد زاره تاجور ، ترك عددا كبيرا من المعجبين به والاصدقاء له . وظل يتبادل معهم المراسلات لفترة طويلة . ولم تكن تلك المراسلات من قبيل تبادل الاخبار الشخصية او الاحاديث العابرة ، بل كانت حافلة بالاهداف الانسانية فالى صديقه الشاعر الياباني « نوجو تشي » كتب تاجور ، وقد هزته مشاعره الانسانية النبيلة ، رسالة مطولة تفيض بالحزن والمرارة والاسى لان نوجو تشي ، قد اساء الى الشعر والشعراء ، والبشرية جمعاء ، بتأييده للحرب وتحريضه على العدوان .

وفي خطاب له الى والده ، يقول تاجور عن تجربة الروس الجماعية في تعليم الجماهير : « .. لقد صاغ السوفيت نظم التعليم عندهم في قالب ثابت لا يتغير . ولكن هل يمكن صياغة الشخصية الانسانية في قالب جامد محدود المعالم والابعاد ؟ انني لا اشك في ان افكار الانسان الحية الدائبة الحركة سوف تصطدم حتما مع مثل هذه النظرية . وبتكرار هذا التصادم اما ان يتحطم ذلك القالب ، واما ان تضيق بالضرورة مدارك الانسان وتقل آفاق تفكيره . او يكون اسوأ الامور جميعا ، وهو تحول عقله الى آلة ذاتية الحركة » .

اما مراسلاته العديدة مع المهاتما غاندي ، فقد تعرض فيها تاجور للحديث عن انجع السبل التي تتبع من أجل تنمية الحركة القومية في الهند .

واينما ذهب تاجور ، في رحلاته شرقا وغربا ، تنازعه احساسان :

اولهما شغفه المرهف واهتمامه — البالغ حد المغالاة — بالناس والبيئة التي ينزل بها .

وثانيهما : حنينه الى شانتى نيكيتان الذى لا حدود له ، فما اكثر ما كان فى رحلاته يشغل بمدرسته ، وكثيرا ماتواتيه مشاعر فجائية عنيفة ملحة ، فى رغبة العودة الى وطنه للمشاركة فى الاعياد والمناسبات القومية . وقد كانت هذه الانفعالات من القوة بحيث جعلته ، وهو على ظهر السفينة فى احدى اسفاره يداب على كتابة خطاب كل يوم الى صديق له فى شانتى نيكيتان . ولم تكن هناك وسيلة لارسال هذه الخطابات فى حينها فسلمت دفعة واحدة بعد عودته .

لقد كانت شانتى نيكيتان فى الواقع اهم شىء فى حياة تاجور — ومن محاسن الصدف انه كان موجودا بها عام ١٩١٣ عندما بلغته انباء فوزه بجائزة نوبل للاداب عن ديوان اشعاره المسمى «جيتا نجالى». وزهاه الفرح والسرور بذلك الشرف الذى اسبغه عليه العالم بمنحه الجائزة ، ولكن كان سروره اعظم بالاعتمادات الاضافية التى قررتها اللجنة : « للنفقات الباهظة التى يتكبدها تاجور من اجل مدرسته » .

وكان تاجور يقدر عمل التطور فى اشعاره وموسيقاه . فقد حدث ذات مرة أن اعترض سكرتيره على بعض التغيير بقوله : « ولكن .. ليس فى مقدورك تغيير هذه القصيدة ، لقد حفظها الوف التلاميذ عن ظهر قلب » . فرد عليه تاجور بقوله : « ومن ذا الذى علمهم أن الشعر قالب جامد لا يتغير ؟ » .

الرجل الكامل

وهذا السكرتير المعترض نفسه يصف تاجور قائلا : « انه الرجل الكامل الوحيد الذى لقيته فى حياتى » . ان اهتمامه بالعالم المحيط به وعنايته بالحياة لم تنضب ولم تعرف حدودا ، حتى اخريات حياته . وعندما وافته منيته كانت كتب العلوم على مكتبه اكثر من كتب الادب . بل انه الف وهو فى الخامسة والسبعين كتابا فى الطب . . مع انه لم يدرس الطب .

تاجور الرسام

وفى سبعينياته كان تاجور رائد المدرسة الهندية الحديثة فى الرسم وقد بدات هوايته الرسم بطريقة غريبة حقا . فبينما هو يكتب اشعاره على قطع مهملة من الورق ، او فى كراسات التلاميذ ، كان يلجأ احيانا الى طمس بعض السطور او العبارات . وحتى « يوارى تاجور تلك الكلمات بطريقة لائقة » كان ينقش حولها خطوطا بقلمه ويزين ما رسمه من جمل وعبارات ، بحيث يحدث فى بعض الاحيان ان تختفى القصيدة باكملها وتظهر بدلا منها لوحة باللونين الاسود والابيض. وشيئا فشيئا تحول تاجور الى الرسم بالالوان مركزا اهتمامه على الناحية الايقاعية والشعورية اكثر من الناحية التصويرية .

وفيما عدا الملابس التى كان يرتديها تاجور ، كانت ميوله الشخصية غاية فى البساطة والاعتدال ، فهو لم يدخن مطلقا ، كما كان زاهدا فى التملك او حيازة وسائل الراحة والبذخ والتنعم . ومع ذلك فقد حاول تاجور بحماس شديد ضد مبدأ غاندى الذى جعل من البساطة فضيلة . . لانها على هذا النحو تكون نوعا من الاستسلام لا يرتضيه ثائر جر يبغى التقدم والاصلاح .

مع تاجور فى شانتى نيكيتان :

وكانت اول زيارة لى الى شانتى نيكيتان فى سنة ١٩٤٠ ، قبل وفاة تاجور بعام واحد . وما زلت اذكر مشاهدتى الاولى لتاجور وهو يجلس على اريكة ساذجة من الخشب فى احدى الشرفات

وقد اتكأ على بعض الوسائد : كانت عيناه نصف مغلقتين بينما كان وجهه المشرق بجبهته العريضة ولحيته البيضاء المسترسلة ينم عن صفاء وهدوء نادرين. وكان تاجور وقتها فى دور النقاهة من مرض الم به وبادرنى بقوله : « انك تجدبننى بحال من التعب والاعياء ... ولكن ليس من شيمتى اليأس او القنوط — واما الشك والارتياب والجحود فاننى اتركها للشباب » .

وحدثنى تاجور عن الايام الاولى له فى شانتى نيكيتان فقال :

« لقد كان غاية ما اصبو اليه فى ذلك الوقت هو ان انشىء هذا المركز واملاه بخيرة شبابنا من الهنود يدرسون ويبتدعون اساليب وفنونا هندية اصيلة. **فقد كنا لهذه الايام فى اشد الحاجة الى تأكيد ذاتيتنا ، وكنت على يقين من اننا نستطيع أن نحقق ذلك عن طريق الفن . بل كنت اشعر ان هذا السبيل قادر على أن يصل بنا الى ابعد من ذلك .. فيوطد علاقاتنا بغيرنا من الشعوب والثقافات والحركات المناضلة من اجل الحرية** » .

ومضى تاجور يقول وقد بدا عليه التعب : « والآن .. الآن وقد تحقق ماكنت اطمح اليه وتوطدت دعائم مجتمعنا، فان كل قمة نصل اليها تحفزنا الى تسلق مئات اخرى من قمم جديدة . **ان الآفاق تتسع ...** »

وفى الامسية الاخيرة من زيارتى لشانتى نيكيتان حدث هذا المشهد الذى ما زالت وقائعه واصداؤه ماثلة حية فى مخيلتى وكان هذا التاريخ البعيد لا يعدو بحال — ان يكون البارحة :

فى حفل موسيقى غنائى اجتمعت المدرسة فى تلك الامسية . وفى ختام الاحتفال وقفت احدى الفتيات تؤدى انشودة لتاجور عن تحرير الهند . وكان وجه الفتاة محمرا ، والتأثر باديا على محياها — فهى كغيرها من تلاميذ شانتى نيكيتان ، كانت تؤمن ايمانا عميقا راسخا بضلال الحكم البريطانى وعدم شرعيته ، وضرورة حصول الهند على حريتها واستقلالها . وفجأة نهض تاجور من مقعده بائصف الاول واوقف الفتاة قائلا : « ارتاحى يا بنيتى ، ان حالتك لا تسمح لك الآن بالغناء . انها ليست انشودة حماسية تلك التى تنشدين .. انها دعاء ... تضرع .. ابتهال » .

وبصوته الصافى الرقيق انشد تاجور دعاءه فى رزانة وهدوء .

وبعد ذلك بعام واحد توفى تاجور ، والى الايام الاخيرة من حياته ظل يكتب ويتحدث بقدر ما تسمح له صحته بذلك . وقبل ان يسلم الروح بدقائق قليلة ، فى نفس المنزل الذى ولد به ، كانت التدابير والاستعدادات تجرى على قدم وساق لاجراء عملية جراحية له . وقال له الطبيب محاولا ان يهدىء من روعه : لا تجزع من هذه الترتيبات الكثيرة فقد علمتنى تجاربى الطبية انه يجب الا تقف الاحتياطات الوقائية عند نهاية . وكان ان رد عليه تاجور بقوله : **ولكن ليس هناك احتياط وقائى واحد ضد النهاية** » .

والآن ..

والآن ، وبعد عشرين عاما ، نستطيع ان نقرر فى حق وانصاف ، ان وفاة تاجور لم تكن النهاية بأية حال . صحيح ان امورا كثيرة من اعماله قد وقفت ، او اصابها التغيير والتعديل . ولكن ، مع ذلك ، فان

امورا اخرى كثيرة لا تزول ، وستظل خالدة على مر الزمان . .

واذا عرفنا ان صيغ الشعر وقوالبه غالبا ما تكون عرضة للتغيير السريع فان لوحات تاجور ورسومه تحظى الآن باهتمام وتقدير عظيم مع انها كانت غريبة ومحيرة لجمهرة الهنود عند ما عرضت عليهم لاول مرة .

اما معتقداته السياسية وآراؤه الاستقلالية التحررية فقد اصبحت اليوم جزءا من الواقع التاريخى للهند الحديثة .
وكذلك ايضا نظراته العالمية واقواله التى تفيض بالحكمة والنبوغ فانها لاتزال تثير اهتمام العالم اجمع .

ومع أن آراءه فى تقدم القرية واصلاح الريف ونظرياته فى التربية والتعليم قد اصبحت الآن مجرد كليشيهات فهى لا تزال يعمل بها فى كثير من البلدان . وماذا عن شانتى نيكيتان .. مهد الاحرار ؟

لقد اصبحت جامعة قومية ترعاها الحكومة ، لها مناهجها واختباراتها ودرجاتها المعترف بها .

وفى متحف تاجور ، الذى يشغل الحجرات التى كان يحتلها فى شانتى نيكيتان يستطيع المرء أن يرى آثار تلك الحياة الحافلة ومخلفاتها : صور فوتوغرافية تغطى ثمانين عاما من تاريخ الهند الحديث ، لوحاته ورسوماته . . الرسائل الاخيرة التى كتبها .. الميدالية الذهبية لجائزة نوبل . . مكتبه وقلمه الانبيابى الرصين .. تحف واشياء صغيرة تمثل ذكريات فنان وثائر ومفكر .. بقايا شخصية غيرت وجه الهند .

انى لاتخيله اليوم يقول ، كما قال يوما لاحد المعجبين : « **ماهذا الصخب والضجيج الذى تصنعون ؟ ألا تدركون أننى لم أعمل عملا ما ، ولم أصمم على فعل شىء ما الا لانه يبعث فى نفسى الشعور بالمتعة والارتياح ؟** »

عن الانجليزية
نسيق التحرير وديع روفائيل

القدر ...

والحظ ...

والبخت ...

فى المثل الشعبى

بقلم : محمد ابراهيم أبو سنه

خلال المراحل التاريخية المتعاقبة كان الوعى الشعبى يستفيد من تجربته الاجتماعية والحضارية فى تطوير واقعه ، وكان سعيا وراء هذه الغاية يستخدم جميع الإمكانيات التى تقدمها له ظروفه لان « **النواية تسند الزير** » ولما كانت هذه الامكانيات تقف فى اغلب احيانها دون المستوى اللازم كان الفكر الشعبى دائم الوقوع تحت تاثير الفكر الرجعى . وكثيرا ما كان يصوغ تجربته الاجتماعية صياغة ميتافيزيقية . فهو مثلا كان يؤمن بالتطور الدائم لا الذى « دولاب داير » بالحركة الخالقة . والذى لا شك فيه ان هذا الايمان بالتطور كان يضع جذوره فى الملاحظة الدائمة لهذا الواقع الذى يخضع فى نطاق حركته التاريخية لمنطق الصيرورة الابدية . ولكن التبرير الفعلى فى المفهوم الشعبى لحركة الواقع كان تبريرا غيبيا . فالفهم الشعبى يعتقد ان الحركة مفروضة من خارج الاشياء وليست خاضعة للخصائص الذاتية لهذه الاشياء نفسها « **تبات نار تصبح رماد ولها رب يدبرها** » وكان التفاعل الثقافى بين المفهوم الشعبى والمعتقدات الرسمية التقليدية يمنح هذا التبرير تأكيدا شديدا . وربما لم يكن من الممكن فى عصر كانت العقلية الانسانية فيه تمارس شكلا بدائيا من اشكال التفكير الانسانى ولم يكن العلم قد قدم لها مصابيحه الذرية بعد ، لم يكن من الممكن فهم قوانين الواقع بحيث يرد التغير الدائم فى هذا الواقع الى خصائص ذاتية فى الاشياء والادوات المادية الموجودة فيه . هذا الى جانب وقوع الفكرية الشعبية تحت طغيان التفكير الغيبى لمراحل طويلة جدا ، وكان التراث الدينى يشكل عندنا كل مناهجنا وثقافتنا تقريبا . وكان هذا التراث يلح على بث روح تفاؤل غامض فى حياتنا لا نستطيع ان نلمح فيه الادراك المبرر بجوهر القوانين العلمية التى يملكها عصرنا الحديث .. ومن هنا نجد ان الايمان بالتطور والحركة كان يحمل وجها واقعيا نشاهد فيه تفاصيل المواقف الاجتماعية ، ولكن الانعكاس النظرى والتبرير المنطقى

كان ميتافيزيقيا ، ولذا كان هذا الايمان غير مدرك أن حركة التطور حركة طولية تنبع من الماضى البدائى الساذج وتصب فى غد جديد تماما وانما كانت الحركة فى رأيه حركة دائرية ربما لانها تقوم على نظرية الفعل ورد الفعل : « **الدنيا بدل ، يوم عسل ويوم بصل** » وفى عصرنا الحديث تقدمت المناهج العلمية والفلسفية واصبحت قادرة على توجيه هذا الايمان فى نطاق شروط علمية خالصة . واصبحت هذه المناهج قادرة على البرهنة على هذه الحركة التاريخية وقادرة كذلك على قيادتها . واصبح التخطيط للعملية التاريخية يتم فى ضوء قوانين محددة ، وهنا نواجه وجها لوجه هذا الاله الغامض الذى لعب اعظم ادواره فى تاريخنا . ذلك الاله الذى « **يجيب الواطى عالى والعالى واطى** » وقد عاش هذا الاله فترة طويلة بل ما زال يعيش فى أدبنا الشعبى ، ويعمر المثل ويمده بطريقة فهمه للواقع وان كان مركز هذا الاله قد تزلزل بعد ظهور المناهج العلمية كبديل لنظريات المعرفة الميتافيزيقية وآن لنا ان نسمح له بالانصراف بعيدا عن ميدان الصراع الاجتماعى وان نضع الخصائص الجوهرية للاشياء وارتقاء وسائلنا فى صدر العوامل الحاسمة للتطور الطولى ، دون اشراف فوقى من القدر . ذلك الاله الذى شاخ فى صراع العمليات الاجتماعية الطويل . ولكنا رغم ذلك مضطرون الى تناول آثاره فى مجال فلسفتنا الشعبية .

* * *

ثم اكتشاف القدر فى فترة سحيقة القدم من تاريخ الانسان عند ما كان يواجه بوسائل متواضعة ضرورات بقائه حيا . وكان دوره فى بدء اكتشافه دورا ايجابيا يخدم قضية الانسان على الارض ، فقد مكنه من استعمار الارض فى حراسته وتحت ميزانه العادل ، ولكنه على المدى التاريخى العام استخدم كاداة تجميد الاوضاع الاجتماعية من ناحية وسيادة تراق عليها الاحلام الجميلة ، فى ليالى الشقاء التى طحنت الانسان الاجير من ناحية اخرى ، واصبح القدر هو الموكل بظهور فجر العبيد من اعماق الآبار المظلمة .. وقد انجب هذا الاله المسمى بالقدر وليدا يحمل فى تقاسيمه الحزينة ملامح مصر ، وطبيعة حضارتها الزراعية وعمد هذا المولود باسم **الصبر** . وكان الصبر هو الآخر فى تشابه مثل أبيه ليس محض وسيلة خاملة للمواساة والانهزام ، وانما كان فى مراحل كثيرة يحمل عنصر الاداة الايجابية فى النضال ، فهو يمثل فى آفاقنا الشعبية مرحلة التأمل والانتظار وامتلاء الاوعية فى لحظات التفجر العظمى عند ما تكون الامكانيات المادية فى مستوى ادنى كثيرا من مستوى الظروف القائمة . وكثيرا ما كان الصبر ينظر بين وهيجه الى الغد . والقدر كان هو الذى يمنح طاقة الابصار القوية لمستقبل افضل ، وكثيرا ما كان يقف معه على الطريق فى صدر شعبنا . فى هذه المراحل التى كان الصبر فيها مجرد لحظات امتلاء للاوعية الدموية الشعبية كانت المقاومة الايجابية الفعلية نوعا من المخاطرة البلهاء . فالاعداد فى مرحلة الصبر كان وسيلة منطقية لعبور الى المراحل التاريخية التالية بعد توفر مستوى الوعى اللازم ونهوض الامكانيات الشعبية باعبائها فلم يكن اذن الا مرحلة ضرورية ، مهدت لاعتلاء الدرج وكان القدر ــ القدر الدينى ــ هو الجدار السميك الذى يعصم هذه القوى من اليأس الاخير . والولوج الى الطرق المقفلة لان هذا القدر كان يحجل « **لك يوم يا ظالم** » وكانت الحكمة السعيدة تردد خلفه « **اللى يحفر حفرة يقع فيها** » وعمده

الخلفية القدرية الصلبة للصبر قد دعمت الموقف الشعبى وشجعت الايمان بالتطور.

وكان هذا التبرير القدرى هو التبرير الوحيد الواضح ... ولم يكن هذا الدور الكلى الذى كان يقوم به القدر مقصورا على التعزية فقط ، بل كان تعبيرا عن ارادة الله العادلة . واذا تصورنا القدر حكومة قائمة بذاتها بعيدا عن الارض فان سفراءها الى الارض كانوا هم : **البخت . والحظ . والنصيب** . ودور الحظ والبخت كان دورا جزئيا لا يدانى دور الحكومة المركزية التى تتولى تطبيق العدالة الشاملة على الارض كافة ، اما الحظ فمجاله جزئى داخل نطاق حياة الافراد واذا اردنا تصنيفا فكريا لهذه الكلمات فاننا نستطيع ان نقول : ان القدر كلمة دينية خالصة . اما الحظ والبخت فكلمتان اجتماعيتان لهما تاريخ حافل بالسعادة والشقاء فى حياة البشر فاذا نظرنا الى الكلمات الثلاث من خلال وظائفها وجدنا ان :

١ ــ القدر هو التصرف المطلق بطريقة كلية .

٢ ــ الحظ اشبه بالثرى الابله الذى يمنح بلا وعى ، ويبذر امواله فى جيوب لا تنتظر منه شيئا فهو كثيرا ما ((**يدى الحاتى للى بلا ودان**)) .

٣ ــ البخت هو اله خامل فاشل يقود ضحاياه الى متاعبهم وآلامهم .

ومن هذا ندرك ان القدر اقرب الى المعتقد الاخلاقى الذى يدرك الجانبين المتنابذين : الجانب الخير ، والجانب الشرير ، وهو فى النهاية يفرض على الجميع عدالته المطلقة ، كما انه ، يترك الامور ، تعتنق سلقيتها بل يوجهها ويعمل دائبا من وراء ستائره الكثيفة ، ولكنه للاسف يترك على الارض سفراء ليسوا بالذكاء الكافى لتغطية وقاره فى اعين ضحاياه او رعاياه . فالحظ يعطى الحلق للى بلا ودان وهو ابن بكر للمصادفة العمياء وهو يمارس دوره فى حدود الشخصيات لا فى حدود الامم او الجماعات فهو اشبه بمغامر مخمور يوزع هباته بطريقة لا عدل فيها ولا وعى ، وهو قريب الشبه بالمدينة الذهبية التى تمر بارتفاع قليل فوق جميع ابلاد كل عام والسعيد من يتمكن من الحصول على لبنة ذهبية من ابنيتها(١) »

واذا كنا نقابل تصرفات القدر بالصبر والسلوى فاننا نتلوى حسرة عندما يفوتنا ركب الحظ السريع ، ربما لاننا نؤمن بعدالة القدر وبلاهة الحظ ولذا نرى المثل يؤكد ان ((**ساعة الحظ ما تتعوضش**)) وهذا المغامر المسمى بالحظ قادر بطريقته الخاصة على نقلنا من ادنى درجات السلم الى المراقى العالية . والحقيقة ان الحظ والبخت والنصيب مجرد اقنعة غامضة تستر طبيعة المتناقضات فى هذا الواقع وتخفى امراض العلاقات الاجتماعية فى المجتمعات المتخلفة . ووجه المجتمع الدميم الذى ينضح بالرشوة ، والفسق ، والنفاق ، والوساطات لا يجد من المساحيق الا مثل هذه الكلمات الخادعة ، وهذا ملاحظ فى واقع سلوكنا اليومى فعندما يتقدم اثنان لمسابقة عمل مثلا ويتفوق احدهما على الآخر ثم يحدث ان الاقل امتيازا هو الذى يأخذ المكان لوساطة او لرشوة لا يجد المتفوق لتغطية فشله وعار المجتمع

---

(١) خرافة شعبية يعتقد فيها الاطفال الصغار ، ربما كانت نوعا من احلام اليقظة للتعبير عن الواقع الفقير الذى يعيشونه .

الذى يعيش فيه الا كلمة الحظ البلهاء وهو يلقى بياسه فى قاع هذه البئر العميقة الحظ والبخت والنصيب « **لان المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين** » وعندما يخرج طالب من امتحانه راسبا بعد تقصير دام عاما كاملا فانه يجد فى مثل هذه الحكمة قناعا كافيا لتقنيع تقصيره : « **قيراط حظ ولا فدان شطارة** » . واذا كان القدر هو التبرير النفسى للصبر ، واذا كان الصبر هو مرحلة التعبئة الصرورية قبل الانطلاق فان القدر لا يصلح ان يكون تبريرا معقولا فى مجتمع تنهشه الامراض الاجتماعية القاتلة ويصبح هذا الثالوث الخرب : القدر والبخت والحظ مجرد عربة محطمة على طريق التاريخ الطويل والحديث المتقدم يكشف عن فروق دقيقة بين كلمة القدر الاخلاقية الالهية وكلمة الحظ الاجتماعية فما هو موقف كلمة البخت من هذه الفروق ؟؟

ان الاستخدام العرفى قد جعل من كلمة انبخت ظلا قائما على مصائب الناس التى تلحق بهم الفشل المتكرر فى حياتهم « **قليل البخت يلقى العضم فى الكرشة** » « **قليل البخت عضه الكلب فى المولد** » ويتضح من هذا ان البخت نفسه نعمة وسعادة لان قلته هى التى تسبب الشقاء بخلاف الحظ الذى يعتبر فى حد ذاته قوة كلية ذات مستقل قد تحسن وقد تسىء ، ولكن البخت عطاء يمنح والقلة منه مضرة وهو لايتمتع بالبلاهة التى يعرف بها الحظ بل ان البخت ذو بصيرة نافذة جدا ، وهو امين مخلص وفى ، لا يطيش سهمه ، ولكن وفاءه كربه بفيض « **البخت بعرف اصحابه** » والحظ منفصل عن حياتنا لا يمر بديارنا الا كزائر سعيد عاجل ، بينما البخت مقيم معنا ، فهو القدر المصاحب الذى لا ينفصل عنا بل ان خطواته مقيدة بخطواتنا . . « **بختى لقانى فى الطريق** بعرج قال ارجعى ياخايبه لا ترقد » والبخت بتعبير اوضح ، وفى غالب اطلاقاته : هو مجموعة الظروف الفاشلة ، اما الحظ فهو المصادفة الخارجية وقد توسعوا فى كلمة البخت حتى اطلقوها على مطلق الغيب والمجهول . واذا اردنا التحديد وجدناه القانون العام لحياة الشخص ، وهو الطابع الملازم الذى يعود فى اصله الى ام الكتاب » ولهذا تراهم يطلقون على اسرافات « قارئة البخت » اى انه التصميم الازلى لمواليد الابراج السماوية عند الفلكيين حيث تكتب لبعضهم السعادة الابدية ، وللبعض الآخر الشقاء الخالد ، فهو خط طولى للاحداث الشخصية ينتهى مع الحياة كما بدا معها ، وهذا الاستعمال الشائع الآن لكلمة البخت مأخوذ من ايمان بعض الناس فيما تقوله العرافات او قارىء الكف للكشف عن الحظ العام لحياته المرسوم فى لوح الازل ، ونعود فى النهاية الى التصور القدرى القائل بوجود القلم فى يد اخرى « **حد يبقى فى ايده القلم ويكتب نفسه شقى** » والحقيقة ان القلم فى هذه الكلمة كان من الممكن تفسيره بأنه مجموعة القوى التى تتحكم فى مصير الانسان بمعنى اننا نستطيع ان ننسبها الى المستبدين واصحاب السلطان ، لولا ان المثل اختار كلمة القلم ذات العلاقة الوثيقة والصلة العرفية والشرعية بلوح الازل الذى قرر مصائر البشر فى حدود خالدة . والبخت يتابع صاحبه فى كل حياته : « **جيت اتاجر فى الكتان ماتت النسوان** » « **جيت ادعى عليه لقيت الحيطه مايله عليه** » ولكن هذا التجميد للحركة سرعان ما يحطم امام منظار الملاحظة الحقيقية للواقع هذا

الواقع السائل المضطرب « **الدنيا زى الفزيه ترقص لكل واحد شويه** » « **الدنيا زى المرجيحة تجيب الواطى عالى والعالى واطى** » ونرى رغم ذلك ان جميع الروافد القدرية تصب فى لحظات الانتصار فى المحيط العام للعلم ولا يلبث العلم ان يمحو صبغتها ، ولكن الفهم الشعبى يلح على ان « **الدنيا بعل يوم عسل ويوم بصل** » واذا كانت الحياة تنقسم فى نظر المفهوم الشعبى هذا الانقسام العادل بين العسل والبصل فلماذا يتعالى الانين وتشتد صرخات اليأس والشكوى ؟؟

الحقيقة رغم ان العقلية الشعبية قد اقترحت هذه المعادلة على الظروف الا ان هذه التعادلية لم تنهض كمنهج عملى محسوس ومباشر ومتطور فى سبيل تغيير هذا الواقع ، وكان الحاح الظروف الخارجية ، والملاحظة الدائمة للواقع تثبت ان الاعتماد على الخلفية الميتافيزيقية لم يكن امرا سريع الجدوى . ورغم ان المثل الشعبى كان يؤمن ان « **الدنيا دولاب دايز** » الا ان الخلفية القدرية المبهمة كانت تضج بلون غير بهيج بل متشائم لطبيعة الظروف الفاعلة فى هذه الحياة ، وكان يعتقد ان الدنيا غرورة « **المتفطى بيها عريان** » « دنيا فانيه » .

وبهذا الفهم كان الفكر الشعبى يلجأ الى لون من السوداوية ، ولكننا لا نستطيع أن نقول ان المثل يلف اللوحة كلها بالسواد « **الدنيا حلوة على مرة ومرها أمر** » رحقيقى كانت المرارة مخلوقا مكتنزا يفترش كل خططنا ، ولكن هل سلمت القواعد الشعبية مقاليد الحكم الى الالهة الثلاثة ـ القدر . الحظ . البخت لتنفض يدها من غبار المصير الغامض ؟؟

ان القواعد الشعبية مضطرة دائما الى معاناة حياتها ، وبالتالى الى اكتشاف تلقائى لقوانين واقعية من هذه المعاناة ، وهذه الاكتشافات تتراكم حتى تصير وعيا ناضجا ، اذ لا يمكن ان تكون النظرة القدرية هى الخط الفكرى الوحيد الذى يتغلغل فى مدى الحركة التاريخية . فتقدم الوسائل كان يدفع بفئات كثيرة الى التقدم فى المجال الحضارى معتمدة على انتصاراتها الذاتية ، ومجهودها الذى تبذله . كما هو الحال فى ظهور الطبقة البرجوازية وهى الطبقة التى استفادت من تجاربها وتجارب الطبقة الاعلى ، حتى استطاعت ان تسيطر وحدها على النشاط الاجتماعى ، وكان ظهور هذه الطبقة مرتبطا بسقوط القدر ، وبقيام نوع من الاعتراف المتعصب بالطاقة الذاتية للفرد وهذا الاعتراف يعد انتصارا كبيرا دعمته الانتصارات البرجوازية بعد ذلك . ومن ناحية اخرى كانت الحضارة البرجوازية تضحية عادلة بالحضارات الرجعية الاقطاعية ، ثم طرحت حضارتها هى وفلسفتها هى ، ووعيها الجديد على اساس علمى افادت منه شتى مناحى الحياة . ولكن هل يصدق هذا تماما على اوضاعنا وفى بلادنا ؟

وفى نظرى ان الحضارة الزراعية بتركتها الثقيلة وظروفنا الخارجية من استعمار ، واستبداد ، واحتكار . ودكتاتورية هذه الظروف وعلى راسها طبيعة الحضارة الزراعية المزمنة قد عوقت لفترة طويلة ظهور فلسفة تنوير مكافحة فى اوربا خلال القرن الثامن عشر ولكن الفئات الشعبية كانت لها فلسفة خاصة منبثقة من نوعية تجاربها ، الى جانب السند الاخلاقى والفكرى الذى كان المبتافيزيقا اساسهما الاول . وهذه الفلسفة هى التى تجلت فى الامثال الشعبية والتى خضعت ككل مرافق الحياة الشعبية لمنطق الاحداث المادية فى المحيط الاجتماعى ، ولكن « **الدنيا دولاب دايز** » وهذا الدوران ليس حدثا تلقائيا خالصا ، بل ان المثل الشعبى يؤكد فى

وضوح ان الحياه بانتصارها وفشلها صورة منعكسة عن جهودنا الخاصة فى مجالات نشاطنا « **الدنيا مراية وريها توريك** » والفهم الشعبى كان بمثل هذا المثل يقف بوجه جديد امام الفلسفة القدرية الطاغية التى تقول بجبرية قادمة من اعلى ، ولكن الدنيا لاتسير على ماينبغى فى كل الاحوال : « **ربنا ما بيملك القحف عدله** » والا لاستقام وامكنه ان يصلح زمانه .

ونظرة اخرى فى ادبنا الشعبى وخاصة اذا نظرنا الى القصص ، والحكايات ، والاساطير نجد ان القدر كان يقوم بدور ايجابى تتجسد فيه احلام الناس وطموحهم ، وكان البطل مسلحا بقوى خارقة حتى يستطيع القيام بدوره وواجبه تجاه الجماعة التى يعيش معها . ويستطيع كذلك ان يتجاوز بقدرته الصعوبات الكثيرة التى كانت تحشدها امامه القوى الباغية المضادة . وكذلك كان البطل الشعبى بصورة عامة يحمل فى اعماقه رغبة القدر فى تحقيق عدالة شاملة فى ظلال هذا القانون « **الدنيا يوم عسل يوم بصل** » والذى لا شك فيه ان مثل هذه الحكمة التى تحمل بذور التعادلية فى فهمها للواقع اقرب الى التفكير السليم من الحكمة التى تقول « **الدنيا حلوة على مرة ومرها اكثر** » ولم يكن هذا الظن السيء بالواقع هواية محببة لدى الفئات الشعبية بل ان الظلم الواقع عليها كان فى دوار اليأس الشامل والعجز يؤدى الى هذه السوداوية والانطفاء ورغم اننا لا نستطيع ان نكشف على وجه الدقة الملامح الزمنية فى المثل الا اننا نسلم بانه كان يعبر بصدق عن مفهوم مرحلته . وفى اعماقه كانت تتفاعل قوى تاريخية هائلة لذلك فهو لا يغلق الواقع على زاوية واحدة ، بل يتابع مواكب النشاط الانسانى متابعة صادقة . وهو يصدر عن فهم يقف فى نفس مستوى عصره يسيء به الظن عندما يكون العصر سيئا ويتفاءل عند ما تومىء له ظروفه بذلك .

ولهذا فاننا نخطىء كثيرا عند ما نحيط كلمة القدر باطلاق يصبح فى النهاية هزيمة خالصة واستسلاما اخيرا فى مواقف النضال . ان الفهم دائما هو ابن مرحلته التاريخية ووجود البطل الاسطورى الذى كان يسنده القدر فى اداء دوره هو ابن مرحلة كان ظهور البطل فيها على هذه الصورة ضرورة تاريخية ونضالا ايجابيا ، ولكن هذا المظهر القدرى يصبح انهزاميا عند ما يحاول الامتداد داخل مراحل زمنية غير مراحله الطبيعية . ونحن نلحظ أن تقدم الوعى قد فرض على البطل تعديلات جوهرية وطبع فيه خصائص وطبيعة واقعية كما فى موال « ادهم الشرقاوى » حيث ينتصر البطل لا بمساندة القدر له بل لانه حى يعيش واقعه بصدق وذكاء ، وتعيش معه فى هذا الواقع الخيانة التى هزمت عرابى « الولس كسر عرابى » ونلحظ هذا الذكاء فى مثل هذه الحيلة التى لجأ اليها ادهم لمواجهة الحكومة ، فقد تنكر فى زى فتاة جميلة وكان وسيما وقابل السلطة بلا خوف بل حاول ان يعرض علينا غباء الحكومة :

« **وفى الحال كتب للحكومة واعلنهم وجال اللى عايزنى يا حكومة يجينى البيت الولد كان جميل الصورة سبحان من صور**

ولبس جميص بحملات ومجور
ومسك الشمعة ونور كمان للبيه
وجال يا حكومة بتدوروا على ايه
جال المامور يابنت بندور على الادهم
جال دنا الادهم والادهم اجيبه منين
دنا الادهم ياحكومة سمعت انه مجمع من الرجال الفين
دنا الادهم يا حكومة بدى اشوفه ولو تروح من عيونى عين
ولبس خواجه ومن تانى طربج وجابلهم عربى وفرنساوى وبكل لسان كلمهم
وجال لهم ياحكومة بتدوروا على ايه
جالوا ياخواجه بندور على الادهم
جال دنا الادهم والادهم اجيبه منين
دنا الادهم يا حكومة جاتل لى من ح العيال اتنين
دنا الادهم يا حكومة سمعت انه مجمع م الرجال الفين :

وهكذا يسخر الادهم من الحكومة بذكائه رغم انه يعرض لهم نفسه بقوله « دنا الادهم » مرارا .

والحقيقة ان البطولة الشعبية تعرضت هى الاخرى لنمو الحركة الاجتماعية ولكننا لا نستطيع ان نقول ان القدر قد انسحب تماما من الميدان الاجتماعى وان طالعتنا ملامح العزيمة القديمة « **العاجز فى التدبير يميل على المقادير** » ولكننا ونحن نودعه لا نستطيع الا ان نذكر له الدور الذى لعبه فى تجميد الحركات الثورية وتضليل الحركة التاريخية بروح التفاؤل وانتظار غد أجمل . والانسانية تعجب بظروفها الجديدة دورا اكثر ايجابية واصبح التفاؤل العلمى يرتكز على اقدام حديدية على ارض هذا الواقع ونجد المثل لا يفوته ان يمهد للعدالة الشاملة فى النهاية بمثل هذا المثل :

« **الباطل مالوش رجلين** » ويدخل انبخت والقدر والحظ ضمن اطار الوعى الجديد الذى خلقته الظروف الاجتماعية الناهضة ، وهذه الظروف لم تعد تسمح بالانقسام بين وجهى اللوحة فتضع الروح الميتافزيقى كخلفية لادراك الواقع ، اذ ان هذه الخلفية هى التى تجرد الواقع وتعزله عن التنظيم المتفق مع المنطق ونجد ان المثل يتابع حركته الصاعدة مع ظروفه الجديدة .

« **احسب حساب المريس وان جالك ضياب من الله** »

وفى النهاية لا نستطيع ان ننسى ان القدر رغم غموضه قد حمل على عاتقه فرض حتمية التطور العادل الى الامام وجسد حرية انتصار قوى الخير فى الانسان وكان يحمل دائما وجه اله منتقم يختفى وراء دولاب دايم « الدنيا بمل يوم عسل ويوم بصل » واذا كان البصل قد انتزع كثيرا من الدموع من عيون شعبنا الحزينة التى عاشت تاريخها فى نضال مع الارض والقوى العدوانية فان قوارير العسل لا بد ان تاخذ دورها التاريخى فى حركة الدولاب » .

* * *

٣ قصص الأولاد

الواد لسمر

يقلم : حامد الاطمس

تحت الجميزة . قعد ((راعى)) راجل له هيبة الرجالة
بيبص لغنمه بعين واعى مستنى تمر ((القيالة))

* * * *

وفريحه ولا . . حلو حليوة الشمس مخلياه أسمر . .
بيغنى ف حتة غنيوة لها طعم . . واحلى من السكر

* * * *

((الليل فات يوم . على شجر التوت التوت اسمر وبات زعلان))
(معلهش يا توت . الليل حايفوت والفجر يا توت لازم حايبان))

* * * *

وانفكر ايام ((العدوان)) وازاى ((العسكر ضربت ابوه . .
وف يومها خدت اربع خرفان علشان غليان جوله وسرقوه !

* * * *

مع ان ابوه لو كان وياه مدفع . . كان صاد لربع تنفار
لكن يا خسارة ما كانش معاه غير حتة شومة ((خمس تشبار)) !

* * * *

ويعود لسمر من دى الرحلة على حس ((يمامة)) نوى يصيدها
من بعد ما نشن ـ بالنبلة رجعها . . عشان شاف اولادها . !!

تاجر العدى

كان فيـــــه ف بلـدنا زمـــان راجـــــل ناجـــر عصـــيان
يبتاجـــــــر فى « النبـــابيت » ويتاجـــــر فى الخـــــزران

* * * *

يخلق للنـــاس خـــــلافات ويقيـم بينهـــم خنـــــاقات
علشـــان ما يبيـــع للنـــاس منفعتـــــه على اذيـــــات !

* * * *

خش فى يـــوم بـــين اخـــين وقـــع بينهـــم لتنـــين ..
طبيعى الاثنـــين راحـــوا اشـــتروا منـــه عصـــايتين

* * * *

جـــه واحـــد م العـــاقلين صـــالح اخـــين « هايجـــين »
واتصـــافوا بعـــد ما عرفـــوا العـــركة ف صـــالح مين . !

* * * *

وف يـوم فـات البيـــاع ماشى وقصـــده اســـتنفاع
مســـكوه لتنـــين ضربوه وعليـــه الخـــزران ضـــاع

* * * *

من يومهـــا البيـــاع تاب يفـــرق بـــين الاحبـــاب
وعمـــل خـــزانه « كراسى » واتفتحت لـــه الابـــواب !

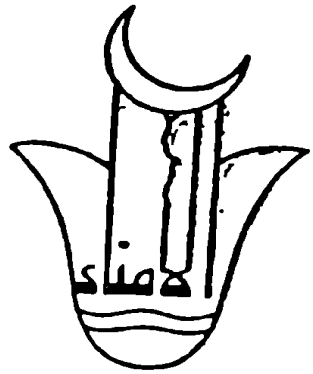

السبع . .

حارتنـــا ف وســـطها الاولاد بتلعـــب فى صفـــا ووداد
وشـمس العصـــر انـوارها جميـلة وهـادية ـ كالمعتـاد ـ

* * * *

وراح الطفـــل بالطباشـــير يصـــور ع الحيطـــان تصـــاوير
رســم نخـــلة . فـــربح ترعـــة وتحت النخـــلة ((ســبع كبير)) . .

* * *

ف ايد الســـبع ((سيف بتـار)) يحصـــل له تلات امتـــان
وكمـــل منظـــره بغيطـــان وشـــجرة مطلعـــة ((نـوار))

* * * *

وراح عـن ـ بعـد ـ شـاف رسـمه لقـــاه مش ناقصـــه غير اسـمه
وحـاجة بسـيطة . . لو تكمـــل تزيده حـــلاوة فى كســـمه

* * * *

وفعـــلا . . راح عاملهـــا قـوام عطت للصـــورة فـكرة تمـــام
بقى الســـبع ف شـــماله السيف واما يمينـــه . ضـاربه سـلام !

* * * *

وحيث انـــه صـــبح راضي بحث لـه عـــن مـــكان فـاضي
وبـين الســـبع والنخـــلة بخـط ((الرقعـــة)) راح ماضى !

حامد الاطمس

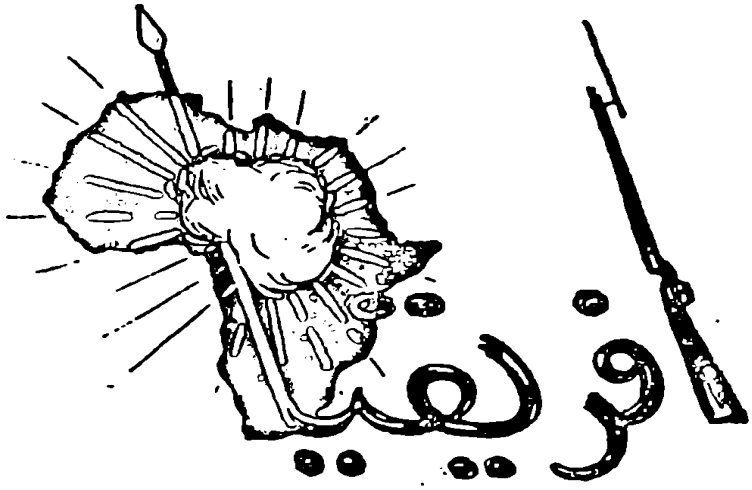

اهديك يا ارضي تحيات البطولة والفداء
فلقد غرست منابت الزيتون واخضر الفضاء
ولقد عزفت السلم سيمفونية وبعثت أسراب الحمام
طافت على خضر الروابى والتلول وحطمت ليل الظلام
أرض الكنوز الخالدات وارض عشاق السلام
أرض الرياحين الندية والاماني والكرام
أرضي بلادى أرض افريقيا الابية
ومواطن الثوار والروح الفتية

* * *

من مصر يا أرضي بعثت تحيتى
من ارض ناصر والكفاح ومن بلاد الوحدة
من مصر يا ارضي نردد للاراضي العائدة
لحن المحبة والسلام لكل روح صاعدة
فرفاقنا في ارض افريقيا وآسيا للشعوب الصامدة
ولكل أرض حاول الاحرار فيها ان يثوروا
في وجه عشاق الظلام وأقسموا الا يدوروا
في فلكهم فلقد رأوا بالامس أسراب الحمام
طافت على خضر الروابى والتلول وغردت باسم السلام
أرض الليالى الحالكات وأرض عشاق الظلام
قد أصبحت أرض الرياحين الندية والاماني والكرام
أرضي بلادى أرض افريقيا الابية
ومواطن الثوار والروح الفتية

* * *

يا ارض قومي
أرض سودان الحبيبة في الجنوب..

ومعاقل الاحرار والثوار والفجر الخضيب
يا ارض جودة والدماء الفائرة
يا ارضنا البكر التى فيها الجموع الثائرة

* * *

يا ارض لومبا الشهيد
يا ارض بولين وجيزنجا العنيد
ارض الكنوز الخافيات وقد نمت
فيها البطولة والفداء
ارض الصلابة والبسالة قد أبت
غير الصمود على الكريهة فى اباء
أرض الذين تعاهدوا ان لم يمت
ذاك الشهيد وبينهم من يخلفه
يا ارض لومبا لك الفجر الجديد

* * *

ايه جزائر والمعارك دائرة
فلتصمدى ولتستمر المعركة
يا ارض بن بللا وكل جميلة متوثبة
وعلى الرسالة والكفاح على الجهاد مصممة

* * *

يا ارض جومو
أرض نكروما وتورى الخالدة
ورفاقنا السائرين على الطريق
مع الجموع الصابرة
يا ارض احرار الشعوب جميعهم
قد حطموا ليل القرون الغابرة
وتزاحموا فى موكب ضم الرفاق الثائرين
فى ارض افريقيا وهبوا فى وجوه الظالمين
فاذا بافريقيا بنت بركانها أبدا يفور
ويحطم الليل الجهوم ويعلن الصوت الجهور
ما ارض افريقيا لكم
لكنما للشعب من قدم الدهور
ما كانت الدنيا لتسمع غير صوت الثائرين
فالصوت اقوى من طنين الغاشمين
فاذا بعزم الثائرين يضوىء الفجر الجديد
واذا بروح الراحلين تؤكد الحق التليد
فمضى معى كل الرفاق يرددون
أرض الليالى الحالكات وأرض عشاق الظلام
قد اصبحت ارض الرياحين النديد والامانى والكرام
ارضى بلادى ارض افريقيا الابية
ومواطن الثوار والروح الفتية

الشاعر السودانى
اسماعيل عمارة

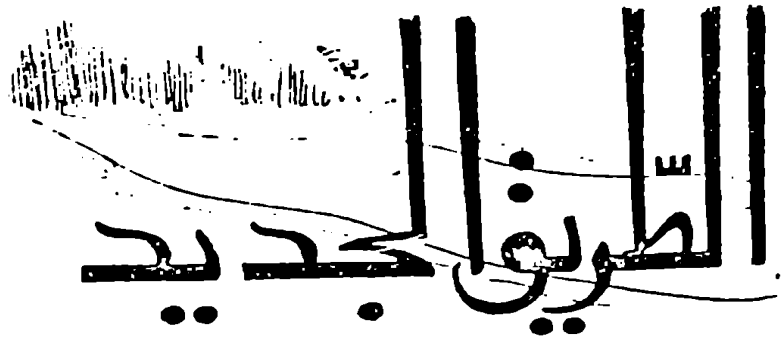

الكون ظلام
والريح تولول كاليتام
وتمر بنافذة الغرفة
فتهمهم فى أذن الشاعر
والشاعر ملقى للاوهام
يسترجع ماضيه الغابر
فيراه ظلام :
لم يصنع شيئاً للانسان
كم آن ورجع فى الاسحار
يرمى الآلام الى الاشعار
حيران يصيح بغير شعار
لكن .. أبدا ، لم يصنع شيئا للانسان
كم نسق اشعارا عطرة
اهداها لفتاة نضرة
وجنى منها حلو الثمرة
لكن .. أبدا ، لم يصنع شيئا للانسان
كم وصف الغيث وآثاره
وغيوم الافق وانواره
وزهور الروض واطياره
لكن .. أبدا ، لم يصنع شيئا للانسان
كم فكر فى الفلك الدائر
والغيب ومعناه الغائر
فتندى بالشعر الحائر
لكن .. أبدا ، لم يصنع شيئا للانسان
الماضى مر مع الاحلام
كم ضيع فيه من الاعوام
نسكا مذبوحا للاوهام
لكن .. أبدا ، لم يصنع شيئا للانسان
وتململ فى المهد الشاعر
وتداعت فى النفس مشاعر
تستنهض وجدان الحائر
كى يصنع شيئا للانسان
وأصر الشاعر فى نفسه
ان ينقذ غده من امسه
أن يخرج من ظلمة رمسه
سعيا لطريق . . .
تغشاه تراتيل من نار
تتدفق من نغم الاحرار
وعليه منـــار . . .
وعليه شعار . . .
« فلنصنع مجدا للانسان »

« طاهر الجزولى »

من ذلك السارى . . لمحنا خطوه المتلعثما
عبر الدروب وما توقف لحظة أو سلما
ترك الخيام مجرح الاحشاء موهون النما
« عدنان » .. وارتاع الظلام على خطاه وغمغما
أفضى اليه بما تحمل صدره وتكتما . .

* * * *

لقيته قرب خيامها . . أومت اليه فتمتما
بثته عيناها الفرام ، وكان صبا مفرما
ذاقا الهوى طفلين ، تاها فى المروج وهوما
حضنتهما يافا . . وهدهدت الفرام البرعما
غمسا ثيابهما ، وخاضا طينها . . لم يساما
وتراشقا بالزهر بالزيتون . . فى صحو السما
وتسلقا الاشجار والاغصان كم لثمتهما
جابا الدروب كفرحتين صغيرتين وحوما
فاذا المساء دنا ، وجمع قصتين ، تكوما

* * * *

طلع الصباح على رباهم ذات يوم اقتما
ملء العيون تبينا ذعرا عميقا مبهما
ما ثرثرت جاراتها ! . . أبواه لم يبسما
أخواهما . . أين الصباح مضى على أخويهما
ويسائلان الملعب الخالى فتنتحب السما
والظل ، والارجوحة النهلى ، ومرجا أبكما
وهنيهة خرساء تمضى ثم ينتفض الحمى
فالارض والآفاق حولهما حريق اضرما

* * * *

لم تقـــع مقلتى على وجهـك الضـا حك الا لـكى يطـــول عـــذابى
الحاشـــاه ـ ما اســـتطعت لترتا ح قايـــلا من ســـحره اعصـــابى
ربمـا كنت مـــرة فى طـــريقى وبدا فجـــأة فطـــار صـــوابى
افعـــل المستحيـــل كيـــلا أراه فى ذهابى أن ســـرت أو فى ايابى
قد عهـــدت المحب يحتـــال للقـــر ب فمالى أشـــتط فى الاحتجـــاب
أوثر البعـــد عنـك وهـو شـذوذ أذ أرى كل حســـرة فى اقتـــرابى
ثمـــر يانع القطـــوف ولـكن هـــو من راحتى فـــوق السحاب
أشتهيه فيسحق الواقـع الجهـم اشتهـائى بمثـــل ثقـــل الهضـاب
يفعـم اليـاس بالمـــرارة حلقى مثـــل من يحتسى كؤوس الصـاب
ينهش الجـوع والتلدد احشـــا نى كأن الحـــرمان رئبـــال غـاب
ثم أغضى على الهـــوان وامضى وبقلبى المطعـــون مثـــل الحراب

* * * *

←

→

فى الخيمـــة المجفـاء ، فى الارض الغريبـــة . . ارغمـــا
من يومهـــا . . عـرف الهـــوى قلبين لم يتكلمـــا
مـن يومـهـــا . . ((عدنان)) طاطأ رأســـه ، وتجهمـــا

* * * *

هذا المســـاء . . رأته ـ واجفـــة الفـؤاد ـ محـــوما
وهبتـــه نافذتين للاضـــواء حـــدق فيهمـــا
حلم الشـــباب ، وامنيـــات زفافهـا . . لم يهـــرما
ماســـاته ، وبـلاده ، والمـــرج حـــام عليهمـــا
والنبـــع ، والطـــير المرفرف ، والبيـــادر منهمـــا
لاحت . . فهـــزت خافقـــين مضـيعين . . فتمتمـا
لا تحـــزنى يافـا . وطاطا راســـــه ، وتجهمـــا

أنس داود

ولقـــد زاد من فداحـــة خطبى ... انهـــا لا تحس قســـوة ما بى
لم اكـن فى حســـابها اى شىء ... وهى اولى الاشـــياء عند حسابى
ربما ابصـــرت شـــحوبى فظنت ... مرضـــا قاتلا ثوى فى اهـــابى
شـــبح عابر يعـــانى اضـــطرابا ... مالهـــا مالهـا وطـول اضـــطرابى
كم وكم كان مثـــله من ضـــحايا ... مرضـت ثم ووريت فى التـــراب
غرقت فى عبـــابه الدامس الجهـــم ... وهيهـــات غـــوث من بالعبـــاب
ولقـــد يهبط الظـــلام على الـــكو ... ن فيغـــدو محلولك الجلبـــاب
ســـاحر اى ســـاحر ترك النـا ... س وراء الكرى كصـــرعى شـــراب
يقفـــر الشـــارع الفسيح من الكو ... ن وأســـرى وحـدى حليف اكتئابى
ســـاهرا أستعيد مـــرآك فتنـا ... نا خلوب الصـــبا نضـــير الشباب
عجبـــا أستعيد مـــرآك وهمـــا ... ولـكم هـــام ظـامىء بالســـراب
أتحاشـــاه واقعـــا وأصـــافيه ... خيـــالا يتيح كل رغـــابى
يمـلأ الـكون بهجـــة فكأن الشمس ... ألقت شـــعاعها فى الشـــعاب
الثنـايا تمـــوج بالـكوثر المعسـول ... شـــهدا يســـقى بلا أكـــواب
وحفيف النســـيم فى ثوبك الطـــا ... ر يشـــجى بلحنـــه المطـــراب
الحـــرير المواج تكســـيه التيـة ... فاعتـــده منيـــك الثيـاب !

* * * *

وانفـــراج الجفنـين عن لجـــة خضر ... اء جاشـــت بموجهـــا الصخاب
واذا شـئت قلت عـن روضـــة زهر ... اء رفت باغصـــن الاهـــداب
واذا شـئت قلت عـن نجمـة بيضـا ... ء يبـــدو ايماضـــها كالشـهاب
كل هـــذا ، مـوج وروض وضـــوء ... يتجلى فى لحظـــك الجـــذاب
اجتليـــه وهمـا فيحـــاو لعـــينى ... بعـد أن ضـاعف العيـان صـعابى
حيث لا رعـــدة تهـــد كيـــانى ... لا ولا لوعـــة تزيد مصـــابى
جـــولة فى الطريق تفـــمـــر احسا ... سى بفيض من ذكـــريات عـــذاب
فيـــه سارت حبيبتى تنفث السحـ ... ـر فاضحى الطـــريق من أحبـــابى
لـكأنى أخـــاله مغـــرس الور ... د نضـــيرا يفـــوح بالاطيـــاب
لـكأن البيـــوت عـن جانبيـــه ... تزدهى رونقـا كخـــود كعـــاب
أو حتى الجمـــال يصبح منهـــا ... غـاية فى جمـــاله الخـــلاب
يا لوهـــم يعتـــادنى ، بل جنون ... مضحـك ضـل عن طريق الصواب
أن هـــذا الجنـــون أجمـل عنـدى ... من صـــواب يردى لعـــذابى

محمد رجب البيومى

حكاية سر . . .

ومشى الجميع وكلهم شوق ورغبة ..
.. للانتقام
ووراءهم سر رهيب . زاده سرا ورهبة
صمت الظلام ..
فالام يمشي الثائرون .. ؟ ؟
أجل . الام .. !!
فالكون هدهده السكون ..
والكل نام
والقريةالمصلوبة الاصباح راحتفي سبات
خطف الكرى أجفانها . من أخطبوط
النائبات
فرموا بآلام النهار .. وراء منفعة
الصغار
والكل صمم ان يكون صباحه .. نورا .
ونار .
ومضى المساء ..
وكانه جان . وسيق الى ملاقاة العقاب
لبس الحداد .. وودعت أنفاسه دنيا
الشباب
فتجمعت في داره زمر النجوم ..
تبكيه جامع شملها .. وأبا رؤوم ..
ورأيت من حق المساء على توديع المساء
فلطالما اخرجت نفسي فيه من كهف العناء
وهناك فوق «حصيرة» خلف الجدار ..
حطمت فلسفتي الحزينة . وانطلقت من
الاسار .
فالليل أوشك ان يموت . ولن أرد له الحياة
الكون ليس صناعتي .. الكون من صنع
الاله ..
وشربت من خمر الخيال . .
كاسا . . وكاس . .

حتى استفقت على دبيب
يخدوه نحس .. !!
ماذا أرى .. ؟؟ شبحا .. ويمشي خلفه
عدد الجراد
فالام يسري المتلجون .. ؟؟ ساعرف
القصد المراد
ومشيت دون شعورهم متلصصا ..
حب التطلع ساقني . ومضى يعربد
راقصا ..
وتبعتهم حتى اتوا باب « الزقاق » ..
وتدفقوا . كالدمع في وقت الفراق ..
فوقفت أرقب ما يكون ..
هتف الزعيم . بصوته الطاغي الحزين :
لا تتركوه ..
من جاء بالراس اللعين ..
فانا أبوه ..
ومشى الجميع وكلهم شوق ورغبة
للانتقام ..
ووراءهم سر رهيب . زاده سرا ورهبة
صمت الظلام .. !!
مضت الدقائق زاحفة ..
في كوم طين ..
وتبدد الصمت المريب .. لصرخة
المستعطفين
وصحت أناس ..
.. وأتت أناس ..
.. وأنا هناك ..
والكل يسال : ما جرى .. ؟؟ ماذادهاك ..
واجيب : لست أناالمصاب ..
.. فيركضون ..

وامام باب المستغيث ..
ويسالون :
ماذا جرى يا خالد . ؟؟ من ذا الذى صرع السكون
ويجيب : « بنتى » ها هنا ... مع ذلك النذل اللعين ..
ساميته . واميتها . فكرا متى ان يقتلا..
من قبل أن تسرى الفضيحة بين ارجاء الملا ..
فيرددون امامه .. أن القضاء بذا امر ..
فليدفن السر الرهيب . فقد مضى سهم القدر ..
ويعاهدون بلا ضمير
أن يحفروا قبرا من النسيان للسر الرهيب
فى عمق أعماق الزمان . وظلمة الماضى الكئيب ..
ويعود كل حاملا فى صدره ..ما يجهده
والصدر دون ان راى ضيقا .. يضيق ويطرده
ويشق أجواء الفضاء ..
.. صوت المؤذن للصلاة
الفجر لاح . والهبت اسواطه ظهر العصاة
ورمى على شبح الخطيئة .. طلقة من نوره
فسعت لتدخل كهفها . .مذعورة من هوله ..
وصحا الجميع ..
وتدفقوا يستنشقون شذا العبير ..
واساءهم أن يسجن السر الضمير ..
وعلى لهيب النار راح « الشاى » يضحك ساخرا
وكأنه عرف الذى اخفى الضمير واقبر..
وعلا الدعاء معربدا من كل دار :
« يارب لا تكتب علينا ــ يا اله العرش ــ عار
يا رب لا تكتب علينـــا .. ماكتبت على فلان »
وتساءلت زوجاتهم . . وطغى السكون على المكان
واجاب كل بعد صمت . زاد فى شـــوق النساء ..
امر عليك اقصه .. فلنكتميه كما اشاء..
بينى وبينك . ثم قص على مسامعها الحكاية
وبنوه قد حفظوا الكلام كما يقال بلا دراية
وتفرقوا كل الى ما هيأته له الحياة ..
ذهب الرجال الى الحقول يقدمون بهـا الصلاة
ومشى البنون مع البنات الى رحاب المكتب
والكل يحفظ قصة . سيقصها للصاحب
وكذا النساء . وألف ويل للنساء
قد قمن يملأن الجـــرار . وقد كسين بكبرياء ..
وجميعهن تظن أن السر مماوك لها ..
ستقوله بين النساء لتظهرهن مقدارها
وتردد السر الرهيب .. وفجاة عـرف الطريق
نطقت به احدى النساء فكان اشـــعال الحريق
وطفوا على عرض الفتاة لسوء تصريف الاب
ومضى اللسان يلوكها ويدور مثل اللولب
واب الفتاة يظن حتى اليوم أن السر سر
فله لسان لا ينام . . وشارب لايستقر
يمشى فيرفع منكبا .. ويميل آخـر فى غرور
وصدى الحكاية فى الشفاه كانه كاس تدور
وسالت : ماذا قد جنت . مسكينة تلك الفتاة
فاجابنى شيخ عجوز .. انهك المـــاضى قواه
من يجن يجن على سلالته الزمان
واب الفتاة سقى الفضيلة ألف كاس للهوان
ويمر عام . وبعض عام
اب الفتاة سقى الفضيلة الف كاس للهوان
فله لسان لاينام . وشارب لا يستقر ..

بدوى السعيد راضى

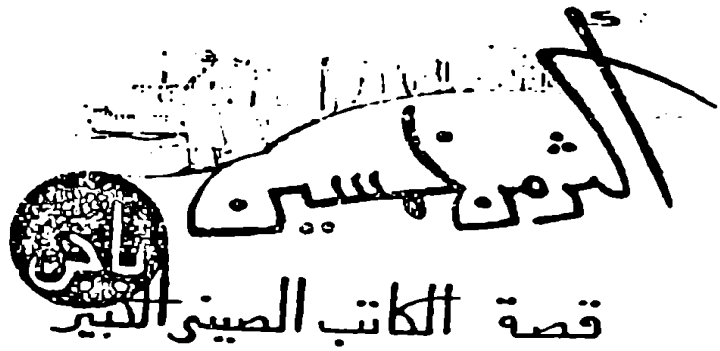

ترجمها من الصينية
راجع الترجمة
فاروق محمد سليمان البديوى
الدكتور تجو رئيس قسم اللغة الصينية
بمدرسة الالسن

ملخص ما نشر

" حوالى خمسين فردا من الكادحين ، ما بين رجل وامرأة وشيخ وطفل ، اغرق الفيضان قريتهم ، واكتسح حصادهم ، ونهب الجنود ما تبقى من متاعهم ، فخرجوا يبحثون عن مكان وعمل وطعام . استمروا يسيرون حتى اقدامهم خلف عام ، يمرون بالمدن ويجتازون المزارع ، ويعبرون الجبال ويخترقون الغابات ، ويصارعون الريح والبرد والجوع . وكان على احدى النساء ان تبيع طفلها لتحصل القافلة النعسة على وجبتين كاملتين مقتدية فى ذلك باحد رجال القافلة نفسها . ونزل الثلج ، وزلقت اقدامهم على الطريق المتحدر ، وبست اطرافهم ، وفقدت عيونهم القدرة على التمييز ، وانعدم احساسهم بالجمال ، وعجز الاطفال عن السير فسحبهم آباؤهم خلفهم . وقضى الثلج على حياة رفيق عجوز . أوشكت القافلة ان تسلم ، وتخلد الى الثلج والجوع والموت ، ولكن حدادا فتيا ضخما تناول الزمام ، ونفخ فى الجماعة من روحه ، واعاد الشجاعة الى قلوبهم ، ورسم لهم الامل فى النجاة فى صورة مصباح منير دفىء ولكنه موهوم .. فمضت القافلة تسير " .

فى المؤخرة كان بعضهم يتجاذبون اطراف الحديث . وبينما هم كذلك سمع الحداد (فن ليو) الذى يسير فى المقدمة صوت (صن ارشاو) الباكى . فصاح فى خشونة :

" فلسر .. فلسر بسرعة الى الامام .. انظروا .. ضوء مصباح ! "

فاجاب البعض بصوت مرتفع :

" فلسر .. فلسر فلا فائدة ترجى من وراء الوقوف " .

ضوء مصباح ! ولكن احدهم لم يجرؤ على القول بانه راى او لم يرضوء مصباح .

قال (شياو وان) مخاطبا (تشن سان) الاحمر الانف :

" حسنا .. فلنحمله على اكتاف ما ونسير وعندما نصل الى المقدمة نتحدث فى ذلك مرة اخرى .. وعلى اية حال لا نستطيع ان نلقيه هنا "

فهمس (تشن سان) الاحمر الانف .

" حسنا " .

م حمل الاثنان على كتفيهما الجثة الباردة كالثلج وسارا .

المرة !

سرت بعد الدمعة بينهم كالبرق سالبة عدوانهم وبددها ثم نشر الرعب فى قلوب الكبار .. فهم ما زالوا اقوياء .

مر بسرعة كذلك التفكير الحزين الذى ساد اللحظات واخذ الحداد (فن ليو) يضرب بيديه على صدره ، وكان صوته قويا كالعادة ولكنه لم يكن كما كان آنفا ، وبدات قدماه تتثاقلان واراد ان يجرهما اللحظة بدا وكان هنالك صوتا يهمس فى اللحظة بدا وكان هنالك صوتا يهمس فى اذنيه :

« الموت .. الموت .. الموت ينتظرك امامك وارتطم بشىء بارد . وحينئذ صاح : « فلنسر »

ضوء مصباح !

كل منهم خيل له وكانه يرى .. امامه .. وفى مكان ما .. ضوءا واهيا دار كل منهم فى دخيلة نفسه ان ذلك الضوء ليس ببعيد . فساروا يكافحون باذلين فى ذلك ما تبقى لهم من قوة يخفق فى صدورهم امل .. فبعد وقت قصير سياتى عالم دفىء .. ولكن .. دائما لا يوجد سوى جثة جامدة تتراءى صورتها امام اعينهم وتسد طريقهم .. والليل يصبح اكثر برودة .. فلا ضوء مصباح الا فى قلوبهم .. فهو مجرد سراب .. يلوون وجوههم نحوه ثم يسيروا .

وفجاة صاح النجار اصى فى رعب :

« آه لقد ضللنا الطريق ! .. لقد ضللنا الطريق » .

ولما اسفر حجر ثقيل فوق قلوبهم فقد ادركوا فى وضوح تام كل شىء .. فمن المؤكد ان هذه غابة كبيرة .. ولكن لماذا ظلوا سائرين فيها منذ ذلك الامد البعيد ولم يخرجوا منها بعد !

لقد ضلوا الطريق وسط الغابة .. وكل ما هنالك هو الظلام والرياح والثوج والليل البارد .

تذكرت (سن ارشاو) فى الكهف .

« ما اسوا ما صرنا اليه ! » ثم طوقت اطفالها بذراعيها وضمتهم اليها بشدة .. ولم تكن تعلم انه قد تجمد وصار جسده صلبا .

واخذت الارملة (تجاو) تصيح :

« ما اسوا ما صرنا اليه » وسحب ابنها البالغ من العمر تسع سنوات وطلب منه ان يلتصق بها ويتكىء عليها .

وصاحت نسوة اخريات :

«ما اسوا ما صرنا اليه »

وكانت كلها اصوات يائسة .

صاح الحداد (فن ليو) بصوت خشن كما لو كان لا احساس عنده :

« سيروا .. سيروا الى الامام » .

وكان صوته قويا كالعادة يطغى على بقية الاصوات ، وكان الجوع يصيح فى اعماق كيانه ، وكان يستطيع ان يسمعه ولكن (فن ليو) لم يسيطر على ذلك الصوت .. وقد كانت فكرته الوحيدة انه ما زال لديه قوة .. ولا يخشى شيئا .. فهو يريد ان يسير وان يصارع كل هذه الاشياء . وكان يفكر :

نحن اكثر من خمسين .. ولدينا اباد واقدام .

وكلنا متحدون معا . من المؤكد اننا لا نستطيع ان نستلقى على الارض ونموت هباء من الجوع والبرد .. فيجب ان نعمل شيئا لا يستطيع ان يدرك ذلك .

ما الشىء الذى يجب ان نعمله ؟

انه الان لا يستطيع ان يدرك ذلك .

وصاح (شياو وان) و (تشن سان) الاحمر الانف فى المؤخرة « فلنسر » . وكانا يحملان على كتفيهما جثة (تجان جن جن) الباردة المتجمدة كما لو كانا يحملان حجرا ، ووجدت ايديهما مشقة بالغة فى ذلك . واخذ الجوع يحرق بطونهما .. ولكن لا ترضى نفوسهما بالتسليم .

فصاحا : « سيروا » واجتهدوا فى تحريك اقدامهما الى الامام وكان الثلج والماء قد تسربا الى جواربهما واحذيتهما البالية فكادت اقدامها تتجمد فوق الارض المغطاة بالثلوج .

فى ذلك الحين صاح فى اسف بالغ (تجن دا ماو) الذى كان عادة لا يتحدث كثيرا .

« انه واجب ايضا ان نعامل اقدامنا معاملة حسنة ، ان هذا هو ما ربانا آباؤنا عليه .. فلو سرنا هكذا مغمضين الاعين حتى مطلع الفجر فلن نجنى من ذلك اية فائدة .

فاجابه النجار (آصى) فى يأس :
ما الحل ؟ ان الغابة لا يوجد بها مكان نريح به اقدامنا .. فالارض مبتلة .. أيمكن النوم هنا ؟

صاحت الارملة تجاو فى الم .

« لا استطيع التحرك ، ان نصف جسدى لم يعد منى .. وصارت لا تشعر بالجوع . لكن طفلها البالغ من العمر تسع سنوات صاح وهو بجوارها :
« اماه .. اننى جائع .. جائع »

كان يوجد بين الجماعة طفلان آخران . احدهما فتاة صغيرة فى الحادية عشرة من العمر والآخر طفل فى الثانية ، فرددا كلاهما فى صوت بطىء ذلك النداء :
« اننى جائع » .

الجوع ، كان كل فرد منهم يسمع مثل هذا الصوت . فقد كانوا جميعهم يسمعون الجوع وهو يصيح فى بطونهم .

اما ابن (صن ار شاو) فلم يكن يشعر بالجوع .. لانه كان قد مات ... ولكن امه كانت لا تزال تضمه بشدة الى صدرها كما لو كانت تضم انسانا حيا . . فلم تكن تعرف بعد .

ربتت الارملة (تجاو) كتف ابنها البالغ من العمر تسع سنوات مغيرة مجرى الحديث قائلة له :

« لا تصح .. فبعد قليل ستنزل من الجبل ، وسيكون لدينا طعام وافر لنأكل

قالت (وودا) بصوت رقيق لتواسى طفلها البالغ من العمر ثمانية اعوام :

« ياحبيبى .. الم تسمع حديث الخالة (تجاو) ؟ بعد ان ننزل من الجبل سيكون هنالك طعام وافر لنأكل ، فحمل حتى تنقضى هذه اللحظات .. وسيصبح كل شىء على خير ما يرام .

شعرت تلك الفتاة البالغة من العمر احد عشر عاما بالشك يملأ قلبها فأخذت تلح على جدتها (تشن لاو) بالسؤال :

« اماه ، لماذا لا يوجد لدينا طعام لناكله ولا بيوت لنقيم فيها ؟ ان الاخرين بخير ، اننى ... »

ايتها الفتاة الحمقاء ، انها كارثة من السماء . بهذه الاجابة وبلا تفكير قطعت امراة عجوز تبلغ من العمر اكثر من خمسين عاما حديث الفتاة .

تساءل البعض فى ارتياب :
« كارثة من السماء » .
وسمع ذلك الكثير منهم .

« كارثة من السماء » علام تدل هذه

الكلمة؟ الان يوجد اناس كثيرون يتناولون ألوانا من الطعام ويعيشون فى منازل دفيئة ولا يقومون بأداء اى عمل . ولكن اولئك الضالون فى تلك الغابة التى تهب فيها الرياح والثلوج لا يستطيعون الوصول الى مكان يريحون فيه اقدامهم ولا يستطيعون الحصول على شيء يسد رمقهم . . ويقول البعض « انها كارثة من السماء » فلا يستطيعون الاعتراف بذلك ولا تصديقه . . فهم يرون الآخرين يأخذون ما يملكون . . ويحرقون بيوتهم . . ولا جرم فى ذلك . . ويرون السدود متصدعة وهى مملوءة بالمياه ، وتأتى المياه وتغرق الحقول . . ومنذ زمن بعيد اتى بعض الناس واخذوا نقودا منهم باسم اصلاح السدود . . فصدقوهم . . ولكنهم لا يعرفون اين ذهبت النقود . ثم يأتى البعض ويقول : «انها كارثة من السماء» فلا يستطيعون تصديق ذلك .

ويقول عنهم بعض الناس : انهم من اهل السوء فحق عليهم العقاب . . وقد سمعوا ذلك بآذانهم فى الطريق . ان هذا الامر غير لائق على الاطلاق !

فى بادىء الامر كان الحداد (فن ليو) يفكر فى شك .

واخيرا بدا يفكر فى سخط ، فشعر بأن قلبه يحترق فى قسوة بالغة ، وغرس اصابعه بشدة فى قبضته الممدودة الى الامام كما لو كان يضرب شخصا ما . ولكن بلورة من الثلج التصقت على ظهر يده فى برودة . . . وكان هنالك كثيرون غيره تتابع نفس الافكار فى عقولهم . فكان

(شياو وان) و (تشن سان) الاحمر الانف يفكران فيما يفكر ، ولكنهما اخفيا نظراتهما وبقيا بجانب جثة (تجان جن جن) التى لا يوجد بها ما يستدل به على شكل الانسان .

وكانت الثلوج مكومة هنالك ينبعث منها ضوء خافت . ولم يستطع احد منهم احتمال توجيه مثل هذا السؤال الى نفسه :

« لماذا يجب ان يلاقى رجل مثله هذا المرت المحزن ؟ » انهم لا يستطيعون الاجابة عن هذا السؤال ، ولم يأت احد ليعطيهم الاجابة . وبدا كما لو كان يوجد شخص ما يهمس فى آذانهم .

«ان هذا الامر غير لائق على الاطلاق !» فاخذوا يصرفون على نواجذهم بشدة .

ظلت الارملة (تجاو) صامتة لفترة وجيزة ثم صاحت « الا يوجد مكان نريح فيه اقدامنا ؟ اننى حقا لا استطيع السير . »

اخذ عدد من الاطفال يتناوبون فى توجيه هذا السؤال الى امهاتهم

« اماه . . ما المسافة التى يجب علينا ان نسيرها ؟ . . ما المسافة الواجب علينا ان نسيرها حتى نجد طعاما لناكل ؟ . . اننى جائع يا امي .

صاح النجار (آصى) فى حزن بالغ :

« لا استطيع ان اتحرك ، فلنسترح . . فلنسترح . . »

« ضوء المصباح ! . . لماذا اختفى ؟ »

قال فجاة العجوز (تجولاو) مخاطبا الحداد (فن ليو) :

« انا لا ارغب فى مواصلة السير . . . فاننى لا استطيع ان اعيش سوى هذه الليلة ، وان ما اخشاه هو ان اموت على قارعة الطريق » .

رفع الحداد (فن ليو) راسه ناظرا الى السماء التى ظهرت فوق قمة الجبل فبدت مظلمة ساكنة ، وتطايرت ندف

الثلج الابيض فوق راسه وتساقطت فى برودة فوق وجهه وهمس صوت فى اذنه : « الموت .. الموت امامك ينتظرك » فظل صامتا بعض الوقت ، ولم يدر الاخرون فيم يفكر .. وفجاة فتح فمه الواسع قائلا بصوت مدو :

« شياو وان .. تكلم .. تكلم .. وانت يا (تشن سان) الاحمر الانف .. تكلم !» فصاح هذان الشابان فى صوت واحد تقريبا :

« فلنسر ، فنحن لانستطيع ان نستلقى على الارض ننتظر الموت .. فما زال لدينا قوة .. وعددنا كبير .. فنحن اكثر من خمسين .. فماذا نخشى ؟ وفى هذا الحين نسيا كل شىء .

نسيا الظلام .. ونسيا الريح والمطر . حتى تلك الجثة التى يحملانها قد نسياها ولم يبق لديهما سوى افكار ثائرة :

« انه لامر غريب حقا ! »

فاه الحداد (فن ليو) باسماء افراد عديدين قائلا :

« وانتم .. تكلموا ! » فأجابوا باجابات متماثلة قائلين :

« فلنسر »

فكلنا متحدون .. ونحن اكثر من خمسين فما الذى نخشاه ؟

ان ما لدينا هو القوة »

ولم يكن بينهم من يفكر فى نفسه فقط .

وصمت آخرون ، اما الاطفال فصاحوا طالبين مواصلة السير الى الامام .

وحينئذ قال الحداد (فن ليو) بصوت ثابت :

« سوف اسير » وبعد مضى برهة اضاف تلك العبارة :

« اننى اعتقد ان الليل سوف ينقضى» .. كان ما يحيط بهم هو الليل المظلم .

كان ما يحيط بهم هو الليل المظلم . فيما مضى . وفى هذا الحين كان هنالك نزاع واضطراب .. ولكنه لم تمض برهة حتى ساد الهدوء ، فلم يتكلم احدمنهم ، ولم يصيحوا ، وبذل كل منهم روحه كلها فى السير .. فبدوا وكان كلا منهم قد ادرك ان هذا هو صراع الحياة والموت .

ساد الظلام ، واحاط بهم البرد ، وبدت ارياح كشياطين تصرخ فى غضب فوق رءوسهم وكسيوف تقطع فى اجسادهم ، واعاق الوحل اقدامهم .. واخذ الجوع يحرق قلوبهم وهتف صوت فى آذانهم :

« الموت .. الموت امامكم ينتظركم ».

لم يعد هنالك صياح ولا نزاع ولا دموع ولا فزع فقد ركزوا ما تحويه اجسادهم من قوة فى اقدامهم .. فتحركوا فى الوحل سائرين الى الامام بلاتوقف .. ولم يدركوا كيف كانوا سائرين فى بطء .

انقطع الثلج ، ولكن موقفهم ظل كما هو بلا أمل يرتجى فأمامهم الظلام ، وخلفهم الظلام .

ولم يعرفوا المسافة التى قطعوها .. ولم يكونوا على علم بالمسافة التى يجب عليهم ان يسيروها .. هذا الى انهم لم يتبينوا ما اذا كانوا ما زالوا ضالين فى الغابة أم لا .

كان الظلام شديدا كالعادة وبدا وكان هذا الليل المظلم لن يكون له فجر ، وكان الطريق لن ينتهى .

اخذ التعب يثقل اجسادهم ، وكان بعضهم لا يقدر على ان يبعث من بين شفتيه تنهيدة .

صاح الحداد (فن ليو) :

« سيروا ! » ثم اخذ يصارع التعب فى قوة وحشية .

وصاح فى خشونة بالغة :

« سيروا بسرعة .. ان امامكم مزرعة » والواقع ان المزرعة كانت فى قلبه .

وكانت تلك المزرعة جميلة للغاية . فأخذت تبرق امام عينيه .

فراى هنالك الكثيرين ينشدون الاغانى فى الحقول .. ويعملون فى المخازن .

واخذ هؤلاء الناس يرحبون بهم مبتسمين مقدمين لهم الطعام .. واقترب من محل حداد .. واخذ كتلة من الحديد قذف بها نحو قطعة من الحديد الساخن الاحمر ..

يا له من انسان رائع !
ثم تفجرت النيران من كل جانب .
ثم بدأ ينشد بصوت خشن وبالحان الجبال هذه العبارات :

« سيروا بسرعة سيروا بسرعة
لا تسقطوا موتى لا تتقهقروا
ان ما لدينا هو الشجاعة
ان ما لدينا هو القوة »

فشعر بأن جسده اخف قليلا مما مضى ولكنه اخذ يفكر :
« ان هذا لامر غير لائق على الاطلاق »

وبدأ (شياو وان) و (تشن سان) الاحمر الانف يغنيان وتبعهما بعض الاطفال ولم تمض برهة حتى اشترك اغلبهم فى الغناء .. وكانت اصواتهم متعبة وغير متناسقة ، ولكنهم شعروا حينئذ بريح دفيئة تهب عليهم من مكان ما .

بدا امام اعين الكثير منهم مزرعة جميلة فتجعهم هذا السراب وجعلهم ينسون الظلام ، وينسون الالم ، وينسون التعب وظلوا يرددون تلك الاغنية .

صفت السماء .. وسكنت الرياح .. وتركوا الغابة خلفهم وبدت الارض أمام أعينهم ناصعة البياض . . وكان الثلج يتلألأ فوق الارض .. وكانت هنالك مزرعة جميلة مستلقية تحت اقدامهم فيها كثير من المنازل المغطاة بالثلوج متراصة مثنى وثلاث فى مجموعات ، والى اليسار طريق يسير عليه الفلاحون من اهل القرية .. وكان الدخان الاسود الاشهب يندفع من فوق البيوت متسللا من فوق اكوام الثلج الى اعلى .. وانبعث من بعض المنازل الاخرى اصوات صياح الديكة .

ندت عن افواههم تنهيدة عميقة وهم ينظرون الى تلك المزرعة .
وفرت الدموع من اعينهم .
قال النجار (آمى) فى تأثر :
« لقد مضى الليل »
ثم التفت لينظر الى زملائه .
جلست (صن ارشاو) على الارض المغطاة بالثلج واخذت تهز طفلها الميت على صدرها وتبكى .
أما الارملة (نجاو) فقد اتكأت بحنان على طفلها ونامت دون ان تدرى .
أما (تشن لاو) فقد طوقت بذراعيها حفيدتها وسقطت على اكوام الثلج .
وبكت (وو دا) بصوت عال ذلك الطفل البالغ من العمر ثمانى سنوات والممدد امامها .

وقف البعض ينظرون الى المزرعة ، اما جثة (تجان جن جن) فقد القيت على الجليد ووقف بعضهم بجواره . ووقف فى صلابة (شياو وان) و (تشن سان) متماسكى الايدى وكانا يهمهمان بتلك الاغنية .

نظر الحداد (فن ليو) الى تلك المزرعة ، وكان ينبعث من عينيه بريق غير مألوف ، وبدا كأن هنالك افكارا غريبة تجول فى خاطره . ولم يعد يفكر : « ان هذا الامر غير لائق على الاطلاق »
ولفت راسه واخذ يضغط على قبضة يد .. وبدأ يحصى عدد رفاقه ويعزى نفسه قائلا :
« ما زلنا اكثر من خمسين »
ولدينا اياد
ولدينا اقدام
ولدينا شجاعة
ولدينا قوة
وابتسم قائلا لهم :
« فلنسرع بالسير الى الامام ، فالمزرعة امامنا ، وهنالك سنجد طعاما » .

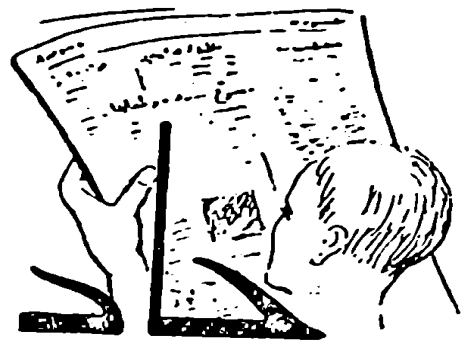

حادثة !

يا ايها النوم الجميل لم لا تزور أجفان امى ؟

يا اعدل الملوك والحكام لم لا تعقد تاجك على راس امى ؟

انت سلطان كبير فلم لا تجعلنا من رعيتك ؟

تقلبت امى فى الفراش . وضعت يدها على قلبها وقالت « آه » . حاولت أن تنام على جنبها الايمن ، على جنبها الايسر . وفتحت انا ايضا عينى . فتحتهما على حلم مخيف . وحين وجدت المصباح الزيتى الصغير معلقا فى مكانه على الحائط ، يحارب الظلال التى تزدحم عليه ، قلت فى نفسى : النور ساهر لا ينام .

قالت امى : لم لا تنام يا حبيبى ؟

وتربعت على الفراش .

قلت : الوحوش والجمال تدوس على راسى .

قالت : خير ان شاء الله . اقرا الفاتحة ونم .

ووضعت يدها على قلبها وقالت «آه»

وعادت الوحوش والجمال تدوس على راسى . وحوش لها اجساد آدميين ، ورءوس حمير . تبتلعنى فى الظلام وابتلعها .

فتحت عينى . تثاءبت . النور ساهر لا ينام .

قالت امى : عل المصباح .

ونهضت من الفراش وعليته . كان الكرسى لا يزال فى موضعه ، كما جلس عليه ابى منذ قليل . عليه طربوشه وعصاه وجريدته ، وامامه حذاؤه الاسود الملطخ بالوحل . تناولت الجريدة ودخلت تحت اللحاف .

قالت امى : اقرا « الجرنال » ياحبيبى اقرا وعل صوتك . يا ترى ماذا جرى فى الدنيا ؟

واخذت اقلب الصفحات حتى وصلت الى صفحة الحوادث . لا شك اننى سأجد شيئا يسليها .

ـ ياه ! حادثة يا امى !
ـ اللهم اجعله خير .
ـ حادثة فظيعة .
ـ اين يا ابنى ؟
ـ فى مصر .
ـ يا ترى قامت حريقة ؟ قل يا ابنى وسمعنى !
ـ لا . لا . اسمعى . مصرع سيدة وطفلها . . .
ـ مصرع ؟
ـ يعنى موت . موت .
ـ ربنا يلطف بعبيده . ويحفظكم يا اولادى .

ولم انتظر حتى تكمل دعاءها فبدات اقرا : « بينما كانت احدى السيدات تعبر شارع السيدة صباح اليوم وعلى ذراعها طفلها اذ تعثر ذيل فستانها فى شريط الترام فوقعت على الارض . وتصادف مرور الترام رقم ٢٢ فى هذه اللحظة . ويبدو أن السائق لم يتمكن من تجنب الحادث . هذا وقد قامت على الفور قوة من بوليس قسم السيدة وعاينت الحادث . كما القى القبض على السائق رهن التحقيق » .

— يا عينى . . هى وابنها ؟

— نعم يا امى . هى وابنها .

— اقرأ يا ابنى فى الجرنال . اقرا مرة ثانية وقل لى .

وفتحت الجريدة مرة اخرى ، وقرات الخبر من جديد .

— نعم يا امى . . هى وابنها . الترام داس عليها .

— لا اله الا الله . ياليته ما عاش .

— من ؟

— الولد يا ابنى . لا عاش ولا تمتع بالدنيا .

— حظه يا امى .

— طيب الام عاشت وتمتعت . لكن الولد ؟

— ماذا ؟

— كان يرضع ؟

— اظن .

— وساعتها كان عمره كم سنة ؟ اقرا فى الجرنال . يا ترى فطمته ؟

— لا ادرى يا امى .

— يا ترى يا ابنى مات شبعان ؟

— شبعان او جوعان . المهم ان الترام داس عليه هو وامه .

— على صدره يا ابنى ؟

— الجرنال لم يكتب هذا . لا بد ان الترام قطعه .

— الطف يا رب . نجنا يا حبيبى . من الدنيا وما فيها .

واحمرت عينا امى . فرت دمعتان على خدها . دفنت راسها بين يديها وانخرطت فى بكاء اليم . كانها تذكرت امواتها واموات المسلمين .

— يا ترى يا ابنى دفنوها ؟

— لا بد ان الحكومة دفنتها .

— الحكومة ؟ واهلها يا ابنى ؟

— فى هذه الاحوال يا امى اذا لم يظهر لميت اهل تدفنه الحكومة .

— ميتة غريبة يا حبيبتى . من مات غريب مات شهيد . وبلدها يا ابنى ؟

— يظهر انها من الفلاحين .

— مكتوب فى الجرنال ؟

— لا . لكن الجرنال يقول انها تعثرت فى ذيلها . والناس فى مصر فساتينهم قصيرة . الفلاحون فقط يلبسون الهدوم الطويلة . ثم انها كانت فى زيارة السيدة

— شاء يلله يا ام هاشم . لها الجنة يا ابنى . يابخت من جاور اهل البيت .

بدا النوم يثقل جفونى فتثاءبت . وعادت الوحوش المظلمة تفتح افواهها وتبتلعنى . كتل سوداء تهاجمنى وتدوس على جسدى . كلما اغمضت عينى وقفت على صدرى . وسمعت صوت امى كانه ياتى من بعيد :

— يا ترى يا ابنى اهلها ابتدلوا عليها ؟

— هه ؟

— اولادها وزوجها . يا ترى بلغتهم الحكومة ؟

— لا اعلم يا امى .

— يا ترى عرفوا الخبر ؟ او راحوا ينتظرونها على المحطة ؟

— هه ؟ ماذا تقولين ؟

ـ واولادها . . ربنا عالم بحالهم . كان عندها كم ولد ؟

ـ لا ادرى يا امى . لا ادرى .

ـ قم يا ابنى اقرأ فى الجرنال . اقرأ وسمعنى .

ـ كل ما فى الجرنال قراته علـك . دعينى انام .

ـ طيب يا ابنى . نام انت . نام .

وتناولت الجريدة بين يديها . اخذت تقلبها فى كل ناحية ، وتقربها من عينيها ، كأنها تنتظر من الحروف أن تفتح فمهـا وتتكلم . كان آخر ما سمعته منها آهة ضعيفة . قلت فى نفسى : لا بد انها تضع الآن يدها على قلبها .

* * *

حدث هذا يا امى منذ زمن بعيـد . بيننا وبينه هوة عميقة .

اما انت يا حبيبتى فقد مت . صحت ذات مرة « آه » ، ووضـعت يدك على قلبك . ثم دفنوك فى قبر صغير . كتب عليه اسمك بخط ردىء

واما انا يا امى فقـد كبرت . عرفت اشياء كثيرة عن هذا العالم . ونمت خمس شعرات بيض فى راسى . اراها واضحة كلما نظرت فى المرآة . وحدثت اشـياء كثيرة قال عنها الناس انها غيرت وجـه التاريخ .

فقد اكتشف دواء لشـلل الاطفال . واوشك العلمـاء ان يعرفوا جرثومة السرطان . وانتشر وباء فى آسيا وافريقيا . وحدث زلزال فى اليونان . وثار العبيـد فى كينيا . ودار قمر جـديد فـوق رءوسنا .

ومنـذ اكثر من عشرة اعوام يا امى ، ذات صباح دافىء من شهر يوليه ، قامت طائرة بقودها طيـار ظل يشرب حتى سكر ، متجهة الى بلد اسـمها اليابان ـ انت لا تعرفين شيئا عن خريطة هـذه الدنيا ولا كنت تصدقين أن لها خريطة ـ وحين وصل الى مدينة اسمها هيروشيما القى عليها كرة صغيرة . قال عنها الناس فى شوارع بلدتنا انها فى حجم البيضة . فى هذا اليوم قتل ثمـانون الفا وجرح سبعون الفا . احترقت المدينة كلهـا يا امى . شوهت الاشعة اللافحة سـبعة صيادين كانوا يجدفون فى عرض المحيط . وما زال الناس من اهل هذه المدينة حتى اليوم يموتون .

ترى لو اننى حكيت لك هذا يا امى فماذا كنت تقولين ؟

اتراك يا امى كنت تصدقين ؟!

عبد الغفار مكاوى

تجاوب كريم

فى الوقت الذى ترتفع فيه الاصوات بما يسمى « مشكلة الكتب الجامعية » ، وبمن فيه على التلاميذ والطلاب بالاعفاء من غير أثمان الكتب المدرسية ، أما الكتب فلا بد من ثمنها .

وفى الوقت الذى تتعقد فيه ازمة النشر . ويكثر التشخيص لها والعلاج منها .. ولا امل قريب .

وفى الوقت الذى يضرى فيه جشع المادة ، ويموت الشعور الانسانى ، فلا يسعف على اعتراف بحق الانسان فى هذه الارض وما فيها .

فى هذا الوقت بجشعه وظلامه ، وقسوته وتهالكه يتابع مصرى ، عرف المادة وقيمتها ، خطة له كريمة وهى : ان يؤلف الكتب ، ويطبعها ، ثم يهديها ولا يبيعها .. ذلكم هو السيد / على اسلام ، الذى وصلنى منه اخيرا كتاب « تطور الحضارة : من انسان الغابة الى عصر الذرة » .. وفى الصفحة الاولى منه حيث تكتب الصيغة التقليدية « جميع الحقوق محفوظة لكذا وكيت » . ويشابه الغرب الشرق فى وضع هذه الصيغة .. فى هذه الصفحة الاولى قد كتب السيد / على اسلام داخل اطار بحرف كبير :

هذا الكتاب يهدى ولا يباع

بدل حفظ جميع الحقوق(١) ، والختم بختم المؤلف او غيره ، والتهديد بالويل لمن تضبط معه نسخة غير مختومة بخاتم المحتكر ، الذى يختزن المعرفة ، ويتولى بيعها ، واللعنة على من لم يدفع .. !!!

وقد آثرت ان ابلغ قراء « الادب » كلمة شكرى للسيد على اسلام فأردعليهم بعض ثقتهم بالخير فى الدنيا ، واذكرهم بأن هذا الخير ، الذى لم تحرمه الحياة سيحقق على الايام هدف الامناء الاول وهو :

« الا يكون الفن ارتزاقا وضيعا ، ولا تكسبا متجرا ، يخدم الشهوات والاهواء ، ويحمى الاصنام والاوهام .

وقد كتبت الى السيد مهدى المعرفة ، وواهب النور خطابا آثرت ان يكون مفتوحا وعلى صفحات « الادب » وهذه عبارته :

السيد الجليل

تحية وتقديرا . وبعد ، فقد تلقيت هديتكم الجديدة ، كتاب تطور الحضارة : من انسان الغابة الى عصر الذرة .. تلك الهبة التى تهدى ولا تباع .. وما اثبل أن يعمد

---

(١) من اطرف ما رايت فى حفلة عذاء الحقوق ما كتب منها شعرا على طرة كتاب ونصه وان حقوق الطبع محفوظة لنا . . كما حفظت لله اسماؤه الحسنى .

رجل عرف الحياة بماديتها ، الى مثل هذا المنزع السامى ، فيكتب ليقرأ الناس ، حين يكتب المنتسبون للعلم والادب ليشترى الناس ، ويفصلون كتبهم على شروط العقود عند الناشرين ، لا على أصول البحث عند الدارسين !!

ولعلى ، لو قلت لك أيها السيد النبيل : ان اول اهداف الامناء ، الا يكون الفن ارتزاقا .. الخ أبلغ بهذا القول ذلك الافق القدسى ، الذى تعيش فيه أنت فعلا . . . لا أملا .. من أزمان ، فانت من أوائل هذه القلة القليلة ، بل النادرة ، التى تفهم هذا الكلام ، حين يقوله الامناء : مدرسة الفن والحيـــاة . وحين تسمعه الكثرة الكاثرة ، الغضوا اليك رءوسهم ، وقال لسان حالهم ما شاء أن يقول ، عجبا ودهشا .

أهنئك ــ أيها السيد ــ بهذه المتعة الروحية ، التى هى أفضل جزائك .

وأهنئك بهذه المتعة العلمية ، التى يحدث عنها اطلاعك وتأليفك .

وأهنىء نفسى ــ وسائر الامناء ــ بهذا التجاوب النبيل الفعال .

وأشكرك بلسانى ولسان الامناء شكر من يحسن الفهم ، لما تقول وتفعل ، زادك انجهاد ايمانا ، وتوفيقا ، وترفعا ، وكرما ، ومنح الناس فهما لما تفعل وتبذل .

ولك دائما تحيات وتقدير .

أمين الخولى

اقرأ فى العدد القادم

بين

شيخوخة وشباب

حبيب الزحلاوى ينقد كوايت خورى

فى أيام معه ، وليـــلة واحـــدة

شفيق غربال

فى الصحف الباقيات

مات شفيق غربال .. رحمه الله ..

وكل ميت قد ينعى ، فى صفحة الوفيات ، من جريدة يومية ، وينعى بحرف كبير ، وفى فراغ فسيح ، وينعى مرارا ، او اياما

وكل ميت قد يخلف اهلا وولدا ، تموت منافعهم بموته ، فيبكون .. يبكون ما مات من خيرهم ويكون البكاء صراخا وعويلا ، عاليا صاخبا .

وكل ميت قد يترك خلطاء .. او اصدقاء .. او عملاء .. او خلفاء ، له فى نفوسهم منزلة ، ونفرقته لوعة .. فيدمعون او يبكون فيطيلون البكاء

وكل ميت قد تنوح عليه النوائح ، وتبكيه البواكى ، ويرثيه الراثون ، وتقام ذكرى وفاته لعام ، او اعوام .. ثم اسم السلام على الاحياء .. والميت الى نسيان .

ومن الميتين قلة ، او اقل منها يجدون مكانا ما ، فسيحا او محدودا ، فى صحف باقية تقلب بعد اعوام واجيال ، او عصور تاريخ .. وايسر فراغ فى تلك الصحف الباقية اجل واعظم من انهار الصحف اليومية وصفحاتها .. وابقى واحفل من بكاء الاهل .. ودموع الاخلاء ، وقيام المآتم الذكريات .

وصفحات « الادب » من تلك الصحف الباقية ، التى لا تتسع الا لما يصلح للبقاء على الادهار ، وشفيق غربال ، رحمه الله يستحق فى صفحات « الادب » مكانا .

* * *

كان من شفيق : الزميل .. والصديق .. والاستاذ .. والاب .. والمواطن .. و ..و .. وقد خلفت له كل واحدة من اولئك النواحى بكاة ونعاة .

و « الادب » بما تلمح من معانى البقاء تدع للبكاة والنعاة ماقالوا فى هذه المناحى من شفيق غربال .

وتلتفت منه « الادب » الى المؤرخ ذى المنهج ، فقد كان شفيق ــ والتاريخ غير واضح الملامح عندنا ــ رجل منهج .

وفى تلك الكلمة المقتصدة ، تكمن معان كثيرة .. كثيرة ..

يا طالما كنت انقد الكاتبين ، وادفع الدارسين ، فاحتكم الى معنى صحيح فى التاريخ وانه ليس القصة ، ولا السرد ، ولا ــ حتى تحقيق الرواية ــ بل هو شىء وراء ذلك وبعد ذلك ، هو عمل فى هذا كله ، هو تفسير لسير الحياة ..

وكنت ، والمثل يعوز ويقل ، اجد فى شىء من عمل شفيق غربال مثل ذلك المعنى فى التاريخ ، ودرسه ، والتأليف فيه .

ذلك ما يكتب امام اسم شفيق فى الصحف الباقية . وذلك ما يرجو التطور ان يبقى ، ويكمل ليسلم لنا منهج للتاريخ ، كسائر المواد ، قد شارك فى خلقه شفيق

وسلام على شفيق غبريال .. رجل المنهج .

امين الخولى

اشتراكية الاسلام

تاليف : مصطفى السباعى
تقويم : أمين الخولى

مهدى للاساتذة

الدكتور عثمان خليل عثمان
الشيخ محمد أبو زهرة
الدكتور مصطفى كامل اسماعيل

« ان للاسلام مثالية تدعم كل اصلاح اجتماعى دون ضغط الاسلام فى قوالب صناعية »

قدمنا فى العدد الماضى ، من هذا التقويم ما هو من الملاحظ العامة الى حد ما ـ فذكرنا جفوة الاسلوب ، وجفوة الحكم ، والمستوى الهين ، والتقدير المتهاون ، والاغفال المضيع ، ووعدنا أن ننتقل بعد ذلك ، الى النظر فى الموضوعيات والمنهجيات ، وفى الكتاب من ذلك اشياء :

٨ ـ ملاحظ منطقية ..

والمنطق ميزان .. واهتزاز هذا الميزان فى كتاب « اشتراكية الاسلام » يبدو فى غير صورة واحدة ، فمن ذلك :

ا ـ ارسال الدعاوى اليتيمة ، دون دليل عليها ، واظهر ما يبدو فيه ذلك ماسميناه « جفوة الحكم » ، وهو يلقاك منذ الصفحة الاولى من الكتاب ، قائلا عن العالم الاسلامى فى القرون الوسطى : « حضارة زاهرة ، وتجارة مزدهرة ، ومستوى كريم من العيش ، تتجلى فيه الرحمة ، والتعاون ، والتكافل الاجتماعى بأروع صوره ومعالمه » ـ ص ٥ ـ

وتظل تجده فى فترات متقاربة من الكتاب حتى تقرأ فى الصفحة الاخيرة عن الشريعة الاسلامية :

« .. وهى الشريعة الوحيدة ، التى لم تعن بشىء من أمور الحياة الدنيا بمثل ما عنيت بأمر التملك والكسب ، وتنظيم وسائلهما ، وضمان كرامة المعيشة لكل فئات الشعب وطبقاته » ـ ص ٣٨٨ ـ

فاروع الصور والمعالم ، وكل الفئات والطبقات .. وامثال ذلك احكام خطابية استهوائية ، قد راينا حتى الآن فيما تقدم ـ على تدرج فى النقد والتقدير ـ انها قضايا لا تجد فى سهولة ادلتها ، وما يركزها فى نفس القارىء ، بل تجد من هذه المبالغة المسرفة ما يصد عنها ، ويوهن من امرها .

ومهما يكن فى هذه القضايا من حسن القصد ، وطيب القلب ، وصادق الغيرة ، فان ذلك لا يشفع فى الميدان العلمى ، ولا ينفع ، وهو فى تاريخ تفكيرنا كان مرحلة دعت اليها دواع اجتماعية ، اما اليوم فقد شب هذا التفكير عن الطوق ، وثارت حوله اعاصير اجتماعية تجعل مثل هذه التوسعات تحدث فيه عكس ما يطلب لها من آثار .. وليس هنا مجال التعليل الاجتماعى ، باكثر من الاشارة العابرة .

ومن صور اهتزاز الميزان :

ب ـ ان تذكر القضية بعكسها ، لتداع بينها وبين نقيضها فى التناول الاسلامى فالسيد الاستاذ مثلا يقول فى ـ ص ٦٠ ـ عن عدم الدخول الى الارض الموبوءة او الخروج منها : فكان ذلك أول اعلان لمبدأ الحجر الصحى فى العالم »

وهذه القضية فى الميدان الحديثى تتداعى ذهنيا مع حديث : لا عدوى ، ولا هامة ، ولا طيرة ولا صفر ... ويحوج الامر فيها الى التماس التوفيق ، لان نفى العدوى يتكرر ، بقوة ، فى الحديث .. وكان الاستاذ المؤلف من اقوى الناس شعورا بهذا التداعى بين المعنيين ـ نفى العدوى ، وامكان نقلها ـ وكان مثل هذا الشعور جديرا بتخفيف القول عن هذه الاولية ، والعالمية !! ولكن شيئا من ذلك لم يكن ، ولا آثار التفات المؤلف !

حـ ـ ان يحمل الكتاب فى مكان ما ينقض ما قرره فى مكان ، ومن ذلك مثلا انه يقول ـ ص ٢٥٣ ـ : « ان اشتراكية الاسلام تطبق على جميع المواطنين فى الدولة مسلمين أو غير مسلمين » فيصرح ذلك بأن حق غير المسلمين ، فى بيت المال ، الذى هو مرجع هذه الاشتراكية واحد ، والاستاذ يقول ـ ص ٢٠٢ ـ عن الزكاة : انها تجمع حصيلة كبيرة جدا ، كما يقول عنها فى الصفحة نفسها : « ان للزكاة ميزانية خاصة فى بيت المال ، بحيث لا تطغى على التكافل الاجتماعى النفقات الاخرى للدولة ، كما يقع الآن فى ميزانية الدولة فى عصرنا الحاضر » .

واذا ما كانت الزكاة هى الحصيلة الكبيرة جدا ، وهى التى تفرد فى بيت المال للتكافل الاجتماعى لئلا تطغى على التكافل النفقات الاخرى ، فمعنى ذلك ان اشتراكية الاسلام ، التى هى فى جوهرها ذلك التكافل ، الذى دعامته الزكاة لا تطبق على جميع المواطنين فى الدولة مسلمين وغير مسلمين ، الا اذا كان لغير المسلمين حق فى الزكاة والتكافل الاجتماعى بها ، ولكن الاستاذ المؤلف ـ ص ٢١٥ ـ يحرص على أن ينص فى تعليقة خاصة على أن غير المسلم لا يأخذ من مال الزكاة ، ونقول ما نصه : « .. واما اعطاء الزكاة لغير المسلم فنحن نرى فى ذلك راى الجمهور ، من عدم الجواز ، اما صدقة التطوع فهى جائزة » ..

واذا ما حرم غير المسلم من دعامة التكافل ، فهل يقال مع ذلك ما قيل فى تعبير

اشتراكية الاسلام : انها تطبق على جميع المواطنين فى الدولة !! وهل جواز اعطاء غير المسلمين صدقة التطوع يحقق هذا التطبيق !!

واذا كنا قد راينا فى مكافحة المرض ضالة المورد حتى ما يكفى اقل نسبة مئوية ، وراينا فى مكافحة الامية الا مورد مخصص لها ، فما قيمة هذه الدعوى فى التطبيق على غير المسلمين والمسلمين مع حرمان غير المسلمين من المورد الاكبر !!

ومن صور الاهتزاز :

د ــ ان يحمل الكتاب فى المكان نفسه وذاته ما ينقض المقرر فى هذا المكان ، ومن ذلك مثلا : ان المؤلف يذكر ــ من ١٨٧ ــ ١٩٨ ــ ما يسميه قوانين التكافل المعاشى ، وتناس معى ما فى بعض ما سمى قانونا من اليسر والهوان كقانون الماعون الذى يسلف الابرة ، والقدر والدلو للجار ، واذكر ان فى القانون معنى العموم والاطراد والالزام ، فكيف يسمى المؤلف قانون الضيافة ، وهو يذكر بعد هذا العنوان بسطر : ان الضيافة عند اكثر العلماء سنة ــ ص ١٨٨ ــ فاين معنى القانون فى عمل لا عقاب على تركه ، ولا تاكيد فى طلبه !! بل هو لا يجاوز المجال الوعظى الخلقى !!

ومن ذلك ايضا ما سماه قانون المشاركة فى شىء من الثمار والزروع ، عند الجنى والقطاط ، بطرح شىء من السنبل والشماريخ للمساكين ــ ص ١٨٩ ــ وهو فى الصفحة نفسها ينقل اختلافهم فى ان ذلك واجب او مندوب ، واذا بلغ الامر الى حد الندب فبم يسمى قانونا ! ! .

ويتحكم فى القلم حس الفن فيابى الا ان ينفر من التعبير بطرح شىء للمساكين ويحس منه مساسا موجعا بانسانيتهم !!

ولا يتسع المجال ــ بعد هذه الاطالة ــ لاكثر من هذه الامثلة على اهتزاز الميزان فى البحث والتقرير .. ولننتقل بعد ذلك الى مسائل موضوعية اخرى هى :

٩ ــ ملاحظ فقهية

والسيد الاستاذ المؤلف فقيه اصيل ، والفئة التى يمثلها من مفكرى الاسلام اليوم اقرب الى الفقهاء ، كما قال هو ، وطبيعة هذا البحث عن اشتراكية الاسلام ان يعتمد على التشريع الاسلامى قبل كل شىء ، واكثر من كل شىء .. فالاهتمام بالفقه فى تقويم كتاب اشتراكية الاسلام ، من اوجب الواجب .

واحب ان ابادر فاعلن انى لا الزم الفقيه الجليل بان يكون مقلدا ، فليخرج ، وليرجع بل ليكن مجتهد مذهب ، او ليكن مجتهدا مطلقا ، فلن انكر شيئا من ذلك عليه ، بل لن اطالبه بشرح النظرة الاصولية التفصيلية التى يقيم عليها مذهبه حين يمضى مجتهدا مطلقا .. لن اطالبه بهذا الشرح ، ولكن لا مفر لى وله من ان اطالبه بما قال القوم قديما **من التخلية قبل التحلية** ، فيخلى المقام من الافهام القديمة للقوم ، فى بعض الاحاديث او الآيات ، ليستطيع ان يضع مكانها غيرها ، ويجد له المكان دون ان تشوش عليه المقررات القديمة التى توافر لها الحفظ ، والتاليف ، والتدريس ، والتداول ، وجنى هيبة العمر .

وهذه التخلية ـ وهي اقل المراتب ـ لم يقصد الاستاذ المؤلف اليها ، بل جاء يعلن رأيه دون تعرض لمقرراتهم فيها ، وظهر ذلك فى صور متعددة فقهية المعالم ، فمن ذلك :

١ ـ فهم النص فهما مخالفا ، دون اشارة الى الفهم المشار الذى تقرر فيه ، بأجيال ، فالاستاذ ـ ص ١٣٢ ـ يسوق حديث : « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلا والنار » . وفى حديث آخر « والملح » وفى ص ١٣٣ ـ يقول : قواعد الشريعة تقضى بأن كل ماكان مثل هذه المواد ضروريا للمجتمع ، لايصح ان يترك لفرد او افراد تملكه ، اذا كان ينشأ عن احتكارهم له استغلال حاجة الجمهور اليه ، بل يجب ان تشرف الدولة على استثماره وتوزيعه على الجمهور » .

يقول هذا تحت عنوان تأميم المواد الضرورية ، فلا نشعر ان هذا الكلام يصل به الى هذه النتيجة وهى التأميم ، ومنع الناس من ملكية هذه المشتركات ، بل ينتهى فقط الى حد اشراف الدولة على الاستغلال منعا لتأذى الناس بالاحتكار ، كما تبيع على المحتكرين بالاسعار المناسبة . . ولكنا ندع هذا الآن وننظر فقط الى فهم الشركة فى الماء والكلأ والنار ، وتفسير ذلك ـ ص ١٦٣ ـ بقوله : الا اننا نرى تأميم الكهرباء والمياه **وبعض المواد الغذائية مما يحتمه الحديث** : الناس شركاء فى ثلاث الماء والكلأ والنار ، والملح . . والماء هو مصلحة المياه اليوم ، والنار هو مؤسسة الكهرباء فى عصرنا الحاضر . والكلأ والملح أمثلة للمواد الضرورية التى لا يستغنى عنها انسان ما » .

فقوله هذا ، بتحتيم الحديث تأميم هذه الاشياء ، وتفسير الماء بانه شركة المياه والنار بأنها شركة الكهرباء ، هو الذى نطالب اليه ان يعرج قبل تقريره على فهم القدماء للشركة فى هذه الاشياء وجواز تملكها او عدم جواز ذلك ، وهل الماء فى الحديث هو الماء المستنبط المنقى ، المخزون ، الموجه فى المجارى ، أو هو غير هذا ؟ وهل النار هى الكهرباء المولدة بعلم وعمل ونفقات كبيرة او هى غير هذا ؟

ونذكر الاستاذ الفقيه ببعض قول الفقهاء ، وهو اقرب اليهم من سواه ، ونختار على ذكر القرب بلديه الفقيه المعروف القريب الزمن ايضا « ابن عابدين » اذ يقول ـ ج ٥ : ص ٣٨٦ وما بعدها ط بولاق ـ « المنسلمون شركاء فى ثلاث : فى الماء والكلأ والنار ـ **أى شركة اباحة لا شركة ملك** ، فمن سبق الى شىء من ذلك فى وعاء او غيره واحرزه فهو احق به ، وهو ملك له دون من سواه ، يجوز له تمليكه بجميع وجوه التمليك ، وهو موروث عنه ، وتجوز فيه وصاياه ، وان اخذه احد منه بغير اذنه ضمنه وما لم يسبق اليه احد فهو لجماعة المسلمين مباح ، ليس لاحد منع من اراد اخذه للشفة ـ والشفة شرب بنى آدم والبهائم ـ وهكذا مضى ابن عابدين فقرر فى مواضع متفرقة من الصفحات التى اشرنا اليها ، ان الماء المحرز فى الاوانى ينقطع حق غيره فيه حتى الشفة ـ اى الشرب ـ ويقول فى النار والكلأ مثل ذلك ، بعد ما قرروا ان الشركة بين المسلمين فى هذه الاشياء **شركة اباحة لا شركة ملك** .

واعود فأكرر انى لا ادافع عن هذا القول ، ولكنما اوجب على متفهم الحديث المذكور ان يرد هذا الفهم اولا ، ثم يفهم غيره ، كما يتطلب ذلك المنهج العقلى العام ، والمنهج الفقهى الخاص . . ومن صور المخالفة الفقهية .

ب ـ استعمال القياس ، باصطلاح القوم ، دون وفاء بما رسموا فيه ، وما هو مفهوم قياس التمثيل الفقهى ، بل المنطقى ايضا ، وذلك اذ يقيس التاميم على الوقف ويقول ـ ص ١٦٠ ـ : «ومن المعلوم ان الوقف جائز فى الاسلام ، بل هو مرغوب فيه للحاجات الاجتماعية التى تحدثنا عنها فى قوانين التكافل الاجتماعى ، والوقف كما عرفه الفقهاء هو ، اخراج العين الموقوفة من ملك صاحبها الى ملك الله ، اى ان تكون غير مملوكة لاحد ، بل تكون منفعتها مخصصة للموقوف عليهم ، وهذا هو التاميم »

ويبدو ان هذا القياس للتاميم على الوقف قياس مع الفوارق ، لامع فارق واحد وذلك ان الوقف اخراج من المالك ، والتاميم اخراج من غير المالك ، والوقف اخراج لعين مملوكة لمخرجها ، والتاميم اخراج لعين غير مملوكة لمخرجها ، والوقف قد تخصص فيه منفعة العين على الواقف نفسه وذريته من بعده ، بحيث اذا لم ينقرضوا لم يصل شيء من المنفعة ـ فعلا ـ الى احد سواهم ، والتاميم لا يكون الا تخصيصا للمنفعة بالمصلحة العامة والاجتماعية دون سواها ، وهكذا لا تجد فى قياس التاميم على الوقف الاصل ، والفرع والعلة المشتركة بينهما ، وهى اركان القياس الشرعى ، وكل ما يمكن ان يكون اثرا لهذا القياس هو امكان اخراج عين الى ملك الله ، مع جعل منفعتها لفرد او جمع .. ولكن اذا ثبت امكان هذا الوضع شرعا ، فهل يثبت ، حق المؤمم فى التاميم واخراج ملك الافراد هذا المخرج ؟ !

ـ مفهوم التاميم ـ

وليس من البعيد ان يكون مفهوم التاميم غير واضح عند السيد المؤلف ، فكان هذا سببا لاجراء مثل هذا القياس ، وغيره من اقيسة اخرى نشير اليها .

فاما عدم استبعادنا اشتباه مفهوم التاميم فقد يرجحه قول المؤلف ـ ص ١٩٥ ـ تحت عنوان ـ التاميم ـ : « فاذا ادت الملكية الشخصية لهذه الاشياء ـ الماء والكلأ والنار ـ الى ان تحبس عن الناس ، او يتحكم مالكها فى ثمنها او توزيعها .. كان للدولة ان تحول دون هذا الاحتكار ، **وجاز لها ان تتخذ الوسائل الكفيلة لاشراك الناس جميعا** فى الاستفادة منها تحقيقا لمعنى الشركة ، الواردة فى الحديث . **وذلك يعنى التاميم او تدخل الدولة فى تحديد الاسعار** » اهـ بلفظه .

واضح ان التاميم ليس تحديدا للاسعار فحسب ، ولكن يظهر انه على هذا الفهم قاس السيد الاستاذ التاميم على الاحتكار ، ـ ص ١٦١ ـ كما قاسه مرة اخرى على حماية الحمى فى المرعى ـ ص ١٦٠ ـ .

وعلى سبيل الاستيفاء نقول : ان التناقض الذى وجدناه فى المنطق العام نجد مثله فى المنطق الفقهى الخاص ، فان السيد الذى سمى التاميم ، تحديد اسعار ليجوزه لم يلبث ان كره التسعير الذى تتطلبه الى حد كبير مصلحة عملية ككثرة الخلق مثلا ، او قلة الشيء ـ ص ٢٤١ ـ فهذا اى التسعير ـ الى الله ، **والزام الخالق ان يبيعوا بقيمة بعينها اكراه بغير حق** » !!

وهو يعلق فى هذا الموضوع بما عبارته : « هذا يتفق مع احدث الآراء الاقتصادية « قانون العرض والطلب » .. ولم يقدر ان تحديد الربح فى هذه الحالة منعا للتلاعب وانتهاز

فرصة كثرة الطلب يكون من واجب الدولة الاجتماعى ، ومما يتطلبه الاقتصاد الموجه ، الذى لا يترك قانون العرض والطلب يمكن من الشطط الذى نكرهه .. كما فعلت الجمهورية العربية المتحدة حين ضعف محصول الفول مثلا فى هذا العام ، فقل الشىء وكثر الخلق وكان الحل فى هذه الحالة منع تحكم قانون العرض والطلب بالتدخل فى تحديد الطلب ، فاستولت على الشىء وتوسطت فى توزيعه وحددت سعره .

ولو قد طبق ما اطمأن اليه الاستاذ المؤلف من ان التسعير منه ما هو ظلم لا يجوز وعده قلة الشىء او كثرة الخلق سببا لاعتبار التسعير او الاستيلاء ، او العمل مطلقا على حفظ مستوى السعر اكراها بغير حق .. وهذا يوهن من امر التسعير فى احرج الاوقات واكثرها اقتضاء للتسعير .. وهو مالا يتفق مع فهم التأميم بانه مرادف لتحديد الاسعار ، على ما قرانا فى عبارته المنقولة عن صفحة ١٥٩ .

وهو ما يعد بحق صورة لعدم اتساق العالم الفكرى الفقهى نفسه .. وللاستاذ المؤلف قياسات اخرى متعددة لا يقرها المعنى الاصولى للقياس ، والاستعمال الفقهى للقياس مثل : قياسه تحديد ملك الانسان للمال على تحديد ربحه فى المال .. وقياسه تحديد الملكية على تحديد زراعة العنب فى قرية اعتاد اهلها ان يزرعوا العنب ليتخذ منه عصير للخمر — ص ١٦٩ — .

ونكتفى مضطرين الى الاشارة القصيرة لهذه الاقيسة ، دون بيان عنها ، لان المجال لم يعد يتسع لبيان مفصل .

كما نمسك مضطرين عن القول المفصل ، او نرجىء هذا القول الى غير هذا المجال ليمكن فيه القول عن ملاحظ اخرى فى صنيع المؤلف الفاضل .. وتلك الملاحظ :

١٠ — ملاحظ تاريخية عن الواقع الاسلامى الذى وصفه

١١ — ملاحظ لغوية فى فهم آيات من الكتاب الكريم استشهد بها

١٢ — ملاحظ فى صناعة التاليف وسلامتها

نترك ذلك كله ونتقدم — على استحياء لنتحدث — فى ايجاز قدر الامكان عن تمثل الفكرة العامة ، ووضوح هذا التمثل لها متسائلين :

١٣ — هل تحققت بالكتاب فكرة عن اشتراكية الاسلام

تقدمت ملاحظ فى تقويم كتاب « اشتراكية الاسلام » واشير الى ملاحظ اخرى فى تقويمه ، وكل ذلك يوجه الى الكتاب بما هو مجموعة من الحقائق معروضة ، مهما يكن المراد بها والهدف من عرضها اما الآن فيراد تقويم الفكرة العامة فى الكتاب ، والهدف العلمى من وضعه ، تحديدا لمنزلته ، وتقديرا لبلوغه ما اريد له من هدف ، وايضاحه ما تمثله مؤلفه من فكرة فى الموضوع الذى تناوله ، واين تقع هذه الفكرة بين الافكار والآراء ؟ وهل هى فكرة متكاملة ، متماسكة ، اولا ؟ وايا ما كانت فاين تقف بين الافكار ؟ اتقليد هى وترديد لاشياء سبق القول بها ؟ او هى ابتداء واختراع لجديد غير مسبوق ؟

والاجابة عن هذه الإسئلة كلها ، بل عن بعضها تقتضي تحقيق المبدأ القديم الجديد معا فى كل بحث ، وذلك المبدأ القديم الجديد هو قول سقراط لتلاميذه : حددوا الالفاظ التى تستعملونها .. واصطلاح النظارين فى قومنا بعبارتهم : تحرير المراد .

وهذان المتضايفان ــ اشتراكية .. واسلام ــ يقتضيان فهم كل واحد منهما فهما محررا .. والمضاف اليه يخصص المضاف او يعرفه ، ففهمه اسبق ، وهكذا نسأل :

١ ــ ماذا أراد الاستاذ المؤلف « بالاسلام » وقد يبدو السؤال غريبا ، لكن هذه الغرابة ستزول سريعا ، اذا ما قدرنا ان الاسلام دعوة عامة وخالدة ، فهى بحكم السنن الكونية متطورة ، وقد فهمه اصحابه قديما ، ثم تغير فهمهم هذا على الزمن ، وهو اليوم بين أيدى اصحابه ، يفهمونه ، ان بعقل الامس البعيد او القريب ، وان بعقل اليوم ، واستشراف الغد .

ومن هنا نسأل الاستاذ المؤلف : أراد بالاسلام فهم المفسرين والفقهاء والمتكلمين له الى الوقت الذى اخرج فيه كتابه اشتراكية الاسلام متقيدا بهذا الفهم ملتزما حدوده ؟ أم أراد بالإسلام فهما يمتد الى ما بعد هذا الوقت الذى عاشه قبل ان يعد كتابه ؟ .

ان الاستاذ يذكر ــ ص ٩ ــ فهم روح الاسلام على وجهه الصحيح ، فتوشك ان تظن له فهما متجددا يخالف او يغاير ما سبق من فهم الاولين .. لكنه يقول ــ ص ١٠ ــ ان ما يعرضه فى هذا البحث هو التشريع الاسلامى .. هو تطبيق ذلك التشريع نظريا فى احكام الفقه ، وعمليا فى تاريخ الدولة الاسلامية ، فى مختلف عصورها ، كما يقرر انه وفئة من المفكرين أقرب الى الفقهاء ــ كما أشرنا ــ .

وهذا أول اختلاف تفترق به الطريق بيننا ، وهو ما يبدو به تقويمنا لعمل الاستاذ متجهما أو قاسيا على الإسلام ، غير معجب بالصورة التى تعجب المؤلف .

وذلك : انى افرق بين عمل الناس ، وواقع تاريخهم ، وبين حقيقة الاسلام ، وجوهره الاصيل ، الباقى الصالح للدوام والخلود .

وبذلك لا اعتبر صنيع القوم ، ولا واقع التاريخ شهادة على الاسلام ، بقدر ما هو شهادة على المسلمين ، فان كان فى تطبيقهم للاسلام ما يساير أصوله تلك الباقية المثالية فذاك ، والا فذنبهم فى ذلك على جنبهم ، وليس على الاسلام اثم شىء منه .

وواضح ان هذا القول بعدم التزام تطبيق الماضى ينتهى الى عدم التزام فهم هذا الماضى للاسلام ، والتقيد به ، والوقوف عند حدوده التى وقفت بطبيعة الامور عند المستوى العقلى والاجتماعى لاهل هذا الماضى .. وكانى بهذا اريد فهم الاسلام فهما جديدا ؟ وهو قدر رجوته للاستاذ المؤلف حين قلت له سابقا : كن مجتهدا مطلقا : اذا شئت .

وهنا يتجسم الفرق الاصيل ، وتتباعد الطرق بى وبالاستاذ المؤلف ، وذلك انى افهم الاسلام فى اصوله الثابتة الصافية فهما يفرق بين واقعيته التى سايرت ازمان اهله الماضين ، وبين مثاليته التى تفتح الطريق لسير الباقين المخالفين من اهله ــ ولهذا

الفهم اصول ومبادىء ليس هذا بيانها .. وهى موضع درس ونشر متصل منذ عهد بعيد .. ولعلها تظهر كتابا مفردا عن « تجديد الدين » .

وما اردت بهذه الاشارة هنا الا ان ادل على الطريق الذى اصل منه الى نتائج اصل علمية ، واكثر عموما ، واصلح للبقاء ، وابعد عن الزام الاسلام قالبا معينا ، ومذهبا مسمى ، لانه ابعد مثالية من هذه المذاهب ، وابعد مدى من ملابساتها الخاصة ، وهو بمرونته وبعد افقه يدعم كل اصلاح اجتماعى ، دون ان يلون بمذهب مسمى ولون معين

واذا ما خرجنا بان الاستاذ المؤلف **يلتزم الفهم المقرر قديما للاسلام ويستند الى الواقع التاريخى العملى للمسلمين** ، فانا على هـذا الهدى نفهم المضاف ، وهو « اشتراكيته » .

فماذا اراد السيد بكلمة الاشتراكية ؟ اهى النظرية الاشتراكية بما هى مذهب بين المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية ؟

هل اراد ان الاسلام يقرر الحقوق والواجبات على اساس النظرية الاشتراكية ؟

هل اراد ان الاسلام ينسق الحياة الاقتصادية او السياسية على اساس النظرية الاشتراكية ؟

وهكذا مما هو اخذ بالمبدأ والمذهب وتقرير له ، والزام به ، لايعدوه ، ولا يأخذ بغيره ؟ بل هو متميز به ، مؤيد له ، مقاوم لما عداه من المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية ؟

ويبدو من الكتاب انك تجيب مطمئنا ان : لا .. ولم يقصد المؤلف الى هذا المعنى العلمى النظرى ، المبدئى ، الفكرى ! وهو صريح القول فى هذا ، اذ يريد بالاشتراكية — ص ٩ — نزعة انسانية .. هدفها منع الفرد من استغلال راس المال .. واشراف الدولة على فعالية الفرد .. وتحقيق التكافل الاجتماعى .. الخ .

كما يصرح فى الصفحة نفسها بان المبادىء الاشتراكية الاساسية من التأميم ، وانتزاع راس المال ، وتحديد الملكية ، والضرائب التصاعدية ليست فى تقديره هى الاشتراكية ، بل كلها وسائل لتحقيق هدف الاشتراكية الاجتماعى .

واذن فهو لا يريد بالاشتراكية فى عنوان كتابه : النظرية ، والمذهب ، والمبدأ ، بل يريد التطبيق العملى ، والنتائج الفعلية ، بقطع النظر عن كونها اثر مبدأ ملتزم ، او صدى نزعة انسانية وعاطفة كريمة رفيقة .

والى هنا ليس فى الكتاب فكرة عن مذهبية اشتراكية فى الاسلام ، بل فيه بيان لاتجاه الى الهدف الرفيق ، الذى قد يتحقق فى كل مذهب راسمالى او اى مذهب يكون ؟ لان المهم عنده هو الاعمال الخارجية ؟

بل هو يؤكد هذا المعنى فى عدم القول بمبدئية او مذهبية او نظرية اشتراكية فى الاسلام ، حين يقرر انه يستعمل كلمة الاشتراكية لحب الناس لها ، ويقول — ص ١٠ —

بعد ذكر الهدف العملى السابق : « فليسمه غيرنا بما يشاء ، ليسمه باسم العدالة الاجتماعية ، او التكافل الاجتماعى ، او محاربة الفقر ، او ما اشبه ذلك ، اما نحن فنسميه بالاسم الذى يحبه الناس ويرونه املهم الوحيد فى الخلاص من شقائهم ، واضطراب اوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية ، وبذلك نكون قد امتثلنا امره تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وما هى الحكمة ان لم تكن دعوة الناس الى الحق والخير باسلوب يصغون اليه ويأنسون به » اهـ ، فكأن العمل دعانى ، وعظى — لا علمى نظرى .

ونحن عند هذا الراى من الاستاذ نسأل بعد ذلك : هل قدم من الاسلام النظام العملى المحقق للاهداف التطبيقية الخيرية ، بقطع النظر عن المذهبية النظرية الاشتراكية؟ او هو انما بين استعداد الاسلام لتقبل وضع هذه النظم والتشريعات المحققة للهدف ، وانها لم توضع بعد تماما وفعلا فى التشريع الاسلامى ؟

ان الاستاذ المؤلف قد قال — كماسبق — : ان بحثه هذا هو التشريع الاسلامى ، وتطبيقه نظريا فى احكام الفقه ، وعمليا فى تاريخ الدولة الاسلامية فى مختلف العصور كما قال مع هذا — ص ٣٦٩ — « انه — اى الاسلام — وضع نظاما اشتراكيا ، واضح المعالم ، مستقلا عن الشيوعية ، وعن الاشتراكية ، وعن الراسمالية » .

ولكن احقا قدم الكتاب هذه التطبيقات الفقهية ، فى نظام اشتراكى كامل ؟ او هو قد قدم فى ذلك آمالا احيانا . . وقدم احيانا مبادىء عامة تصلح لوضع تشريعات تحقق تلك الاهداف ، وفى غير قليل من الاحيان كانت تلك المبادىء التى يقدمها خلقية وعظية ، ولا تحرسها قوة قانون ، ولا تنفذها سلطة ؟

الحق هو ان الكتاب لم يقدم هذا النظام التشريعى كاملا ولا ناقصا ، بل قدم كما قلت الامل احيانا كقوله — ص ١٦٧ — « ولو استمر الاسلام فى سيره الطبيعى ، ولم ينحرف ولاة السوء عن هدفه الاشتراكى العظيم ، لظلت اراضى الشام ومصر ، والعراق كما كانت ملكا للدولة يشتغل الناس عليها بخراج المقاسمة ، وبذلك تكون بلادنا اول بلاد فى العالم طبقت مبدأ ملكية الدولة لرقعة الارض ، هذا المبدأ الذى نادى به كثير من العلماء الاجتماعيين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وطبقته روسيا فى الربع الاول من هذا القرن » اهـ — وصدق الاول حين قال : زرعوا « لوفى ارض ليت » . . ؟

. ومع مثل هذا التمنى قدم امكان استخراج مبادىء لسن تشريعات لحقوق العمال فقال ص ١٥٣ — ومع ذلك فقد جاء فى النصوص التشريعية ما هو خاص بالعمال ، وما هو شامل لهم ولغيرهم مما يمكن ان يستخرج منه مبادىء لسن تشريعات لحقوق العمال ، ترتفع عن مستوى التشريعات المعمول بها لدى الدولة الحديثة . . الخ الوان المعتمد فى السيق والتفوق والارتفاع عن كذا وكيت . . مع ان التفكير المذهبى النظرى لغيرنا ، والاغراء بالتطبيق العملى لغيرنا ، فليس من جد القول ان نرسل مثل هذه العبارات الطفلة فى مقام علمى تقرر فيه حقائق ويرد كل شىء الى اصله !!

والاستاذ المؤلف فيما يقدم مما يسميه مبادىء تصلح لسن تشريعات يعتمد كثيرا على تحقيقات وعظية وفى تكلف غريب كما سبقت الاشارة — وهو فى هذا السياق عن حقوق العمال يذكر شرف العمل بالمعنى المادى الاصطلاحى فيستخرج شرف العمل

من انه « ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا » ويعقب بقوله : « والعمل هنا وفى آيات كثيرة جاء شاملا للعمل الدينى ... ولغيره ، وهو فى عمومه يشمل العمل الصناعى ـ ص ١٥٤ ـ فهل تطمئن النفس فى سهولة الى هذا الكلام !

وهو يذكر ان العمل نعمة ، لقوله تعالى : « ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون » !

ويذكر ان العامل مسئول لقوله تعالى : « ولتسألن عما كنتم تعملون » وهكذا مما تملأ الكتاب شواهده ، على ان دعوى وضع نظام اشتراكى كامل فى الفقه الاسلامى لا يسندها الا الكثير من جراة التكلف .

ومما سمعت دون باقى ما فى الكتاب من هذا تقدر قيمة ادعاء الاستاذ المؤلف ـ ص ٢٥٤ ـ ان اشتراكية الاسلام لم تكن نظرية فحسب .. ولا عاطفية تعتمد على استدرار شفقة الاغنياء ، كلا .. بل هى عملية مقرونة بالتشريع الذى يطبق على الناس جميعا كبقية قوانين الدولة .. ولم تكن كذلك فحسب ، بل كانت جزءا اساسيا من اعمال الدولة الاسلامية منذ قيامها فى القرن السابع » .

ولقد تقدر قيمة هذا الادعاء بالربط بين هذه العبارة الاخيرة ، عن الاشتراكية التى كانت جزءا اساسيا من اعمال الدولة الاسلامية منذ قيامها ، وبين عبارته هو التى سمعتها قريبا عن انحراف ولاة السوء ، وعدم استمرار الاسلام فى سيره الطبيعى .. ومثل هذه العبارة كثير فى الكتاب يغنى عنه قليله الذى ورد فى هذا القول .

وهكذا لم تكن « الاشتراكية » فى قوله وبحثه نظاما عمليا كاملا : وليست الا نزعة انسانية رحيمة ، تضمنتها الخلقيات الاسلامية ، وسارت بها الوعظيات الاسلامية ، وقدمت ما يصلح اساسا لسن تشريعات ، فماذا بقى من هذا المعنى ليضاف الى الاسلام بخاصة فى العنوان ، اشتراكية الاسلام ؟

لعله لم يبق شىء حتى فى شعور المؤلف نفسه بعد ان قال ـ ص ٣٦٩ ـ واعتقد ان الاديان سبقت الشيوعية الى الرحمة بالبائسين ، والانصاف للناس ، والرغبة فى تحقيق العدالة بين الجماهير ، ولكل ديانة وسائلها الخاصة بها فى تحقيق هذه الاهداف .. ويتم هذه العقيدة فى نفس المؤلف مابدا به الكتاب من الفصل المعنون « موقف الاديان من الفقر » واستغرق صفحات كثيرة .. فلم يبق ما يضاف للاسلام من معنى هذه الاشتراكية المشتركة الا ما هو خاص بالوسائل الاسلامية المتميزة التى ينفرد بها الاسلام ، بين الاديان فى تحقيق الاهداف التى تزعمها الاشتراكية المتطرفة أو المعتدلة وهو امر اهون من ان يوضع له كتاب ضخم .. والكتاب نفسه لم يقصد الى بيان وسائل الاسلام الخاصة به فى تحقيق الاهداف الانسانية ، التى يتميز بها عن سائر الاديان .

والى هنا يستطيع القارىء ان يجيب نفسه عن سؤال : هل تحققت بهذا الكتاب فكرة عن اشتراكية الاسلام ؟ ؟

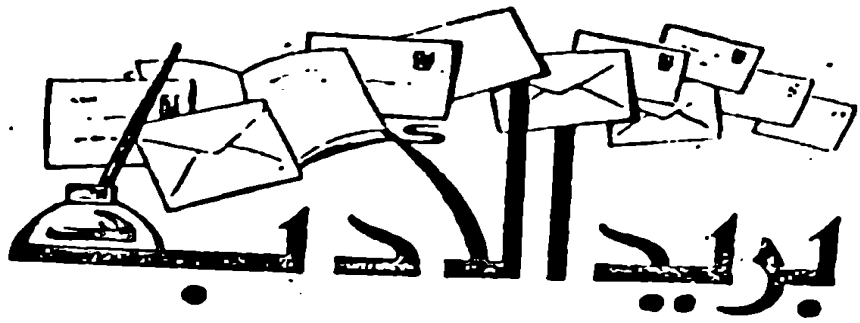

بريد الادب

بتقويم و تدريب

مرحبا .. دائما

في بريد هذا الشهر خطاب ناقد ، ليست قيمته في انه يتعرض لامور عملية ، في نظام صدور « الادب » واجازتها ، بقدر ما تظهر قيمته في عنف عباراته عنفا يعتبر الامناء احتماله رياضة طيبة ، فهو يقول :

« انكم تستفتون القراء في الحقير — نسبيا — وتهملون آراءهم في الجليل .. تستفتونهم في نشر القصة الطويلة المسلسلة ، ولا تهتمون بالوقوف على آرائهم في عطلة المجلة السنوية .. بالله عليكم : أليس هذا تناقضا فظيعا ؟! »

« سيدي : انا في انتظار ردكم على هذا الكلام .. وشكرا »

وهانذا ارد على هذا الكلام بابتسامة اولا ، ثم بشعور صادق ان ليس في تصرف اسرة التحرير شيء من التناقض ، فظيعا كان او بسيطا .. لاننا نستفتي القراء فيما هو من شانهم ، وعندهم ظروف تقديره ؛ اما ظهور المجلة صيفا ، او اجازتها فشيء تحتكم فيه ظروف ليست ظروف القراء ، ولا اليهم تقديرها .. ولا من اليسير بسطها تفصيلا في المجلة ، لان ذلك يذهب بصفحات هي من حق القراء .. كل هذا اذا كان في القراء الذين يخفون للاجابة عن الاستفتاء عدد يكون رايا !!

واستفيد من هذا النقد ما استفيده دائما ، من كل نقد مهما تكن عباراته قاسية او عنيفة ، واريد لصاحب هذا النقد ، وللقراء جميعا ان يمارسوا هذه الرياضة معي ، فيستفيدوا من النقد دائما ، ولا يغضبهم منه شيء .. ويقولوا : مرحبا .. دائما ، كما اقول الآن .. ودائما ..

الكتاب .. والمجلة

وذلك اصل نقد السيد المرسل ، فهو لا يوافق على الاجازة السنوية التي تاخذها « الادب » ومعلل يقوله في ذلك :

« اننى كلما ادرت اوجه الراى لم اجد لكم ـ ومعذرة ـ ما تسوغون به هـذا الاحتجاب غير الاضطرارى ، الذى تلجئون اليه ، فاذا كان من حقكم القيام بعطلة ، فلا يستتبع هذا بالضرورة ان تأخذ المجلة عطلة هى الاخرى » .. ويمضى فى بيان ذلك بأن فى وسع الامناء ان يضطلعوا بهذه المهمة .. واذا كان هناك من الاسباب مالا علم لنا به ، فنظن أن اضعف الايمان كان يجعلكم تطبعون العددين ، ويصدران فى موعدهما .. »

والامر اوضح من ذلك فاذا كان من حق واحد القيام بعطلة ، فكل واحد له هذا الحق ، الا حينما يكون العمل مما لا تسير الحياة الا به ، فيعمل فيه عاملون فى اوقات العطلة ، بجزاء يعادل تضييع العطلة عليهم ، وعملنا ليس من هذا النوع اللحظى .. فيما اعتقد .

وطبع العددين مقدما ليصدرا فى ميعادهما الشهرى يجعلهما كتابين ، لا مجلتين ، لان المعنى الملحوظ فى توقيت المجلة بموعد صدور يضيع فى العدد الذى يطبع قبل موعده بشهرين .. وذكرنى حديثك بقروية طيبة القلب قريبة لنا ، كنا عندها فى الريف ، فارسلنا نطلب الاهرام من البندر ، فقالت والله دا كان واحد فايت من هنا بالاهرام من عشرة ايام ، يا ريتنى اشتريته وخليته لكم .!!

وصحيح أن المجلة ليست كالصحيفة اليومية . فى الاخبار والتجدد ، ولكنها على كل حال ترصد احداثا ادبية ، وتقدر تطورها .. ولا اقل من ان يكون هـذا فى باب البريد هذا .

والذى يوقف عنده من كلام السيد المرسل هو قوله عن الكتاب البديل الذى تعوض به « الادب » عن اجازتها :

« .. ان الكتاب الادبى الذى تقدمونه للمشتركين وللقراء ليس تعويضا عن عددى « الادب » فللكتاب ميدانه ، وللمجلة ميدانها ، قارىء « الادب » لا ينتقيها لانها تتحول فى بعض الشهور الى كتاب ، فالكتاب غير المجلة ، وسوق الكتب مكتظ سهل الارتياد ، بعكس المجلة الادبية الجادة .

وصحيح أن الكتاب غير المجلة ، ولكن المجلة الادبية الجادة ـ كما قيل فى عدد « الادب » الماضى تنشر المستفيض والمطول والخاص من الابحاث ، فيضيق ـ نوعا ما ـ الفرق بينها وبين الكتاب ، فاذا ما اضفت الى هذا أن « الادب » انما تقدم كتابا ذا رسالة خاصة ، وطابع معين ، يعتبر صدوره امتدادا لاداء رسالتها الفنية الخاصة ، وانها لا تنشر اى كتاب لبدا لك ان هذا الكتاب البديل عن « الادب » ليس مما تكتظ به سوق الكتب السهلة الارتياد .

وبعد .. فوراء هذا كله اعتبارات عملية ، مادية وغيرها .. الى جانبها اعتبارات نفسية اجتماعية وكلها تبرر الى حد كبير ـ فى تقدير اسرة التحرير ـ حصول الكل على هذه الاجازة السنوية . مع الشعور بعدم الخسارة ـ بل بشىء من الفائدة المعنية المقصودة .. بصدور كتاب بديل .

واخيرا .. اهب ـ فى ارتياح ـ كل ما قد يكون فى عبارتك من شدة او قوة لروح الحرص الواضحة منك على قراءة « الادب » حتى انك تريد لها ان تصدر اسبوعية ، او

نصف شهرية .. وهو ما يسعد « الادب » ويجعلها تعد نفسها لمثل هـذا الصدور غير الشهرى ، راجية آملة ان تتهيأ لها ظروف ذلك .. ومرحبا دائما بكل نقد .. وسرورا بهذه العواطف الكريمة .

ثقوا بانفسكم

لفتتنى فى اكثر من رسالة ، ولاشخاص من اسنان مختلفة ظاهرة ضعف وخوف مشوب بشيء من الرغبة فى خداع النفس ، واذا ما تركت وصف هذه الظاهرة التفصيلى ، وتسميتها العلمية المحدودة للنفسيين فانى اكتفى بالنظر الى ما فيها من فقدان الثقة بالنفس ، واهيب باصحابها ان يعتصموا بقوة يبعثونها من داخلهم الى ان تحين الفرصة التى تزودهم بعلاج اكثر فاعلية وتأثيرا .

بدت هذه الظاهـرة فى طالب ثانوى ، من نجع حمادى ، يقول فيما يقـول من رسالته « تجدنى انظر الى نفسى وكأنى خادع اخدع نفسى ، واخدع زملائى » وقد جاءت هذه العبارة الغريبة نتيجة تالية لمقدمات قبلها . مثل قوله : من زمن بعيد وانا اكتب واكتب ولكن لم تواتنى الشجاعة لارسل » .. وقوله « انى لا اخاف النقـد ، ولكنى لا اعرف ما الذى اخاف منه » ، وهو بعد ذلك يطلب الراى الناقد ، فى انتـاج ارسله ، ويطلبه فى حال نفسية تؤيد ما يفهم من عباراته السابقة من الاضطراب ، اذ يقول « وان كانت لا تبشر بمستقبل فقلها صريحة » ، فهذا الضغط على طلب الصراحة مظهر خوف !

واذا ما كان مثل هذا الاضطراب ، او التهيب يحتمل من طالب ثانوى ، فى صدر الشباب ، وفجر التجربة فكيف يحتمل من مدرس هو فى واقع الامر ، وواجب العمل قدوة صالحة لتلاميذه ، ومثل مجسم لعدم التهيب او خداع النفس ، لكنه وقد ارسل قصيدتين له يقول :

« ارجو اذا وجدت فيهما او فى احداهما صلاحية للنشر ان تنشر ، او صـلاحية للنقد الموجه ان تنقد ، والا فارجوك الا ترد ، ودعنى اعيش وهمى الكبير ، وهـو ان ما اكتبه شعر » !!

فمع تناسى ما فى ترديده هذا من ضعف ، يجيز عنده ان يخرج شعره عن ان يكون موضعا للنشر ، او النقد ، وهو ما لا يكون الا فى غثاء ، ينزل عن ان يكون موضعا للنقد الموجه !! مع تناسى هذا الفقدان العجيب لسلامة التقدير ، من شخص عمله فى الحياة ان يقدر ، بل ان يستكشف القيم والاقدار فى الخامات البشرية التى بين يديه يبقى بعد ذلك ما يتملكه من رغبة خداع النفس ، وان يظل يعيش وهمه الكبير وهو ان ما يكتبه شعر !! فكيف يخلد من فى سنه وعمله الى هذا الخداع والانخداع .. ؟ انها حال تنتهى الى مثل ما بدا من حال الطالب الآخر بقوله :

« ... انظر الى نفسى ، وكأنى خادع : اخدع نفسى ، واخدع زملائى !! حبـذا استطاعة درس هاتين الشخصيتين المختلفتى السن والظروف دراسة نفسية تفسر هذه الحال تفسيرا علميا ، وتهدى الى ما يرد عليهما السلامة الروحيـة ، والصحة النفسية ، اما انا فلا اجد ما اقوله لهما الا كلمتين اثنتين : ثقوا بانفسكم .. اقولها وانا

اشعر بأثر تصرف الزميلات الاخريات ، من المجلات الادبية فى هاتين الحالتين ومثيلاتهما، اذ اقرأ فى خطاب السيد المدرس قوله :

« .. فقد أعيتنى الحيل فى مجلاتنا الادبيـــة الاخرى ، وللاسف لم يكن يصيب رسالتى شىء يدل على انها وصلت الى يد انسان » !!

واحسب ان هذا يزيد « الادب » ثقة بصلاحية خطتها ، فى الاعتراف بحق غير المشهورين فى صفحاتها ، وتقدير القول لا القائل ، وافراد هذا الباب للتقويم والتدريب فى غير ضن عليه بالصفحات ، فى حدود الواقع .

بلا انانية ..

واتذكر بمناسبة القول عن هذا الباب رسالة اليه من سيد ، قومت له « الادب » عدة قصص ، واعتذرت عن نشرها ، وهو يقول : « القصة الاولى قد نشرت ــ قبل ان ارسلها لكم ــ بمجلة الحياة ، ولذلك فانني ارجو لو تكرمتم بابداء رايكم فيهـــا » . . وارسال ما نشر قبل ارساله لا يتفق مع ما كررناه ، من تخصيص المرسل « للادب » بها !! ومن العجب طلب تقويم ما سبق نشره فى غير « الادب » بعد سبق نشره !! وهى انانية نكرهها لقراء « الادب » او مرسليها ، ونتقدم الى تقويم ما عند هذا الباب من رسائل متراكمة ، فنضع اولا :

خارج النقد

ما اسماه مرسله قصيدة « الاعداء الثلاثة » . ومعها ما اسماه قصيدة ثانية بعنوان « دعوة الى الحياة » . على انى اذا وضعتهما فى هذا الموضع ــ مضطرا ــ لما ينقصهما من القالب الشعرى ، جديدا او قديما ، مع بساطة المعانى التامة ، بل سذاجتها ، ومع البعد عن الاسلوب الشعرى ، واستعمال اقرب ما يناله القلم من عبارات عملية او اصطلاحية ، ومع الخطأ النحوى والاملائى ، حتى فى خطاب المرسل .. على انى مع هذا كله اترفق كل الترفق بمرسلهما الشاب الذى يبدو من حاله ان نأى بيئته الصحراوية يحول بينه وبين ارضاء رغبة صادقة ، فى الرياضة الادبية ، وصناعة القلم .. وانى لاترك البيان اخطائه التى اشرت اليها ، مفضلا له ان يلتمس تصحيحها عند اجد مدرسيه فى الدراسة الثانوية ، لئلا يجد فى تصحيحى المعلن شيئا يؤلمه ... وانى لارجو له محـــاولة اكثر توفيقا ، وابعد مدى ، واعمق من محاولته حتى الآن ، وان سماها محاولة شاقة ، وان طالت ــ كما يقول ــ اربع سنوات ، لان الغاية سامية ومنيعة ، لا يستكثر فى سبيلها جهد كهذا الذى يصفه ..

واذا لم أستطع ان اوجه اليه النقد التفصيلى ، فى خطاب خاص ، فانى ارجو ان يعذرنى . ومع انه على اتم الاستعداد للاشتراك فى هذه المجلة الجليلة السامية ، التى لها غرض مقدس ، كما يقول هو ، لانها للاسف لا تصل الى بلده مرسى مطروح فانى باسم « الادب » اشكر له هذا التقدير لها ، واعلنه ان وزارة التربية حتى العام الماضى كانت مشتركة فى اعداد من « الادب » لعل لمدرسة مرسى مطروح الثانوية بالصحراء الغربية عددا منها ، تجده فيها لو بحثت عنه ، والا فاذا كانت الوزارة لا تشترك لك ، والموزعون ــ جزاهم الله بعملهم ــ لا يوصلونها اليك فاكتب لى ثانية لترسل اليـــك « الادب » اشتراكا سنويا مجانا تشجيعا لك ، ، وتقديرا لما يبدو فى كتابتك من الرغبة الادبيـــة

الصادقة ... وتابع يا بنى رياضتك ، وخذ من علوم العربية نصيبا اوفر واكثر ، مما اخذت حتى اليوم — وتقدم فى امل وثقة .. وانتظر من « الادب » كل معاونة ، فى بيئتك النائيـــة ..

ونعرض شيئا من رسائل :

الشعر :

* فقد وصلت ((**ندوة اب**)) ، وهى من طراز الحكمة الوعظية ، وتقـــرير المحقوق ، لم تكمل فيها قصة الاب ، ولا اجاب فى وضوح ، عن ســؤال الابن .. وفيها عبارات قلقة ، وغير مســتقيمة ، على انى لا انسى ما فى العبارة من مطاوعة لينة ، وما فى الصور الادبية احيانا من شاعرية ، فاذا ما كانت « ندوة الاب » لا تجد مكانا فسيحا فى النشر فان غيرها منتظر .

* ووصلت ((**سمراء**)) وهى وصف مادى ، ســـطحى ، خارجى ، لحسن جسمى لا يجد فيه القائل معنى ، فيمضى يحدث فى سطحية عن احجام ، والوان ، واشباه ذلك ، فى عبارة تخونهـا المواءمة لمجالها احيانا ، كقـــوله فى المقلتين : بحران من عسل شهى دافىء يتماوجان!! وقوله فى المعبد : ترعاه آلهة وجان !! ولا تلتئم الصور الفنية فيما يحاوله منها ، كقوله : ان خصيلة الشعر تهفو الى تفاح الخدين !! ظلا من امان !!

ويبدو ان السيد يكفى فى البيان معه مثل هذه الاشارات دون تفصيل طويل ، لان له طاقة وجدانية ، لعل غدها يكون خيرا من يومها ..

* ووصلت ((**صرخة من تحت الرماد**)) مهـــــداة الى روحى البلبلين : بيرم ، والحبروك قربانا وذكرا ، كمـا وصلت ((**من وحى النراع**)) وهما للسيد المدرس الذى اسفنا قربا لانطوائه على نفســـه هذا الانطواء الواهم ، الذى يجعله يطلب منى الا ارد ، وان ادعه يعيش وهمـــه الكبير وهو ان ما يكتبه شعر .. وهـو لسوء ظنه بالدنيا يخشى الا تصل قصيدتاه فيرسلهما مسجلتين ، فهـل اطمان الآن انهما وصلتا ، بل انى تعجلت تقديمهما قبل دورهما ، عسى ان ارد عليه بعض ثقته بالصحافة الادبية .

ولو قد رد على نفسه بعض الثقة ، وازاح عن روحه غلالة هـذا الغضب او السخط او التشاؤم او النفور من الناس والحياة لتجلت صوره البيانيـة امامه ، فادرك مافيها من اهتزاز ، او ظلال زائدة ، او اضواء ناقصة .. ولتـــذوق فى اناة عباراته ، فوجد ما فيها من قصـور عن اداء الحس الذى يريد التعبير عنه ، وهو فى نفسه قوى غير ضعيف ، لكن العبـارة لا تنهض به .. وانى لاخشى ان اضـــع امامه بعض الامثلة لما ذكرت من ملاحظ فى المعانى والعبارات فيكون لذلك وقع سىء عليه ، ومن هنا ساكتفى هذه المرة بتلك الاشارات اللامحة ، وانتظر متابعة المحاولة وارسال ما عنده ، لعلى اجـــده ، على الايام ، قد برىء من تلك الاشياء ، التى ارجو ان تكون اعادة نظره هو ، فى حال من الهدوء والتفاؤل كافية لانتباهه لها ، وآمل ان يفعل ... والى اشياء أخرى من نناجه بعد هاتين ..

* ووصلت ((**نهر قلبى**)) ولا ارتاح لما انس اليه صاحب هـــذا الشعر ، من استعارة نهر القلب ، والمضى فى ذلك الى بعيد لم تسعف الصورة عليه ، فما لبث ان طلب الى نهر قلبه ان يبعث فى الافق فيضا من ضياء ، ولا يحرم منـــه ذر الفضاء ، فهلا كان غير النهر انسب لهذا من النهر الذى لن يجرى فى الفضـــاء : ويمنح ذرات الفضاء ولا يحرمهـــا ..

وتهى بعض الالفاظ والعبارات عن حمل المعنى المراد فينهار ، ويتبدد . . مثل السفن الوضاء . . وان تصوم عن الضرر . . والنفحة المثلى — وهل كالنسيم الرطب امتلاك للنفس . . وطيب احسان الحياة على ثراك . . وكالزهرابترد . . والاشارة تغنى عند مثلك . . والموهبة بعوزها الصقل ، ودقةالممارسة . . فالى امام .

* ووصلت « **موت زهرة** » وفيها تعابير واهنة قلقة فى مكانها مثيرة لمشاعر نافرة ، مثل : لاعصر فى ماقيها كروم الشعر . . فعصير الكرم خمر ليس يوضع فى المآقى . .!! ومثل : رشت فى ربى قلبى بذور عذابها الخالد . . فالرش تعبير ضعيف ، والربى ليست الشفاف وموضع الداء الدفين !! ومثل هذا غير قليل فى قطعة ليست طويلة . . فالى غيرها .

* ووصلت « **قلب ووردة** » وقد تجد دورها فى النشر .

* ووصل من الادب الشعبى « **حسان فى الغيط** » ، ولا اتبين فيها سمات القالب الشعرى ، وهى بعيدة المعنى ، او غامضة غموضا لا يدع القارىء يدرك منها هدفا . . وفيها ما شكوناه كثيرا من عبارات ليست من لغة الشعب ، ولا هى بحيث تعطى هذه اللغة الشعبية روعة ، بل هى تقلق الشعور بها . . ويا طالما قلنا ونقول : ان بلاغةلغة الحياة ابعد منالا من بلاغة لغة الكتابة . .

* ووصل من تلك الشعبيات زجل بلا عنوان ، ينقد قصر العينى ، وغيره من المستشفيات . . وعبارته ادنى الى المثير من لغة الشعب ، لولا قلق بعض الفاظها ، واحتكام القافية ، فقوله :

اصرخ وادور عالسرير ، وكمان بقيت محتار ، قد فكر المعنى فيه بالتعبير الاخير . فالصراخ ، والمرمغة على السرير اكثر كثيرا من : بقيت محتار . . والمعنى العام يعوزه الكثير من صدق الحبكة ، فالمريض الذى حضروه للعملية يترك المستشفى لسوء حاله ، قبل ان يعمل له شىء فيكون شفاؤه من هذه الحالة الشديدة بأن يأكل فى البيت بانتظام !! . . وعدم صدق المعانى الصغرى يؤذن بانه لا يحدث عن تجربة ولا معاناة ، بل هى صنعة كلام ، فهو يقول : مثلا : ولا شىء يسكن الم جنبى اللى والع نار . . ووجع الجنب — وقاكم الله منه — ليس نار آيده ، بل طعنات نافذة — والفن ليس المرانة على أن تقول ما يمكن ان يقال بل هى ممارسة خبرت الحياة ، ووجدت ماتريد ان تقوله ، ولا تستريح الا بان تقوله .

النثر :

* وصل مقال « **فضل النقاد . . وازمة اللغة فى الحوار** » لسنيد نشرت له «الادب» قصصا وغيرها ، كما نشرت له فى فترة قريبة شيئا من الادب الشعبى ، عن موضوع العامية فى الحوار . . ولم يكد يأتى بجديد فى النصف الثانى من مقاله عن ازمة العامية .

واما حديثه عن فضل النقاد ، ونقد المجموعات او الاعمال الفردية فحديث يسير الشأن لا تجد فيه « الادب » ما يستحق العرض على القراء . . فان نقد المجموعات المؤلفة من قطع متفرقة ليس الا نقدا لهذه القطع واحدة واحدة . . ومن لم تنشر له مجموعة لم يحرم من النقد . . طبعا . . وتكلفه الربط بين شقى العنوان « فضل النقاد » و« ازمة العامية » تكلف يزيد شعور « الادب » بعدم شغل فراغ منها بهذا المقال . . فالى جديد . . وعميق . . انها الصديق .

* ووصلت « **شاطىء الطهر** » وهى صورة قلمية . . لا قصة . . ولا مقالة . . والصورة مرتبكة الخطوط . . مبددة

الاضواء .. مضطربة الالوان .. وفيها لازمات مفتعلة غريبة مثل : جمال الجمال .. وربيع الربيع .. وكلهمو .. وبينهمو ، ولا شعر يحتاج وزنه الى هذا المد .. وللحن منها نصيب غير منقوص مثل : ان به لشيء .. وادار عيناه .. الست ذكر .. والمعانى الضحلة تدل على خبرة يسيرة او كالمعدومة ـ ولعل صاحبها يعذر بعد ذلك لعدم نشرها .

* ووصلت « **فى أحضان الشوك** » وهى لقطة حيوية يقظة ، لتحول الشاب فى فترة المراهقة ، ونظره الى الانثى ، وتغير تقديره لها ، وخواطره ، ومشاعره ، وانفعالاته ذا ذاك .. يرقبها صاحب هذه الرسالة بدقة واعية ، واحضان الشوك هى الاحضان التى تحتوى الفتى فى هذا الموقف .. لكن صاحب هذه اللقطة يقف من الممارسة الفنية ، فى مثل موقف المراهق الذى يصف تحوله وتطوره ، فحركاته مضطربة ، ونظراته زائغة ، والقلم فى يده يرتجف ، والاشياء فى حواسه تضطرب ، وفى تشبيهاته وصوره البيانية اثر لذلك واضح ، يبدو فى مثل قوله : بينما يخيل اليه ان مخه يسيل وينسكب فى حلقه قطرات !! وقوله : اما شفتيها « كذا » فدسمة ممتلئة ، تبدو كجرح منتظم ينضح دما !! وقوله : ابتسامة عالجت شفتيه !! وقوله عن الثديين : انهما فوهة البركان التى تنبىء عن بداية تنفجر بعدها انوثتها !! ثم قوله : وتجركت الفتاة فاهتزت الفوهتان !! وقوله : كما لو كان يضعه ـ اى قفاه ـ على وسادة من قشدة !! وفى مثل هذا الاضطراب المترنح لا تستطيع أن تحاسب الشاب عن توزيع العمل الادبى وتناسقه ، بل هو يطيل حينا ويسرف ، حتى تمل ولا تشعر انك قادر على متابعته .

وعباراته ينقصها غير قليل من الخبرة النحوية التى تصونها من اخطاء سيئة الوقع .. وشر ما فى الامر انه كتب « احضان الشوك » على الآلة الكاتبة كتابة مبتدئة مهزوزة ، محرفة فاشبه الشكل الموضوع ، وعادت القراءة لهذه الكتابة عملا شاقا ، ثقيل الوقع ، استعيض الله عنه خيرا ، فى الوقت الطويل الذى ضاع بسببه ، واما اجهاد العينين واثارة الاعصاب ففى ذمة الله لا يعوض عنها شيء ... وفى سبيل الشباب المنفتح للادب ، مع دراسته الهندسية ، التى ارجو أن تدفعه الى كثير من الدقة والنظام ، وسلامة التناول ، وحسن التقدير او هندسة العرض الفنى جملة ، فارى له بعد هذه ما هو ادق منها حبكا ، وارق تناولا ، واسلم بناء ، واحسن شكلا كذلك ، حتى اقراه فى غير عناء مضن ، ومشقة مرهقة .

* ووصلت « **لقمان الحكيم** » لسيد مدرس ، ارجح انه مدرس لغة عربية ، وانما اشير الى هذا ليكون تقويمى له ولاثاره مناسبا لهذه الصفة ، وماتقتضيه من مسئولية خاصة .. وهو يخافت بأن « لقمان الحكيم » مسرحية ، وعبارته فى ذلك غريبة نوعا ما ، اذ يكتب فى زاوية الصفحة الاولى منها ما عبارته :

« ملاحظة : لم ارد ان اطلق على هذا الكلام الذى ارسله اسم المسرحية ؛ خوفا من ان تثير تلك الكلمة من النقد ما نحن منه براء ، ويا لنا من اطلاق الاحكام فى هذه الايام » .. وهو نفى يراد به اثبات كما يحس القارىء ، وان عجب معى لعبارته الاخيرة ، عن اطلاق الاحكام فى هذه الايام ؟ فاى احكام يعنى ؟! اهى تلك الاحكام النقدية الادبية ، أم غيرها ؟!

وهذه الرغبة فى تسمية هذا الكلام ، على رايه ـ مسرحية تزيد تبعة مدرس ، قد يتعرض يوما للحديث عن الادب المسرحى ومقوماته .. فهذا الذى كتبه قعيد محروم من الحركة حرمانا تاما ، وليس الا حوارا بين لقمان وابنه ، تظهر فيه ام لقمان مرة ، تحاور الاب ، فى شيء من حديثه مع ابنه .. لا اكثر ، فاى

مسرحية هذه التي تفقدالحركة تماما . . ولا أقول انهـــا بلا احداث ابدا . . كما لا اقول : انها بلا عقدة مطلقا ، ولا تعرف شيئا من الصراع ، ما دامتلم تتحرك من مكانها . . وهى فى اول الامر وآخره ليست الا ضربا ، من النـــزوع الروحى احدثته قراءة القرآن ، التى امتلأتنفس السيد بها مهابة ، وارتفع أذانفى جوانبها .. كما يقول بالحرف ــ حينما جاء ذكر لقمان ، فلم يعد يسمع شيئا غير صرير القلم ، وهو يسطر هذه السطور . . ولو رحت أحاول الحديث عن الشخصيات ــ على قلتها ــ وعرضها لوجدت السيد نفسه يقول فى خطابه : . . ولا ازعم اننى أعرف عن لقمان الحكيم سوى ما قصه الله فى كتابه الكريم !!

ولو بقى أن تعدها من هـــذا المسرح الذهنى ، على ما يقال لبدت قريبة الفور، بل سطحية ليس فيها جهد ذهنى ، ولا موضوع لهذا الجهد ، وان كان السيد يحاول أن يسميها بالحكمة ، ويلقى فى حواره بين الحين والحين ، بكلمة او جملة، مفتعلة ، يغلفها غموض وابهام ، يريد له ان يكون حكمة !!

ولو خلينا هذا كله جانبا ، وتناسينا كل التناسى تبعة المدرس فى هذا الميدان لوجدنا السيد قد اختار لابن لقمانصورة منالتمرد أحيانا، والمنابذة لابيه ، لا تتفق مع ما اشار اليه هو من وراثته لابيـــه الحكيم ، ورغبته فى المعرفة وبحثه عنها !!

ولو تركنا المسرحيـــة ، والقصصية ، وأى صفة لهذه الصفحات ، وبقى انهـــا كتابةادبية فىالعربية ، قد قومت «الادب» نصاحبها غير مرة ولحظت فى كتابته ــ بصفة خاصة ــ اغرابا فى التصـــوير ، وضعت بين يديه كثيرا من امثلته ، فلم يأبه لذلك ــ فيما يبدو ــ وما زلت تقرأ له مثل :

« واقفا متابطا تيهـــا وكبرا . . و « . . الله الذى يرعى الخـــردلة فى الصخر » .

ويبدو فى اسلوبه بعد ذلك ترقيع تتنافر فيه العبارة العصرية الخرعة ، مع العبارة القرآنية الفخمة والامل فيه ، وفى مثله ان يكون ادق حسا ، لوقع العبارات وتفاوتها .

واخيرا ــ هو بطاقته الكتابية قادر على ان يصنع شيئا . . لكنه لم يصنعه بعد . . وانى له لمرتقب متتبع ، حتى يتهيأ له ذلك ، على الايام (١)

* ووصلت ((نعمة)) وهى قصـــة قصيرة . . جدا . . حتى لتوشك لشدة قصرها الا يتكامل فيها خلق القصة . . وان كانت اللمحة فيها واعية قوية ، فهى شروع فى تعدد الزوجات جاء سوء اثره عاجلا ، اذ شغل الرجل بمشكلات التعدد مع الزوجة الاولى ، والاولاد ، والجيران و . . و . . فكان انشغاله سبب حادث كادت فيه الآلة تلتهم ذراعه . . وظهرت التى فكر فيها متزوجة حين جاءت تعوده . . لقطة جيدة ــ كما قلت ــ وقد اضعها بين يدى القراء .

* ووصلتالقصةالسودانية «الرعب» وهى لمحة لسوء اثر حكايات التماسيح والفيلان على الاولاد الصغار ، وما يعانونه بسببها من الرعب ، فى الليل ، والوصف فيها مفصل دقيق ، مجسم . . على ان

---

١ ــ مهمايكن حدب «الادب» على السيدواخوانهواخوانه من المحاولين ، واحتمالها ما تحتمـــل فى سبيلهم من نقد ، ومن عناء ، فى باب البريد وغيره فانها لا تستطيع فىسهولة ان تهب كل قوتها وطاقتها لهم ، فتستجيب لاقتراح صاحب لقمان الحكيم انتخرج عددا خاصا بما عندها من الرسائل فتجعل العدد كله بريدا !!

هذا كثير يا ســـيد . . وحسب ((الادب))وحسبكم هذا الباب بصفحاته غير القليلة . .

الآراء مختلفة فى ان هـــذا الصنف من الحكايات يوسع خيال الاطفال ، ويلفتهم الى عوالم غير هذا المنظور يكون مسرحا لخيالهم ، المنطلق بطبعه ... ولكن ذلك لا يتحقق الا اذا لم يصحبه تقرير وتوكيد لهذه المرعبات الرهيبة ، بل اعتبرت مجرد خيال ، ومحض امكان .. وعلى كل فان فى وصف المرعوبة فى هذه القصـــة عملا دقيقا ، الى جانب ما فيها من تصـــوير البيئة الســودانية ، وعرض لبعض شانها .. وقد تجد مكانا فى النشر ، اذا ما تهيا ذلك .

* ووصلت « فى شارع الشـــهداء » لسيد « للادب » معه ، وله معها صـــلات قديمة ، وهو فى خطابه هذا يعلنها بهجرة الشعر ، الذى لم ترضه له مجالا ، كلمـــا قومت من رسائله شيئا فيـــه ، ويريد ليعرف رايى فى هذا الهجر للشعر ، وان كان رايى اوضح من ان يسأل عنه بعـــد كل ما قلته .

وقصته هذه ليست الا خواطر نفسية لبصير ، وان لم تجد مناسبة خاصـــة لاثارة هـــذه الخواطر ، وليس للمكان والزمان المحددين للقصة صلة باثارة هذه الخواطر القديمة ، العامة ، الماسة لمشكلات حياة البصير ، وان كان السيد قد حاول — فى غير نجاح كبير — ان يجعل فى بعض المناسبات من المكان والزمان مثيرا لهذه الخواطر ، التى لا يمكن ان تكون اثارتهـــا جديدة وقريبة ، عند من له بين البصير ، الذى جالت فى خواطره ، والسيد يريد ليقول : ان التقدم العلمى وعبور الفضاء ، وما الى ذلك يجدد امل البصراء ، ويبدد ظلام يأسهم ، فيخف بصيره ليتزوج .. وليس من السهل كثيرا قبول هذا .

ولا تزال تفوت السيد اشياء فى جـــو القصة تدل على عدم دقة الملاحظة ، ككون الخفافيش تمرق فى الهواء جيئة وذهابا قبل المغرب !! واما خطؤه فى نقـــل آية قرآنية فلا يحتمل منه مع ما اعرف من عنايته بذلك ... ليس من القريب كثيرا ان ننشر هذه القصة .

فى

٥٨ ش الجمهورية — ت ٥٤٥٢٧

الاجتماع الاسبوعى

يوم الاحد الساعة ٦

ندوات .. ومحاضرات .. وسمر أدبى

الأدب

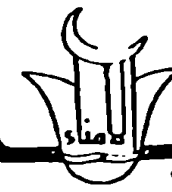

فنية . شهرية

يصدرها الامناء

الادارة: مصر الجديدة . العجم ١٣
ت ٦١٧٥٠

***

الرسائل الفنية والمالية
ترسل باسم
أمين الخولى
رئيس التحرير

***

الرسائل الادارية
ترسل باسم
محمد جابر عبد العال
مدير الادارة

***

الاشتراك
عن سنة بالبريد العادى
الجمهورية العربية ٥٠ قرشا
الخارج ..... ٨٠ قرشا
أو ما يعادلها
ثمن العدد ٥ قروش

* * *

البريد الجوى
والمسجل بحسابه
تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

فهرس

العدد السابع ـ السنة السادسة عشرة
ديسمبر ١٩٦١

٣٨٦ ـ السياسة والفن
عن الامناء
٣٩١ ـ من مثالية الاسلام : حق لا احسان
امين الخولى
٣٩٤ ـ كوليت .. فى كتابتها
حبيب الزحلاوى
٤٠١ ـ الطاوى فى زنزانته
شعر : على حسن العزب
٤٠٣ ـ مساء .. ولا سمر
شعر : السيد ستيت
٤٠٤ ـ انغام للسلام
شعر : البيلى عبد الحميد حسن
٤٠٥ ـ فين يا خضرة
احمد عبد اللطيف
٤٠٦ ـ القمح الابيض
قصة : ساما يواشنشللا
ترجمة : ماهر شفيق فريد
٤٠٨ ـ الخاتم
قصة : عبد الله خورشيد البرى
٤١٢ ـ قدر
قصة : محمد هريدى
٤١٨ ـ من امثال سليمان
توفيق حنا
٤٢٠ ـ العربة الاخيرة
محمود البدوى
نقد : علاء وحيد
٤٢٨ ـ بريد الادب :
نظافة النقد ٤٢٨ ـ اكتبوا الصواب ٤٢٩ ـ الوان من الادب ٤٣٠ ـ لاتزكوا انفسكم ٤٣١ ـ خارج النقد ٤٣٢ ـ الشعر ٤٣٢ ـ النثر ٤٣٥

رسالة الازهر : فصلة مفردة

السياسة والفن

سلف القول : ان السياسة ـ بطبعها ـ تزلزل الثقة بثبات الحياة ، واستقرار نواميسها ، فاذا ما غوت السياسة ـ وليس ذلك بالقليل ـ هزت الحياة ، وامعنت فى زلزلة قيمها .. وان كانت مع ذلك كله ، لن توقف سير النواميس ، وان عطلتها ، ولن تغير اقدار الدنيا ، وان هزتها .

والقول هنا فى السياسة .. والفن ، على ضوء ما سبق من بيان جملة الراى ، فى هذه السياسة الشوهاء ، وما تكلفه الحياة من خسارات . وتضحيات ، وان كانت السياسة واهلوها ، لاتعدو ان تكون فى نظام الكون كعقارب الساعة ، من الساعة ـ على ما بينا ـ ليست شيئا فيها ، ولكنها ادل شىء على معانيها .

* * *

.. والنظرة الجامعة العامة ، تدل على آثار لتلك السياسة فى حياة الفنون جميعا ـ ولا سيما الادب فن القول ـ يتبينها الناظر فى حياة تلك الفنون بادية ظاهرة ، فى سوئها المعتاد ، وفسادها المكرر .. فبايسر التامل تستبين هذه الاثار للسياسة فى الفن ، من حيث نشاطه ، ونتاجه .. وتذوقه وتمثله .. وتاريخه وتقديمه .. وانها لنواح من البحث جديرة بان تفرد لها الفصول ، بل الكتب ، ولكنا نمسها هنا ذلك المساس الجامع الذى يسدد النظرة ، ويصوب المنهج ويقدم المثل ويفتح الباب لتناول متتابع او اعمق وادق ، فى مناسبات تجد « الادب » فرصها كثيرا .. فيما نرجو .

* * *

والسياسة واهلوها هم ـ دائما ـ اولئك الاناسى الذين تتجلى فيهم تلك الملاحظة المسجلة : ان شهوة الحكم والسلطان هى الشهوة ، التى لا تموت فى البشر ، مع تقدم السن ، وظهور الضعف ، وفتور الشهوات الاخرى .. وفى سبيل هذه الشهوة الطويلة العمر فى البشر يتخذالناس كل الوسائل ، ويسلكون كل السبل ، ليقروا بها هذا السلطان. ويحمودويؤيدوه ويبدوه .. ولا كالفن فى الوسائل ، ومن السبل ، فهو بما هو من وجدان الناس ، وفى وجدان الناس اعمق ما يتاثر به الناس ويستهوى به الناس والسياسة شديدة الحرص على الفن بما هو وسيلة من وسائل القوة والتأييد والاعلام والاقناع وبما هو اقرب السبل الى الافئدة والقلوب ولذلك تتصل به السياسة اقوى اتصال وتتفاعل

واياه اعنف التفاعل ، فيكون لطيشها اثره البعيد ، على وجدان أصحاب الفن انفسهم ، تزين لهم ما تشاء ، وتحبب اليهم ما تبغى ، وتدفع شعورهم الى ما تهدف له وتوجه تقديرهم ، الى ما تروجه ، وتسلك فى سبيل كسبهم كل حلال وحرام ، ومحبوب ومكروه ، فاذا هم — مهما يقاوموا — يرون بعين السياسة والساسة ، واذا هم — مهما تقو شخصياتهم — يفكرون بعقلهم ، ويجدون بحسهم ، ان بالخديعة حينا ، وان بالتقية احيانا ، واذا فيهم أصحاب ذلك الفن الزائف الحافل بالاحالات والاباطيل الصارخ بالاكاذيب والتهاويل ، المسف حتى ما تبقى له ذرة من حرمة او كرامة .

وهكذا اذا ماعانى المجتمع فسادا ، وتأخرا ، واضطرابا ، وكانت السياسة فيه — على ماكررنا — هى عقارب الساعة الدالة على هذا الفساد ، والتأخر والاضطراب — كان الفن واهله ، من اشد من يتأثر بهذه الحال ، وانى له مع الاضطراب والانحلال ان يستشف مثلا كريمة ، بينه وبينها — فى هذا المجتمع — اهوال ، وكيف يتطلع الى غايات دونها فى هذا الناس مهالك واغوال ، ايسرها : **الذهب .. والسيف** .

وهل تستكثر بعد هذا ان يكون الفن الا بصرا كليلا ، وبصيرة خاسئة ، وحسا عليلا ووجدانا مريضا ؟ فاذا الفن فى مثل هذه الحال تعبير عما لا يجد المعبرون وتزييف مكشوف الجوانب ، مفضوح الملامح ، يهدم نفسه ويعرى اهله ويخزى به تاريخ الفن وتضيع به جهود اجيال ، ويتبدد نشاط طبقات وطبقات .

* * *

واذا لم نجد الفرصة لسوق الامثلة على ذلك من الفنون غير « الادب » وآثرنا تركها لذوى الكلمة الخاصة فيها ، فانا ، بما للفن القولى ، من مقدرة النيابة عن أفراد اسرة الفنون ، نستطيع ان نحدث عن السياسة والادب ، حديثا يشمل ادب العربية فى عمرها الطويل ، اذا ماقدرناه بعامة ، تقديرا فنيا ، ووزناه فى عملية بمعايير وجدانية ، تدق عما انخدع به الاقدمون والمحدثون فى تقدير هذا الادب واصحابه ، فتخالف عليهم فى ذلك .

وسيتجلى لنا ، عند التحرر والتبصر ، كيف عاش الادب فى مجتمع لم يبلغ درجة التعقد الاجتماعى ، الذى ينم عليه الاضطراب السياسى ، وكانت الجماعة اشبه بالاسرة تواجه بأساء الحياة ولينها ، مواجهة متناصرة متعاونة ، وذلك ما تلمحه فى حياة الجاهلية العربية ، وتجد بقية منه بعد ذلك ، مع اختلاف الدرجة فى نهضة العرب الاجتماعية ، والى زمن يختلف فى تقديره بعد الاسلام فيكون قرنا أو اكثر ، على اختلاف البيئات فى ذلك .

فى هذا المجتمع الجاهلى حينا ، والاسلامى تارة ، كان الادب ابعد عن الوهن واناى من الزيف وادق فى الحس واسلم فى الابانة لان افاعيل تلك السياسة المعهودة لم يكن لها فى ذلك المجتمع فسيح مكان ، فلا تسجل عقارب الساعة اضطرابا اجتماعيا ، وتناقضا متدافعا ، فكان الفن يغنى لنفسه ويغنى لقومه الذين يحيا بهم . ولا يستطيع الحياة دونهم .. فما هو الا الانفعال الواجد والتأثر الصادق والتعبير الذى يصور ذلك تماما .

وحين تغيرت حال المجتمع الممارس للادب العربى وفسدت شئونه ، بفساد السياسة

وافسادها ، ودلت عقارب الساعة ، على اضطراب متحلل .. حين ذاك كان الادب اشد تاثرا بهذا كله ، وكان مجالا فسيحا ، لعبث السياسة واهلها به فيمن تعبث بهم من فئات وطبقات ، فاذا هذا الادب ـ كما قلنا ـ لايفنى لنفسه ولا لمن يعنيه امرهم ، ولا هو يحيا بحياتهم بل يفنى لمن يحيا بموتهم وينعم بزوالهم ، فهو حاقد ، ساخط وهو لذلك كاذب زائف لافى حديثه الى هؤلاء الفاسدين المفسدين ، ولا عنهم بل هو كذلك مضطرب الحس عاثر الوجدان ، حين يحدث عن مشاعره هو ويخلو الى نفسه او يوهم انه يتجه الى ذاته .

وخذ لذلك مثلا قريبا من معنى ادبى غنائى هو الوقوف على الاطلال وبقية دور الاحبة واستمع منها الى قالة جاهلية مشهورة هى :

يسقط اللوى بين الدخـــول فحومل ففاتيك من ذكـــــرى حبيب ومنزل

ثم اذكر قالة اخرى لصنم من اصنام الادب فى عصور تالية ، ذلك هو صاحب البيت المعروف :

بليت بلى الاطلال ، ان لم اقف بها وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

فانك مع اليسير من اللمح الادبى المترفع عن زيف التكلف الصناعى ستشعر ان امرأ القيس ، يجد الجو النفسى لهذا الوقوف وهو جو الذكرى والتذكر وينفعل به الانفعال الصادق العميق فتطوف نفسه بالآفاق المختلفة ، التى شهد فيها دار الحبيب وانس به ، وهو اذا ماشمله جو الذكرى يبكى انفعالا ويحيى فى هذا الماضى ناسيا ماحوله ، ذاكرا امسه ، ولست تشك ان فى كلمة « قفا » التى يستعين فيها بأصدقاء الروح ، ورفقاء النفس .. كلمة « قفا » الآمرة تفيض السكون الوادع الهادىء الناسى كل شىء الذاكر للماضى الذاهب ، والامس العزيز .. والوقوف معقد المعنى وصورة الشعور ، وبه تسمى هذا الانفعال من احاسيس الشعراء : الوقوف على الاطلال ..

ودع هذا السابح فى تأمله ، الواقف الشاخص ، الذاكر الباكى ، وانظـــر ـ ان استطعت ـ الى هذا الذى يدعو على نفسه ان لم يقف ، وكانها لا تطيعه على هـــذا الوقوف !! وهو يقف وقوف شحيح ضاع خاتمه ، وواكذباه : اترى الشحيح فاقـــد الخاتم يقف !! أم هو يقلب التراب ، وينبش الثرى ، زائغ البصر ، بل جاحظ العين مبهور انطلب جزع الفؤاد ، تغلى نفسه حسرة وشحا .. اواقف هذا ؟ !! ايتذكر هو ؟!! أساه وواجم ينسى يومه وحاضره ، ويذكر امسه وماضيه ؟! ام هو يجن قلقا ، فى طلب خاتمه ؟!! ولا ، ولن يستقر على حال من القلق ، فاى وقفة هذه ؟ !! واى ذكرى !!!

ودعنى امسك القلم حبسا ، وارده كبحا لئلا يقذع ويسفه ، فى نعت صاحب هذا التشبيه ، وصانع ذلك التعبير .

ولئن كانت سطوة التقليد ستشرك لترد غيبة هذا المتنبى فتتذكر ان هذا الملك الضليل ، صاحب الوقفة الشاعرة الذاكرة ، قد كان رجل سياسة ، لعبت احـــداث السياسة بحياته ، وصنعت خاتمتها ، فماله قد صدق حسه ، وسلم وجدانه ، ولم تدركه لعنة هذه السياسة ، التى اطلنا الحديث عنها ؟

وفى الحق ان امرأ القيس كان محاول ملك ، وطالب عرش ، فهو رجل سياسة ، ولكنها السياسة التى يمثل حدتها ان يبلغه مقتل الملك الوالد حجر ، وهو على شرابه فيقول : اليوم خمر وغدا امر .. ثم يكون كل امره بعد ذلك ــ على ما يحكى ــ ان يسعى فى طلب قوة تعينه.. وما نعنى مثل تلك السياسة الساذجة ، القريبة الغور ، ولكننا نذكر فى حياة المجتمع المتفنن بالعربية ، سياسة تلك الدولة الكبرى ، أو الدويلات الصغرى التى يقوم فيها فرد واحد أحد ، هو ظل الله فى ارضه ، فيسوس تلك السياسة التى لا تعرف العدل القانوني ولا تشعر بالعدل الاجتماعى ، تحزم الناس حزم السلمة ، وتضربهم ضرب غرائب الأبل ، كما تقول بيانات اعلامها ، وتاخذ البرىء بذنب المجرم .كالثور يضرب لما عافت البقر .. تلك السياسة الرهيبة المرهبة هى التى تجعل الفن فى ظلالها يجرى بمثل قول هذا المتنبى نفسه :

هابك الليـــل والنهار فلوتنها هما لم تجـــز بك الايام

فيحسب من رهبته ، أو من خبلته ان انسانا يامر الليل والنهار ، فلا يجوزان به وتقف الشمس والقمر طاعة لامره ، !! فاى سياسة تلك التى ترسم فى خيال انسان ، هذه الصورة لانسان ! !

وترى الذى نجا من هذه الخبلة ، وان احس الرهبة ، دون ان ينخلع قلبه وينتكس شعوره تراه فى النابغة الذبيانى يهرب من حاكم سائس ، ويعتذر له شاعرا بهيبته ، فيكون مبلغ صورة سلطانه الشامل فى نفسه انه كالليل ، فيقول فيه ، وهو فار من سلطته :

فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت انّ المنتأى عنك واسع

لقد اصطكت مسامعه لملامته ، وبات كانما ساورته ضئيلة من الرقش ، فى انيابها السم الناقع .. و .. و .. من هول البطش السياسى ، ولكنه ظل يجد فى الصحراء منتأى واسعا ومفرا منقذا ، فلم يزد على ان جعل سائسه ليلا ، ولم يبلغ ان يحكمه فى مسير الكواكب ووقوف الايام !!

واذا ماكانت السياسة ــ فيما كررناه ــ هى عقارب الساعة ، التى تدل على ما فى جهاز هذا المجتمع ، فان الفن وبخاصة هذا الادب ــ هو المضىء والفسفور الذى يريك عقارب هذه الساعة فى الظلام .. أو هو الاشعة النفاذة التى لا تحجبها اجسام .

ولو مضيت اضع بين يديك صورا ومعالم ، مما صنعت السياسة باصحاب فن قولى ، فضلوا بل كفروا ، وسفسطوا واحالوا ، ووهنوا وسقطوا ، لطال الكلام بما لايتسع له هنا مقام .. وحسبى الشاهد والمثل على ما صنعت السياسة بالفن وجدانا وانتاجا فكان صنيعها اوضح صورة وابين دلالة ، على حال المجتمع الذى عاش فيه ذلك الفن واهله .

* * *

واذا كان الامر على ما راينا فى وجدان القائلين ، فهو على مثل هذا السوء فى تقدير المقدرين وتقييم الناقدين ، فلا عجب اذا ما حملت الينا الانباء احكاما ، غفل اصحابها عن ملامح الوهن ، بله مكامن الضعف ، فى هذا الفن القولى وقائليه ، فبقى ذلك النقد والتقدير محتاجا الى جهد جليل ، يكشف عن مجتمعات اولئك القائلين وافاعيل الحياة فيهم ، ولا سيما عبث السياسة واهلها ، بقلوبهم وعقولهم ، واخلاقهم بل بانسانيتهم فى ايسر صورها ، وبعد هذا الكشف السافر يقوم ادبهم او يؤرخه .

* * *

وكانما نفذت رهبة السياسة ، الى قلوب المتاخرين منا ، حين هموا بشىء من تاريخ الادب ووصف سير الحياة به ، فمضوا يقسمون ذلك ويفصلونه ، على سنى الدول وايام الاسر الحاكمة ، يجعلونها معايير التغير الادبى ، والتطور الفنى ، وقد يكون لهم بعض العذر فى هذا لما المعنا اليه من اثر السياسة فى الفن واهله ومتذوقيه وناقديه ، وما ننكر ان للسياسة ما نعينا على غوايتها من سوء الاثر ، وبعد التاثير ولكنا قبل ذلك كله ومع ذلك كله نعد فساد السياسة الصورة الظاهرة ، والعقارب المشيرة الى فساد المجتمع ، الذى تمكن هى لفساده وتنميه ، وتعين عليه .. وما ينبغى لمبتغى التاريخ ان يسجل دلالات المؤشر ، ومقروء العقارب دون ان يعرف حال الجهاز الذى تدل فيه هذه المؤشرات وتشير العقارب ، فنعرف من ذلك التشخيص الكامل للجهاز والحالة الوافية للساعة وقطعها ، ودرجة ضبطها او اضطرابها .

ومن هنا ننكر ان يكون مجرد الظواهر السياسية السطحية هو المقسم والمقدر لادوار حياة الفن ، كما لا تكون السطوة الظاهرة ، والضجة السياسية الصاخبة لحاكم هى القول الحق فى قوة الدولة ، وثبات سلطانها ، وامتداد صولتها ، فنحدث نحن لها عن عظمة سياسية ، مع انها فى النظر الدقيق واهنة الكيان ، منخوبة الهيكل ، كاذبة المظهر ، فما يصح أن ينخدع المؤرخ المتفهم للفن فى تلك الظواهر فيذكر عظمة سياسية وصلتها بحياة ادبية ، مما تردد كثير منه فيما عانى المحدثون مما يسمونه تاريخ الادب .

ولعل نظرهم البعيد ، يمعن فى فهم المجتمع الذى يؤرخون فنه ، ويقدر دلالة السياسة على صحة هذا المجتمع واعتلاله ، وحين يقدرون دلالة السياسة ، لاينخدعون بمظاهرها الخلابة ، ومظاهرها الفاتنة ، فان الحياة قد عرفت منها الدخل والدجل ، وعرفت فيها الخديعة وكذب المظهر ، وعلى هدى ما عرفت الحياة من ذلك يكون الفهم الصحيح للسياسة والفن **انتاجا .. وتذوقا .. وتاريخا .**

عبد العزيز الدسوقى

حق.. إحسان (١)

«يفتح الفن القرآنى آفاقاً تتسع لأقصى أمانى الإنسانية»

«إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها»

اريد لاتبين رياضة القرآن لنفوس واجدى المال ، ونفوس فاقديه جميعا ، ملتمسا المرامى النفسية ، والاهداف الاجتماعية ، من كلمات القرآن وجمله ، لما عرف فى ذلك النظم من اعجاز بلاغى ، وفن قولى ، قد راينا له من البقاء الخالد والحيوية المتجددة ، ما يجعل هذا الفن القولى مصدرا لمثل هذا الهدى النفسى والاجتماعى ، الذى تصلح به الإنسانية مهما يكن تقدمها العلمى والعملى .

وقد عرفنا للاسلام روحا جادة ، فى الاصلاح المالى ، وحزما ماضيا ، توحيه عبارة القرآن فى امره اصحاب التدبير العملى للحياة ، والقائمين على هذه الناحية ، بأخذ المال المطهر اخذا جادا ، وما الى ذلك من لفت الى عدم التوازن فى هذه الناحية وكان مما لمحنا من اقوال المفسرين الاقدمين انفسهم لآية : **خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها : قول بعضهم : ان المال الماخوذ اكثر من الزكاة المفروضة ، وان الصدقة من الصدق ، لدلالتها على صدق الايمان ، وانها انما توضع فى كف الرحمن ، وهو يضعها فى كف آخذها .** وفى ذلك مانرى من تكريم للانسانية ، وصون لشعورها

وقد اتفق ان وقعت الى فى صباح اليوم التالى ، لاذاعة هذا الحديث صحيفة دينية ، فيها كلام عن مسألة المال فى الاسلام ، فقرأت فيها ماعبارته :

« .. هذا القدر من الزكاة وهو ٢ر٥ ٪ قد يكون قدرا ضئيلا ، ولكن هو القدر القانونى ، وبجانب ذلك القدر الكبير الاخلاقى ، وهو الذى سمى الاحسان ، وهذا لاحد له وانما هو موكول الى ضمير الشخص وخلقه ، وعطفه وميوله الدينية والخلقية ، التى يحاول الاسلام ان يغرسها وينميها باستمرار » (٢) .

ولفتتنى فى هذه العبارة اشياء ، مثل كون القدر القانونى لحق الامة فى مال الراجدين هو ٢ر٥ ٪ فقط ، وان الحكومة

---

(١) فصل من كتاب ـ هدى القرآن : فى اموالهم، المقدم للطبع . وتتمجل « الادب » نشره تمهيدا لخطوات التطور الاشتراكى ، فى حياتنا فذلك بعض واجب اصحاب الفن والحياة .. وهذا الفصل حديث اذيع فى ١٩٥٠/٢/٢٨ ، وكانت تلك الاذاعات دراسات اجتماعية ، لموضوعات براسها ، من بينها مشكلة المال فى المجتمع .

(٢) هى مجلة « رسالة الاسلام » السنة الثانية العدد الاول ، من مقال عن النظام المالى (للمرحوم) الاستاذ احمد امين .

لا تملك ان تفرض الا هذا ؟ ! ومثل ان الحياة المالية فى الاسلام ، على اهميتها وحاجتها الى الاستقرار ، تكون تحت رحمة الافراد ، وعطف ضمائرهم ، وما ينميه الاسلام من ميولهم الخيرة ، التى يحاول تقويتها باستمرار !! لكن هذه المعانى لم تلفتنى ، كما لفتتنى كلمة **الاحسان** ، وتسمية المال المأخوذ للجماعة ، مهما تكن صفته ، احسانا ، اى انعاما وتفضيلا ، يجبه الاسلام الناس ، بتسميته هذه التسمية ، وكنت ـ كما قلت ـ حديث عهد بما القيت ، من التوجيهات النفسية الاجتماعية . فى القرآن ، حتى من قول المفسرين الاولين . . ورحت اسأل نفسى : احقا هذا هو تقدير القرآن للعامل النفسى والشعور الانسانى فى اصلاح المجتمع ؟

احقا هذا هو حس القرآن الفنى ، فى خطاب الناس عن الشئون المالية ، النخاسة فى حياتهم ، المثيرة لنفوسهم ؟! احقا هو يجبه الآخذ لهذا المال بأنه احسان منعم ، واعطاء متفضل ، وينسى ما لذلك التعبير من وقع سيىء ، واثر ضار ؟ !

سألت نفسى هذ الأسئلة ، وانا دائما شديد الاعتماد ، على هذا الحس الفنى ، للنظم القرآنى ، اجد فى التذوق اللغوى للكلمة ، والاعتبار الادبى لها فى نظم العبارة ما اعده مصدر توجيه عملى دقيق ، بل خطير . . ولذلك كان اسرع ما اطمأننت اليه فى الاجابة عما اثارت عبارة هذه الآية الدينية فى نفسى من الاسئلة هو ، ما هدى اليه هذا الحس من ان الاسلام بعامة ، والقرآن بخاصة ادق حساسا واسلم تقديرا من ان يسمى هذا الحق الاجتماعى احسانا ، او تفضلا ، او انعاما ، او ما هو من ذلك بسبيل ، لان هذا القرآن هو الذى جعل من المال حقا ، وجعله حقا معلوما ، وهو الذى سمعنا تسميته المال : **مال الله** ، كما سمعنا عدة **الاغنياء مستخلفين فيه** ، **ينفقون منه مثل انفاق الرجل من مال** غيره . . وكذلك مضيت التمس الايحاء الفنى فى استعمال القرآن لفظة الاحسان فكان ان وجدت الامر على هذا الوجه :

تقول اللغة : حسن الشىء وجمل ، وأحسنت الشىء احسانا جملته وكملته ، فاذا قلت : احسنت الى فلان فمعناه اوصلت اليه ما هو حسن ، وفى هذا قد يراد من معنى الانعام والتفضيل ، احيانا ، فاذا ما تتبعنا القرآن ، فى استعمال هذه المادة رأيناه لا يكاد يريد منها الا معنى الكمال والحسن ، حين يقول : فمن عفى له من اخيه شىء فاتباع بمعروف واداء اليه باحسان . . او يقول : فامساك بمعروف او تسريح باحسان . . وكذلك قوله : ان اردنا الا احسانا وتوفيقا . . او قوله فى الوصية بالوالدين : ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، فيدل على مراده حين يذكر فى هذه الوصية الاحسان مرارا ، وبالوالدين احسانا ، ومعاذ الله ان يكون فعل الولد مع الوالدين انعاما ، وامتنانا ، وتفضيلا ! !

ويأمر القرآن بالاحسان فى آيته الجامعة : ان الله يأمر بالعدل ، والاحسان ، وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء ، والمنكر ، والبغى . . فيذكر المفسرون لهذا الاحسان معانى كثيرة ، فهو تارة اداء المندوبات والمستحسنات . . او اداء الفرائض ، والاخلاص فى التوحيد . او هو ان تكون سريرة العامل احسن من علانيته . . او ان ينصف من نفسه ، ولا ينتصف من غيره ، حين يكون العدل انصافا وانتصافا . .

ويعرض الحديث النبوى لبيان الاحسان ، حين يسأل الرسول عليه السلام ، ما الاحسان ؟ فيقول : هو ان تعبد الله ، كأنك تراه . . فهو بهذا البيان اخلاص ، به يتم الاسلام والايمان . . وهكذا لا يكون الاحسان هو التفضيل

المتن ، والانعام المعطى ، وحتى ان قيل ذلك فى معنى الاحسان فليس هذا المعنى مما يستقيم به فهم معنى القرآن بالاحسان فى آيته الجامعة « ان الله يأمر بالعدل والاحسان .. »

وما اخالك بعد هذا واجدا فى حديث القرآن عن الحق المعلوم فى المال انه يسميه احسانا ، أو يأمر بالاحسان بالمال الى كذا أو كيت ، بل الاحسان فى عامة استعماله القرآنى هو : ضد الاساءة ، وهو احسان الى النفس فيما سمعنا من آية : ان احسنتم احسنتم لانفسكم ، وان اساتم فلها .

وكذلك ينفر الحس القرآنى ، الدقيق دائما ، من ان يستعمل فى ذكر المال ، المصلح لحياة الجماعة ، هذا الاحسان بمعنى الاعطاء المتفضل ، والبذل المنعم ، والاداء المترفع المستعلى ، الذى يحز فى القلوب ، ويهيج النفوس ، ويفسد مابين المؤمنين ، وانما المؤمنون اخوة ..

ولعمرى ، ما تخونت قط شعورى بالدقة السامية ، للحس الفنى فى هذا القرآن ، حين يتحدث عن هاتيك الانسانية ، التى كرمها الله تكريما ، بل يمضى هذا الاعجاز النفسى للقرآن قدما ، يرتفع نبيلا ، ويسمو مرهفا ، يروض النفوس البشرية ، رياضة خبيرة ، دقيقة ، لطيفة ، حكيمة ، تساير هذه الانسانية ، فى آفاق رقيها العالية ، وتلفت المدبرين لامور الجموع ، الى الدقيق والجليل ، من هذه العوامل النفسية ، التى تدور عليها الحياة ، وتنبعث عنها الاعمال ، وتندفع بقوتها الارادات ، وادق الاصلاح واكثره نجاحا ما قام على خبرة نفسية ، وطب بأهواء القلوب ، ونوازع الارواح .

* * *

ان هذه الجمهرة من الناس ، التى يدعونها العامة يشعرون شعورا نفسيا قويا ، بتكريم الانسان ، ويدخلون فى حسابهم ما سوى المادة ، وحسبنا انهم يسجلون هذا فى مثلهم العامى القائل « لاقينى ولا تغدينى » وان رعاية هذا الشعور فيهم ، والحرص على توفير الرضا النفسى لهم ، لما يجب ان يرعاه ويقدره كل من له صلة بالحياة العامة .. وكم فى الحياة من مناسبات لذلك ، قد يكون ايسرها عمل تلك الصحيفة الدينية التى نقلت كلامها ، فى صدر هذا الحديث ، عن النظام المالى فى الاسلام ، وقيام هذا النظام على ما سمته **الاحسان** ، وهى التسمية التى راينا انها تسمية ، لايهش لها حس القرآن .

وان وراء ذلك من رعاية هذا الشعور ، وتوفير ذلك الرضا لكثير وكثير ، فهذه الصحف مثلا حين تخوض فى الوصف والتصوير لعبث القادرين ، وسفه الواجدين ، وبذخ الاغنياء ، فى حفلات وحركات ، واساءات لا تقدر ما فى هذا من جرح لشعور تلك الكثرة ، وافساد لرضاها النفسى يثير غضبها ، ويهيج حقدها ، ولو اشتغلت الصحف بغير هذا لاحسنت من نواحى كثيرة .

وهذا البذل الخير ، الذى تقدمه الهيئات أو الافراد ليس ينبغى ان يذكر فيه فقر الفقراء ، واطعام الجياع ، **وتعرض فيه تلك الصور المذلة ، لجموعهم ، وهى تتلقى الاكلة ، وتتسلم الخرقة** ، فذلك ولا شك مفسد للرضا النفسى ، بل لقد يؤدى الى شر وضر ، دونه جوع الجائعين ، وعرى العارين ، وامثال هذه الاخطاء من القول والفعل غير قليل .

وحسبى أن اقول : ان الحس النفسى بكرامة الانسانية ، على ما رعاه القرآن ، كفيل بان يوفر الرضا النفسى للادميين ، وبقدر ما لذلك من اثر فى علاج مشكلات الاجتماع .

* * *

فى كتابتها كوليت

عرض .. وتحليل

بقلم : حبيب الزحلاوى

ليست مؤلفة « ايام معه » .. و « ليلة واحدة » بأول فتاة مسيحية شامية حرفت اسمها او اضافت عليه تحلية اعجمية ، او ترجمته الى الفرنسية . فلا غرابة ان صار اسم خولة ، هذا الاسم العربى الحبيب « كوليت » فكم من اسماء عربية اضيف اليها تحليات كاسم مريم الذى صار مارى ، ثم تحلى بالاضافة فصار مارى لويز ، ثم بالورد فصار مارى روز ، ثم ترجم اسم وردة الى روزيت ، ونور الى كلير وهكذا ، واذا كان الاسم يدل على المسمى فكان الاليق بالمؤلفة وهى عربية دمشقية اموية ، الابقاء على الاسم الاصيل تيمنا بسيدة من اشهر سيدات العرب عرفت بالحصافة ورجاحة العقل والنخوة والمروءة ، اما اسم كوليت فترجمته العربية بنيقة ، اى ياقة col وتصغيرها كوليت اى بنيقة ، وما هذا الاسم المصغر الذى لا معنى له ولا جرس بلائق بفتاة عرفت نفسها منذ تفتح برعومها . وعرفها الناس شاعرة تنظم القوافى باللغة الفرنسية ، كما تجيد التعبير عن احاسيسها بلغة ابيها رجل الحقوق والقوانين ، وجدها العظيم معلم الآداب والسياسة والاجتماع واستاذ الزعماء ، ومربى الجيل السورى .

* * *

سمعت باسم كوليت سهيل الخورى وكأنى سمعت باسم « المعيدى » قبل ان اراه ، وراح الرواة ينقلون عن الرواة آفات ما سمعوا من موضوع كتاب «ايام معه» لم تقع عليه اعين هؤلاء الرواة ولا اولئك النقلة ، واخذوا يتباعدون تباعد المتوضىء من اقتراب الدنس قبل الصلاة ، ينفون عن نفوسهم قراءة المحرمات والولوغ فى الاثم .

لارغبة فى الاطلاع على اعترافات الفتيات المراهقات ، ولاتشوقا الى سماع ترانيم الشهوة واجرار اللذة التى ينعم المحروم منها بسماع الحديث عنها ، ولا استحثاثا لرغبة المرغوب فيها ، بل حبا فى الاطلاع على مدى وعى المراة العربية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، ومبلغ ما وصلت اليه قدرتها على اقتحام ميدان الحياة ومنافسة الرجل ؛ ومعرفة ما هو نوع سلاحها فى عصرنا العجول الوثاب ، وكيفية نظرتها الى المجتمع المتحول الصاعد .

على هذا الاساس من العزم تأبطت « ايام معه » لا رفيق لى سواه الا نارجيلة تخدر اعصابى انسامها كلما ضج بى الفرح مما اقرا ، وانعم بالسرور من البيان الواضح والوصف البارع ، والصون الاخاذ ، والاسلوب السلس ، والتشويق الجذاب ، والصدق فى الرواية .

هل كانت حالتي النفسية الهانئة هي التي تدفعني الى التهام فصول الكتاب ؟؟ او « الفردوس » الذي انا فيه وامامي بحيرته الواسعة ذات النوافير الخمس تقذف الامواه الى فوق فترتد متكسرة كانها ذوب البلور النقي ، تنقر اوتار موسيقى عذبة التوقيع ساحره الانغام ؟ ؟ أم تمايل قامات « الحور » مع هبوب الريح وهمسات اوراقها الناعمة في هذا الوادي الاخضر وادي دمشق الفيحاء ؟ أم ختام كل فصل من فصول لكتاب وكانها ختام قصيدة عصماء من نظم شاعر موهوب ؟ ؟ ؟

قد يكون كل هذا ، وقد لا ابتعد عن الحقيقة اذا قلت انني ذهلت عن كل ماهو حولي من بدائع الطبيعة من مياه واشجار وانا اتابع القراءة بنهم ولذة وشوق .

اتممت قراءة كتاب « ايام معه » الذي لا هو قصة ولا رواية ، بل هو كتاب « اعتراف » ذاتي كتبته خولة سهيل الخوري وصفت به أولى رحلاتها الخاصة الرحلة الطويلة القصيرة ، الشاقة المريحة السعيدة الشقية ، الهوجاء المتانية الباكية الضاحكة ، التي دفعتها اليها نسوب الغريزة مبكرا قبيل النضوج .

اقول دفعت اليها ، لان الاندفاع الجنوني المبكر نتيجة حتمية لتيارات عاصفة قل من الناس من لم تجرفه لتلقيه في هاوية ليس في الوجود الواقعي ما هو الطف منها ، ولا في الحس الذاتي ما هو الذ منها ، ولا في الشعور ما هو قريب منها ناهيك بالشعور المرهف والحس الدقيق .

ولما كانت السيدة كوليت مفطورة على ابداع الشعر ، و الشعر في سموه السامي وعلوه العالي لا يتضع ولا يتواضع الى الاسهاب في وصف لمسات الشعور ، ولا التبسط في شرح صور الحس الا بـ « كلمة » ملهمة .

ولما كانت أعاصير شعورها المبكر قوية ولفورة غريزتها غليان ، وكان سيل اندفاعها عرما جارفا ، استطاعت بقدرة فنية بارعة ، تحويل هذه الظاهرة الطارئة المجنونة الى اندفاع شاعري مطرب ، وترانيم وانغام مشجية مفرحة تمثلت فيها خلجات نفسها ، وهمسات شعورها ، ونأمات حسها « بكلمات » لا تصدر الاعن روح شاعرة اصيلة .

ولما كان تيار السيل الجارف المجنون ، تيار المراهقة ، لا يبالي اعلى السهل يسيل ام على الوعر . اغدير يتجمع ام يفيض ، ام شلال يندفق وينحدر . هكذا راحت الكاتبة كوليت تتخبط لا تخبط الارعن الملتاث ، بل ترنح النشوان الطروب . . الطروب بكل ما تراه العين بعين الحبيب . . الحبيب الذي يفرح النفس ويسر الروح ، ويسعد الجسد ، ويروي الغاية الثانية من معنى الوجود بعد اشباع المعدة ؟ ! . هكذا راحت تطلق نوازعها ، تستصرخ كوامن غرائزها تواقة الى اثبات وجودها كامراة ناضجة تحن الى حنان الامومة .

* * *

اشخاص كتاب « ايام معه » ثلاثة ، اقول اشخاص لا ابطال ؛ الاول منهم اصم والثاني ابكم اما البطل الوحيد فهو الشيطانة الرجيمة صاحبة هذا الاعتراف الاحمر عديمة الحياء ، التي قولت فيها ما لا يقال ، ومثلت تمثيلا واقعيا لا يمثل على مشهد من الناس ، وانطقت الشيء الذي لا ينطق ، والذي يعمل دون ان يتصور الذهن كيف يعمل ، ان طفرة هذه الشيطانة الصغيرة ، وجراتها على تسمية الاشياء باسمائها ، دون ما حياء او تحرج ؛ هي التي تدعوني الى نعتها بالرجيمة ، في حين ان قال لي من يعرفها انها طيبة القلب ، سليمة الطوية ، بسيطة ساذجة ولعل هذه الصفات هي التي تؤكد لي انها شيطان رجيم .

. اما الشخص الابكم فهو الحبيب المحظوظ .. كهل فى الاربعين من عمره ، فنان موسيقى ، يصور شعور الانسان بالانغام ، ويدغدغ الاحاسيس بالاوتار ، بهى الطلعة كما تراه الحبيبة ، زير نساء محل كما يصوره قلمها ، لا يحفل بالحب ولا بالوفاء ولكنه صناع ماهر يعطى فى ضن فيروى لا جودا ولا كرما .

ليس بدعا ميل الشاعر الى الفنان ، ولا انعطاف الفنان على الشاعر ، بصرف النظر عن فارق العمر بين الحبيبين ، ولا بالمستغرب اتصال فتاة مغامرة ، متحررة الفكر ، تنقصها خبرة الحياة ، ملتهبة الشهوة ، مندفعة مع تيار المراهقة الجارف .. اقول ان اتصالها بهذا الكهل المتزن امر طبيعى يوازن طيشها المبكر ، ناهيك بانه حظى اى « جيجولو » لا يعنى بقطف الثمرة الناضجة ، ولا يلمسها باطراف انامله ليأكلها ، لانها تقدم له دائما على طبق من الفضة .. تلتقطها اطراف لنضعها فى فم الحظى التياه ، وهى تنتظر التقاط النواة حين يمجها لتمصها هى وقد تعطرت .. بالابتلال بريق هذا الحبيب الفاتن .. هل من عجب اذن ان تندفع تلك الفتاة المغرورة ثائرة الروح التى لا تعرف السلام ، تسعى الى حيازة ذلك الحظى ، ووقفه عليها وحدها دون سائر النساء فتكون المفضلة عليهن جميعا .. وبذلك ترضى كبرياء انوثتها وتطرب فى نفسها مركب التفوق لامركب النقص؟!!

اما الشخص الاخرس فلا ادرى كيف اقحمته الظروف فى هذه الدوامة التى اقلقت الاسرة ، اسرة الفتاة المراهقة ، واثارت اشمئزاز اهلها منها لخروجها على اللياقة ، وتمردها على العرف . ولكن عرفنا ان هذا الشاب من ابناء الغرب ، يحب الفتاة يريد الاقتران بها متى اتم دروسه فى جامعة من جامعات اسبانيا ونال اجازتها . ونعرف ان الفتاة غير معنية به ولا تريد الزواج منه ، وهى فى ذات الوقت تريد الاحتفاظ به كستار وتغشية امام الناس ، لانها فى حقيقتها راغبة من صميم جوارحها فى الفناء بين ذراعى حظيها المحظوظ حبيبها المفضل وان هذا الابكم المسكين « شرابة خرج » يقال تعمية انه خطيبها سوف يكون قرينها .

هى ذى صورة مصغرة لاشخاص القصة التى لا يتحرك فيها سوى البطلة وحدها ، اما الاخران فمفتاح حركتهما بيد « كوليت خانم » كما ينادونها بدمشق تحركه متى شاءت فيتحركان آليا .

* * *

لكل بداية نهاية ، ونهاية الحب الطائش كعمر الفطر . والآن وقد عرفنا بداية اعتراف « ريم » كوليت بطلة القصة مع عشيقها « زياد » فصار علينا ان نعرف نهايتها .

. قلنا ان العاشقة الطائشة فى التاسعة عشرة من عمرها وشاعرة موهوبة ، والعاشق فى الاربعين وفنان موسيقى بارع ، وان الشاعرية والفن لا يقيمان وزنا للتقديرات الزمنية القائمة على قاعدة حساب الايام والاسابيع والشهور والسنين .

وان الكهولة المتزنة تكمل الطيشة المبكرة وتضعها فى موضعها الصحيح .

ولا ننسى ان نقول ان الارهاق الجسمانى يوهن همة الشباب ويحملها على الفتور فكيف لا يحطم قوة الكهل ويحملها على التقصير والعجز . ونرى ان البطل المغوار الحظى زير النساء صار فيلسوفا يدعو عشيقته الى فهم معنى الحب ، وان تعريفها له انه « عاطفة طارئة » تعريف غير صحيح ، انما تعريفه الحق « عقل وعمق » .

ونلاحظ ان كلا العاشقين اخذ يفلسف موقفه ويزور مسئوليته ، ومعنى ذلك

اشتباك العاطفة بالعقل ، والتحام الذاتية في معركة بداية النهاية .

يا لله ما احلى المغالطة .. مغالطة النظام الطبيعي .. مغالطة الزمن ، المغالطة في العمر استرجاعا للشباب .

ان ابن العشرين لا يفهم معنى او حياة من هو في سن الثلاثين او الاربعين ، وابن الاربعين وهو في اوج الحياة لايرضى ان ينحدر درجة واحدة الى الجانب اليسارى ، يريد البقاء في ذروة الاربعين ولو غالط النظام الطبيعي للانسان .

ليست العبرة في الاقناع الذاتي ، بل في اقناع الطرف الاخر بأن الاوهام والخيالات والتصورات هي مادية ملموسة محسوسة وهيهات .

* * *

قصمت قشة الاجهاد ظهر الفرس .. بلكت طلائع النهاية سبيلها الى شعور « ريم » والى حسها ايضا .. وان « ذلك الرجل الذى كانت تذوب نفسها وتفنى في عينيه » قد صار الى هوان بسبب تقصيره وعجزه .

مقارنة بسيطة بين الماضى والحاضر ، وموازنة اكثر بساطة بين الحاضر والمستقبل اثبتت « لريم » الحقيقة السافرة ، وقد ادركت بذكائها الوهاج ، وحسها النسائى ، ان سبيلها الى قتل حبها هو بسلاح حبيبها ، وان هذا الحب الذى صدر الحكم باعدامه لا يذبح بالحديد ، بل بالفلسفة المنطقية .

اليس الحبيب هو القائل ان الحب « عقل وعمق » وانه « اخذ وعطاء » ؟

لقد ابلت « ريم » من جنون حبها الطارىء ومس حب « العاطفة الطارئة » اما « زياد » فجن .
واخيرا انتصرت المراهقة على طياشة ريم ، على رغبتها المجنونة في الامومة ، وتيقظ شر الغدر الدفين في قرارة المراة ، وكشر كبرياؤها عن انيابه لينتقم من انحطى زير النساء والذى طالما اذل النساء اليس « زياد » هو القائل لها انها احسن من عرف من النساء ، وهل معنى ذلك ان النساء يمتزن بالحسن فقط وان لا قيمة البتة لروح المراة وعقلها ووجدانها ؟

صفر « زياد » في عيني « ريم » فقالت : « زحفت نظراتى ببطء وبرود .. تسلقت قامته المديدة وتوقفت غريبة عند ثغره .. ثم راحت تنبش في عينيه .. وتبحث فيهما عن شيء ما .. عن اثر من احساساتى الماضية .. ولكن عبثا .. هذه العيون التى كانت تشع ، وتوحى انى بألوف المعانى .. تبدو فارغة .

« وهذه الشفاه التى كانت تصب الحياة في وجهى وفى مقلتى .. تبدو متدلية .. تدل على السذاجة .

« هذا الرجل المنتصب امامى .. طالما رددت ان اتلاشى في ظله .. طالما تمنيت ان اضمحل بين ذراعيه .. يبدو مترهلا .. عاديا .

« انى انظر اليه وكانى اراه لاول مرة ايمكن ان لا اشعر نحوه بشيء ؟؟؟ ايمكن ان يهدىء الحب المضطرم في مدى لحظة ؟؟ » اهكذا تخمد النار الاكلة في ثوان ؟؟ « انا الآن لم اعد احبه » ؟؟

* * *

عادت « ريم » الشيطانة الى الفراغ » الفراغ الذى كانت تخافه وتستقله وقد صار لها مصدر اطمئنان وسكون .

وارتد الحظى على عقبيه لا يريد ان يشعر بالنازلة التى نزلت به وقد هيأت « كوليت » لنفسها رحلة الى اوروبا

تفتش عن زاد روحي جديد ، يكون موضوعا لاعتراف جديد ، مع « زياد » جديد فحل .

* * *

ونطق البطل الابكم كفرا بعد طول صمت وموات حس قال لخطيبته «ريم»

« انالا تهمني القصص ولا جميع القصص التي قد تجرى معك ، ولن احاسبك على ماضيك على سنين قضيتها وانا بعيد عنك ، انا لن اطلب منك اخلاصا اذا كنت لن ابادلك انا هذا الاخلاص ، انت انسانة لك حق في الحياة مثلي تماما ، ولست سخيفا اطلب ان اتملك حتى ماضيك . .رغبتي ان تكوني زوجتي .

* * *

لقد تحررت الشيطانة من غلمتها او انها كتمتها برماد من التريث والتأني ، لقد تحررت « كوليت » من حظيها الاسر وقد كان شيقا يعطى بسخاء ، ويرضى من غير من ، ويروى العطشة وقد تحول المسكين الى شيء .. شيء هين لا قيمة له ولا قدر ، وكأني بهوس الضمير ، ضمير الشيطان قد تيقظ بعد ان عرف بعض الخير وكل الشر ، فاتجه صوب الدير ينذر الرهبنة ، هكذا يقول المثل الانجليزي عن الشيطان متى تجاور الاربعين من عمره ، وهكذا همس ابليس في اذن « كوليت » ينذرها بمصير عشيقها وقد انحدر الى الخمسين أو الستين .

وبقي لها ، أو هي استبقت « شرابة الخرج » خطيبها الى حين ، هذا الخطيب الذي عرفنا منه ان لا شأن له البتة بماضي خطيبته وحاضرها ، وانه ليس سخيفا يحاسبها على ما تفعل وعلى قول الناس فيها واقاويلهم عنها .

هنا يحق لنا ان نسأل هل تم اعتراف كوليت بانتهائها من قراءة الاربعماية وعشر صفحات من كتابها « ايام معه » ؟ فنجيب ان للكتاب شقيقا جديدا تجسد في مولود جديد اسمه « ليلة واحدة » .

عرفنا ان الكتاب البكر اعتراف ذاتي بحت ، اعتراف كوليت سهيل الخوري الخاص ، وان السنة الناس لاكت هذا الموضوع قبل ان يتكون من حروف ويتجسد في كتاب يقراه الناس .

وان الحكاية لن تنتهي بانصراف ابطالها كل واحد في طريق ، لان جديدا قد جد في حياة السيدة « كوليت » وقد تزوجت وان زواجها دام احدى عشرة سنة في العقم ، ولكن من هو العقيم هي ام زوجها ؟ وتقول في كتابها « ليلة واحدة » ان عزمها وعزم زوجها قد صح على السفر الى باريس لعرض الزوجة على طبيب اخصائي .

وتقول ان اعمالا تجارية ضرورية اضطرت زوجها الى التخلف في مرسيليا وقد تركها تسافر وحدها في القطار الى باريس واعدا اياها باللحاق بها في اليوم التالي وتقول « كوليت » ما معناه « لمحت عيناها وهي في عربة سكة الحديد رجلا في نحو الخامسة والثلاثين من عمره كامل النضج ، فياض الجاذبية ، تستكن في عينيه نظرات الحنان والحزن والتوسل .. وتجهر بان شعورها اضطرت استجابة لنداء الجنس . فاقتربت منه ، وان حديث هذا الرجل الباريسي العذب الانيق قد سحرها .. وان جوانحها قد تفتحت لقصة حياته الخاصة وهي حكاية رومانتيكية مشرقة مشوقة جذابة مؤثرة ،وتقول ان كرم الرجل بهرها في باريس وقد بلغاها قرب نصف الليل . ينتقل بها من مطعم الى مقصف الى علب ليلية راقصة ماجنة ، وقد اسكرها عطفه وحنانه ونظراته المضطرمة بالشوق . وقد ازداد وجدها وهجا بفعل الشراب .

وتعترف بانها استقرت معه ، بعد المطاف والانتقال من مقصف الى آخر ، في غرفة في نزل من هاتيك النزل التي يعرفها الباريسي القارح المخصصة لمثل هذه الزيارات الخاطفة تحت جنح الليل .

وكانت ليلة او بضع دقائق من ليلة مقدماتها بوهيمية حمراء يعجز قلم الرجل عن وصفها احتشاما ، لا لان الحديث الجنسى يفعل ولا يقال ، بل لانصراف الذكر بوافر حيويته الى اغصاب الانثى ونفحها اكسير الحياة لبقاء النوع .

ولان الانثى فى هذا الحال تكون متفتحة الجوارح ، يقظة الوجدان ، متنبهة الذهن مرهفة الشعور ، نشوى الاحاسيس الذاتية . وهل المراة بمجملها سوى احاسيس ذاتية ؟؟

اما «كوليت سهيل الخورى» الشاعرة فقد وصفت فاجادت الاجادة المطلقة فى وصف كل شيء .. كل شيء ، وضاعة الفرقة ، قبلة الاستعطاف ، نضو المعطف ، ضم الخصر ، تلوى الجسم ، ثم انات انسرير تحت وطء جسدين ملتحمين ، ثم تنهدات وشهقات وانسكاب دموع ، وصفا نسائيا شاعرا خاليا من حشمة الانسان ، مجسدا تجسيدا بالغا حيوانية الانسان التى تبز كل حيوان ..

* * *

يلخص كتاب « كوليت » الاول « ايام معه » بكلمات ثلاث مراهقة فاهدار عفة والكتاب الثانى بكلمتين اثنتين « خيانة زوجية » ..

لم يخل الكتابان من سقطات لا ادرى كيف تعثرت فيها كوليت سهيل الخورى وهى النبيهة اليقظة ، المالكة لناصية التصوير البارع ، والمسيحية التى تعيش فى وسط اجتماعى متحرر من قيود الاختلاط ، كيف عرفت خطيبها « سليم » منقطعا وقد صار بعلها الشرعى ، كيف نظرت اليه حين جاء يطلب يدها من والدها من شق باب الصالون ، او من ثقب مفتاح الباب . رات مرة يده ومرة اخرى راسه وحذاءه ...

قد ينطبق هذا الوصف الخاطىء على البعض القليل من الاسر الاسلامية المحافظة بعض الانطباق ، ولا ينطبق من قريب او بعيد على الاسر المسيحية بكافة طبقاتها .

هذا مثال استشف منه دليلا على ان السيدة كوليت غريبة عن الاوساط الدمشقية ، غريبة فى تفردها فى تفكيرها ، غريبة فى انحرافها وتصرفاتها ، غريبة فى تسويغ موقفها الشاذ ، غريبة فى اتهام الرجل بجهل المراة .

ثم سقطة ثانية اشد من الاولى تقول السيدة :

« وانطلقت الى الشارع تائهة اسائل صقيع فجر باريس عن طريقى الى فندقى»

ولا ننس انها اوت غرفة الخيانة قبيل الفجر اى انها مكثت فيها برهة قليلة من الزمن ريثما نزا الفحل ، وهرعت الى فندقها عند الفجر . وتقول ايضا « وفى هدوء غرفتى فجاة رنين الهاتف .. انفرجب الانامل لا شعوريا تحاول اخفاء اعز صفحة من رسالتى المبعثرة . . يذكرها المتحدث بالهاتف بالموعد مع الطبيب فى الساعة التاسعة .»

يفهم من قولها هذا انها ودعت طريدها عند الفجر وانطلقت الى فندقها تكتب رسالة الى زوجها تعترف بخيانتها له ، وتسوغ هذه الخيانة بقولها « ان خيانة الروح اشد من خيانة الجسد » وهنا يحق لنا ان نتساءل هل من الممكن كتابة ٢٣٥ صفحة فى اربع او خمس ساعات ، اظن ان المستحيل هو هذا .

ثم تقول .. « البارحة لاول مرة فى حياتى كنت صادقة مع نفسى » اى انها عرفت المتعة التامة بارواء الجسد ، وتتساءل مرة ثانية كيف تكون المتعة كاملة والارتواء تاما ولا يعقبهما على الثو ارتماء على الفراش واستغراق فى نوم

عميق يسهل انسياب هرمونات الحياة وامتصاص الجسد لها ، وهو حالة طبيعية تكيفها الطبيعة وتعدها ليستعد الجسد لمعركة بشرية تالية ، وكيف هاجمت المؤلفة نظام الطبيعة فى الجسد المرتوى فلم تنم بل تجد العكس تجد تنبه أعصابها ، ويقظة ذهنها ، واندفاعها تكتب ٢٣٥ صفحة فى اربع او خمس ساعات .

من المعلوم ان كل امراة ترضى الرجل ، وان كل رجل يرضى المراة ومعلوم أيضا ان الارتواء يعقبه نوم عميق ، وعدمه يثير الاعصاب ، وان الاطمئنان يعقب العملية الجنسية ويدعو الى الراحة والهدوء ، ان التيقظ والتنبه والنرفزة وليدة الخيبة والفشل .

هذا التخبط له احدى دلالتين الاولى انجهل فى التكوين الطبيعى للانسان وتركيب انجسد ، وتاثر حركاته بعضها من البعض الاخر .

والدلالة الثانية هو التلفيق غير الموفق ، تلفيق هذا اللقاء الخائن وقد صورت فيه رغبتها المكبوتة لما تتمنى وقوعه ونشتهيه لا لما وقع بالفعل .

ليس مثل هذه السقطة بالكثير فى الكتابين ، بل الكثير تكرار الصور وتشابكها ، وترديد العبارة اكثر من مرة ، واحدة ، والاسراف فى الوصف والمغالاة فيه .

* * *

كتبت هذه السطور وانا فى دمشق ، وسمعت من اقرب المقربين من وسط كوليت سهيل الخورى ووسط العشيق « زياد » ان المؤلفة العصرية المتحررة دونت اوتار قيثارة بيرون ، وهيئتها لانشاد نغم نشاز جديد ، وحريق جديد من نوع « ايام معه وليلة واحدة » فى طريقه الى الظهور ، وان الناس اخذوا يضجون من ماساته التى ستحل بأسرتين الاولى مؤلفة من سيدة متروكة وخمسة اطفال فى مسيس الحاجة الى رعاية الوالد المبعد الى اقاصى الارض ، والثانية مؤلفة من سيدة مطلقة وطفلة صغيرة تركها والدها لشذوذ فى امها واستهتار ..

* * *

لا مرحبا بأيام كوليت ولياليها ومآسيها ، ولا سلام عليها لان خليلة شهدها تنقع السم القاتل .

دار الأمناء

٥٨ ش الجمهورية ت ٤٨٠٦٩

الاجتماع الاسبوعى

الاحد الساعة ٦ مساء

ندوات ادبية ــ محاضرات ــ ملتقى المتادبين

ايها الراقد فى زنزانة غرثى الشبابيك حقيرة
ايها الطاوى لدى زنزانة عجفاء كانتها حظيرة
ما ارتضى الظالم ان يؤوى فى اقبائها خنزيره
ضل نور الشمس عن كواتها الشوها الجفون الضريرة
صدت النسمة عنها حين هبت من روابى خضيرة
وصقيع الليل يهواها وفح القفر واتون الظهيرة

ايها الطاوى سلام الله لك

ايها الحالم فى غيبوبة اقبل الفجر وقد راع الظلاما
تحلم النروات فى اوراس بالصبح يهديها مع الضوء سلاما
لعيون الوطن الاخضر رضت منى البطن ومنطقت الحزاما
ورضيت السغب الناهم العين يجتر الشرايين طعاما
ورضيت الظما القاتل فى الجوف يصليك سعيرا واواما
انت تهديه لدى الفجر فدى والعشيات نضالا وعراما

ايها الطاوى سلام الله لك

يا مسيح العصر يا رب الفدى ايها المصلوب فى ايدى يهوذا
ويهوذا العصر ديجـــول الذى احرقت آثامه النيروزا
ايها القديس والعهر حواليك رب ماجن عب النبيذا
ارقصى ((باريس)) رقصا صاخبا ثم فحى زخمة العهر صديدا
أنت يا باريس ((سالومى)) فهيا امرحى هيا ارقصى هزى النهود
رفض القبلة ((يوحنا)) كسى بنت ((هيروديا)) شنارا لن يبيدا
قد ابى الدنيا نعيما فى ظلالك ((سالومى)) وذراها وعودا
يانبيا وحيه فى قصة .. قصة البذل الذى هز الرعودا
بك اوراس تغنت لحنها وشدته بعدها الدنيا نشيدا

ايها الطاوى سلام الله لك

ليت قلبى احمد فى ماكلك
ليت دمى احمد فى مشربك
ليت اضلاعى يا احمد كانت مضجعك
ليت انفاسى يا احمد زارت رئتيك
ليتنى احمدمسجونا معك
ليتنى احمد نجما فى الفلك
ليتنى احمد ظلا للملك

ايها الطاوى سلام الله لك

ان يكن شريان دم فيك جف
ان يكن جوفك جوعا قد تلف
ان يكن فى الصدر عرق قد نزف
فباوراس جنى الاحرار رف
اينعت اثماره وتدانت فاقتطف

ايها الطاوى سلام الله لك

قد رويت التربة الظمأى دماء
وغذيت القمة الغرثى ذماء
وسكبت الروح للام فداء
فلزدهى الغرس طموحا للعلاء

ايها الطاوى سلام الله لك

قل لباريس فقد تبرا من تلك الزمانة
ما ابن ((بيلا)) مثل ((بيتان)) ايا ام الخيانة
قد سقيناه مع الاخلاص لأوراس لبانه
وغذيناه فداء ونضالا ورزانة
وسقيت الخائن ((بيتان)) مع الغدر مجانه

ايها الطاوى سلام الله لك

انت رمز البذل عنوان الجزائر
والفتى المرموق فى عرس المفاخر
كل فتيان بلادى شاقها منك المآثر
وصباياها سبتها عزمة بين المحاجر
امهاتي قد تمنت بطلا مثلك قاهر
أنت رمز البذل عنوان الجزائر

ايها الطاوى سلام الله لك

ليتنى احمد مسجونا معك
ليتنى احمد نجما فى الفلك
ليتنى احمد ظلا للملك

ايها الطاوى سلام الله لك

على حسن العزب

اطلب نسختك من كتاب :

قيم جديدة

للأدب العربى

بديل عددى اغسطس وسبتمبر

من الآداب

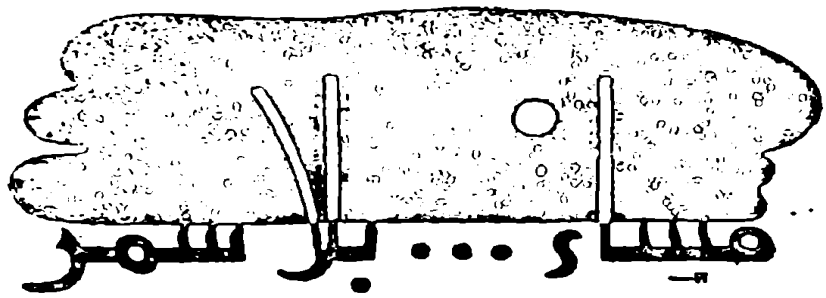

ياتى المساء فلا حب ولا سمر
اين الرفاق ؟ واين الناى والوتر
قد اطبق الصمت والاحزان نلفحنى
لفح السعير ، ومالى فيه مصطبر
والليل كف ظلام ما بها فرج
هل اغمض الافق لا نجم ولا قمر
والسامرون تولوا كل قافلة
تحدو حداء عليه الهم والضجر
فى كل واد صراخ تائه قلق
ضل السراة به واشتدت الغير

* * *

لم يبق غير شعاع خالد بيد
من عالم الغيب تدعونا وتبتدر
فى ضوئه برزت للكون امتنا
الشام والنيل والبيداء والحضر
الفجر كان لواء فوق موكبهم
من جنده الحق والارواح والقدر
الله بارئه والخلد حارسه
سيان يحمله سلمان او عمر

* * *

يا رفقة الحق هذا الشرق مسرحنا
صنا حماه ولا حجب ولا ستر
فى كل دار لنا عطر يؤرجه
ام اللغات وتاريخ لها عطر
هذا النخيل غراس من اكفهم
لم يذو يوما ولما ينقض الثمر
فى كل شبر شهيد هاتف بكم
يا امة العرب ما للخلف منتصر
هذا التراب خليط من دمائهم
كاللوح خطت على جنباته السطر

يحكى كفاحا مشرفا بذلت
من اجله الروح والالام والسهر
ان هانت الارض والاطماع مترعة
هل ضيع الدين والاحلام والسير

* * *

يا خابطين بليل الفرقة انتبهوا
فى كل منعطف يغشاكم الخطر
خلف الحدود عيون لا تفارقكم
فى جفنها الغدر .. يخشاكم وينتظر
ان يلتوى الصف او تعروه زعزعة
حمقاء هوجاء لا تبقى ولا تذر
ياتيكم السيل قد شقت طرائقه
ايدى الشقاق وقامت بيننا الحفر
الويل ان تركت فى الخلف امتنا
يحمى حماها غراب البين والغير

* * *

بالله يا اخوتى هانوا اكفكم
وخذوا يمينى ونصر الله منتظر
لا تسقطوا الراية الكبرى فما لكم
فى غير وحدتها عز ولا خير
فى كل كف شعار خائن برئت
منه الشعوب وخان مسيره الظفر
لم تلتئم بعد جراحات بنجدها
نصل الدخيل وعرش كاذب اشر
هانوا فخانوا امة عجزت
عنها الليالى واعيا سيرها القدر
قد اسلموك لقيد فاجر ومضوا
يبكون ما صنعوا ! يا ضل ما فجروا!
لا بد ياتى صباح ناطق بدم
للخائنين ! لانتم لاورى عبر

السيد ستيت

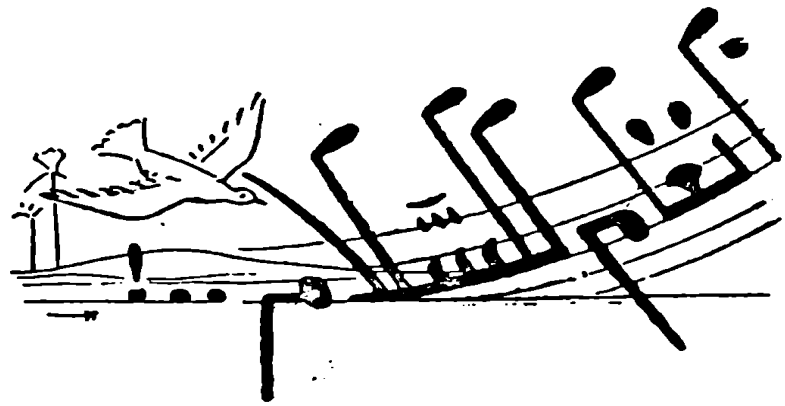

في كعبة الالهام والشرود . .
انا هنـــا
انا هنـــا وحيـــد . . !
دوامة تضج بالافـكار
فافورة تبعثر الازهـار
تشكشك النسيم . تقبل الانوار . . !!
أسامر الامال في مشارف الخلود . .
كانني مسافر على جناح طائر شريد
آماله العذراء ان يطوف بالوجـود
يرقرق الانغـام من منابع النشيد
وينثر الازهـار والورود
بصحـراء الوجـود . . !!

* * *

قبســـتها
من بسمة الانســان للانســان
من همســة الرجاء والحنـان
من واحة الايمـان . . !
ليصبح الوجـود
قصيدة رقراقة الانغـام . .
بالحب والاشـواق والغـرام
ويصبح الانام
تضمهم في رقة انامل السلام . . !!

* * *

انا هنـنا . .
انا هنـا وحيـد . .
في ليلة بكماء مات في ضميرها الكلام
فالصمت كالمجنـون طاف كمم الانام
والـكل نام
لم يبـق الا شاعر يسامر القيثار
ويسكب الانغـام
بآذان الظـلام . . !!
تسيل من الحانه جـداول الضياء
تفيض بالنعيم والرخـاء
((طريقه ابتناه بالحنين والغنـاء ؟ . .
واثمرت في شطه أزاهر الرجاء . .
تعطـر الارجـاء . .
بالحب والاخاء والوفاء
لينشـد الصباح والمسـاء .
الهـول والدمار والشـقاء
هبـاء . .
ما الكون الا واحـة تفيض بالهنـاء
لسـائر الاحيـاء . . !!

البيلي عبد الحميد حسن

اقرأ في العدد القادم

أزهر .. أو .. لا أزهر

فين ياخضرة ؟

فين ياخضرة حبيبتى نرجس التقيهـــا
فين فى غيطهـا نسمة هادية بتلاغيهـــا
فين أشـــاهد غنـوة هايمة بين عينيها
فين يا حلوة جنـة عاشت وردة فيهـــا

* * *

فين لقـــانا وين عزايمنـــا وســـهرنا
فين غنـــانا وفين لياليـنا وقمـــرنا
فين يا خضرة قعـــدة حلوة فوق حجرنا
فين حبيب العمـــر داره جنب دارنا

* * *

فين لقـــانا فى صـباح ابيض منـــور
فين عـزايمنا فى وسط الزرع الاخضـر

فين سهرنا وسط ميـــة سمرة تسحر
فين دا كله ، فين قمـــر م البـدر انور

* * *

فين غنـــاكى بصـوت جميل بيهز قلبى
صـوتك الســـاحر رباب من صنع ربى
شـــعلة قادت فى نار لـكن بتسـبى
والتقيتنى من يوميهـــا اعيش بحبى

* * *

كل ما اتذكر حياتنـــا ف منـدرتنـا
والبســـاطة الحلوة والطهـر فى حارتنا
والعيـــال والزيطة ماليه بيت جارتنـا
ما التقيش حاجـة تعـــوض مصطبتنا

احمد عبده عبد اللطيف

حب .. عف

احبك يا سلمى على غـــير ريبة
وما خـــير حب لا تعف سرائره
احبك حبا لا أعنف بعـــــده
محبـا ، ولكنى اذ اليم عاذره
وقدمات قلبى اول الحب فانقضى
ولومت اضحى الحب قدمات آخره

الحسين بن مطير الأسدى

من الادب الجواتيمالى الحديث :

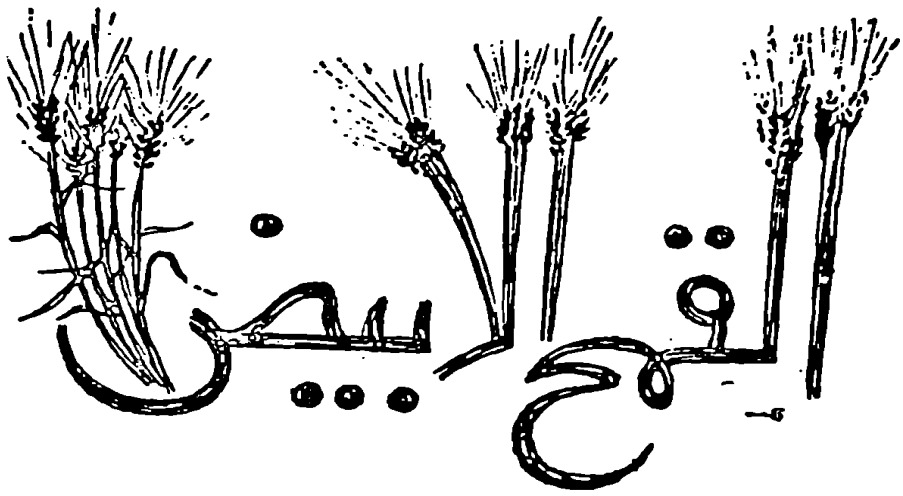

قصة : كارلوس سامايواشنشلالا
ترجمة : ماهر شفيق فريد

كارلوس ساما يواشنشلالاديب معاصر ولد فى ١٠ ديسمبر عام ١٨٩٨ بمدينة جواتيمالا وعندما بلغ السادسة عشرةمن عمره أبى اتمام دراسته وقرر ان يمضى حياته فى الترحال فزار الكثير من ثغور امريكا الوسطى وارتاد جبال الانديز ثم قضى عامين فى باريس وزار اسبانيا وايطاليا وبلجيكا وعند عودته من اوربا ذهب الى الولايات المتحدة ولم يعد الى جواتيمالا الا عندما اتاه نبأ وفاة والدهفى عام ١٩٢١ . واشتغل كارلوس فى السلك السياسى فمثل بلاده فىبوجوتا وكولومبيا وكاراكاس وفنزويلا ثم عينمديرا للمكتبة الاهلية وهو يشغل حاليا منصب مدير معهد التاريخ وعلم الانسان فى جواتيمالا. وقد أصدر حتى الان خمسة مجموعات قصصية وطدت مكانته فى عالم الادب اشهرها مجموعة (الحظيةالزمردية) وقد صنفها فى ثلاثة اقسام فالقسم الاول اسماه (اساطير من جواتيمالا) والقسم الثانى اسماه (قصص من المستعمرات) اما القسم الثالث فعنوانه (قصص تروى اليوم فى جواتيمالا) وكان هذا الكتاب حدثا ادبيا هاما فترجم الى الانجليزية وقال الناقد الاسبانى (وايلد اسبينا) هى تقفز اليه وقطرات الماء تلمع على عن مؤلفه : انه يعرف كيف يكتب القصة فهو يرسم معالمها ويطورها نحو الذروة وبختمها فى دقة مدهشة . وقال عنه (دافيد فيلا) : انه قصاص اوتى قلبا كبيرا وعينا بصيرة فهو يحسن اختيار موضوع قصته ويمزج الحقيقة بالخيال مزجا متوازنا . كما قال عنه الناقد (ميجل انجل استرياس) : هو كاتب واسع الافق دقيق الاوصاف يلجأ الى طريقة الانتقال التدريجى فى عرض الاحداث ويعامل القارىء فى رفق كما لو كان يعامل طفلا صغيرا . واقصوصة (القمح الابيض) التى نترجمها لاول مرة قصة رمزية تدخل فى باب الاساطير وتنادى بأن التكفير عن الخطايا امر ضرورى وتصور غلبة عاطفةالأمومة على ما عداها وتبرز ما فى الروح الجواتيمالية من ثراء وحساسية وترد خرافات القوم هناك الى اصولها البعيدة ..

* * *

جرت حوادث هذه القصة منذ مئات السنين فى المدينة العظيمة (سيناكاميكالو) فقد خرجت الابنة الصغرى لحاكم المدينة فى الصباح الباكر لتبترد فى الغدير وفيما

جسدها العارى اذ بها تسمع صوتا يتحدث اليها من جوف الجبل قائلا :

ـ ايتها الانسة ، ايتها الزهرة المحبوبة التى تعتز بها آلهة النار ، اذا كنت تتوقين انى لقاء رجل وسيم فارع الطول فاخرجى من هذا الغدير واتبعى آثار اقدامه على الضفة الاخرى .

وبدافع من حب الاستطلاع الغريزى فى كل امراة فقد اطاعت الفتاة ذلك الصوت وغادرت الغدير شارعة فى اقتفاء آثار الاقدام . واخذت الفتاة فى السير مدة طويلة حتى استحوذ عليها التعب وفكرت فى ان تعود ادراجها عندما سمعت للمرة الثانية ذلك الصوت يقول من خلال الاشجار المتشابكة الاغصان :

ـ ايتها الحسناء ، ايتها الزهرة المحبوبة التى تعتز بها آلهة النار ، اذا كنت تتوقين الى لقاء رجل وسيم فارع الطول فاتبعى آثار قدميه حتى تصلى الى مدخل الكهف .

واوغلت الفتاة فى المسير حتى وقع بصرها على كهف تغطى مدخله أشجار النخيل وتزحف على جوانبه النباتات الطفيلية فدلفت اليه ورات فيه رجلا وسيما جالسا فوق قاعدة حجرية وقد أخلد الى الراحة وكان يرتدى قميصا مطرزا بالريش اللامع ، ذلكم اله الخفافيش .

وانجبت الابنة من الرجل طفلا كثيف الشعر اقنى الانف لا يستطيع ان يفتح عينيه على ضوء النهار وفى الوقت ذاته اجتاحت مجاعة رهيبة ارض قومها ودهمهم الطاعون وهجمت اسراب الفئران على القرى وافترست بذور القمح وهى عماد الغذاء فى تلك المنطقة ولجأ الاهالى الى زراعة ما تبقى من البذور فما راعهم الا ان يروا طائر العقعق يلتقطها ويأكلها وهكذا نفدت بذور القمح نهائيا . اما حاكم مدينة (سيناكامبكالو) فقد صب جام غضبه على ابنته واعلن خوفه من ان تكون تلك المجاعة قد حلت بالقوم لقاء ما اقترفته من دعارة ثم صاح بها :

ـ اغربى عن وجهى . اذا لم تجلبى لنا بذور قمح جديدة فسيموت ابنك بيدى . ان قومى يفنون تدريجيا وانت السبب فى ذلك .

وانطلقت الفتاة تبحث عن القمح فى ارجاء المدينة فلم تعثر على حبة واحدة . ولكن ذلك لم يفتر فى عضدها فواصلت البحث حتى غلبها التعب هنالك اخلدت الى الكرى على شاطىء مستنقع . وفى اليوم التالى استانفت سيرها بينما اشعة الشمس تبزغ حتى اذا حل المساء عاودت النوم فى منتصف الغابة . ولما استيقظت فى هذه المرة الفت نفسها نائمة فى كهف وبجوارها اله الخفافيش فانخرطت فى البكاء وعندما راى الاله ذلك قال فى حنان :

ـ ترى ما الذى يؤلم زوجى حتى انها لا تستطيع الكف عن النحيب ؟

فاجابته قائلة :

ـ سيدى : ان قريتى تتعرض لمجاعة عظمية وقد ارسلنى والدى الى حدود ارضه لكى ابحث عن بذور القمح وهو يزعم ان يقتل ابننا بنفسه اذا لم اعثر عليها .

وهنا قال اله الخفافيش :

ـ غدا عند شروق الشمس عودى ادراجك الى قومك واطلبى من رجالهم ان يفلحوا الارض وعندما يحين الوقت المناسب خلعى اسنانك والقى بها فى الارض حتى تنبت بذورا .

ونفذت الابنة ما امرها به زوجها حتى تفتحت سنابل القمح وبدت بيضاء لامعة كأنها اسنان فتاة جميلة . ومن ذلك الوقت اصبح القمح الابيض المر الكبرى لرجال القبيلة واصبحوا يطالعونه اطراف النيل وآناء النهار واعتقدت الامهات ان هذا القمح منحه الاله لانقاذ احفادهن من الهلاك حين ارتضت ابنة الحاكم التضحية باسنانها الجميلة من اجل ابنها فما اصدق حكمة القدماء !

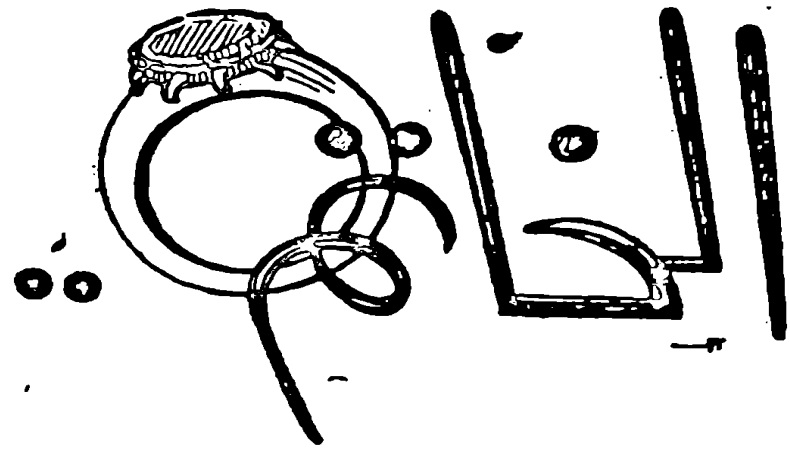

من قلم : عبد الله خورشيد البرى

حدثنى صديقى الكهل قال :

كنت عندئذ اعبر هذه المنطقة ذات الزلازل والبراكين التى لا بد لكل بشرى من عبورها وهو يجتاز دور الصبا الغرير الى دور الشباب اليافع . وكنت فى منتصف مرحلة التعليم الثانوى . وكنت فى عطلة الصيف حيث كان كل همى معالجة التنويم المغناطيسى وممارسة استحضار الجن للحصول على اسئلة مادتى الجبر والكيمياء اللتين خانتانى ـ او خنتهما انا فى الاصح ـ فى امتحان الدور الاول .

ولعلنى لم اكن اريد الا التسكع حين غادرت المنزل ضحى ذلك اليوم الذى أروى قصته .

* * *

لم اكد ابتعد عن باب العمارة ، وامر تحت شرفة الشقة المقابلة لشقتنا حتى سمعت شيئا يرن ساقطا بين قدمى ، فلم املك نفسى من الانحناء والتقاطه ، واذا هو خاتم ذهبى انيق يزدان بفص باهر من الماس . ولم املك نفسى كذلك من ان ارفع وجهى لأرى طفلة صغيرة لا تتجاوز العامين تقف وحيدة فى الشرفة ممسكة بقضبانها الحديدية النحيفة ناظرة الى والى الخاتم فى بلاهة .

كان المفروض ان استدير راجعا فأرد الخاتم الى اهله واتلقى كلمة شكر رقيقة . ولكن ثارت بى رغبة مفاجئة فى احتجاز الخاتم . ودفعنى الحذر الى ان ادير نظرة فاحصة فى كل الشرفات المحيطة قبل ان اختار بين الامانة والسرقة . ولم البث حتى اخذت بالثانية اذ لم تكن هناك اى عين لترانى فى مثل هذا الوقت الذى تشغل فيه الفتيات والخدم والامهات ـ ومن بينهن جارتنا ام هذه الطفلة ـ بالمطابخ يعدون الغداء للرجال الذين لما يحن بعد رجوعهم من أعمالهم .

دسست يدى فى جيبى مطبقة على اللقيطة الثمينة ، وسرت وقد جعلت متنزه المدينة غاية لى حيث استطيع اخراج كنزى وتأمله وتدبير الانتفاع به وقد امنت العيون

هو خاتم كاى خاتم فى اى اصبع . نقش عليه الحرفان الاولان من اسم النجار — وكان باشكاتب بنك المدينة — واسم زوجته غير الحسناء .

ووجدتنى اضغط الخاتم بين اصابعى بقوة واشتهى ان اقبله . انه سر زوجين ، واحدى علاقاتهما الخاصة التى لا يليق ان يطلع عليها الغرباء . واحسست به يثير فى نفسى ما كان يثيره قميص هذه الزوجة لو كنت عثرت به بدلا من هذا الخاتم الذى رجحت ان تكون خلعته من اصبعها اللينة واعطته طفلها تلهيها به ريثما تنتهى من عملها فى المطبخ .

شكرا للروايات البوليسية فقد جعلتنى اناقش الموقف بدقة .

* * *

لا شك فى ان الام ستكتشف ضياع الخاتم ، وستبحث عنه فى كل مكان ، وستخبر زوجها الذى يحتمل جدا ان يخطر صاغة المدينة — وهم قليلون — بضياعه .

يجب اذا استبعاد فكرة بيعه عن طريقى او عن طريق غيرى الى واحد من هؤلاء الصاغة الماكرين . ولا مفر كذلك من الاحتفاظ به حتى حين ، فلست مورطا فى الديون ، ولست فى حاجة الى اكثر من المصروف الذى يمنحنيه ابى .

ولكن هذا الاحتفاظ بالخاتم لا يخلو من خطورة ، فليس لى صوان خاص ، وادراج مكتبى لا مفاتيح لها . وهنا يثبت ان الحاجة ام الاختراع فعلا ، فقد اخترعت خزانة لعلها الاولى من نوعها .

* * *

عدت الى البيت ، وجعلت اتشمم الجو باذنى وعينى فلم اجد رائحة للحادث .

وتسللت الى سطح المنزل حيث حجرات الدجاج والحمام والارانب على عادة بيوت الاقاليم . وفتحت الحجرة التابعة لشقتنا بالمفتاح الذى اختلسته فى غفلة من امى ، وتخيرت مكانا عاليا من احد جدرها العارية من الطلاء ، وحفرت ما بين قالبين ، ثم دسست كنزى الصغير ملفوفا فى ورقة ، وعدت فملأت الفراغ الضيق بالطين ، ثم غرزت فيه عود ثقاب احمر علامة عليه يصعب ان تدركها او تحفل بها عين غير عينى .

ثم نزلت اتظاهر بالهدوء ، وافتح اذنى كاذن جاسوس وعينى كعين ثعال لالتقاط اى حركة او كلمة تتعلق بالحادث .

كنت مطمئنا تماما الى ان احدا لم يرنى . وكان من المستحيل ان تتجه الى الشكوك فلم تكن بيننا وبين هؤلاء الجيران علاقة سوى تحية عابرة او كلمات قليلة او زيارات نادرة جدا تتبادل بين امى وصاحبة الخاتم . ولكنى بقيت يقظ الملاحظة ، مرهف المراقبة ، اضع فى الحسبان خيانة الحظ وحدوث المستحيل .

* * *

مضت فترة القيلولة القائظة ، وبدأ المقيلون يتركون فراشهم متثائبين ، ثم يتجهون الى القلل يفرغونها فى أجوافهم ، حتى اذا جف عرقهم نهضوا فاغتسلوا بالدش ، ثم جلسوا يشربون قهوة العصر .

كان والدى جالسا فى مكانه المعهود يتناول هذه القهوة ، ويطالع الجريدة التى كانت فى تلك الازمنة الخالية تصل مدن الجنوب فى الوقت الذى تكون فيه قد فرشت على المناضد ، او مسح بها رجاج النوافذ أو غلفت بها السلع فى القاهرة .

وكان من عادة والدتى ان ترفع تقريرها اليومى الى رب البيت فى هذه الفترة وهى تحتسى معه القهوة وتشاركه فى التدخين . ولذلك حرصت على ان استرق السمع على مجلسهما هذا اليوم .

وكنت حكيما ، اذ سمعتها تفضى اليه بحادث الخاتم الضائع الذى كنت اظن امره لم يذع بعد.

واوجست خيفة اذ وجدتها تتحدث بصوت خفيض ، ولكنى اطمأننت حين سمعتها تقول ان الجارة تتهم صاحبة المنزل — وهى امرأة سوقية ، زوج صانع للطرابيش ، كثيرة التردد على السكان — بسرقته .

* * *

وخرجت ، وتنزهت ، وتحدثت مع اصحابى ، ولكننى كنت اذهل فجأة عما انا فيه ويجرى بى ذهنى الى غرفة الدواجن فى أعلى منزلنا حيث يرقد الكنز مطمئنا .

وجاء الليل ، وطلع الصباح ، وكان الخاتم هو اول ما انتبه عليه ذهنى لما صحوت ، كما كان أول ما شغل به السكان جميعهم — ولاسيما عجائز السيدات — عن امور البيوت . وبقيت اراقب صاحبة المنزل المسكينة فى شىء من الرثاء والفرح وهى تنتقل بين الشقق حيرى ملتاعة ، ترد عن نفسها التهمة ، وتبسط موقفها ، وتؤكد انها لما دخلت الشقة يوم الحادث لم تقابل الطفلة ولم ترها . فيكتفى السكان — ولا سيما السيدات العجائز المجربات — بهز الرءوس والابتسام .

ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، فان زوجة باشكاتب بنك المدينة يجب ان تكون اكثر النساء تقديرا للمال وبخاصة اذا كان ذهبا ، ولذلك فوجىء السكان — او فوجئت أنا فى الاصح — بشيخ معمم ، قمىء ، ماكر النظرات ، ذى لحية كثة شهباء ، يحمل خرجا ، قد جاء ليضرب « المندل » ويكشف السارق .

ورحب السكان بهذه الفرصة الطيبة التى تشبع فضولهم ، وتملأ فراغهم ، وتغذى ثرثرتهم . وارتاحت صاحبة المنزل المتهمة الى دنو ساعة خلاصها واعلان براءتها . وسرى فى نفسى أنا احساس بالقلق والتخوف .

كنت فى هذه السن بدأت اعانى التشكك فى الغيبيات ، واثير دهشة زملائى بآرائى الجريئة ، ولكن عقائدى القديمة الموروثة المنحدرة الى دمى خلال الاجيال ايقظتها هذه المفاجأة وحركتها ، فبدأت تخيم على عقلى ، وتبعث فى نفسى خوف الافتضاح .

وقد حاولت التنويم المغناطيسى واستحضار الجن ، فاذا كنت قد اخفقت فليس حتما ان يكون السبب هو فساد هذه الوسائل ، بل المعقول ـ وبدا هذا معقولا جدا وقتذاك ـ ان السبب هو جهلى وتفاهة تجربتى . ولذا لم استبعد ان يستطيع ذلك الشيخ الخبير القادر كشف الحجاب المضروب ، وفضح السر المجهول .

وتصورتنى ، وقد افتضح امرى ، اتلقى نظرات ، بل كلمات ، الازدراء والعار من ابى وامى واخى والجيران .
ولكننى تصورت كذلك الكنز ، الثروة ، الخاتم الذى سيضيع منى ، فاستطعت ان اضبط نفسى واقنعها بالتريث حتى تتجلى بشائر جهود ضارب المندل .

وجلس الرجل يحرق بخوره ، ويتلو عزائمه ، والانفاس معلقة ، والآذان مرهفة حتى جاء الظهر ولم يكن قد بدا شيء . فانصرف الرجل على ان يعود عصرا بعد ان اعلن انه اذا لم يظهر الخاتم فسينفخ بطن الذى اخذه .

وكانما افقدنى هذا الانذار القدرة على التفكير السليم ، فبدلا من ان افهمه على انه آية افلاس الرجل وآخر سهامه ، آمنت به ، واهتززت له ، وصرت اتحسس بطنى بين وقت وآخر متوقعا ان اجده ينتفخ شيئا فشيئا .

وبلغت الساعة الثالثة ، وانهارت اعصابى تحت وطأة التوجس ، وطغت كل الرواسب الموروثة على وجدانى ، فقررت التخلص من الخاتم الكريه ، بل رده الى اصحابه .

ولكن كيف ؟
لا شك فى انى سلكت بتهور ، او بغير ارادة كشخص مسحور ، فقد اخرجت الخاتم من مكمنه ، ونزلت على السلم بخطى خفيفة حتى بلغت باب شقة اصحاب الخاتم ، فوقفت لحظات اتمالك نفسى ، ثم انحنيت ودفعت الخاتم باصبعى من تحت عقب الباب ، واسرعت فدخلت شقتنا واغلقت الباب خلفى بدون صوت .

كان من المحتمل ان يصعد احدهم او ينزل فى وقوفى امام الباب ، او يكون احد فى صالة البيت فيرى الخاتم وهو يدفع من تحت الباب فيخرج فيرانى اولى الادبار . كان كل هذا محتمل الحدوث ولكنى لم اعبأ به فقد كان كل همى ان اتخلص من الخاتم اللعين باى ثمن .

* * *

لقد وقف الحظ فى جانبى حتى فى تلك المرحلة الاخيرة بقدر ما وقف ضد صاحبة المنزل المسكينة ، فقد اتفق ان كانت فى الوقت الذى دفعت فيه الخاتم من تحت الباب جالسة على ارض الصالة تتملق الذين اتهموها باداء حاجة لهم ، فاستقر قريبا منها حيث عثرت به اصابعها مصادفة ، فما ان تبينته حتى هتفت :
ـ هذا هو الخاتم ! هذا هو الخاتم !
وهرع اليها اصحابه فاستردوه غير مهتمين بأن يصدقوها وهى تقسم انها وجدته على البلاط دون ان تدرى من اين جاء .

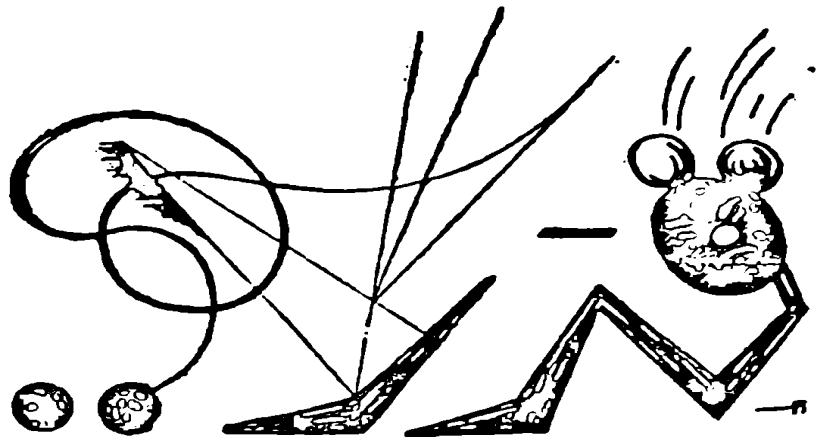

مسكين انا . مسكين ومتحير من اين الاقيها .. من هنا او من هنا ؟ ..

افففف . اولا يوجد شيء غير « انا » هذا للدلالة على ذاتى ؟

الف ونون والف ثالثة ؟ يكفينى حرف واحد ليكن الالف . نعم الالف . فانه يشبهنى واشبهه . وكلانا ضائع فى زحام حياته .. مرة يكون الانف ، والف مرة يكون الذيل .. والمتوسط يحشره بين اللئام .

اعوذ بالله من صباح لا يبشر بخير . وكيف والساعة قد جاوزت الثامنة والنصف وما زلت بعيدا عن المكتب ؟! زادت وغطت . يعنى فيه خصم ، ووجع دماغ ، واهمال بنسب الى .. وتطير الحقيقة التى تنقذنى .. تطير امام « رسميات » العمل وغضبه الرئيس المباشر ..

(انتهينا يا استاذ . . ابنك مريض ، ابنك سليم . . تبسهر ، تنام . . داشيء يخصك وحدك .. لكن المحافظة على مواعيد عملك امر يهمنا ..)

واحسست بنقرات خفيفة على ساعدى ، تبعها صوت هامس مزكوم النبرات :

ـ شيء لله يا استاذ . ربنا يكفيك شر اولاد الحرام . .

ذاب ذلك بينى وبين ماكنت اتخيله .. وردنى الى الارض التى اقف عليها منتظرا « الاوتوبيس » اللعين . ونظرت من فوق كتفى ، فوجدت عجوزا فارغة الثياب ، ضيقة العينين ، تلتف فى ملاءة تصارع البلى والوسخ ، لها لون الرصاص المذاب ، وتتعصب بمنديل متعدد الخروق .

وكان وجهها ـ بوشمه الحائل ـ يدل على ان مسحة من ملاحة كانت هنا ثم ولت ، وبقى انف راب متكوركانه نصف ليمونة قديمة .

واستغرقنى النظر الى المراة ، وتاملها ، فشغلت بها عن افكارى ، وعما حولى ، بل شغلت بها عنها ، فلم انطق حتى بكلمة تطيب خاطرها ، او تصرفها . لكنى انتبهت على

صوت «الاوتوبيس» فهرولت لاحشر نفسى داخله ، غير عابىء بدفعـــاتى للناس ، ولا بامتعاض الذى ظهر على وجوههم . مكره اخاك ، فمـــاذا يفعل ؟ وظللت واقفـا ـ كالمصلوب ـ اختلج مع هزات السيارة كزجاجة المياه الغازية ، حين ينتظمها صف طويل فى ماكينات التعبئة .. الى ان شغر مقعد ، فانحططت عليه مثل الحجر . وانا خجلان من نفسى ، ومن تقصيرى نحو المراة « الفلبانة » .

ووصلت الى مقرعملى ، فوجدت رئيسى متغيبا ، وكان ان تفاءلت بالمراة ، ونذرت لها شيئا ان صادفتنى غدا . .

ومضت ايام ففهمت ان المراة تخيرت هذه البقعة دركا لها ، تجتبى من ثمرات كل شىء ..

والفت رؤيتها ، والفت ميسور عطائى .. وتقاربت المسافة التى تفصل بين الغرباء احيانا .. ففتحت لى قلبا انطوى على الشكوى من نكد الدنيا .. الدنيا التى اعطتها الرجل ، وحرمتها الخلف ، ثم استكثرت عليها ذلك .. فاعطتها الفقر وحرمتها الرجل

وتوجعت ثم واسيتها ..

وكان صباح . فتسلمت راتبى ورقة واحدة من فئة العشرة الجنيهات ، ومعها قروش سددت بها ما على ثمنا لاكواب الشاى من « البوفيه » ..

وفىعودتى كنتثائر النفس ، العن « الصراف » الف مرة لما سوف القـــاه من التسكع على حوانيت البقالة وما شاكلها من اجل تفتيت هذه الورقة الى عملة صغيرة مع انى مرهق وجوعان !

وسرت على مهل،فلا شىء فى البيت يغرينى بالاسراع ، اللهم الا ما اعـــرف انه ينتظرنى فى مطلع كل شهرمن رصيد الهمو النقار بينى وبين زوجتى .. ثم مناقشـــة قائمة المطالب التى تضيف اليها الشياطين مطلبا كل يوم . .!

ولمحتنى « العجوز » فاتجهت الى ، وعلى زاويتى فمها الادرد ظل ابتسامة شمطاء وكان عينها لم تاخذ احدا غيرى من السابلة .. فعن لى ان اتهكم بها ، ملبيا بذلك رغبة حمقاء عربدت فىصدرىرغبة فى مضايقة اى انسان، او ايذائه ، باى عمل مثير . بيدى ، وان لم استطع فبلسانى .. اى تصرف اقوم به ـ ولو مع نفسى ـ يخفف ضـــغط الابخرة التى تخيلتها تملأ اهابى كما يملأ الهواء اطار السيارة . وكنت على يقين من انى ان لم افعل ذلك ، انشقت مرارتى .

وانتظرت حتى دانتنى المراة . ثم جعلت اعبث فى جيبى مستخرجا الورقة الجديدة اليتيمة . وقد اجتذبتها تلى الحركة ، وصوت الخشخشة ، فتسمرت .. وبعد عكمات كاذبة من طرف لسانى نشرت الورقة فى يدى ملقيا سؤالى منغما بالمزاح :

ـ الاقى عندك .. ؟

وادغمت الكلمة الاخيرة المقصودة فى خنة طويلة ، قصرتها حركة انقضاض سريعة من يدها ، اطبقت بعدها على الورقة تماما مثلما تنقض « الحداة » على فرخ سارح . وغمزت بعينها ان اتبعنى .. فلما جاوزنا نهاية « الافريز » واطمأنت الى ان العيون لا ترقبنا ، رفعت الورقة امام عينيها فى ضوء الشمس وقلبتها متفحصة .. ثم دفعت يدها فى صدرها الهابط ، وانتشلت كيسا من الكتان فى هيئة عنق الجورب ، تكاد خيوطه تتنافر امتلاءا ، وعالجت حل عقده فى صمت ، واناة ، ورعشة .

ثم انطلق صوتها فى نغمة « بياتى » رديئة ، وهى تعد :
ـ الله واحد.ماله تان .. فى عين عدوك .. عشرة .
وتغيرت طبقة النغم لما همست :
ـ تمام ؟ ..

اما انا فمعذور اذا كنت قد عييت بالجواب . لان حالى اشبهت كثيرا حال من افرط فى الشرب لاول مرة ، حين يبدأ عقله يخلق له حياتين غريبتين ، ويقف به على البرزخ بينهما ..

وكأنما اشتفت المراة موقفى من داخله ، فضغطت على ساعدى بيدها مؤكدة :
ـ راجع على مهلك . ربنا يسبل علينا وعليك ستره ، ويخلصك من كل ضيقة .. بكره نتقابل .. مع السلامة !

ودرت على عقبى ، وملء سمعى قهقهات جماعة من الشياطين وتندرهم والحاحهم بان نقبى جاء على شونة .

وفى استخذاء ، وخيبة امل اودعت المبلغ مكانه .. وانا على يقين من انى م انعم بملكيته الا ساعات قلية ، ثم يفارقنى الى اصحاب الحقوق .. شأنى فى ذلك شأن « الموصل الردىء » ـ كما علمونى ..

ومشيت اجر رجلى ، مكروب الانفاس ، كان على كتفى « برج القاهرة » وغمغمت اشكو الى الله سخف دهرى ، والعن الحياة التى لا تساوى بعض الناس فيها امراة .. وظبعا لم اكن اقصد « ببعض الناس » سواى ! فمن يرانى الان ، لايرانى وانا خلف مكتبى « كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد » آمرا ناهيا متحكما فى عباد الله .. معتمدا فى سيطرتى كلها على رزم « الملفات » القديمة ..

* * *

وتوالت دورات القمر ، لتزيدمن صفعات الايام التى اتلقاها ، واحدثت انيابها الزرق ندبا سوداء فى وعيى وحسى ، وزاد غلاف القسوة صفاته حول قلبى ، فازددت حصانة ضد سرعة التاثر لالام غيرى ، ولكل ما يطفىء بهجة الانسان ، وارتددت الى الحياة داخل قوقعة ذاتيتى ـ كمخلوق هلامى تافه ـ وتعودت « المراة » ان تسمع منى هذه الجملة « ربنا يعطيك » . كنت اقولها فى ضيق ، متحاشيا ان انهرها ، فلما ملت سماعها ازورت عنى . ربما وهى ترددلنفسها نادمة : « بيدى لا بيد عمرو » .. لكن القطيعة بيننا لم

تطل ، او بالاحرى لم تطل من جانبى ، اذ قسرتنى ضائقة على ان اعيش معها فى تخيلات محمومة ..

وقد حدث هذا عقب اخطارى بخصم ايام خمسة من راتبى « المهزول » لخطأ ارتكبته ـ او ارتكبه غيرى؟ دون ان يغنى عنى من هذا الخصم شيئا ، ما قلتـــه فى « س ،ج »طويلين .. ورمانى هذا البلاء فى لجة فكر قاتم الاعماق ، وتدافعت موجات همومى مرهقة ، تملأ جوانب نفسى حقدا وضغينة .. وارتفع صوتى فى وجه خالقى بما قاله « ايوب النبى » : « كف عنى لان ايامى نفخة . ما هو الانسان حتى تعتبره ، وحتى تضع عليه قلبك ، وتتعهده كل ضباح وفى كل لحظة تمتحنه ؟ حتى متى لا تلتفت عنى ولا ترضينى ريثما ابلع ريقى ؟ اأخطأت ؟ ماذا افعل لك يا رقيب الناس ؟ » !!

وطمحت الى السماء بعينين ملؤهما سخط ، وعتاب ، وأمل . فالسماء هى دائما محط الاتجاه .. فى الرضا ، وفى الغضب ، وفى الضيق والسعة .. اما الارض وترابها فمنهما تاتى المصائب . السماء هى المنبع لاشياء كثيرة طيبة .. حتى للمال ايضا .. فهل تراها تكون عند حسن ظنى وقد نفد ماء وجهى على اعتاب الاقتراض .. والعيد بعد ايام ؟

وفررت من ازمتى الخانقة الى الخيال ، اعيش منه فى احلام يقظة .. وخيال طفلى تمنيت معه على الله ان يوجد دارا « لسك » النقود هناك .. وان يأمر ملائكته فيمطروا اهل الارض بالورق النقدى الذى يحيى موات نفوسهم . وكنت استحضر صورة الطائرات التى تقذفنا بالحلوى فى المناسبات السعيدة .

مجرد خيال ، وامنية لا اكثر . وليس فى حياتى ان يكون ذلك حقا ، او باطلا .. ولكنى استرسلت ، فى التصور ، فتمثلت الخلق يتهافتون على المال المنهمر ، ويتدافعون بالمناكب كلما هبط سرب من تلك الاوراق الفاتنة ، بعد ان يكون الهواء قد اشبعه ترقيصا ولذ لى ، ـ وكانى ارقب المنظر فعلا ـ ان اشاهـــد قناع الكبرياء ، والعظمة الكاذبة ، ينحسر عن وجوه اولئك الذين يخفون به نقصهم وتفاهة مخبرهم ، فتتكشف الطبائع على حقيقتها .. وسوف لا يكون ثمة فرق فى الانكباب على الجمع بين العلية والسفلة ، ولا بين الكبار والصغار .. بل انى لأرى بعين الخيال العجائز المدبرين ، الذين اخذ الدهر من عقولهم ، كما اخذت السن من اجسامهم ، لم يعقدوا عن الخروج الى هـــذا « المهرجان » .. ولا غرابة فى ذلك ، فهم احرص الناس على حياة .. وهنا بدا لى كانى محاط بعلامات استفهام كبيرة ، تطل على خيالى بالعنات مائلة ..

العجائز ؟ . . آه . العجائز ؟ . .

الرجال والنساء ؟ . .

طبعا . الرجال والنساء والاطفال .. يا عم ! ؟

ولدغنى برغوث فى اسفل ساقى ، فانحنيت احك رجلى ، ولما ادخلت سبابتى فى عنق جوربى المتهدل اثارتنى رؤيته ـ اقصد اثارت فى خيالى عفنى مهدا قديما مختزنا . .

ماذا هو ؟ .. ماذا هو ؟ .. بس . تذكرت . نهاية « الافريز » والكيس اياه — وصاحبته العجوز .

هووووه . هووووه . .

يا ترى اين موضعها فى هذا الزحام اللجى ، الذى اقمته فى راسى المشوش ثم هدده برغوث متطفل ..؟

عجيب ان اكون قد انسيتها ؟ لاعجيب ولا غيره ، اذا كنت انسيت حاجتى انا اولا الى قليل من هذا الفنى الذى تركت الناس يغرفون منه بلا حساب .

احمدك يارب ! كدت اخرج — حتى فى الخيال — من المولد بلا حمص !

ولكن . لماذ تاهب منى « عجوز الشيطان » المكسورة الرقبة ؟ .

الانها غنية فى الواقع ؟ ربما ! .

ايه ؟ . .

والتمعت عيناى بالتماع فكرة فى دماغى ، وتمتمت فى فرح خبيث : فرجت .. وصافحت يمينى يسارى مهنئة . .

وكان مساء . ووافت ساعة التنفيذ ، لما بدات غربان الظلام تبسط اجنحتها على بقايا شعاع يلون الافق . ونجمت من اعماقى كآبة صماء باردة قلقة ، ثم مضت تتداح وتنتشر ، وتغطى أضال عصب ليستره جلدى الرقيق . وتنبه لذلك بعض العدد فى جسمى ، فرشح ابطاى عرقا له رائحة .. واكثرت من فتل اصابعى ، وامتلا بطنى بقرقرات مزعجة . .

ماذا ؟

لقد اخذت الاهبة لهذه الساعة من قبل ، والهبنى سوط الاحتياج ، فلم يفتر حماسى وانا اضع الخطة ثم اعاود درسها . لكن يبدو ان وضع الجرس فى عنق القط شىء آخر يختلف تماما عن التفكير فى ذلك .. ومهما يكن ، فقد اخذت — فيما اعرف — بالاسباب التى ظننتها تؤدى الى النجاح . فقرات عددا من الروايات البوليسية واستمعت من « راديو » الجيران الى حلقات تمثيلية كاملة . وافقت هواى .. ومازلت بهذا الشىء الذى يكمن فى داخلى ، حتى هدات ثورته ، وجارانى فى الاقناع بان الغاية تبرر الوسيلة وخشيت ان يكون اقتناعه تظاهرا ومداهنة ، فكتب امامه وانا اشرح له سوء حالى . والديون التى تجعل ليلى الهموم يطول ، وتحيل نهارى قطعة عذاب موشاة بالضيق والقهر والالم . ولم اكتف معه بالقول ، بل كتبت اليه كلاما على ورقة ثم مزقتها . وقلت له مما قلت فيها : « .. وهكذا ترى يا ضميرى العزيز ان الدنيا لن تخسر شيئا بفطلتى .. بل ربما كنت رسول العناية لاريح وجه الارض من خنفسة تأخذ ولا تعطى وتجعل قانون الحياة يبدو ظالما .. ثم لا تنسى يا عزيزى الضمير ان ابنى احق منها بان يعيش ، ابنى الذى يبرا يوما ويعتل اياما ولا استطيع ان اقدم له العلاج الا المسكنات .. وها انت تراه يقطر البؤس ولحرمان من اطراف انامله .. ! »

وفى خلواتى راجعت الدور مائة مرة . وكان الذى افترضته ان العجوز تعود آخر النهار الى جحرها بحصيلة اليوم ، وثمرة خداع امثالى من المغفلين عن انفسهم تحت ستار من الفقر المتصنع ، ومن هنا سارقبها خفية حتى تحين عودتها ، فاتبعها .. وعندما تهمم بدخول بيتها ، اتصيد مناسبة ، ثم اهمس فى اذنها برغبتى فى « فك » بضع ورقات مالية .. وتمشيا مع حرصها على التكتم ، « واسبال الستر » يكون من الاصوب ان تدعونى الى الدخول معها .. واذا كانت اكثر حيطة وريبة .. فلم تفعل .. فانى حينئذ ادل عليها بصلتنا القديمة ، فارقع الكلفة ، واورطها بسبقى اياها ؟

الدخول .. والنجاح فى هذا الموقف ، يعد نجاحا للخطة كلها .. لانى م تى إثبت رجلى فى « مستنقع الموت » ـ اعنى فى حجرتها ـ فسوف تكون روحهـا فى قفازى قبل أن يكون فى يدى هذا المبلغ المزعوم ..و تمسى هى خبرا .. واصبح انا شيئا جديدا ...

تواردت كل هذه الصور والمشاعر على خاطرى ، وانا واقف الاحظ المراة ، فلما احكمت لف ملاءتها حول جسمها ، و « اقلعت » فى مشية وئيدة ، سرت من و رائها ؛ راصدا كل حركة والتفاتة ..

وطال مسيرها المتعرج ، وهى تخترق شوارع ، وحارات ، وازقة عفنة ، تحتفظ من الشتاء بوحل لزج كريه ، وتحرس مداخلها مرتفعات من القمامة الشهية . يبيض فيها الذباب ويفقس .. والبيوت متلاحمة هرمة ، يعتمد اكثرها ـ فى ركوعه ـ على اذرع من خشب مغبر ينخر فيه السوس ، جعلتنى رؤيتها اكاد اجبن عن المضى الى امد نم ابلغه .. وتنازعنى رعب ورهب كلاهما قوى .. وفى غمرة هذا الفزع الذى يتناوشنى كانت تتاح الفرصة لذاك الذى اقنعته بالسكوت ، والهيته عن النظر فى العواقب حتى لا يجبن ، فيعاود الثورة ويلقى فى سمعى ضجة من اصطراخ الخلائق ، وحسيس النار ، ويوهمنى ان لهب جهنم بين اذنى ، ويصور لى عيونا جاحظة ترمى بشرر كالقصر .. وترنو الى فى غضب ماحق ، فأتكلف السير فى شعاع نظراتها التى تغطينى كحبالة الصائد . وكلما تباطأت المراة ، وجب قلبى وجيبا متصلا ، وادركنى البهر ، فتلاحقت انفاسى .

وكانت المسافة بيننا لا تزيد على ثلاثين خطوة .. ولكن العتمة التى اخذت تشتد ، وتتكاثف جعلتنى أرهق عينى لاستطيع رؤيتها بوضوح . وبدا لى انها توقفت ؛ ثم استندت الى حائط منبعج ، فاندفع الدم الى راسى ، وغامت عيناى برهة ، اسرعت بعدها الملم نثار شجاعتى واكرر « الاحاحه » بأنغام مختلفة ، ثم تمخطت على فراغ انفى ـ واستمر بعد كل هذا زلزالى الشديد قائما لا يهدأ ..

وتسمعت فى اعماقى الى صوت يسخر منى قائلا : مالك يا رجل واقفا تدور عيناك كالذى يغشى عليه من الموت ؟ اطرح الخوف وتقدم ، تقدم ، ولا تضيع هذه الدقائق الفاصلة . لا تكن صبيا هلوعا . ان الحياة الطيبة منك على مد ذراع .. خيبك الله من انسان جبان ..

وهممت بأن اتوسل الى الصوت الخفى ليرفق بى ، فتلك « هى » تجربتى الاولى ..

ولكنى لم افعل .. بل اغمضت عينى وتقدمت ، ثم راعنى الظلام ، ففتحتهما فزعا على مايشبه صوت جبل يتفجر .. وصدمة اوقعتنى ، وملأت « جيوب » انفى بتراب . تراب .. تراب .. وغيبوبة .. !

افقت كما افاق اهل الكهف ـ متسائلا : لبثت يوما او بعض يوم ؟ ..

ثم مضى بصرى يتحسس المكان ، وعاد يقول لى : انك راقد ـ مثل خيال المقتاة ـ لكن فى مستشفى ..

وشعرت دقا . فراسى ملفوف ، وذراعى فى جبيرة ، وحول ساقى اربطة .. وعلى مقربة منى زوجتى (عابسة) يذكرنى وجهها بالعيد . وقائمة المطالب . وابى .. ولم تخترق اذنى كلماتها المفيظة العاتية : هو الشقا وراك وراك ؟ !

محمد هريدى

من أمثال سليمان

اختيار الآيات ونظم وضعها : توفيق حنا

- الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجع يهيج السخط
- لسان الحكماء يحسن المعرفة وفم الجهال ينبع حماقة
- في كل مكان عينا الرب مراقبتان الطالحين والصالحين
- هدوء اللسان شجرة حياة واعوجاجه سحق في الروح
- الاحمق يستهين بتأديب ابيه اما مراعى التوبيخ فيذكى
- في بيت الصديق كنز عظيم وفي دخل الاشرار كدر
- شفاه الحكماء تذر معرفة اما قلب الجهال فليس كذلك
- القلب الفرحان يجعل الوجه طلقا وبحزن القلب تنسحق الروح
- قلب الفهيم يطلب معرفة وفم الجهال يرعى حماقة
- كل ايام الحزين شقية اما طيب القلب فوليمة دائمة
- القليل مع مخافة الرب خير من كنز عظيم مع هم
- لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام
- المستهزىء بالفقير يعير خالقه
- من يستر معصية يطلب المحبة ومن يكرر امرا يفرق بين الاصدقاء
- من يجازي عن خير بشر لن يبرح الشر من بيته
- الصديق يحب في كل وقت اما الاخ فللشدة يولد
- الحكمة عند الفهيم وعينا الجاهل في اقصى الارض
- ذو المعرفة يبقي كلامه وذو الفهم وقور الروح
- بل الاحمق اذا سكت يحسب حكيما ومن ضم شفتيه فهيما
- كلمات فم الانسان مياه عميقة نبع الحكمة نهر متدفق
- قبل الكسر يتكبر قلب الانسان وقبل الكرامة التواضع

- قلب الفهيم يقتنى معرفة واذن الحكماء تطلب علما
- مقاصد بغير مشورة تبطل وبكثرة المشيرين تقوم
- للانسان فرح بجواب فمه والكلمة فى وقتها .. ما احسنها
- قلب الصديق يتفكر بالجواب وفم الاشرار ينبع شرورا
- كل طرق الانسان نقية فى عينى نفسه والرب واذن الارواح
- القليل مع العدل خير من دخل جزيل بغير حق
- قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح
- تواضع الروح مع الوداعاء خير من قسم الغنيمة مع المتكبرين
- حكيم القلب يدعى فهيما وحلاوة الشفتين تزيد علما
- قلب الحكيم يرشد فمه ويزيد شفتيه علما
- رجل الاكاذيب يطلق الخصومة والنمام يفرق الاصدقاء
- البطىء الغضب خير من الجبار ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة

- من ثمر فم الانسان يشبع بطنه من غلة شفتيه يشبع
- بتضرعات يتكلم الفقير والغنى يجاوب بخشونة
- الفقير السالك بكماله خير من ملتوى الشفتين وهو جاهل
- الغنى يكثر الاصحاب والفقير منفصل عن قريبه
- كل اخوة الفقير يبغضونه فكم بالحرى اصدقاؤه يبتعدون عنه
- من يتبع اقوالا فهى له
- المقتنى الحكمة يحب نفسه
- الحافظ الفهم يجد خيرا
- تعقل الانسان يبطىء غضبه وفخره الصفح عن معصية
- الكسل يلقى فى السبات والنفس المتراخية تجوع
- اسمع المشورة واقبل التأديب لكى تكون حكيما فى اخرتك
- فى قلب الانسان افكار كثيرة لكن مشورة الرب هى تثبت
- زينة الانسان معروفة والفقير خير من الكذوب

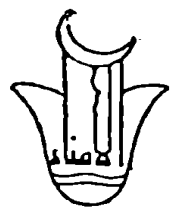

العربة الاخيرة

لمحمود البدوى

فى هذه الايام ام بعد قارىء القصة القصيرة عندنا يجد حاجته منها الا فى مجموعاتها التى تصدر بين دفتى كتاب وفى بعض السلاسل الشهرية التى تهتم بهذا النوع من فنون الادب . اما الجرائد والمجلات وخاصة الاسبوعية منها فهذا عهد مضى وانقضى .

لقد انحسرت موجات القصة القصيرة ولم تعد تطالع القارىء فى ركنها الثابت المتيد فى كل صحيفة ومجلة . لقد كان رد الفعل كبيرا عنـــد القراء والمشرفين على الصحف على حد سواء امام هبوط مستوى هذه القصص بوجه عام ، فانصرف الاولون عنها وانتقلت العدوى بالتبعية الى الاخرين فالغاها اكثرهم الغاء .

ان انصراف القارىء عن القصة القصيرة لم يحدث لانه سئمها او لانها من الكثرة بمكان . ابدا فنحن لازلنا فقراء فى هذا الميدان ويكفى اننا لا نملك مجلة خاصة بالقصة ولكن لان اكثر ما طالعه القراء تحت اسم قصة قصيرة لم يكن منها فى شىء ولان كتابها قد اتبعوا اسلوب التطف فى انتاجهم حتى خرجت معظم شخصياتهم مهزوزة حائلة اللون لا أصل لها فى واقع الناس .

تعرض محمـــود البدوى فى الآونة الاخيرة لهجوم الدكتور رشاد رشـــدى اكثر من مرة . وقد لوحظ ان البدوى قد نال وحده من سهام الناقد اكثر مما نال غيره ، ولعل مجموعة البدوى «العربة الاخيرة » مناسبة طيبة للحديث عن فن هذا القاص .

محمـــود البدوى كاتب فنان ، يكتب القصة لا ليتسلى بها القارىء . فهـــو يرفض مفهوم ادباء زمان ، وليس حفيد هـــؤلاء الذين كانوا يبيعـــون انفسهم ويحصلون على عطيات الامراء .

انه يقدس عمله ، ولذلك فهو يطلب من القارىء ان يحمل مثل ما يحمل هو من عناء ، اى ان يشاركه فى النظـــرة الجدية والايمان بان الكاتب لأيضطر الى تسلية القراء وعدم ازعاجهم بعمل ذهنى مهما ضؤل يتعب ادمغتهم الرقيقـــة . يشاركه كذلك فى محاولة الفهم والغوص معـــه الى الاعماق . لذلك يقف قارىء البدوى على ظاهرة واضحة تضع كثيرا من نهايات قصصه . وهى عدم ظهـــور الصلة بين الخاتمة وما قبل الخاتمة .

ولعل السبب ، ان كاتبنا يريد من مطالعه ان يعمل ذهنه ويظن فيه الذكاء ولذا فهو عندما يصل الى نهاية القصة يترك المهمة ليقوم بها القارىء نفسه .

وفى قصة « روح الفنان » مثال على ذلك فالى قبيل النهاية تصل احداث القصة الى اعلان الحب بين آمال والشاب فى عناق حار ، ثم تجىء الخاتمة وقد كان رحيل الفتاة وعائلتها من المصيف معدا فى اليوم التالى . . وفى صباح يوم السفر .. ادعت آمال المرض .. وبعد نزاع بين الرجال والسيدات فى الاسرة ! تغلبت السيدات اخيرا واجلت الاسرة سفرها الى الشهر الثانى ! « ص ١٣٥ »

للبدوى اتجاه خاص نلاحظه فى كثير مما يكتب ، وهو محاولة رسم الصورة من جميع جوانبها فكل ما يحيط بالشخصية يؤثر عليها مع اختلاف درجات التأثير ، ولذلك لا يمكن التغاضى عنه اذا اردنا ان نفهم العوامل التى ادت الى الموقف ولحظة التأزم .

هذه الطريقة وان بدا للبعض ان فن القصة القصيرة لا يسعها ، الا انها تحيط القارىء علما وفهما بكل دقائق الشخصية والمجال الذى تتاثر به وتؤثر فيه وسبب آخر ، ان المؤلف لا يريد ان يبتر الشخصية بحجة انه يكتب قصة قصيرة لا تحتمل اكثر من موقف واحد أو لقطة واحدة .

ان فن القصة ليس قالبا لابد للكاتب ان يصب فيه افكاره ولو كان هذا صحيحا لسد الطريق على الابتكار والتجديد ولوقفت القصة وتجمدت .

ويبدو ان الدكتور رشاد رشدى من هذا الصنف الذى يرفض طريقة البدوى ويصفها بانها ترجع « الى عدم ادراك معظم قصاصينا للشكل الفنى للقصة القصيرة » ! (١)

ويعجبنى هنا فى هذا الشأن ما كتبه الاستاذ حامد عبد القادر عندما يقول « يجب علينا ان نعد عقليتنا عند قراءة شعر أى شاعر او نقد نثر اى كاتب اعدادا خاصا ملائما لظروف كل منهما مطابقا لطابعه الخاص ، ذلك ان لكل اديب ظروفا خاصة ، واسلوبا معينا فى العرض ، ومذهبا معروفا فى اختيار الالفاظ والعبارات ، ووسائل يرتضيها للتاثير فى القارىء واجتذاب انتباهه» (٢)

وقد نقد رشاد رشدى يوما قصة لمحمود البدوى تسير على نفس الخطة فقال : « كثيرا ما كان الكاتب يبدا قصته باشياء معينة لا صلة لها بما يتبعها بل ولا وظيفة لها فى القصة على الاطلاق » (٣) مع ان محمود البدرى لم يفعل اكثر من انه افسح المساحة التى يطالع القارىء فيها الشخصية القصصية بحيث لاتتحول القصة القصيرة الى ملخص لقصة طويلة .

على ان لهذه الطريقة مساوئها ايضا فالحرية التى تتمتع بها تجعلها تنزلق احيانا الى حشو دخيل ، والمثل على ذلك نجده فى القصة الاولى « العربة الاخيرة » فحادثة سقوط المقامر فى اثناء سير الترام وجرحه متطفلة على السياق .

ما يكاد القارىء يبدأ قليلا فى قصة « زهور ذابلة » ويعجب بهذه القوة التى للحياة حتى تجابه دائما الموت المتربص ،

---

(١) رشاد رشدى ـ مجلة بناء الوطن . مايو سنة ١٩٦١

(٢) حامد عبد القادر ـ دراسات فى علم النفس الادبى ص ٥٧

(٣) رشاد رشدى ـ المرجع السابق

ويشهد فى قراءته مشاعر الانثى الخالدة وهى ترغب فى الرجل بالرغم من الموت الذى يظلل المكان ، ويحاول الرجل ان يهرب من رغبتها ، وكانا فى سيارة تحمل جثة ، فينزل منها ، فتساله فى جزع عن ذهابه ، فيجيبها انه سيسير قليلا فتقول :

. « ـ لا تبتعد
ـ اتخافين ؟
ـ انا .. ابدا .. وانما اخاف عليك من الذئاب .

ونزلت وكانت تنظر الى بجانب عينها وتبتسم فى خبث ظاهر .. ! الذئاب .. وضحكت .

ـ لقد افلت من يدها . » ص ٥٢

هل هناك من يتساءل اذا وصل الى هذا الجزء من القصة عما يريد الكاتب ان يقوله ؟

لا اظن . فقد ابان فى فنية بارعة عن انتصار الانسان على نفسه من زاوية جديدة استعرضها فى يقظة .

لقد انتهت القصة اذن عند هذا الحد فكل كلمة تزاد عليها حشو وانتقاص من الأثر العميق الذى تركته السطور السابقة فى نفسية القارىء وتضييع لكسب بذل فيه صاحبه جهدا .

ولست ادرى كنه هذه الشهوة التى جعلت المؤلف يطيل حتى يتملك القارىء دوار .

ان القسم الثانى من « زهور ذابلة » قصة قصيرة جديدة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، لا تشترك مع الاولى الا فى ان هناك جسدا خلت منه الروح

تحكى القصة الجديدة دخول الراوى حاملا متاع قريبه الميت فى حقيبة وعربة الموتى فى الخارج فتستقبله اخت الميت الشابة بالعويل ، ونعرف ان الاخ كان يعيش من اجل هذه الفتاة ، فوالدهما لانفع فيه فهو سكير مدمن . ويصاب البطل بضربة شمس ، ثم يحدث شجار بين البنت وابيها فهو قد استولى على بذلة الميت ليشرب بثمنها خمرا . ويتذكر الراوى ابطال دستويفسكى ويود لو عرفت الابنة ان اباها مسكين يستأهل الرحمة . وبعد ان تنتهى العاصفة يخرج بالبذلة ويحولها الى زجاجات خمر ، ثم تنتهى القصة والابنة بجوار الراوى ترفرف عليهما السعادة .

ارايت كيف ان المؤلف تناول موضوعا آخر ، هو السكر وما يفعله الشراب فى النفس البشرية ؟

ومن المجموعة مثل « الشيخ عمران » مالا يعدو ان يكون فى الحقيقة لوحة او صورة وصفية لواحد من هؤلاء الرجال الفواتك الذين يعيشون فى الريف المصرى صورة لا تعتمد على الفن الفوتغرافى ولكن على التحليل الدقيق وقياس الابعاد النفسية ولو وصفناها بانها قصة لظلمنا القصة وظلمنا القاص محمود البدوى معها !

اكثر المثقفين فى مصر يسلمون بحرية المراة وبحقها فى الحياة تماما كالرجل سواء بسواء ، ويدافعون عنها باستماتة باسلة يشكرون عليها ! لكننا لو نفذنا الى اعماقهم التى تتحكم فى سلوكهم وتعكس حقيقتهم لما استطعنا ان نعلق باكثر مما قاله القرآن الكريم فى الاعراب الذين لم يؤمنوا ولكنهم اسلموا ولما يدخل الايمان فى قلوبهم .

وقصة « جسد وفنان » من وحى هذا الواقع ..

فالبطل رغم انه يعمل فى الجامعة

وامين لمكتبتها ايضـــا . الا انه لا يكاد يعرف ان من يحب ويعاشر كانت تعمل نموذجا للرسامين حتى يفصم العلاقة . لانه لم يستطع ان يتصور ان جسـدها العارى كان نهبا للانظار .

من المعروف ان كتابة القصة القصيرة جدا او الاقصوصة بمعنى آخر ، عمل شاق لا يحسنه كل قاص . وقد قدم لنا الاستاذ البدوى فى مجموعته التى بين ايدينا اقصوصتان هما . « هاجـر » و « الملهمة » . والاولى بطلتها حبيبة صغيرة ما كادت تدخل فى طور المراهقة حتى تغيرت ، لا هذا التغيير الذى يحدث للاعضاء المختلفة فحسب ، ولـكن فى خلقها وسلوكهـا كذلك ، حتى ينتهى الامر ــ وقد كانت تعمـل خادما ــ بهروبها مع بائع الخبز !

والثانية بطلها شاب يكتب القصـة وتنشر له الصحف ، ولكن انتاجه لايجد صدى عند القراء او النقاد فيبتئس ، ولكن يشجعه على الاستمرار بطريق غير مباشر جارة حسناء ارمـل يراها كثيرا تتصفح المجلات التى يكتب فيها . ثم يعرف انها اميـة فتكون الطامة ويكسر القلم الى الابد .

اقصوصتان رقيقتان تدفعان بالابتسام الى الشفاه او تعلنان عن روح السخرية الفكهة عند المؤلف ، وتذكر اننا بما يقوله جورج ديهاميل من ان « روح الفكاهة نوع من التغيير فى الضياء يمكننا من ان نرى الشىء فى كافة مظاهره ؛ ولقـد يكون فى بعض تلك المظاهر تناقض ، بفضله تكتسب تلك المظاهر دلالتها . ان فى روح الفكاهـة نوعا من الخفر والتحفظ وتملك النفس لا يعرفه الهزل الصريح . » (١)

وهذا ما نجده فى هذا القصص الذى نقرؤه .

لعل امتع قصص المجموعة هى آخرتها « السراج » فشخصياتها ولا سيما حليمه مرسومة بدقة وفهم واع للنفس البشرية والجهد الذى يمكن ان تصل اليه فى نضالها مع صالح الذى يمثل جهاد الانسان فى سبيل لقمة العيش التى لاتنتزع بسهولة . وعمله الذى يستدعيه الطواف على القرى والمرور على الفلاحين مكابدا وعورة الطرق وقسوة الطقس ومماطلة العملاء وهـو رجل عجوز ، وكل هذا من اجل ان يربى ولده الذى دخل الجامعة وابنته التى على « وش جواز » ، لا يفكر وقـد تأخر به الوقت ان يبيت خارج منزله لانه يعرف ان زوجه لن تنام حتى يئوب .

وحليمـــة التى تدير وزوجها مقهى صغيرا على الطريق الزراعى يستريح فيه السائقون والركاب من وعثاء السـفر فى هذا المكان المتطرف ويبيعهم السجاير ايضا . وقد تزوجت حليمة التى كانت فتنة بين النساء فى صباها بشعبان الذى فاز من دونهم بها بعد منافسة وقتال ، ولكننا نعلم من عبارة موجزة موحية انها غير سعيدة رغم ان الرجل ظاهريا لاعيب فيه .

ثم الشخصية الثالثة فى القصة هذا الشاب الذى دخل حاملا بندقية حديثة ويعرج من جرح اصابه ، والذى جاء بعد رجوعها من توصيل عم صالح الى موقف السيارات ، والتى ادركت منذ الدقيقة الاولى انه غريب عن الناحية وانه ليس فلاحا عاديا وتأكدت من ذلك وهو يكذب عليها فى تعليل اصابته بجرح ساقـه ثم وقد سقطت منه المحفظة . . محفظة عم صالح . وفى هذه الاثناء يأتى من ملئها بمقتل عم صالح .

---

(١) جورج ديهاميل ــ دفاع عن الادب ـ ترجمة الدكتور مندور ص ٢٢٦

ثم تتازم الاحداث ، والشرطة تفتش المكان ، ويهرب اللص القاتل من المقهى ، ويتبادل ورجال الامن الرصاص والليل حالك وهو فى الدغل يراهم ولا يرونه وسلاحه الحديث السريع وبنادقهم القديمة جعلت فى امكانه ان يحصد منهم اكثر مما حصد .

. عرفت حليمة هذا كله وهى تتابع حركاتهم ، وبهدوء وخيال الاب الصريع يتجسد امامها امسكت بندقية زوجها وخرجت .

رآها القاتل وربما ابتسم وهو يدرك ما تفعله الكلمات الغزلة التى اسمعها لحليمة منذ ثوان بالمراة . لقد جاءت لمساعدته .

واطلقت الرصاصة الاولى ، ثم الثانية فأسكتته ..

« وكان كل واحد من العساكر والخفراء يتصور انه هو الذى صرعه .

. ولكن المراة التى فعلت هذا رجعت الى بيتها فى سكون وردت الباب . . واعادت البندقية الى مكانها ثم تقدمت فى هدوء لتشعل السراج كما كان .. » « ص ١٦١ » .

اذا عدت هذه القصة من اروع ماكتب محمود البدوى واتضحه فهى كذلك بين قصاص القصص المختار من ابرع انتاجنا فيه ، يؤهلها لذلك غير ما قلنا انها لم تزد او تنقص كلمة تخلخل من بناء القصة .

يتبلور تصوير البدوى فى كثير من قصصه للرجل فى علاقة الجنسين بعضهما ببعض فى كلمة .. سقوط ، فكاتبنا لايضفى على مغامرات كائناته من الذكور ثوب البطولة ، كما يفعل كثير من كتابنا فى قصصهم حتى تميعت نفسيات قلة من شبابنا وقد بهرتهم النماذج التى تفنن فى تقديمها هؤلاء الادباء فانساقوا فى طريق الشر .

. كاتبنا لا يصورهم نماذج منحلة ولكنها جديرة بالاعجاب ، لا يفعل البدوى شيئا من هذا ، ولكنه يجعلنا نسمى الاشياء باسمائها . واذا كنا نصف المراة التى تفقد شرفها وتلقى عذريتها بانها منحلة فكذلك يفعل البدوى بالرجل .

واذا كانت الطبيعة خلقت الذكر مختلفا فسيولوجيا عن الانثى فان ضياع شرفه يتعلق بامتهانه المثل والاخلاق ..

فالراوى فى مدرس الموسيقى فى « الدرس الاول » وهو يخون زوجة تلميذه ، والراوى مع زوجة جاره البقال السجين فى « ليلة لن انساها » وملاحظ الفنار فى .. « اجل على الطريق » امثلة لما نقول .

ان وقوفنا مثلا على حياة الشاعر احمد رامى ونشأته الاولى فى جزيرة حيث الطبيعة الفناء الساحرة ، جعلنا نفهم سر هذه الظاهرة التى تبدو فى كل اغانيه واشعاره مهما كان لونها ـ وتنبض بها ابياتها ، من ولعه بالطبيعة وذكره نباتينها وازهارها ، وللبقاع تأثير فى الطباع كما يقول القدماء (١) .

وكم نحن فى مسيس الحاجة الى دراسات جادة عن حياة ادبائنا لنفهم اصل هذه الصورة المنعكسة فى مرايا قصصهم وكتاباتهم .

---

(١) بهاء الدين السبكى ـ نقلا عن كتاب امين الخولى

ادبنا فقير فقرا فاضحا فى هـــذه الناحية ولولا بضع دراسات يتيمة وعلى نطاق ضيق عن طه حسين والعقـــاد وتيمور والحكيم ، لكان الميدان خـلوا تماما ولزاد تخبطنا فى فهم انتاج هؤلاء الاعـلام وقل بالتالى استمتاعنا بآثارهم « وهؤلاء الادباء الذين صنعوه ، لم نفهم حياتهم ، فنفهم بذلك آثارهم ، ونتسبين اغراضهم ، وتتضح مسارب هـــذه الاتجاهات والنزعات الى نفوسهم » (١)

ان مثل هذه الدراسات فن قائم بذاته فى الادب العربى ، ومن العجيب اننـــا استوحينا منهم الكثير من الاشكال الفنية وقلدناهم فيها ، ولكننا انكرنا التعرض لحيوات اصحاب الادب عندنا لماذا ؟

لاننا لازلنا نرى الكشف عن حيـــاة الانسان حتى لو كان اديبا او فنانا ــ وفى مجال الدرس الجاد ايضا ــ عورة لاينبغى ان يطلع عليها غريب !

ولعل هذا هو الذى كون عند جمهورنا المثقف القارىء الاحساس بالغربة تجاه ادبائه .

وعلى هدى هذه الحقيقة وهذا الواقع فنحن لن نستطيع ان نقول كل ما يزيد عن عناصر لها اصولها فى حياة صاحبهـا محمود البدوى وبدت فى قصصه لقـلة او لعدم مابأيدينا من مواد .

ففى المرتبة الاولى من اهتمام اديبنا تجىء الطبيعة ، والمرض والخمر .

ثم ذكرى الحرب والانجليز والـسكن فى وسط اجنبى ، وبنت البلد بملاءتهـا انـسوداء ، والكتاب الروس .

الطبيعة اذا كان مجالها الاكبر عنـــد كاتب الرواية واللوحة ، فهى تقوم بنفس الاثر ولكن على نطاق اضيق عند كاتب القصة القصيرة ، فهى عامل مساعـــد يبرز معالمها او يخفف من حدة انفعالات شخصياتها . وهى عند القروى بارضها وسمائها امه الرؤوم ، وغنـــد ساكن المدينة رمز للفطرة النقية الخالصة من الشوائب والادران .

« ان وصف البيئة الخارجية والمناظر الطبيعية كثيرا ما يساعد على احيـــاء الحوادث وتصـوير الشخصيات بامانة وصدق ودقة ، والتمهيد للاحـــداث والانفعالات والمفاجئات . كما انه يربط اجزاء القصة برابط شعرى وثيق » (٢)

والطبيعة فى هذه المجموعة ظللت اكثر قصصها واحتلت من الكاتب مكانا مرموقا

ثم يأتى المرض وذكره فى نصف عدد القصص بلا مبالغة ، فمن البرص الى نزيف داخلى الى مرض لا نعرفه مميت وميئوس من شفاء صاحبه الى تيفوس الى التهاب فى الرئة الى العرج الى . . الى . .

والعرج عند البدوى مرض مختار اذا صير هذا التعبير ! فهو يذكره فى قصتين ويصيب به بطلين . وقد بلغ من ايثاره هذا الداء فى قصصه ، ان اخرج بوصفه مجموعة قصصية سابقة معروفـة هى « الاعرج فى الميناء » !

و . . الخمـــر ، تكاد تنـافس المرض فى سيطرتها على ابطال القصص يشربونها كلذة خالصة كما فى « العـربة الاخيرة » و « زهور ذابلة » ، او تسلوى والنسيان واغراق الاحزان فى « أجل على الطريق » و « ليلة لن انساها » او انها عنصر اصيل فى السهرة ولعب القمار

---

(١) امين الخولى ــ فى الادب المصرى ــ ص ٩٢

(٢) الدكتور محمد يوسف نجم ــ القصة فى الادب العربى الحديث ــ ص ١٩٦

كما فى « البواب الاعرج » و « نساء فى انطريق » .

والحرب العالمية والانجليز ، نبع استقى منه اديبنا مادة لقصصه اكثر من مرة واعاد الى الاذهان ذكرى تلك الايام السود . فاحدى قصصه تحدث اثناء الحرب والالمان يضربون الاسكندرية ضربا شديدا ليفرقوا الاسطول البريطانى ويسقطون قنابلهم على المناطق التى يكثر فيها سكنى المحتلين ، فيموت المصريون او تشوههم الشظايا .

والقصة الاخرى والحرب على اشدها والقاهرة تعج بالجيوش الانجليزية ، ومرض التيفوس ينتشر بصورة وباء .

ومن المؤكد انك ستلتقى فى كل مجموعة للبدوى فى قصة او اكثر ، بجو أجنبى ، وذكر البنسيونات التى يديرها خواجات فلا تخلو قصصه من واحدة يسكن بطلها عند ناس اجانب .

ونستطيع أن نقول ان هذه سمة جميزة فى قصصه .

فالراوى فى « اجل على الطريق » يقيم مع اسرة ايطالية ويعمل فى السويس تذكر قصة البدوى « الوجه الصامت » فى مجموعته .. غرفة على السطح — وبطل « نساء فى الطريق » يسكن هو الاخر مع سيدة اجنبية .

وبنت البلد بملاءتها السوداء والتى لا تذكر الا باعجاب ، تحتل البطولة فى قصتين . ولكن المؤلف يرسمها فى كلتيهما فى صورة تتداخل وبائعة الجسد ، فهى لا ترفض الغزل وتستجيب له بسرعة وتقابل الابتسامة بابتسامة ، وتضرب للمعجب موعدا فى منزلها وتستقبله فى حجرتها وتقدم اختها الكبيرة له القهوة ويتم التعارف بينهما « كذا » ! (١) ثم يستقبلها فى حجرته وتقدم له جسدها باشتهاء .

والملاءة السوداء عند كاتبنا لاتلف الا جسدا شهيا وفتنة طاغية وعينين دعجاوين وهالة النور على الجبين ، وهى كذلك عندما يطاردها الشاب فى القصة الثانية لا تفر منه ، ولكنها تتعمد ان تعرج على شارع مظلم مهجور ليقترب منها وتتحدث اليها ويتفقا على لقاء فى الغد فى بيته « وقد لاحظت عليها عندما اجتازت عتبة الباب لاول مرة انه لم يظهر عليها خجل الفتاة وهى تدخل منزل رجل غريب .. بل كانت كانها داخلة فى بيتها وابعدت هذه الملاحظة عن ذهنى .. فكل شىء فيها ملائكى طاهر . » (٢)

لقد اختار المؤلف لصاحبة الملاءة اللف الاولى الا تختلف كثيرا عن مومس ، اما الثانية فقد اختار لها عملا مغايرا وليس هابطا كالاول .. موديل عار للفنانين .

لماذا افترنت بنت البلد — الحبيبة — بملاءتها السوداء بهذا النوع من النساء ؟ علم هذا عند محمود البدوى

نحن نجهل المنهل الذى ارتوى منه البدوى ، ولا نعرف اذا كان الادب الروسى رافدا فى هذا المستقى ام غير ذلك فقصص الكاتب لا تفصح عن علم اليقين .. نعم فما لاشك فيه انه اتصل بالكتاب الروس وقرأ لهم وتأثر بنماذجهم ، ومن خواطر شخصياته فى مجموعته يذكر اسم دستويفسكى العظيم وابطاله «كنت اود لو امسك بيد امينة واقول لها .. اركعى امام والدك المسكين .. السكير . كما فعل رازكو لينكوف امام امراة سقطت .. وقبلى الانسانية المعذبة فى

(١) قصة « نساء على الطريق » ص ٧٤
(٢) قصة « جسد وفنان » ص ١١٣

شخصه . ان والدك ليس فظا ولا حقيرا ولا جشعا كما تتصورين ولكنه لا يملك من امر نفسه شيئا (١) .

وكذلك يتمثل بطل قصة اخرى مما يرى حوله بالشخصيات التافهة فى روايات تشيكوف ، من السماسرة ورجال الاعمال وموظفى المصلحة « وهؤلاء اشبه بعمال السكة الحديد فى المحطات الصغيرة فى روسيا .. تعاسة مرة .. وبلادة وخور .. واستسلام للمصير ورضوخ لحكم الاقدار .. حديث تافه عن عمال البلوك ونظار المحطات وكادر المصلحة ولا شىء غير هذه التفاهة (٢) .

شىء آخر اهم من هذا وذاك ، فلولا الخوف من وقوعنا فى الخطأ الكبير الذى ينجم عن الاحكام المطلقة او التى تقول بغير علم ، لاشرنا الى التأثر الواضح فى قصص البدوى بالادباء الروس الذين يعطفون على ابطالهم ولا يسخرون منهم بقسوة ، ويحملون لهم فى قلوبهم عطفا ورحمة ومواساة وانسانية تسع العالم اجمع .

احسن تعريف للقصة الناجحة « انها الشىء الذى تقرؤه فلا تحس أنه قصة » وهذا ما تؤكده هذه المجموعة .

والصدق اساس لكل عمل فنى ، ويقول محمود تيمور ، القصة الفنية تشترط اول ما تشترط الصدق ، وهى لا تستكمل فنيتها الا ان كانت صادقة فى موضوعها صادقة فى الكشف عن نفوس اشخاصها ، صادقة فى اهدافها ومراميها (٣) .

ونحن لا نريد منها ايضا اكثر من هذا ولقد وجدناه عند محمود البدوى .

علاء الدين وحيد

---

(١) قصة « زهور ذابلة » ص ٥٤ ــ ٥٥
(٢) قصة « نساء فى الطريق » ص ٦٦
(٣) محمود تيمور ــ فن القصص ــ ص ٣٨

صنوف الناس فى الدراية

قال الخليل :

من الناس من يدرى ويدرى انه يدرى فذاك عالم فاتبعوه . ومنهم من يدرى ولا يدرى انه يدرى فذاك ضال فارشدوه . ومنهم من لايدرى ، ويدرى انه لا يدرى فذاك طالب فعلموه ، ومنهم من لايدرى ، ولا يدرى انه لايدرى فذاك جاهل فاحذروه .

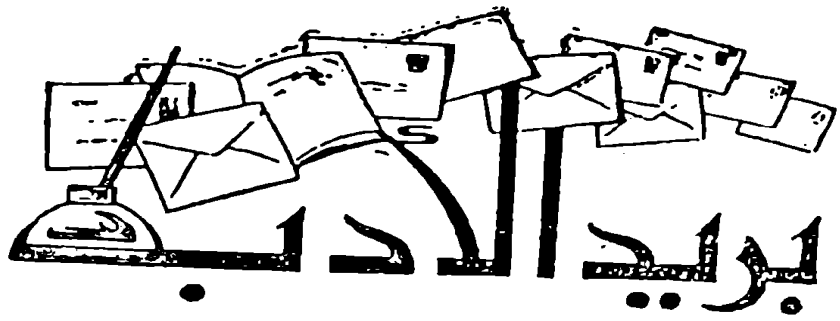

بريد الادب

بقويم و تدريب

نظافة النقد

فى بريد هذا الشهر رسائل كثيرة ، عن اشياء خاصة بمقالات نشرت فى « الادب » وعن ابواب يراد فتحها فى « الادب » .. وهى شديدة الترحيب بهذا كله ، اقتراحا كان او نقدا .. وقد طال قولها وتكرر عن الايمان بالنقد ، وانه دينها الفنى . . وطال كذلك كلامها عن فروسية القلم ، وعفة اللسان ، ونزاهة النقد ، وقدمت دائما من ذلك امثلة وامثلة . . .

ولكن بعض السادة مرسلى الرسائل لا تزال تغلبهم الفتنة الشائعة فيحسبون ان من الحجة ان تسىء الى من تناقشه ، بالاتهام او الشتم .. على انى قد أرضي باساءة ذات اسلوب ماهر ، يعرف صاحبها كيف يتهم فى لباقة ، وكيف يقرع فى ذوق ، يثير القارىء على المنقود ولا يثيره على الناقد .. اما ان يكون الاسلوب على غير هذا الوجه من السلامة فذلك شىء لا يحل ان تضعه الحياة الادبية على الورق .

ومهما يختلف معى الاستاذ رئيس التحرير فيكون لهذا الاختلاف أثره ، فى تخفيف حدة العنوان ، الذى اضعه على هذه الكلمة ، فانى لا أستطيع أن أترفق ، بعبارات كتلك التى وردت فى خطاب الى السيد رئيس التحرير نفسه عن مقال « السياسة .. والحياة » المنشور فى العدد الماضى ، على ترجيح عند صاحب الرسالة أن هذا المقال من قلمه ، وفى هذه الرسالة عبارات مثل :

« ان محاولة الوقوف والتاريخ يسير ، والعالم يمشى دعوة مفضوحة ، لئيمة يجب الحد منها » .. ومثل هذه العبارة فى خطاب موجه الى شخص باسمه ليس فى شىء من نظافة الاسلوب .. ولا ازيد ، لتشدد الاستاذ رئيس التحرير فى الا يقابل خطأ بخطأ .. وقد عرضت عليه هذه الرسالة ، فابتسم فى هدوء ، وقال : لانزال نحتاج الى عمل كثير فى صيانة الاساليب — ولكن لا تغضب فيجمح قلمك .. وبين يديك النقد والمقال ، فقل ما تراه ، فى عفة قلم ، وفروسية اسلوب .. دائما .. وهكذا هممت بأن اجعل عنوان هذه الكلمة « لا مرحبا » مقابلة بكلمتى فى العدد السابق بعنوان « مرحبا . . دائما » ولكنى استبعدت هذا العنوان ، واستبعدت اشباهها له كثيرة ، كنت واثقا ، أن السيد رئيس التحرير لن يتركها فى مكانها .. واكتفيت بعنوان « نظافة النقد » لان مثل هذه العبارات لا توصف بأقل واحلم من هذا .

واعود للسيد الناقد فآخذ معه صفتى المعروفة ، فى التقويم فاقول له : ان قوله « .. ان يعرف المواطن كلما يهم بلاده » .. يعنى « كل الذى » لا تكتب هكذا .. وان قوله « يمكن تجزاة (كذا) الحياة » لا تكتب هكذا ! ! وان الذى لا تسلم عبارته من مثل ذلك يحسن ان يعالجها اولا .

واما فى الموضوع فانك ـ يا سيد ـ لم تلبث ان سلمت بالدراسة والتعمق ، كما يطلب المقال ، وكما يليق بالصحيفة الادبية ، حين تتناول الشئون الاجتماعية ، ولم يكن يتوقع ان يكون هذا موضع انكار ، بأسلوب شتم يذكر الفضيحة . . واللؤم . . ووجوب الحذر ! !

لقد قلت بنفسك « وعندمانتجه اليه ونسير فيه لا ننقطع عن الدراسةوالتعمق ، ولكن بعيدا عن الوقفات الناعسة » .. وكيف يكون التعمق مع النعاس ، يا سيدى اليقظ ! !

ان فى رسالتك كلاما كثيرا لا نصيب له من الصحة ، ولا يحل « للادب » أن تضيع فيه اكثر من هذا الوقت ، والمكان .

وقد طلبت النشر عملا بحرية الراى ، وقد نشر ما يعنيك من العبارة القاسية ، وليس بعد ذلك ما هو موضع لراى ، فان الدعوة الى الدراسة المستأنية العميقة لن تكون موضع خلاف مع احد ، ومن سقط فى الامتحان ولديه وقت ضيق للاعادة يذاكر ولا بد .. ولكن لابد أن يعرف سبب سقوطه ، والا لم يعرف كيف يذاكر ، ولم يقل احد ان حرصه على معرفة سبب السقوط ضار به ، أو فيه خيانة لنفسه . . .

ومثل قولك هذا فى الاسلوب يحتاج الى تنظيف ، لتبلغ بعده مرحلة ارقى ، هى ما نسميه فروسية القلم ، وعفة اللسان ، وما اشبه ..

وعلى لسان الاستاذ رئيس التحرير تقول « الادب » مرحبا .. دائما ـ أما على لسانى فلا استطيع الترحيب بمن يخونه قلمه ..

اكتبوا الصواب

هذه رسالة جاءت مع قصة ، وفيها يقول السيد مرسلها « .. فان رأيتم فيها أخطاء فاكتبوا الصواب » .. وهذا بعض مايجرى من التصحيح الذى لا يشكو المدرسون من شىء قدر ما يشكون منه .. فماذا يقول الصحفيون ! !

وهل يسمح لى السيد الذى يفكر فى ارسال قصته للنشر ان اقول له ما دمت ، لم تثق بعد ، من انك تكتب الصواب فلا تطلب النشر .. وبمنطقك اقول لك « **اكتبوا انتم الصواب أولا** » ، ولا تطلبوا لاحد ان يكتبه عنكم ! !

واقولها لكل من يكتب شيئا للنشر ، سواء أطلب التصحيح أم لا .. لان وجود مصححين للكاتبين ، ولجماعى المطبعة شىء لا يحتمل .. وبينى وبينكم هو كذلك شىء .. لا يليق بمن يرسل للنشر ! !

ألوان .. من الأدب

كتب سيد ناقد ، نشرت له « الادب » غير مرة ، يقول :

« ان الادب » تتميز بلون خاص ، بين المجلات الادبية ، ولكن هل هذا يعنى ان تستبعد الوانا من الادب ، ولا تعترف بها ، كمواد دسمة ، تقدمها بين صنوفها .. مثل **الاحاديث الادبية** .. النشاط الثقافى والفنى ، دنيا الادب خارج حدود الجمهورية العربية ، الى غير ذلك من الاطباق الشهية » .

وخطة « الادب » فى ذلك واضحة كل الوضوح تتلخص فى كلمتين هما « البقاء للاصلح » فهى تؤثر وتقدم ما يستحق ان يوضع فى الصحف الباقيات ، كما قالت فى العدد الماضى .

ولعل السيد يذكر ان « الادب » قد نشرت غير مرة شيئا من احاديث ادبية ، ولكنها نشرته بعد تردد غير قصير ، ثم بعد تعديل غير قليل ، وذلك كله بعد تأكيد قوى كبير ، على آخذى الاحاديث ، ان تكون فى قضايا فنية كبرى ، وشئون ادبية عامة .. ولكنها بعد ذلك كله رات — فى جلاء — ان سؤالا يجاب عنه ببضعة اسطر ، لايكون — فى سهولة — مجالا لتناول قضية كبرى ، او شأن ادبى عام ! ! ومن هنا كفت عن تشجيع التجدث والتحديث ! !

والنشاط الثقافى والفنى قد التزمت « الادب » فيه دائما ان يكون القول فيه حديثا عن تيارات واتجاهات ، لا عن انباء ، واخبار ، واعلانات .. ولعلك تذكر انها نشرت غير مرة تحت عنوان « تيارات فنية » فحدثت عن نشاط يتوافر فيه شىء مما يخص الصحف الباقيات .. وليس ذلك بالكثير ..

ومن هنا لا تقدم عليه كثيرا ، الا ان يكون قضية تعالج فى اناة وبسطة من القول ..

واما دنيا الادب خارج حدود الجمهورية العربية « فالادب » معنية بها ، جد العناية ، فى صورة روافد تمد ادبنا ، واغذية دسمة يتمثلها ادبنا — وذلك لا يكون فى الاخبار والاوصاف — ولكن فى مثل الترجمة التى تفتح الطريق المسدود امام هذه الروافد التى تمد نهرنا ، وقد شعرت — يا سيد — ان « الادب » تعنى بوعى ما تفعل ، من ايثار الترجمة عن الاداب الشرقية فيما لابد انك تذكره ، من آثار فارسية ، وصينية ، وهندية ... ثم بين يديك فى هذا العدد قصة من الادب الجواتيمالى .

فمثل هذا عن الادب خارج الحدود ، هو الذى يعنى الادب ، لا الانباء والاخبار العابرة ..

وللسيد تساؤل آخر فى الرسالة نفسها يقول فيه :

« .. مذكراتكم الادبية .. اهل الفكر الذين التقيتم بهم .. الاحداث الثقافية التى تقف كمعالم حذدت طريقنا .. هذه المذكرات ان كان لها وجود فلماذا لاتنشرونها .. واذا كانت حتى اليوم فى ضمير الغيب فلماذا لا تكتبونها » .

وهذه يا سيدى قد سألت عنها الاستاذ رئيس التحرير ، بصفته .. مثل هذه التجارب ، ومشاهد تلك الاحداث ، ولامح تلك المعالم بحكم سنه ، وكان مما قال فى هذا الشأن :

للسيد كل الحق فى هذا التساؤل .. وأنا لا اكاد اكف عن التفكير فى الاسلوب الذى اكتب به مثل هذا التاريخ الفنى الاجتماعى ، وعن الطريقة التى اخرجه بها . . وتملى اشعر شعورا ـ ليس كثير الصواب ـ الا اقدم شيئا من هذا الحديث الذى له دائما طابع الشخصية الفردية ، لاؤخر به شيئا من تناول « الادب » لشأن ادبى عام بحثا ، او نقدا ، او انتاجا .. ولذلك فكرت فى أن ادون تلك التجارب موضوعات تجمعها وحدة ، لا احداثا واخبارا ينسقها التاريخ وترتيب السنين .

واعددت بعض ذلك فعلا ، وهو قريب الى النشر .. وهنا يتحدث السيد رئيس التحرير فى شبه همس : ويميل على قائلا : شىء آخر لم أهتد بعد الى راى نهائى فيه هو حق التاريخ فى الاحداث الثقافية ، وفى من لقيتهم من الرجال ، فكيف اؤدى هذا الحق ؟ انجهر ، ونصرح ، ونسمى فنؤدى حق التاريخ على وجهه ، ام نخافت ونصانع ، ونكنى ، ونرمز ، فتموت تلك الحقائق معنا ، ولا تستفيد الدنيا بتجربة جيل .. ثم قال الاستاذ رئيس التحرير :

ومن طريف المناسبة الغريبة انى كنت امس فقط مع الصديق المؤرخ الاديب الدكتور محمد صبرى السوربونى ، فجرى الحديث عن الادباء ، وبخاصة عن شوقى الذى يتتبع الصديق الدكتور صبرى فائت شعره الذى لم ينشر ، فقلت له : ومتى تقول للتاريخ ما تعرف عن حياة شوقى البشرية ، وما فيها مما لايمكن ان يدرس شوقى او يفهم دون معرفة له ؟ فقال : سيقال هذا ولابد ، فيما بعد ؟ فقلت له : ومتى يكون ، والزمن غادر يخترم مفاجئا ، ولا يؤمن ؟ فقال : على كل حال ، لابد ان سيقال ، وانقطع الحديث على غير بيان .

فهذه كبرى المشكلات فى نظر الاستاذ رئيس التحرير ، ولعله يجد لها خلافيدون ما يعرف عن أهل الفكر الذين لقيهم ، وعن الاحداث الثقافية ، التى شهدها من قرب او بعد ، وهى من المعالم التى تحدد طريقنا .. وانا لننتظر ..

لا تزكوا انفسكم

اقولها لاولئك الشداة ، الذين يعنينا من امرهم هنا ما يعنينا ، وقد جاءنى من غير واحد منهم من تزكية انفسهم ما اشرت الى بعضه قبل الآن . وامامى منه رسالة من طالب آداب جامعى ، يقول فيها :

« .. على كل انى يا سيدى مشهور جدا كأد ب خارج الجمهورية العربية

المتحدة ، وخاصة فى الجنوب العربى ، حيث اعمل محررا فى عدة جرائد يومية ، من اهمها « الايام العدنية » .

وذلك بعد قوله :

« .. لم اتشرف بمكاتبتها ـ اى الادب ـ رغم قدم العهد بى كاديب ، الى الآن »

والسيد الذى قدم العهد به كاديب الى الآن ، والمشهور جدا كاديب خارج الجمهورية العربية يكتب فى رسالته مثل :

« ان كانت لم ترى النور » ومثل « هل ستحذوا الادب حذو الجرائد » وصحيح انها ليست كراريس املاء كما قال لى مرة بعض الشباب المتهربين من الاستفادة ، ليست كراسات املاء ، ولكنها اللغة مادة الادب .

وفى كل سواء اوافقنى الجامعى الاديب على الا يقع مثله فى هذا الخطأ ام لم يوافقنى ، فانى لن اوافقه على أن يتحدث عن نفسه مثل هذا الحديث المتوسع وله ولامثاله اقول مقالة القرآن « فلا تزكوا انفسكم »

وانتقل الى رسائل القراء فاوسد :

خارج النقد

ما ارسل تحت عنوان « **نشيد لاجىء** » ، وتحت عنوان ارادة قلب .. ويكفى ان اقرا فى خطاب الارسال ما يأتى : لاول مرت .. ومجلت الادب .. ولكم شكرا جزيلا .. ان خطى عاجزا .. والى هنا ، وحسبك من شر سماعه .. وياصاحب : ارادت قلب (كذا) اولى لك ان تقول ماتقول دون كتابة ، ولا مراسلة .. ودون أن تسميه شيئا مما يعده الناس من فنون القول .. ولو كان المدى لائحا لقلت لك انه بعيد ، او بعيد جدا .. فلا تتعب فى كتابة هذه الرسائل .

الشعر

* وصلت قصيدة « **الازهر بين القديم والحديث** » . وهو متن بحت فيه كل ملامح المتون ، من تقرير ، ورصف ، وبعد عن المعانى الادبية كمطلعها :

لله ما اعلى وشيد جوهر

بيت تخطى الالف ، وهو الازهر ! !

ومثل هذا كثير ، غالب .. ولو اوردت امثلة من هذا المتن لازعجت القراء و (خربشت) اذواقهم .. وحسبك من القلادة ما احاط بالعنق .. ياسيدى ان مطاوعة النظم لا تكفى . . فالى غيرها .

* ووصلت « **نوح .. وابنه** » وهى تقريرية الاسلوب كثيرا ، ولو ان النظم فيها طيع مستجيب ، لكن على قلق فى بعض العبارات ، مثل « او انقادت كما

يجب » ، ومثل : فباء بالكفر نحو الهون ينقلب » ، ومثل : واستفحل الكذب ، واشباه لتلك العبارات ، التى ليست من عبارات الشعر ، أو هى حشو ، أو ليست فى مكانها ، مع ما حولها ، ولو خلصت من هذه الهنات لكان التفكير فى نشرها غير بعيد .

* ووصلت « **وداع** » وفيها على رقتها عبارات واهنة ، نقف منها عند المطلع وهو : انت يا من سرت فوق الشوك فى دربى وجئت » وهذا التعبير ومثله فى الاغنيات العادية ينتوقف النظر لانه لا يقف الا على الحفاء ، مع رقة اقدام الحفاة ايضا ، ليكون الشوك عقبة فى الطريق ، ويكون المشى فوقه احتمالا ، وخوضا للالم ، ودون هذ الحفاء لا يكون للشوك اى قيمة تحت الحذاء ، بل لايكون له كبير صعوبة عند الاقدام الشثنة الخشنة ، التى تدوس المسامير احيانا ، فتنزعها وترمى بها بعيدا .. نهايته معنى المشي على الشوك هذا معنى حافى القدمين ، لا يقاس به اخلاص فى حب ، ولا عناء فى سبيل محبوب .

وفى «وداع » تعابير اخرى كقوله « نضفر الاحلام عهدا » فانه تجوز بعيد ، اوشديد البعد ، لان الاحلام وهى اضفاث تضفر ، ثم تضفر عهدا !! العهد موثق معنوى لايقرب فيه الضفر ، وهذا الضفر ، كثير الاستعمال فى الاكاليل واشباهها ، من المعانى المحدثة . وصاحب « وداع » مرجو ، ينشر له غير هذه ..

* ووصلت « **أفريقيا** » وهى منهوكة الوزن ، والاسلوب ايضا ، يحتاج معناها الى جو اكثر قوة ، مما تنم عنه عباراتها القصيرة القريبة ، مثل شقوا طريق نداء » فالنداء اهون من ان يحتاج الى شق ، ومثل : وهذا لومبا فى صحبة الزملاء ، فان صحبة الزملاء ليست موقف بطولة .. وهى على كل حال تحدث عن طاقة ادبية قد يكون لها يوما ما ينشر ، وما يلفت ..

* ووصلت « **حسان** » لسيد جاسم ترقب « الادب » فى رسائله املا ، تنضجه الايام ، وهو فى الطريق ، وان كانت فرصة النشر المتمكن لما توات بعد .. فلا تزال فى الاسلوب هلهلة وعامية مثل . وكيف يموت الواحد دون علاج » ومثل « الطب كثير موجود » و « نصف المقدار لعبدالله .. ذاك البقال » .. والالفاظ مع هذا اكثر كثيرا من المعانى ، والغرض الفنى قريب .. والتصوير ساذج .. ومع الايام قد يمكن التغلب على هذا وسواه ..

* ووصلت « **فى المولد** » وهى مهداه الى الذين حرمت قريتهم من الشيخ والمولد . ولعله حرمان ليس موجعا ؛ ولا يفوت به خير كثير على المحرومين فهم مستريحون مما فى المولد من مثل :

نشال يتبع فلاحا
كالقط تربص للفار
عيناه ترحب فى شوق
وينداه بين الازرار

وصاحب « فى المولد » قد نشرت له « الادب » قبل الآن غير مرة ، وهو متدفق العبارة ، تواتيه الطاقة ، وان كانت العبارة احيانا واهية النسج ، والمعنى تفريرى قريب ، وفيه حينا سذاجة .. و « فى المولد » تصوير ضوئى عاكس للواقع ، فى كبير تظليل او تصرف شعرى فى الاضواء والالوان ، وانواقع الفنى ..

* ووصلت « **زهرات من الماضى** » لشاب شجعته « الادب » غير مرة . وكان فى البدء يلتزم المنهج المعبد من قديم النسق الشعرى ، لكنه فى هذه الرسالة ، واخرى بعدها يريد ليتحرر من هذا النسق ، ويعرض معانيه . فى اساليب اكثر حركة . ونشاطا ، لكنه — فيما يبدو حتى الان — هش العبارة ، مفرى بضرب من التكرار اللفظى ، قد يكون تركه اولى ، وصوره البيانية ليست ثابتة ثباتا كافيا . ولا كامنة التصوير او التكوين وفى قوله :

في احدى امسياتي
ركبت خاطري
وسرت في ثبات
دخلت حقل عمري
باحثا عن ذاتي
بكهف ذكرياتي
ابعثر التراب عن حقيقتي .. عن ذاتي

ففي هذه القطعة امثلة لما اشرت اليه ، من هشاشة العبارة ، والولع بالتكرار ، وحال الصور البيانية في التصوير والتكوين .. ولايتسع المقام لاكثر من هذا بسطا ، ولعلها فترة انتقال يكتمل له بعدها ما يبتغي في هذا التحول من وفاء يحق المعنى الشعري .. والى غد قريب ..

* ووصلت « **همسات صارخة** » لصاحب السابقة .. وهي تشارك اختها في جملة ما اشرت اليه من امرها ، واذا كان الهمس صارخا فالفتى ثائر هائج ، وهو لهذا يصرخ : انا هنا وحيد .. ظمآن .. سكران .. اجل انا سكران .. من خمرة الجحود والنكران .. لهفان .. اجل انا لهفان .. فلعل ما لمحنا في تحوله الفني وصوغه الشعري يكون اثر قريبا لهذه الحالة النفسية .. التي لا ندري الى متى تدوم ، وماذا وراءها من امر الفتى الشاعر ؟ فالى غد قريب ايضا .. و « الادب » يا فتى نبع صاف ، وقبس وضاء ، وصدر حنان .. لك ولاشباهك الفتيان الظماء ، السكارى ، اللهفين ..

* ووصلت « **لو يرجع الموتى** » لصاحب شذوذ ، وغيرها ، وهي مع سلامة العبارة ، واتساق الوزن ، تطيل في غير حاجة ، والغرض الفني فيها اقرب من ان تمد له الرشاء الطويلة ، والعرض يفقد تاثيره احيانا .. ويتهيأ لها النشر اذا واتى المجال الفسيح ، وانبسطت الصفحات ..

* ووصلت « **وثيقة غدر** » لسيد نشرت له « الادب » سابقا ، وتحب بهذه المناسبة ان تذكره بمسلكها السابق الثابت ، في مثل هذه الاحوال الشاذة ، التي يضطرب فيها الامر بين الاخوة ، ويهتز سلام الاسرة ، فلا تريد « الادب » ان تتعجل باليأس ، وتسبق الى القطيعة ، فتؤجج نار البغض ، وتذكي الحقد .. بل تطمئن رغم القتام ان الاخ الى الاخ اخيرا ، ورغم كل شيء .. وهي تذكر اذ تنظر فيما يجيئها من **ادب الظروف** ـ كما تسميه ـ ان ادب الظروف ، من صنف ادب المناسبات ليس له ما للفن من خلود واخلاد ، بل هو ذاهب زائل ، وبغير هذه الطوارىء الذواهب يتشبث الفن قولا او غيره !

* ووصلت « **طفل من دمشق** » لسيد نشرت له « الادب » وتنشر وهو فيما ترجو له صاحب غد المع واضوا .. ولكنها رغم هذا كله ترى ان هذه تدخل فيما حدثت به عن سابقتها « وثيقة غدر » من اثر المناسبات ، ومما ينبغي ان يحتفي به الفن ويحتفل به ، لانه رهين بوقته ، الذي نحب ان يكون قصيرا ..

* ووصلت « **قصوصة شعرية .. شكوى** » لسيد يكتب القصة ، ويتعاطى الشعر شعبيا ، او فصيحا ، جادا او فكها ، وقد نشرت له « الادب » غير قليل وقومت له الكثير .. وهذه على خفة في روحها قريبة المعنى ليست التي تليق بموضع الشكوى من امر الرشوق ، فان هذه الافة الفاتكة تحتاج الى عنف فني قاتل .. وهذه الشكوى لينة الملمس ، قريبة المأخذ ، وغير هذا من العنف والقوة اولى بها .

* ووصلت من الادب الشعبي « **قلوب الفلاحين** » للزجال المشاغب ، وقد اطمأن الى هذا الوصف ، ووقع به .. وهو يحدث عن طيبة قلوب الفلاحين بشيلهم المزين ، الذي تعطلت رجله ـ والكلام كثير ـ والمعنى بسيط ..

والصـــــورة ليست مؤثرة ، على راى شيكوكو . . وبلاغة العامية لا تزال غير قريبة المنال عنده فالعبارات الزاجلة اما عادية لا قوة فيها ، او فى قليل منها قوة التعبير الدارج العامـر بالمعنى ، العنيف الوقـع .. وعلى كل حال ان لم يتيسر لهذه المجال ففيرها اولى منها قريبا .

النثر

* ووصلت قصـة ((الاديب الكبير)) وقد جاءتنى ، ودمها سـايح ، لان الاخ الزميل الذى قراها كان فى يده قلم احمر ، لعله كان يصحح به اوراقا او كراريس ، فاندفع بالعادة يضع خطوطا حمـراء ، تحت مثل : كان رمضان اديب .. انهم بعيدين .. فاشخاصه خيرين .. ويحيل اهل المنزل بينهما اى يحـول .. ودلف الحجرة .. لم يستطع على النطق . . الى كثير مثل ذلك تجاهلته ، ونظرت فاذا كلام لايكون قصة ، ولا حكاية ، وعذرت الزميل فيما علق به عليه ، واكتفيت بنشر نموذج من الاخطاء ، فى قلم من يكتب عن « الاديب الكبير » ولعله عنـد الباحث النفسى يعنى نفسه هو .. ! ! لقـد بقى عليـك الكثير .. يا صـاحب الاديب الكبير .

* ووصلت صفحة بعنوان ((يا فتاح يا عليم ـ اغلبها بالعامية ، وهى دردشة لا تنتهى الا الى ان يكون كاتبها شـديد التشاؤم ، يحرق المشقة ، لان الجـارة قالت لابنها الصبح بدرى : نهارك اسود ، وسواء أكان يريد هذا التشاؤم الشديد ، او يريد شيئا آخر ، فانه على كل حال لم يصنع شيئا ، الا ان ضيع وقته ، ووقت سواه فيما لا يمكنك ان تصفه بشىء من اوصاف النثر ! !

* ووصلت ((الثمن)) لسيد نشرت له « الادب » اكثر من قصة .. لكن فى هذه من الاخطاء مثل : اما الاخرين . . وترى ابنها معافيا ! ! ولئن نسينا هـذه وامثالها فانا لنجد ما تكرر فيما قـ... للسيد المرسل ، من عدم تمثل الجـو . الذى تقع فيه احداثه ، ويعيش فيـه اشخاصه ، فالمصباح موقد يهتز ضـوءه لهبوب النسيم ، وفى هذا الوقت يمـر طير ، ويصيح طير ، وتهمهم طيور اخرى ، والطيور لا تفعل شيئا من ذلك ، فى ليـل توقد مصابيحه ، الا ان تكون الوطاويط ، ولا تفعل شيئا مما يصفه صاحب قصة « الثمن » .. والثمن هو ثمن العرض ، الذى باعته ام مكرهـة ، لتشترى دواء لولدها ، وهى قديمة ، وقد اخرجت هنا اخراجا فجا ، فهذه الام رفضت الزواج بعد موت زوجها رغم العروض المغرية ، وابنها المصدور يبصق دما اسود ، وهى تسقط فى لحظاته الاخيرة ، حتى لقد مات وقتما كانت تقبض الثمـن لتشترى له الدواء .. فكيف تحول شعور الام بمفاجاة غريبة ، بعد فوات الاوان ، وفى لحظـة لا ينفع فيها بيع ، ولا شراء ! ! والتحكم الساذج فى الظـروف حتى يستحيل الاقتراض ، ولا توجـد مصحـة ، ولا مستشفى ، وهى ساكنة وجالسة تطل من الشباك ، وزجاجة الدواء فارغة .. فكيف كان ذلك كله ، من ام حزمت امرها منذ سنين ، ورفضت الزواج باصرار ، وعكفت على تربية ولدها !! انها ظـروف مصطنعة ينقصها ايسر الحبك ، وابسط مظاهر الطبيعية .. يا سيد لا تغضب اذا لم تجد « الادب » مجالا لنشر هـذه القصة ..

* ووصلت ((احزان)) لسيد نشرت له « الادب » كذلك اكثر من قصة . . وقد عنونها ، لوحة قصصية وهى ثرثرة مزين ، اجاد الكاتب فى ان يملأ بها صفحتين كبيرتين فى موضوع ، وبالحاح حـلاق يستطيع الا يكف عن الكلام ويجد دائمـا كلاما من هنا ومن هناك وفيما وراء ذلك ليس فيها شىء قصصى سوى شـكوى المزين من طلب ابراهيم ابنه بدلة جديدة عن العيد .. وكانت هذه الدردشـة فرصة لنوع من شكوى المزين ، ولكنهـا

جاءت شكوى مبهمة مجملة ليست فى شىء من النقد او النظر الدقيق .

* ووصلت « **الى اين يا أمى** » لسيد قدمت له « الادب » غير مرة ويسرها ان تلمح تحسنا فى محاولاته وتفسيرا فى اسلوبه يدنو به من روح اللغة وتخف او تمحى اخطاؤه النحوية واللغوية والاملائية وان كان لايزال فى حاجة الى غير قليل من التذوق اللغوى الذى يتميز فى من يستعمل لغته الام فيفترق عن الغريب الذى يستعمل غير لغته فيخطىء المعانى الاستعمالية للكلمات والصيغ ويقف عند المعانى المعجمية ولذلك مثل صغير فى تعابير صاحب « الى اين يا أمى » هو قوله : « تفسير الوضع راسا على عقب » فان الراس والعقب يقالان عندما ينقلب الشىء او الامر فيكون راسه فى مكان الرجل والتغير ادب المناسبات ليس له ما للفن من خلود اقل كثيرا من الانقلاب والانعكاس . . وكذلك تراه يستعمل العقل الفصيح فى المعنى العامى ، فيقول : « وهم فى سيره اى اسرع والهمة فى معناه الاستعمالى شروع او ما يشبهه لا سرعة .

واذا جاوزنا التعبير الى اللمحة الفنية وجدنا آثار يقظة لاباس بها ، فاللقطة لحالة الفتى حين يفهم ما حوله وتكون امه هي التى تعوله وهى فى سن غير متقدمة ولها آمالها فى الحياة فتصرفاتها الانثوية متجهة الى الرغبة فى المتعة والولد المميز يتاذى بمنظر ذلك ويسىء تفسير الحركات والتصرفات ويلح عليه الشك ويقسو ، فلا يسهل عليه ان يفاتح امه فى شىء من ذلك . . ويبدو اخيرا ان الام ترمى الى هدف عملى حيوى مشروع غير معيب .

ولكن هذه اللقطة لم تتهيا لها مقومات القصة القصيرة بتسليط الضوء على الجانب الحساس منها وتوجيه الانتباه الى ذلك الجانب ، فقد ذهب بلثا ما كتب فى وصف حال الابن ، بالقول المسرف فى الاسهاب والحركة الكثيرة والدخول والخروج والتعرج . . و . . و . . مما لا يركز شعور القارىء نحو الجانب الهام وهو المثير من حال الام فى موقف او مواقف يتجسم فيها احراج الابن .

والى ذلك ترى حركات الام والابن ايضا وحديثهما يبدو فيها تكلف وبعد عن طبيعة مثلها . . لاتزال اللقطة صالحة للعرض باقوى من هذه الطاقة . . فتقدم ايضا .

* ووصلت « **المجنونة** » للسيد ع.م كما رمز الى اسمه واخفاه والتقليد الصحفى لايجيز اخفاء الاسم على الشريك فى المسئولية وهو الصحيفة ورئيس تحريرها ، وقد عرضت « الادب » لهذه المسألة مرة قبل الان ولكنها احتملت اخيرا مسئولية المجهول ونشرت شعره ولئن فعلت ذلك الان فقدمت قصة المتسترفانها لتؤثر الايتستر عليها ابناؤها واصدقاؤها ولا سيما حين يرون انها تقوم فى هذا الباب ولا تسمى ولا تعين . وما كتبه السيد المتنكر حافل بالاخطاء ، من مثل خزنك الله . . وما زالت بى شيئا ان لها ولد . . تحت جناحها . . خمسة عشرة عاما واشباه ذلك والخطأ اللغوى فى مثل : ثبات « نوم » عميق . . وغشا الطريق . واما وضع الالفاظ فى الموضع النابى بها ، البعيد عن مرادها فله نصيب كذلك فى مثل تهب بعكازها ضربا . . . والسيارة تنهش . ومع ذلك مالا بد منه من خطأ الرسم ثم لا شىء بعد ذلك من قصة او ما يشبهها فليس فى الصفحات الخمسة المكتوبة الا مجنونة تحدث نفسها وهى ضالة فى الطريق الى قريتها اثر مغادرتها مستشفى الامراض العقلية . . ولكل اولئك نرجو السيد المتنكر ان يعمل كثيرا . . وكثيرا قبل ان يفكر فى الارسال الى صحيفة ادبية . . فاذا ما استحق ان يراسل فليجهر وليذكر اسمه .

ونكتفى بهذا معتذرين اقوى العذر واصدقه عن الكثير المتراكم من البريد .

أمين الخولى

رسالة الأزهر

فى القرن العشرين

كما كتبت سنة ١٩٣٦

الطبعة الثانية

تحية .. وذكرى

تحية :

لارواح مشايخ الاسلام المرحومين :

المراغي ، ومصطفى عبد الرازق ، وعبد المجيد سليم .

ولروح شيخ القضاة عبد العزيز فهمى

اولئك الذين كانوا ـ وكنت معهم ـ أعضاء لجنة التحكيم فى مسابقة ((رسالة الازهر فى القرن العشرين)) سنة ١٩٣٦ ..

فكانت اللجنة صورة لتيارات التفكير المختلفة ..

تاريخ :

هذه الرسالة التى بين يدى القارىء طبعتها الثانية انها كتبت قبل ان أشترك فى لجنة التحكيم ، وقبل أن تقدم أعلنت اسماء أعضاء اللجنة ، فوجدت اشتراكى فى الحكم مانعا من اظهارها .. على حين كانت ماثلة أمامى فى تحديد الموضوع وتقديره .. حتى صدر الحكم ، فاهديتها للازهر ـ وطبعها الطبعة الاولى ووزعها .

وذكرى :

ما جرى من مناقشات طويلة قوية فى لجنة التحكيم من حق التاريخ أن يعرف شيئا منها .. فقد جرت مناقشة حول ما فى هذه الرسالة عن رسالة الازهر الاجتماعية مع عد رسالته الدينية ، وكان التفريق بينهما عند بعض الاعضاء صعبا . . لكنه اليوم ابين وأوضح ، أو ليس موضعا لصعوبة .

وجرت مناقشة اطول واعمق حول عدم تفرد الازهر فى الخطوتين : الابتدائية والثانوية ، وشقت الدعوة الى توحيد التعليم ، على غير واحد من الاعضاء .. ولكنها اليوم بحيث لا ينبغى ان يجرى حولها خلاف .

وجرت بمناسبة توحيد التعليم فى مراحله الاولى مناقشة حول النجاح العملى الذى يمكن ان يحرزه المثقف ثقافة دينية ، مع الثقافة العامة ، ولم ير بعض الاعضاء هذه المشاركة مجدية .. وهو مالا موضع للخلاف على شىء منه اليوم .

واليوم :

قد تجرى المناقشة حول مافى تلك الرسالة من الا تكون بالجامعة الازهرية كليات العلوم التجريبية .

ومن حق التاريخ الاشارة الى ما قيل حول هذه المسالة من توجيه وبيان ، لم يخرج عن هذه الرسالة ، وهو توجيه يكشف عن الحلول العملية فى اعداد التلميذ المهيأ لجامعة الازهر ، اعدادا متميزا بخط واضح من الثقافة اللغوية والاسلامية ، مع مشاركته التامة فيما يتلقاه زملاؤه من ابناء الشعب فى مراحل التعليم العامة ، بحيث يستطيع هذا التلميذ ذو الصلة بالازهر فى تعليمه ان يمضى قدما فى الدراسة الجامعية ، باى كلية من الكليات العلمية والتجريبية ، ولو لم تكن فى الازهرية بالكليات النظرية ، فى مستواها الجامعى الطابع تماما .

وسيتكشف عند التنفيذ وبالتجربة الفعلية ما هو موضع الصواب فى ذلك .. فندعه اليوم لتصريف الزمن ، كما تركنا بالامس البعيد ما كان موضع الخلاف مع اعضاء اللجنة حتى قضت له الايام بتجربتها الفعلية .

١٩٦١/٧/٥

امين الخولى

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الازهر فى القرن العشرين

فى اى قرن ؟

يمثل الازهر الساعة لعينى . بشامخ مآذنه . تزين رؤوسها الاهلة . مفتحة للسماء . كانها اعين بهرها النور الالهى . وطراز عمارته يحدث عن صلته بالفاطميين . واضعى اساسه . الذين عرف الاسلام الهلال فى شعارهم . والقاهرة من حوله ترمق املها . فى خضرة العلم . وتتبين مستقبلها على ضوء هلاله . فى هذا الجو القمرى يتمثل الازهر . فيأبى القلم ان يمضى فى الحديث عن رسالته . دون ان يداعب عنوانها الرسمى رسالة الازهر فى القرن العشرين . اى القرن الشمسى الميلادى . وكان احرى به ان يكون القرن الرابع عشر الهجرى . او العاشر القمرى من حياة الازهر .

على ان الدعابة لا تخلو من خير . وقد كان عليه السلام يمزح ولا يقول الا حقا . وهذا الازهر الشرقى القمرى . تنوشه . قوى شمسية ميلادية غربية اوربية . عليه — ولا محالة — ان يعد نفسه لها . فلعل هذا العنوان الرسمى يوحى الى الكاتبين عن رسالة الازهر . ان يقدروا تلك العوامل الهامة التى تصرف الحياة اليوم وتملأ الجو الذى يتنفس فيه الازهر .

اجمال وعموم :

والكاتب فى رسالة الازهر : سيتحدث عن نتائج ، ويشير الى غايات . دون ان يعرض للمقدمات او الوسائل التى هى فى الحق طريق تبليغ رسالة الازهر وكيفيتها ، لا الرسالة نفسها ، فليوطن القارىء نفسه على ان لايسأل عن التفاصيل والمناهج والوسائط والخطط . لانا انما نتكلم عن الرسالة ، لا عن تبليغها وادائها وكيفية ذلك .

الازهر :

يظهر بادىء الراى ان الازهر معهد علمى ، ومركز دينى ، ولكنه ليس كذلك فقط ، بل هو بيئة اجتماعية باعم ما يفهم من تلك الكلمة ، بيئة لها من ماضيها وتقاليده وتاريخها واحداثه ، العمل البارز فى توجيه السياسة المصرية ، والاسلامية ، وتسيير الحياة المصرية ، والاسلامية . فى انماطها ونظمها ، وغاياتها وعاداتها ، وذوقها ومزاجها فللازهر بذلك نواح ثلاث :

(١) علمية . (٢) دينية . (٣) اجتماعية .

ولابد ان يتناول الأزهر من هذه النواحي كلها . ليسلم الراى فى مهمته او رسالته الحديثة . ولو رحنا نتخير باى النواحي نبدأ ؟ لوجدنا الناحية العلمية قد ميزت علومها ونظمها الناحية الدينية حتى ليحسن ان يقدم الحديث عن الثانية . ثم لوجدنا الاسلام لا يفصل بين الدين والدنيا ، ولا يبعد الدين عن الحياة العاملة . فناحية الازهر الدينية تتصل بالناحية الاجتماعية . وتؤثر الثانية فيها . وليس الدين الا ناحية اجتماعية خاصة . ومعرفة العام اسبق . وعلى هذا يقدر البحث فى رسالة الازهر فصولا ثلاثة ترتب هكذا :

(ا) الازهر من حيث هو بيئة اجتماعية ورسالته اليوم فى ذلك
(ب) الازهر من حيث هو مركز دينى ، ورسالته اليوم فى ذلك
(جـ) الازهر من حيث هو معهد علمى ، ورسالته اليوم فى ذلك

وفى هذه النواحى الثلاث لابد للباحث من ان يقدر ما افاد الازهر طوال ذلك العمر من تجارب وما كسب من مزايا ، وما لاقى من مصاعب ، الى جانب ما جد فى الحياة اليوم من عوامل ، حتى يتصل الماضى بالحاضر . ويسلم الراى من الوهن ما شاء الله ان يسلم .

رسالة الازهر الاجتماعية

اذا كانت الجامعات ومعاهد العلم العالية هى التى تخط المستقبل وتقود الحياة وتوجه الجماعات . وتغذى النهضات . فالازهر له من هذا نصيبه . الى نصيب آخر تاريخى عملى ليس وليد هذا النظر الحديث فحسب . بل هو ارث تاريخى للازهر . فلقد اسس أول ما اسس ، دعاية لدولة جديدة فى حياتها السياسية بمصر ، وجديدة بحياتها الاعتقادية . ومبدئها السرى وما الى ذلك مما عرف عنها . ثم مضت هذه الدولة . وادال الله لغيرها فكان للازهر وأهله دائما منزلة كبيرة فى ترجيح كفة على كفة . انما لانه المعهد العلمى الوحيد الذى يقوم على تثقيف العقول فيكون ابناؤه اصحاب الشأو فى الحياة السياسية .

واما لما تمسك به اهله من كرامة العلم والدين ، وتقريرهم انه على الاكابر تحكم العلماء . وهكذا كان الازهر فى العهد العثمانى كما كان فى عهد المماليك ثم عصر الفرنسيين وحكم محمد على : كان يشارك فى السياسة المصرية مشاركة فعلية ، بل كان الازهر فى كل أولئك العصور . يفرض على الحياة المصرية فى سائر صورها ، طابعه الخاص ، ويحددها بما يتراءى له ، ولا يزال كذلك الى اليوم . رغم محاولة الحياة العصرية التفلت من ضغطه : واظهاره وأهله فى مظهر غير المتصلين بالحياة ، فاهله يستنكرون . ويقاومون . ويحرضون على ما ينكرون . فيستمع لهم غير قليل من الجمهور ورجال السلطان . وهكذا ظل الازهر دائما عاملا ايجابيا ، أو سلبيا فى قيادة الحياة الاجتماعية المصرية ثم الاسلامية . وبيئة خاصة لها لونها واسلوبها . تؤثر فى الالاف المؤلفة من المصريين . وترسم حياتهم . ومثلهم العليا . ومدى نشاطهم . وآفاق رغائبهم .

وليست الظروف الجديدة فى الحياة المصرية بمانعة الازهر من ان يظل ابدا تلك البيئة الاجتماعية . ثم البيئة التى بمنجاة من أسباب الجور على المصرية ، وعوامل افساد الشرقية والاسلامية . وهى النجاة التى لاتتهيأ الآن لاى بيئة مصرية اخرى ، فهاهى ذى ميادين النشاط العلمى والفنى والعملى فى مصر يطغى عليها النفوذ الاجنبى ، وروح التغرب الجارفة ، حتى ليكون تنازع الثقافات والاتجاهات المتضاربة للدول

المختلفة والشعوب الاوربية المتعددة صراعا حادا عنيفا تسنده الظروف والملابسات السياسية . فى الموظفين عناصر اجنبية . وخبراء اجانب و .. و ..

وفى العمال رؤساء اجانب . ومدربون اجانب . وفى الفنيين كذلك . وفى الجامعة المصرية اساتذة اجانب من جنسيات مختلفة ،واتصال بأوربا لا يابى الاندماج والتقليد المطلق . وفى المدارس الثانوية معلمون اجانب . وفى كل فروع الحياة المصرية . على حين نرى الازهر بحكم ظروفه الدينية والتقليدية بيئة بعيدة بعدا فعليا عن هذا النفوذ كله .

ولا ننكر ان الازهر يتاثر من ذلك بغير القليل.. ولكنه فى هذا آخذ له شبه اختيار وفيه من اسباب المناعة ما يحمى شخصيته . ورغم كل تاثر لايزال يهيب به ماضيه وحاضره . ومركزه وتدينه . ان يكون منطقة مصرية محضة شرقية محضة اسلامية خالصة . قدر ما تستطيع المصرية ان تعتز بنفسها والشرقية أن تحتفظ بكيانها . والاسلام ان يعز ويغلب . أمام ما يغمرنا من روح غربية . ودعوة قوية الى الاقتباس المطلق للمدنية الاوربية .

ودون ان نناقش اصحاب الراى القائل بهذا الاقتباس التام للمدنية الاوربية فى الحياة كلها . ودون ان نبين ان دعاةهذا الاقتباس قد عدلوا الآن بحكمالواقع الاقتصادى والجهاد السياسى الى التمسك بالشخصية المصرية والقومية الشرقية . وجنحوا الى موالاة الامم الشرقية المجاورة ، لشركتها فى الدم والنسب واللغة والدين . ودون ان نتدخل بين المقتبسين لكل شىء او المقتبسين لبعض الشىء من تلك المدنية او نعرض للفصل فى شىء من هذا نقول :

ان هناك – على كل حال – مقررات شخصية خاصة بكل جماعة لابد ان تتميز فيها عن غيرها . ولا مفر للانسانية من التخالف فيها . مهما تنجح دعوة الوحدة البشرية .. تلك هى الاعتبارات والمواضعات التى تقوم على اصول مادية من البيئة الطبيعية ، والتى ايدت التفارق فيها مؤثرات للبيئة المعنوية المتوارثة ، فتفارقت بتفارق مناطق الارض . وتمايز تواريخ الامم . وكانلكل شعب مزاجه وفنه وعاداته ونظمه واساليب حياته ... الخ حتى لا محل لاقتباس ما يمس هذه الاشياء من مدنية اخرى كما نقول للمختلفين فى الاقتباس : ان الروح القومية تجتاح العالم اليوم ، وتبنى بغيرتها وعصبيتها الكيان الخاص لكل شعب ، وانها لروح لا مفر من تقديرها . وملاحظة ان قادة الامم جميعا يعملون على انهاضها واذكائها ، لا على احترامها فقط . فاذا ما اراد الشرق اليوم أن يشارك فى الحياة . ويدخل حلبتها ، فلا مفر له من ان يقوى بهذه القومية ، يبثها فى النفوس ، ويشدد بها العزائم ، فما القومية الا الشعور بالذات ، وحماية النفس ، والغيرة على الكرامة . وليس شىء من ذلك لو اتزن واعتدل يعارض الوحدة الانسانية ولا يقف فى سبيل الدعوة اليها أو تحقيقها .

فاذا ما كان الازهر بامسه ويومه يستطيع ان يحمى الروح المصرية الاسلامية الشرقية فان له بذلك رسالة اجتماعية هامة بعيدة الاثر تهيىء لمصر والشرق فرصا فعلية فى الحياة . وعليه اذن ان يحمى احساس مصر والشرق الاسلامى بذاتهما . ويحمى الذوق المصرى والشرقى الصالح ويحييه ؛ ويحمى الفضائل العملية المصرية والشرقية . ويحمى العادات المصرية والاسلامية الصالحة للبقاء . وينظر فيما يراد اقتباسه ويتدخل فى هذا الاقتباس التدخل المتعقل المتبصر على ضوء الاسلام والمصلحة

فيحدده ويشجع الصالح منه ويقاوم الضار الفاسد . الى غير ذلك من عمل حكيم فى الميدان الاجتماعى ليس هنا القول المفصل فيه . والبرنامج المطول له . بل نكتفى بان نقول : ان رسالة الازهر الاجتماعية فى القرن الرابع عشر . أو القرن العشرين . انما هى **ان يحمى الروح القومية لمصر والشرق الاسلامى حماية عاقلة متبصرة متدينة لا تقف عند القشور ولا تعنى بالتافه .**

وفى سبيل هذه الحماية يحتفظ **هو لنفسه بالطابع المصرى الاسلامى ثم الشرقى النافع الذى لا يعوق الحياة فى تجددها المادى ونشاطها العملى مقدرا نواميس الاجتماع وقوانين الحياة ، غير واقف فى طريق شىء من ذلك أو معارض الا على أساس من النظر البعيد والوزن الدقيق .**

رسالة الازهر الدينية

, للازهر صفته الدينية الواضحة ، التى تقضى على من ينتسب اليه ـ طالبا أو خريجا ـ أن يحكمها فى سلوكه وحياته .

واذا ما قلنا الدينية فانما نشير الى ما للاسلام من صلة بالحياة وتدخل فيها . وعمل على اصلاح عاجلها وآجلها . وجلى ان الاسلام لا يخلق تلك الطبقة التى تقوم بالوساطة بين السماء والارض . ما تربطه على الارض يربط فى السماء ، وما تحله على الارض ينحل فى السماء . ولا يعرف تلك السلطة الدينية التى تقوم بتوقيع العقاب الحرمانى فى الدنيا وتستأثر من ذلك بما يرهب العقل الطليق ، ويفت العزم الوثيق ، ويفسد الذوق الدقيق . كما ان التدين فى الاسلام ليس تلك العصبية المقيتة المعتمة الأفق التى تحتقر الآخرين ، وتنزلهم عن مرتبة الانسانية ، أو تنكر صفتهم البشرية ، وان دافعت عن الحوزة الاسلامية من يبغى تخطفها من الاعداء ، ويعوق حياتها ونماءها فالتدين الاسلامى انسانى القلب . نبيل العاطفة . يؤيد التعاون البشرى . ولا يعوق الاخاء الانسانى . ومن هذه الصفة يشتق الازهر صفته الدينية . ويتبين رسالته الدينية .

فاذا ما قلنا ان للازهر صفة دينية . فلسنا نقول ان له سلطة دينية كالسلطة الكنسية . ولسنا نقول انه بيئة دينية تزعم لرجالها من الامتياز والتفضيل ما هو أناني مثير . خالق للمشاكل . مفرق للوحدة . حائل دون السياسة الصالحة وتدبير الشئون المصرية أو الشرقية .. بل نثبت للازهر الصفة الدينية التى شعارها الخلقية السامية . والنشاط العامل . والتسامح الكريم والعزة النفسية . وليس شىء مما اسلفناه يحتج له او يجادل فيه . بل نحن بحول الله وسماحة الاسلام ، واثقون من ان أولى الراى فى الازهر وفى مصر لن يشاحوا فيه أو ينكروه .

واذا ما كانت تلك هى الصفة الدينية للازهر . فما الرسالة الدينية للازهر الا رسالة اجتماعية خاصة بعد رسالته الاجتماعية العامة التى اسلفنا الحديث عنها .

وعلى هذا الاساس نسائل الواقع . **اين مكان الحياة الدينية بهذا المعنى الاسلامى فى حياة المجتمع المصرى . والمجتمعات الشرقية الاسلامية الاخرى ؟** وواضح انا بصوغ السؤال هذه الصياغة ، قد تخطينا سؤالا آخر يتقدمه ، وهو : هل للحياة الدينية

بهذا المعنى الاسلامى مكان فى المجتمع البشرى ؟ والحق اننا جاوزنا هذا السؤال . وان كان قد يعرضه ويتشدد فيه بعض الذين ينظرون الى الاسلام نظرهم الى غيره من الاديان ، او ينظرون الى بعض عمل المسلمين ، او المنتسبين الى الدين — على انهم رجاله — فى عصر من عصور التاخر والانحطاط الاجتماعى الشامل لمظاهر الحياة كلها فيقولون مع الشيوعيين اليوم مثلا ، او مع متطرفى المفكرين : **انه لا مكان للحياة الدينية فى المجتمع الانسانى .**

فتخطينا هذا السؤال ولم نبدأ به ، لان الفكرة ولا سيما بالنظر الى الاسلام بخاصة ، خاطئة باطلة الاساس ، ما دام البحث النفسى يبين لنا ان التدين حاجة نفسية بشرية ، بل لو لم يكن هذا التدين حاجة نفسية لكان له فى حياة المجتمع مكانة ، ما دمنا نرى للاخلاق الفاضلة والآداب الكريمة مكانا فى هذا المجتمع . ويدا فى اسعاده وترفيهه . فما من شك فى ان التدين اداة صالحة قوية الاحساس بعيدة الاثر الصالح فى التربية الخلقية واصلاح النفوس وطمأنتها . وكبح جماحها . والامر فى ذلك أوضح من ان يتوسع فيه هنا باكثر مما قلنا . والآن نجيب عن سؤالنا الاول . مكان الحياة الدينية الاسلامية فى الجماعة . فنقول : ان هذا المكان وتلك القيمة وحدود العمل الذى تتولاه الحركة الدينية ويختص به رجالها فى تسيير المجتمع . انما يستبين بالنظر فى توزع حاجات الشعوب بين افرادها ، واختصاص كل قبيل منهم بنصيب فيها . فالحماية المادية للوطن وسلامته تقوم بها طائفة الجند . والنظام العام والامن تصونه الشرطة . والعدالة وحسن توزيع الحقوق يصونه القضاة . والصحة وسلامة بناء الافراد يقوم به الاطباء . واعداد الجيل الخالف يقوم به المعلمون . والحاجات المادية تديرها الطبقة العاملة . وهكذا . وعلى غرار هذا نستبين :

أن حماية الاخلاق والآداب بوازع نفسى . وعلى يد طبقة لها حرمة قلبية ، وقوة معنوية ، وتصحيح الحياة الاعتقادية لانفس أفراد المجتمع . واظهار اثرها بتصحيح الاعمال التعبدية ، انما يقوم به الدين .

ذلك هو عمل الدين والمنتسبين اليه ، وجدوانا بهذا مساوية ، او هى اكثر مما نفيده من الهيئات الاخرى فى حماية الحوزة . والنظام . والعدل والجسم . والعقل . لان طهر النفس وسلامة القلب ومتانة الخلق اقوى واصح اساس تقام عليه هذه الحمايات كلها . وليست الجماعة الا خلقيتها . وتلك قضايا مقررة لا مشاحة فيها .

واذا عرفنا مكان الحياة الدينية الاسلامية فى الجماعة . وعمل الفئة الدينية . فمن الحق ان نقول : ان شيئا من ذلك لا يتحقق الا اذا شعرت الجماعة نفسها بتلك الحاجة . ووجدت مساسها بكيانها ورات صنفا خاصا متميزا من الناس يحيا حياة دينية مثالية صالحة يقدم لها بها القدوة ، ويقوم على حماية هذا الكيان . كما تجد لكل طبقة من الطبقات التى وزعت بينها مرافق الحياة المادية والمعنوية صفات واخلاقا وميزات خاصة بها واضحة فيها تهيىء لها المقدرة على القيام بنصيبها الذى تفردت به ، فتحقق بذلك وجودها ، وتثبت كفايتها لما تفردت به . اعنى : ان تخصيص الحياة الدينية فى القرن العشرين بمكان متميز محترم ، معترف بوجوده . انما يقوم على فئة دينية ، لا اسميها رجال دين تفاديا لخطر السلطة ، وسوء الاحدوثة الذى عرفه التاريخ قديما لمنتحلى تلك السلطة فى الاديان ، فلهذا اسميهم اهل الدين ، او اقول : من هم اهل الدين . او من هم الدينيون ؟ .

اما الرجل الديني .ذو السلطان الروحي المصطنع . المتدخل في السياسة . المسخر سلطانه هذا لتأييد لون من الوان السلطة الدنيوية . فقد برمت الانسانية به . واعتقدت اليوم انها فرغت من حربه . والاسلام نفسه لم يعترف بوجود هذا الرجل ولا هذه السلطة . ولن يفلح المنتمون للاسلام اذا ادعوها .

واما الديني الزاهد المنقطع المترهب المعتزل للدنيا . فالحياة الحاضرة لاتطيقه ولا تريده . والاسلام لا يطلبه . ولا يرضى من زهده الا بما يكون مصلحا للحياة مرقيا لها .

فالديني المراد غير هذين . هو رجل تميزه بين رجال الطبقات الاخرى ، **خلقية دينية اسلامية . وغاية للحياة اسلامية ، وترفع اسلامي ، ومشاركة في الدنيا وشئونها على نحو ما ابتغى الاسلام من اهله** . ولعله يزيدنا جلاء لصورة هذا الرجل أن ننظر في فئات من الطبقات الاخرى نتعرف دستور حياتها واصول معيشتها . وما نفترق به جماعة منها عن جماعة أخرى . فنعرف ما ينبغي أن تتمايز به حياة الطبقة الدينية بين الطبقات الاخرى من القائمين بسد حاجات الجماعة البشرية .

ننظر مثلا فنرى : الجنود طبقة تقوم حياتها على البذل الدائم للروح ، والاستعداد المستمر لتلبية نداء الوطن ، والرحلة الى المجهول من النواحي والمعروف ، والمقام في الخيام أو المبيت في الماء ، والامتثال التام والطاعة العمياء ، وفي اليوم الذي يفكر الجندي فيه في حياة قارة ، ومساواة مع غيره من الهيئات في البعد عن الخطر ، أو النأي عن مواطن الموت ، أو يطمع في مثل حق غيره من حرية الرأي والتدبر والاقتناع قبل الامتثال ، أو ما الى ذلك . . في هذا اليوم يبطل في الجندي معنى الجندية تماما ، ويفسد وجوده ، وتطرده بل تقتله الجماعة .

ثم ننظر فنرى القاضي : يقوم عمله على التحري والتثبت والاستقلال المطلق في الرأي ، والبعد عن كل تاثير ، وازاحة كل ما يشغله أو يشتت فكره ، أو يتقسم عواطفه ، فتدبر حياته المادية تدبيرا مرضيا ، ويوقى الانتقال المفاجيء بحكم السلطة حتى لايرتفع عن العزل . وليس يتمتع الجندي بشيء من ذلك . وحينما يطالب القاضي بطاعة الجندي ، أو يطلب القاضي سلاح الجندي أو مظهر الجندي وسطوته يخرج بذلك عن طبيعة عمله فيفسد وتفسد به الجماعة .

ثم ننظر كذلك فنرى الطبيب يعتمد على مكافحة الامراض والتصدي للعدوى ، وخوض غمرات الاوبئة ، والاستعداد الدائم لاجابة داعي الانسانية ، والاصاخة لصوت الاستغاثة . وله في ذلك ما يبذل من مال وافر وثراء عاجل ولو طلب الطبيب مثل راحة القاضي ، وبعده عن مخالطة الناس . أو مثل سطوة الجندي ومظهره . لشقيت به الجماعة وانكرته ، كما تشقى بالقاضي او الجندي أو المعلم حين يطمع في مثل أجر الطبيب المادي . وهكذا تتميز طبقة المعلمين ، وطبقة الزراع ، وطبقة العمال على اختلاف عملهم . . كل طبقة لها دستور حياتها ، وفضائل عملها ، كما ان لها مصاعبه ومزاياه . وليس يستقيم نظام الحياة ، اذا طمعت طبقة فيما لأخرى . . او وازنت متاعبها بمتاعب الاخرى ، أو اختلطت صفاتها بصفات الاخرى ، فعلى هذا الاساس تتميز طبقة الدينيين ، ويكون لحياتها طابعها الخاص ، وخلقيتها الخاصة ، ومزاياها الخاصة ، ومتاعبها الملائمة لمهمتها . . فما بيان ذلك كله ؟ . .

اهل الدين الذين يريدهم العصر ويريدهم الاسلام هم اولئك الذين تقوم حياتهم على الغيرية ، والتفكير فى الجماعة ، امرا بالمعروف ، ونهيا عن المنكر . فى خلقية عالية مترفقة شعارها (الله اكبر) لا تخشى فى الحق لومة لائم . تقوله وتنصره بيدها ولسانها . ولو جار عليه اقوى الناس ، واشدهم هيبة ، واعظمهم رهبة ، وهم البعيدون عن التناحر المادى . والتنافس على حطام الحياة ، قد اشتركوا فيها لاسعادها واعزازها ، لا لاغتنامها واقتنائها . يرفعون الحياة ويسيرونها ويصلحونها ويدبرون معانيها فى غير جشع ولا حرص ولا كلب على مادتها . لهم من الحياة حظ الاستقرار والكفاية ، والترفع عما فى ايدى الناس . ولا عليهم اذا لم يكونوا فى غنى التاجر او الزارع ولا لهم مثل وفره . ولا فى سطوة الجندى وهيبة القاضى لانهم خلطاء الناس ومواسوهم القريبون من نفوسهم الحبيبون الى قلوبهم . لهم عليهم حرمة الدين وشرف التقوى وهيبة الصلاح . لا سطوة الحكام وابهة الآمرين ومخافة المتصرفين ولهم عندهم من المزايا والمكارم ما يؤمن شيخوختهم ويربى بنيهم ويصون فى كل ادوار الحياة كرامتهم . ولو لم يصيبوا بعد ذلك وفرا يورث . ولا مالا يتأثل . وان سعوا لاصابة شىء من ذلك ، فبمشاركة نبيلة فى شئون الحياة لا بصفتهم الدينية ، ولا بمراكزهم المعنوية .

فليس لاهل الدين ان يزاحموا فى الدرجات والاقدار ، ولا ان ينافسوا فى التسوية برجال الجيش او رجال القضاء ، او الاطباء او المهندسين . لكن لهم فوق ذلك حرمة التقدمة والتكرمة والصيانة والرفعة عن مواطن الحاجة او مس الكرامة . وعلى الجماعة أن تدبر لهم هذه الحرمة وتمنحهم من المزايا ما تقوم به كرامة حياتهم . ولا عيبها ان تمنحهم من الرواتب ماتقوم به مساواتهم للوزراء او الرؤساء .

وهكذا يكون لاهل الدين من التواضع ما ربما لا ينزل اليه غيرهم . حين لهم من الكرامة مالا يرتقى اليه غيرهم . غير طامعين فى حطام الدنيا ولا منافسين فى سبيله ، حين لا يطمع غيرهم فى تيسير الحاجات وكفاية المطالب من مرافق الامة ومنافع الحياة فى مدارسها ، ومستشفياتها ، ومواصلاتها ، وما الى ذلك ، يميزون فيه بما تحتاجه حياتهم . حين لا يمنحنون ما تحفظ ايديهم او تحبس خزائنهم . وعليهم ان يقنعوا الجماهير انهم ارفع من المادة . واكرم من المال واشرف من الغنى . واعز من الرتب . وانبل من الالقاب . وان عزة الدين . وشرف الخلق . وسعادة الضمير . قد عوضت عليهم كل مافاتهم من مظاهر الدنيا . بل اربت على ذاك وزادت .

واذ ذاك تشعر الجماعة المصرية ، والجماعات الاسلامية فى انحاء الشرق والغرب ان هناك فئة تقوم على حماية التدين وفضائله فى الحياة ، وان المجتمع فى شديد الحاجة اليها .. وهكذا تتبين ان رسالة الازهر الدينية :

هى حماية التدين ومحامده الاجتماعية حماية فعلية وتمكين الانسانية من ان تسعد باثر هذا العامل فى الحياة ، ويكون ذلك بالتدبير المحكم فى التعريف بالدين ونشر الاسلام على يد رجال لهم الصفة الدينية المتميزة ، بين طبقات الجماعات البشرية فى خلقيتهم واسلوب حياتهم ، حتى يكونوا صورا من القدوة الحية فى المشاركة العامة المترفعة النبيلة الغالبة للشهوات ، السعيدة بالمعنويات .

رسالة الازهر العلمية

قبل الافاضة فى شرح هذه الرسالة يجب ان نعرف . انتحدث من الازهر من ذلك المعهد العالى . والجامعة الاسلامية ؟ ام نتحدث عن الازهر باقسامه الحالية فى خطى التعليم المختلفة ؟ . . ونصوغ هذا السؤال فى صورة اخرى . فنقول : اخير للازهر ان يتفرد ويتميز فى دراسته العالية ؟ ام خير له ان يأخذ طابعا خاصا فى جميع خطى التعليم ؟

والذى يبدو لى : ان عدم تفرد الازهر فى الخطوتين الابتدائية والثانوية من التعليم هو الاولى به وبمصر . اما ان ذلك الاشتراك اولى . فلئلا تكون الحياة الدينية بمعزل عن الحياة العامة . فيشيع الشعور ببعد المتدين والمتدين عن الحياة ومازجتها . ويظن ذو الرغبة الطامحة فى النجاح العملى أن ذلك لا يكون مع التمسك بالدين . ثم لان اداء الازهر لرسالته الدينية انما يهون ويسهل وينجح بالقرب التام من نفوس افراد الشعب وازالة كل فاصل بين رجل الدين وبينهم ، ليكون أهل الدين اقدر على التأثير فى نفوسهم ويكونوا هم اقبل للتلقى عنه والتأثر به .

واما ان ذلك الاشتراك فى خطوتى التعليم اولى للامة ، فلانه يوثق الوحدة بين ابنائها ، ويوحد مثلهم فى الحياة ، ويقرب تضافرهم على العمل المتحد فى رفعة الوطن ومجده . . ولا يسبب تفرد الدينيين فى التعليم اختلاف غايتهم فى الحياة واختلاف أسلوبهم العملى عن غيرهم .

فكما يفترق دستور الحياة الهندسية وروحها . عن دستور الحياة الطبية وروحها دون ان يبتعد الطبيب عن المهندس . والعكس . كذلك يتميز دستور الحياة الدينية وغايتها ، دون ان يبتعد الدينيون عن غيرهم من الهيئات . ولا سيما فى الاسلام الذى لا يعزل رجل الدين عن غيره .

وكذلك فان هذا الاتحاد فى الخطوة الاولى من التعليم ، يجعل الازهر معهدا عاملا فى مقاومة الامية بمصر . ومشاركا فى رفع المستوى العقلى أكثر مما لو افرد الازهر بتعليم ابتدائى خاص . لاينتفع به انتفاعا عمليا من يشق عليه ان يتم تعليمه الدينى حتى نهايته .

على انى حين أرى مسايرة الازهر للنظام العام فى التعليم الابتدائى والثانوى او القسم الاول منه أرى فى الوقت نفسه ان اقيد ذلك بقيود اشير اليها هنا اجمالا تاركا التفصيل لموضع القول فى اداء هذه الرسالة لا فى بيان الرسالة نفسها . . فمن تلك القيود :

١ ــ ان يحتفظ الازهر فى الابتدائى والقسم الاول من الثانوى بطابعه الدينى بشكل أوضح واقوى مما قد يكون فى المدارس العادية ، فتكون له العناية المدبرة بالتربية الدينية لتلامذته .

٢ ــ ان تكون له عناية أوفر بالمواد الشرعية والاعتقادية والخلقية مما فى المدارس الاخرى .

٣ ــ ان تكون اللغة الاجنبية اختيارية فى الابتدائى والقسم الاول من الثانوى مع

تمكين طالبه من ان يأخذ شهادة اتمام الدراسة الابتدائية دون امتحان فى اللغة الاجنبية او مع الامتحان فيها . او ان يأخذها بالصفتين ان استطاع . وله بعد ذلك ان يواصل تعليمه فى الازهر او ان ينتقل الى غيره من التعليم الثانوى او العملى .

٤ ـ ان يتميز القسم الثانى من الدراسة الثانوية الازهرية تمايزا ازهريا واضحا . ويقسم على حسب تقسيم التعليم العالى فى الازهر فيكون كل قسم منه اعدادا لقسم من الدراسة العالية .

هذا الى جانب ملاحظات اخرى تفصيلية نرى الخوض فيهـا هنا خروجا عن المقصد الاول الذى تصدينا له من بيان رسالة الازهر العصرية .

والآن وقد ظفرنا بطالب مثقف الثقافة العامة فى الابتـدائى والقسم الاول من الثانوى . معد فى القسم الثانى من الثانوى للدراسة العالية ، الآن نتحدث عن رسالة الازهر العلمية ، من حيث هو جامعة دينية .

وما قدمنا من بيان صفتى الازهر الاجتماعية والدينية ورسالتيه فيهما يحـدد مهمة هذه الجامعة كما يبين رسالتها العلمية .

فستكون الجامعة الازهرية مؤلفة من كليات ليس بينها كلية العلوم الطبيعيـة والرياضية وما اليها من العلوم التجريبية اذ ليس لها فى ذلك حظ ولا تقوم عليه مهمتاها الاجتماعية والدينية . وسيكون ما عدا ذلك من صنوف الدراسات متصلا بواجبها . ضروريا لاداء رسالتها . ففيها صنوف الدراسات الادبية من لغوية وتاريخية واجتماعية والدراسات الدينية باشمل معانيها من اعتقادية وقانونية وخلقية . وتكون رسالتها فى ذلك ذات شقين . نظرى . وعملى . فالنظرى هو ما تقوم به الجامعات من خدمة العلم للعلم . وتأييد البحث العميق الحر الذى يزيد ثروة الانسانية من المعرفة . ونصيب الازهر من ذلك أوفر واوفى من نصيب اى جامعة . لان صفته الدينية كفيـلة بخلق النفوس المنصرفة عن زيف المادة وخداعها ، المقتنعة بثواب الله والجزاء المعنوى ، وتلك النفوس المتدينة هى التى تدرك اللذة العلمية المعنوية ، وتتصدى فى نشاط واقـدام لخدمة البحث العلمى الحر المثمر الذى لا يرجو من المعرفة الا المعرفة .

والشق العملى هو : الدراسة المعدة لاهل الدين ، الذين عرفناهم ، وبينا ان مهمة الازهر لاجتماعية ورسالته الدينية انما تؤدى على يدهم .

فرسالة الازهر العلمية العاملة هى اعداد هؤلاء الرجال الذين يقومون بالعبء الاجتماعى والدينى فى الحياة المصرية ، ثم الحياة الشرقية ، بل العالم كله فيكونون دعاة الاسلام فى الدنيا العاملين على تمكين الانسانية من ان تظفر بحظها من السعادة التى يشارك الاسلام فى توفيرها وتحقيقها.

فتدرس الشئون الدينية الاعتقادية اوفى دراسة واعمقها . متصلة بكل ما افادت الانسانية من جديد فى ذلك ، سواء فى أساليب الدرس ام فى موضوعه .

وتدرس الشريعة الاسلامية الدراسة اللائقة اليوم بشريعة ذات ماض تاريخى

وحياة طويلة . وتوصل تلك الدراسة بما يلزمها من اصول القانون وتاريخه والابحاث النفسية والاجتماعية التي يتسلح بها دارس القانون . ليقدم الازهر فقهاء قانونيين يقفون الى جانب رجال القانون فى انحاء العالم ويصلون جهدهم بجهد هؤلاء فى ترقية التشريع وتنظيمه . ويكونون قضاة علماء متدينين لهم من دينهم الخلقية القوية . والنفس المترفعة التى تكون خير عوان على امتاع الناس بالعدالة النزيهة . وايصال الحق الكامل لاهله . كما يكونون اعوانا على جعل الشريعة الاسلامية اساس التقنين فى الشرق . وشريكة غيرها من الشرائع فى التقنين العالمى .

كما يعد وعاظا ومعلمى دين ومبشرين : يتحدثون الى الدنيا عن الاسلام بلسان العصر ، وعقل العصر ويعملون على امتاع الانسانية بما فيه خير لها . واقول الانسانية كلها لا مصر والشرق . فهو دين عالمى صالح للحياة . مصلح لها . ليس يحل ان يجهله الناس على نحو مانرى حتى اليوم من اتهامه لعدم معرفته فكيف واهله انفسهم فى بلاده المنتسبة اليه لا يعرفونه حق المعرفة ومن لتحقيق هذا الواجب على وجهه الكامل ، وبأساليبه الصحيحة الا الذين يعدهم الازهر لذلك ؟

هذا هو الجانب العملى من رسالة الازهر العلمية قدمت القول فيه للحاجة الماسة اليه . وهناك الجانب النظرى من تلك الرسالة وهو :

ان يكون الازهر المرجع الاعلى والاول فى دراسة الشئون العلمية الاسلامية ، فالدراسات الدينية كلها ، والفلسفة الاسلامية . يجب ان لا يرجع فيها الا الى الازهر ولا يقال فيها قبل قول الازهر .. ثم التاريخ الاسلامى ينبغى الا يحسنه احد احسان الازهرى العالم للذى عرف الاسلام حق معرفته فهو الذى يستطيع ان يدرس ذلك التاريخ الذى التقت فيه الدولة بالدين .

والادب العربى . وراسه القرآن وعصر ازهاره الاسلام . خير من يدرسه على احدث الاساليب واعمق النظر هو الازهرى الذى اتصل بلباب القرآن وعرف الاسلام وعرف تاريخ الاسلام وتذوق العربية .

وهكذا تكون رسالة الازهر العلمية العالية ذات شقين :

(ا) عملى هو :

اعداد معلمى الاسلام ، الواعظين به الناشرين له ، اعدادا حيويا يلقى به الاسلام المسيحية وغيرها من الاديان لقاء يؤيد الحق ويقره . واعداد العارفين بالشريعة الاسلامية مثل تلك المعرفة .

(ب) نظرى هو :

تاسيس البيئة العلمية التى تكون مرجع الشرق كله والغرب كله فى الدراسات الدينية الاسلامية من عقائد وشريعة بحيث يعرف بشهارة الازهر من الكلمة فى هذه الدراسات . ثم مشاركة الازهر لارقى البيئات فيما هو اهله من دراسات تاريخية اسلامية وادبية عربية وفلسفية .

تلك رسالات الازهر الثلاث : الاجتماعية . والدينية . والعلمية . رسالات اعده لها ماضيه . ويعينه عليها حاضره . وينتظرها منه فى لهفة مستقبله .

* * *

وقد عرفت حق المعرفة واستبانت اوضح البيان فالسبيل اليها ميسرة وتفاصيل الاسباب المحققة لها واضحة ومعروفة . ولا سيما حين تتضافر على تحقيقها الرغبات الصادقة فى مصر من سائر نواحى النشاط الحيوى . والله الموفق .

مصر الجديدة فى ١٨ المحرم سنة ١٣٥٥

١٠ ابريل سنة ١٩٣٦

كتبه

أمين الخولى

الأدب

فنية . شهرية

يصدرها الأمناء

الإدارة: مصر الجديدة . العجم ١٣

ت ٦١٧٥٠

***

الرسائل الفنية والمالية

ترسل باسم

أمين الخولي

رئيس التحرير

***

الرسائل الادارية

ترسل باسم

محمد جابر عبد العال

مدير الادارة

***

الاشتراك

عن سنة بالبريد العادى

الجمهورية العربية ٥٠ قرشا

الخارج ..... ٨٠ قرشا

أو ما يعادلها

ثمن العدد ٥ قروش

* * *

البريد الجوى

والمسجل بحسابه

تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

فهرس

العدد الثامن ـ السنة السادسة

يناير ١٩٦٢

٤٥٠ ـ من الفن والحياة : السياسة .. والعروبة عن الامناء

٤٥٤ ـ قضية الموت ، فى المثل الشعبى محمد ابراهيم ابو سنة

٤٦١ ـ الاصلاح الجاد ... اخذ

٤٦٥ ـ لفويات : احد .. بلا احدى ا.ه الشربينى

٤٦٤ ـ قلب .. وواحة شعر : على حسن العزب

٤٦٧ ـ عيش .. وملح زجل : حامد الاطمس

٤٦٩ ـ اين الشراة ؟! شعر : كامل سعفان

٤٧٠ ـ رسالة من الجزائر شعر : عبد الحفيظ صقر

٤٧٢ ـ ابى . . . . شعر : انس داود

٤٧٣ ـ وعلى الارض السلام شعر : السيد ستيت

٤٧٤ ـ المنصتون شعر : والتردى لامار ترجمة نعيم عطية

٤٧٥ ـ العدو ـ من الادب الحديث الشمالى قصة : اشنشلالا ترجمة ماهر شفيق فريد

٤٧٩ ـ الرعب ـ قصة سودانية الطيب زروق

٤٨٢ ـ بلاش النهارده قصة : رجب البنا

٤٨٦ ـ نحو تحقيق الثورة الاجتماعية والثورة الثقافية توفيق حنا

٤٨٨ ـ لقطات من ندوة [illegible] المنتدين

٤٩٠ ـ اصداء ادبية السيد ستيت

٤٩٢ ـ ازهر .. او . . لا ازهر أمين الخولى

٤٩٨ ـ ليل الخطايا نقد : محسب ـ المندى

٥٠٤ ـ بريد الادب : سذاجة ـ ٥٠٤ ـ لاتعجلوا ـ ٥٠٥ ـ شخصية ـ ٥٠٦ ـ افق اعلى ـ ٥٠٧ ـ الشعر ـ ٥٠٨ ـ النثر ـ ٥١٠

« مازالت السياسة تكبد الخسائر .. ولن تغير المصائر »

لا تحسبن هذه المعاودة كثيرة ، فان السياسة لا يجدى فى رجعها وردعها شىء قليل .. وهذه شواهد التاريخ المكررة على مسرح الحياة ، الفسيح الارجاء ، الطويل العمر ، فى الماضى البعيد السحيق ، والحاضر القريب الشاخص ، لا تزال — وقد تظل — تعالن السياسة وتصارحها جهرة ، بانها كبدت ، وتكبد ، الدنيا الخسائر ، وهى مع كل ذلك لا — ولن — تغير المصائر .

فكم حالفت قوى ، ومالأت قوى ، وظاهرت قوى ، لتغير بذلك شيئا من مصائر السنن الحيوية الإنسانية ، فاتلفت بذلك نفوسا ، وروعت قلوبا وخربت عامرا ، وبددت فاخرا ثم انجابت المعركة عن السياسة هزيمة حطيمة ، وعن الحياة تتجدد ، وتتطور ، وتتقدم .. محتسبة عند التاريخ ما تكبدت .

والعجب أن السياسة ، بعد ملايين هذه التجارب ، فى كافة الميادين ، ومع هذا التكرار ، الذى زاد عما يعلم الحمار ، لا تزال تابى الا أن تعيدها وتعاودها .. والمجنون دائما لا يعتبر الا بنفسه ، حين يعتبر العاقل دائما بغيره .

ولو قد كانت السياسة تعتبر بغيرها كخلة العقلاء لما شهدنا نحن ابناء هذا العصر موسوليني مثلا ، يجاحش التاريخ ، ويناطح الواقع ، ويقاوم البداهة ، فيحسب انه حين بنف جيلا من الصغار ، فى قمصان سوداء ويدلى على رءوسهم أزرارا متراقصة ، ويؤوى انشذاذ العاطلين ، فى حظائر يسميها ثكنات يحماون شارات الذين خاضوا الوغى ، واقتنصوا النصر ، ويتداولون أسلحة المحاربين ، وهم قعود لاهون ، جبناء خائرون ، يغنون بمسخرة يسمونها الهجوم على روما ، وكانما صنعوا التاريخ ، وهم أسد الشوارع لاغير .. ويحسب موسوليني ، أنه بمهزلة هؤلاء قد محا كل ماعرفت روما من التاريخ ، وطمس ما عرف التاريخ من روما ، فالحياة تبدأ التاريخ الجديد ، من هذا الهزل . ولا تعرف قبله وجودا .. حتى الفن الذى يخالط انفاس روما ويجرى فى دمها يجب عليها أن تجهله وتنكره لتفخر بطراز جديد رسمه هؤلاء الاغمار .. ومع توالى السنين

الطويلة ، التى قد تقرر هذا الادعاء ، وتخدع بهذا الهباء ، فان ذلك كله كان بعد عشرات السنين ككلام الليل : مدهون بزبدة يطلع عليه النهار يسيح .. وذهب كل شىء مع الريح .. وتابعت روما حياتها ، خاضعة لاقدارها ، ماضية فى سير الحياة بها .. وكان الذى جرى ما كان .. أو فى الحق ، كان منه ما عرف نواميس الكون ، واحترم سنن الوجود

* * *

اقول قولى هذا ، عن الخسائر والمصائر ، بين يدى حديثى عن «السياسة والعروبة» لانظر بعده ، وعلى ضوئه ، امر هذه العروبة ، فى حياتها ، والسياسة تتبناها وتوجهها ، وتربيها ، فتاوى طريقها ، أو تترضاها لتخدعها ، فتابى العروبة الا مضيا فى طريقها ، وتخرج من شر السياسة بالخير ، ومن تخذيلها بالنصر ، حين تجلب عليها السياسة بخيلها ورجلها ، ومالها ، ودهائها لتصدها عن سبيلها ، فتابى العروبة ذلك كله ، وتمضى الى مصيرها المقدور ، وان كبدتها السياسة ، وكبدت الحياة معها خسائر جساما !!

ولقد كنت وشيكا ان أرقب هذه العروبة ، فى ماضيها البعيد ، منذ اقام لها الاسلام دولة حققت فيها ذاتها ، وواجهت خصومها ، وفعلت بها السياسة فعلها ، لارى ماذا كان من أمر العروبة على القرون والاجيال ، فى وسيط التاريخ ، ثم امضى من ذلك الى الحديث منه فارى كيف ، ومتى ، ويم بدات العروبة تحس بنفسها ، وتستجيب شعورها لتثبت وجودها .. لكنى وجدت هذا القديم فسيحا مترامیا ، لو دخلته لما خرجت منه قريبا ، فتركته للدراسة الرزينة المثابرة ، التى يجب ان يحررها المنهج الدقيق ، فى فهم التاريخ عامة وخاصة .

* * *

واخذت باطراف الحديث عن حياة العروبة ، بعد ما رزحت تحت قهر العناصر والاخلاط ، من فرس ، وتتر ، وترك ، وأوربيين ، حتى القرن التاسع عشر ، والدولة التركية ، قد لقبت بالرجل المريض ، ومضى الساسة يتقاسمون تركته فى حياته ، ويدبرون لما سموه « المسالة الشرقية » .

وفى هذا الجو خفق قلب العروبة ، ورف لها نبض ، بعثه التطور الانسانى العام ، فاستثارته السياسة واستغلته ، وحضنته وتولته ، فى حلها للمسالة الشرقية .. وكتب الزعيم السياسى المصرى المرحوم مصطفى كامل كتابه الكبير ، عن المسالة المشرقية وفيه يقول : (١)

« .. فان مشروع جعل الخلافة الاسلامية ، تحت وصاية الانكليز وحمايتهم هو مشروع ابتكره الكثيرون من سواسهم ، منذ عهد بعيد ، وقد كتب الانكليز ، فى هذا الموضوع ومنهم المستر بلانت المعروف فى مصر ، فقد كتب كتابا قبل احتلال الانكليز لمصر ، فى هذا المعنى ، سماه « مستقبل الاسلام » وابان فيه اغراض حكومة بلاده ، وامانى الانكليز ، فى مستقبل الاسلام ، وقد كتب فى فاتحة كتابه :

---

(١) كتاب المسالة الشرقية جـ ١ ص ٢١ ط سنة ١٩١٨

لا تقنطوا فالدر ينثر عقـده ليعود احسن فى النظام او جملا

أى أن هدم السلطنة العثمانية لا يضر بالمسلمين ، بل ان هذا العقد العثمانى ينثر ليعود عقدا عربيا احسن واجمل .. ولكن ما لم يقله المستر بلانت هو : ان قومـه يريدون هذا العقد العربى فى جيد بريطانيا ، لا فى جيد الاسلام » .

وبعد ذلك باسطر قليلة يقول المرحوم مصطفى كامل « وبين المستر بلانت أيضـا ان مركز الخلافة الاسلامية يجب ان يكون مكة ، وان الخليفة فى المستقبل يجب ان يكون رئيسا دينيا ، لا ملكا دنيويا »

وهذه عبارات تلقى اضواء نفاذة ، على دور السياسة الاوربية ، فى حياة العـروبة الحديثة ، واستغلال المعانى القوميـة التى سادت فى تلك الفترات ، لتحطيم الكيـان السياسى العثمانى ـ مهما يكن الرأى فيه ـ لانه شىء فى مقاومة الشرق للغرب .

ونذكر مع هذا كله ان هاتيك السياسة نفسها قد استغلت المشاعر القومية أيضا ، فى اثارة الاتراك على العرب ، واهاجة شعورهم القومى لدفعهم الى « تتريك » دولتهم ، فيتسع الخرق بينهم وبين العرب .

وليس من محض الصدفة ، ولا من مجرد الاتفاق أنه فى السنة التى يطبع فيها هذا الكلام الذى كتبه السـياسى المصرى ، أى سنة ١٨٩٨ ، يؤرخ السيد عبـد الرحمن الكواكبى فى الوقت نفسه أول اجتماع ، فى مكة أم القرى لجمعيته التى تمثلها ، من سراة الاسلام ، فى مهد البلاد العربية ، لان العرب وحدهم أولياء هذا الامر وهذا الدين (١) .

واذا مضى هؤلاء فيما رسم قبل ذلك بسنين ، فقد مضى الاتراك فيما خطط ايضـا منذ سنين ، وراحوا بعد ربع قرن من نشر هذا الكلام فى كتاب مصطفى كامل يجعـلون الخلافة مركزا دينيا لا ملكا دنيويا ، فيمهد ذلك لالغائها نهائيا .

ويكون بعد ذلك من أمر العروبة ما يكون ، فى الحرب الاولى ، وما عاثت به انجلترا فى اقطار الشرق الاوسط ، فى الحجاز ، وسوريا ، والعراق ، والاردن أيضا ، وما صنعت من دويلات ، وما زيفت من عروش ، وما بثت من أخاديع ، وما كبدت حياة هذا الشرق من خسائر .. ولكن لم تتغير المصائر ، بهوى السياسة

وسير العروبة قدرها . فشعرت بالماضى المجيد ، والتاريخ العتيد ، والأمل البعيد ، وأوت من ذلك كله الى ركن شديد .. افسد على السياسة تدبيرها الى حد ما .

وتعاود السياسة محاولتها ـ فى الحاح غير يائس ـ وهى نفس السياسة الانجليزية التى حدث عنها السياسى المصرى ، قبل ذلك بعقود الاعوام ، ووصفها بما كتب قبـل دخول هؤلاء المجرمين مصر عند الثورة العرابية .

---

(١) كتاب ام القرى ص ٩

وتشير هذه السياسة ، وتوعز ، وتحرك وتؤثر ، وتنشـــا الجامعة العربية ، لامر تريده السياسة ، ويريد القدر غيره ، فتتعثر ، وتخسر ، وتكبدنا السياسة الخسائر .. ولكنها لن تغير المصائر .. فان شيئا وراء ذلك كله ، وفوق ذلك كله ، وأثبت من ذلك كله يهيىء العروبة لغير ما ارادته لها السياسة .

وتتكرر افاعيل السياسة فى الشرق ، ويكون من آثارها الوبيلة ما يكون .. لـكن تعرف هذه العروبة شيئا رغم تكبيد السياسة اياها فادح الخسائر .. تعرف العروبة ما وعته واثبتته ، وحققته وأكدته : من الماضى المجيد ، والتاريخ العتيد ، والامل البعيد ، وتؤوى من ذلك كله الى ركن شديد ..

فتحاول وتحاول ، لتكون وحدة او يكون اتحاد ، مما راينا وسمعنا ، وشهدنا فيه تجربة ، يحدث فيها ما يحدث .. ولكن التاريخ يقول للسـياسة ابدا : كبدى الحياة ، ما شئت من خسائر .. فلا ، ولن ، تغيرى المصائر .

وبعينه النافذة ، يخترق أستار الغد ، ويستجلى غابر الماضى ، ليرى خط سير هذه العروبة ، فى طريق امسها ، والى هدف غدها ، لا يخفى عليـــه منه شىء ، ولا يطمس ولا يلتوى ، ولا يتعرج ، بل يستعصى أشد الاستعصاء ، على كل من يريد أن يلويه عن قصده ، أو يخط له طريقا ، غير الذى ترسمه للعـــروبة واهلها مقـــدرات الجماعة ، وشخصية البيئة ، وسنن الوراثة ، ومدى الكفاية ، وتجارب التاريخ ، وتفاعل الجوار ، فيـكون لهـا ما هى له اهل ، وبه جديرة ، وعلى تحقيقه قادرة .. فى غير ابتسـار ، ولا افتعال ، ولا احتكام ، مهما يكن للسياسة فى ذلك من أحلام واوهام .

والى الغد .. حيث تتضح الخفايا ، وتطرد التجارب وان غدا لناظره قريب .

عبد الرحمن

فى

دار الأمناء

٥٨ شـــارع الجمهورية تليفون ٤٨٠٦٩

الاجتماع الاسبوعى

الاحد الساعـة ٦ مساء

ندوات فنية أدبية

يلتقى فيها أجيال الصاعد بشيوخ الجيل

يتابعون أداء الأمانة الفنيـــة الاجتماعية

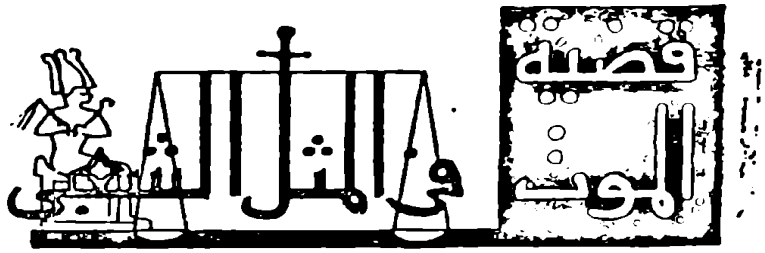

بقلم : محمد ابراهيم ابو سنة

انبثقت الاسئلة الاولى فى راس الانسان عن المصير عندما سقط اول انسان على ارض الغابة ميتا ولم يستطع هذا الانسان القديم ان يصدق عينيه وربما كان قد اكتشف الموت فى حالات الحيوانات التى شاهدها ، لكن ربما كان الاحساس العام بتفوقه منحه فرصة الاعتقاد فى قداسة نفسه بحيث ادهشه ان تتعرض هذه القداسة للعدم . وتنبه من خلال عملية حدس عميقة الى وجود قدرات اخرى تدير — من مكان خفى فى الكون — الحياة بصورة شاملة وتوجهها الى مصير لم تكن ذاكرته قادرة فى ذلك الوقت على التنبؤ . وامام هذا الحادث استيقظت فى الكون جميع القوى الخارقة التى يمكن ان تنسب اليها الاعمال كلها والسيطرة المطلقة على الطبيعة . واغلب الظن ان لحظة الوفاة هى الخيط الاول الذى ربط الانسان بالسماء متابعة لمصيره الذى رآه غامضا فجاة ورأى نفسه عاجزا عن انقاذ وجوده من الفناء ولذا بدأ يهرب الى مرحلة حضارية ارقى فاكتشف الزراعة وعرف لونا من الوان الاستثمار الاقتصادى الذى منحه فرصة التفكير فى مصيره والتأمل العميق فى المطلق .

ولما كان الانسان القديم عاجزا امام هذه القوى القاهرة فقد بدأ اولا بخداعها واعتقد فى بداية اكتشافه للسحر والتمائم انه قادر على السيطرة على هذه القوى او على الاقل اصطناعها لمساعدته ولتقدم خدماتها له . كما انه اعتقد ان توسلاته السحرية يمكن ان تبعد عنه الاذى والشر والمرض ولذا قام السحر بدور اولى فى اقناع الآلهة والشياطين بالعدول عن مناصبة الانسان العداء . وعلى اساس من الرجفة الحادة التى اذهلت الانسان الاول عندما واجهته لحظة الموت بدات الميتافيزيقا فى تشييد صرحها الخالد . وبعد ان قامت الديانات كف الانسان عن ترويض القوى الخارقة ومحاولة خداعها والسيطرة عليها وبدا يدخل فى طاعتها معتقدا وفقا لما جاءت به النبيانات ان قوى الخير هى القوة المطلقة والاعلى . وكانت الديانات ايضا على استعداد دائم للاجابة عن كل شىء ؛ ولتفسير العالم من خلال نظرية الخلود الروحى الذى وجدفيه الانسان حلاموقتا لقضية مضيره . ولذا فان التفكير البشرى مدين بوعيه للحظة الوفاة وكذلك التفكير الميتافيزيقى مدين هو الآخر بولادته لهذه الرجفة الحادة التى اصابت الانسان الاول :

« المصريون القدماء والموت »

كان المصريون القدماء من اسبق الامم الى التفكير لانهم كانوا من اسبق الامم الى اكتشاف شكل حضارى .

هذا الشكل الذى ساهم فى رقيهم الاجتماعى وانتعاشهم الاقتصادى وهو الزراعة . وبالتالى حمل اليهم قدرا كبيرا

من الاستقرار مكنهم من الارتقاء بتفكيرهم واعطاهم العمل الزراعي وقتا طويلا للتأمل والعبادة . وكانت مشكلة المصير في صدر المشكلات التي واجهت المصريين. ولا شك ان لحظات الدهشة عند الوفاة واعتماده في عمله الزراعي على الغيب ومواجهة الطبيعة في تعاقب مظاهرها ، كل هذه العوامل قد دفعته الى اكتشاف حياة اخرى خلف هذه الحياة العابرة المليئة بالمتاعب والآلام .. وكان اكتشاف هذه الحياة الاخرى تعبيرا مباشرا عن رفضهم التام للموت كحل نهائي لمشكلة المصير من ناحية وتعبيرا عن هربهم من الموت والرغبة الجارة في مواصلة الحياة فكان ان تصوروا هذا الامتداد قائما خلف هذه الرقعة الغامضة المفاجئة .

واذا فسرنا ضرورة اكتشاف هذه الحياة الاخرى عند القدماء بالهرب من الموت فلا بد اذن من بيان قيمة الانسان في ذلك الوقت . وقت بداية الحضارة الزراعية على شواطىء النيل .

واذا استسلمنا لغريزة المحافظة على الانا ، والنوع فاننا نجد سببا آخر نرد له حرصهم الشديد على استمرار تدفق الحياة . فقد كان وجود الفرد في ذلك الوقت المبكر ضرورة اقتصادية لاسرته وضرورة عسكرية لقبيلته . فهو يشكل وظيفة اجتماعية هامة سواء اكان ابا ام زوجا ام ابنا بالاضافة الى الروابط العاطفية التي كانت بين الاسرة الواحدة والتي كانت تحيط أفرادها بسياج من الحرص والحفظ . هذا الى جانب ان الجماعة كانت في حاجة ماسة الى مجهود كل انسان من افرادها ليوفر لها وسائل العيش .. وفي القبيلة كان الفرد جزءا من الهيبة العامة لها وكانت العصبية القبلية تعتمد عليه اعتمادا كبيرا في بناء مجدها وسلطانها وبسط نفوذها على اعدائها وجيرانها .

ولذا كان الانسان هو اعظم راسمال وكانت قيمته محوطة بتقدير عميق وحرص شديد نابع من وظيفته الاجتماعية وهذا لا يتنافى مع المرحلة التي تلت ذلك حيث ساهمت الزراعة في اكثار النسل وهبطت الحروب بقيمة الافراد عندما حولتهم من مواطنين احرارا الى عبيد . وبجانب هذه الوظيفة الاجتماعية للانسان القديم كان الموت يفتح مشاعر هذا الانسان على عالم مجهول ملىء بالتصورات الغامضة . ولذا كانت مواجهة المصريين القدماء للموت نابعة من حرصهم الشديد على الحياة ، وكان تصورهم للحياة الآخرة يستمد جذوره من واقع هذه الحياة التي يحرصون عليها .

واول خطوات العقل المصري في مواجهة الموت كانت في الايمان بخلود الروح حتى لقد تصوروا عندما عز عليهم ان يفارقهم موتاهم ، تصوروا ان الارواح تحل بالكلاب والقطط وتزور منازلها لتمارس اطلاعا سلبيا على الحياة .. وطبيعي ان الاحساس بالوحشة لغيبة الميت هو الذي املى هذا التصور .

والحقيقة ان القدماء المصريين قد نقلوا اشواقهم للحياة الاولى الى الحياة الثانية حيث كانت الحياة الاخرى خالدة بينما الحياة الاولى تنتظر في قلق لحظة الوفاة :

ونقلت الينا وثائقهم الفهم الكامل للحياة الاخرى لدى هؤلاء القدماء .. فيقول السير هنري جيمس برستد في كتابه « تاريخ مصر من اقدم العصور » :

« المجهود الجسمي العظيم الذي قام به هؤلاء القوم لحشد المقابر يعتبر اقدم دليل على اعتقاد الانسان في البعث بعد الموت ، وكان المعتقد وقتئذ ان الاجساد تحركها الاشباح حيثما وجدت في الدنيا أو في الآخرة .

وكان هذا الشبح يدعى « كا » وهو في اعتقادهم مصحوب بروح يرمز له بطائر

آدمى محلق بين الاغصان او بزهرة او بنبات اللوتس او بثعبان او بتمساح سابح او غير ذلك » .

وقد تصوروا الجنة فى الجهة الشمالية الشرقية من السماء ، وسموها « حقول يارو » ولابد أن حقول يارو هذه كانت تحمل فى تصورات المصريين القدماء ملامح وادى النيل !

وكان المصريون القدماء يواجهون الموت دائما بارادة الحياة ولهذه المواجهة مظهران :

المظهر الاول هو قيام هذه الاهرامات والمقابر الجرانيتية الخالدة والاعتقاد فى حقول يارو التى كانت بلا شك مقرا لاحلامهم الخضراء عن الجنة وهذا هو المظهر المادى .

المظهر الثانى ثم هو المظهر الدينى . وكان يتمثل فى عقيدة ازوريس . وتقول الاسطورة ان « ست » قتل أخاه ازوريس وبعثر اجزاءه فى البلاد لكى لا تستطيع قوة ما أن تعيده الى الحياة وكان ازوريس رمزا للخصب والعدالة الاجتماعية . ويهدف « ست » بهذا العمل أن يستأثر هو بالحكم والسلطان من دونه وليباشر طغيانه المطلق على البلاد . ولكن زوجة ازوريس الوفية ايزيس ظلت تذرف الدموع وتذرع البلاد تبحث عن أشلاء زوجها وفى النهاية وفقت الى جمع اجزائه وعادت اليه الحياة ، ولكن ابنه حوريس هو الذى تولى الملك وأدار الامور . وتعتبر هذه الاسطورة انتصارا للروح الدينية من ناحية ، والرغبة الشعبية من ناحية اخرى . وروح هذه الاسطورة قد أملت عقيدة خلود الروح وان الظلم لابد له من نهاية عادلة . ويقول الاستاذ جيمس برستد :

« وليلاحظ أن محاكمة ازوريس قد احدثت تأثيرا عظيما فى نفوس المصريين ولو انهم كانوا حقيقة منذ قديم الزمان ذوى ضمائر ونفوس رادعة الا انهم كانوا فى احتياج الى زاجر قوى كالوارد فى عقيدة ازوريس » .

ولم تكن عودة ازوريس الى الحياة الا رمزا لامتداد الحياة نفسها . ونصبوه قاضيا لمحكمة الحساب فى الآخرة على اساس عدالته المطلقة . والحقيقة أن اهتمامهم بالموت كان بالغا الى حد ان الامير «نكورع بن الملك خفرع» من الاسرة الرابعة حبس على مقبرته وحدها ايراد اثنتى عشرة مدينة . وهذا الاهتمام البالغ بالموت كان يعكس فى الحقيقة اهتماما شديدا بالحياة . ورغم أن هذا الاهتمام كان منبثقا من عقيدة دينية تفترض العدالة الا أن ظلال العلاقات الاجتماعية والتفاوت الطبقى كانت تعكس ملامحها على هذا الاهتمام ، فالى جانب هذا البذخ فى خدمة قبور الامراء كان السواد الاعظم يكتفون بدفن موتاهم فى الجبل الغربى حيث كانوا يعتقدون أن مقر الحياة الاخرى عند مغيب الشمس ولذا سمى الموتى بالغربيين وقد اكتفوا بهذا الدفن دون تحنيط فى مقابر اجدادهم وكان اكتشاف الحياة الاخرى هو الحل الميتافيزيقى لقضية الموت التى واجهها المصريون بارادة الحياة :

فماذا نجد اذن فى مثلنا الشعبى عن هذا الموضوع ؟ ؟

مرت الفكرة الميتافيزيقية فى خطوط صاعدة الى اخناتون الذى حمل الى المصريين بعقيدة التوحيد باسم الاله « رع » أى الشمس وكانت هذه العقيدة بداية العقائد الناضجة التى حاولت أن تجىء بتفسيرات اعمق من مجرد التخبط فى تصورات الاساطير . وكان الهدف هو الاصلاح الاجتماعى ، وضمان قيام عدالة على الارض ، ولكن اهتمام المصرى أصبح مع الزمن وتطور الحضارة وظهور مستويات جديدة لوسائل الانتاج وحلول العلم الذى تكفل بتفسير الظواهر التى

تعهدت بها الميتافيزيقا لفترة طويلة . كل هذا قد جر الوعى الشعبى الى الاهتمام بالحياة الاولى وتجمدت العناية بالحياة الاخرى على النحو الذى كان متبعا فى العصور القديمة وتجددت هذه العناية مع الزمن فى شكل طقوس دينية رتيبة . وظهرت القوانين العلمية التى جردت الميتافيزيقا من اسلحتها وبدأ الايمان بأن « الدنيا على كف عفريت » وفى هذا المثل تبدو روح العودة الى الفوضى البدائية للحياة الاولى والعفريت هو القناع الغامض للعلاقات الاجتماعية والوسائل الانتاجية التى كانت تقود التطور الحضارى عبر القرون . وفى المراحل المتخلفة فقط كان الموت حلا مريحا من آلام الحياة وهو الباب المنغلق على متاعب الاجيال المتعاقبة . ولكن الموت لم يكن مجرد انطفاء بل كان تعريبة للحياة نفسها وانكشافها فهو مثلا يكشف عن اهمية النسل فى حياة الناس «ما مات من خلف» اى لم يمت من انجب : ونجدهم يذهبون بعواطفهم الى لحظة الموت متأملين هذه الحقيقة فى مثل هذه الاغنية : (١)

مال الولية نعشها مايل
ما لهاش ولد بين الرجال شايل
مال الولية نعشها بيميل
مالهاش ولد بين الرجال بيشيل
عزى المعزى واترجع لورا
مالهاش ولد رايحين نعزى مره
عزى المعزى واترجع بيميل
مالهاش ولد رايحين نعزى مين
حاسب عليها يا مدليها
مالهاش ولد اوعك تعريها
حاسب عليها يا منزلها
مالهاش ولد اوعك تبهدلها

ولكن المثل نظر الى الموت نظرة حقد حتى انه ليضحى فى سبيل تفاديه بكل مايملك وما يمكن ان يقدمه فى سبيل الفداء « اقل عيشة احسن من الموت » . والموت مرحلة يبدأ الانسان بعدها فى معاناة المصير واختيار تجربة العدم « جالك الموت يا تارك الصلاة » .

وللموت فى علاقاته بالحياة ابعاد اكثر من مجرد الارتماء فى احضان نهاية صامتة . ولم يكن فى الاطمئنان الى عدالة سماوية ولا فى انتظار حياة اخرى مبررات كافية لتسليم السفينة لقيادته وكان الموت يمثل للطبقات الشعبية المقهورة حلم المساواة وهذا الحلم كان يمرض كثيرا فى ظلال الاوضاع الاجتماعية الظالمة منذ العصور التى بدأت تضع الفروق فى البناء الاجتماعى . ولذا راينا أن المساواة فى العصر الاقطاعى تتجسد فى الموت حيث كانت العدالة الاجتماعية تبدو مستحيلة التحقيق على الارض . واما هذه النهاية فكان يعتقد انها عادلة لان الموت حق بالنسبة للغنى والفقير — كان الانسان المصرى يواجه حياته بكل امراضه الفكرية بالصبر والقدرة والتواكل والانتظار . . كان ينظر الى الموت نظرة تحمل طابع الحلم العاجز عن التحقق على الارض وهذا المثل يبدو فى صيغته وهو يحمل احتجاجا على الذى يقول : « ربنا ما سوانا الا بالموت » هذه المساواة التى جاءت فيما لا خير فيه . وتبدو ايضا مقررة لقاعدة التفرقة الطبقية حيث تمنع المساواة فى الحياة . .

ولا شك أن هذه النظرة التى تشير الى ان العدم لا يستثنى الاغنياء كانت تحمل روح التشفى بالظفر فى النهاية بنوع من المساواة اخطأت سبيلها الى الحياة نفسها فاحساس الحكمة الشعبية بأن الجميع « ابو جوخة وابو فله فى القبر بيدلى » — الى مصير رهيب هذا الاحساس كان يخفى روح التشفى والمراء عن

(١) المواال من كتاب « فنون الادب الشعبى » . للاستاذ احمد رشدى صالح .

المساواة التى لم تقع وهم احياء وكان لمثل هذا الحلم ان ينتعش فى حالات الصفاء الدينى ورواج العقائد التى منحت الفقراء فرصة التفوق على الاغنياء فى الآخرة . ولكن هذا الحلم كان يتبدد تدريجيا مع ظهور اضواء العلم ويوشك ان يسقط فى رواق الحضارة الحديثة .

ولذا ظهرت الحاجة لتحقيق المساواة على الارض بدلا من تحقيقها فى التراب حيث ينتصر الدود وحده على الجميع : اقول ان حلم المساواة قد تطور مع الزمن وظهور القدرات الجديدة التى منحها العلم للانسان وبدا يبتعد عن القبر ويغادر اخيرة المعابد الى غبار الحياة نفسها « الكل ولاد تسعة » « ما حدش احسن من حد » « اللى يرشك بالميه وشه بالدم » « حط ايدك على عينك زى ما توجعك توجع غيرك » وبهذا ظهر اتجاه جديد لا يميل لترك الاقدار تحقق شيئا وترك الرجل البسيط محطة انتظاره الطويل ليجرب اقدامه بعد ان تأخر القطار . والحقيقة ان الثورة الصناعية قد مكنت القواعد الشعبية من الحصول على امكانيات تدفعها لرفع فكريتها وحذف فكرية الحضارة الزراعية البالية ومدتها بالقدرة الكافية لمواجهة الابنية الفوقية فى عراك تاريخى حامى الوطيس ولذا ترك المثل غيبيته قائد : « المعاجز فى التدبير يحيل على المقادير » ومع ظهور القوانين المدنية التى تكفل الى حد ما ضمانا نسبيا للانسان وتعدم وسائل الانتاج بحيث اصبح من الممكن توفير وسائل الاستقلال للفرد وزيادة فرص الحرية امامه وتحلل العصبيات والعشائر مع ظهور المدن وقضاء الطب على انتشار الاوبئة بالصور الكاسحة التى كانت عليها فى العصور القديمة وهذه العوامل ادت الى النتائج التالية :

١ ــ تزايد السكان وظهور مشكلات الطعام وقيام الحروب التى هدرت القيمة الانسانية للفرد .

٢ ــ النظرة الغيبية للكون تأثرت بالعلم واصبحت فى مستوى وعى المرحلة الحضارية التى نعيشها .

٣ ــ روعة المجهول قد كشفت عنه العلوم الحديثة واصبح الموت مجرد عجز فسيولوجى يصيب الكائن الحى .

٤ ــ وقد ادى هذا التطور الى حصر النشاط الانسانى داخل ضفة الحياة نفسها وتناقص المجهود الذى كان يبذل للاحتفاظ بالنصيبة فى التوزيع الاخروى الثروات .

« ادينى النهاردة صوف وخد بكره خروف » ان « النهاردة » هذه يقين ولكن الغد طائر بعيد سياتى مع ظروف جديدة وجاء مثل آخر يقول « احيينى النهاردة وموتنى بكرة » ونظرا للعوامل الاساسية التى صاحبت ظهور الطبقات الراسمالية وظهور المدن وتقدم العلم والطب . وازاء النظرة العددية للانسان وظلم الاوضاع الاجتماعية احس الانسان بفرديته ، وبأن كيانه ينفك عن الكل واصبح وحده مسئولا عن تحقيق ذاته وكان البناء الفردى هو الذى دفع الى هذا الاحساس فان الانسان امام شعوره بالانسحاق اصبح لا يؤمن الا باليوم . وامام خطر الشك اصبح لا يعرف اليقين ، وظل يبحث عنه ولم يك بد من استبدال الصوف بالخروف ، والآنية الزمانية بدلا من الاحلام والطمع فى المستقبل . ولذا اصبح الموت طريقا مسدودا .

وامام الجشع الفردى ظهرت الحكمة التى تقول الموت دواء للاطماع الغالية .

« ما يملا عين ابن آدم الا التراب » ولكن الانسان الحديث وقد استجاب للمطالب الجديدة فى حياته قد آمن بالمغامرة وبالتالى فلا داعى للشلل امام مصيره بل لابد من الحركة السريعة المسعفة :

«ابن يومين ما يعيشش تلاتة» ولما كان الموت قد فقد طابع الحل النموذجي للازمة فقد بدأ في التحول الى النقيض أي انه اصبح هو في حد ذاته ازمة وبدأت النظرة الشعبية اليه تأخذ شكل العداء واخذت الحكمة الشعبية تنتقم منه متهمة اياه بالبله وبانه لا يختار الا الرشيد من بني الانسان « ابن الكبة طلع القبة وابن اسم الله خده الله » « ابن الهبله يعيش اكتر » .

وبدأ هذا الاحساس الجديد يعكس ظلالا على الاخلاق الشعبية العامة كالقدرية ، والصبر والتواكل « ما ورا الصبر الا القبر» «موت يا حمار لما يجيلك العليق » وبدأ المثل الشعبي يضع يده على مكان المرض الحقيقي انه الجوع « قالوا يا للي ابوك مات من الجوع قلت هو كان لقى وما كالش » انه رد بليغ ذكي على هؤلاء الذين يعيرون انسانا بأن اباه مات جوعا وانطلق المثل بعد ذلك يعطي وصاياه للانسان بالتزود من الحياة ..

« عاشر عاشر مسيرك تفارق » ولكن الحكمة رغم ذلك لم تكن طيلة رحلتها واعية تماما بكل ظروفها الحضارية ولم تأخذ في وعيها دائما استقامة الخط التطوري الصاعد بل ان بعض مظاهر الروح الانهزامية كانت تحوم حول مراكز الضعف الكثيرة في جسم الانسان وعندما كانت الحياة تفشل في تحقيق اهدافها الكاملة يعود الموت ليلعب الدور البطولي في حياتنا وبدلا من أن يتبع المثل رحلته في رفض الصبر كما يقول : « ماورا الصبر الا القبر » نجد المثل يلقي بهجومه على حدود الموت البغيضة « مسيرها تجي البر ولو الواح » والموت سترة للميت من السقم والمتاعب « قطع الطشت الدهب اللي اطرش فيه دم » وعندما تضيق الظروف الاجتماعية على الانسان فانه لا يملك الا اليأس « الموت راحة » ثم يسيء الظن بكل شيء « المغلوب مغلوب وفي الآخرة ينضرب بالطوب » ويهتف المثل في اخلاقية حادة مناديا هذا السادر في غيه بأنه مخدوع «المتغطي بالايام عريان»

وتحفظ لنا الحكمة الشعبية في وعيها ذكرى الايام التي كانت المراة فيها لقمة سائغة للموت حيث كانت مصدر عار القبيلة لان « العار اطول من العمر » ولذا كانت المراة تقبل الموت كحل وضعي اصطلح عليه المجتمع عقابا لها على انها وكيل الشيطان على الارض وكان المثل الشيعي متاثرا بهذا المنطق « موت البنات سترة » .

ولكن الحل الطبيعي جاء في العصر الحديث حيث يعدل عن النظر الى المراة كمشكلة اخلاقية وقد حققت لها المدنية الحديثة فرصة التعليم والعمل على نفس مستوى الرجل ومكنتها هذه الامكانيات الجديدة من الشعور بالاستقلال وتزايد حريتها . ولا نستطيع بالطبع ان نقول ان هذا المستوى قد تحقق في بلادنا اذ ما تزال نساؤنا ضمن العقار المملوك وما زالت المراة تعاني من اميتها وفقرها في القرى الكثيرة ولكن هذا المستوى قد تحقق بالفعل للمراة الاوربية وبالتالي فهو سيتحقق لدينا مع تقدم وسائلنا .

وبهذا نستطيع القول بأن الموت اصبح نقطة تكاد ان تكون ضائعة في زوايا التفكير الشعبي بعد الحلول الكثيرة التي قدمها العلم وبعد تعقد الظروف وصعوبة الحصول على لقمة العيش مما لا يدع فرصة للتفكير في الموت . . والشاعر الذكي ناظم حكمت كان متفائلا جدا عندما قال ان اناس القرن العشرين لا يذكرون موتاهم اكثر من عام .

كان الموت في الماضي ازمة حادة في حياة الناس القديمة . فحاول هذا الانسان ان يجد حلها خارج الارض وكان هذا الحل مرتبطا بعجز وسائله . ولكنه بعد ان قدم له العلم حلولا يقينية واكثر مغالبة في المجال الواقعي وفي حدود الدنيا الاولى

قل الاهتمام بالموت كمخلص من عـذاب الحياة « عاشر عاشر مسيرك تفارق » .

وكما واجه الانسان القديم الموت بارادة الحياة فشيد الاهرامات والمقابر الجرانيتية العظيمة واجه الانسان الحديث الموت بارادة الحياة ايضا فبنى المصانع الجديدة وبين الارادتين كان الفهم الفلسفى لقضية الموت معلقا على جناح الامكانيات التى تمنحها المرحلة .

ولكن الذى ترسب اخيرا فى ذاكرة المثل الشعبى هو الاهتمام الجدى بالحياة ويشير المثل هنا الى هذا الاهتمام الذى يقرر أن الموت لم يعد هو القضية وانما القضية هى قضية هؤلاء الذين ..

« ان عاشوا كلوا الديدان وان ماتوا ما يلاقوا أكفان » .

يقدم للطبع قريبا

كتاب

من هدى القرآن

ضد الطغيان

طغيان الحكم — وطغيان المال — وطغيان العلم

بقلم

أمين الخولى

الناشر دار المعرفة

الاصلاح الجاد..اخذ (١)

«أضواء تنير الطريق»

يايها الذين آمنو انفقوا مما رزقناكم ، من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون .

انسنا الى ما فى القرآن من توجيه اجتماعى نفسى ، فجعلنا نلتمس أصول هديه فى مشكلات الاجتماع .. ومشكلة المال فى الحياة ، وحظوظ الناس منه هى كبرى تلك المشكلات ، او فى طليعة كبرياتها .

وقد سمعنا من هدى القرآن ، ومادئه ، فى حل تلك المشكلة ماسمعنا من : ان **مال الاغنياء مال الله** ، يمسكونه على ملكه ، وان **للفاقدين حقا معلوما فى** هذا المال . ثم جعلنا نلتمس اللمحات الفنية فى نظم هذا الهدى الحكيم ، حول هذه الاسس الكبرى ، فراينا يروض الاغنياء دائما على الانفاق مما فى ايديهم ؛ مما آتاهم الله ، ومما رزقهم الله ، انفاق المستخلف فيه ، الوكيل عليه ، كانما ينفق من مال غيره .

ثم راينا يحدث عن اداء هؤلاء الواجدين لما فى أموالهم من حقوق ، فيعبر عن هذا الاداء بانه ايتاء ، اى اعطاء فى قصد مستقيم ، الى ذلك الاداء ، مع سهولة ويسر ، ويبين لهم ان روح هذا الاداء ، المحققة لفائدته ، والاصلاح به هى ان يؤتوه ، فى اقدام فعال راض ، مقبل ، مرتاح .

وبهذه المرامى الاجتماعية ، التى يلفت اليها صوغ التعبير القرآنى ، مع الذى وجه اليه من أصول واسس ، يكون للدين ما يرجى منه ، من الاثر فى اصلاح الحياتين ، وتحقيق السلام النفسى للفرد والامة ، فى هذه الدنيا ، وتهيئة لدار انسلام للمؤمنين ، المؤدين لهذه الواجبات فى الحياة الآخرة .

والآن نريدان نتابع تنسم هذه الانسام العاطرة ، من جو القرآن الروحى ، فى لطف نسجه ، وابداع صوغه ، فنحس لالفاظه ايحاءها ، وندرك وقعها على الانفس الحساسة ، ونلمح ماترنو اليه من لفتات مثيرة . تبدو للقلوب الحية صورا ، واضحة الملامح ، بينة القسمات .. وكذلك نطمئن دائما الى ان هذا

---

(١) فصل آخر من كتاب « من هدى القرآن : فى أموالهم » وقد آثرنا ان نتابع النشر منه فى هذه الايام توجيها وتسديدا لخطوات التطور الاشتراكى ، وهذا الفصل ليس الا حديثا اذيع فى ٢١ يناير سنة ١٩٥٠ .

القـــرآن يعطى ذلك التدبير العملى ، والتنسيق الاجتماعى ، **بما هـو بيان ، وكتاب مبين** . ويمنح معه التوجيه القلبى والاتجاه الروحى ، بما هو نور ، وهدى ورحمة للمؤمنين .. وما اشد حاجـــة الناس الى ما ينير عقولهم لتقبل الفكر ، ويطمئن نفوسهم ، مع ذلك للامتثـــال حين يلقى اليهم الامر .. وذلك هو مانظفر به خاصة ، فى اللفت الغنى للقـــرآن ، والايحاء الروحى منه ، ففى اضـــوائه وانواره مواضع للقوة والجمـــال ، فى التنسيق الاجتماعى ، تجعل من يوجـه انيه يتقبله راضيا ، ويقبل عليـه واثقا وممارسه مطمئنا .

* * *

هـــذا القرآن يتحدث الى المدبرين لشئون الجماعة فى المال ، كما تحدث الى المعطين **للجماعة حقها فى هذا المال** فاذا هو يقول :

خـــذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ان صـلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم ، الم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ، وان الله هو التواب الرحيم

وتصيخ لاقـــوال المفسرين السابقين انفسهم فاذا فيها معان صالحة خليقـة بالانتباه والتدبر ، فهم يقولون مثلا :

« ان الصدقة المأمور بأخذها هنا من اولئك القوم هى ، غير الزكاة المفروضة وان الرسول قد اخذ ثلث اموال هؤلاء الناس المتحدث عنهم (١) ، من المعترفين بذنوبهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، وليس هذا من الزكاة المفروضـة فى شىء (٢) .

وهذا القول التفات الى سعة الحق ، فى احوال الواجدين ، ووفائه بحاجـة المجتمع .. ومما يقـول هؤلاء المفسرون القدامى ايضا ان معنى الصداقة (٣) .. انها من الصدق ، اذ هى دليل على صحة ايمان المؤتى ، وصدق باطنه مع ظاهـره وانه ليس من المنـافقين الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات . .

وهو تفسير يتفق مع الحس الراقى والادراك الاجتماعى السليم ، بأنهم دائما يأخذونها على انها حق الله ، لاعلى انهـا تفضل ، ومنحة ، وعطية ، من الواجدين ومن يد عليا ليد سفلى ، ونلمس هـــذا المعنى واضحا بينا فيما نسمعه من آثار يرددونها فى هذا الموضع ، كقولهم : ان الصدقة تقع فى كف الرحمن قبل ان تقع فى كف السائل ، وما من عبد تصـــدق صدقة الا وقعت فى يد الله ، فيكون هو الذى يضعها فى يد السائل .

واى غضاضة فيما يتلقاه كف الرحمن واى بأس على الآخذ فى تلقى مال الله ، من كف المعطى الجواد ، الوهاب ، الرزاق مالك الملك ، ذى الجلال والاكرام .

تلك وما اليها معان اجتماعية ، تقر الحق لاهله ، وتحمى عزة الاسلام وكرامة

---

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ــ القرطبى ــ الجامع لاحكام القرآن ــ جـ ٨ ص ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ط . دار الكتب المصرية

الآدمية ، التى كرمها الله . وفضلها على كثير ممن خلق تفضيلا .

وما هذه المرامى الاجتماعية الا لمحات يومىء اليها ، ويدل عليها ، صوغ العبارة ، ويشير اليها النظم تلك الاشارات المنبهة للقلوب الخافقة ، والوجدانات الحية .. وهى — كما تجد — بعض ايحاء هاتين الآيتين الكريمتين ، بل طرف من اشعاع وامض لمفردات الفاظهما .

* * *

وان المتدبرين هذا الكتاب الكريم ليلتمسون ما وراء هذا من لفت النظم القرآنى ، ويستبينون الحس اللغوى لكلمه ويتشعرون وقع لفظ تكرر فى الآيتين **وهو الاخذ** ، فى قوله **خذ من اموالهم** ، وقوله **ويأخذ الصدقات** اذ امر المدبر لشئون هذه الجماعة وهو الرسول — ص — فى حينه ، ثم اصحاب ذلك فى الامة بعده فهو خطاب **خص به النبى لفظا** ، **وشركه جميع الامة** معنى وفعلا (١) .

ووصف الله تعالى بانه هو : الذى يأخذ الصدقات .. وهذا وما اليه من صنيع القرآن لايجىء عفوا ، ولا يكون اتفاقا ، **بل هو روح المعنى** ، **ونفحة** من سر الصياغة ، يلتمسه الشاعرون بروعة الفن القولى فى القرآن .

وذلك انهم : يجدون **الاخذ فى اللغة هو** : حوز الشىء وتحصيله ، حوزا قويا جادا ، لايتهاون فيه ، ويجدون القرآن يستعمل لفظ الاخذ هذا فى مواطن الحوز الجاد ، فهو يستعمله فى الميثاق ، لانه موثق ورباط ، فيقول : « ان اباكم **قد اخذ** عليكم موثقا .. ويقول : **ولقد اخذ الله ميثاق** بنى اسرائيل . ويقول : **واذ اخذنا ميثاقكم** .

وهو يستعمله فى مواطن القهر والعنف فيقول : فاخذتهم الصاعقة .. فاخذتهم الصيحة .. والرجفة ، ويقول : فاخذهم اخذة رابية .

وهو يستعمله مع التحصيل القوى فيقول : خذوا ما آتيناكم بقوة ..

ويقول : فخذها بقوة .. ويقول : خذها ولا تخف .

ومن كل اولئك تشعر فى **مادة الاخذ** بانها التناول الجاد الحازم القوى تحسه واضحا فى مثل قوله : وليأخذوا اسلحتهم .. وليأخذوا حذرهم .. فيؤخذ بالنواصى والاقدام .. فنستشف هذا الجد المتناول . من مثل قوله : خذ العفو ، وامر بالعرف .. وقوله هنا : خذ من اموالهم صدقة .. كما تدرك **ايثاره وصف فعل الله تأكد فى الصدقات** بقوله : انهو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات .

وقد رأيناه قبل ذلك حين يأمر الواجدين بالاعطاء ، او يصف عملهم فى اعطاء المال يؤثر فى ذلك لفظ « **الايتاء** » لانه على ما سبق ، اعطاء قاصد ، فاعل سهل ، ميسر . . واما المتقبلون ، **والمتلقون ، المحصاون فيؤثر فى عمالهم لفظ الاخذ ، الذى هو تناول ، جاد ، قوى ، حازم** .

وتلك هى نفحات الفن القرآنى تمس حقائق الاوامر ، ولباب الافعال وهى روحها ، وموضع التعبد فيها ، ومعقد الفلاح لها ، وعندها ينبغى ان يقف

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٥

المتدبرون لهذا الذكر الحكيم ، لانه جدير بمعنى التدبر والتعقل .

* * *

انما يريد القرآن حين يضع مانتعرفه من حلول لمشكلة المال فى الاجتماع ان يؤتى المؤدون لحق الله ، الذى هو حق الجماعة فى المال ايتاء .. وان ياخذ المديرون لهذه الحقوق أخذا ، لان طبيعة هذا الجانب من الحياة تقوم على مثل هذا الحس الشاف ، والفعل الحازم ، ولان الحاجة فيه ناجزة لا تحتمل التأخير عاجلة لا تطيق الابطاء ، ملحة لاتحتمل التسويف ، لانها حاجات ضرورية متجددة نامية دائمة ، قاهرة ، يفسد التدبير لها بالتلهون ، وحين تتوانى او تتأخر وتمهل تفقد اثرها ، وتضرى بذلك قسوة الحاجة فيضطرب الامر ، ويضيع كثيرما يبذل بعد فوات اوان ايتائه ، وقد كان فى حينه ادفع للحاجة ، وارضى للنفوس وانفع للجماعة ، والفرد جميعا .

* * *

فياقوم : هذا مجتمعكم تكاثر ما فيه من موضع الحاجة الى الاصلاح الجاد ، فهل يلفتكم هذا الايحاء وينبهكم هذا التذكير ، ويحثكم هذا الهدى ، فيؤتى المؤتون حق الجماعة باسم الله — ويأخذ المديرون فى جد ، ما يسد هذه الحاجة ، يضعونه — فى موضعه ، ويصرفونه فى مصرفه ، مهتدين بالهدى العلوى الحكيم الذى كرم الآدمية ، وقرر الحق ، ووجه للحل ، وارشد للتدبير وقرر الاخذ بما دفع الى التفكر ، وأمر بالنظر ، وحض على الاعتبار ، وحذر العقبى .

« يايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى يوم ، لابيع فيه ، ولاخلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون »

قلب وواحة

طفت بالامس لأقتات فتات الذكريات
تتملى صفحة الماضى جفونى راعشات
تتملاها رسوما وسطورا حائلات
ولربى فى المحاريب تغنت شكاتى
قد ذوى قلبى « بآذار » على شط القناة
قد ذوى صديان والعوسج ريان السمات
فارع الشوك وريحانى قد ألوى انتشارا

* * *

يا له قد أصحر فى قيظ الغلاة
ومضى يخدعه الآل لينبوع الحياة
وسرى يسحبه الوهم الى حلم الفداة
حسب الربوة قصرا متسامى الشرفات
ورمال البيد درا ذهبيات الحصاة
فاحال الكون ديرا يتناغى بالصلاة
فاحال الكون ديرا يتناغى بالصلاة
ثم أهوى فاذا السلسل بالينبوع غارا ؟؟

* * *

قد طويت الليل فى الحلم وأفنيت النهارا
وسفينى فى بحار الوهم يسرى بالحيارى
وشراعى عن منار الافق قد ضل وحارا
كلما أملت فجرا من سمائى النجم غارا
وغدا كونى صريعا للدجى يطلب ثارا
كلما أرسلت لحنا غالنى الطير نفارا
وغدا روضى « كمانا » أخرس اللحن اقفرارا

* * *

« البقية على ص ٤٧١ »

أحـــد .. بلا احـــدى

استفتاء مفتوح

اثارت صفحة الادب في الاهرام نقاشا مع السيد الاستاذ عباس محمود العقاد حول كلمة «احد» فى سياق النفى العام ، وانها لا تؤنث فيقال لا احد ولا احدى .

واوردت الدكتورة بنت الشاطىء فى ذلك حججا ، هى شاهد من استعمال القرآن فى آية الاحزاب : يا نساء النبى لستن كاحد من النساء ، واوردت مع ذلك حديثا نبويا ، او نصا من السيرة ، كما اوردت نصا معجميا اظنه من لسان العرب ، اذ يقول :

« وقولهم ما فى الدار احد فهو اسم لمن يصلح ان يخاطب ، يستوى فيه الواحد والجمع ، والمؤنث والمذكر » .

ولم يقتنع السيد الاستاذ العقاد بهذا ، وعاد فاستعمل : لا احد ولا احدى ، بعد ذلك .

ووقفت المسالة عند هذا الحد ، فظل الباب مفتوحا ، ولم يبت فى الامر ، ومضت على ذلك اشهر ، دون جديد فى الموضوع .

وقد انتظرت ان يعاود احد القول فى هذه المسالة بما يقنع من الحجج ، فلم ار شيئا عن ذلك ـ فيما قرأت ـ حتى الآن .

ولما نشر فى الصحف ، ان مجمع اللغة العربية ، قد اقترح فيه انشاء لجنة للاستشارة اللغوية ، او الفتوى اللغوية ـ لا اذكر ـ شعرت ان هذه المسالة تحتاج الى الاستشارة والفتوى من المجمع ، لان احد اعضائه المعروفين طرف فيها ، وربما يكون قد تقدم احد يطلب المشورة فى هذه المسالة .

وسواء اقدمت هذه الاستشارة الى لجنة المجمع ام لم تقدم فانى قد فضلت اخيرا ان اخرج من عزلتى ، وعاودنى الحنين الى قديم العمل ، فرايت ان اقدم هذه الاستشارة المفتوحة ، على صفحات مجلة « الادب » ، اذا تفضلت بالنشر .

على انى لا اقدم هذه الاستشارة مجرد سؤال فقط ، بل اضع معها القليل الذى اعرفه فى هذا الموضوع ، ليقراه المطلعون على مجلة « الادب » من المعنيين بالشئون اللغوية ، ويروا فيه رايهم ، فربما لا يهتم المجمع اللغوى بالفتوى فى هذا السؤال ، او لا يهتم باعلان الرأى فيها ..

* * *

وقد شعرت انما اورد من حجج فى صفحة الاهرام الادبية ربما لا يكون كافيا او لا يكون مفصلا التفصيل الذى لا بد منه لمعرفة ان فى اللغة العربية : « احد واحدى » ، وفيها مع ذلك « احد بلا احدى » ، وقد عرضت المراجع العربية لبيان هذا باوسع واوضح من مجرد الاستشهاد ، والقول المجمل الذى فى المعاجم .

واشير من ذلك الى مصدر واضح التناول لهذه المسالة هو شرح ابن يعيش ، لكتاب « المفصل » للزمخشرى ، اذ ورد فيه ما نصه :

« وقد استعملوا احدا بمعنى واحد الذى هو اسم ، قالوا احد وعشرون ، واحد عشر بمعنى واحد ، وعشرين ، وواحد ، وعشرة ؛ والف احد هنا بدل من واو ، لانه من الوحدة ، والاصل وحد ، يقال : واحد ، واحد ، ووحد ، بمعنى واحد ، ومنه قول النابغة :

كأن رحلى وقد زال النهار بنا
بذى الجليل على مستأنس وحد

وقد انثوا احد على غير بنائه ، قالوا احدى ، ولا يستعملونه الا مضموما الى غيره . قال ابو عمرو : ولا تقول جاءنى احدى ، ولارايت احدى .

وليست احد هذه التى فى النفى ، من نحو ما جاءنى احد ، لان معنى تلك العموم والكثرة نحو عريب وديار ، ولذلك لا تستعمل فى الواجب ، وهمزتها اصل ، ولا تثنى ولا تجمع ، لان معناها يدل على الكثرة ؛ فاستغنى به عن التثنية والجمع ، بخلاف احد التى فى العدد فانها تجمع على آحاد » ـ الجزء السادس ص ١٦ و ١٧ ط المنيرية ـ

* * *

وفى هذا النص يتبين من صريح العبارة ان «احد» التى فى العدد ومؤنثها احدى ، غير « احد » التى فى النفى ، وهى بلا احدى .. وان احداهما تختلف عن الاخرى ، بنية وتصريفا ، ومعنى ، واستعمالا .

ا ـ فاختلاف كلمتى احد بنية بافتراقهما فى الهمزة ، اذ ان « احد » التى للعدد همزتها بدل من الواو ، واصلها « وحد » ، واما « احد » التى فى النفى فهمزتها اصلية .

ب ـ واختلافهما تصريفا بأن «احد» التى للعدد كما تذكر وتؤنث ، فانها كذلك تجمع ، : احد ، واحدى ، وآحاد .

حـ ـ واختلافهما معنى بأن « احد » التى للعدد بمعنى واحد ، الذى هو اسم ، فيقال : احد عشر ، واحد وعشرون : وهكذا بمعنى واحد وعشرة ، وواحد وعشرون .. الخ

واما احد التى فى النفى فمعناها العموم والكثرة ، مثل عريب وديار .

د ـ واختلافهما استعمالا ، بأن «احد» التى للعدد تستعمل فى الايجاب والنفى ، ولاتستعمل مؤنثها وهو احدى الا مضموما الى غيره ..

واما احد التى للعموم والكثرة فلا **تستعمل فى الايجاب بل يقتصر استعمالها على النفى ..**

* * *

واذا ما اختلفت « احد » عن « احد » هذه الاختلافات كلها ، فقد انتهى الامر الى ان اللغة قد عرفت «احدا مع احدى» و « احدا بلا احدى » وبدا ذلك من الوضوح بحيث لا يجرى عليه اختلاف كالذى جرى بين الدكتورة بنت الشاطىء والاستاذ عباس العقاد .

فهل يرى المجمع او لجنة الاستشارة اللغوية فيه سلامة هذا الاستنتاج ، او لا ؟

وهل يرى المهتمون باللغة من قراء « الادب » سلامة هذا الاستنتاج او لا ؟

وبعبارة اخرى هل تظل مسالة « احد .. بلا احدى » مفتوحة الباب ، اويمكن فيها فصل الخطاب ؟

ا . الشربينى

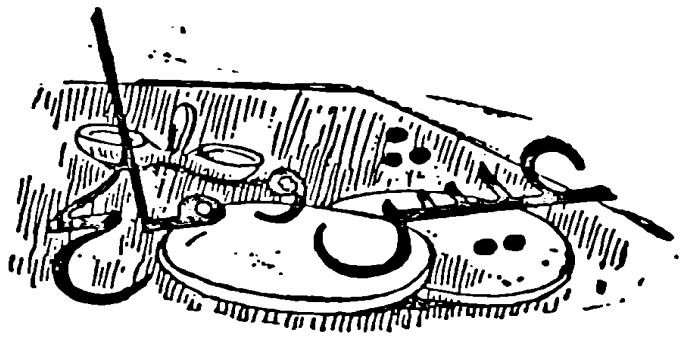

صورة زجلية بقلم : حامد الاطمس

.. ودقت المزيكة دور ـ كادنى الهوى ـ
وقام جدع . طوح ـ بلاسته ـ فى الهوا .
وهات يارقص .. وبعدها غنى با ليل :
«ياليل.. حبيبى جرحنى ومخبى الدوا»

ويكمل « الموال » ف رقة وانسجام
مابين . أعد . وكمان . وتانى . وياسلام
ويقوم جدع غيره ـ براع جنيه ـ ورق
شافه «شاويش الفرقة» رح قايل : سلام!

ضرب السلام.. وصاحب «النقطة» ابتدى
يهدى «التماسى» للعريس . ولده وده..
وهديت الاصوات . ف وقت « المطربة »
ما دنننت للفرقة دور «هادى الهدى»..

«هادى الهدى . اهدى اللى قلبه من حجر»
«اللى شغلنا . وبعد ما شغلنا هجر ..»
ويتوه بقية «الدور» ف معازيم العريس
وف النهاية «بسقفه جامدة» تنفجر ..

أما العريس .. الله يعينه ع اللى فيه
عمال يقابل اللى من ـ بره ـ يجيه
ويدور يخدم ع اللى جوه .. وهكذا
الليلة عدى نصها . ما حس بيه

الليلة آخر ليلة يا عازب . . وداع
حا تخش دنيا كلها حب ومتاع
يا مسعدك . لقيت شريكة فى الحياة
ع الحلوة والمرة سوا . ما فيش نزاع

مين كان يصدق يا «على» تصبح عريس
واللى انت كانت ـ جمعتك ـ يوم الخميس
بتروح .. وترجع تستلف م السلافين !
مافت حد ـ بدون سنف ـ زملا ورئيس

ايه صبحك يا عريس كده . لازم هناك
اسباب وجيهة سهلت أمرك معاك
قال الجدع « حسونة » بياع الخضار :
على لطيبته طال « حما » .. عقباك حماك

يوم ما طلب ايد ابنتها قالت له : شوف
بقى الحكاية . أصبحت مافيهاش كسوف
اللى يا ابنى توفره . هاته هنا . .
وانا حادبق لك جهاز ف اقرب ظروف

على . مسك ايده شوية ع الفلوس
وبطل الدخان . ووفر ف الفلوس
راحت حماته اشترت . شهر «الدولاب»
وشهر تانى .. اشترت «اودة الجلوس»

واما الجهاز اصبح تمام .. اتدبروا
ف كل شىء لازم . ليوم مستنظره
والليلة ادحنا ف « حنته » مبروك عليه
لتنين . ما حدش فى اخوه نستسخره ..

الفرح يا علوه حقيقى بان عليك . .
بس الشطارة . تشيل عروستك بين عنيك
لقيت حما تحبك . ودى نادرة قوى
اللى تقوم بالدور ده .. او تاخد ايك

« طفف » من المعازيم بتدخل فى الزقاق
اللى اتملا بالناس ومن كترتها ضـــاق..
اما « المعلم هابو » بيـــاع الفسيخ ..
هوه اللى وحده جاى لتعكير اللى راق .

حالف طلاق . ليبـوظ الليلة عليـه ..
لو حتى فيها سجون . حايحصل يعنى ايه؟!
شرب «براندى» وجاى له بعصاية شوم
ـ ايه يامعلم هابو . بس الشر ليـه ؟ !

أمال ما حدش قال كده فى يوم ما «على»
ما جانى فى « الحتـة » بتاعتى ونط لى
وشطب الفســرقة وبوظ لى الفـــرح
ـ معلهش .. ما هو ده فى الزمان الاولى

أيام ما كان لسه على « عشرين سنة »
يعنى ما يبريش زى واحـــد مننا ..
جرى ايه ياحسونة.. د «تار» مش ملعبة!
ايه يا معلم هابو .. ذى مش جدعنـــة

بالفـــرض ـ بوظ لك ـ فيما مضى ـ
اسبل على الماضى ستار .. شىء وانقضى
ازاى بقى .. هوه جدع وانا «شركسى»؟!
ما هى اصلها حاجة ما هش متقضـــة

بيمسى ع «الرقاصة» ردت ف ـ احتكار ـ
للزجة ان الواد ساعتها دمه فار ..
وحـولوا المعازيم نظـــرهم ناحيتـــه
وحبـه حبـه . فى الفـرح الغمـز دار

ـ اسكر ـ كبر له الحكاية برجـــله
خلاه عمل . اللى انت ناوى تعمـــله
وما كانش يحصل اى شىء م اللى جرى
لو كان لقى واحـد ساعتها عقـــله ..

«الاماروزات» ما يامرزوشى لرقاصين !.
لو كان عامل « اماروز» ودى ناس فنانين
لو كانش تبقى فى حمى صـاحب الفرح
عيبـه علينـــا ـ والنبى ـ يا معلمين !

ايه يا معلم هابو ..! حتى مش تمـــام
اتـكلم اتـكلم . وايه يعنى اتـكلام ؟ !
كلام ! ما يبقاش فى الفـــرح يا معلمى !
دى ـ ست ـ مهماكان . وظلومتهاحرام

على كل حال . ادخل معايا اخزى الشيطان
حقك عليه يا هابو .. فين عشرة زمان ؟!
ايام ما حدش غير على كان تك صديق
« يا عم فضك كل وقت وله أدان » ..

اتلمت أهـل الحتـــة كلك دخـــاوه
وجا العريس . وترك على الخـدمة أخوه
وفى ـ مجال الانس ـ تتصافى النفـوس
وكل متعقـد ساعتها .. يسلكوه ..

قال الجدع : يا اخواننا يا للى مشرفـين
ـ الفاتحة على ابن الحرام ـ قالوا آمين
وبين عتـاب القلب لبيض كله زال . .
والـكل قالوا لهابو . . احنـا غلطانين

لكن «على» صاحبك . برغم اللى جرى
نسيت خلاص يعنى «ليالى المندرة »؟ !
دانت يا هابو اكلت وياه « عيش وملح »
وعيب عليك . تعمل عمايل «مصفرة» ..

دا عيش وملح صحيح .! وسالت دمعتين .
من «هابو» .. خلو «على» يبوسه مرتين
وعـدت الليلة . فى غاية الانسجام . .
اجمل مافيها .. رقص هابو ـ يدكتين ـ !

حامد الاطمس

أين الشراة ؟ ؟

يا اخـــوتي . . كل الخنـــاجر ... لن تستطيل بهـــا المنـــابر
لتزيح عـن أرض الجـــزائر ... تاريخ أشـــرار فواجـــر ! !
للشـــر صـــرح عـــن جنـو ... ن مستبـــد . . عـن مجـــازر
تستنزف الثـــوار . . عـن ... شعب تمـــزق . . عن مساخر
عـن أخـــوة ترعى الجحـــ ... يم ثيابهم . . عـن كل داعـــر
يبنى لنـــا (الباستيل) مـن ... دور مقدســـة المنـــائر
فالام تشـــفلكم هتـــا ... فات مفـــرغة المحـــاجر
وصـــراخكم لـن يستحـــ ... يل قـــوى مســـعرة المجـــامر
لن تثـــاروا لـــدم الجـــزا ... ئر بالبـــكاء على الجـــزائر
والنـــار تشـــوى الافـــق تنـ ... تعل المشـــانق والمقـــابر
والليـــل يجتـــاح الوجـــو ... د فـــلا قـــاوب ولا ضـــمائر ؟ !

***

ما ترتجـــون ـ وأنتـــم ... عصب العـــروبة ـ والحـــرائر
بعـــن الحيـــا ة رخيصـــة ... ليصـــن للعـــرب المـــآثر
وحقيبـــة الامجـــاد يحـ ... ـمل عبئهـــا عنكم شـــواعر ؟ !

***

أيـن الشـــراة بنـــو اشـرا ... ة ؟ ! لقـــد تبـــدلت المشـــاعر
وتمـــزقت همـــم الشـــبا ... ب وراء طبـــال وزامـــر
حسـبو العـــروبة دعـــوة ... فتنافســـوا فوق المنـــابر
كـل يمجـــد نفســـه ... والنـــار تلتهـــم المخـــافر
حتى التـــوت أيامنـــا ... ومشـت مضـــيعة المصـــائر
ورعى مراعينـــا بغـــا ... ة غاصـــون بلا ضـــمائر
يسترخصـــون جهـــودنا ... يتربصـــون بكل ثـــائر
والشـــعب مســـلوب الارا ... دة بـين دجـــال وتاجـــر

***

أيـن الشـــراة، بنـــو الشـرا ... ة ؟ ! أليس فينـــا من مفـــامر
يمضى بنـــا لنـــدق آ ... لاف المشـــانق . . فى الجـــزائر
فى عـدن . . فى الارض السـليـ ... ـبة . . فى عمـان . . لـكل قاجـر
ونخـــوض بالمستعـــمري ... ن مجـــازرا تشفى المرائر ؟ !

***

يا للعـــروبة ! ! لم تعـــد ... تقـــوى على درء المخـــاطر
وغدت عداســـتها بذمـــ ... ـة كل افـــاق وغـــادر

وتنصلت من روعة الماضى وباعت كل ثائر
وشبابها حيران يهتف للجزائر والجزائر
فى حومة الميدان ماجت تجود بكل قادر

كامل سعفان

رسالة من الجزائر

« من مقاتل فرنسى بالجزائر الى حبيبته »

من قمة شرق الثرى ... فيها بمسفوك الدماء
من حولها تعوى المنايا ... فى الصباح وفى المساء
والجو حولى ها هنا ... ملأته رائحة الفناء
قد زاد واستبد ... بى الحنين الى اللقاء
هذا الذى أرجو ، وما ... لى غير هذا من رجاء
أنا لست أعرف ما الذى ... بى نحو هذى الارض جاء

* * *

انى دفعت الى القتا ... ل ـ كما أظن ـ بلا هدف
الا لتقتيل الضحايا ... لا لدين أو شرف
أعدو عليهم بالمنايا ... دون ذنب للأسف
واظننى لو كنت مثلهمو ... لثرت ولم اخف
ما ذنبهم لو قاوموا ... بى المسلح والصلف
الذنب ذنب كبارنا ... بين على الترف

* * *

من أرسلونى مرغما ... نحو الجزائر يا حبيبة
أسعى ليركاض الردى ... فى هذه الارض الغريبة
انى اتجهت لأرضع ... اشعلت فيه لظى المصيبة
وتدوس نعلى الرما ... ل بهذه الارض الخصيبة
بنمائنا ودماء من ... ثاروا لارضهم السليبة
هذا وما لى غير أن ... أرضى بعيشتى الرهيبة

* * *

فى كل آونة تما ... ر أرى هنا شبح الردى
يومى بأذرعه المهو ... لة منذرا ومهددا
ويصك سمعى صوته ... يرغى ويزبد مرعدا
وأنا الذى قد عشت عم ... رى للمحبة منشدا
متنقلا بين الخما ... ئل للغرام مغردا
واليوم أخشى أن تضـ ... يع الذكريات هنا سدى

* * *

انا يا حبيبة لم ازل
احيا على هام الجبل
لكننى احيا هنا
متوقعا قرب الاجل
فتوقعيه توقعى
لا تفزلى خيطنا الامل
ساموت لكن ليس موتى ها
هنا موت البطل
ساموت مسفوك الدماء
على الثرى مثل الحمل
يا طالما قد ذقت قبل مذا
قه موت الوجل

* * *

فاذا ارتميت على الثرى
يوما تكفننى الدما
لا تلعنى من سددوا للصـ
ـدر مقذوف الفناء
لا تلعنيهم ، انما هم
من دمائى ابرياء
بل فالعنى ـ ان شئت ـ سفـ
ـاحى فرنسا الاغبياء
القاتلين الابرياء ، السا
فكين دم النساء
هم قاتلى وقاتلو
اهل البلاد الابرياء

عبد الحفيظ صقر .

« بقية المنشور على ص ٤٦٤ »

كنت بالامس هنيئا تحت تيجان النخيل
باسم الثغر ضحوكا فى سنا الفجر الجميل
كنت رفافا وديعا مثل انسام الاصيل
انعش الذاوى اذكى شعلة العانى الكليل
وانا اليوم عليل ، هل اساة لعليل ؟ ؟
وانا اليوم لهيف لا اروى من غليل
صوحت واحة آمالى زهورا وثمارا

* * *

لفحتها وقدة البين بانفاس السمائم
غزت الغربان حناياها ، وعافتها الحمائم
ازعج البوم زواياها بصيحات التشاؤم
وسرى الصل بواديها تحاذيه الاراقم
يا لقلمى ماله يغفو وتعروه النواهم ؟ ؟
فاذا الواحة قفر وزهودى كالجماجم
اقفرت ظلا ونبعا ورياحين وغارا

* * *

أترى قلبى صلدا لا يبالى بالشدائد ؟
أترى قلبى وحشا فى مغارات الاوابد ؟
الف النافث بالسم وآختـه الاساود
ام تراه فقد الوعى فاضحى غير راشد ؟
ومضى يطلب ريا من سنا ضوء الفراقد
وسواء اومض المصباح ام شب اوارا ؟
رب رحماك لقلبى قد تلظيت سعارا ؟ ؟

المنصورة — على حسن العزب

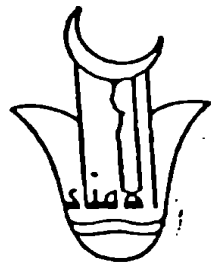

أبي

متمهلا في خطوه .. أضفى الجلال عليه بردا
وسعى به نور الاله هدى على الدنيا ورشدا

* * *

تخشاه ان لاقيته ، وتغض طرفك ان تبدا
فاذا تهلل باللقاء . حسبته .. روضا منديا
وانست من تحنانه .. ظلا على الصحراء مدا
وغدير سلسال يصفق في حنايا الروح رغدا
وأبا رحيما ، أو صديقا .. في طريق العمر ندا

* * *

كان الخطيب اذا التوى درب المروءة أو تردى
واذا تراءى الخطب ، اشعل شعبه .. عصبا وزندا
وأهاب بالميدان ، فانطلقت شبول الغاب أسدا
وثنى .. فاهرق عمره ، وبنيه .. للميدان رفدا

* * *

جسم التواضع .. لا يخال بانه أعطى وأسدى
وأراق في درب الكفاح العمر تضحية وجهدا
لا الكبرياء به تطل ، ولا الحنان العنيد يهدا
الله .. ان يأوى الى محرابه ، فينوب وجدا
فترى الجبين الحر يخضع ، أو ترى الاجفان تندى

* * *

أعيي به ، وأنا الفخور - مذوبا .. عبرقا وسهدا
فاذا المساء على الدنى .. ألقى من الظلمات بردا
حمل الحصاد الى بنيه ، وزوجته .. تعبا وكدا

* * *

ان قلت : اني شاعر .. أهب الربا عطرا وورد
وأرود افق النجم .. أنشد في مدار النجم صيدا
وأجود بالاطياف أنثرها على الابداع خلدا
وأخوض ملحمة المصير لامتي .. صلبا وجلدا
أو قلت : اني لا أخال على طريق المجد فردا
وأتية فوق الساقطين على الثرى وغدا أو وغدا
الصانعي أكفانهم .. فرقا مبهرجة ، وحقدا
فانا ابن هذي الروح انماني الى العلياء طودا
مثلي ، واستاذي ، وصاحبي الذي يفدي ويفدى
لو يعبد الآباء ، كنت بديره - العمر - عبدا

أنس داود

«وعلى الأرض السلام»

ادعو الخيال وما يجيب دعائى ... واصيخ سمعى ضحوتى ومسائى
واروض اوتارا على نغماتها ... غنيت شدوى رائعا وبكائى
لكن اخت الشعر تعرض جانبا ... وتشيح عنى رغم صدق دعائى
لهل التى اوحت خيالى ساحرا ... وعلى الروابى رجعت اصدائى
قصت جناحيها سفينة عالم ... سعت عليها واسع الاجواء

* * *

قد كان هذا الكون خيمة شاعر ... ومثابة العشاق والندماء
كم هام فى ضوء النجوم وسرها ... من عهد حندج موكب الشعراء
يبنون افلاك السماء منازلا ... وعرائسا مسحورة الاضواء
رقص الورى دهرا على نغماتهم ... والشعر كان سفينة القدماء
واليوم اصبح كل وهم سافرا ... ما انعس الشعراء بالعلماء
اما انا فلقد هجرت سماءهم ... لاعيش بين مشاكل الاحياء
لملاعب الاطفال فى طرقاتنا ... وتدله الآباء بالابناء
للحب .. للاحرار يدمى قيدهم ... للآخذين بناصر الضعفاء
للواقفين على الكفاح حياتهم ... للصاعدين منازل الكرماء
للآخذين على الشرور دروبها ... مهما انت من محنة وبلاء
الارض دارى وهى بين جوانحى ... وان احتوانى منزلى وخبائى
ولها غنائى كلما رددته ... ادركت فيه سعادتى وغنائى

* * *

حسب السماء سفيننا وضجيجنا ... وتطاحن الانداد والقرناء
ضاقب رحاب الارض عن اطماعهم ... هل فى السماء رغيبة العقلاء
ام انبياء الارض يسعى دينهم ... للفرقدين ومنزل الجوزاء
يدعون افلاك السماء واهلها ... لشريعة الاغلال والبغضاء
للخوف للاحقاد تطحن اهلها ... لتربص الطغيان بالضعفاء
ان كان ذاك فما اظن رسولنا ... الا ملاك ضحكة استهزاء

* * *

يا ليت شعرى يا سماء وانى ... من راحتيك هداياى ودعائى
كم جاءنا منك السلام ودعوة ... عصماء جادت باليد بالعصماء
ما زال عرفان الجميل وانما ... نضح الاناء يريك جوف اناء
لا تستطيع الارض تنتج بلسما ... وجراحها تؤسى بسم الداء
لا تستطيع الارض تذكى شعلة ... وزمامها للقوة العمياء
لا تستطيع الارض صون حياتها ... والعلم اخرق فى اليد الخرقاء

* * *

يا فتية الشرق المؤمل فى غد ... ادعوك للجلى وطول عناء
أن تسترد من الزمان منارة ... سقطت وكانت قبلة النجباء
وتصون بالعلم الحياة وحقها ... ان اهدرتها قوة الجهلاء
العلم سلمنا الى ما نبتغى ... والسلم عدتنا لحفظ بناء

السيد ستيت

المنصتـــون

قصيدة للشاعر والتزدى لامار

سال المسافر ، هل هناك احد ؟ ،
وهو يطرق الباب المكسو بضياء القمر .
وجواده فى السكون يرعى الكلأ
من ارض الفلاة المفروشة بالنبات .
وطار عصـــفور من البرج
فوق راس المســـافر .
وعاود الطـرق على الباب ،
سائلا ((هل هناك احد ؟))
ولكن لم ينزل اليه احـــد .
ومن العتمة المكســوة باوراق الشجر ،
لم يطل راس ما ليحدق فى عينيه الرماديتين ،
حيث وقف ساكنا فى حيرة من امـره .
بل وقفت ، فحسب ، جمهرة من الاشباح المنصتة ،
كانت تسكن البيت حينـــــذاك .
وقفت فى سكون ضوء القمر ،
تصغى الى ذلك الصوت من عالم البشر .
وقفت تزاحم اشعة القمر على الدرج المعتم
المفضى الى القاعـــة الخاليـــة .
مرهفة السمع خلال أثير اختلج وارتعش ،
من نداء المســافر الفارق فى الوحدة .
واحس فى قـرارة قلبـه بوحشتها ،
وبانها فى صمتها على ندائه تجيب .
بينما تحرك جواده يقضم الكلأ السابح فى الظلمة ،
تحت نجوم السماء واوراق الشجر .
احس بذلك لانه طرق الباب فجاة ، طرقا
اكثر شـدة ورفع راسـه قائلا :
« خبروهم اننى جئت ولم يجبنى احـد ،
اننى وفيت بوعـــدى))
ولم تبدر من المنصتين ادنى حركة ،
رغم ان كل كلمـــة قالهـــا
رنت اصداؤها فى ارجاء الظلال التى تكتنف البيت الصامت .
كل كلمة القاها الرجل الوحيد الذى يقى يقظان .
ولقد سمعوا ارتطام قدمه على ركاب السرج ،
وصوت الحـــديد يدق على الصخـــر
وكيف ارتد الصمت برفق مخيما من جديد ،
عندما تلاشى وقع الحوافـــز المبتعدة .

ترجمة : نعيم عطية

الصدى

قصة : كارلوس سامايو اشنشللا
ترجمة : ماهر شفيق فريد

حدث فى ليلة الاحتفال بعيد القديس يوحنا راعى قرية « اولينتبك » ان دعا كاهن القرية رجاله المخلصين الى لدنه وجرى بينهم حديث طويل انتهى بان قطع عليهم عهدا بالمجيء فى اليوم التالى واوصاهم الا يسرفوا فى الشراب قبل بدء الاحتفال احتراما لقداسة الذكرى ووقف الرجال فى صف واحد وقد عقدوا الاذرع فوق الصدور واحنوا رءوسهم فى خشوع ثم وعدوه بان يتصاعوا لما امر به واعلنوا انهم قداعدوا الجوقة الموسيقية التى ستعزف فى الاحتفال غدا والمفرقعات التى ستدوى ابتهاجا به وباقات الورد التى ستغطى الشوارع اثناء مرور الموكب واحمال الصنوبر ثم سألوا الكاهن ان يختار رجلين من بينهم لتنظيف تمثال القديس يوحنا وتزيينه وهى عملية تقتضى من القائمين بها قدرا ملحوظا من التقوى والقداسة .

واصغى الكاهن الى هذا الرجاء ثم امر بان يوضع موضع التنفيذ فورا ولكنه اشترط فى حزم الا يخلع الرجال على التمثال حلة هندية وقال ان له حلة خاصة به لايجوز ان يرتدى سواها فضلا عما فى ذلك من خروج على التقاليد وسارع الرجال يؤمنون على قوله ثم انسحبوا منه السماح لهم بوضع سنابل القمح وحفنة من الفول عند قدمى التمثال تبركا به وبدا حينذاك ان الموضوع استوفى حظه من النقاش ولم يبق ثمة ما يقال فتحرك الكاهن فى مقعده ايذانا بانتهاء الجلسة واعلانا للرجال بان الوقت قد حان لكى ينصرفوا الى المذبح حيث يوجد تمثال القديس فيبدأ تزيينه ولكن احدا من الرجال الهنود لم يتحرك ولبثوا يحدقون فى الكاهن ولا ينبسون .

ابتسم الكاهن فى عطف وهو ينفث دخان لفافته واطبق على المكان سكون عميق بينما راحت ذبالة المصباح تتراقص وتريق نورها الكابى على تمثال العذراء القائم فى حجرة الكاهن واخيرا راح اكبر الرجال سنا يتبادلون النظرات ويتحدثون بلغتهم الهندية . وكانت هذه التمثيلية المألوفة تجرى كل عام فى ليلة الاحتفال بعيد القديس يوحنا وكان على هؤلاء الرجال ان يدعوا مشاكلهم الخاصة ويكرسوا انفسهم لخدمة الدينية فى تلك الآونة . وبعد فترة صمت اجرى احد الرجال للكلام كما لو كان ارتاى امرا وكان كهلا انيق العبارة يتحدث فى تؤده وقد شرع يتكلم بالاصالة عن اخوانه فالتمس من الكاهن السماح لهم باشعال الشموع الفضية من صناديقها وسأله

ان يختار واحدا منهم ليحملها فى موكب الاحتفال غدا واعلن الكاهن موافقته فى اربحية وهكذا انتهت الاجراءات الشكلية وهم الهنود بالقيام وقد طابوا بالا عندما ابتدرهم الكاهن قائلا :

— سوف نرى هل تقضى مشيئة الرب بان يكون الاخ مايتو عضوا فى جماعة القديس يوحنا هذه المرة ام لا .

ولقد كان من العسير ان تجد فى جواتيمالا كلها رجلا يفوق مايتو فى حماسة وتطلعه الى تمثيل قريته فى الاحتفال الذى سيقام غدا ومع ذلك فلم يكن تحقيق هذا الهدف فى مقدوره . وكان مايتو هذا من ابناء القرية المشهود لهم بالاتزان وتقبل الحياة على علاتها وعندما بلغ الخامسة عشرة وقع اختياره على فتاة من قريته ليتزوجها مجاراة للعرف السائد وتحقيقا لامانى والديه وقد حالفه النجاح فى هذا الاختيار اذ كانت زوجة طيبة مخلصة ولودا . وكان مايتو رجلا صريحا بسيطا لا يحقد على احد ولا يشوب شخصيته غموض وقصاراه ان يعنى بأسرته ويؤدى مايطلب اليه اداؤه بنفس راضية ومع انه كان مولعا بالشراب فقلما رآه احد وقد ذهبت الخمر بلبه . ولكن حدث مع مرور الزمن حين بلغ مايتو الاربعين من عمره ان اشتبك فى عراك مع المدعو «جوان سيوتا» وهو افاق سيء السمعة يشتغل بالسحر والعرافة والكهانة وخرج الساحر من المعركة وقد اضمر فى نفسه امرا اما مايتو فقد نسى الامر كلية ولم يعد يذكر سوى رغبته فى ان يكون مندوبا عن قريته يوم الاحتفال بذكرى القديس يوحنا وفى سبيل هذا الهدف رفع الصلوات الى الله واحرق البخور ولكن مجهوداته ذهبت ادراج الريح مع ان كاهن القرية والرجال الهنود ورؤساء جمعية القديس والوه بالتشجيع ونصحوه بان يمضى فى سيرته الحميدة ويستوحى بالعبر خيرا حتى يرى ماعسى ان تتمخض عنه الايام .

وكان مايتو رجلا كريم المحتد ينحدر من صلب أسرة عريقة اعتادت ان تتقدم الصفوف فى اثناء الحرب وان تقود حملات العيد التى يخرج اليها الرجال فى زمن السلم ومع انه لم يكن غنيا بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة الا ان اسرته كانت تملك اربعة حقول تزرعها قمحا وقطيعا من الماشية يرعى فى سهوب القرية على ضفاف النهر الذى ورد ذكره فى الاساطير بانه ان امرا واحدا كان ينغص عليه سعادته ويحول بينه وبين امنيته الكبرى فهو اما ان يكون مريضا اثناء عيد القديس يوحنا واما ان ينتخب غيره ليمثل القرية وهكذا كانت السنون تمر دون ان ينتهى الى بغيته حتى وقر فى ذهنه ان تمثيل قريته فى ذلك الاحتفال ليس امنية يتوق الى تحقيقها فحسب ولكنه حق اكيد له يدمعه عثار الحظ من ادراكه . وزاد من ضيقه ان اصدقاءه وافراد اسرته شرعوا يعيرونه باخفاقه المتكرر بل ان كاهن القرية نفسه قال ذات مرة ان عدوا شريرا يزاول نشاطه ضد مايتو ولا شك والا ماتعذر عليه ان يكون عضوا فى جمعية القديس يوحنا . ولطالما ساءل مايتو نفسه فى حيرة : من عسى ان يكون هذا العدو اللعين ؟ اتراه الشيطان ؟ ولكن هذا بعيد الاحتمال لاسيما وانه رجل مسيحى صالح على انه لم ينف عن ذهنه هذا الخاطر نهائيا فقد ذكر انه كان واقفا فى الكنيسة ذات يوم اذا به يرى وجه جوان سيوتا وقد استحال الى ما يشبه وجه الشيطان الرجيم وكان هذا مدعاة لان يثور فى نفسه القلق وان يكابد من عذاب الشك امدا طويلا .

* * *

وهجعت القرية فى المساء وكانت النجوم الذهبية ترصع قبة السماء واخيرا راح الظلام يتلاشى فى اطياف

ناعمة وبدات انوار الفجر الوليد ترقص فوق امواج النهـــر الذى ورد ذكره فى الاساطير وعما قريب يبدأ الاحتفال بعيد القديس يوحنا فى القرية . وعندما بدات الديكة فى حظائرها تؤذن للصـباح وبدا النور المشرق ياتى من فـوق المذبح الى تماثيل العذراء كان الهنود يقيمـــون الشعائر المقدسة وقد استحوذت عليهم نشوة روحية عميقة مبعثها ان المشيئة الالهية قد رفضت ان يتولى مايتو الخدمة الدينية فى هذه المرة واما مايتو فقـد انعم فؤاده سرورا . وفى لحظات قلائل اصطف اعضاء جمعية القديس يوحنا على باب الكنيسة استعدادا لاستقبال موكب الهنود الحافل كما تقضى التقاليد وبدات الطبول تقـرع وراحت المزامير تطرز فى الهواء انغام البهجة وشعر مايتو بان الانظار تتركز عليه دون سـواه فامتلأ زهوا . وفى ركن آخر من الكنيسة كانت الفتيات ينسجن حلقـة ضاحكة ثرثارة وكان عليهن ان يقـذفن اوراق الورد وازهار النارديين على طول الطريق الذى يمر به الموكب وقد زينت الممرات الجانبية بالاعواد الفضية التى تتلألأ عليها الزهور الصناعية وبدا ناقوس الكنيسة يرسل دقاته على حين ترك الموكب فى صحن الكنيسة وكان دوى الاجـراس عاليا يكاد يبلغ عنان السماء اما فى القرية فقد وقف رجلان فوق التل يدخنـان وينتظران اشارة البدء فى الالعاب النارية حتى اذا ما جاءتهما الاشـارة انحنى احدهما على انبوبة ترتكز فـوق ساق خشبية وادنى فتيلا مشتعلا من فوهتها ثم ابتعد الرجلان عن المـكان وفى التو واللحظة ومضت لمعة ذهبية براقة واهتز الهواء بغتة ثم دوى الانفجار فى قـوة خارقة تطاول السماء حتى ليخال الرائى انها طبلة مشدودة من الجـلد الازرق تخفق تحت وطأة الانفجار البهيج .

وفى اللحظة ذاتها مر جوان سـيوتا بالموكب والقى على الفتيات ذوات الصدور الناهدة نظرة فاحصة ثم حـول عنهن البصر واستقرت نظراته الخبيثة على مايتو الذى وقف امام تمثال القـديس يوحنا فى خشوع وعندما شعر مايتو بهذه النظرة خاطب نفسه قائلا : « اى هندى تافه الشان هذا الجوان سيوتا . ولكن انظر انه يضحك فى تشـفى فما الذى يضحكه ؟ وكيف يجسر على الضـحك امام كاهن القرية واعيانها ؟ » وكان مايتو حريا بان يظل فى حيرته لولا ان كلبـا اجرب عبر الشارع فى تلك اللحظة واقتحم حرم الكنيسة المقدس ثم مر بالجميـع دون اكتراث حتى توقف عند مايتو فراح ينبح نباحا متواصـلا واذهلت المناجاة الرجال فانفجروا ضاحكين وحتى العمدة الذى لا يعرف الابتسام امر بطرد الكلب واعطافه تتمايل ضحكا . وبعد خروج الكلب انقشعت آثار هذا الحادث العارض وراحت الجوقة الموسيقية تعزف وكان شيئا لم يكن بيد ان مايتو شعر بقلبه يغوص بين ضلوعه وايقن ان سعادته قد مضت الى غير رجعة وخيل اليـه ان الشمس الساطعة افلت وتركت الكنيسة تسبح فى ظلام دامس وان بهجة الحفل استحالت وجوما وان فرحة الفتيـات امست ضيقا وان تمثال القديس نفسه لم يعد مكتسيا بنظرته الحلوة المترفعة التى تعلوه وهو يتقبل هدايا اهل القرية

* * *

شعر مايتو بقلق غامض يبثه الموقف فى حناياه وضاق ذرعا بالشمعدان الفضى الذى يحمله وايقن ان قوة خفية تتحكم فى مصيره واليها يرجع احضاره فى هـذا المكان الامر الذى لا يتاتى الا بفعل ساحر ومن له دراية بالسحر غير جوان سيوتا؟ انه عدوه الوحيد الذى يربض له الدوائر منذ نشب بينهما ذاك العراك القـديم ومما زاد هذه الفكرة رسوخا فى ذهنه ان زوجا من الافراخ ضاع منه ذات يوم دون علة ظاهرة وان جدنا هرب منه ولجأ الى منزل الساحر فخضع لسـ ـلطته

واصبح اطوع له من بنانه ضد صاحبه القديم .

واحس مايتو بان حلقه الجاف ينتهب ظمأ وان العرق يرفض من جبينه ويديه فقرر ان يختفى عن الجمع برهة ريثما ينقع غلته بكأس من الخمر وما لبث ان غادر الكنيسة ودلف الى حانة صاخبة فاختار مقعدا منعزلا وطلب زجاجة من الروم وكان يتابط الشمعدان الفضي مخافة ان يسرق منه فتكون الطامة الكبرى وجاءه النادل بالزجاجة فعب الروم فى الكأس وراح يرمقه فى شغف ثم رفعه الى شفتيه واحتساه فى جرعة واحدة محتفلا بنجاحه فى تمثيل قريته وبانتخابه عضوا فى جماعة القديس يوحنا رغم كل ما حدث . وعندما شرع فى تجرع الكأس الثانية وقع بصره على لفيف من الاصدقاء والجيران ممن غادروا الكنيسة ووفدوا الى الحانة بدورهم فاستولت عليه اريحية مفاجئة ودعاهم الى الجلوس الى مائدته واصر على دفع الحساب عنهم . كان يتوق فى اعماقه الى الشعور بالقوة والظهور امام العالم بمظهر الرجل القادر الذى يصمد لامثال جوان سيوتا ويحبط مكائده فى ثبات .

وعندما انتصف النهار والتهب قرص الشمس فوق القرية بعث كاهن القرية برسوله فى طلب مايتو ودلف الرسول من باب الحانة فما راعه الا ان يرى مايتو السكير وقد رقد على الارض بلا حراك وراح يتمتم ببعض الشتائم اما الشمعدان الفضى فقد سرق فى غفلة من صاحبه وكانت فضيحة فى القرية . وعندما علم الكاهن بذلك اصدر اوامره بفصل مايتو من عضوية جماعة القديس يوحنا وبدا الرجل يتجرع غصص الخيبة من جديد ويعزو ماحاق به من اذى الى عدوه جوان سيوتا .

ولكن عدوه الوحيد فى الواقع لم يكن سوى الخمر !

قال الخليل بن احمد

الدنيا أضداد متجاورة ، واشباه متباينة، وأقارب متباعدة ، واباعد متقاربة

وقال أيضا :

اعمل بعلمى وإن قصرت فى عملى ينفعك علمى ولا يضررك تقصيرى

« قصة سودانية »

عندما اتمت الجدة عائشة الحكاية الرابعة ، كان الفزع قد بدأ يسيطر على تحية ويشل حركتها تماما . جحظت عيناها جحوظا مخيفا ، وانفجرت شفتاها قليلا وانكمشت اصابع يديها العشر فى قوة وكأنها تقاوم المآ عظيما يحطم اعصابها. والتفتت الى اخيها كمال . كان وجهه ضاحكا تبرق عيناه فى سعادة ، وتتسع ابتسامته فتظهر اسنانه كلها ولسانه الاحمر الكبير .. وكان يدعك راحتيه فى سرور ويمسك بثوب الجدة عائشة ويوشك أن يقبله ، ثم تنطلق الكلمات من فمه فى الحاح عنيد طالبا من جدته ان تقص عليهم الحكاية الخامسة . واشاحت تحية بوجهها عنه والتفتت الى شقيقها الاخر عز الدين .. انه أيضا كان سعيدا ، تبتسم عيناه فى تحفظ — فهو اكبر الثلاثة — ولكنه كان يجد صعوبة بالغة فى اخفاء ذلك الفرح الذى يحس به يسرى فى كيانه ، كان يطلب المزيد من الحكايات ، ولكنه اكبر الثلاثة وهو ليس طفلا مثل كمال وتحية . كان ينظر الى الجدة عائشة ويصغى لرجاءات كمال ويتمنى من صميم قلبه لو استجابت الجدة لتلك النداءات الحارة . ومع جمودة الجدة عائشة وجد نفسه يقول لها دون وعى :

— يعنى حكاية واحدة حتعمل ليك شنو يا حبوبة ؟

وارسلت اليه تحية نظرة ناربة واضطربت شفتاها فى غيظ وهى تقول لعز الدين

— حتى انت اللى عامل نفسك كبير !

واخيرا ابتسمت الجدة عائشة واعتدلت فى جلستها واحاط بها عز الدين وكمال وظلت تحية واقفة .. دقات قلبها سريعة متلاحقة وانفاسها لاهثة ، وجسمها يرتعش من القدمين حتى شعرها ذى الضفيرتين . ورأت جدتها تفتح فمها . وفى سرعة القت بنفسها على العنقريب وامسكت بثوب الجدة ثم حشرت راسها الصغير بين ثديى عائشة الضامرتين ، واغمضت عينيها .

وغضب كمال وصاح فى وجه شقيقته :

— انت يا بت فقرية كده ليه ! ماتقومى تنومى لو أصلك خايفة ؟

ولم تحتمل الحمقاء الصغيرة كل ذلك :

— وانت مالك يا بارد ؟ رقدت فيك انت ! ؟

واما عز الدين فقد ظل صامتا لايفتح فمه .

وبدات الجدة عائشة تحكى وخيم سكون عميق على « الحوش » وانتشر نور القمر فى كل ركن منه ، وانقطع غطيط

الام الذى كان يضايق كمال ضيقا شديدا رغم انه صادر من امه وانتهت اذاعة أم درمان بتلاشى صوت راديو الجيران ، ولم يعد حبل الغسيل يهتز ، وسكنت حركة « العنزة » فى « الراكوبة » المنزوية امام المرحاض ، وكل شىء هادىء ، الليل ساكن كالموت ، وصوت الجدة عائشة ينبعث عميقا يحمل فى طياته اساطير (ود النمر) وبت السلطان وفارس الجعليين ، وتحية يعذبها كل ذلك ، ولكنها تصبر والجدة تواصل حكايتها :

ـ « ويسير الامير .. ووجهه الجميل يضيىء له الطريق ، وقلبه يتعذب ، يبحث عن حبيبته « قمر » التى ابتلعها التمساح هى واختها « ليل » . يسير الأمير والدنيا تبود امام عينيه ويجد نفسه أمام تسعة حلالات . ويهبط من جمله ويقف على الارض ، ويخترق بنظره الثاقب الظلام الكثيف الذى يمتد امامه غير الحلال الاول ويتغنى فى اسى باحثا عن الشقيقتين .. قمر وليل :

يا الجلة دى ....
امانة الصقر الشايب
ما فيكم بنات اتنين ؟
غرباء وشقائق ..
ليل وقمر .... ؟
ابكوا معاى يا حبايب

ويأتيه صوت من داخل الحلال (الحلال كلمة سودانية قديمة بمعنى تربة) بأن قمر وليل لا توجدان هنا وعليه أن يذهب الى حلال آخر .. ويسير الامير والهم يعصر قلبه ، والاسى يحلم روحه الى الحلال الثانى والثالث وللرابع ... »

وتستمر الجدة عائشة تحكى وتحية سذبها الصمت الذى يشمل البيت . وصوت عائشة يسرى كالمخدر فى اعصابها لا تقاوم ولا تصيح . ولكن قلبها يدق بشدة ولسانها يضطرب داخل فمها .. لماذا عادت الجدة عائشة من « اب عداره » .. ؟

لماذا تقص علينا كل هذه الاشياء المخيفة ؟ واحست برغبة فى البكاء ولكن لا .. لا يجب ان يرى احدهم الدموع على وجهها ! واغمضت عينيها وعرقا صدغيها ينتفخان وشىء بارد كالثلج يبلل رقبتها ، وصوت الجدة عائشة يطرق اذنيها من بعيد وكانه صادر من بطنها المفصدة .. وارتخت عضلاتها وزال شحوب وجهها ، وهدأ تنفسها .. وعادت دقات قلبها الصغير الى ما كانت عليه .

ومضت ساعات ...

وفتحت عينيها .. لا تزال فى الليل . واحست انها تنام وحدها على « العنقريب » ، وسرت فى جسدها رعشة وبردت اصابع قدميها ولم تقو على رفع ذراعيها او تحريك راسها .. كانت كتمثال جميل من الشمع .. وامتزج فزعها بغضب خفى .. « تركونى وحدى فى الظلام . » واحست بحنق وانتابتها رغبة اكيدة فى ان تعض اذن اخيها كمال .. لماذا نهض وتركها بعد ان كان نائما الى جوارها ؟ لماذا ذهب ينام بجانب عز الدين ؟ لا شك انه كان خائفا ايضا .. « انه يخاف فلماذا لا اخاف انا ؟ هو ولد وانا بنت ؟ ؟ »

واحست بغصة فى حلقها . وامتلأت عيناها بالدموع ، ولكنها لم تجرؤ على فتحهما .. لا يمكن ان تفتح عينيها ، ربما رات اشياء كثيرة تخافها . وفى هدوء وبطء شديد جذبت ساقيها ناحية بطنها .. وامتدت ذراعها اليمنى تتحسس الجزء الايمن من الفراش .. لا احد ! وبنفس البطء ونفس التردد اخذت اليد اليسرى تتحسس الجزء الاخر من الفراش .. لا احد ! واخذت تتنحب فى

صوت خافت تسمعه هى فقط : « تركونى وحدى فى الظلام » .

على بعد خطوات منها تنام امها . مسكينة تحية ! امها لا تعرف العذاب الذى تقاسيه ، وفتحت فمها وارادت ان تصرخ ولكن الصوت احتبس فى حلقها .. انها سوف تجن .. سوف تموت .. لماذا عادت الجدة عائشة من «اب عداره»؟ لماذا تحكى لنا هذه الحكايات المخيفة ؟ انها هى نفسها تشبه الفولة بشعرها الابيض واظافرها الطويلة .. نعم حبوبة عائشة غولة ما فى ذلك شك .. انها تنام وحدها وتتحدث كذلك اثناء نومها وتضحك !

واهتز جسم الصغيرة ، وغرق وجهها فى الدموع ، والظلام والصمت يشملان كل ركن فى المنزل . وفتحت احدى عينيها وبركت الاخرى مغمضة ، والعين المفتوحة تنظر بها خلال ثقب صغير جدا فى ثوب امها الذى تتدثر به . كان هناك حبل الغسيل طويل واسود مثل الغول الذى تحول الى ثعبان والتف حول (ود النمير) ، وزادت ضربات قلبها ، واخذت تتنفس بفمها وصدرها يعلو ويهبط واصابعها كالثلج ورغبة طاغية تدفعها للصياح .. ولكن الصوت لا ينطلق فتختنقها دموعها وتبكى فى صمت . وتعود تنظر من ثقب الثوب .. ظلام .. ظلام .. هناك على الحائط ابصرت بالمصلاة معلقة على المسمار .. لقد احضرتها معها حبوبة عائشة من «اب عدارة» .. «يا الهى . !» واحست بشىء يبتلعها .. يبدأ بقدميها ثم يواصل ابتلاعها حتى الفخذين .. وشعرت بان نصفها السفلى يطير فى الهواء كالريشة فقد اصبح خفيفا لا تحس به .. وتجسم الرعب فى عينيها المفتوحة وهى تنظر بها من ثقب الثوب .. آه .. انها المصلاة .. التمساح الذى ابتلع قمر وليل ، يبتلعها هى الان . وابصرت دوائر سوداء تحوم حول راسها ، وعيون حمراء مثل الجمر تطل عليها وتحدق فيها .. وخيل اليها ان المصلاة قد نبتت لها اربعة ارجل تنتهى بمخالب حادة وانها تتحرك فى اتجاهها .. « يا رب ! » .

واحست الصغيرة بشىء يطبق على عنقها .. انها الفولة جاءت تلتهم زينب البلهاء بعد ان اكلت من العصيدة المسحورة التى رفضتها فاطمة وصاحباتها .. مسكينة زينب .. لقد قال لها :

— ماكلى العصيدة دى .. كان اكلتيها حتتكسرى وبعدين حبوبة الغولة حتجى تاكلك .

ولم تسمع زينب البلهاء تلك النصيحة واكلت العصيدة المسحورة وعندما ارادت الوقوف لم تقو ساقاها على حملها ولم تستطع الهروب مثل صديقاتها فسقطت على الارض وهى تبكى الى ان جاءت حبوبة الفولة واكلتها .. مسكينة زينب .. ! وبكت تحية . ولم يعد بمقدورها بلع ريقها ، والخوف يشل حركتها . انها لاتستطيع ان تلمس قدمها ولا حتى يمكنها رفع راسها والدوائر السوداء تحوم حول راسها ، وعيون حمراء مثل الجمر تحدق فيها .. انها تنام وحدها . تركها كمال ونام بجانب عز الدين لانه خائف مثلها ، وامها لا تحس بها .. وكلهم نائمون . . هى فقط المستيقظة .. هى فقط التى تعانى كل هذا العذاب .. انها لا تستطيع ان تصل الى امها رغم انها لاتبعد عنها سوى خطوات .. وامتلأ وجه الصغيرة بالدموع .. لابد ان تذهب وتنام بجانب امها . واحست انها قد تصلبت على الفراش وان هناك مخالب حادة تطبق على عنقها الرفيع اذا هى حاولت النهوض . . وبكت تحية .. انها تريد امها .. تريد ان ترتمى فى احضانها .

ووصل العقل الصغير الى شىء . سوف تعد من واحد الى ثلاثة ثم تقفز

قصة بقلم : رجب البنا

انطلقت من اعماقها صرخة عالية مزقت صمت الحجرة ، واجتاحت جسمها رعشة ، والصفرة تزحف على وجهها لترسم على اساريره دلائل الفزع والرهبة . واحست شعر راسها يقف ودموعها تنساب غزيرة لاتنقطع . !

بدت كالمجنونة ، تلطم وجهها ، وتشهق ، وهى لا تصدق ان رجلهايمكن ان يموت هكذا ببساطة . منذ ثلاثة ايام فقط كان يحدثها بثقة لا تجعلها تصدق انه مات :

ـ السنة الجاية بلاش . . واللى بعدها ان شاء الله نروح الحجاز يا أم مصطفى نادى الفريضة . . !

ورات ابنها مصطفى يجرى مفزوعا ، فتزايد نحيبها ، واصطدم بالجسد الممدد امامها ففضته بسرعة ، وتتابعت شهقاتها اللاهثة المجنونة ، واحتضنت الولد تضمه بقوة وخوف وهى تدفعه خارج الحجرة فانفجر باكيا وقد عرف من وجهها كل شيء ، واحد يقاوم رغبة تلح عليه فى ان يلقى نظرة على ابيه ، وبذيل فستانها مسحت دموعها ، وتمتمت وشهقاتها تخنق كلماتها :

ـ روح يا مصطفى . . روح اجرى نادى لى خالتك صفية . .

وجرى الولد وحشرجة بكائه تسبقه.

وحين عاد مع خالته ، لم يجد امه وحدها ، وكانت معها الحاجة ام زكى ، والست فتحية ، وانصاف ، جثن على صوات امه ، كلهن يتشحن بالسواد وعيونهن الحمراء تترقرق بالدموع ، ويبدو فيها اثر النوم ، الا الحاجة ام زكى التى كانت تتحدث بهدوء وكأن شيئا رهيبا لم يحدث :

ـ يا ناس اعقلوا . . دا الموت علينا حق . . احسن ختامايا رب . .

ويضيع صوتها وسط الصراخ الذى اشتد فجأة وكأن سياطا تلسعه ، ثم تعود ام زكى الى حديثها وهى تربت على ظهر امه :

« بقية قصة الرعب »

فى سرعة على فراش امها وليحدث ما يحدث . وبكت . . لماذا تضطر لان تعمل كل ذلك ؟ . . واحد ! ومضى وقت طويل والنحيب يشتد والدموع تبلل الفستان الاحمر . . . اثنين! ورفعت راسها وكفاها يحجبان عينيها . . وزادت ضربات قلبها . . ثلاثة ! وقفزت على فراش امها وصرخة حادة تحمل كل معانى الرعب والفزع تنطلق من حنجرتها وتشق ذلك الصمت المظلم فتوقظ امها وجدتها وكمال وعز الدين ويضاء نور البيت لمعرفة ما حدث لتحية . . ولكنها لا ترفع راسها عن صدر امها وكان تلك الصرخة لم تنطلق منها .

ويعود الظلام يغلف البيت من جديد وتحية تحتضن امها ، وتحرك قدميها ويديها كما تشاء ، وابتسامة عذبة مطبوعة على وجهها الاسمر الصغير .

الطيب زروق

— يا ناس اعقلوا .. انتوا حتكفروا والا ايه .. بت يا سنية .. قومى البسى يابت .. وانت ياصفية .. قومى افرشى الاود عشان الناس .. انتو حتفضحوا نفسكم والا ايه .. ؟ !

وقامت خالته صفية تفك سريره ، وتركن المائدة الصغيرة على جنب ، وانصاف تفرش معها البساط فى ارض الحجرة ، الحاجة ام زكى هى التى استطاعت ان تدخل حجرة ابيه لتفمض عينيه وتلثمه ، ودخلت امه الحجرة ثم خرجت بعد لحظات وعيونها حمراء ككرات الدم ، تضرب صدرها ، وتقول ، وشهقاتها تقطع صوتها المخنوق :

— يا ختى طرحتى مش لقياها .. مش عارفة اديتها لمين .. يادى الوقعة السودة !

وسارعت الست وصيفة ترد ، وبطرف عينها تختلس النظر الى الحاجة ام زكى وقد رأتها — فى حجرة المرحوم — تدس شيئا فى صدرها !

— انا يا ختى عندى طرحة لسة جديدة .. اروح اجيبها لك .

وخرجت الست وصيفة ، وبعدها دخلت امراة اخرى بدينة ، تلبس السواد وليس فى عينيها دمعة واحدة ، اطلقت وهى تدخل الشقة صرخة عالية اقشعر لها بدن مصطفى الذى تكور يبكى فى صمت ، وردت عليها امه وخالته صفية والست انصاف بصرخات متتابعة جعلته ينهار ، ويرتعش ، واخذته نوبة حادة من انكاء ، وصوت ابيه يرن فى اذنه .

— لما تنجح يا مصطفى حاجيب لك ساعة .. بش شد حيلك ، وادى لى ربنا شفينى ..

وقطع عليه افكاره صوت الحاجة ام زكى وهى تربت على ظهره :

— ما تصلى ع النبى يا بنى .. البقية فى حياتك .. دا انت راجل .. روح اقعد مع عمك قابل الرجالة ..

حين تقدم الضحى كانت سنية قد انهكها البكاء ، فلم يعد فى استطاعتها ان تعلو بصراخها ، ولا عاد خدها يحتمل اللطم . كانت تجلس فى استسلام وقد لفها السواد وانطفا بريق عينيها ، ومضت تتحدث بصوت مكتوم :

— والنبى مكان بيه حاجة .. لاعمره قال آه ولا اشتكى .. يا دوب من يومين رجع من بره قال ياسنية انا تعبان ؛ لكن كان بيتكلم وكويس ..

قلت له نجيب لك الحكيم قال على ايه ، دا الشافى ربنا .. يا ريتنى جبت له الحكيم .. !

وتطقطق النسوة بشفاههن ، وتنطلق صرخة من جديد يستقبلن بها امراة تشلشل بمنديلها ، وتبدأ عملها حتى قبل ان تجلس ، وما ان تستقر على الارض حتى تمضى تعدد وتنوح ، ومن حولها يرتفع النواح .

وتنطلق الدموع مرة أخرى ، تستدرها « المعددة » بكلام يقطع القلب ، ثم لا تلبث سنية ان تدعك بالمنديل انفها وعينيها وتستأنف حديثها :

— لغاية امبارح والنبى .. الصبح كان كويس ، قال لى انا مش قادر آكل ، وحاسس ان جسمى همدان خالص .. ولما دخل عليه مصطفى طبطب عليه وقال له شد حيلك يا مصطفى .. انجح وانا اجيب لك الساعة .

وتعود النسوة للنواح ، وصراخهن يشتد كلما وجدن حدته تخف ، ويبلغ أقصاه عندما تدخل امراة جديدة .. !

وامتلأت حجرات البيت ، والصالة ، ولم يعد فيه شبر يسع زائرة جديدة ، لكن سيل النساء لم ينقطع عن التدفق . وحين قامت سنية ، اخذتها الحاجة ام زكى الى المطبخ ، واقتربت منها وهى تخرج شيئا من صدرها وتدسه فى يدها بسرعة :

— خدى يابت .. خليكى واعية .. حاسبى حد ياخدهم منك .. وانت عندك ولد بتربيه .

وعادت سنية تجلس مطرقة ، خدها على كفها ، وعيناها ساهمتان ، لم تعد تسمع البكاء من حولها ، ولا ترى السواد الذى يملأ الحجرة ، كانت فى ذهول وهى

تذكر زوجها ، الحاج عبد الله ، الذى تزوجته منذ ست عشرة سنة ، كان فيها تماما كما قال ابوها الله يرحمه « راجل كامل تمام .. يعرف واجبات بيته .. ويعرف مقام مراته . »

وقد عاشت معه كل هذه السنين لم تسمع منه كلمة تسيئها ، ولا رد لها طلبا ، ولا بخل عليها بشيء . !

وانطلقت تلوح بيديها فى الهواء وتصرخ . وصوتها المخنوق يتحشرج :

ـ يا اللى عمرى ما شفت منك اسية .. يا رفيق الهنا .. »

وتصاعد العويل مرة أخرى . !

واحست هى أن شيئا ما يستيقظ فى داخلها .. احست به غامضا غير واضح .. وانتابها شعور بالقلق ، فانطلق صوتها من جديد :

ـ يا اللى عمرى ما شفت منك اسيه »

ومرة واحدة وجدت نفسها تذكر اساءته ، اول مرة شتمها ، يوم ولدت اختها ، يومها الحت عليه أن تذهب اليها ، فانفجر فيها . « انا ما عنديش نسوان يطلعوا بره .. بقى اسمعى .. امور المسخرة دى مش عندى .. ما تطلعيش من هنا الا على ضهرك .. امور مسخرة وقلة ادب . »

وكان هذا عيب المرحوم . على طيبته ، لا يطيق ابدا ان يسمح لها بالخروج .

وتحجرت دمعة على طرف عينيها . !

كان طيبا .. يجيب كل طلب ، لم ينقطع بيته طوال الستة عشر عاما .. لكنه كان سجانا ـ الله يرحمه ـ يرى فى خروجها مسخرة لا تليق بالناس الطيبين .. حتى اختها وامها لم يكن يسمح لها أن تزورهما .. مرضت امها اكثر من مرة ، وعملت عملية المصران ، وزارها فى المستشفى الغريب والقريب .. والحت هى عليه .. تذللت له ، فلم يستجب . بكت ، ولوت بوزها وخاصمته ، فخاصمها ولوى بوزه هو الاخر . .! وحين صرخت فى وجهه وهى تبكى : « انت عاوز تحرمنى من أهلى . . حرام عليك . . دول أهلى . . » اربد وجهه فجاة ، وانقلب صوته صراخا : « الله .. ما اللى عاوز بشوفك يجى لك .. هو انا حايش اختك والا امك .. والا ما ينفعش الا لما تطلعى .. يعنى لازم امور المسخرة دى . . والا يعنى لازم امور المسخرة » ولم يكف عن صراخه أمام مصطفى ، وجعله يرى اسه وهى تنهار ، وتتضاءل امام ابيه . !

وانحدرت الدمعة من عينها . !

ورمشت اجفانها وهى تسلم على أم مندور التى مدت يدها تعزيها ، وصوت الشيخ وهو يقرأ القرآن يحاول ان يتسلل وسط صراخ النسوة ولغطهن ، ومصمصة شفاههن التى لا تنقطع .

وعادت تجول بنظرها فيمن حولها .. كل واحدة منهن تخرج ، وترى الدنيا ، وتعيش مع الناس .. الا هى . ! عاشت مقبورة .. لم تخرج فى كل هذه السنين الا مرة واحدة .. يوم مات ابوها .. وحتى فى ذلك اليوم كان يغتصب كلماته على مضض وهو يأذن لها ان تخرج .. بشرط .. الا تبيت هناك .. حتى فى ميتة ابيها ذهبت كالغريبات وعادت فى المساء لتنفذ اوامره .. حتى فى ذلك اليوم لم يرض ان يدعها تمضى الليلة مع اهلها .. كان .. الله يرحمه .. سجانها الذى لا يرحم . !

لكنه برغم هذا كان رفيق الهنا .. اعزها .. وهناها .. لم تسمع منه ما تكره الا حين تلح وتطلب منه الخروج . !

وعاد الشيخ يزعق بأعلى صوته دون ان يسمعه احد ، ولغط النسوة يشتد . واحاديثهن تختلف وتتشعب ، وهمسهن يعلو ، ويزداد الضجيج . وعادت تذرف دموعها على الرجل الذى هناها ، وذهب . ليترك لها هموم الدنيا . . !

وحين خرجت جنازته ، لم تخرج وراءه . !

كان صواتها يملأ الشارع ، ودموعها تبلل خديها . وتحس بحلقها يتشقق ، وراسها يكاد ينفجر من البكاء . !

ظلت اياما تبكى . . تبكى استقرارها . ورجلها الذى كان يملأ عليها البيت . . لكن احساسا ضئيلا بدا يتسلل الى

نفسها ، ويخالط احزانها .. احست انها اصبحت بلا سجان ، ولن تحتاج لان تظل اياما تنتهز فرصة تراه فيها منشرحا لتتمسح به كالقطة الذليلة ، وتطلب اليه ان يأذن لها ان تخرج .. وامنها يتجدد دائما فى ان يدعها — ولو مرة واحدة — وفى ساعة رضا .. تسير على قدميها ككل الناس . وترى الطريق .. لكنها دائما لم تكن تسمع منه غير صياحه .. وبعدما مضت السنون لم تعد ترى سحنته تنقلب ، ولا صراخه يعلو .. كلمة واحدة كان يقولها بهدوء ، والصراخ فى عينيه ، حين تشرف فى الاستعطاف والتوسل :

— لا ..

. يقولها بغلظة ، وبلهجة حازمة لا تدع لها سبيلا لمعاودة الطلب .. ويضبطرها الى التراجع ، وكانت دائما تدارى خجلها ، واحساسها بالهزيمة والانكسار ، فتقول فى استسلام خانع ذليل :

— طيب .. بلاش النهاردة . !

. تقولها منهزمة ، وبعد الحاح طويل ، وكانها هى التى قررت الا تخرج . !

ومع الايام التى انقضت بعد وفاته بدا احساسها الضئيل ينمو ويتسع ، والراحة تنسكب فى اعصابها . وبدا سبشق فى نفسها امل .. ان ترى الدنيا قبل ان تموت هى الاخرى .. ان تسير فى الشوارع التى نسيتها . وترى الناس .. وتحس ان لها ساقين .. !

. وقررت ان تخرج ، لتنطلق من سجنها ، وتحس انها ما زالت تعيش .. !

ومضت تلبس ، وهى تشعر برهبة تجتاح نفسها ، وفرحة خفية غامضة تستولى عليها .. وطافت بشفتيها بسمة خفيفة لم تزر شفتيها منذ مات زوجها ، وضبطت نفسها فارعت تزم فمها .. وتلبس . وهى تعمن النظر فى الفستان .. ذيله .. وصدره .. واكمامه .. وترتديه على مهل . وهى وجلة . تحس انها غريبة فى هذا الفستان . كان ضيقا عليها . يضغط على جسدها كانه يعاتبها . وتقرص لحمها ! وتطرت فى المرآة وقد اتمت لبسها .. تاملت نفسها طويلا ، ونظرها يثبت على الجذاء اللامع .. والشراب .. والفستان .. والطرحة .. كلها ما زالت جديدة .. لم تلبسها الا مرة واحدة .. يوم مات ابوها .. وفى اعماقها السنة طويلة وسليطة تتصايح باصوات عالية صاخبة ، لكنها مبهمة .. وغامضة .. ومتداخلة . !

واجفلت . !

رات الطرحة غير معدولة . ففكتها وعادت تلفها حول وجهها وهى ترمش بعينيها بسرعة .. ولم يكن الشراب متهدلا ، لكنها انحنت ترفعه .. ثم شدت قامتها ، والالسنة فى اعماقها اصواتها تخفت .. وتزداد غموضا .. واختلاطا .. وامامها تتوافد صور الشوارع . . والبيوت .. والناس .. !

واحست انها خفيفة . !

. وسارت فى الصالة على اطراف اصابعها ، وحذاؤها يضغط على اصابع قدمها بشدة .. واصطدمت نظراتها بباب الحجرة .. حجرة المرحوم التى اصبحت حجرة الجلوس .. وتعثرت .. ثم عادت تمشى على اطراف اصابعها ..

ووصلت باب الشقة .. حملقت فيه كانها لم تره من قبل ، ومدت يدها لتفتحه كانها تنتزعه .. وفى لحظات خاطفة احتدمت فى صدرها النار .. اول مرة تخرج بلا تذلل .. ولاشتائم .. ولا النظرة الجامدة المسيطرة تندب فى عينيها كوخز الابر .. !

وانحنت تشد الشراب مرة اخرى .. وترفع الاستك الذى لم ينزلق .. !

وتذكرت انها لم تمر بحجرة مصطفى لتنبئه .. كيلا يقلق حين لا يجدها فى البيت ..

ووجدت نفسها تعود .. لتقف لحظة امام حجرة ابنها .. وفتحت الباب .. كان جالسا يقرا .. وشدت على مقبض الباب بكفها وهى تقول دون ان تدخل :

— انا رايحة لستك شوية .. يا مصطفى . !

وتطلعت اليه . !

نحو تحقيق الثورة الاجتماعية والثورة الثقافية

محاولة لدراسة القرية المصرية

نريد خلق رأى عام ادبى ، وان نعمل على ان يصبح لكل قرية ومركز ومدينة نشاط ادبى وعلمى وصحفى خاص ، يعبر اصدق تعبير عن البيئة المحلية ، ونشارك فى نفس الوقت مع كل الناس فى هذه اللحظة التاريخية والحضارية التى يعيشها العالم كله .

نريد ان نكشف عن عبقريتنا التى تعيش فى صمت بعيدة عن الاضواء ثم نساعد هذه العبقريات لا على السفر والرحيل والهجرة الى حيث توجد هذه الاضواء بل على ان تنشىء فى وطنها الصغير ناديا للقصة وجماعة للادباء والشعراء والفنانين ، وان تنشىء مطبعة صغيرة وان تصدر صحيفة من ورقة واحدة او من ورقتين وان تجعل لها قاعة للمحاضرات وان تختار لها صالونا أدبيا وبذلك كله يمكن ان تتكون وتنمو الشخصية الثقافية والعلمية لهذا الوطن الصغير وذلك لان الجزء يزداد ارتباطه بالكل الكبير عن طريق الوعى الذاتى ..

نريد ان نحطم احتكار العاصمة (القاهرة) للنشاط الادبى والعلمى والفنى عن طريق خلق هذا الوعى الادبى والعلمى والفنى فى كل ركن من اركان بلادنا .

واليوم نتقدم الى السادة المحافظين والسادة رؤساء مجالس المدن والقرى والى السادة اعضاء اللجنة التحضيرية والى السادة مفتشى الاقسام ومدرسى التعليم الابتدائى بالمناطق التعليمية والى كل الباحثين والعلماء من كل ركن وفى كل انحاء بلادنا .. وهذا للبدء فى الثورة الثقافية والثورة الاجتماعية على اساس سليم علمى . . نتقدم بهذا المشروع لدراسة القرية وشعار هذا المشروع كلمة سقراط الواعية : اعرف نفسك بنفسك. ذلك لان الوعى الذاتى الادبى والفنى والاجتماعى والتاريخى والعلمى هو الجو الذى تعيش فيه العبقريات والمواهب وتنمو وتؤتى أطيب الثمرات . والعبقرية الحقة الصادقة هى القدرة على معايشة لحظة حضارية والتعبير عنها فى صدق وأمانة واخلاص وحماسة .

نتقدم بهذا الاقتراح لمشروع دراسة القرية تمهيدا لمسحها جغرافيا وتاريخيا واجتماعيا واقتصاديا وفنيا وثقافيا وفولكلوريا .

يشمل هذا المشروع :

١ ــ دراسة اسم القرية لمعرفة تاريخها

٢ ــ حصر اسماء الاشخاص وتوضيح علاقتها بالمحاصيل والوان النشاط الريفى .

٣ ــ دراسة المصطلح اللغوى الريفى وحصر المفردات ودراستها وبيان تطورها وتحديد تاريخها واصولها وجذورها وعلاقتها بالمصطلح اللغوى الرسمى مع

« بقية قصة بلاش النهاردة »

انتظرت اجابته فى حيرة وترقب . !

وفتحت عيناها عليه .. كأنها تراه لاول مرة .. وشاربه الخفيف يهتز .. وفى عينيه معنى غامض .. وتملكتها رجفة .. وغاصت الدماء من وجهها فجأة .. وكساه شحوب .. وتعالت الصيحات المبهمة فى اعماقها تدوى . . وتعالت .. ثم خفتت ، وفى ثوان قليلة كفت كل الالسنة ، وانبسطت ملامح وجهها وهى تهمس كالتائهة ، وقبل ان يجيب ، وفى صوتها خنوع :

ــ والا .. بلاش النهاردة . !

تفسير الاساليب والصور اللفوية وبيان التشبيهات والكنايات وحصر الحكم والامثال والنكت والفوازير وذكر الملاحم والقصص الشعبى والحواديت .

٤ ـ حصر ودراسة الصناعات الريفية وبيان علاقتها بالمحاصيل والمواسم وبجغرافية وتاريخ القرية مع بيان المواد الخام التى تقوم عليها هذه الصناعات الريفية مع دراسة امكان تسويقها محليا وعالميا .

٥ ـ دراسة موالد القرية وربطها بالمواسم الزراعية وبالوان النشاط الفنى والصناعى مع دراسة علمية وتاريخية للرجال والنساء من المسلمين والاقباط وشعبية للاولياء والمشايخ والقديسين من مع توضيح دورهم التاريخى وتحديد القيمة الدينية والاجتماعية والخلقية التى يجسدها هذا الولى او هذا القديس او هذا الشيخ ، هذا مع حصر وتسجيل التواشيح والموالد والملاحم المرتبطة بهؤلاء الاقطاب والاولياء الطيبين .

٦ ـ حصر ودراسة الوصفات الطبية الشعبية « الطب الشعبى » مع بيان الطرق والوسائل والعناصر النباتية والحيوانية لهذه الوصفات الشعبية ، مع دراسة تفصيلية للزار والسحر والتعاويذ وكل المعتقدات والخرافات الشعبية مع ذكر النصوص والاغانى والمفردات وانواع البخور ووصف الاشخاص القائمين بهذه الالوان من الوقاية والعلاج .

٧ ـ حصر ودراسة ورسم للرقصات والالعاب الشعبية وتوضيح تاريخها وتطورها مع دراسة الازياء والملابس وادوات الزينة للنساء والرجال تاريخيا واجتماعيا واقتصاديا مع توضيح ملامح وعناصر واسس الذوق الريفى .

٨ ـ حصر الاغانى القروية والجماعية والعادات والتقاليد المرتبطة بالموالد والمواسم والمحاصيل والافراح واعياد الميلاد والطفولة مع ذكر ورسم الآلات الموسيقية التى تصاحب هذا الغناء مع ذكر ورسم اشهر المغنين والمغنيات والمنشدين والمنشدات .

٩ ـ حصر الادباء والشعراء والفنانين الذين يعيشون فى القرية ويتداول الجميع انتاجهم مع ذكر اهم المؤلفات والمخطوطات الموجودة فى مكتبات المثقفين فى القرية ، مع ذكر من هجر القرية من الادباء والشعراء والفنانين واشتهر فى العاصمة وبيان علاقتهم بوطنهم الاول .

١٠ ـ حصر الاماكن والمنادر والاندية التى يجتمع فيها اهل القرية مع بيان الوان الاهتمامات والمناقشات التى تدور فى هذه الاندية مع ذكر اشهر الكتب والمراجع المتداولة فى هذا المجتمع الريفى وتوضيح اللون الثقافى الغالب عليها .

١١ ـ دراسة لون الحكم فى القرية مع بيان طبقات المجتمع وجمعياته وهيئاته وتوضيح العلاقة النفسية والاجتماعية والاقتصادية بين هذه الطبقات وهذه المنظمات وتوضيح علاقة الحاكمين باهل القرية من الفلاحين المزارعين والاجراء وعمال التراحيل مع توضيح علاقة القرية بالقرى المجاورة وبالمركز وبالعاصمة الصغيرة وبالعاصمة القاهرة .

١٢ ـ بيان دور الصحف والمجلات فى رفع مستوى القرية ذوقيا وفنيا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا مع حصر الاغانى الحديثة التى يذيعها الراديو ويقبل اهل القرية على سماعها وترديدها مع تحديد الدور الذى يقوم به المتعلمون من اهل القرية فى تنوير وتثقيف مواطنيهم .

١٣ ـ توضيح انماط ونماذج السلوك الاجتماعى وبيان مدى تحقق الوحدة التاريخية والنفسية والاجتماعية والثقافية

للمجتمع القروى وتحديد مقدار الوعى التاريخى والسياسى فى متابعة الاحداث المحلية والدولية عند اهل القرية ودراسة الوان الانحراف والشذوذ والجناح والجريمة وحصر المكيفات المختلفة وطرق شغل الفراغ عند الشباب والشيوخ من اهل القرية وتحديد ازمات ومشاكل الفلاحين .

١٤ ـ دراسة طعام الفلاحين وبيان عناصره وموارده النباتية والحيوانية وتحديد علاقة هذا الطعام بامراض الفلاحين الجسمية والاجتماعية والنفسية والعقلية والروحية ، ودراسة مدى امكان ابتكار طعام من البيئة يوفر للفلاحين الصحة الجسمية والعقلية والنفسية والروحية والاجتماعية .

١٥ ـ دراسة حياة الطفل فى سلوكه العام وفى حياته فى البيت وفى الغيط وفى المدرسة مع توضيح لون علاقته بوالديه وبالكبار من اهل القرية ، ومدى العناية بجسمه وعقله وروحه مع دراسة العاب الطفولة وحصر الوان النشاط الفنى التى يقوم بها فى اوقات الفراغ مع ذكر مواد وعناصر هذا النشاط .

١٦ ـ دراسة ورسم وتفسير الرسوم الخارطية التى توجد على وجهات البيوت الريفية مع دراسة معمارية البيت الريفى وذكر مواد البناء واثاث البيت مع ربط هذه الدراسة بتاريخ المعمار الريفى فى مختلف العصور .

١٧ ـ رسم خرائط للقرية لتوضيح المحاصيل والمواسم والموالد والصناعات والمناضر والمواد والاثار والمشايخ وابطال الماضى والحاضر وهذا الى رسوم بيانية واحصائيات توضيحية لكل بند من البنود السابقة .

توفيق حنا

النصب الغبى

يا اخوتى .. هذا كثير ! !
هل تحكمون بلا ضمير ؟ !
لم يبق فى عينى ماء ترتوى منه المآسى
لم تبق فى شفتى آهات تخفف ما اقاسى
الورد فى البستان جف . . ونم تعد خمر بكاسى
وتحول اللهب المقدس فى ايديكم سعيرا
يشوى الوجوه .. يروع ماضينا .. ينازعنى مراسى

هل تذكرون متى التقينا ؟ !
ولاى غايات مضينا ؟ !
كانت جبال الوهم تجبه ذلك الشعب العريق
كانت صدور الناس مرهقة بكابوس صفيق
كانت ذئاب الليل تنهش من يسير بلا رفيق
ورغبتم ورغبت . . فانطلقت بنا آمالنا
نتربع التاريخ . . والتاريخ ممتد الطريق

ومضت خطانا صاعدة
نبنى القلاع الخالدة
ونصب جانبى الطريق مصانعا تحمى علانا
ونشب أعمدة الزمان مشاعلا ترعى خطانا
وتؤلف الشعب العريق ملاحما تعلى لوانا
ونتوج الدنيا اكاليل الورود . . فيلتقى
ماضى العروبة بالغد المرجو . . لا نخشى الزمانا

ماذا جرى حتى التويتم
وهدمتم ما قد بنيتم ؟ !
انا لم افرط فى مواثيق ارتضيناها معا
كنتم بنى امى . . وكنت اخا حفيا مولعا
بالمجد . . للشعب العريق . . بذلت جهدى طيعا
وبذلتم . . ومشت خطانا فى الطريق ابية
حتى اذا كدنا . . طعنتم صاحبا مترفعا

ورتعتم فى كل حانة
ونسبتمونى الخيانة
والخنجر المسموم يقطر بين ايديكم سمومه !
هل تدركون الى متى تحيا بكم تلك الجريمة ؟ !
لا تحسبوا انا سنقطع هذه الايدى الاثيمة
فالشعب يعرف كيف يصنع منكم نصبا غبيا
ياتى له ـ بعد الكفاح ـ يعاق الخرق القديمة ! !

كامل سعفان

مهمة الناقد فى المجتمع المعاصر

من بين ما تقيم الجمعية الادبيـــة المصرية ، من ندوات فى موسمها الثقافى ، ندوة عن هذا الموضوع ، اثيرت فيهـــا قضايا أدبية كثيرة تحتاج الى التمحيص ، ونسوق منها لقطات اجتماعية فنية .

* * *

نحن الان فى مفترق طرق ، نواجـه معركة داخلية ، فى انفسنا ، بين القـديم الموروث ، والجديد الوافد ، والنقد هو الذى يحدد وجهة سيرنا ، ويرسم لنـا الطريق الصحيح .

ونحن فى مصر رواد للامة العربيـة ، وعلينا نحن واجب تحديد اتجاه الثـورة الثقافية الفنية ..

محمد فريد أبو حديد

* * *

النقد ضرورة حيـوية . كالتنفس ، ضرورة للفرد والمجتمع والناقد والمنقود ، وهذا التنفس لا يكون الا فى جـو يعبق بانسـام الحرية ، وهوائها النقى .

وقد ساير النقد حرية المجتمعات قوة وضعفا ، فى الازمنة كلها ، ولعله لم يوجد بين علوم العربيـــة — او عـلوم الادب باصطلاحهم — علم يسمى « علم النقد » ، مع وجود النقد الادبى ، لان المجتمع اذ ذاك لم يكن يتمتع بقسط كاف من الحرية العامة .

ومهمة الناقد ، او رسالته ، عنـد اصحاب الفن والحياة هى : ان يناضل فى سبيل الحرية ، فبالنقد تتحقق الحرية الكاملة ، والانسانية الشاعرة بنفسهـا تعمل دائبة فى سبيل تقرير حريتها ..

والنظـم السياسـية المعاصرة ، على اختلافها ، تفسر الحرية تفسيرات مختلفة ... وعلى الناقد ان يصحح معنى الحرية ويؤيدها ، ويتمسك بها ويناضـل من اجلها .

امين الخولى

* * *

مهمة الناقد اجتماعيـة ، ترجع الى العمل النقدى اولا ، ثم الى المجتمع ، ومن الاتجاهات المعوقة حديثا عدم الاعتراف باهمية النقد .

ومن الاقوال المأثورة لادبية فرنسية . ان النقد الادبى مرتبط بالادب ، فى كل بلد ذى ادب فنى حر .

ومهمة الناقد تجاه الجمهـور هى : تكوين ذلك الجمهور ، فقصور الجمهور يتيح لكتب متخلفة أن تظهـر ، ويتيح للادعياء ان يبرزوا .

ومهمة الناقد العربى أعمق من مهمة اى ناقد آخر ، لاسباب منها : ان الكتاب ليسوا نقادا . . وان النقـد يحتاج الى دراسات كثيرة .. وان جمهورنا غـير ناضج .. وان ميراثنا النقدى ليس كافيا .. الخ .

غنيمى هلالى

* * *

الناقد اقرب الى الفيلسوف ، وعمله تحليلى ، ومهمته هى الكشف عما فى العمل الفنى من مؤثرات وعناصر ، وهو بهـذا الوضع مكمل لعملية الخلق الفنى .

ومهمة الناقد عندنا هى : استخـراج صور جديدة من الادب الجالى ، وتكوين نظرية ادبية جديدة ، عن الاعمال الادبية الناجحة .

وللنقد مهمة اعمق هى : خلق الجمهور فهو الذى يثقفه ، ويجعله يتقبل الاعمال الادبية الجادة ويتذوقها .

احمد عباس صالح

اصداء ادبية

السيد الاستاذ محرر « النقد »
سلام الله لك . وسلام الله عليك ، وسلام الله من حولك .

قرأت ما تفضلت بكتابته فى صفحة النقد عنى بعامة وعن قصيدة « المولد » بخاصة .. وسيكون حديثى معك عن نقدك « للمولد » فحسب .. راجيا ان تكون الكلمة المطبوعة التى تملكها حكما بينى وبينك .. والا تكون سلاحا يشهر فى وجه من لا يملكونها .

اما عن الاسلوب التقريرى ، فأحب ان اشير الى حقيقتين

١ — ارجو ان اكون مخطئا فى فهمى انك من هؤلاء الذين يبحثون عن بيت القصيد ولا يوسعون النظرة الى العمل الادبى كله .. ان قصيدة المولد متكاملة تأبى التقرير ولكنها تقيم « علاقة » بين هذه الاشياء التى تقررها وتعطينا اللمحة التى يقصدها الشاعر .. كما فى الوشم وخديجة .. وكما اريد ان اقول عن احلام القرية التى تعبر عن نفسها فى مناسبة ما .. وكما اريد ان اقول عن الاتباع الذين يتحدثون فى المولد ولاء للدنيا لا للدين .. ولاء للمشايخ الذين ساعدوهم على حل مشكلاتهم .. وفى النهاية .. الرمز بالفجر وهو الحياة المستمرة بدون توقف .

٢ — هناك بيتان لذى الرمة الشاعر انرقيق ارجو ان تقول لى رايك فيهما

عشية مالى حيلة غير اننى
بلقط الحصى والخط فى الترب مولع
اخط وامحو الخط ثم اعيده .
بكفى والغربان فى الدار وقع

ما رايك فى هذا التقرير ؟

وبعد . ان التصوير سيظل غرضا اساسيا من اغراض الشعر . وستظل انساجة التى تنكرها اهم شارة تميز الادب الصادق .. ولعلك تذكر ان الشعر الجاهلى حين كان ساذجا كان رائعا وصادقا ، وان الشعراء العباسيين حين جعلوا النماذج الادبية هى المصدر الاول لشعرهم فقدوا الروح ، ولم يعد غناؤهم فى اكثر حالاته صادقا . واعظم ما يميز « الالياذة » فى اسلوبها هو الوصف العفوى والكلام الساذج . وارجو ان يجد كلامى من نفس سيادتكم نفس المكان الذى انزلته كلامكم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

السيد ستيت

« الادب » ختم السيد رسالته بقوله : « وارجو ان يجد كلامى من نفس سيادتكم نفس المكان ، الذى انزلته كلامكم »

واقول له : بل انا انزلته مكانا اعلى ، اذ اخشى ان انزله منزلة كلامى عندك واقول انك مثل قولك : « ارجو ان اكون مخطئا فى فهم انك من هؤلاء ، الذين يبحثون عن بيت القصيد ، ولا يوسعون النظرة الى العمل الادبى كله » .

ولن اقول مثل هذا ولا قريبا منه ، لانه كلام عن القائل ، لا عن القول ، وفيه ابعاد لاحتمال الاختلاف فى الميدان الفنى دون تعرض لشخصى المخالف .. وهذا ما تقاومه « الادب » .

ولو قدر السيد ، ان النظرة الكاملة للعمل الادبى ، وتشبيهه بالجسم الواحد ،

فى دنيا المادة ، أو بلوحة الصـــورة ، وكيان التمثال فى دنيا الفـــن ، قد كانت من اقدم البواكير فيما قرر الامناء من تجديد .. وما أنا الا واحد منهم .. ومن اقدمهم

* * *

وبعد ذلك أجيب عن سؤالك اياى رأيى فى بيتى ذى الرمة ، فاقول :

ان هذا المعنى النفسى ، الصادق التجسيم ، اكبر كثيرا من أن تسميه سذاجة ، وان الادب الجاهلى أكثر فنية من ان تكون شارته المميزة هى السذاجة . .بل هو شىء آخر ، هو الفطرية الشفافة ، والوجدانية الصحيحة ، وهذه الفطرية العامة هى التى تهيىء للادب البقاء الطويل ، وكلما سامت له ، وكانت عامة باقية هيأت له الخلود .

وتتمثل هذه الفطرة الانسانية ، المخلدة للفن عموما ، فى الصور الادبية القرآنية ، التى تظل سليمة الخطوط ، باهرة الالوان ، على اختـــلاف الاعصر ، وتتابع الاجيال ، وتغاير البيئات ، على ما تستطيع ان تجده ، فى أى صـــورة بيانية تلقاها عفوا أو دون تعمل .

وهذا التجسيم فى بيتى ذى الرمة لحال الحب ، والتنبه الدقيق ، لحـــركاته ، التى لا هدف لها ، ولا غاية .. هو على رغم ما قلت من صـــدقه ، تجسيم لا تسلم له الفطرية العامة ، الباقية على مرور الازمنة ، وتغاير البيئات .. لانه تصـــوير بدوى رهين بافتراش التراب ، والتقاط الحصى منه ، والخط والمحو فيه .. وهو ما لايجده فى قرب من فارق هذا المستوى ، وعاش فى غير هذه البيئة .. ولا كذلك ما فى الفـــن القرآنى ، من مثل قوله : كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف .. كباسط كفيه الى الماء .. كبحر لجى يغشاه موج من فوقه موج .. الخ ، من تلك الصور ، التى تركنك تأخذ منها أى صورة تلقاك ، فلا تراها بيئية ولا محلية ، ولا رهنا بمستوى معيشـــة معين ، بل هى مما تعرف الدنيا جميعا .

هى الفطرية العامة يا سيدى الشاعر .. وليست الوصف الصفـــوى ، ولا الكلام الساذج ، فى الالياذة أو فى غيرها من الآداب .. ومن هنا بدا القـــول فى نقـــد قصيدة ((المولد)) .. ولا ضير علينا من خلاف ، لا ينال المخالف منه شىء ، سهما يقل فى وجهة نظره .. وذلك مما تحرص ((الادب)) عليه أشد الحرص .

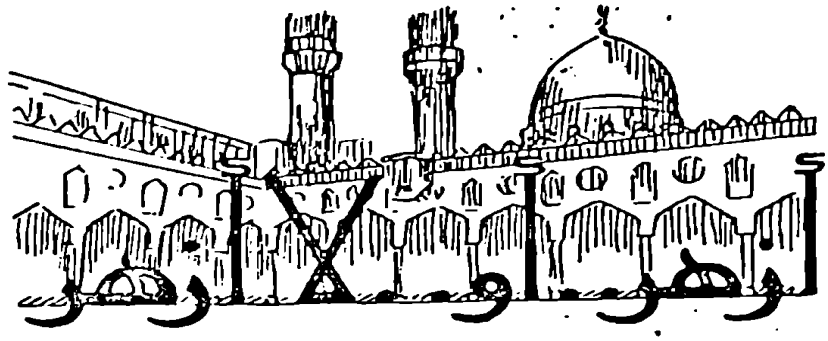

— ١ —

هل للازهر بشخصيته الخاصة مكان فى الحياة . أولا ؟

أ ـ سؤال اسبق ..

قبل اجابة القلم لفسه عن سؤاله المبرز فى راس هذا الحديث : **هل للازهر مكان فى الحياة أو لا ؟** يحس ان سؤالا آخر من القارىء يزحم هذا السؤال ويسبقه ، وهو : **ما هذه العناية من ((الادب)) الفنية ، بهذا الازهر ؟** وما لها تفرد له قدرا غير قليل من عددها السابق ـ ديسمبر ـ تنشر فيه رسالة الازهر بطولها ؟ وتلفت القارىء ، مع هذه الرسالة الى مقال فى هذا العدد عنوانه « ازهر او لا ازهر » ثم تفسح صدرها لهذا المقال ، الذى لا يعرف مداه ؟ وهل لاصلاح الازهر ، وتطوير الازهر صلة وثيقة بالحياة الادبية والفنية ، الى هذا الحد ، حتى يستاثر بكل هذا من عناية مجلة خاصة للادب والفن ؟ او المسألة لا تعدو ان تكون اثرا للصلة الشخصية القديمة بالازهر والثقافة الازهرية ؟ وهل هذه الصلة الشخصية الخاصة تبرر شغل اصحاب الادب فى معناه الخاص ، بقضايا الازهر ، منذ ربع قرن ، حين كتبت رسالته ، وبعد ذلك حين اثيرت قضيته ؟

* * *

وهو سؤال ذو شعب ، او هى اسئلة متعددة تجب الاجابة عنها وفاء لحق الادب واصحابه ، وحق قارىء هذه المجلة ، التى لها صورة خاصة عنده . بل ان الاجابة عن هذه الاسئلة واجبة ، لسبب آخر اهم هو انها التمهيد الاكبر ، للاجابة عن السؤال البارز ، الذى ادير حوله هذا القول كله .. عن مكان الشخصية الازهرية فى الحياة ، او عدم وجود مكان لها .

وجملة هذه الاجابة : ان ((**الادب**)) بما هى لسان الامناء : مدرسة الفن والحياة ، لا تشارك فى الحياة الفنية والادبية ، مشاركة ترفيه وتسلية للقراء ، ولا مشاركة مشاغلة لهم ، وملء لاوقات فراغهم ، كما تسليهم وتشاغلهم اشياء اخرى . قد تسمى فنا ، وقد تسمى ادبا ، فى الميدان الاذاعى مثلا ، او فى مستواه ، من نشرات تحمل اسم الصحافة الادبية ، ولا تسبح الا على السطح فى خفة ، وعلى قرب دائما من البر ، كما يلعب الاطفال على جوانب المصايف .. وانما تشارك « الادب » فى الحياة الفنية والادبية مشاركة من يدرك فى وعى : **أن هذه الفنون** ، ادبا وغيره ، ليست الا تفسيرا وجدانيا

للحياة ، يدركه اصحاب الفنون ، ويقدمه نشاطهم ، ليوجهوا به الدنيا ، ويسيروا المجتمعات ، فى فهم واضح ، لسنن الحياة وقوانينها ، التى تحكمها وتطورها ، وتجددها وهى يقظة ، مفتحة العينين ، على المثل الذى تنشدة ، والامل الذى ترقبه ، وهى فى الوقت نفسه ، ترى ببصيرتها ماضيها البعيد والقريب جميعا ، حين ترى حاضرها العميق الدقيق ، وصلة ما بينهما ، وتفاعلهما وتأثرهما ، كما قيل :

« ان الحاضر يغير الماضى ، بقدر ما يوجه الماضى الحاضر (١) »

وبهذا الادراك الناضج ، ومع التعمق الجدير بالكرامة العقلية ، لمدرسة ادبية يبدو جليا : ان هذا **الازهر هو أقوى البيئات** ، او هو البيئة الفردة ، التى شاركت فى صناعة ماضينا وصياغته ، بتكوين ثقافته ، وتلوين مزاجه وتوجيه نشاطه ، اذ كان الدائرة الوحيدة التعليمية الرسمية ، او العامة ، طوال قرون كثيرة .. فهو بذلك الماضى الذى يوجه حاضرنا ، ويهزه هزا عنيفا ، حينما يريد ليتغير ، ويهم ليتطور ، ويحاول ليتجدد ، وتمس هزة الازهر هذه الحاضر ، فى كل فنون العمل ، وعناصر النشاط ، اذ هى ابعد ما يؤثر .. واقوى ما ينال من مزاجنا الفنى والادبى .

وما دامت مشاركة الازهر فى ماضينا ، الموجه لحاضرنا ، لا تفوقها مشاركة ، على ما نكتفى هنا ببيانه الاجمالى ، حسب المقام والمكان ، مشيرين فقط ، الى المشاركة المتفردة للازهر ، فى صياغة ماضينا العلمى ، والفنى ، والعملى ، والاجتماعى ، اذ كان الصورة البارزة ، بل اللافتة لحياتنا .. يحرم عليها ما يحرم ، ويحلل لها ما يحلل ، فليس لعقل الماضى حظ من نشاط ، لم يمر من بين أصابع هذا الازهر ، وليس لعمل الماضى ونشاطه جولة لم يكن للازهر فيها عمل واثر ، ان سلبيا وان ايجابيا .

وليس بغريب مع ذلك ان يكون الحاضر ، الذى هذا ماضيه ، مبنيا على هذا الاساس ، ناميا من هذا الجذر .. وان تكون كل مشكلات هذا الحاضر الذى نعيشه ، وكل ملامح المستقبل الذى نتمثله ، ونرسمه بعين الامل ، قد وضع الازهر فيها اصبعه ، ودس فيها انفه ، ففسر من ذلك ما فسر ، فأبان الراى او شبه الامر ، وسدد المنطق او وهنه ، وبذلك قدم ما قدم ، واخر ما اخر ، ونشط ما نشط ، وعوق ما عوق ، فكان فى التطور عاملا ، يقدر بالناقص ، او بالزائد ، ويحسب بالخسارة ، او بغيرها ، فى رصيد التقدم والنهضة ، اذ كان هذا الازهر — كما نعرف جميعا — لايعفى مخاولة من محاولاتنا فى كافة الميادين ، من ان يتدخل فيها ، ويرتئى لها ، ويفتيها ، ويخذل عنها او يحرض عليها ، والشعب مع ذلك كله مستجيب او متهيب ، او مقاوم ، وفى كل اولئك تبذل قوى وتنفق جهود ، وتترك آثار .. وما أكثر ما كان ذلك التدخل من الازهر فيما يمس الذوق والمزاج ، ويؤثر على الفن بفروعه المختلفة ، وهى اشد الجوانب حساسية ، فى حياة الامة ، ومن هنا ما قالت الادب ، فى عدد اكتوبر من هذا العام **« ان مصر لن تكون قد ولت وجهها شطر النهضة الا حين تبرم امر الازهر**

ولكل اولئك كان من الواجب الحتم ان تعنى « الادب » رسالة الفن والحياة بالازهر فى دور تطويره هذه العناية ، فتقتطع له من العدد الماضى اكثر من عشر صفحات ، تنشر

---

(١) الادب السنة الاولى ع ٣ ص ١٦

فيها رسالة الازهر ، التى كانت مقياس ما كتبه الكاتبون عن هذا الموضوع منذ ربع قرن وزيادة ، ثم تعطى الازهر من هذا العدد صفحات ، وقد تعطيه من غير هذا العدد ايضا صفحات ، لانه ينزل من الحياة تلك المنزلة ، التى يغنى فى بيانها ما قيل آنفا ، وان كان مجملا ، لانها اوضح من ان تحتاج الى اكثر من هذا البيان .

والدولة تشعر بهذه الاهمية شعورا واضحا ، ويقول لسانها (١) ، فى عيد العلم ، هذا العام : « قد حدثت ثلاثة تطورات ضخمة ، فى ميدان العلم والثقافة : الاول هو القانون الثورى للازهر .. الخ ما قال فى هذا الشان مما نعرضه فيما يلى من تناول

وهذا التطور الضخم ، هو الذى قدرت « الادب » اهميته ، فقالت قبل اليوم : « وكيفما كان الراى فى هذا الوصل ، للازهر بالحياة ، وتنفيذه ، وتنظيمه ، وما يعلم فى الازهر وما لا يعلم ، وكيف تنظم صلة الازهر بما حوله ، وغير ذلك من مواضع للنظر ، فان شيئا قبل ذلك كله قد لمحه هذا التنسيق ، **وهو وحدة تعليم ابناء الامة** فى مراحل تكوينهم .. ولما وراء ذلك مجال من القول فسيح ، مهما يذهب فيه الراى مذاهب ، فانه لا يقلل من قيمة **تلك الوحدة التكوينية** »

ب ـ الشخصية العامة .. والخاصة

وحين اضع بين يدى القارىء هذه العبارات : « وحدة تعليم ابناء الامة ، فى مراحل تكوينهم » ، و « الوحدة التكوينية » . وقد وضعت فى راس مقال اليوم عبارة « **الازهر بشخصيته الخاصة** » فذلك الصنيع جدير بان يلفت القارىء الى ما يبدو لاول وهلة من تدافع هذه العبارات ، او تناقضها ، اذ ما دامت للامة وحدة تكوينية ، وما دام الحرص على وحدة تعليم ابناء الامة فى مرحلتى التعليم الابتدائى الثانوى غرضا مطلوبا ، وقصدا يحرص عليه ، فماذا تكون بعد هذا شخصية الازهر الخاصة ؟ بل كيف تكون هذه الشخصية الخاصة بعد ان تتم الوحدة التكوينية العامة ؟ !

وفى الحق ان هذا النظر الى الوحدة العامة والشخصية الخاصة هو موضع الدقة فى فهم مكان الازهر من الحياة ، وتقرير تطويره ، والنظر الى الوحدة العامة والشخصية الخاصة هو ما يتجلى به ، مثار الخلاف بين الفكرة التى قام على اساسها التطوير الاخير للازهر ، والفكرة التى كنت اتمثلها لهذا التطور منذ قرابة اربعين عاما ، حين رحلت الى اوربا واستقر بى المقام اول ما استقر فى روما او مدينة رومية العظمى ، كما كان يسميها الغرب قديما ، وهى مقر البابا وعاصمة الكاثوليكية ، فقصدت الى دراسة الخطط والاساليب التى تتبع فى الدراسة اللاهوتية ، كما نظرت فيما حولى ، من الدولة الدينية القائمة فى عاصمة الدولة المدنية بايطاليا ، وطال تتبعى لهذه الدراسات اللاهوتية فى اقطار اوروبية عشت فيها بعد ذلك كالمانيا ، او اقطار زرتها مجرد زيارة ، وعمدت بعد الدراسة والتفكير للكتابة عن قضية الازهر واصلاحه وتطويره وكان آخر ما كتبت فى ذلك هو رسالة الازهر فى القرن العشرين ، كما رآها القارىء فى عدد ديسمبر من الادب » .

---

(١) كلمة السيد كمال الدين حسين نائب رئيس الجمهورية فى عيد العلم ، كما وردت بجريدة الاخبار يوم ١٩-١٢-١٩٦١ .

فالموضوع قديم فى عنايتى ، وهو فى دقته جدير بان يكون موضع دراسة طويلة ممتدة الاطراف ، تحتاج الى النظر فى تجارب دينية واجتماعية قديمة وحديثة .

واقرب ما تبدو فيه دقة الموضوع هذه الوحدة العامة مع الشخصية الخاصة .. وفهم هذه الشخصية الخاصة لفرد وهيئة من الامة يتوقف على فهم معنى الشخصية العامة للامة .. وهى الجوهر الثابت الذى لا يتاثر بالتطور المستمر ، والتغير الدائم للحياة ، مهما تتغير بهذا كل المظاهر والرسوم والصور الخارجية للمجتمع ، بل يظل هذا الجوهر الاصلى ، والطابع المميز شاخصا ماثلا ، مع كل التطورات ، والتحولات الاجتماعية .. وهذا ما نعنيه حين نقول الشخصية العامة ، او شخصية الامة والجماعة

واقرب شاهد يبين بالمثال ، هذا المعنى للشخصية العامة ، هو من القديم ، الامة العربية ، فان لها شخصية متميزة ، ومعدنا ثابتا ، لم يتغير حين تطورت هذه الامة ، من قبائل بادية ، متعادية ، وثنية ، رحالة ، الى جماعة تتقدم نحو التحضر ، المستقر ، وتسلم ، وتحمل رسالة الاسلام الى من حولها ، وتؤلف تحت هذا الشعار دولة تحكم شعوبا ذات ماض وتاريخ .

ونظير هذا المثل فى العصر الحديث « الشعب الروسى » الذى مارس فى بضع عشرات من السنين تطورا كبيرا ، حوله من شعب جاهل ، متعصب ، مستذل ، الى جماعة ، متطرفة فى التحرر ، تمارس اشد التجارب الاجتماعية تطرفا ، وتزاول فى العلم نشاطا فذا ، وتاخذ بانكار القيم الدينية كلها .. وهى فى كل حال جماعة ذات طابع واضح ، وشخصية عامة متميزة .

وهكذا مع هذا البيان بالتمثيل ندرك ان الشعب المصرى ، قد يتطور اعنف التطور واسرعه ، وابعده مدى ، وتكون له مع ذلك شخصيته الجوهرية ، ومعدنه الثابت ، وتلك الشخصية العامة لهذا الشعب هى التى نشير اليها عند الحديث عن تطوير الازهر وتطوره ، فنقول ما قدمناه من ان هذا التطوير يحمى الوحدة التكوينية للشعب ، اى وحدة تعليم ابناء الامة فى مراحل تكوينهم عند الطفولة والمراهقة .

* * *

ومع هذه الشخصية العامة توجد الشخصية الخاصة لخلايا هذه الامة ، من افراد وهيئات ، فتكون للبيئات المختلفة ، من الشعب المصرى ، ذى الشخصية العامة ، مميزاتها التى تراد عند ذكر شخصيتها الخاصة فيختلف العسكريون عن المدنيين ، ويختلف العلماء عن الفنانين ، ويتميز العمال عن التجار ، وهكذا .

وهذا هو ما نريده عند ما ذكرنا الشخصية الخاصة للازهر ، فى السؤال الذى صدر به هذا الموضوع ، فهى الشخصية المتدينة ، تدينا يكون خلقية خاصة ، وسلوكا ملائما لها ، وهى الشخصية الاجتماعية ، التى تمتاز بين فئات المجتمع وهيئاته بسلوك اجتماعى رزين يحتفظ بما يترك الزمن من التراث القيم ، والطوابع الصالحة ، على نحو ما تشرحه رسالة الازهر الاجتماعية فى البحث الذى جاء القارىء ، فى عدد « الادب » عن ديسمبر الماضى .

وعند هذه الاشارة الى اجتماعية الازهر نشعر اننـــا قد لمسنا نقطة حساسة فى حياتنا ، بل واجهنا قضية اجتماعية كبرى شغلت المفكرين والمصلحين فى جيلنا والجيل الذى قبله حينما ارادوا ان يعينوا وجهة تطور حياتنا ، ويدفعوه الى غايته ، فكانوا فرقا ومذاهب . فى ذلك :

أ ــ فاصحاب المركز القيادى الواقعى القديم فى هذا الازهر نفسه ومن حولهم قالوا لا خير لنا فى هذا الجديد الوافد من الثقافة الغربية وحضارتها ، لانها شر كله ، وكفر كله ، وعداء كله لحياتنا . .

ب ــ وآخرون من بيئات اخرى بعدت عن هذا الازهر ومن لف لفه ، بالفكر والروح فقالوا هذه الثقافة الغربية وحضارتها خير كلها ، وملاءمة كلها ، وليس الا ان نقتبسها من الفها الى يائها .

جـ ــ وفئة ثالثة تتميز بالتوسط ، الذى ينتظر فى مثل هذه الحالة ، بين طرفين ، فقالت : ان فى هذه الثقافة ما تقتبس ، ليكون دما جديدا فى تراثنا التليد ، لانه يؤلف معه وحدة تمثل جهاد الانسانية ، فى سبيل المعرفة ، والخبرة ، التى تتقدم بها الانسانية نحو غد افضل من يومها . .

وكانت حياة الازهر منذ جيلين او اكثر ليست الا صورة من الصراع بين الاتجاه الاول المتطرف فى الوقوف ، والاتجاه الثالث المقرر للتحرك الدائم ، وليس ما انشىء من المدارس ذات الطابع الدينى والادبى كمدرسة دار العلوم ، ومدرسة القضـــاء الشرعى الا اثارا من هذا العراك ، اقتطعت من اهل الازهر ثلة ابعدتها عنه لتهيىء منها من يقومون بحاجة حيوية من حاجات المجتمع ، هى الحاجة اللغوية ، وهذه هى مدرسة دار العلوم او المعلمين الناضرية اولا .

ثم احتجزت من ابناء الازهر طائفة لم يقطع ما بينها وبين الازهر ، بل نظمت صلتها به ، لتكون هذه الصلة وسيلة الى التنبيه لما تحققه تلك التجربة الازهرية الجوهر ، من مسايرة للتطور تلتقى فيها الثقافتان لقاء وديا مسالما ، واسع الافق غير متعصب فيكون لهذه التجربة اثرها فى عدوى الازهر ، وتخفيف حدة مقاطعته لهذه الثقافة ، ومعاداته لهذا التغير المحتوم . .

* * *

ولعل المجال هنا يتسع للنظر فى نتـــائج هاتين التجربتين ، مقرونتين الى تجربة ثالثة اسبق واقدم منهما هى تجربة محمد على فى اخذ نفر من الازهريين ، ليوفدهم الى اوربا فيصبغون صبغة مدنية مباشرة قوية الفاعلية ، ففى هذه التجارب الثـــلاثة على ترتيبها الزمنى نرى ان الازهر لم يشعر بالاولى منها وهى تجربة محمد على فصـــار هؤلاء الازهرية كالشافعى ، والشباسى ، والنحراوى ، علمـــاء مدنيين لا يحتفظون من الازهرية الا بقدرة لغوية ، وبصر بالعربية . او شعور وسلوك دينى كانت صورة الحياة العامة ، حتى خارج الازهر تؤيده . . فلم ينعكس من هذه التجربة على الازهر تغيير ، ولا حاول اهل هذه التجربة ــ فيما نعلم ــ دفعا للازهر جديدا .

وكانت التجربة الثانية فى انشاء دار العلوم اقرب الى الازهر شعورا ، والازهر بحكم التغير ، على شىء من الانتباه اليها ، لـكنها فى جملة الامر لم تكف للفتة لفتـــا فعالا ، ولا قصد اهلها ان يحدثوا شيئا خاصا فى الازهر .

اما التجربة الثالثة فى مدرسة القضاء فكانت اكثر فاعلية فى التأثير على الازهر لاسباب مادية ، ومعنوية ـ لا نشرحها هنا ـ فتاثر بها الازهر ، وانتبه اهلها الى التاثير فيه فكانت التغيرات التدريجية التى تمت فى الازهر ، ولم تحقق الاحياء النابض القوى الذى يليق بالعصر . كما قد نشير الى بعضه فيما يلى من هذا البحث .

* * *

واهم ما نعنى به فى مجال القول عن شخصية الازهر الخاصة هو ما تدل عليه الفقرة السابقة من موقف الازهر الخاص ، وموقف مصلحيه ، من سير التطور الحيوى فى مصر ، وما قصدوا اليه ، فى توجيه هذا التطور ، من مواءمة بين ماضينا وحاضرنا ، واعتداد بتراثنا وشعور بالجديد الذى يمتزج به ـ فتلك هى المعانى التى انفرد بها الازهر بين البيئات المصرية المختلفة ، فكان ذا شخصية خاصة ، لو دللنا على ابرز عناصرها واكبر خطوطها ، لقلنا :

ان ملامح هذه الشخصية الازهرية المرجوة ، هى **تدين لا سلطة فيه ، ولا كهنوت** ، بل هو تمكين للانسانية من ان تسعد باثر هذا العامل على يد من هم قدوة حية فى المشاركة العامة المترفعة السعيدة بالمعنويات ، التى تفقه من الدين لبابه ، وتحيا بروحه ، ومع هذا التدين من عناصر الشخصية للازهر منزع اجتماعى خاص ، يبرز فيه الطابع الشخصى للشرق ، والشعور القوى بالذات ، والاناة المتئدة فى التحول والتطور ، تلك هى الشخصية المثلى التى نسأل : هل للازهر مع وضوحها فيه ، واحتفاظه بها مكان فى الحياة ، ورسالة .. او لا ؟

وفى صورة اخرى نسأل : هل يقوم الازهر برسالة علمية مدنية مع احتفاظه بهذه الشخصية .. او لا .. ومذا عسى ان تكون هذه الرسالة العلمية التى يؤديها الازهر مع احتفاظه بطابعه الخاص وشخصيته المتميزة ؟.. أيكون جامعة بكل اقسامها التجريبية العلمية ، التى تتطلب جهدا يستغرق نشاط الفرد ، فى يومه الكامل ، ولا تتسع طاقته ، مهما تكن خصبة لتؤدى مع هذا العلم التجريبى العملى شيئا آخر من نشاط فى ميدان ثقافى غير الميدان العلمى ؟

ولو عرضنا هذا السؤال ، او موضوع البحث من جانب آخر لامكن ان يقال : هل الازهر بشخصيته الخاصة التى وصفنا عناصرها يصلح لكل ما يصلح له اصحاب البيئات الاخرى ، ممن لم يقفوا من الماضى موقف الازهر ، ولم يتعرضوا فى الحاضر لما تعرض له الازهر ؟ او ان هذا الازهر يصلح لاشياء من المعاناة العلمية ، ربما لا يصلح لها مثل صلاحيته اهل بيئة او بيئات اخرى ، لم يفعلوا بالماضى والحاضر مثل ما فعل الازهر ؟

وتفنن ما شئت فى التعبير عن هذا التساؤل ، بعد الذى رسم لك من صورة الشخصية الخاصة للازهر ، ومكانها من الشخصية العامة لمصر ، او للشرق ، فانك ستجد ان كل صورة للسؤال ، وكل تصوير للمسألة تتجمع وتتركز كلها فى هاتين الكلمتين . . ازهر .. او .. لا ازهر ..

وقلب وجه الراى فى ذلك على ضوء ما سور هذا القول من شخصية الازهر الخاصة ، مع شخصية الامة العامة لتتقبل فى يسر ويسير من المخالفة ما اعرض عليك فيما يلى من القول عن هذا المكان الذى ينزله الازهر من الحياة وهو ازهر بكل شخصيته الخاصة .

امين الخولى

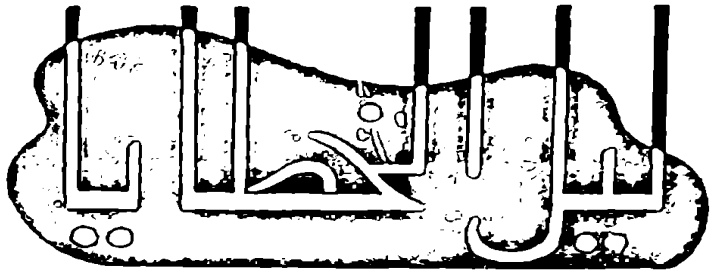

د . نجيب الكيلانى

بقلم : محسب ــ المندى

عند ما قرانا الفصول الاولى من رواية « ليل الخطايا » شـعرنا للوهلة الاولى أن وراء هذه الرواية اشياء اكبر بكثير ممايكتب من اجله كثيرون ، من مجرد الرغبة فى الكتابة عن « شخصيات » بقصد التسلية والمتعة ، او اضاعة الوقت فى عمل ادبى خلو من الهدف والمعنى . . عمل تافه . . تافه لدرجة لا يحتمل معها العقل الواعى متابعته اكثر مما تحتمل الاذن الموسيقية حز السكين فوق الزجاج . . !

ذلك لاننا احسسنا بعـد قليل من القراءة ان الكاتب يهـدف الى تحليل بعض النفسيات المعقدة التى تضطرها ظروف الحياة لان تعيش كاسرة واحدة ، او فى بيئـة واحدة . . بيئـة فيها من يكفر بالدين والنظام والخلق الاجتماعى . . وفيها كذلك من يؤمن بهذا كله . . ويرى ان « الحياة الطيبة » الفاضلة ، تصبح مثيرة للضحك اذا قرنت بمعنى باطل . . !!

ولقد شعرنا ان الكاتب يريد ان يوفق بين هذا القطيع البشرى المتنافر فى العـادات والميول ، وشعرنا ايضا انه يريد ان يصل بنا ــ وفى يقظة ودقة تامتين ــ حتى أعمـاق اصحاب هذه النفسيات ، وان يعريها من اثواب الملق والرياء . . ويضـعها امام اعيننا كما هى . . على حقيقتها .

ونعترف ان الكاتب قد افلح تماما فى هـذا الاتجاه رغم صعوبته ، مما يدل دلالة واضحة على انه يتمتع بقدرة قادرة على تحليل النفس البشرية . . وقدر لا بأس به على طريقة العرض المنظم . . حتى لكاننا نراه وهو يصعد بالنفس الى قمة الخير ، ثم وهو يهبط بها الى هاوية الشر . . !

فقد بدا الكاتب روايته بعرض شخصياتها عرضـا طبيعيا ، يتفق تماما مع منطق توالى الاحداث . . ثم اخضع الاحداث نفسها بعـد ذلك نحو هدفه المنشود . . وهـذا طبيعى جدا عند كل كاتب عميق البصيرة . . يهدف اول ما يهـدف الى غرض محدد ، وهدف معين . وبعد هاتين الخطوتين . . احسـسنا بالكاتب ينتقل مباشرة الى الحل . . الحل الموفق الذى يرضى اصحاب هذه النفسيات المعقدة التى تتصارع فى مجال الخير والشر ، والاهم من ذلك كله والابعد اثرا . . انه يهدف من وراء هذا الحل الى ارضـاء العرف والتقاليد !

ومما يدل على تلك النزعة فى نفس الكاتب ، مقدمته عن الخير والشر فى الحديث بين الشيخ وتلميذه .. وادراجه قول المسيح عليه السلام « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » . فنحن نرى « وهيبة » التى سقطت مع شقيق زوجها .. وهيبة الخاطئة .. التى ركدت احاسيسها .. ومات وازع الضمير فى نفسها .. نرى وهيبة هذه تتمتم لنفسها بصوت غير مسموع فى مطلع يوم جديد « يا رب .. يا رب رحمتك » !

ويكاد يكون من أول بديهيات النجاح الادبى ، ان يوفق الكاتب فعلا فى ارضاء الجميع رغم بشاعة الخطيئة عند النفس المؤمنة . ونحن فى هذه الرواية نكاد نرى الخير والشر يلتحمان فى اكثر من موضع وكأنهما كائنين يتصارع كل منهما فى مجال « الدهاء » حتى يحوز النصر . الخير والشر فى نفس عبد البديع شرف الدين .. وهو انموذج بشرى قدمه لنا الكاتب فى صورة كاملة باهرة واضحة المعالم . والخير والشر فى نفس وهيبة زوجته .. والخير والشر فى نفس « سامى » المراهق وشقيق الزوج المخدوع . هذه هى رواية « ليل الخطايا » التى قدمها « نجيب الكيلانى » والتى سنطرحها هنا على بساط النقد .

ونجيب الذى قدم لنا هذه الرواية كاتب نشيط ، ونشاطه لا يقف عند حد الرواية والاقصوصة والمسرحية ، اذ له انتاج آخر متنوع البحث والمنهج ، وهو بعد ذلك يجيد قرض الشعر ، وله فى مجلة الادب الغراء « درر » لا تغيب عن البال ، وهى تدل دلالة قاطعة على انه واسع الافق .. روائى وقصاص ، وكاتب .. وشاعر متمكن .. كما ان كتاباته تمتاز بالدقة المتناهية فى العرض والاسلوب .. والهدف والمعنى .

* * *

ان نجيب الذى كتب « ليل الخطايا » .. واخرج لنا صورة صادقة للدنيا كما هى الدنيا .. نجيب هذا ، من ابرز واغزر الكتاب الجدد ، فله اكثر من رواية ونال اكثر من جائزة ، ولانتاجه بصفة عامة طابعه الخاص .. الذى ساعد كثيرا على ابراز اسمه ككاتب جاد يحرص على سمعته الادبية . واذا نظرنا الى انتاجه الروائى ، نراه فى الطريق الطويل — اول انتاجه الروائى — وفى « طلائع الفجر » وفى « اليوم الموعود و « فى الظلام » يمزج احداث رواياته ومشكلاتها الاجتماعية بالاحداث السياسية فى الفترات التاريخية التى عاشها ابطاله .

بيد اننا نراه فى روايته الاخيرة « ليل الخطايا » يتعرض لمشكلة بعيدة كل البعد عن رواياته السابقة ، ففى ليل الخطايا نرى المؤلف وابطاله بعيدين كل البعد عن القضايا القومية والتيارات السياسية ، نراهم ضائعين فى مشكلة الغرائز ، والصراع بين الخطيئة والشرف .. لذلك كان ابطاله كلهم مراهقون ، فعبد البديع .. المدرس ، الذى قاسى الامرين فى حياته ، واضطر للعمل مصححا باحدى المطابع أثناء دراسته الازهرية ليستطيع اطعام امه المريضة وشقيقه — بطل الرواية — سامى ، واخته الصغيرة فوزية .. عبد البديع هذا — رغم انه متزوج فهو المراهق الكبير فى روايتنا « فقد اورثه حبه المسيطر » شعورا عجيبا ، اذ كان يحس بأن الدنيا من حوله ملئة بالذئاب ، غاصة بالخونة .. وفيم العجب اذا كان لديه كنتر ثمين .. ثم كان عبد البديع يتبرول فى لهفة كى يصل الى البيت ويحتوى وهيبة بين ذراعيه ويتأكد انها لم تزل باقية .. لم تزل له .. وبذلك تنمحى وساوسه وتقر بلابله ، ويتسرب الهدوء والطمأنينة الى جوارحه العاشقة « ص ١٢ » .

هكذا قدم لنا المؤلف عبد البديع المراهق .. المجنون بحب زوجته وهيبة !

ووهيبة هى الاخرى مراهقة ، تعانى من الكبت والحرمان ، فهى متزوجة منذ اعوام بعبد البديع ، ولم تنجب منه ، وتضيق بثرثرته وحديثه الممل عن كفاحه ايام ان كان طالبا فى الازهر ، وعن شجاره مع ناظر المدرسة الذى لا ينقطع ، وتضيق ايضا باعجاب زوجها بها .. ويزيد من ضيقها انه عاجز عن الانجاب .. وانه قصير القامة .. بشكل يخجله هو نفسه .. وانه ليس جذابا .. ومن هنا يبدأ صراع وهيبة بينها وبين نفسها ، ويحدد لنا المؤلف ـ منذ البداية ـ الطريق الذى ستميل اليه وهيبة .. لتنفس عن كبتها وحرمانها ، وذلك باظهارها العطف واغداقها الحنان على سامى .. شقيق زوجها .

هذا تبرير جيد من المؤلف نحو اتجاه وهيبة الى السقوط ، فالسقوط هنا له مبرراته ودوافعه النفسية المتشابكة ، كما انه لعب دورا كبيرا فى ايضاح الخطر النفسى لوهيبة التى بدات تشعر بالسأم من زوجها !

اما سامى فهو مراهق الرواية الحائر .. « انه كثير الشرود والذهول ـ طالما فكر فى وضعه بالنسبة لاخيه ، فهو يعيش عالة عليه فى ماكله وملبسه ومسكنه وتعليمه ، واخوه ـ جاف المعاملة ، وقد يكون لعبد البديع بعض العذر ولكن سامى لا يحتمل ، انه رقيق المشاعر ، حساس لادنى لمسة او كلمة ، وكان سامى يمضى فى طريقه فريسة للالم والخجل والحرج ، انه مضطر اضطرارا لان يرضى حتى ينتهى هذا العام وبعدها يستطيع أن يتحرر .. أن يخلص من بعض آلامه وارتباكه ، لقد ضحى بمستقبله من أجل ذلك ، ضحى بكلية الهندسة والتحق بمدرسة التجارة الثانوية واختصر الطريق . « ص ٢٤ » .

هكذا قدم لنا المؤلف سامى ، بطله .. الذى نشأ فى كبت وخوف من اخيه عبد البديع ، ونحن نراه طوال الرواية يعيش بلا ارادة ، مما جعله ملهاة لصديقه عرفات الذى أرسل خطابا له على انه صادر من درية الطالبة بالمدرسة الثانوية .. خطابا كله حب وغرام ، ثم خطابا مماثلا ، واخيرا ارسل خطابا لدرية على انه من .. سامى ! ليسخر منه ، ولكن سامى يخضع لارادة وهيبة ويترك درية ، التى كرهتها وهيبة ، وظلت حريصة على ابعادها عن سامى .

ونحن هنا نعيب على المؤلف سرعة كلفتة لقاء سامى بدرية فى الشارع ، لان التجاوب السريع بين درية ـ المحافظة ـ التى لا تعير الغزل اهمية و .. الخ التجاوب هنا جاء غريبا ، ونحن لا نستطيع الا ان ندرج الموقف كله هنا ، حتى يمكن ان نشير الى الخطأ بوضوح . عند ما ينتظر سامى درية فى الشارع ليشكرها على رسالتها ، يعرف منها ان الخطاب مدسوس عليها ، و .. يهم بالابتعاد ، ولكن درية تناديه وتبدى ارتياحها قائلة « انى سعيدة بهذه الاكذوبة البيضاء و .. » وتنعقد بينه وبينها !واصر الصداقة التى يعقبها الحب ! هكذا فى لحظة ..!!

لقد جاء الموقف هنا ينضح برائحة الافتعال ، رغم التصوير البليغ لمشاعر درية وسامى اثناء اللقاء .. ونعتقد انه كان يجدر بالمؤلف ان يمهد لهذا التجاوب ولو بتعدد مرات اللقاء ، وكان بوسعه ان يفعل هذا .

ويعرف عبد البديع ان سامى على علاقة حب بدرية ، فيثور فيه ويطرده من البيت ، ولكنه اذ عانا لرغبة وهيبة يعفو عنه ، وبذلك يتضح لنا ان وهيبة هى المسيطرة لا على قلب زوجها وارادته وحسب ، بل على البيت كله ، وخاصة سامى الذى لا يهمها سوى مرضاته ووجوده بجوارها . وينتدب زوجها عبد البديع الى خارج القاهرة ونراها تفرح لغيابه عن البيت .. ليخلو لها الجو وترتاح من شخصه الذى تضيق به . وكان سامى قد انتهى من امتحاناته . وتجد وهيبة المسرح خاليا امام غرائزها المكبوتة فتعلم سامى الذى انقاد لها بعد صراع هزم فيه .. تعلمه الرقص وتأخذه الى السينما و .. تأخذه بين احضانها فى آخر الامر وتنام معه على فراش زوجها وشقيقه .. وهو بلا ارادة .. يدفعه كبت وحرمان .. ويعذبه احساس بالندم .. ولكن غرائزه تدفعه الى احضان وهيبة الظمأى الى الحب .. الى تجربة الحياة « الباريسية » التى قرات عنها ، وممارسة الحرية والانطلاق .. الحرية التى حرمها منها زوجها الذى كان دائما يقول لها « لا وقوف فى النافذة .. ولا البلكونة .. لا سهرات .. لا خروج الا باذن .. ومعى » ! !

وتنتهى قصة ليل الخطايا بعودة الزوج من الانتداب ، وعودة وهيبة الى رشدها اثر مأزق كاد يدفع سامى الى الانتحار .. اذ ان زوجها عاد قبل موعده المعلوم ، وكانت وهيبة وسامى متعانقين فى فراشه ، وهنا ظهرت براعة المؤلف فى الحل اللبق الذى انهى به هذا الموقف المحرج المنذر بجريمة قتل او انتحار .. عند ما طرق الزوج باب حجرته وترددت زوجته فى فتح الباب حائرة فى امرها هى وسامى ، تائهة فى الفضيحة المرتقبة الا ان زوجها قال لها .. انه سيذهب الى امه المريضة ليطمئن عليها ريثما تستعد وقد ظنها مشغولة ببعض شأنها ، بعد هذا الموقف المحرج تحس وهيبة بانحدارها ، وتفيق الى وعيها ، وترى انها كانت مخدوعة فى اوهام خطيئتها ، فتقبل زوجها باحساس التائبة النادمة من جريمة لا يعلم عنها شيئا .

وسامى كان قد نجح واوجدت له عملا بواسطة والدها فى احدى الشركات خارج القاهرة ، وتكفيرا عن جريمتها الخلقية تؤيد زواج سامى من درية ، غريمتها ومنافستها فى حب سامى !

ونعتقد اننا بعد هذا التلخيص السريع للرواية نستطيع ان نعرض ملاحظاتنا عليها . واول شيء يلفت النظر فى الرواية هو « الفلسفة » التى تحدثت بها بطلة الرواية .. « انظر الى هذه السحابة يا سامى . قالتها وهيبة وهى تشير بيدها عبر النافذة فتتبعها سامى بنظراته وهى تقول — لو ارادت الثلى ان تصفها لقالت ان هذه السحابة مثل اكفان الموتى فى نصاعتها ، أما الآملون المبتسمون فيقولون انها اشبه ما تكون بأجنحة الملائكة .. ببياض الياسمين !! وقالت — نحن الذين نصنع الاحزان ونخلق منها صنما نرقص حواليه ويطيب لنا ان نذرف على ثرى معبده الدموع ؟!

وعند ما تحدثنا مع المؤلف فى هذه النقطة قال « ان الانسان فى الحياة العامة يتفلسف بأسلوبه وبلغته البسيطة .. ولكن فى العمل الروائى يؤدى هذه الفلسفة بأسلوب الفن » .

* * *

ونحن لا نختلف مع المؤلف فى ذلك ، ولكننا نقتنع بفلسفة وهيبة المفتعلة فى اكثر من موضع فى الرواية وخاصة فى المواقف التى تجعل الانسان فى حالة اضطراب كقول وهيبة سالف الذكر وهى مع سامى فى فراش الحب !

فهل هو سبق الاصرار من المؤلف على ان يجعلها تتفلسف ؟ ! الحوار الموضوع على لسانها كله يشهد بذلك ، الا ان هذا لا ينفى براعة المؤلف فى عرضه لنفسية وهيبة التى تعانى من الكبت والحرمان .

: وسامى .. بطل الرواية .. كان سلبيا بشكل غريب .. وقد تكون لنشأته وظروفه العائلية التى عرفناها اثرها فى سلبيته ، الا اننا رايناه يترك حبيبته درية ويتصرف وفقا لمشيئة وهيبة حتى آخر الرواية ، وان كان هذا جميلا من ناحية ابرازه لمشكلة التى تهدد حياة امثال سامى ، نتيجة لقسوة شقيقه الاكبر واشعاره بأنه ذئيل وفى حاجة اليه دائما . الا ان المؤلف ، فى رسمه لشخصية سامى ، نسى نفسه لحظات .. وقدمه على انه مارس العلاقات الجسدية قبل علاقته بوهيبة وذلك فى قوله فى صفحة ١٦٨ « احس سامى بخدر .. وبنشوة تسرى فى كيانه كله و .. « انه نفس الاحساس الغريب الذى يدهمه كلما لامس جسده جسد امراة .. » الى ان قال : لكن ماذا يفعل وهو ضعيف متردد امام اغراء الجنس ؟ ! هذا بينما عرفنا فقط ان سامى لم يمارس سوى الحب العفيف النقى مع درية ؟ ! !

كما ان المؤلف اغفل دور الام المريضة فى غرفتها ، وكذلك فوزية .. التى اخفاها المؤلف فى « جيبه » طوال عرضه لعلاقة وهيبة وسامى الآثمة .. ثم اخرجها مرة اخرى عند ما احس معنا بأنه اخفاها اكثر من اللازم .. وكذلك « عرفات » ، الصديق الذى كان له مع سامى شأن كبير .. اخفاه المؤلف قبل نصف الرواية بكثير ، وكان اظهاره حتميا وخاصة عندما علم سامى ـ الذى كان يخرج من البيت فى بعض الاحيان ـ علم من وهيبة التى لم تخرج ، من البيت طوال هذه الاحداث ـ ان درية حبيبته السابقة قد انتقلت من الحى .. كذلك يحق لنا ان نتساءل لماذا اختار المؤلف الشارع ـ وهو كما عرفنا شارع عمومى يفص بالمارة ، ليجرى الشجار بين وهيبة ودرية وما حدث منها من صنع امام المارة ؟ ! ربما اضطر الى ذلك بسبب البناء الفنى للرواية .. ولكن هل هذا يحدث فعلا ؟ او ممكن حدوثه ؟ ! فى الحق اننا لم نقتنع بطبيعة هذين الموقفين ، وخاصة بموقف سامى الذى وقف حائرا امام المراتين فى شجارهما فى الطريق العام . ص ٢٤٣

والمؤلف يتحدث عن جوع البطلة الجسدى ، وظمئها لممارسة الحب بحرية وانطلاق تراه يغرق « واحست وهيبة انها عطشى .. جائعة .. رغم امتلاء معدتها بالطعام » وطبعا هذه زوائد لا محل لها اطلاقا . وفى ص ١٦٢ نراه يقول «كن مطمئنا مائة فى المائة» ولو كان كن مطمئنا فقط ما خسرنا شيئا . وهذا يعد بسيطا بالنسبة للفصل الاخير من الرواية .. الفصل الرابع والعشرون .. فهو زوائد ولا داعى له اطلاقا ، لان المؤلف قدم فيه ما قد فهمناه من سياق الرواية وخاصة فى ص ١٩٣ وص ٢٠٢ وص ٢٠٤ عن حصاد الخطيئة .. والندم العميق .. ووهم الانحراف .. وليالى الحرمان والكبت ، وان البطلة بانحرافها قد ارادت ان تثبت لابيها وزوجها ، بصفة الاول مسئولا عن تربيتها ، والثانى عن معاملته لها .. انهما لا يستطيعا ان يكبتا ارادتها .

زد على ذلك ان هذا الفصل الاخير كان وعظا مباشرا ، وكم كان جميلا لو ان المؤلف

انهى الرواية فقد ظننا حقا أن هذه الصفحة هى نهاية الرواية للتحليل الرائع الذى مزج حيرة سامى وندمه ، ثم اقباله على عمله الجديد وسط براءة وصفاء الطبيعة والناس والطيور و .. « والحياة كبيرة فيها متسع للجميع .. والله لا يطرد من ملكه احدا .. » ص ٢٥٠ .

* * *

وبعد .. لقد اعطانا المؤلف عملا طيبا فى مضمون « ليل الخطايا » .. كما انه لعب بعواطفنا فى مجال الخير والشر المترسبين فى اعماق كل نفس ، فقد جعلنا نحب الانسان ، ونكرهه .. وفى راينا أن الكاتب الناجح هو الذى يستطيع ان يلعب بعواطفنا ويهز مشاعرنا بين الحب والكراهية .. فالكاتب الذى يصف جلد « النمر » بالنعومة وجمال التخطيط ، يجب عليه بالمثل ان يحذر من شراسته .. والا ترتب على هذا الاغفال عدم تمييز شراسة النمر ووحشيته ..!

ولقد فعل المؤلف اكثر من هذا .. اعطانا الخير فى نفس عبد البديع ، ووهيبة ، وسامى . حتى عرفات الماجن ، لم يجرم ابدا من خط الخير ثم اعطانا ايضا — وبنفس القوة — الشر الكامن فى انفسهم .

ولا يسعنا فى الختام الا ان نهنىء المؤلف على مجهوده رغم الهنات التى عرضناها فى طريقة عرضه لاحداث القصة ، ونحن على شبه يقين من ان صدر الصديق نجيب لن يضيق ابدا بمثل هذه الملاحظات الهينة ، لانها لن تقلل ابدا من قيمة عمله الادبى .. كما نشكر استاذنا امين الخولى الذى اتاح لنا فرصة النقد لابن بار من ابناء مجلة الادب .

كما لا يسعنا الا تقديم كلمة شكر للاستاذ عباس خضر .. الذى علمنا كيفية احترام الراى ، واحترام النقد .. النقد الهادف المنصف .. الخلو من الترهات والعبارات الضخمة ذات الرنين الاجوف .. وكان النقد ليس الا معركة لا يصلح فيها الا فرقعة السياط .. فى الهواء ! !

محسب — المندى

للحقيقة ..

اخبرنا مسئول فى المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنون ان لجنة الشريعة لجائزة الدولة التشجيعية سنة ١٩٦١ كانت مؤلفة من السادة الاساتذة والدكاترة الذين اهدت لهم « الادب » نقدها لاشتراكية الاسلام ، ثم تبين انه لم يقل الصواب ، وان اللجنة تالفت من خمسة ليس فيهم الا واحدا ممن اهدى لهم نقد «اشتراكية الاسلام» فنذكر هذا للحقيقة وهم — فى كل حال — اهل لان يحتكم اليهم فى مثل هذا النقد .

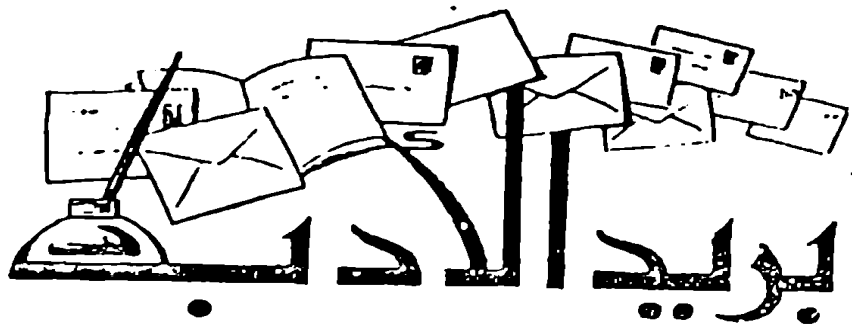

بريد الأدب

تقويم و تدريب

سذاجة ..

بل سذاجة .. خوافة ، تتجلى فى خطاب طويل من صفحتين ، بلا امضاء .. اذ كتب فى آخره « من رواد مجلة الادب »

وهى سذاجة ـ لو صح الحدس ـ لكانت تخاف وتحاول ان تخوف .. اذ تكتب فى راس الصفحة الاولى من الخطاب الطويل عبارة « وان غدا لناظره قريب » فلا تدرى أهى السذاجة لاغير ، تستعمل الالفاظ والجمل دون انتباه كامل لمعانيها ، أم هو شىء غير ذلك !

وهذه السذاجة صعيدية .. لان الخطاب من دشنا ، كما كتب فيه نفسه ـ وكان الظن ان الصعيد اقرب بفطرته الى غير هذا التخوف !

ولعل من السذاجة ، التى تستعمل العبارات فى غير انتباه كامل لمعانيها قول صاحب هذا الخطاب لمحرر هذا الباب .. « انه خرج عن حد الادب اولا »

وتبدو السذاجة ببساطتها ، حين يقول لمحرر البريد عن الطريقة الصحيحة فى النقد وانه .. كان الاجدر ان تكتب العبارة الخطأ ، ثم تحدد عين الخطأ فيها ، وتكتب بجوارها ما يجب ان يكتب او يقال .. فهل يستطيع قارىء « الادب » ان يراجع فيها كراسات تعبير او كراسات املاء فى المرحلة الاولى ، وقد كتب فيها الخطأ وبجواره الصواب ! !

ومن ظواهر هذه السذاجة ان يقرأ فلا يتمثل ما يقرأ . ويلخص عن هذا الباب من عدد ديسمبر مدعيا على هذا المحرر انه قال تحت عنوان « اكتبوا الصواب » : « هناك تتواجد (كذا) الكثير من الاخطاء التى لا يحتملها المدرس فما بال الصحفى » والعدد بيد القراء !! و « الادب » فيما نرجو لا تتحلل حتى تقول « تتواجد الكثير » !! فهل يريد السيد ان اكتب له بجانب هذه العبارة صوابها !! لا .. لا .. يا سيدى

وحرام على « الادب » ان تضيع وقتا آخر فى تصحيح عبارات السيد الخواف .

بسذاجتها البسيطة .. وتكتفى بمعنى واحد ، لتصحيحه اثر فنى ، وهو : وهم السيد الذى يجسمه سؤال موجه لى وهو : **هل كان احد الادباء المعاصرين والسالفين يكتب الصواب منذ بداية حياته الادبية ؟** .. والرد المنطقى عندهعلى هذا السؤال وهو بعبارته : « لا تخلوا (كذا) كتابة اديب ناشىء فى الحاضر او الماضى من الخطأ والا لما كان النقد والنقاد » . .

والسيد بسذاجة لا يفرق بين الصواب الذى هو صحة المكتوب وجريانه على قواعد اللغة ، والصواب الذى هو سلامة الفكرة ، او الصواب الذى هو الجمال الفنى فى العبارة .. وواضح بكل جلاء : ان الصواب الذى نتكلم عنه ليس الا صحة المكتوب. وجريانه على القواعد العامة فى النحو والرسم ، يعنى الا يقول من يكتب للنشر مثل قول صاحب هذه الرسالة ،تتواجد الكثير ، ولا يكتب ــ كما كتب « تخلوا » كما لا يكتب مثله « بناءا » ، وليسأل عن صواب هذه الاخطاء اى زميل له ، لان وقت قراء « الادب » اغلى من ذلك بلا شك .

وهذه الصحة الاولى ، والصواب اللغوى والنحوى ، والاملائى وما اشبه ، انما هى مرحلة تسبق الحسن والبلاغة المطلوبة فى التعبير بعد الصحة ، فكل كلام بليغ لابد ان يكون صحيحا اولا ، حتى لو كان راى صاحبه ان يكتب العامية ، كانت الصحة بمقاييس العامية .. ولكن ليس كل كلام صواب صحيح التكوين يكون حسنا وبليغا .. وعمل النقد والنقاد انما يكون فى مستوى البلاغة والجمال لا فى تصحيح النحو والاملاء فى كتابة من يتصدون للنشر ويكتبون طالبين النشر ، وطالبين من الناشرين ان يكتبوا الصواب اذا كان فى تعبيرهم أخطاء .

وحسب هذه السذاجة الخوافة كل هذا الذى استهلكته من الوقت ، وفراغ المجلة ولولا ان صاحب هذه الرسالة يشكو ــ فى غير حق ــ من ان هذا الباب يأخذ المنقودين من الناشئين بشدة لما كان لرسالته هذه اى مجال فى هذا الباب .. ولكن ليعلم هو ومن لا يروقهم ان يؤخذ الامر مأخذ الجد ، ان سلوك هذا الباب فى النقد ليس عنيفا ، ولا شديدا .. ولكنه جاد ، الجد الذى يعتبر مادونه رخاوة تسىء الى الاجيال الخالفة ولا تفيدهم ابدا .

لاتعجـــلوا . .

يكتب غير واحد من ابنائنا يتعجل النشر او التقويم ، بل يتعجل الرد على رسالته التى تسأل .. وينسون ــ اعزهم الله ان بريد المجلة لايمكن ان يؤخذ فيه بالآداب الفردية فى تراسل الاشخاص ، لانه من الكثرة والسعة ، بحيث لو وجب فيه الرد على كل رسالة ــ ردا سريعا او حتى بطيئا ــ لكان ذلك كافيا لشغل وقت الصحيفة بالبريد دون شىء آخر ! !

وقد كانت « الادب » قبل تقول ، وصل كذا وكذا وهو تحت التقويم . ولكن بلغ الامر من الكثرة حدا لو سرد فيه الوارد لاستهلك مكانا فى صحف المجلة ، يفيد استعماله فى غير هذا .. ومن هنا جرت « الادب » منذ فترة على ان تضع الرسائل فى دورها ، على ترتيب ورودها ، وتقوم كل عدد قدرا من الشعر والنثر تحتمله صفحات العدد ، على ما ترون من السخاء والتسامح ، فى صفحات هذا الباب .. ومع ما تتطلبه دراسة هذا القوم من جهد . .

آمل ان تقدروا الواقع . وتطمئنوا الى شىء من واجبنا جميعا نحو غيرنا . .

ومعذرة اذا كنت لا اخلى هذه الكلمة الطويلة ، من ملحظ لغوى ، اذ اجد امامى على وجه رسائل الاستعجال : ارسلت لكم قصيدة كذا ، وقصيدة كذا ، و .. .. و .. وحتى الآن لم اقرأ عنهم (كذا) ، وقبلها بدقائق كان فى يدى خطاب من منطقـــة تعليمية فى وزارة التربية مطبوع ، تقول فيه المنطقة : « .. المدارس والمعاهد ، وما فى حكمهم » .. « وهم » انما تقال للعقلاء ، اما القصائد والمعاهد والمدارس ، فيقال « فيها » وحكمها ..

* * *

وعلى ذكر هذا التصحيح المح امامى رسالة سيد ، نبهته « الادب » الى اشياء فى رسالته فكتب ، مطيلا ، يستغرب كيف وقع منه هذا الخطأ ، ويطيل كذلك فى تفسير ظروف مخفقة لوقوعه فى هذا ، كالقائه الرسالة فى الصندوق دون قراءتها . . ومثل هذا واكثر منه لا ينفع ولا يشفع ، وما دمت قلت بلسانك او رسمت بقلمك فانت مسئول .. لاتملك رد ماقيل ، وقد كنت تملك تماما امساكه .. فالى طمأنينة على ما ارسل .. والى احتمال شجاع للمسئولية فيما كتب .. زادتكم التجارب خبرة وثباتا .

شخصيـــــة . . ! !

وقد هممت بأن اضع فى العنوان عبارة « مادح نفســه » لولا انى فى العدد الماضى قد قلت للنشء لاتزكوا انفسكم ، وسيعذرنى القـــراء حين يقرءون من حـديث هذه الشخصية عن نفسها : « انعم الله على كما انعم عليكم ، بملكة الكتابة والاطلاع ، وموهبة الادب بكل صوره ، فمن قصة طويلة الى قصيرة ، الى رواية ، الى شعر ، الى زجل ، الى رباعيات ، الى اغانى ، الى يوميات ، وخجلات (كذا) ، الى مقالات ادبية وسياسية ، واجتماعية ، الى مناقشات عامة ، كما وعندى القدرة والموهبة ، لان **اقدم يوميا ، وليس شهريا** انتاج (كذا) لكل على حدة ، اذا تهيأت لى الفرصة الســامحـــة (كذا) ، ولذلك جمعت آمالى ، واعصاب وموهبتى ، وكتبت لكم هذا الخطاب ، آملا من سيادتكم التكرم ومنحى الثقة والشرف فى مجلتكم .

ولا يسع من يقرأ هذا الكلام من شخص عن نفســه الا ان يسكت .. أو .. حتى ولو صدق وسلم ، بقول القائل :

وليس على الله بمستنكر أن يجمـــع العالم فى واحـــد

لان هذا الذى لا يستنكره الشاعر على الله ويرى امكان ان يكون ، وانه فى قدرة الله لايلزم ان يكون قد وقع فعلا .. فمن الممكن العقلى ماهو مستحيل عملى .. ولو صح ان يكون صاحب هذه الشخصية شاعرا فى كل فنون الشعر وناثرا فى كل الوان النثر فليس من السهل ان يقدم يوميا ، وليس شهريا ، انتاجا لكل فن من الشعر والنثر على حدة .. ! !

وليس عندى ، ولعله ليس عند القراء ، ما اقوله لصاحب هذه الرسالة الا ان يكون بعض كلامه هو عن نفسه فى قطعة **من الكلام** ، أرسلها نموذجا لانتاجه الذى حدث عنه ما سمعنا من حديث .. وهذا الانموذج من عنوانه الى امضـــائه يمكن ان يعطى تفسيرا لشخصية صاحبه ، والعنوان : من انا ؟ ولازمة القول فى كل جزء فيه هى : « ولكن من انا .. وخاتمة كلامه قوله :

انا نفس من اوهام .. وجنس من تراب .. أوهام من احـــلام .. وتراب من الارض . . انا . .

فهل يرى القراء هذا التعبير النفسى من القول عن قائله ؟ .. ؟

أفـــق أعـــلى ..

وقد اريد بهذا العنوان مطولة من الشعر ، عن الاسراء والمعراج ، حيث كانت تلك المشارفة .. وقد اريد هنا شعر هذا السيد ، وشعر سيد آخر معه ، جاز افق الشداة الناشئين بمراجلى ، بل مراحل فسيحة ، فاحد السيدين مفتش سابق بوزارة التربية والتعليم ، والثانى ناظر مدرسة اعدادية ، ومثل هذين اذا نقد لهما عمل او قوم ، فينبغى ان يكون ذلك من افق اعلى من افق تقويم الشادين البادئين .. ولعل القراء يحتملون معى مثل هذا التوسع فى التقويم ، ومثل هذا الاسلوب فى نقد من بلغا هذه المرحلة من مراحل النضج .

ومطولة « الاسراء والمعراج » فى مائة وبضعة عشر بيتا ، وقد اتبعها السيد صاحبها باخرى هى : صور واقعية .. من وحى الشتاء » . كما كان قد قدم قبل هـــذا كله قصيدة « نوح وابنه » ومزاج السيد كما نرى دينى حساس يمثله ختام المطولة بقوله .

بجاه محمـــــد يا رب فانصر عروبتنا .. وجنبهـا التبابا

وبرقة القلب التى يبعثها الشعور الدينى الحساس يقدم الصور الواقعية .. من وحى الشتاء ، وهو طويل النفس كما ترى ، يطاوعه النظم ، وان كانت القافية فى غير موضع تقلق عبارتها ، ويبدو ان العبارة فيها تكميل مجبر كقوله : ودوتك فاهجر النوم اجتنابا .. او قوله : كما سكن الخريبة وثابا ، فان الاجتناب فى الاولى والثوب فى الثانية مقحم ، ومثل هذا غير قليل فى قلق القوافى ، كما أن حاجة القافية قد تفسد المعنى باللفظ المكمل كقوله : واثر مهده عيسى وحايا فان المحاباة ــ مهما يكن معناها ــ ليست مما ينسب بسهولة لمثل عيسى .

وفى شعر السيد بعد ذلك تقريرية قد تكون صارخة ، تلتحق بالنظم المحض الـذى تعوزه الشاعرية ، كقوله : اتدرى كيف قابلنى الشتاء وكيف يكون فيه القرفصاء

كما ان الصوغ يهن احيانا ويتخلخل كما فى قوله :

وكيف البرد يفعـــــل بالثنايا اذا اصطكت وجاوبها الفضاء

ولعل الجو الدينى بروحانيته هو الذى يبعد بالسيد صاحب هذه المنظومات عن مثل هذا التقرير البحت لانه يسعفه بصور بيانية روحانية الجو فتكون بجملتها اقل بساطة من مثل : كيف البرد يفعل بالثنايا .

ولو نجت القافية فى مطولة الاسراء والمعراج مما اشرت اليه لامكن التفكير فى اختيار شىء منها للنشر ..

والثانية من هذا المستوى هى « أيام الاحرار » فصاحبها لا يخف لا طالة زميله ، ولا جاء منه ما هو روحانى النزوع ، بل هو عملى قوى الاندفاع فى أيام الاحرار هـــذه والمعانى حماسية خطابية ، والاداء فيها تهتز قافيته ، فيتأثر معناها ، او تقع حشوا يسد فراغا ، فمن الاول مثل قوله : ناصع الجبهة عطرى الخزامى ، والخزامى عاطرة دائما ، وتعطر الريح فيما عرف عرف القدامى ، وليس فى الخزامى ماليس عطريا .

ومن الثانى مثل قوله : ليس ترضى العيش ذلا وانقساما ، فان الانقسام ليس من وادى الذل حتى يعطف عليه ، و .. وتقع فى كلامه الالفاظ غير الشعرية ، بتأثير الحماسة الخطابية ، التى سادت جوه ، معنى ولفظا فتجد له مثل : والك جاع الحر ... باق دواما

وفرصة النشر امام مثل هذا الشعر ليست واسعة . .

ونتحدث بعد ذلك عن سائر رسائل .

* * *

الشعر :

* ـ فقد وصلت ((**بدون حب**)) من انتشر المشعور او الشعر المنثور ، ومهما يكن الراى فى هذا الصنف من القول فانه لايمكن الاغضاء فيه عن خطأ التعبير فى مثل : ليس هناك وقتا .. ومثل الانفاس الا لهثة .. فقوموا عباراتكم قبل ان تكتبوا شيئا ما .. نثرا او شعرا .. اولا شعر او لا نثرا .

* ـ ووصلت ((**أغنية بلادى**)) ومع تجاهل ما يتطلبه النسق الشعرى المعروف يبقى فيها من الخطأ ما نبتغى ان يترفع عنه محاول ، لقربه ووضوحه كقوله : لنصيغ نشيدا ، وانما هى نصوغ ومثله او اكثر الخطأ فى تكوين الصورة الادبية كقوله : قوس مشدود والدم وقوده لان القوس ليس آلة حارقة تحتاج الى وقود ، من الدم او من غيره .. ومن ذلك قوله : لحن يتردى فى الافق نشيده ، وهو يريد انتشاره لقوله بعده : تغنيه .. ترده .. نعيده .. وربما اراد «يتردد» بدل يتردى » ، ولكن غيرها من فقدان مناسبة اللفظ للمعنى موجود .. والتردد موجود فى الشطرة الثانية .. ومن الفقر اللغوى مثل هذا :

وفى كل حال فانى اسر الى صاحب « أغنية بلادى » انه على الدرب .. ومع الارتياض الجاد يقول ما يريد ان يقول فى صورة يريدها الفن .. والمستمع فاعمل .. وتقدم

* ـ ووصلت ((**من وحى عيد العلم**)) فى خمسين بيتا ، على قافية واحدة ، ومع طول هذا النفس ولين الصنعة ، ومطاوعة الوزن التى لا تنكر فان روح التقرير الواعظ تطبع هذه الطويلة وتبدو فيها صارخة ، ومن طريف هذا الوعظ الساذج قوله لرعاة النشء برسم لهم طريق التدريس :

من الواضح رووا غامضا
وعلى الاسهل خوضوا الاصعبا

بعد قوله :

حببوا الدرس اليه انما
يثمر الدرس اذا ما حببا

ومع قوله :

واجعلوا العفو عقابا فلكم
صائح افسده ان عوقبا
نظرة الواعظ اقوى زاجرا
من عصا الجلاد مهما ارعبا

الى كثير من مثل هذا

ونقول له نظرة الواعظ آذت شاعرا !! وبجانب هذا ما يجر اليه هذا الجو من الفاظ غير شاعرة كقوله : وليكن شغلكم الدرس ..

ومن دعابة الملاحظة ان يكتب «خوفو» بألف بعد الواو .. وصاروخهموا .. واطماعهموا (كذا)

والفتى ـ على ما يبدو ـ فى مقعد الدرس ، وانطلاقه مرجو ، ولعله يظفر ببيئة اكثر فنية وحيوية ، فيكون له غد وعلى خد تعبيره هو : الفد المرموق فى كفه .

* ـ ووصلت ((**ياملاك الحب**)) وفيها تتزاحم الصور البياتية ، وان كانت لاتخلص من قلق بعض الالفاظ فى مكانها مما يفسد المعنى ويشوه الصورة كقوله :

البستنى ثوبا قشيبا غار فى اعماق نفسى .. فانك لاتدرى كيف غار الثوب فى اعماق نفسه !!

وكقوله : والزورق الملقى على كتفى كنيل اسود !! ولو كان زورقا من المطاط

الذى يحمله الاوروبيون فى رحلاتهم لما هان ان يحمله كتفه ، فكيف وهذه الزوارق فيما اظن ليست كثيرة الانتشار عنا !!

ومن قلق الالفاظ كذلك مثل قوله : والبلبل الغريد يفصح فى الصبابة والحدا

وقوله :

والفد فوق سمائه .. نجمان فى فلك الهوى . .!!

وقوله :

ندبت عليه حمائم الوادى النضير ! ! ان روحك تهفو .. وحسك يسعف فلا تتعجل بها يفسد الصورة ، ويجبه ببسوة اللفظ . .و « الادب » تتلقى ماترسل بعد هذه .

* — ووصلت « **لم تصمتين** » و « **وسادتى** » من قلم واحد ، له قدم فى الميدان لو راض قلمه وحسه على ان يقول ما يجد ، دون تستر فى الصور المصنوعة ، التى يضطرب بها المعنى فهو مثلا يقول :

الحب لولا الكون لم يرتعش
والقلب لولا الحب لم يخفق

وللمعنى اصل قوى ، فى قيام الكون بالحب ، لكن لابالارتعاش ، والحب حياة الروح ، لكن خفق القلب ليس بفعل الحب ، وان سخر خفقه للحب .

وهو يقول : وسادتى ظلى على مرفقى ومناجاته للوسادة لمحة فنية ، لكن مرفقه هو الذى على الوسادة ، والوسادة تحت مرفقه .. ومن هذه الصور المضطربة مثل قوله :

يفجر الايمان فى ناظرى
وينشر الاوهام فى زورقى

فالتفجير للايمان فى النواظر عريب .. وخطر .. والزورق فى مكافحة الموج ليس مكان انتشار الاوهام .

لاتفتن بهذه التعبيرات التى لاتقيم معنى ، ولا بتلك الصور المهزوزة التى يهتز معها ما قد تجده فتصدق ، لكن يسىء اليك التعبير .. تقدم متزودا .. متأنيا .. غير مصطنع .

* — ووصلت « **جراح** » فى اكثر من ستين بيتا على قافية واحدة وتنفث انفعالا حارا ، والما مريرا من فرقة الشرق وتخلفه ، ومواطن الاضطهاد ، وميادين النضال المتهورة ولعل حرارة هذا الانفعال مع طول الزفرة ، هى التى رمت ببعض العبارات القاصرة عن مداها ، فلم تستطع الاداء المنشود فى قوته ، ومضائه كقوله : عن الاندلس : لى الله فرقتها الصاغرة .. فالصغار هنا ليس من قوة المعنى فى شىء .. وكقوله : ومحق خطا الشلل الداعرة . . والخطو الداعر لا يناسب فى شىء الشلل العاجز الراقد وكقوله : عن دمع مما حد يئن من الوخزة العاقرة .. والوخز والعقر لايتكاملان فى اداء المعنى .. ومن ذلك قوله عن صباح الحياة ، وفى وجهه بقع جادرة . . ان صح ان يقال جدرة اصابه بالجدرى ، فالبقع ليست الجادرة بل هى اثر الجدرى .

وتهتز الصورة .. ويتبدد المعنى فى مثل قوله :

راى فى العروبة جرحا عميقا
اذا عولج ازدهت الباصرة

فالمعنى واهن .. واللفظ ليس بذاك .. ويكفى الشاعر ايسر من هذه الاشارة

النثر

* — ووصلت قصة «أوقات للذكرى» والشكل فيها مشوه بكثرة الالفاظ العامية

التى لا حاجة بصاحب الاوقات اليها ، وهو اشد تشوها بمثل : لم يواتيه .. مر بها صباحا سعيدا .. الى اخطاء فى الرسم لا نخف لتتبعها ، لان المضمون — بعد هذا الشكل — لا يستحق الوقوف عنده ، فاللقطة فيه غير مركزة على شىء : كهل تزوج فتاة تصغره بخمسة وعشرين عاما ، ثم قرا كتاب الحياة الزوجية السعيدة ، فسافر بزوجته وتركها عند ابن خالتها الشاب فى الاسكندرية وعاد ، وان كنا لا نعرف لماذا عاد ، وهو فى اجازة مدتها شهر !! فكان ما لابد ان يكون .. ثم عرفه فى رسالة من ابن خالتها فى جيبها فلعن الكتاب ومؤلفه !! فما دور الكتاب فى الموضوع ، وما قيمته بين تجارب زوج سبق له الزواج ، وهو — فرضا — يعرف شيئا عن الحياة الزوجية ؟ لم يضع صاحب الاوقات اصبعه على موضع الحساسية فى الحادث !! وليست اوقات الذكرى محورا فيه .. فالمضمون خاو والشكل متعب .

* — ووصلت قصة « **مدينة الابطال** » تنوجها عبارة : « فى اعياد النصر تتجدد الذكريات المجيدة لمعركة بور سعيد الخالدة » وصاحب القصة ذو رسائل غير قليلة ، قدمت « الادب » منها غير قليل ايضا .. ومدينة الابطال تعيد الى الذكرى ما لحظته « الادب » غير مرة على صديقها صاحب هذه القصة ، من حاجة عبارته الى السلامة ومجاراة قواعد اللغة ، فى مثل قوله : لم يبق الا اسبوعا . وقوله : ببسالة وبطولة منقطعتا النظير .. وقوله : كان يخالجنى شعورا مبهما .. الخ .. تسندها اخطاء فى استعمال اذ ، وهى ظرف للماضى ، فى معنى المفاجاة الحاضرة ، كما تخدش الاسلوب مبالغة مسرفة جد الاسراف ، كقوله : وأغوص الى قمة راسى فى الدماء !! وقد قال قبلها : تراق فيها الدماء الآدمية انهارا ، فسكتنا . وان كانت تلك الانهار وهمية ، لكن كونه يغوص فى الدم الى قمة راسه !! غير محتمل له ، وغير محتمل قبوله منه .

وندع ذلك كله الى قصة مدينة الابطال التى بطلها شخص بعد ان اجاد الرماية اكثر من زملائه جميعا ظل بعد ذلك لا يستطيع النظر الى طائر يذبح ، واذا ما جرح فى موضع من جسم فر لونه ، وخارت قواه ، واضطربت ضربات قلبه ويصير هذا المتهالك بطلا ، بقدرة قادر ، يمثل مدينة الابطال ، لكنه ليس بطلا محبوك الصنعة ، فان ماحوله من انهار الدماء لم يحرك نفسه ، وانما حرك نفسه اصابة بيته ، واحتراق عش الزوجية المنتظر ، فاذا به يسقط الطائرة ، ويجرح وتجىء هدى لتسعفه بين المصابين ، وتستعمل كل وسائل الاثارة فى وصف البطولة التى يقدم هذا على انه اوحدها ومثالها .. مع تداعى صورته ، وانحلال شخصيته .. لقد ذكرتنى مدينة الابطال بالكثير الذى نشرته الصحف فى عيد نصر هذا العام من اعمال تستغل هذه المناسبات ، وليس لها من الصفة الفنية مايؤهلها للحياة .. هذه ايضا يا صاحبى .. لا تستحق النشر .

* — ووصلت « **حطام الحب** » لاحد ابناء الاقطار الشقيقة ، ممن نرجو فيهم سلامة التعبير ، من مثل « وجلس كل منا صامت » .. وما علينا من هذا فان هذا الحب وحطامه غريب ، غرابة نرجو معها الا تكون تجارب الكاتب مما جرى فى بلادنا هذه .. لقد رآها عابثة .. لاهية ثائرة متمردة ، فى عينيها فتنة ، وفى جسدها نار ، وفى شفتيها الطامئين نداء لم يكن فى استطاعته ان يلبيه .. فقد كانت تقف بينهما التقاليد .. وتحاشى طريقها ثم جاءت وقالت : عد .. واشاح عنها بوجهه .. كان يخشاها .. وبكت وتوسلت ، وثارت وهددت ، واشار الى اباب ، وكان آخر العهد بها .. وتلك هى التى كان يجن بحثا عنها .. وصورتها ثم تبرح ذاكرته .. وهى احب مخلوق

الى قلبه .. فكيف كان هذا !! وكيف كتب !!

وتجربة البطل الذى يرسمه الفتى انعربى تتم بقوله : وتزوجت .. وسمعت انها تزوجت ، حتى سئمت انا الحياة فى عش الزوجية المقيد ، وسرعان ماتركته وعشت على أمل لقائها ..

فما هذا السأم ، والتقيد ، والترك والمعيشة على امل لقاء من طردها ، وهو غير متزوج ! ! ومن الحس الغريب انه حين يراها فى الكازينو لا يعرفها وتجىء هى وتقدم له نفسها ، وتشعل سيجارا يعطيها اياها .. فما هذا الحس الذى يجمد فى مثل هذا الموقف .

وتتمة التجربة ، التى لا نحب ان يجرى مثلها لشاب ، انه يراها قد تسلل البياض الى شعرها .. وغطت التجاعيد جبينها ، وارتعشت يدها المعروقة ، وابطأت خطواتها ، وبهتت صورتها فتمتد يد قاسية الى قلبه تنتزع منه الصورة التى يظل يحتفظ بها طوال هذه السنين ، ويراها على الارض قطعا متناثرة اشلاء ذكرى وحطام حب .

اتمنى لك ايها السيد الا يكون العصر الانتقالى الذى تعيشه قد سبب هذا الانهيار والقلق الذى يشع من حطام الحب المرسلة .

* — ووصلت ((حب .. وفن)) وقد مللت من ملاحظة الاخطاء اللغوية ، واخطاء الرسم ، وما يحفها من صور بيانية مضطربة كقول صاحب هذه : يسرى فى دمى يحمله كما يحمل الاوكسجين !! فاترك ذلك كله لارى نمو شخصية المحب الفنان ، فاذا هو عند صاحب القصة شاب خائب لم يصلح لعمل فحولته الظروف فنانا بتأثير فتاة التقى بها .. ولا ادرى كيف يكون الفن عمل الخائبين الذين لم يصلحوا لشىء آخر !! انها الجهالة القديمة فيما قبل هذا الجيل ، فلم يقيم عليها صاحبنا شخصية فنانة !! اهو من ابناء الجيل الماضى !!

وندع هذا لننتقل الى الشخصية الثانية ، شخصية الفتاة التى اخرجت من هذا الخائب فنانا .. انها فنانة وهى التى علمته التصوير ، وفى مرسمها تلقى توجيهاته ، فكيف استحالت بعد ما تزوجته الى خصيمة للفن تهجم على صورته لتحطمها فعلا امامه !! انها لم تترك الفن بل ظلت تمارسه وتدخل مسابقاته ، فكيف يكون هذا الهجوم وهذا التحطيم من صاحبة فن !! قد قيل ان الزوجات يفرن من الكتب والصور ويعتبرنها ضرائر .. وقد يكون شىء من هذا المعنى قد خالج نفس هذه الزوجة لكنه لا يمكن ان يصير بالفنانة الى هذه الشراسة الضاربة على الاعمال الفنية .. ومع هذه الغرابة ، ظلت المسألة بلا نهاية لقد افترقا ، ولم يكن موضع للذكريات الطويلة التى عرضها صاحب القصة بعد تصميم الزوج على الافتراق واختيار الصورة لا الزوجة . وقد كان يمكن ان تمر به خواطره قبل البت والاختيار .. وعلى كل فلم تنته المسألة لانهما فازا فى مسابقة وزارة الثقافة ، وبعثت له الزوجة السابقة الفائزة معه بالدرجة الثانية تهنئه تقول له : ستظل تذكر وفاء الى الابد .. فكيف يتجمد الموقف عند هذا وهى تثق انه سيذكرها الى الابد !! ليس تصرفها ضد الفنان وهى فنانة مفهوما . . ولا جحودها فى موقف الاختيار قريب الوقوع ولا موقفك منها وهى تثق بانه سيذكرها الى الابد موقف صحيح .. فليس فى القصة حب .. ولا فن .

* — ووصلت ((بكره تفرج)) والنظرة فيها خاطئة بادية الخطأ . ينجسم خطؤها فى خاتمتها بكره تفرج .. والنبى حتفرج ونبقى عال .. فما هذه الثقة بالفرج والحلف عليه الا امتداد لخطأ التقدير الذى يبرزه عرض شخصية المصور

اذ كان يعيش مع امه بنص فدان ، يلبس منه الكشمير ويمتاز عن ابناء القرية فى فرحهم ومرحهم .. وماتت أمـه فماذا جرى؟ لا نعرف .. الا انه اخذ يبيع نصف الفدان قيراطا فى قيراط وادهى ما فى الامر انه باع القيراط الاخير ليتزوج وتلد له زوجته محمد ، فأى سفه هذا بل انه خيبة ، وهل لمثل هذا ان يحلف لابنـه الصغير : انها والنبى حتفرج وتبقى عال .. ويقول له فى تفاهة : وحياة ابوك لازم اعلمك صنعة .. صنعة نضيفة تاكل منها عيش ، كأن الزراعة ليست صنعة نضيفة ولم يكن يعيش منها ويأكل فطيرا لاعيش فقط .. ليس للقطة معنى ، ولا هى مبعث تأثر شخصى ولا اجتماعى .. فاذا قدرت معى هلهلة عبارتها بين العامية والفصحى وان الفصحى لا يعوزها نصيبها من خطأ الاعراب والرسم ، وحدت الحصـيلة الاخيرة لا شىء — ولم تعتقد مع صاحبها انها حتفرج .. وقلت له : والنبى عـلى كده لا هى حتفرج .. ولا حتمشى .. وهذه كائنات لا تستحق الحيـاة ، ولايعرض فن للحديث عنها .. لان الحياة تبرأ من مثلها .

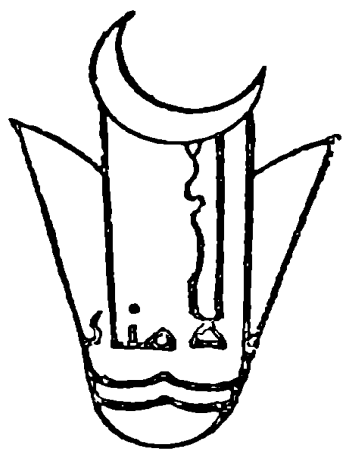

الأدب

فنية . شهرية

يصدرها في مستهل كل شتاء

الإدارة: مصر الجديدة : ميدان ٧ رقم ١٣

ت ٦١٧٥٠

***

الرسائل الفنية والمالية

ترسل باسم

أمين الخولي

رئيس التحرير

***

الرسائل الادارية

ترسل باسم

محمد جابر عبد العال

مدير الادارة

***

الاشتراك

عن سنة بالبريد العادي

الجمهورية العربية ٥٠ قرشا

الخارج ..... ٨٠ قرشا

أو ما يعادلها

ثمن العدد ٥ قروش

* * *

البريد الجوي

والمسجل بحسابه

تصدر في اليوم السابع من كل شهر

فهرس

العدد التاسع — فبراير ١٩٦٢

السنة السادسة

٥١٤ — هذه الاشتراكية عن الامناء

٥١٨ — الديباجة في الشعر العربي . محمد جابر الحسيني

٥٢١ — العائبة .. أصول مصرية في عقيدتهم محمد محمد الدش

٥٢٥ — من هدى القرآن في أموالهم .. الشيطان يعدكم الفقر

* * *

٥٢٩ — حلم لاجيء
شعر : اسماعيل عماره

٥٣٢ — حكاية لاجيء
شعر : على حسن العزب

٥٣٤ — أمل شعر : محمد انفاتح محمد

٥٣٥ — زهرات من الماضي
شعر : البيلي عبد الحميد حسن

٥٣٦ — مقتطفات من الادب اليوناني المعاصر شعر : نيقولائيدس

٥٣٧ — لو يرجع الموتى
ترجمة تنيم عطية
شعر : محمد رجب البيومي

٥٣٨ — السقوط قصة : باخن
ترجمة : احمد عبد العزيز الدق

٥٤٤ — الكادح الصغير
قصة : عبد الله خورشيد البرى

٥٤٦ — الشاي .. والسيجارة .. وفجر أخضر
قصة : محمد الخضرى عبد الحميد

٥٤٩ — جوركى .. الانسان
عبد العزيز عبد ربه

٥٥٠ — قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن أمين الخولى

٥٥٢ — ازهر .. او .. لا ازهر — ٢
أمين الخولى

٥٦٠ — اللص والكلاب — قصة : نجيب محفوظ نقد : ماهر شفيق فريد

٥٦٨ — بريد الادب : حرية الكاتب —

٥٦٨ — بين العاصمة والاقاليم — ٥٧٠ — الشعر — ٥٧١ — النثر — ٥٧٣

هذه الاشتراكية

نتيجة لمقدمات .. وتمديد لخطوات .. لها فى الغد جولات

.. وينظر اصحاب الفن والحياة ، فيما حولهم ، فاذا الدعوة الاشتراكية اليوم ، قد انطلقت ، باسمها وشعارها ، سافرة جاهرة ، داعية ماضية ، بل صادعة قارعة .. اطلقها الحاكم ، واعلنها ثورة .. واذا ما ثار الحاكم ، وحكمت الثورة ، فليس وراء ذلك لنشاط مذهب ، فما فوق ذلك قوة تدفع ، ولا أمام ذلك عقبة تمنع ، وليس الا الصدق والصبر .

ويسائل اصحاب الفن والحياة انفسهم : هل يقاس ذلك بما عرفت الدنيا فى مثل هذا الامر ، اذ لا يكون الا فى مدارج ، وعلى مراحل ، وامام مخاوف ومصاعب ، حين يكون اول ذلك **باليقظة** الخادرة .. ثم البمسة الفاترة .. ثم الدعوة الحاذرة ، تليها انجولة الحائرة ، تدفع الى **النهضة** الباصرة .. وتضيع المنافع ، وتشخص الموانع ، ويأزم الامر ، وتتواجه القوى ، فتكون الغضبة الفائرة ، **والوثبة** الثائرة .

ويجيب اصحاب الفن والحياة عن هذا التساؤل : **ما نعرف أن نهضة لم تسبقها يقظة ، ولا أن وثبة لم تبعثها نهضة** ، سنة الاجتماع التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الاجتماع تبديلا .. وان لم يبد ذلك لراى العين ، فليس سواه يقع فى حقيقة الامر ، وما يجرى شىء من شئون هذا الناس الا على قدر مقدور ، ونهج مرسوم ، وقانون محتكم .. وان لم تستبن النظرة القاصرة ، تلك العوامل الخافية ، أو نكرت انحتائق دعاوة مستهوية ، تطلق تفاسير واهية ، وتحتكم الى نظرات واهمة .

وانه ليطمئن بك البحث ، فيطمئن منك الراى ، الى ان اشتراكيتنا ليست الا ظاهرة لها تفسيرها ، ونتيجة لها مقدماتها ، وبقدر ما تكون طبيعية التطور تكون مرجوة الغد ، مأمونة المستقبل ، ماضية قدما ، محققة املا .. ظافرة التجربة ، مسددة الخطى ، منتفعة بخبرة التاريخ ، معتبرة بممارسة الامم حولها وقبلها .

* * *

ويفسر اصحاب الفن والحياة هذه الحقيقة القابلة للفهم ، بقريب من القـــول ، ومجمل من البيان ، فيبدو لهم أن حياتنا قد أمضت عقود سنين ، وأفنت عشرات أعوام موجبة النشاط ، مركزة الجهد ، مقصورة العمل على الميدان السياسى ، بأعم معانيه ، ولا سيما الهدف الخارجى منه ، فهو الذى يستهلك عناية المتصدرين فينا للقيادة ، والزعامة ، والدعاوة ، منذ أجيال .. ينصرفون عما عدا ذلك ، ويقولون فيما يبررون به صنيعهم : **انما نستخلص البيت أولا من غاصبيه ، لنفرغ بعد ذلك لاصلاحه وتدبيره .**

ويطول بهم العراك فى هذا السبيل ، ويتفنن العـــدو فى الالاعيب ، ويدبر الوان الاخاديع فيخدعون فيها أو يخادعون بها ، فاذا الشعب معهم ووراءهم ، مخدوع مثلهم حينا ، أو مخدوع بهم حينا ، اذ دعايتهم غامرة صاخبة ، تزيغ البصر ، وتفسد الحس ، وتثير الهوى ، وتتملق الشهوة ، وتحرف الفكرة ، وتخمد التأمل .. ولا كالصحافة فى هذا الشأن اثرا .. !!

وتمضى كل أخدوعة بزمان .. وتذهب كل أكذوبة بدهر .. حتى تنكشف وتعرف .. وتنفى أو تصحح .. والاخاديع مترادفة ، والاكاذيب متلاحقة ، والاعمار ضائعة .. والجوالون فى ميدان السياسة ، منذ القرن التاســـع عشر سواء وسواسية فى هـذا الانصراف اليها ، والصد عن غيرها ، مهما يكن حيـــويا ، ومهما يكن خطيرا ، واللاحق منهم لا يستفيد من تجربة السابق .. بل يعيدها من جديد ، يريد ليستخلص البيت اولا ، ثم يعمره ويصـــلحه .. وانت واجد أصحاب الدين ، من أولئـــك المسحرين بالسياسة ، وقد انصرفوا ذلك الانصراف ، واستهووا ذلك الاستهواء ، الذى ساووا به أهل الدنيـــا ..

هؤلاء أصحاب الوحدة الاسلامية مثلا ، قد حسبوا أنهم ينالون من السياسة منالا ، بالشعور الدينى ، والاصلاح الاسلامى ، والحماس الاعتقادى ، فأقبلوا على النشـــاط السياسى بهذه القوى ، ليصلحوا الاوضاع الحاكمة اولا ، فيجوز بعـــدها ان يصلحوا أوضاع الاجتماع والمحكومين ، فخاضوا فى أوحال السياسة ، ووردوا مواردها الفاتنة الفاجرة ، وبددوا فى ذلك قوى ، وأذبلوا زهرات أعمار .. ثم عادوا ليقـــول المصرى للافغانى ، ويقول عنهما لسان حالهما : لو آوينا الى صحراء ، يعلم كل منا تلميذا أو اثنين ، يعلمان سواهما لكان الامل فى الاصلاح بذلك أقرب وأكثر مما فعلنا .. ولو قد كانوا جاهدوا ليصلحوا المجتمع بالدين لاصلوا الاصـــلاح الدينى بأقوى مما أصلوا ، ولاجدوا على قومهم أضعاف ما ظنوا أن تجدى السياسة ..!!

* * *

واشتغل أصحاب الدنيا بالسياسة ، فمضوا على مثل هذه السنة ، وساروا فى الطريق نفسه ، وان عرجوا منه احيانا على بنيات .. مضوا يقدمون السياسة على كل شىء ، ويؤخرون كل شىء عن السياسة ، فاذا جهود جبارة تبذل ، وقوى مذخورة تبدد

واعمار رجال ، ونشاط فتات : تأكله السياسة .. وحينما جبههم الضعف الاجتماعى ، والجهل المظلم ، والخمول المفقر ، والمرض المهلك ، وجهوا شيئا من نشاطهم الى المجتمع وشئونه ؛ كما حاول مصطفى كامل ، أن يفعل شيئا فى التعليم مثلا ؛ وان كان شيئا أيسر بكثير ، بل أتفه مما ذهبت به السياسة من جهده وجهاده .. !

وقد فعلت شيئا فى ذلك ثورة ١٩١٩ ؛ حين وجهت قدرا من عناية ؛ الى الاقتصاد والصناعة ، بما يكون ذلك كله سلاحا للمقاطعة والمقاومة ، فكان من هذا الاتجاه شيء ؛ مع السياسة ؛ وقد شغلت السياسة عن بلوغ مدى فيه كبير ..!

وفى فشل السياسة المتتابع ؛ وخسائرها المترادفة ؛ وتمزيقها للشمل ، وتبديدها للقوى ؛ كانت اللوعة بتلك الخسائر تنادى : **أيها الشباب .. آمن بالوطن ، واكفر بالسياسة** (١) ؛ وترسم مناهج لشغل الشباب ببؤس أهله وضياعهم ؛ عن السياسة التى تضيع فيها ثروة من نشاطهم .. ولكن كانت أمثال تلك الصيحات لا يعيها الا أذن الزمن ، ولا يمسكها الا سجل التاريخ ؛ فلا ترى لها أثرا ظاهرا ؛ ولكنك تجدها أملا فى النفوس ناضرا ؛ وألما فى الجوانح قاهرا .. ولذلك أثره البعيد فى سير الحياة وان لم يكن له ذلك فى الظاهر القريب ! !

ونذكر بعد ذلك انه فى زحمة السياسة الخادعة المخدوعة ؛ قد ارتفعت الاشتراكية شعارا ؛ فى النداء ؛ وشارة فى الصحف ، وكلاما فى مقالاتها ؛ وان لم يبلغ ذلك مبلغ القدوة تقدم ؛ أو الخطة ترسم ، أو الامر يبرم .. وتلك الدعوة كانت .. ولا أشك كغيرها ؛ لا تعيها الا أذن الزمن ، ولا يمسكها الا سجل التاريخ .. فلا ترى لها أثرا ظاهرا ؛ ولكنك تجدها فى النفوس أملا ناضرا ، وفى الجوانح ألما قاهرا .. ولذلك أثره البعيد فى سير الحياة وان لم يكن له ذلك فى الظاهر القريب ! !

وبهذا الدفع الآمل ، ومع هذا الكبت المؤلم ؛ تمضى الاعوام ؛ وتتراكم الاهوال ؛ والواقع قاس ؛ والصبر ينفد ، والوقت لا ينتظر ؛ والواقع لا يعذر .. والدنيا من حولنا تدبر امرها ؛ والانسانية تحقق ذاتها ؛ والعوامل المادية تحدث اثرها .. والمتخلفون من الناس يزحفون الى الامام ؛ حتى ينتزعوا السلطان ؛ ويتولوا الامر .. وأصداء ذلك تتردد فى آفاقنا ؛ ودويه يملأ آذاننا ؛ واضواؤه تبهر ابصارنا ، ودعاوته تخلب ألبابنا .. ومع كل أولئك تتفتح الاذهان ؛ واليه تشرئب الاعناق .. وهكذا يمضى التطور فى طريقه على خطواته المعروفة ؛ **فتكون همسات ونفثات .. فدعوات ونشرات .. فتجمعات وتدبيرات .. فمحاولات ومصاولات .. فمقاومات ومواجهات .. فمصادمات وتضحيات** ! .

---

(١) هو عنوان كتب تحته رئيس تحرير « الادب » منذ نحو ربع قرن سلسلة من المقالات ، تقدم برنامج اصلاح اجتماعى للشباب . وتجسم الشقاء الاجتماعى والتبديد السياسى .. ونشرت تلك المقالات فى جريدة « البلاغ » .. وما هى الا بعض ما كان من النداءى بهذا الاصلاح ، مقاومة للاعداء الثلاثة : الفقر والجهل والمرض .

وتمر بكل أولئك حياتنا الاجتماعية .. وتنتهى منه الى اتجاهات مسرفة : واهداف منطرفة : لا بد لها من تعادل ، يسدد الخطى ، ويصون القوى ، ويكبح الهوى ..

وأحسب ان هذه الدعوة الاشتراكية التى انطلقت اليوم ، يكون بها التعادل ، وعندها التلاقى ، وفيها التسديد .. والصون .. والكبح .. وان لها فى ذلك لجولات فى النفد تقر الامر ، وتصحح الوضع ، وتنفى الخبث ، وتذهب الزبد : وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض .

* * *

هكذا يطمئن أصحاب الفن والحياة — فيما أومن به — الى ان هذه الاشتراكية لها فى امسنا ماض غير قصير ، وفى حاضرنا أمل متفائل .. كما لها فى غدنا دور كبير ، يبقى الاصلح ، ويحفظ لنا مكاننا بين الامم الجادة ..

عبد الرحمن الخميسى

فى

دار الأمناء

٥٨ شارع الجمهورية — تليفون ٤٨٠٦٩

الاجتماع الاسبوعى

الاحد الساعة السادسة

ندوات فنية أدبية

يلتقى فيها أصحاب الغد بتجارب الامس

متابعة لاداء الامانة الفنية الاجتماعية

الديباجة في الشعر العربي

بقلم : محمد جابر الحينى

منذ أن القيت محاضرتى العـــامة فى يناير سنة ١٩٥٩ عن هـذا الموضوع فى جامعة الرياض ، لم يتح لى ان أفكر فيه الا حينما بدا لى ان أنشر دراستى له . فأعدت النظر فيما قلت ، وتبين لى ان اعادة التفكير لم تثمر تغيـــيرا كبيرا فى آرائى ، كما أنها لم تضف اليها كثيرا .

والباحث حين ينظر الى هذا الموضوع يجدامامه الشعر العربى القديم دا مقدمة وموضوع على الاقل — اذا لم تكن للقصيدة خاتمة ، وهذه المقدمة — التى يتحنى بها الشعر ، أو التى يخلق بهـا الجو الفنى للموضوع — هى التى تسمى بالديباجة ، ويندر أن تجدشعرا عربيا من غير ديباجة الا فى الرثاء ، الذى فيه يهجم الشـاعر على موضوعه منذ البداية ، وهذا اللون من الشعر نخرجه عن دائرة هذا البحث لانه لا يعنينا من الشـــعر الا ما التزم الديباجة مذهبا فنيا ، وهو الشطرالاكبر من الشعر العربى القديم .

ونحن حين ننظر الى هذه الديبـاجة أو المقدمة منذ اقدم عصور الشعرالعربى نجدها تتميز بظاهرة أدبيـــة واحدة ، ونأخذنا العجب حينما نراها أمامنـــا واضحة متكررة منذ أن عرفت القصيدة العربية الى عصر قريب ، ويبـــدو لى واضحا جدا أن المذهب الذى اعتمـدت عليه الديباجة فى العصور الادبية يعـود الى العصر الجـاهلى ، ومعنى هـذا أن الديباجة — فى رايى — لم يصبها من التغيير الفنى نتيجة مذاهب فنية ابتكرت خلال العصور الادبية ، وانها ثمرة مذهب فنى جاهلى ، هو من القوة بحيث فرض نفسه منذ ابتكاره فى العصر الجاهلى .

ومؤرخو الادب حين يحظون مثل هذه الظاهرة الادبية فى الديباجة ، لا يقنعـون بالقول بأنه مذهب فنى وتقليد شـعرى التزمه الشـــعراء ، وجرى على هديه الشعر فى العصور المختلفة ، مؤثرا هذه القوالب التى وجد فيها الشعراء ما لاءم اذواقهم فنيا ، وما اتسق والذوق الادبى العام ، لا يقنع مؤرخو الادب بمثل هـذا القول لان واجبهم العلمى يفرض عليهم ويحتم بحث الاسباب والعـلل والدواعى التى جعلت هذا المذهب او ذاك اثيرا عند الشعراء ، ويوجب دراسة الاسباب التى اقامت هذا المذهب الادبى فى الديباجة فى الشعر الجاهلى ، والدواعى التى جعلت هذا الفن الادبى يفرض نفسه على الجو الادبى فى العصور التالية . وسأحاول فى هذه الدراسة أن اسهم بجهد فى اظهـار هذه الدواعى ، بكشف الاسـباب التى جعلت الجاهليين يذهبون هذا المذهب ، ودفعت الشعراء من بعدهم الى السـير وراءهم آخذين بمـذهبهم الفنى الذى ابتكروه ، ولم يحاولوا ان يغـيروه أو يستحدثوا مذهبا جديدا يعارضه ، أو نقوم على اساس فكرى أو فلسفى مباين

ونحن حين ننظـر الى الدواعى التى توحى بالمذاهب الادبية ، وننظر الى تاريخ الامة العربية نظرة شاملة ، نرى ربيعـة اعظم قبيلة فى الجاهلية ، تتزعم القبـائل فى سبيل ايجاد وحدة أو اتحاد ، تقاوم به طغيان اعداء العرب عليهم ، وتنجح فى ذلك

ويظهر فيها ابطال ينتزعون النصر من الاعداء ، ويظهر الشعر فى هذا الجو الذى يمتلىء بصيحات البطولة والفخر بالقوة ، بظهر الشعر ، او بتعبير ادق . . تظهر القصيدة العربية ، ثم تتخذ طابعها الذى نعرفه لها تظهر القصيدة على يد المهلهل اخى كليب زعيم العرب وبطلهم المشهور ، ظهرت القصيدة العربية ، وكان هذا الحدث الخطير — انتصار العرب الذى كان يؤذن بتغيير الامة العربية — من اكبر العوامل على ظهورها ، وانا حين اقول ان هذا الحدث الضخم — الذى جعل الامة العربية تحرك حوله الاساطير — عنصر هام فى ظهور القصيدة الجاهلية ، لا اعنى ان مظاهرها الفنية كانت اثرا من آثاره ، لان هذا المذهب الفنى كان ثمرة البيئة كما سنرى ، وانما اعنى ما يرويه الرواة من ان مهلهلا هو اول من هلهل الشعر وقصد القصيد . واذا اخذنا فى تقديرنا ان المذاهب الادبية انما تتكون نتيجة حدث علمى او فلسفى او ادبى ، يؤثر فى الجو الادبى تاثيرا يثمر مذهبا جديدا ، راينا ان الحياة الجاهلية لم يكن بها هذا الحدث الفكرى الذى يوحى بمذهب جديد ، وراينا ان البيئة هى التى الهمت وغذت الشعراء بالمذهب الادبى المبتغى ، رغم ان الامة العربية اتصلت بغيرها من الامم الاخرى ، ولكنه اتصال يتفق وطبيعة البدوى الذى يعيش حرا فى صحرائه ، ويتلاءم ومنهجه فى الحياة التى اختارها لنفسه ، وحرص عليها كل الحرص .

مضت حياة العرب فى الجاهلية تسير على النحو الذى الفته حتى جاء الاسلام ، وهو حدث خطير فى حياة هذه الامة العربية حدث غير من اساليب حياتها الاجتماعية وغير من اساليب تفكير العرب ونظرتهم نحو الحياة ، جاءهم القرآن العظيم ، فكان حدثا ادبيا امدهم بثروة فكرية ، واتاح لهم الوانا من فنون القول معجزة ؛ الوانا هزت مشاعرهم هزا عنيفا ، حتى روى ان عمر بن الخطاب اسلم لما سمع القرآن يتلى ، جاء القرآن بمذاهب فى القول والتصوير واختيار الالفاظ رأوها بحق معجزة ، ولكنا نلاحظ بالرغم من هذا ان المذهب الشعرى ظل محافظا على طابعه الفنى لم يتغير ، كانما مثل اعلى للشعر لا سبيل الى تغييره ، فما سبب هذا ؟

يبدو لى ان ذلك يرجع الى عدة امور ، منها ان الامة العربية امة محافظة تتمسك بقديمها وتعتز به ولا تغيره الا لضرورة قاهرة ، ولم تطرأ هذه الضرورة المنحة ، لانهم لم يروا فى فنهم الشعرى ما يتنافى وتعاليم القرآن ، ومنها انها صرفت عن تقليد القرآن فانصرفت عنه ، ولم تتأثر به من الناحية الفنية الا تأثرا سطحيا ، على نحو ما نلحظه فى شعر كعب بن زهير فى قصيدة البردة ، وهذا التأثر السطحى اوضح ما يكون فى شعر جرير ، ومنها ان الامة العربية سيقت صفوفا آحادا وقبائل جيوشا تحمل السيوف لنشر الاسلام : فلم تكن هناك فرصة تجعل هذا الجدل الادبى الذى صاحب ظهور القرآن يمضى الى غايته ، ولم تكن هناك فرصة تعيش فيها احساسات الشعراء فى تجارب السلب والايجاب ، لانهم جميعا وجهوا الى اتجاه فكرى واحد ، ومنها ان العرب حين خرجوا من جزيرتهم الى الامصار جعلتهم العصبية القبلية يستمسكون بماضيهم فى الجزيرة ، وجعلهم السلطان الذى ظفروا به يصيبهم من الغرور ما يجعلهم يعتقدون انهم خير الامم جميعا كما يصور ذلك الجاحظ فى رسائله ، هذا الغرور اثار طبيعتهم فى الفخر بالآباء والاجداد وتراثهم القبيلة ، فأحيوا الشعر القديم وتداولته الالسن ، ورأوا فى ينابيعه ريا لغرورهم ، واستجابة لما جبلوا عليه من حب للفخر ، كل هذه العوامل وغيرها صرفت — او بمعنى ادق خففت — من تأثير القرآن فنيا ، وهو الحدث الادبى الذى لانظير له فى تاريخ الامم والشعوب . والذى كان خليقا بايجاد مذهب فنى

جديد ، ولكن الاذهان انصرفت عن استحداث مذهب جديد .

انتقل العرب الى الامصار وظل القرن الاول الهجرى يشهد انتشارهم فى الارض وسيوفهم تلمع فى الآفاق وتبرق بالموت . ولم يكن هناك من الاستقرار الذى يؤذن بايجاد فلسفة للحياة العربية ؛ الا فى القرن الثانى فى عصر الدولة العباسية ؛ لم تكد الحياة تستقر حتى استعاد العرب مثلهم العليا فى حياة الجزيرة من عصبية وغيرها وذلك نتيجة حياتهم فى جو يزخر بالموالى وبأعاجم دخلوا الحياة الاسلامية واصبح لسانهم اللغة العربية . وحثوا مطيهم فى سبيلها حثا جعلهم الاغلبية المتعلمة ؛ وجعلهم رجال القلم والثقافة ، وكان ان انتقلت بهم الى الحياة الاسلامية ثقافات هندية وفارسية ويونانية ، فكان من المأمول أن تتجدد الحياة الادبية وتبتكر لها المذاهب الفنية ؛ ولكن مثل هذا الطموح لو حدث كان يصطدم بمحافظة رجال الحكم ، الذين كانوا محافظين او بمعنى ادق كانوا متمسكين بمثل العرب القديمة فى البيان ، ويتنافى ايضا وما كان يبدو من الشعراء — وجلهم موالى — من رغبة فى تملق رجال الحكم ، الذين كانوا يغدقون عليهم الاموال ، ليعيشوا حياة لائقة أو تتفق وما يطمحون اليه ، ومن ثم كان التجديد سطحيا لا جذريا كما يقال ، كان التجديد يأتى بصورة لا تدل على أنه قائم على نظرة فكرية أو فلسفية فنية ؛ اتجه التجديد الى الشكل دون الجوهر ؛ وكانت هذه الروح المقاومة — المحافظة على الطابع القديم للشاعر العربى — مسئولة الى حد بعيد عن قتل روح التجديد الجذرى ؛ ولقد ساعد على ظهور هذه الروح تلك الحركة السياسية التى عرفت بالشعوبية ، ذلك لانها كانت مسئولة عن مقاومة كل ما يمس قديم العرب بالتغيير

انتهت فترة العصر الذهبى للحكم العربى والفترة التى تلته وروح المحافظة قوية سائدة ؛ وظل الامر كذلك حتى اخذت الامة الاسلامية فى الانحطاط السياسى ؛ انحطاط تلاه شيوع الامية نتيجة عوامل سياسية وحربية ارهقت الدولة وأطاحت بنفوذها آخر الامر ؛ وعلى ذلك فقد انقضى الزمن الذى فيه يتجدد الادب والشعر ؛ وصار كل هم الشاعر أن يقلد فيفلح تارة ويخفق احيانا كثيرة ؛ ومن الواضح أن مثل هذه الفترة المظلمة لا يرجى ظهور مواهب أو مذاهب فنية .

والخلاصة أن الحياة الادبية اتيح لها ان تجدد مذاهبها فى فترات من حياتها ؛ ولكنها لم تستفد منها ؛ وحين اتيحت لها الفرصة وتهيأت وقفت المحافظة حائلا دون ظهور مذاهب أدبية جديدة ، ولعل أوضح ما يبين نظرة هذا العصر واعجابه بالشعر الجاهلى ومذهبه الفنى اتخاذه وسيلة لبيان ما فى الصور القرآنية من اعجاز ؛ هذه الروح — روح المحافظة والعصب — حالت دون ظهور مذاهب ادبية جديدة بالمعنى الذى نعرفه للمذهب فى الآداب الاوروبية ، ثم حين رانت الامية وغلبت ظهر الجمود حتى جاء العصر الحديث ، فخلص الادب — شعره ونثره — من قيود عهود الظلام .

ومن هذا يتبين ان الشعر العربى حافظ على مذهبه الفنى الذى ابتكره الجاهليون ، حافظ عليه فى الديباجة بخاصة لانها الجزء الفنى فى القصيدة الذى يبين مدى تأثرها بالروح العربية القديمة ، التى كانت تصور شعور الشاعر نحو العرب ، ونحن حين نستعرض الشعر الجاهلى نراه يبدأ بالوقوف بالاطلال أو بالحديث عن الخمر ، ونرى أن هذين مذهبان جاهليان ، وان الوقوف بالاطلال كان الاشهر والشائع ، لانه تلاءم وذوق العربى ، واتسق وطبيعة الحياة فى الجزيرة العربية ، عند الصغير والكبير والغنى والفقير .

(البقية أسفل الصفحة التالية)

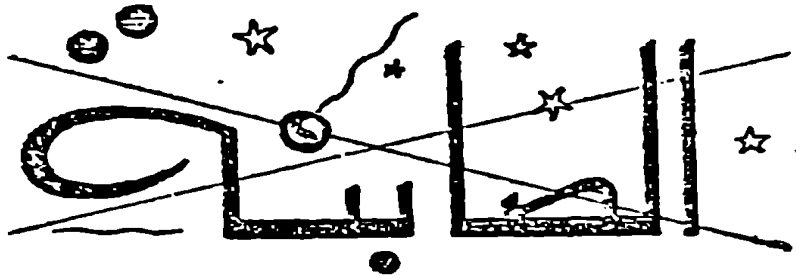

أصول مصرية فى عقيدتهم

يعتبر الصابئة من اقدم الطوائف التى احتفلت كتب الاديان والتاريخ بالحديث عنهم ؛ وتشعب فيهم الحديث واختلط ؛ ودهبت الآراء فى عقيدتهم مذاهب شتى ؛ واختلفت بالمؤرخين لهم ؛ والمصنفين عند ذكرهم السبل والانحاء . وعقدة الصابئة بذاتها عامل من أهم العوامل التى دفعت الى هذا الاختلاف وذلك الاختلاط ؛ لما تحويه من شعائر طقوس غير واضحة المعالم والسمات ؛ ولما خالطها من عقائد اخرى ؛ وما صادفها من آراء وفلسفات امتزجت بها وصارت عنصرا من عناصرها ولما تفرع عنها من فرق وطوائف ؛ أضف الى ذلك كله عامل التقدم ؛ والعامل الزمنى الذى يدفع فى أغلب الاعم الى الاختلاف والاختلاط فى التاريخ والتفسير

ونحن فى هذا المجال نستطيع أن نبدأ بالتفسير اللغوى لكلمة « صبا » التى يدل التطور المدلولى لها على ان معناها كان فى اول أمره يتصل بصبوء النجم وخروجه . بما يشير الى القوة التى تربط بين هذا المعنى وبين عقيدة الصابئة التى تعظم النجوم وتقدسها ، وتنسب اليها ارادات فعالة تسيطر على الكون وتديره .

وكثير من النصوص يذهب صراحة الى ان هذه العقيدة ، بل هذا الدين ، أقدم الاديان على وجه الدهر والغالب على الامم القديمة ، التى كانت تقدس الاجرام السماوية وتعظمها . . فالهنود كانوا صابئة ؛ وكذلك كان الفرس والكلدانيون ويذهب الدمشقى فى نخبة الدهر الى ان هذا الدين انتقل عن طريق هؤلاء الكلدانيين الى اليونانيين والمصريين والعرب .

ويعود الصابئة بدينهم الى اغوار بعيدة فى التاريخ ، فينسبونه الى شيث بن آدم وحفيده ادريس الذى يسمونه «هرمس» وابنه صابى . وتعددت بعد ذلك الاقوال واختلفت الاخبار بالنسبة لانتسابهم بدينهم الى نفر من الانبياء ، مثل نوح وابراهيم وسليمان ويحيى وعيسى عليهم السلام ، وتضاربت اخبار اخرى فى اخراجهم من الاديان وابعادهم عن الانبياء وهذا مما يجعلنا نخرج من هذه السبل المتشابكة بنتيجة واضحة ، هى أننا نشك كثيرا فى انتساب هؤلاء القوم الى دين من الاديان التى جاء بها المرسلون ، لسبب

والناظر الى الذبيحة والى اطراد المذهب الفنى فيها لا بد وان يفترض بأن قوة غلابة سيطرت على نفس الشاعر ، سيطرة جعلت احساسات الشاعر تعيش تحت سلطانها ، وأن هذه الاحساسات نشأت من صلات وجدانية بين هذه الصور المادية التى يذكرها الشعراء وبين نفوسهم ونحن نستطيع أن نتبين مدى هذه الاحساسات من قراءتنا للشعر الجاهلى ، فنراه يملأ نفوسنا ويجعلنا نعطف على الشعراء وعلى ميولهم ، ونحس فيه الساطة والجمال ، ومن هنا يرى الباحث أنه لا يمكن ان يكون هذا المذهب الفنى القديم قد جاء عفوا او خبط عشواء بل هو ثمرة تجربة واحساس بالجمال وشغف تنقلب جعله يوتر وينظم ويودع درجات من الحرارة متفاوتة تحسها فى الذبيحة . وانها تصور مقدار تعلق الشاعر وايمانه بهذه الصور المادية التى يذكرها فى شعره ، تلك الصور التى جاء بها احساسه الفنى فى خلق تصويرى مبدع .

لقد طال الحديث فالى لقاء فى العدد القادم . . .

بسيط ، هو انه لم يثبت لهم هذا تصورة قطعة أو قوية ؛ كما نرجح انهم جمعوا بعض الاحكام وبعض ما تأمر به الاديان من فضائل فتعارفوا عليها ، وسجلوها فى كتبهم ؛ ثم مزجوا ذلك بمسائل عقيمة فلسفية .

واذا وقفنا عند ذكر الصابئة فى القرآن الكريم ، حيث ذكروا مرتين مع اليهود والنصارى ؛ ومرة ثالثة مع هؤلاء ومع المجوس ، نجد أن القرآن لا يفضل بينهم جميعا فى الذكر ، ونذهب مع ابن جرير الى أن الله سبحانه وتعالى لا يختص منهم فريقا دون فريق بالاجر على العمل الصالح مع الايمان .

والمتتبع لاخبار الصابئة فى كتب التاريخ والملل والنحل يجد انهم لم يكونوا طائفة واحدة ، يجمعهم مذهب واحد ، ويؤلف بينهم تعاليم وشعائر معينة ، وانما كانوا فرقا متعددة وطوائف مختلفة .. ولعلهم كانوا فى اول امرهم فرقة واحدة ، ثم تعددت المذاهب وتشعبت ، فصاروا فرقا عدة ، اشهرها جميعا واكبرها اثرا فى تاريخ الفكر العربى « صابئة حران » .

وحران ، موطنهم ؛ هى المدينة الواقعة فى شمالى الجزيرة ؛ قرب منابع نهر البليخ رافد الفرات ، بين الرها وراس العين ، وهى مدينة قديمة جدا ، يقال انها أول مدينة بنيت بعد الطوفان ، وسكنها الصابئة ، وكان اهلها يتكلمون السريانية . اما ديانتهم فكانت فى جوهرها أصيلة فى هذا الموطن ، واشتهرت حران بالذات بانها مقر لعبادة اله القمر « سن » وظلت كذلك حتى بعد ان انهارت دولة الكلدانيين ودولة الفرس ، ومعنى هذا انه كانت فى هذه المنطقة توجه عناية خاصة الى النظر فى السماء واهتمام بالغ بالتأمل فى الكواكب والنجوم ، مما جعلها تحتل من تفكيرهم وشعورهم مكان التعظيم وتنزل من نفوسهم منزل التقديس .

بيد ان ديانة الحرانيين القديمة التى تقوم اساسا على تقديس النجوم تعرضت لكثير من التحوير بعد اتصالهم باليونانيين واخذهم عنهم الفلسفة التى مزجوها بدينهم ، وهو اتصال وثيق قديم يدل عليه ان هذه الناحية من ارض الجزيرة كان يستقر فيها عدد كبير من المقدونيين ، وبلغ الامر ان اطلق عليها فى ايام الاسكندر اسم مقدونيا

كما اطلقت على الآلهة التى كانت تعبد فى حران اسماء يونانية .

وحوالى مستهل العصر المسيحى كان السوريون من سكان شمالى ارض الجزيرة قد اختلطوا اختلاطا كبيرا بالمقدونيين واليونانيين ، كما اختلطوا بالارمن والعرب وكانت حران من الثغور ، ولذلك عاملها الاباطرة الاولون معاملة سمحة كريمة ، ولم تبذل الجهود لقضاء على الدين الذى كانت حران قبلته الا بعد ان اصبحت النصرانية دين الدولة ؛ وان لم يبلغوا من هذه الجهود غايتها ومع ان الاساقفة كانوا يقيمون فى حران فانها ظلت مقرا للوثنية بعد ان دخلت فى حكم الخلافة الاسلامية ايام عمر بن الخطاب .

ويصف المقدسى حران حوالى اواخر القرن الرابع الهجرى بانها مدينة جميلة تحميها قلعة مبنية من الحجر المنحوت ، وكانت تعترف بسلطان صلاح الدين عندما زارها ابن جبير فى القرن الثامن الهجرى ، وقد عرف عن اهلها الاشتهار باكرام الغريب ، ولكنها فى هذا القرن نفسه بدت وقد ذهب ريحها ، ولم يبق الا ما يشير الى موقعها من اكواخ بنيت على شكل اقماع السكر واطلال مبان قديمة كانت مشيدة من البازلت ، مع ان شهرتها ستظل قائمة على هذه الشجرة العريقة من الفلاسفة والعلماء الذين ازهروا فيها واشهرهم ثابت بن قرة واولاده ، واولاد اولاده ، والبتانى .

ونستطيع ان نقول فى غير شك ان ديانة الصابئة داخلتها ـ الى جانب العناصر اليونانية ـ عناصر مصرية قديمة انتقلت اليهم اما عن طريق اليونانيين او عن طريق المصريين مباشرة ، فصورة « هرمس » وهو ادريس النبى ، الذى يقول الصابئة انه لقنهم المعرفة ، وانه أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم ، وانه ولد بمصر ، تكاد تنطبق تماما على صورة « هرمو بوليس » فى متون الاهرام

والذى مثله اليونان بمعبودهم «هرميس» وليس من فرق بين الصورتين الا انه عند الصابئة نبى ، وعند المصريين اله

ومن المعروف ان المصريين كانوا أسبق من اليونانيين فى الاهتمام بامور الاجرام السماوية والتفكير فى شئونها ، ومن المعروف أيضا ان فيثاغورس الفيلسوف اليونانى ، المتوفى سنة ٥٠٠ قبل الميلاد ، اخذ بعض علمه من مصر وتوسع فيما اخذه من علم النجوم وتبعه فى ذلك تيرون وكانت قد دخلت من قبل صنوف العبادات المصرية فى اليونان فى القرن الثالث قبل الميلاد ، والمصرى كان يقول ان بداية الخلق هى السماء ، وما كانت الاجرام السماوية العجيبة ، فى اعتقاده مجرد اجرام ، بل كانت هى الصور الخارجية لارواح عظيمة لآلهة ذوات ارادات — لم تكن متفقة على الدوام — توجه حركاتها المختلفة المعقدة وهى فكرة مبهمة تكاد تتفق تماما مع قول الصابئة بأن النجوم تسيطر على هذا الكون وتدبره .

فاذا أضفنا الى هذا كله ما يروى من ان الصابئة يعظمون اهرام مصر ، ويزعمون ان احدها قبر شيث بن آدم ، والآخر قبر صابى بن ادريس ، امكننا ان ندرك مدى العلاقة التى تربط بين ديانة قدماء المصريين وبين ديانة الصابئة ، وأن ندرك ان كثيرا من معالم عقيدة المصريين انتقل الى عقيدة الصابئة .

فصورة هرمس ، وهو عند المصريين اله القمر ، الذى حدد فصول السنة ، ووضع نظام الطبيعية ، وخلق الكتابة واللغة ، وخلق المواقيت والمقاييس ، وهو اله العلم والعرفان — انتقلت الى اليونان ثم الى الصابئة ، حيث ظهرت بهذا الاسم فى صورة النبى او المعلم الذى اخذوا عنه المعرفة ، وتلقوا عنه دينهم ، وكان أول من استخرج الحكمة وعالم النجوم ، وافهمه الله عز وجل اسرار الفلك وتركيبه ، ونقط اجتماع الكواكب فيه ، وافهمه عدد السنين والحساب ، وكان مولده بمصر ، وقبره فى احد الاهرام الثلاثة التى رأينا انهم يعظمونها .

وهذا يعنى ان الصابئة الحرانيين ظلوا قرونا طويلة تابتين على عقيدتهم ، لا يحاولون الحيدة عنها ، سواء فى ظل الحكم المسيحى او الحكم الاسلامى ، بحيث استمروا يدرسون الفلسفة ، بعناصرها اليونانية والمصرية ، ويأخذون ما يتلاءم منها مع عقيدتهم ويوائم تفكيرهم وعقليتهم المهتمة بالابحاث الرياضية والفلكية .

وهنا نستطيع أن نقول — فى غير شك — ان عقيدة الصابئة تحورت وتغيرت عما كانت عليه قبل اتصالهم باليونانيين واخذهم عنهم الفلسفة والابحاث الخاصة بالنجوم والرياضة ، وان كان من غير المستطاع الوقوف على اصل عقيدتهم بدقة وتفصيل قبل هذا الاتصال ، كما انه من المتعذر ان نعرف هل كان « هرمس » فى اعتقادهم — قبل تفلسف دينهم — نبيا ، فيثبت لهم انهم اهل كتاب كالمجوس وغيرهم ، او كان عندهم الها فتثبت وثنيتهم على النحو الذى كانت عليه ديانة قدماء المصريين فى اغلب عهودها .

ومهما يكن شأن الصورة التى يتخذها « هرمس » عند المصريين أو عند الصابئين فان الذى وصل الينا يؤكد ان الصابئة يقولون ان هرمس هو ادريس النبى ، وانه تلقى علومه عن شيث بن آدم ، وبذلك يعودون بدينهم الى زمان قصى فى التاريخ ، واوان يبلغ بداية خلق الانسان ووجوده على ظهر البسيطة .

وهم عند ما يقولون بادريس نبيا ، يقولون بانه خالق للعالم ، هو رب الارباب واله الآلهة ، صانع ، فاطر ، حكيم ، مقدس ، يجب معرفة العجز عن الوصول الى جلاله ، وانما يتقرب اليه بالوسطاء المقربين لديه ، وهم الروحانيون المطهرون المبراون عن القوى الجسدية ، المتزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانية ، ويعنون الملائكة . وهؤلاء الوسطاء لهم هياكل هى الكواكب السيارة . ولما كانت الكواكب تختفى بالنهار فقد اتخذوا هياكل على صورتها على الارض يؤدون فيها شعائرهم ، ويتوسلون فيها الى

الكواكب التي يعتبرونها أبدانا للملائكة وهياكل لهم .

هذه الهياكل — في عقيدة بعضهم — مدبرة لهذا العالم وما فيه من خير وشر ، وصحة ومرض ، وهي تعبد الله ، ولذا وجب تعظيمها ، وهذا المذهب هو المنسوب الى الذين جاءهم ابراهيم عليه السلام رادا عليهم وهاديا لهم .

ثم ذهبت طائفة منهم الى ان الروحانيات الذين هم الملائكة الوسائط لا نراها ولا نواجهها ولا تستحق التقرب اليها الا بهياكلها التي هي الكواكب ، كما أن الهياكل قد ترى في وقت ولا ترى في وقت آخر ، لان لها طلوعا وافولا ، وظهروا بانها خفاء بالنهار ، فلم يصف لنا التقرب والتوجه اليها ، بل لابد من صور واشخاص موجودة منصوبة نصبا عيانا ، نعبدها ونتقرب بها ، ونتوسل الى الهياكل بها ، لتقربنا الى الروحانيات فيقربونا الى الله فاتخذوا اصناما ، وزعموا أنها على أشكال الهياكل السبعة .

قيل : والطائفة الاولى من الصابئة هم عبدة الكواكب ، والطائفة الثانية هم عبدة الاصنام ، لانهم اتخذوا الاصنام وسيلة الى التقرب الى الكواكب لتقربهم الى الملائكة فيقربونهم الى الله تعالى .

وعلى هذا النحو اختلفت صور الهياكل التي صنعوها واتخذوها تبعا لاختلاف تصوراتهم للهياكل العلوية ، وكانت ذات امر عجيب ، ولهم فيها حيل غريبة وتعميمات والاعيب . واغرب من هذا افكارهم المتعلقة بها ، ومن ذلك زعمهم أن البيت الحرام هيكل زحل ، وأن ادريس نص عليه واوصى بالحج اليه ، ولهذا طال بقاؤه على مر الدهور . وقد افرد فصلا خاصا لوصف هياكلهم في كتابه « نخبة الدهر » ، يقول : « ولهم في الهياكل تسبيح وتقديس مخلوط بشرك ، وذلك في ايام اعيادهم المخصوصة بهم » .

وقد اورد المسعودي وصفا لاحد هياكلهم في مدينة حران ، وهو هيكل آزار ابي ابراهيم عليه السلام عندهم ، فروى انه بيت تحته سراديب اربعة متخذة لانواع صور الاصنام التي جعلت مثالا للاجسام السماوية ، وما ارتفع من ذلك من الاشخاص العلوية واسرار هذه الاصنام وكيفية ايرادهم لاطفالهم الى هذه السراديب ، وعرضهم لهم على هذه الاصنام ، وما يحدث ذلك في الوان صبيانهم من الاستحالة الى الصفرة وغيرها ، لما يسمعون ظهور انواع الاصوات وفنون النغمات في تلك الاصوات من الاصنام والاشخاص ، بحيل قد اتخذت ، ومنافيخ قد عملت ، تقف السدنة من وراء جدر ، فتتكلم بانواع من الكلام ، فتجري الاصوات في تلك المنافيخ والمخاريق والمنافذ الى تلك الصور المجوفة والاصنام المشخصة ، فيظهر منها نطق على حسب ما قد عمل في قديم الزمان ، فيصطادون بها العقول ، وتسترق بها الرقاب ، ويقام بها الملك والممالك .

ولهم بعد ذلك كله صلاة من اركانها النية والظهور وعدم مخاطبتها بشيء من غيرها ، ولهم الصلاة على الميت ، ولهم صيام لثلاثين يوما غير متوالية ، موزعة على شهور السنة في أيام معلومة عندهم ، ولهم تحريم لبعض المأكولات على انفسهم كما أن لهم صحائف يذكرون فيها محاسن الاخلاق وتأمر بها ، وتذكر الرذائل وتأمر باجتنابها .

على أنه لا ينبغي ان نختم هذا الحديث عن الصابئة قبل أن نذكر أن الحرانيين منهم شاركوا في الفكر الانساني مشاركة فعالة في جوانب شتى من العلوم ، كالفلك والرياضة والفلسفة والطب والتاريخ والادب ، وشاركوا خاصة في الفكر العربي بما قدموا اليه من تواليف ، وما ترجموا عن اليونانية والسريانية ، كما أثروا بفلسفتهم في بعض الفرق الاسلامية كالشيعة والمعتزلة واخوان الصفا ، وبعض الفلاسفة مثل الكندي والرازي وابن الطيب السرخسي .

وبذلك نفسر بالصابئة مثلا رائعا من امثلة تزاوج الافكار وتلاقح العقائد والفلسفات في العالم القديم بين الغرب والسريان والمصريين واليونانيين .

دكتور محمد محمد الدش

من هدى القرآن ...
فى أموالهم

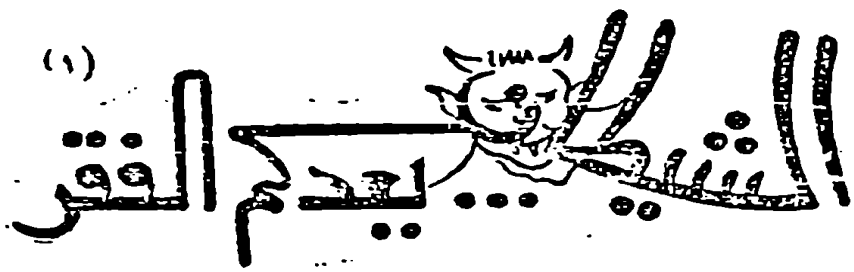

التشريع ... يعدم الفقر (١)

— ١ —

« واعلموا أن الله غنى حميد » ..

نذكر دائما ما تهدف اليه هذه الاحاديث ، منذ عهد غير قريب ، من التماس هدى القرآن ، فى مشكلة المال ، من كبريات مشكلة الاجتماع ، بل كبراهن .. فالمال وحظوظ الناس منه ، وتقسيمه اياهم الى اغنياء وفقراء ، هو المحور الذى يدور عليه التدبير الاجتماعى ، والتفكير الاجتماعى ، وتنشأ عنه المذاهب المختلفة والمبادىء المتصارعة ، التى تتوزع الدول ، وتتقسم الامم ، وتخطط المعسكرات ، وتثير الحروب ، وتدير المعارك .. ويحسب بعض هذه المبادىء هداما فيحارب ، وضالا فيقاوم ، وبعضها صالحا فيدعى له ، ويعمل على نشره .. وفى هذا الحسبان تتسع هوة الخلاف ، منذ عهد آدم بالارض الى الآن ، والى الغد البعيد الذى يظل للآدمية فيه بالحياة عهد ، وعلى هذه الارض مقام .

ولطالما سمعنا ونسمع ذكر المبادىء الهدامة ومقاومتها ، والتشريع لذلك ، والتدبير له ، والجد فيه .. ولعلنا نستمع عن ذلك ، قدر ما سمعنا ذكر الاعداء الثلاثة : الفقر ، والمرض والجهل ، ومقاومة هؤلاء الاعداء ، والتشريع لذلك ، والتدبير له ، والجد فيه .. أيضا .. أجل طالما سمعتم عن هذه المبادىء وتفكيرها فى مشكلة المال ، وألمها من الفقر وحال الفقراء ، وطالما سمعتم عن أولئك الاعداء الثلاثة ، وبشاعة فتكها بالفقراء . . لكنكم — مع ذلك كله — كنتم — ولا تزالون — تسمعون فيما حولكم ايضا ، أصواتا اخرى ، بأنغام والحان اخرى ، منافرة فى نشاز للانغام والالحان التى تردد عن الفقر والبؤس ، وآلام الفقراء البائسين .. وتلك الانغام والالحان هى التى تذكر الفقر ، فتنتسب اليه ، وتأخذ منه وضعيا الذى به تعرف ، وتشيد بشأن الفقر والفقراء وتعتز بصفتهم ، واولئك هم أرباب الطرق الصوفية ، وكلنا يعرف من وجودهم

---

(١) ترددت اليوم دعاوى مشوهة للفكرة الاسلامية فى المال ، وكانت هى نفسها التى ترد حين اذيع هذا الحديث من : هدى القرآن فى اموالهم ، فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٥٠ ، فبدا ان متابعة نشر بعض فصول هذا الكتاب مما تتطلبه الحياة الاجتماعية .

وشأنهم . والاعتراف بهم وبصفتهم رسميا ... نعرف .. وهم يختارون لانفسهم اسم « الفقراء » والفقير منهم رجل قد سلك فى الحياة سبيلا ، لها نظمها ، واصولها ، ولها هيئاتها ، وجماعاتها ، كما لها شاراتها ، ونشاطها ، ومنزلتها .. و ولاد الفقراء بهذا المعنى المعروف بين شتيم ، غير اولاد الفقراء فى المسرحية والعنوان التمثيلى المشهور .

بل قد ترك هؤلاء الفقراء الصوفية ، فى الحياة اليومية ، ونفتها آثارا وتعابير .. فما لا تلتزم فيه الشكليات المظهرية ، ولا تجرى فيه الامور ، على مراتب الناس وطبقاتهم المختلفة ، بل تتبع فيه البساطة والتساهل ، بلاتمايز ولاتفضل يسمى عمل فقرا .. وما منا الا من أظن انه قد سمع غير مرة مثل قولهم . خليها قهوة فقرا . .وقولهم : « خلى البساط احمدى » اى دع الامور تجرى فى غير ترتيب وتمييز ، وتشدد فى التفريق .. وبلا امتياز ولا تفضيل لاحد على احد .

هناك اذن فقران : فقر يتسم به ناس ويفخر به هؤلاء الناس .. وفقر هو عدو بغيض محارب .. فما الفقر المفسد للمجتمع ؟ المخرب لحياته ؟.. وما الفقر الآخر المتمثل به ، والذى لا يكرهه اصحابه ؟

* * *

وقبل محاولة الاجابة عن ذلك نشعر ان الامر لم يقف فى هذا الاختلاف عند انبعاث الانغام المتنافرة ، من ارجاء متباعدة ، وتردد الاصداء المختلفة ، من آفاق متعددة ، بل اختلطت تلك الانغام ، وتلاقت تلك الاصداء فى أفق واحد ، ومجال واحد .. وذلك عند الحديث عن الاعداء الثلاثة ، المعروف امرها ، والمرغوب فى حربها ، نجد فى الصحف السيارة اليومية ، الى جانب الدعوة الى هذه الحرب ، والتنفير من اولئك الاعداء ، انهارا فى تلك الصحف تفيض بالحديث عن ان الفقر نعمة ، وتشيد بمنزلة الفقراء وتحسدهم أو تغبطهم ، على مكانتهم فى الجنة ، وترى انهم قد ظفروا من فقرهم النعيس ، بخير وفير ، وحظ كبير ، مالهم بعده الا الرضا فى الدنيا والاطمئنان فى الحياة ، فتعجب اذ ترى هذا بين اعمدة الصحف ، والى جانبه عبارات خلابة منحمسة ، تسهب فى الحديث عن أن الفقر هو اصل الادواء جميعا ، وسر التأخر كله ، ومصدر المصائب كافة .. وينتقل القراء بين هذه وتلك ، كما ينتقل السائر فى العاصمة بين احيائها المختلفة وبيئاتها المتنافرة ، فيرى العجب العاجب من ذلك التنافر فيسمع عن الفقر فى المسرح الموجع المؤلم على امتار من المسرح يسمع عن الفقر فى المعبد نقيض الذى سمع فى المسرح ، وما يزال يجد ظواهر هذا التنافر مكرره منتشرة ، فيتحدث اليه المتحدث فى مجلس عن آداب الفقراء ، وفضل الفقراء وتقدم اليه فى ذلك كتب ، كما انه يحاضر الى جانب ذلك عن آلام الفقراء ومصائب الفقراء ، وجنايات الفقر .. فاذا الفقر يسعد به الناس .. واذ الفقر تبتئس به الامم .. ومجتمعنا فى أمر مزيج ، وموقف مختلط متضارب .. فما هذا الفقر المشقى .. وما زال الفقر المسعد ؟

ولو تركنا الحياة العملية وضجيجها ، وجاوزنا البيئات واختلافها ونسينا الصحف اليومية ودعاتها ، وسكنا فى دعة هادئة ، الى اصحاب الاقلام الرفيعة من قادة الفكر فى كتبهم التى يؤلفونها عن روية وتقدير وبحث ، يدعون فيها الى الخير ويبحثون عن الحق ، ويتطلعون الى الجمال فعند هؤلاء نفتح بعض كتب الادب فاذا بنا نقرا فيه :

ان الفقر فى اللغة الضعف ، وان الفقر كالضعف وزنا ونطقا فهو الفقر — بالفتح — والفقر — بالضم — كالضعف والضعف بهما » .

« واصل الفقر لغة من كسر فقار الظهر ، وعقد سلسته ، فيقال : رجل

فقير ، اذا كان مكسور فقار الظهر » . فالفقر ضعف بسبب قلة المال ، وكانما المال هو العمود الفقرى للحياة ، وقد كسر فى من اعوزه ذلك المال ، اذ انكسرت فقار ظهر حياته فسمى فقيرا ، كماسمى مكسور فقار الظهر الحسى فعلا فقيرا .

وانك لتشفق بلا شك حين تقرأ هذا من بيان اللغة لاصل معنى الفقير . . . فاذا ما تركناكتاب الادب النقولى الى كتاب الادب العملى ، كتاب السلوك فانا نقرأ فيه : « خير الامة فقراؤها ، واسرعها تفجعا فى الجنة ضعفاؤها .. والفقر زين بالمؤمن ، من العذراء الحسن على خد الفرس ، وتحفة المؤمن فى الدنيا الفقر ، الى فصول فى مزايا الفقر ، بل فى فضله على الغنى فعلا ، تحفل بها كتب الصوفية المختلفة فى عصور متعددة .

وهكذا تبدو المسألة مختلطة مختلفة منذ قديم الزمان ، لا فى هذه الايام فقط فى الحياة وواقعاتها اصل لما فى الكتب والمؤلفات ، وما فى الكتب والمدونات مصدر لما فى الصحف اليوم والنشرات والدعايات بدل كله على تشابك عوامل متداخلة ، وتصادم نزعات متخالفة ، وتضارب آراء متجاربة ، تبعثها مسالك متغايرة ودعايات متنافرة وكل اولئك هو اصل المشكلة فى حياة الافراد والجماعات ، وانها لمشكلة خليقة بالوقوف عندها طويلا والنظر فيها كثيرا والتدبر العميق لها فى جد وقوة ، وما احسبنا نهتدى لوجه الرأى الصائب فى مقاومة الاعداء الثلاثة وتفادى مايسمى المبادىء الهدامة ولا احسبنا نطمئن كذلك لاصلاح اجتماعى اليوم ، واقامة للحياة على اساس سليم امين ، يهيئنا للظفر فى مشاركة الدنيا حولنا فى حياتنا الجادة . . لا احسبنا نبلغ فى شىء من ذلك مبلغا ، ولا نتجه فيه وجهة سليمة الا اذا ماتبينا اصل هذا التضارب الصارخ ، بل التنازع الحاد بين حس يرى الفقر كسرا للظهر وقول يرى الفقر فضلا يدفع الى الجنة !!

نعم . . اننا نحتاج اشد الاحتياج الى مواجهة هذا التناقض البشع فى قودونقة لنستأصله من الاذهان ، ونطب له فى النفوس والعقول طبا يستأصله ويقطع الطريق عليه ، حتى نستطيع بعد ذلك ان ندبر لواقعنا ونصلح وجودنا ، فيرجى لتدبيرنا واصلاحنا النجاح وتكون دعوتنا بصيرة مستنيرة تؤيدها استجابة رشيدة وتحققها ارادة منفذة .

وفى سبيل تبين اصل هذا الخلاف الناشب ، نسلك ما اعتدنا سلوكه ، من النظر فى سير الحياة ومجرى التاريخ ، وهدى الفطرة اولا . . فاذا ما عرفنا من ذلك جملة الرأى ، فزعنا الى هدى القرآن آملين ان نجد عنده فيصلا للخلاف ، رضاه وحاسما للنزاع نطمئن اليه ونقضى بحسم على هذا التناحر القديم .

ومن اجل ذلك سقت الحديث من هدى القرآن وجعلت عنوانه بعض كلمة القرآن الحكيمة التى تدمغ دعاة الفقر وتنفر من مزاعمهم فى فضله ، اذ يقول القرآن فى ذلك :

الشيطان يعدكم الفقر . . وفى ظل هذا الشعار نمضى متفهمين نظرته الكاملة للفقر .

ونرى من سير الحياة ومجرى التاريخ ان الناس يجيئون هذه الحياة بنفوسهم وما فيها من شهوات وميول ورغبات من حب للمنفعة وعمل للمصلحة وحرص على الاقتناء ، وجنوح الى السيطرة ، وما الى ذلك ، مما تتميز به هذه البشرية ، على اختلاف السنتها والوانها ، وازمانها واماكنها .

وقد ركبت تلك النفوس فى جسوم لها حظوظها المتفاوتة ، من الصحة والقوة والقدرة على المنافسة والتغلب وتحدد ذلك فى الناس وراثاتهم المحتكمة وبيئاتهم المسيطرة على نشوئهم ونموهم وتربيتهم

.. فتختلف كذلك قواهم المعنوية من فهم وتعقل وادراك وتدبر وتقدير وتبين .. وبكل اولئك الاحوال والقوى يتقدمون لعمل الكاسب والجد الرابح فتختلف باختلاف قواهم وطاقاتهم حظوظهم من خيرات الدنيا وحطامها وفوائدها ومغانمها باختلاف انصبتهم من القوة المادية والمعنوية وتفاوت حظوظهم من وسائل الغلاب ، واساليب المنافسة ، ولذلك يكون منهم الظافر الغالب الواجد الثرى .. والى جانبه يكون الخائب الفاشل المكدى الفقير .. ويتفاوتون ذلك التفاوت فى اوسط المجتمعات البدائية .

ثم يتطور مجتمعهم وشئونه ونظمه فتزيد العقد ، وتثور المصاعب بما يفرضه المتفوقون الغالبون ، على المغلوبين المستضعفين ، وما يلزمونهم من تقبل سلطة واحترام تقاليد ، فما هو الا ان تتجسم الفوارق بينهم وتتمايز الفئات منهم وتتباين الطبقات فيهم .. وتحمى جذه الفروق والفواصل قوة القادرين ، وسلطة الغالبين ، وما فى ايديهم من سلاح المال وقوة الثروة .

واذ ذاك يفزع المغلوبون المؤخرون الى محاولة التعويض من اى طريق والعمل للاستعلاء بأى وسيلة فاذا هم يتمسون اسبابا مختلفة ومزاعم متغايرة يتقوون بها ويروجون لها بكل ما يستطيعون من السبل .

ومن اقرب هذه الوسائل للاستعلاء هذا التعالى العزوف ، عما فى ايدى الاثرياء الغالبين ، والترفع المستغنى عما فى ايدى الاغنياء الواجدين ، وتتكىء هذه المحاولة على نفوس اولئك المحاولين بما يكبتون من رغباتهم وما يقهرون من شهواتهم فى صور من الزهد او التزهد ، وبأساليب من الفلسفة او التفلسف تحقر الدنيا وتتهمها وتهون من امر خيراتها وتزدريها وتمجد التجرد والعدم وتشيد بالفقر .

وقد واتتهم العقيدة الدينية عن العالم الاخر وكماله ، ونعيمه وجنانه الى جانب جحيمه وعذابه بما يخفف الامل الوثيق فيه من وقع الالم المرير فى هذه الحياة .. فهم بتدينهم وتخففهم اسبق الى نوافله ، والمبادرة اليه والظفر به ، حتى ليدخل الفقراء الجنة ، قبل الاغنياء بخمسمائة عام .

كذلك اوجدت طبيعة الحياة الفوارق فقسمت البشر الى اغنياء وفقراء .. وكذلك دفعتهم الحياة بفطرتهم الى الاستعلاء الزاهد المعوض المستضعف فذهبوا بالفقر الراضى ، والرضا الفقير والتعالى المسكت ، فكان التصوف لذلك نزعة عالمية عامة ، يتلاقى عندها المتدينون على اختلاف الاديان ، بل مع تقاتلها ويتجه انبيا المؤمنون على تنائى الاوطان وتباعد الازمان ومع تناقض مابه الايمان .

ومن هنا كانت فى الدنيا تلك المتواترة التى شهدناها آنفا : من حياة واقعية يختلف حسها بالفقر ، ويتفاوت حديثها عن الفقر بتباين ما تقوله فيه .. وسعيها حياة عقلية ودينية ، يختلف تفكيرها كذلك فى الفقر وما تصفه به ، وتتغاير نظرتها وفلسفتها عن حظوظ الناس فى هذه الحياة الدنيا ، وتحريم زينتها عليهم ، وتحليلها لهم .

ومن كل اولئك تخلفت فى تفكير الناس تلك الرواسب التى نسمعها فى حديث الاصلاح الاجتماعى اليوم من آراء ومقالات ودعايات .

ومن اجل ذلك كان من الحق ان اتحدث عن الفقر ، حين التمس هدى القرآن فى مشكلة المال من مشكلات الاجتماع ، لاتبين فى هديه منشأ هذا الاختلاف فى القول عنه من طبيعة الحياة وواقع المجتمع وفهم التدين .

وان فى النظر لما بعد ذلك كله من التصوف الانسانى ، والدين الاسلامى والتماس القول الفصل فى ذلك من هدى القرآن لمجالا للنظر الدقيق فيما يلى ذلك من بيان .

* * *

للشاعر السوداني : اسماعيل عمارة

ولدى الا زالت جراحك تنزف الدم والسهر
احبس دموعك يا غلام وجابه الليل المرير
ليل الدم المنزوف والحق الجريح
ليل البرايا المثقلين بكل الوان الخطايا
ليل الصليب وفوقه الآمال تصلب كالمسيح
ليلى أنا الثاوى الى الاحزان من حقد البرايا

* * *

احبس دموعك يا غلام فدمعنا يتجمد
وذر البكاء فبؤسنا لا زال جيشا يصمد
ايه أيا ((سيزيف)) ليست صخرتك
تبدى همومك مثل هم لى دفين
ايه أيا ((هابيل)) ليست دمعتك
تكوى الفؤاد كما انكوى قلبى الطعين
ايه أيا ((لوركا)) الشهيد
ليس المات اراه اقسى من دموعى والانين
فاحبس دموعك يا غلام وواجه الصمت الكئيب

* * *

قطعت قنابلهم ذراعك يا حبيبى والقدم
واليوم جرحك يلتئم
لكنهم قطعوا فؤادى مزقوه بفعلهم ذاك العجيب
وجراحى المخفاة تمشى فى القدم
لكننى أبدا أرانى لن أراها ذات يوم تلتئم

* * *

ولدى دع الذكرى تطوف ـ تؤرق القلب المكبل بالقيود
ولدى دع الآلام تنخر فى الفؤاد
تحطم السلوى وتهدم ذى السدود
ولدى اتذكر امسنا
أم هل ستنسى أمسنا ذاك الرهيب
هجموا علينا كالتتار
واشعلوا النيران فى الوطن الحبيب
اتقوا قنابلهم
فما تركت لنا غير المجاعة والنحيب
وصراخ كل التائهين

* * *

النضائعين اللاجئين الى الانين
حتى الانين جفاهمو
واها .. لهم .. ! قد مات كل الميتين
ويموت كل الساترين على الثرى موتا بطىء
ولدى هم قتلوا أخاك واختك الصغرى

* * *

وظلت أمك الثكلى تئن ولا تنام
اثر الجراح بجسمها وبقلبها شهرا طويل
وهنا وبين خيامنا السوداء ماتت !!
لم تطق حملا ثقيل
ولدى ونود لو متنا
ففى الموت سلو وارتياح
ولدى كلانا نصف ميت
انت من بتر بجسمك .. من تحبب
وانا من الآلام فى قلبى
فهناك أرضى لليهود جنانها
وانا هنا ساظل يا ولدى المشرد والغريب

* * *

اسكن قلبى يا غلام يهزه فجر قريب
هو لا تزال به الهواجس
عن غد للعود .. كم امل يروده
بلدى أتصدق هذه الرؤيا
أم الحلم الذى ابدا نقوده
بلدى أمشى ذات يوم فى ثراك
أم يفرس الظل الرحيب بلا حقيقة
بلدى أتبصر عينى الجنات والزرع النضير

* * *

بلدى اتسمع أذنى الهمســـات او صـــوت الخرير
بلدى أترجع يا فؤاد اليـــه
نعـــرق كى نعيش وكى نمـــوت
من أجـــله . . . . . .
ام هل نمـــوت ولا نـــرى
ركب الرجـــوع لنا ايا قلبى يفـــوت

* * *

بلدى لـــكم أهـــــواك
لـــكنى أرى هـــذى الهـــواجس كالحقيقة
وأرى الملايين الحبيســـــة فى الخيـــام
تعـــود يا بلدى طليقـــة
كى تنثر العـــرق الغزير على رباك
وكى تـــكافح فى ســـــرود
كى ترفع العـــلم الحبيب على ثراك
وكى تغـــرد فى حبـــود

* * *

ولدى ألا زالت جراحك تنزف الدم والسعير
احبس دموعـــك يا غلام ففى غد فجر منير
فجـــر الاناشـــيد العليـــة
ملء أرغـــول الرجـــوع
فجـــر الرياحـــين النـــدية
يا غـــلام له طـــلوع
فجر التهـــانى والحقيقة .. والاقاح
فجـــر الجمـــوع العائدين مع الصـــباح

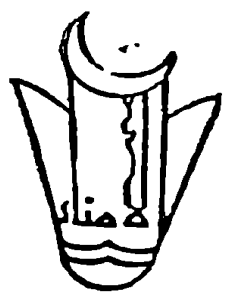

حكاية لاجيء ..

امد الى ارض الاسى نظراتى ... وأشرق فى دمعى وفى عبراتى
هنا كان محرابى هنا كان معبدى ... أقدم فيه للجمال صلاتى
هنا كان ((آذارى)) يرف خمائلا ... وكان ربيعى أخضر الجنبات
هنا كانت الدنيا تهاويل شاعر ... ووحى فنون معجز اللمحات
وكانت أهازيجا طروبا الى الهوى ... وأوهام وسنان وحلم فتاة
هنا كانت الايام أظلال سرحة ... وأصداء أيمان ولحن شتاة
هنا بسمة الثغر الطروب وطالما ... يخضل أجفانى سنا البسمات
هنا فرحة الطفل البرىء بلعبة ... يبث بها روحا وفيض حياة
هنا كانت الاقدار غافية على ... تلال من النسيان والغفلات
هنا وطنى الذى كان جنة ... عليها رواء الخلد فى الربوات
به سوسنات الاهل عاطرة المنى ... وفيه آقاحى الحى من اخواتى
وفيه أغاريد البلابل عذبة ... كعبقة فن ساحر النغمات
تنقل من غصن لغصن مرفرف ... وتشدو لفرع ارعن الحركات
وفيه ظلال الحب وارفة على ... جداول قلب راقص الموجات

* * *

رفيقة قلبى زهرة فى كمامها ... اريج الهوى والحب والخفقات
وزيتونة فرعاء دانية الجنى ... فعدت بها من أطيب الثمرات
واهديتها رمز الوداد لعالم ... له قلب صخر جامد النبضات
وأضفر اكليل السلام بفرعها ... وأجتل من أغصانها العطرات
وأزجى اكاليل السلام هدية ... أندى بها من شرة اللفتات
نعمت بها يوما وصنوى هو الصبا ... وخلى فيها ناضر القسمات
وفى جذعها خلدت حبى باقيا ... على الدهر رمز الطهر فى الصبوات
وقد رسمت كفى فؤادا ه من الهوى ... شغاف فؤادى فتنى الفاتنات
فهل صان هذا الجذع قلبى أم النوى ... تضيع عهد الحب والهمسات ؟
وهل حفظ الجذع البعيد وديعة ... وهل لم تبددها مدى اللمسات ؟
أم الجذع نابته النوائب بعدنا ... فراح وقودا لاذع الجمرات ؟
وصار رمادا تعبث الريح فى الثرى ... وتذروه مثلى ضائع الخفقات ؟ ؟

* * *

أنا اليوم مطرود العشيرة ضائع ... أهيم على وجهى طريد جناة
وفى خيمة البؤس اللعينة قابع ... وحولى من أهلى حطام زفرات
أمد الى الافق البعيد نواظرى ... تهوم فى رأسى طيوف حياتى
وتقبض فى عنف على قلبى الذى ... يضج بصدرى ثائر النبضات
ويهفو الى أرض الجدود كطائر ... رأى الفه فى لهفة الروحات
وفى خيمة البؤس اللعينة طفلة ... تضج سعالا دامى البصقات
وتعول من فرط العذاب كأنما ... جنازة ميت فى الربى الهرمات
فيهوى على قلبى أنين بكائها ... كمطرقة نارية الضربات

* * *

وأم عجوز يهرأ البرد عظمها ... وينفث فيها قاتل النفثات
وفى عينها ثكل القرون ونوعة ... الضحايا وذل الدهر فى العبرات
تهول بعينيها شرود معذب ... كمخبولة تسعى وراء رفرات
كأن بعينيها سؤالا الى الورى ... سؤال اتهام صارخ النبرات
عن الوطن المسلوب عن سرحة الهوى ... عن السوسن المنعور والنخلات
عن الزهرات البيض بين خدورها ... تداعب طفلا رائع اللفتات
عن البقرات الحمر بين مروجها ... تناغى فصيلا واثب القفزات
عن الجارة الثرثارة القول بالحكى ... عن القمر الوضاء فى السهرات

* * *

وشيخ كبير قوس الدهر ظهره ... يراعى نجوم الليل فى حسرات
يسائلها فى لوعة أبدية ... عن الحقل والحصاد والثمرات
وعن سنبلات القمح تهفو بعودها ... نسائم حب طيب الغدوات
وعن فلذة من قلبه نام فى الثرى ... صريعا بأيدى البغى والبغتات

* * *

وخلف خطوط النار مخدع آثم ... يعربد فى خمر انتها الخفرات
وينزع أكمام الحياء بسطوة ... ويذرو رحيق الطهر من زهراتى
ويهتك زهرات الروابى بخسة ... يعودى يبيح العهر من فتياتى

* * *

فهل لى بعد الله غيرك « ناصر » ... أعود به يوما الى ربواتى
ويشرق فجرى رائعا فى شروقه ... وتنمو حقول النور فى ظلماتى
ونبزغ فى ليلى الطويل نجومه ... وتسكب ذوب النور فى دفقات
وترفل فى أضوء الشفيف ملاعبى ... وتشتف عطر الفجر مبتهجات
وتسبح فى بحر من النور والندى ... وتلعب فى مهد الضياء لداتى
وتخضر أحلامى وتنمو فروعها ... ويخضل جفنى بالمنى الخضرات

على حسن العزب

أمـــل

« كلما تذكرت معسكرات أو شفتز تذكرت دعاة الحرب واعداء الانسانية .. وتذكرت حديث ذلك الحر الى العالم من وراء الاسوار .. »

أنا سوف أخطو فى الحياة ولا أبالى من غدى
ولت بشاشتها وجاءت أننى فى مصـــعدى
فهى الحيـاة فما عبوس وابتســـام سرمدى
ايامنـــا فيها كأعشـــاب ثوت فى الموقـــد

تصفو الحياة وما أرى هذا الصفاء بها يدوم
واذا أكفهرت ساعة لابد تنقشـــع الغيـــوم
والروض يضحك فى الربيع ولا تعانقه الهموم
ثانيا الخريف عرى الزهور ثوت وصارت كالرميم

أحيـــا اعانق كل يوم فى حياتى لن أمـــل
واعيش فيها تلهنى عن خوض فكرى فى الاجل
فغدا سأسعد أو سأشقى ذاك ضرب من خطل
دأب المؤمل فى الحياة العيش مخضر الامل

هذا الوليد غدا سيصبح فى القريب أبا الوليد
فاذا تفشاه المشيب يداعب الطفل الحفيـد
ويغادر الدنيا صـــغيرا أو كبيرا لن يعـود
طبع الحياة هو التغير فى القديم أو الجديد

غير تمر بنـــا فنحزن ان ذوت آمالنـــا
ونعيش نطلب فى الحياة من الهنـــاء مدامنا
ان الســـعادة يا زمانى أن يدوم بك الهنـــا
فالى يا عهـــد الهنـــاء ولا تزد آلامنـــا

عصفت بنا نوب الزمان فعاجلتنـــا بالمحن
ورميت فى جوف السجون أعيش فى واد أسن
لا يلقنى فيه الحبيب بل الدثار هنا الكفن
وانى الفروب أصـــير يا أماه فى زحف الزمن

أحيا هنا والشوق يدفعنى لما بعـــد السدود
فاراقب الأم الحزينة تحضن الطفـــل الوليد
وتراقب الايام تدفع بى الى الامل الجـــديد
حيث الحياة هناك أمى والصـــفار بلا قيود

أماه ان طال البعـــاد فاكثرى لى فى الدعاء
وتعودى أن تذكرينى فى الصباح وفى المساء
وترقبى فى كل عيـــد أن يتم لنـــا اللقـــاء
وأتيه من بعد القيود هناك فى حر الفضـــاء

ابتاه لا تحزن اذا عصفت أعاصير البعـــاد
واملأ فؤادك بالهـــدوء وكن هنيئا فى الرقاد
فهنا وان قست القلوب وغرها موج العناد
لا بد تنقشع الغيوم وتملأ الشمس الوهاد

طبع الحيـــاة كما ترى أمى أبى .. فيه الغير
ما دام فيها مؤسســـها أبدا وليست تســـتقر
فاليوم يظلمنا القوى .. وفى غـــد أين المفر
انى وأنتم فى غد قد لا يصـــارعنا القـــدر

محمد الفاتح محمد

زهرات من الماضى

لملمت من مفاتن الحيـــاة . .
لملمت أغنيـــاتى
من واحـة الصباح أو من روضة المساء . .
حيث الوجود لوحة تفتر بالرجاء . . . !!
من بسمة خجولة تنساب فى استحياء . . . .
من غـــادة حسنـــاء . . !!
من همســـة ندية بوجنة العذراء . . !!
من سجدة للنور بين محراب الضياء . . !
. . لملمت أغنيـــاتى . . . . . .
وصفت فلســـفاتى . . . . .
تنم عن ســـماتى . . . . . .
مشاعرا . . مشاعرا تنم عن سماتى . . !
ولونت أطيافها آمال الحيـــاة . . . . !!

* * *

فى احـــدى امسـياتى . .
ركبت خاطـــرى . . . .
وسرت فى ثبـــات . .
دخلت حقـــل عمـــرى . .
باحثا عن ذاتى . . !!
بكهف ذكـــرياتى . .
أبعثر التراب عن حقيقتى . عن ذاتى . . !!
كم رحت أعبر السراب نحو شاطىء النجـــاة
وبعد ((ليلى)) الطويل . . قد وجدت ذاتى ـــ
. . حديقة تفيض بالهبـــات . .
جدا ولا تنســـاب رأقصـــات . .
نسائما ترف . . عاطـــرات . .
تختضـــل بالحنين والحنـــان . .
تشم من أنفاسها مشاعر الانسان للانسان
بالحب ، والوفاء ، والامان . .
على طول الزمان . . !!

* * *

. . . . فصرت أشدو للوجود أحلى أغنياتى . . !
مبعثرا بآذان الانام فلســـفاتى . . !!
وراســـما بريشتى لوحـــاتى . . . .
بصفحـــة الحيـــاة . .
رفافة ، رفافة بصفحة الحياة . . !!
تنم عن ســـماتى . .
وغارســـا بروضـــات الآداب
غارســـا زهـــراتى . . !!

البيلى عبد الحميد حسن
٥٣٥

من الأدب اليوناني المعاصر

الأنامل التي جرحت الحب

لشاعر قبرص الكبير ـ ن . نيقولاتيدس

كانت الأنامل التي تلاطف الحب تلبس خواتم ثقيلة ، كاختام ملوك العهود الغابرة . على أن الحب الذي يحتمل كل ما في الورود من أشواك جرحته لمسات الخواتم الغاليـة .

جرح الحب فبسط جناحيه وطار بعيدا .

العروسان

انصرف آخر المدعوين . وانفض شمل الاهـل والاقارب . وبقي العروسـان وحيدين ، أمام باقات الزهور التي بعث بها الاصـدقاء ، والهدايا الفاخرة الانيقـة ، وبطاقات التهاني ، والامانى والدعوات الطيبات .

ومضيا يتلمسان أحاسيسهما ليعقدا خيوطها الرقيقة . فتبادلا كلمات قليلة عن الباقات التي بدأت تذوى ... عن عقد اللؤلؤ الدقيق الصنع ... عن الماسة البراقة .

ثم خيم عليهما الصمت ...

وبعد هنيهة بدا لهما انهما سمعا سكوت البيت .

فأرهفا السمع .

ويا لها من أغنية رتيبة لا نهاية لها ، تلك التي سمعاها !

* * *

صورتا الحياة

فرحة الحياة هي أعظم فرحة ولاشك . وفي أولى درجات لوحة الحياة ، سـواء اتخذت صـورة الربيع الزاهر أو صـورة الشتاء المجلل بالثلوج ، يوجد على الدوام ينبوع صغير دائب الجريان تحت خضرة الربيع ، وتحت ثلوج الشتاء .

ترجمة : نعيم عطية

لو يرجع الموتى

اذا مات انسان بكاه حميمه ... وود بجدع الانف لو عاد ثانيا
وقامت عليه من ذويه مناحة ... يرن بها صوت النوادب عاليا
تمر فيشجيك النواح مجلجلا ... وتبصر اخلاف الدموع هواميا
فتحسب أن الارض وهى منيعة ... أصيبت بزلزال يدك الرواسيا
ولو رجع الثاوى كسابق عهده ... تشاهد أهوالا تشيب النواصيا
لابصر - والايام ذات عجائب - ... حليلته تنسى العهود الماضيا
وترضى بديلا عنه يحتل قلبها ... ويقطف من بستانها الغض لاهيا
تهيم به جهد الصبابة والهوى ... وتضفى عليه الحب - فينان زاهيا
وتجفو قرينا كان زهرة عيشها ... فشاء الردى أن يصبح الزهر ذاويا
كأن لم يكن يوما فتى صبواتها ... تنيط به أحلامها والامانيا
اذا ما أتاها يستميل فؤادها ... تعر وتستعدى عليه العوادبا
فيشرد فى الدنيا طريدا ولا يرى ... له موطنا يلقى لديه المراسيا
ويلمس فى الموت الشفاء لحزنه ... وما ظن يوما أن فى الموت شافيا
ويكظم غيظا ثم يمضى لنجله ... وقد ظنه جم المروءة وافيا
يسائله عن ماله قبل ارثه ... فيبهت اذ يأتى له الرد قاسيا
ويطلب منه ما يقيم حياته ! ... فيابى وما يزداد الا تماديا
ويلحف فى تسآله فتنوشه ... قوارص ينفرن الفؤاد دواميا
فذائف من هجو أثيم لو انتحت ... ذرى جبل لا نهال كالرمل هاويا
فيشرد فى الدنيا طريدا ولا يرى ... له موطنا يلقى لديه المراسيا
ويلمس فى الموت الشفاء لحزنه ... وما ظن يوما أن فى الموت شافيا
ويكظم غيظا ثم يأتى شقيقه ... وكان أخا - قبل المنية - حانيا
فيحظى بتكريم - لاول مرة - ... فان عاد لم يلق التلطف باديا
فيسأله قرض اليسير فلا يرى ... سوى الصمت بدءا والتأفف تاليا
فيغضى عنى غيظ ، ويسأل مرغما ... فيسمع عذرا هلهل النسج واهيا
وتكشف عيناه لعينيه نظرة ... تقول : مضى عهد يصون التآخيا
فيرحل مقهورا الى غير رجعة ... وفى قلبه جمر توقد واريا
ويكظم غيظا ثم يمضى لأمه ... وليس حنان الام فى الناس خافيا
وقد أصبحت شمطاء تنتظر الردى ... فما ترتجى فى العيش صفوا مواتيا
له أخوة منها تسلت بقربهم ... عن الراحل الثاوى ، وان كان غاليا
تعيش على ما جاءها من فتاتهم ... وان كان غثا ليس يشبع طاوية
يناشدها بر الرءوم ولم تكن ... لتملك ما يروى النفوس الصوادنا
ويطرق باب الاصدقاء فلا يرى ... من البشر والترحاب ما كان راجيا
اذا لم يجد عند القريب بشاشة ... فكيف يكون الاجنبى مواسيا
فيشرد فى الدنيا طريدا لحزنه ... وما ظن يوما أن فى الموت شافيا
هل الموت مهما قيل فيه سوى سنا ... يلوح لجواب طوى الليل ساريا
ولو لم يكن ، لاستذأب الناس شرة ... فلست ترى غير الوحوش ضواريا
ألا هل أتى الباكين ان دموعهم ... تضيع هباء حين يبكون ثاويا

محمد رجب البيومى

السقوط

بقلم
الاديب الصينى : باجين

نقلها الى العربية
احمد عبد العزيز أحمد الدق
بالقسم الصينى بالالسن العليا

راجعها
الاستاذ ابو بكر صالح عبد الله
مدرس الترجمة بالقسم الصينى

« لا تعارض الشر » .

كانت هذه هى الكلمة التى اعتاد أن ينصحنى بها . ومن انطبيعى ان كان له اسم ولقب ، بل ان اسمه اذا ذكر كان يعرفه اناس كثيرون .

ولكنى اعتقد ان ذكر الضمير « هو » وحده كاف لندلالة عليه . خصوصا وأننى لا اعبد المشاهير . فلماذا اذن أدع الناس يعرفون اسمه بالكامل ؟

وقد اعتاد ان يجلس على كرسيه ملتما ذقنه وينصحنى فى هدوء قائلا : « اذا كنت انت وحدك الذى لا تعترف بلواقع فما قائدة ذلك ؟ ان الاشياء المقدر حدوثيا ستحدث حتما ، ومتى حدثت فلا حيلة لك فى الحيلولة دون وقوعها . وها قد اخذت اليابان شمالى شرق الصين فما حيلتنا فى ذلك ؟ ما علينا اذن الا ان نحسن استغلال اوقاتنا فى اصلاح شئوننا الخاصة » .

ولكن ماذا يعنى بقوله « شئوننا الخاصة » فهو لم يوضحها لى قط ، وسألته عنها فلم يزدنى الا غموضا . ولكنه عبر عنها فى احدى المرات بانها هى الاعمال التى كان يؤديها آنذاك . وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى عبر لى فيها عما يعنيه بكلمة الشئون الخاصة .

اننى شاب غبى بالرغم من اننى لا اعترف بهذا الا انه كان ينظر الى هذه النظرة على الاقل . فقد تحدث الى متحسرا اكثر من مرة بانه كان له تلميذ محبوب كتلميذ كونفوشيوس المحبوب ولكن من المؤسف ان اختطفه الموت فى ريعان شبابه ، ولم يكن هناك من استطاع ان يرث علومه قط .

وكان له تلميذ آخر اسمه « فان يين شين » وكان يستعد لامتحان المسابقة لبعثة الى انجلترا ولكنه كان اقل من الاول ذكاء . اما انا فبعيد عن كليهما كل البعد .

وبالرغم من ذلك كله كان يعاملنى معاملة حسنة وكان ينصحنى دائما بأنواع من الحكم وكان يتحدث الى كثيرا مخبرا اياى بأمور كثيرة .

كان اصدقاؤه كثيرين ولكنهم قلما كانوا يترددون على منزله ، وكنت أنا اكثرهم ترددا عليه . كان يذهب الى منزله بعض الشبان للدراسة والاستفادة منه . ولكنهم لايذهبون مرة حتى ينقطعوا عنه بعدها .

ولكني لم اكن اعرف لذلك سببا . وفكرت مليا في هذا الامر . فانا شاب مثلهم فلماذا أذهب الى منزله كثيرا على العكس منهم ؟ في الواقع لا بد ان يكون هناك سبب لذلك . ربما كان ذلك لانه يحسن الي وربما كان لحبي الشديد للاستطلاع .

وكانت له زوجة جميلة اصغر منه سنا وهي زوجته الثانية فليس هذا بالشيء المستغرب بالنسبة اليه فكثير من العلماء والاساتذة المشهورين لهم زوجات شابات وهو ايضا مثلهم . وكانت العلاقة بينه وبين زوجته عادية . وكانت الكنفة والبرودة تسودان المعاملة فيما بينهما بالرغم من انه كان يطاردها ويبثها هواه عند ما كانت طالبة عنده . ولكن الامور قد تغيرت واصبح كل شيء هادئا ولقد تحول الى مجرد زوج ولا شائبة في ذلك امام القانون . كما انه لم يزل استاذا كبيرا له مكانته وشخصيته .

كانت الزوجة تحب الرقص . وكان هو يحب الرقص ايضا في فترة ماضية من الزمن . اما الان فلم يكن يتردد على كباريهات الدرجة الاولى للصينيين وكانت الزوجة ماتزال تذهب الى هناك . وعندما لا يذهب معها الزوج كان يصاحبها احد الاصدقاء ، وهو الاستاذ المشهور في التاريخ الذي كان مبعوثا رسميا الى امريكا وفي الحقيقة أنه كان ايضا تلميذا له واستمع الى كثير من دروسه .

وكان ضمن نصائحه ان قال « لاتعارض الشر ، فان لكل الموجودات عللها ، وكذلك احتلال منشوريا ، والشر قد يكون لازما ومحتوما . فدع الشر وشأنه وليزل من تلقاء نفسه فانك اذا عارضت الشر فقد ضيعت الوقت سدى ويجب عليك ان تكون واقعيا فيما تعمل ، ولا يكن كلامك دخانا في الهواء فمجرد النداء بالمقاومة لا فائدة منه على الاطلاق . وعلاوة على ذلك فان هذا ليس من اختصاصك . فانتم معشر الشباب سطحيون وليس هناك طريق لتقويمكم » .

وبالرغم من انني كنت صبورا لم املك نفسي فسألته معارضا دون تواضع : « ماذا عملت انت من الاعمال الواقعية ؟ ألا تضيع وقتك سدى ؟ » . فلم يغضب واجابني مبتسما مع شيء من السخرية ، « اما انا فان ما عملته من الاشياء لكثير اقرا الكتب . بل اواصل الليل بالنهار في قراءة الكتب وفي التفكير واظن انني اكثر اجتهادا منكم جميعا » وصدقت كلامه . وكان له مسكن كالقصر ، وكان له ايضا مكتب جميل ومريح فكان طبيعيا ان يقضي اوقاته في هذا المكان . وكتبه المحفوظة كثيرة حقا وقد وضعت في عدة دواليب (خزانات) واسعة وفي مكتبه الكبير والى هذا كان كل كتاب يتحلى بغلاف جميل . وكان مما يحتفظ به من الكتب : الانجليزية واليابانية وكثير من الكتب الصينية .

وقال لي : « انصحك بان تقرا كتبا كثيرة فان لهذا اهميته البالغة فان من يقرا قليلا لا خير فيه . وان الصين اليوم لتحتاج الى اشخاص منهمكين في القراءة ولاحاجة لها لشباب يكثرون من الهتافات الجوفاء بان يسقط هذا او ذاك . وقد قرات كتبا لا حصر لها ومع ذلك فاني اشعر بانني ما قرات الا القليل . وانتم معشر الشباب لا تقرءون ، فكيف يرجى منكم خير ؟ ان استعادة شمالي شرق الصين متوقف على قراءة الكتب ايضا » قال هذا بشيء من التعالي والكبرياء . وآثرت الصمت عند ما طرق هذا الباب . ذلك لان الكتب التي قراها كثيرة جدا اما التي قراتها انا فانها لا تبلغ معشار

الكتب التى يحتفظ بها بل اخشى الا تصل الى واحد فى المائة .

وحينما سمعت من الحكم ما يتصل بالقراءة وانقاذ الوطن نظرت اليه نظرة ملؤها الاحترام . وعجبت كيف لهذا الجسم الصغير ان يحمل هذا القدر الكبير من الكتب .

واردف قائلا : « لتكن واسع الصدر واحترم الآخرين فليس هناك شر مطلق ، ففى بلدنا الصين يجب ان يحترم كل الافراد فان جميع ما يقومون به من جهود لها فائدتها .

وعلى كل فرد أن يحافظ على مركزه وينكب على ما يهمه من الامور فلذلك ينبغى عليك ان تجتهد فى القراءة ولا تلق بالا الى امور الآخرين . ولتستعد لدخول مسابقة البعثة الرسمية الى انجلترا أو امريكا بعد تخرجك » . وبعد أن سمعت هذا القدر من النصائح ودعته وعدت ادراجى الى منزلى . ولما دخلت المنزل وفتحت باب غرفتى الفيتها ضيقة رطبة منخفضة وفجأة مر بمخيلتى احتقار ما يدعى بالمبعوث الصينى (وكنت قد سمعت احد الانجليز ينادى هذا الاسم فى استخفاف وسخرية) ولا اعرف كيف تسرب القلق الى نفسى ، فكيف لهذا الاستاذ ان يجعل من مسألة السفر الى انجلترا وامريكا املا يرجو لى أن احققه ؟ وانتابنى احساس مضاد لكلامه ونظرت الى تلك الرفوف الصغيرة وعليها الكتب التى لا تتجاوز الاربعين كتابا باليا ، منها عدة كتب استعرتها من المكتبة . فانى لى ان اكون مثله وليس لدى ما له من ظروف ؟

وكان يشجعنى دائما بقوله « وماقيمة الظروف ؟ فبالتعليم والاجتهاد يمكن التغلب على كل شىء فقصر العلم يمكن ان يلجه الفقير والغنى على السواء » وكان كلامه هذا جميلا حقا ولم يذهب به التفكير مطلقا الى أن كلامه بعيد عن الحقيقة او قريب منها . وحينما خرجت من باب منزله الكبير ساورنى الشك فى قوله ولما دخلت حجرتى كان قد تزعزع احترامى له . وصممت عدة مرات على أن اغلق باب غرفتى لاقرأ ، غير أن حجرتى ليست مثل حجرته وبالرغم من اننى أوصدت الباب الا أن قلبى كالعادة ولى هاربا الى العالم الخارجى فطويت الكتاب واخذت افكر ولكن تفكيرى شرد بعيدا واصبحت اكثر شجاعة وقد انهار كل ما قاله من آراء تقريبا ، ولم أفكر حتى فى أن المس بيدى باب قصر العلم الكبير . ولعلى صادق اذ اقول أن احترامى له اخذ يقل مع الايام . ولم اذهب اليه لعدة أيام . لا . . بل عدة شهور فأرسل الى خطابا وكان لخطابه ميزة فريدة ليست فى الاسلوب فحسب بل فى فكرته ايضا فهو يشبه ما جاء فى الكتب القديمة منذ مئات من سنين خلت . فلقد كتب فيه كلاما جميلا خلاصته انه يسألنى لماذا لم اذهب اليه منذ امد بعيد ؟ ولاجل حب الاستطلاع أو لاى سبب آخر ذهبت اليه فى هذه الامسية . فاستقبلنى خادمه الذى كان يحترمنى دائما ودعانى الى الدخول دون استئذان .

وفى ساحة الدار كانت الزهور متفتحة وقد بدا الكرم فى وسطيا يانعا مزهرا . وقد لاح لى تغيير على الاوضاع اذ أنى لم آت الى هنا منذ اكثر من شهر .

وفى زاوية من الردهة كانت زوجته جالسة مع مدرس التاريخ يتناشدان اشعار الغرام ويتبادلان عبارات الحب والهيام وكانت الزوجة فى ابهى زينتها . وكان من المحتمل ان تكون قد عادت توا من الخارج أو تستعد للخروج .

لم يشعرا بوجودى فرجعت بسرعة ولم أشأ ان اضايقهما . وكنت اعرف أن

ذلك المدرس يحبها لدرجة العبادة وقيل انه قد كتب عدة قصائد انجليزية اهداها اليها حتى قيل ان بينهما علاقة الغرام الافلاطونى . هذا كله ممكن بل انه طبيعى جدا اذ ان مدرس التاريخ هذا جميل المنظر صغير السن ذوكلام معسول يحببه الى الناس . وكان هذا النوع من الناس انسبهم الى الزوجة واظن ان ذلك لاينكره احد حتى زوجها .

ودخلت مكتبه فانفتحه يجلس هادئا على كرسيه وقد اخذ فى يده كتابا قديما يقرؤه مختالا بصوت منخفض وبادرنى مبتسما بقوله « ها قد اتيت فانى لم ارك منذ اكثر من شهر فلا بد ان تكون قد تقدمت فى دراستك وفى هذه الفترة لابد ان تكون قد قرات كتبا كثيرة » .

واخبرته صادقا بانى لم اتم قراءة ثلاثة كتب فى هذه المدة وهذا ما ادهشه .
وقال لى « حسنا فماذا فعلت اذن ؟ فانتم معشر الشبان لا تكترثون بتضييع الوقت سدى فواحسرتاه .. »

فحدثت نفسى قائلا « حسنا اننى لم ار منذ اكثر من شهر وما ان يواجهنى حتى يبادرنى بقوله هكذا افلم اسر لهذا . فسألته ساخرا وماذا فعلت انت ؟

فاجابنى « انا .. لقد اشتريت حديثا كتابا من الدواوين القديمة الممتازة » قال لى هذا وكانه لم يشعر بأن فى كلامى له شيئا من الاستخفاف وعدم الاحترام .
واخذ الكتاب وهو فى غاية السرور واشار اليه قائلا : « ان هذا الكتاب صعب المنال وان مقالاته فى غاية الجودة وانها تعتبر مواقف من واقع حياة الشعب العامة » واعطانى الكتاب قائلا « يجب عليك أن تقراه » وما ان تسلمته حتى اخذت اقلب عدة صفحات منه فاذا بى اجدها مذكرات يومية لاحد رؤساء الصين ولكننى لا اهتم بهذا وانما هززت راسى فى استخفاف ورددت اليه الكتاب ولم انبس ببنت شفة واخذ يرمينى بسهام من نظراته الغاضبة وظهر من ذلك انه قد فهم موقفى نحو هذا الكتاب فلم يرض عنى ولكنه كان حليما فلم يوجه الى اية لائمة وقال لى فى لطف شأنه اول الامر « انكم معشر الشباب تحتقرون هذا وذاك . وفى الحقيقة ان لآخرين افضل منكم فى كل شىء ومن الصعب أن تجدوا فرصة لتقرءوا فيها هذا الكتاب القيم . وانت لا تنظر اليه نظرة احترام فلا يليق بك هذا الموقف » .

انى اعرف جيدا انه من الطبيعى ان يكون موقفى بعيدا كل البعد عن اهل اسرة مينغ واعرف ايضا انه لا يمكن لى ان اغفر له واصبر عليه .

ورآنى صامتا فاعتقد اننى اومن بما قاله من الحكم البليغة فقال مسرورا « لقد اشتريت ايضا زهرية اثرية وهى من الخزف الاثرى من عهد اسرة سونغ ولكنك مع الاسف لا تفهم ذلك » .
وفى هذه المرة لم يتناول الزهرية ليعطينى اياها كى اراها ؛ لانه يعرف تماما انى لن ادرك قيمتها واضاف قائلا « يجب على الشباب ان يكونوا مجتهدين فقد خلف لنا اجدادنا اشياء ثمينة كثيرة فلو لم تدرك قيمتها لكان ذلك عيبا كبيرا . لهذا انصحك بأن تجتهد كثيرا فان العلم والمعرفة لا تحدهما آفاق وما عملكم انتم معشر الشباب سوى الاجتهاد فى القراءة وتحصيل العلم » .

قال هذا بحزم وعزم وكان يتلمس ذقنه فى نفس الوقت وطالما كنت أستمع الى كلامه بشغف غير انى الآن اشعر بأن اذنى لا تتقبل كلامه خصوصا فى هذا اليوم فلم اعد اطيق صبرا على الاصغاء اليه .

مالى ولاسرة مينغ ؟ ومالى ولاسرة

سينغ ؟ حتى يصدعنى بهذه الثرثرة ؟ وغضبت : لماذا يعمل على ايلامى وتعبى ؟ وبدات ادرك السبب فى ان الشبان لايأتون الى منزله مرة الا يولون بعدها الادبار . وقلت له بعد ان نفد صبرى : « ايها الاستاذ : الا تعلم اننى لم ابلغ من العمر الا ثلاثة وعشرين عاما ؟ فقال فى نشوة كعادته « الا ان العام الثالث والعشرين من العمر هو السن المناسبة للمجد والاجتهاد وان اوقات الشباب لثمينة جدا ؟ » . قال هذا وهو لم يفهم بعد ما ارمى اليه .

فقلت له : لا داعى لما كتبه اهل اسرة سينغ من الكتب ، وما قيمة خزف اسرة سينغ لدى ؟ ان هذه الاشياء لا تهم الا امثالكم وفى هذه المرة كنت اتكلم بدون مبالاة ولا احترام .

وادرك ما ارمى اليه فتغيرت اسارير وجهه ونظر الى حانقا من خلال نظارته الواسعة الاطار وتنفس الصعداء وفتح فمه قليلا ثم اقفله كما لو كان هناك كلام حبيس يريد ان يخرج من فمه ولكنه ابى الا ان يظل حبيسا . وما ان رايت شخصا حليما يغضب حتى ضحكت سرا وكنت قد فكرت فى مبارحته فى هذا الوقت ولكنى آثرت الان ان اظل هناك حتى اتمتع بمشاهدة ملامح غضبه . وان اعرف ان غضب من ينصح غيره بالصبر مثل كتب اهل اسرة مينغ قلما توجد فرصة لمشاهدتها فكبح جماح نفسه لحظات وتنهد اخيرا ثم قال مشيرا بيده « اذهب انت » .

وبقيت جالسا فى مواجهته ولم احرك جسمى بل نظرت الى وجهه نظرة هادئة فاحصة .

وتغيرت نظرته واصبحت لطيفة بالتدريج وكذلك تغيرت ملامحه التى تنم عن الغضب واصبحت تنم عن الندم ، فقلت فى نفسى ساخرا : ان الحلم ليس بالامر الهين . وكانت نظراتى لا تزال ترمقه ثم قال لى : « لا تتكلم كثيرا ففى المستقبل سوف تندم وستدرك ان كلامى صحيح » ولم يكن لى صبر لانصت اليه بتمعن فقد انصرفت بتفكيرى الى واد آخر وقد زال احترامى له نهائيا فى هذه المرة . وقال لى اخيرا « تذكر كلامى هذا وستستطيع ان تدركه مستقبلا فقد كنت فى ايام شبابى مثلك على هذه الشاكلة . وقد ادركت الان اخطاء الماضى وستندم فى المستقبل وانك قد ضيعت حسن نيتى سدى » .

وكان يقول هذا وكانه يبذل اقصى جهد له فى نصحى .

وتذكرت ان اناسا اخبرونى من قبل بانه قد كتب مقالات ينصح الناس فيها بالا يثق احد منهم فى الموجودات . . كما ينصح بالا يقف احد مكتوف اليدين ازاء الشر وان ترمى الكتب القديمة فى البانوعات وله ايضا كثير من الآراء المتطرفة وبالاضافة الى ذلك فانه فى ذلك الوقت كان يستخدم اسلوبا آخر فى كتابة مقالاته .

نعم لقد تحدث الناس الى بالتاكيد عن هذه الاشياء ، ولكنى لم اصدق ولم اتاثر بما قالوه ، لان هذا بعيد كل البعد عن آرائه الان . حقا ، ان الزمن يغير احوال الناس ولكنى لا اعتقد بانه فى بضع عشرة سنة يتغير شخص الى شخص آخر يخالف الاول تماما . ولكن كل هذه القرائن قد دلت على ما اقوله الان دلالة قاطعة .

فكيف خطا هذه الخطوة الكبيرة ؟ انه ليجعلنا نؤمن بالمعجزات . ونظرت الى وجهه طلبا لحل هذا اللغز وبحثا عن اثر لشبابه فله راس اصلع مستدير ، ونظارة ذات اطار عريض ، وله شارب كثيف ، ووجهه بيضاوى لايظهر عليه سوى ملامح السرور او القنوط . وهذه الاشياء توحى الى بشىء ما هو : « ان لكل الموجودات عللها » . وفى هذه المرة شعرت بجسمى

يتمدد فجاة مما جعلني اكثر منه ارتفاعا فكنت ارمقه بنظراني من فوق وقلت في نفسي : ليس ثمة علة لبقائك . فقال بعد ان انتبه فجاة الى نظراتي هذه « لماذا تنظر الى هكذا ؟ »

وقد عرف من نظراتي مكنون نفسي وبدا عليه القلق شيئا فشيئا .

وطأطأت راسي .

قال : « انك لعجيب حقا ، فلم ار قط شابا مثلك » فليس عندك احترام ولا عقيدة » واستمر يقول بلهجة التأكيد والتفخيم « فلا تعتبر بشيء ولا تعترف به » ولم يتضح لي ماذا يعنيه .

ولكني تبينت ان موقفي قد اثار غضبه وجعله يكشف بعض الاشياء التي لم تكن تخطر ببالي قط .

« انك لا تشبه الصينيين بل تخالفهم تماما » .

قال هذا وهو يهز راسه متذمرا وقد ابصر ما رايته على وجهه من السرور والانشراح ورايته يتكلم متضجرا منفعلا مما لم اعهده فيه من قبل . فشعرت لهذا بسرور بالغ .

« انك تجهل تاريخ الصين جهلا تاما وكذلك تجهل ما خلفه لنا اجدادنا من أشياء ثمينة وان تفكيرك غريب جدا وانك لست على نمطنا » .

قال هذا بجهد جهيد . .

وكانت عيناه تتحركان بالم وراء النظارة ذات الاطار العريض ، واحمر وجهه حماسة ، واصبح اكثر حبا للحياة من الايام العادية . ولكني لحظت سحابة كثيفة تكسو حاجبيه ببطء وسقط كتاب يوسين . . هذا على الارض قريبا من المبصقة .

. .

ولكنه لم ينتبه الى ذلك .

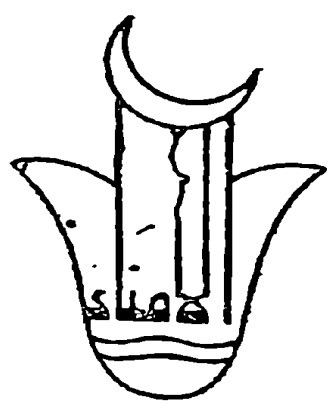

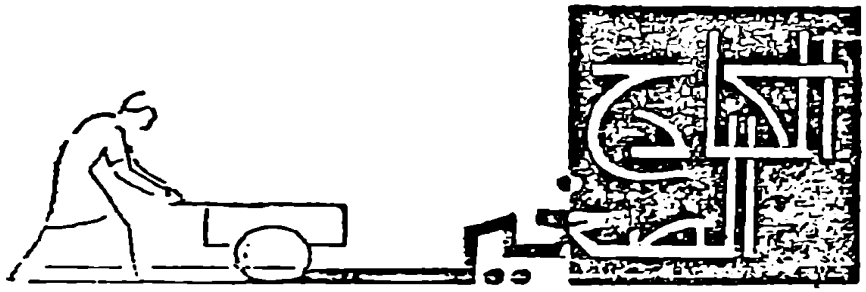

من قلم : عبد الله خورشيد البرى

ستار محكم من السحاب يغطى السماء من الافق الى الافق ، محتفظا فى جميع اجزائه بدرجة واحدة من الشيبة التى تخلع على الجو لونا رماديا مضللا تقوم فيه الاشياء غامضة هامدة كانما لم تستيقظ بعد مع ان النهار يدلف الى منتصفه ، فى حين تنطلق فيما بين السماء والارض ريح نشيطة باردة تقتحم على الناس ثيابهم وتلسع جسومهم فيرتجفون

وصدق توجس الناس الذى كان يبدو فى نظراتهم القلقة التى يرفعونها الى السماء بين الحين والحين . ولكنهم ظلوا على ما هم عليه غير مبالين المطر الذى بدا يسقط ، مقدرين انه لن يلبث حتى يكف بعد قليل عندما تضع السحب حملها ، فتشرق الشمس ، وينتشر الدفء والدفء فالشتاء فى ايامه الاولى .

ولكن ما حدث كان مختلفا تماما . فقد عنفت الريح فجأة كانما زال من طريقها حاجز كان يعوقها ، ومضت فى السماء نار صفراء ، وتوالت سلسلة من الانفجارات . بدا كان هذه هى الطريقة المتبعة لفتح ذلك العدد اللانهائى من الصنابير العجيبة التى انطلق المطر ينهمر منها غزيرا ثقيلا محسما .

اخذ الناس بالمفاجأة ، ووجدوا الامر على غير ما قدروا ، فانتقلوا هاربين من الطريق الى مداخل المنازل ، وابواب المحال وتحت الشرفات . ويطول وقوفهم وقد شدت أعينهم الى حبات الماء وهى تنفجر على الارض ، وتذوب فى الماء المتجمع فى منحفضات الطريق ، يستدلون منها على مدى شدة المطر ، وينتظرون ان يهدأ قليلا ليواصلوا سيرهم .

ويخيل الى احدهم ، وهو فى منجاته هذا ، ان قد خفت حدة المطر ، وتحدثه نفسه بالخروج ، فيمد كفه الى الخارج يقيس بها درجة المطر ، فيتوهم ان قد خف فعلا . ولكنه ما ان يسير خطوة او خطوتين حتى يجد نفسه يوشك ان تفرقه حبات الماء السريعة المتصلة فيعود على عقبيه الى حيث كان ، ويقف ينثر الماء عن ثيابه ويمسحه عن وجهه ومنظاره ان كان من حملة المناظير .

ويتجمل الناس بالصبر على امل قريب وتخف حدة المطر فعلا . ويخرج الناس من مكانهم مسلمين بانه لا بد من اداء نصيبهم من ضريبة الماء والوحل . ويعود انى الطريق شىء من نشاطه . ولكنها دقائق ثم تعنف الريح فجأة ، وتومض نار صفراء ، وتتوالى الانفجارات ، ويعود المطر اغزر واثقل واشد تصميما وكانما قد تجددت قواه بعد تلك الاستراحة القصيرة ، ويجد الناس نفس الشعور الذى كانوا يجدونه فى الغارات الجوية .

وتتكرر الظاهرة ، ويبدو ان الامر سيطول ، ويدرك المارة أن الانتظار ليس هو الحل الصحيح للمشكلة ، ويصبح واضحا ان على الحياة ان تواصل سيرها فى ذلك الظرف كما لو كان ظرفا دائما لا موقوتا ، وان عليها ان تأخذ المطر على انه أمر واقع ، فيكيف كل فرد نفسه

للموقف فيما بينه وبين نفسه او فيما بينه وبين رفيقه .

ولكن يبدو ان القاهرة ـ الحديثة طبعا ـ حين صممت لم يكن فصل الشتاء قد وجد بعد ، او كان هناك شتاء ولكن بغير امطار . فالقاهرة مدينة عاجزة تماما ازاء المطر .

ارتفع منسوب الماء فى الشوارع ودخل البيوت والمحال . اصبحت الشوارع قنوات ، والميادين بحيرات . تحولت المدينة الى فينيسيا موحشة . مخر الاوتوبيس العباب ، وانقطعت الحرارة عن الترام . اثارت السيارات امواجا عالية من الرذاذ المندفع يضيف الى المارة بللا ووحلا جديدا . ارتبك المرور وتعطل واصابه الشلل المؤقت . وعند المنحنيات متنوعة مختنقة غصت بماء المطر ، لم يعد ظاهرا منها سوى الجزء الاعلى من غطائها كأنه ذراعا غريق يستغيث ويشكو الى الله ظلم البلدية .

وفى شارع جانبى صغير كان صبى فى الثانية عشرة يخوض الماء منحنيا الى امام يدفع عربة يد كتلك التى يدفعها الرجال رصت فوقها حبات الطماطم الحمراء ، صابرا على المطر المنهمر ، هاتفا بين الحين والحين بصوت نحيل لم تدركه خشونة المراهقة بعد :

ـ حمرة عال يا قوطه .

قطع الصبى الشارع الطويل دون ان يدعوه احد ، واشتدت وطأة المطر على جسده الهزيل ، فتخلى فجأة عن عربته وتركها تقف منحرفة بالقرب من طوار الشارع المقفر ، وقفز الى الطوار تحت احدى الشرفات ، واسند ظهره الى الحائط .

كان يبدو كأنما هرب بنفسه من هذا السيل الذى طوح بلا نهاية . أما الطماطم فلا بأس عليها ، بل ان المطر قد غسلها ونظفها فبدت لامعة ناضرة . ولكن الصبى راح يعيد تنظيم ثيابه بحيث تصلح لمواجهة الموقف الشديد .

نثر قطرات الماء عن شعر رأسه ، ثم أخرج من جيبه غطاء رأس من الصوف يشبه خوذة جنود العصور الوسطى . فهو يغطى الرأس والاذنين ويدور حول القفا الاسفل فيلف الرأس لفا محكما احكم الفتى هذا الغطاء ثم مال على جلبابه فرفعه حتى ساوى ركبتيه منحسرا عن ساقين نحيفتين تختفى قدماهما داخل حذاء اكبر منهما قليلا ، ثم شد الجلباب الى وسطه بحزام حتى يظل مرتفعا عن الماء والوحل . وكان على الفتى سترة « جاكيت » بيضاء يكاد ذيلها ان يصل الى ركبتيه ، ويخفى كماها يديه ، فمضى يحكمها حول جسده بقدر ما يسمح زرها اليتيم .

اطمأن الفتى الى انه قد حصن بدنه ضد البلل والبرد فأحسن التحصين . ولم ينفق فى ذلك كله سوى بضع دقائق وكان المطر ما يزال ينهمر ، والبرق مايزال يلمع ، والرعد ما يزال يزمجر .

لم ينظر الفتى الى السماء يستنبئها ، ولم يمد يده الى المطر يقيسه ، بل لم يبد عليه انه يفكر فى هذا الموضوع ، فقد انطلق من تحت الشرفة ، وقبض على يدى العربة بأصابعه الصغيرة ، وانحنى نحوها بصدره ، ودفعها امامه كما يفعل الرجال فتحركت بحملها اللامع النظيف ، ومضى يسير متحديا المطر والبرد والرعد والبرق ليس بجسده النحيل فحسب بل كذلك بصوته النحيل الذى لم تدركه خشونة المراهقة بعد وهو يهتف .

ـ حمرة عال يا قوطه !

عبد الله خورشيد البحرى

الشاى والسيجارة وفجر أخضر !

بقلم : محمد الخضرى عبد الحميد

لم يكن بد من ان يظل (فنجرى) يتثاءب منتبها !..

صحيح ان الليل قد أوغل فى المروق من بهمته الداكنة الحالكة ، الى مشارف الثلاجة الفجر الوضاءة ، ومعنى هذا ان الخطر — على وجه التقريب — قد زال .. او انه — فى القنيل — قد خف وصار بعيد الاحتمال .. ولكن ، ومع ذلك ، فان « فنجرى » — كما الف من طول الممارسة والاعتياد — ما يزال يقظا ، متنبه الحواس مرهف المشاعر ، تكفى اية بادرة ولو كانت فى درجة خفق جناح بعوضة ، لان تجعله يهب كرعد خاطف واصبعه على الزناد ، وفوهة البندقية لمن تحدثه نفسه بأية خاطرة لئيمة .. بالمرصاد !!

وانداحت قتامة الليل تدريجا ، فاذا معالم (الغيط) تستبين شيئا فشيئا ، حتى أمسى « فنجرى » يستطيع ان يحدد بقدر عناء كبير مسالم وذوائب « نخلات الحاج عبد التواب » وحتى صار بمقدوره ان يعين بالضبط اين كان يكمن جاره اللدود : « يونس أبو عمر » !!

* * *

فى زرعتى قطن متجاورتين .. كان « فنجرى » و « يونس » يعيشان عيشا خير منه وارحم العراك السافر ، والهجوم البات الصريح !.. وليست هى أسابيع ، ولا هى شهور قلائل ، والا لكان فى الامكان التصبر والمجالدة .. ولكنها حقبة طويلة مريرة ثقيلة قاربت عاما كاملا ، وكل من الجارين العدوين يحيا — على كثب — كفأر وقط ، لا تفصلهما غير « مجراية » صغيرة ترتوى منها الزرعتان !!.. و .. « آه لو علم يونس !.. ولكن انى له ان يعلم ؟! .. ان يونس الان — وها هو يا رب فاشهد ! — يبدو من بين الاعواد الخضر المتوجة بنثار الذهب الابيض ، وظاهرة حركته فيما بين هذا المكان من زرعته او ذاك ، بل ويدل عليه بجلاء .. وينبىء عنه بوضوح ، بصيص السيجارة المشتعلة بين شفتيه !.. اترانى أريح نفسى من ضراوة هذا التوتر الفتاك الذى لا نهاية له على ما يظهر ، و « اناوله » رصاصة او رصاصتين ؟ !

هكذا راح فنجرى يحاور نفسه القنقة الواجمة !.. وهكذا افضى به الضيق النفسى — بلا ذنب جناه ، ولا جريرة اقترفها — الى هذا المنحى الخطر من التفكير اليائس الرهيب !!.. ولو ان « يونس » قد صدق وآمن بان لا يد لفنجرى فى قتل ابن عمه المرحوم « عبد البارى » ؟ !.. لقد قتل عبد البارى اى نعم ! وقتلوه فى حقول تقع فى زمام عائلة فنجرى .. هذا حق ، ولكن .. ولكن ما ذنب فنجرى ذاته فى كل هذا ؟! .. اشاعت القرية كلها ان « فنجرى »

هو القاتل ، فصار — من يومها — هو « الفدية » التى تدب على قدمين ، فى انتظار يوم الاضحية ويوم الفداء ! ! .. ولسوء الطالع كانت زرعة فنجرى تلاصق زرعة يونس الذى عهدت اليه عائلة المقتول تنفيذ القصاص !.. « ما شاء الله ! ! .. ويا لمهازل الصدف !.. » ، بذلك مضى فنجرى فى محاورة نفسه ، فراح ينفث من صدره انفاسا محمومة مكروبة .. ودفع بيده فى فتحة جلبابه بحثا عن لفيفة دخان ، وتحسس جيب « الصديرى » بيد .. والاخرى قابضة على زناد البندقية — لم تزل — فاذا هى سيجارة واحدة باقية من كل ما كان قد كدسه فيه من لفائف غزار ! ! ..

والقى بالاصابع المقرورة على باطن التربة تجس وتتحسس فاذا هو لا يجد أدنى بقية مما كان هنالك فى اول الليل من « قراطيس » انشاى ، والسكر ، و « المضغة » !

وصدرت حركة ذات رنين على كثب منه ، فهب منبطحا على بطنه وفوهة البندقية أمامه .. وبعينين حادتين لومضان بالتحفز المخيف لمباغتة الشر بالشر ، اخذ من خلال لوزات القطن المتفتحة يسبر غور هذه الحركة التى تشبه « تكتزناد » .. فلم ير ما يستتبعها من هجوم او انقضاض ، وانما راى وأولى خيوط فجر بارد ثقيل تنساب ببياض محفوف بغيوم رمادية فى عتمة الافق فى كهربية خادعة — راى ما يشبه الرميض المصحوب بأصوات مصمصة شفاة ، و « كركبة » كوز واكواب ! ! .. وابتسم « فنجرى » فى سخرية اليمة ، وانثنى الى « ذاته » الصديقة يحدثها كما اعتاد من كثر ما تآلفا وحدهما ما دام لا اتيس هناك ولا جار ، اذ أن أعدى أعدائه هو .. الجار .. ! !

« عال والله ! ! .. بيشرب شاى ! ! .. وانا لا شاى عندى ولا معى سيجارة ! ! .. وخرمان دخان يا اخواتى ! .. ومقريف سجاير وحياة الفرغل ابو احمد ! ! .. يعنى كان ضرورى المنيل على عينه ده يكون عدوى » ؟ ! ..

ولا بد أن مثل هذا الحديث الذاتى انصامت كان يمنح « فخرى » فى وحدته وقلقه وحرمانه من « الكيف » بعض الراحة النفسية ، والا لما كان قد وصل به الامر الى هذا « الادمان » فيه ، والا لما ابتسم الان فى اعقاب هذه « القفشة » انطريفة التى سامر بها نفسه ، ليخفف عنها ضيق « القريفة » و « الخرمان » الناجمين عن نفاد سجائره ، وشايه ، وسكره .. ! !

وبعد أن كان « فنجرى » متأزما بحق وحانقا بالفعل ، انقلب يأخذ الامر على محمل التسلية المرحة ، وتطويع الواقع الجهم الى مقام المرح المسلى .. فانشأ يبتسم ابتسامات بلهاء ممطوطة ، ويصطنع نظرات تمثيلية مبهورة يمدها فى كوميدية نزقة الى مكان العدو المنصرف بكنيته الى ارتشاف الشاى ، واحتلاب انفاس الدخان ! ! ..

وتمادى « فنجرى » فى هذره انصامت فلم يجد ضيرا فى أن يحاكى باصبعين خاليين من شىء بينهما ما تخيله من عدوه الذى يدخن ويشرب شايا فى ذلك الآن !!

وهرا البرد المثلوج قدميه الحافيتين فجلس القرفصاء ، ولم تكن العتمة انباهتة قد انجابت بعد من الافق شديد السكون .. سكونا يكاد يقرع الآذان لفرط غلوه واغراقه فى السكون ! ! .. ولم تحتمل اعصاب فنجرى كل هذا .. وبالطبع لا يدرى أحد ماذا دار بعد كل هذا التصبر فى اعماقه ، ولا ما اصطخب فى اغوار صدره .. ولكن الذى حدث منه هو انه فى ثوان كان قد حزم امره على شىء لم يترك لاى مؤثر خارجى أو داخلى ان يجادله فيه .. وهكذا سرعان ما زحف

على بطنه ، شـــيئا فشيئا ، وبلا اى صوت .. حتى برز براســه على حافة « المجراية » الفاصلة بين الزرعتين .. و .. وفى عزيمة اعتباطية قمارية مندفعة .. صرخ بأعلى صوته :

ـ يا يونس ..!!

ولم يأته رد !!.. ومعقول هذا !!.. اد لا ريب أن « اليـــونس » المنسجم فى قسمه الاخر الذى تشطره المجراية ، قد ارتعد .. لا رعبا : فهو طالب الثأر .. الدائن لا المدين .. وانما ! دهشـــة ، وذهولا ، وعجبا !!

معقـــول جـــدا ألا يرد يونس على الفور .. فانه لم يجد لسانا « مفرودا » ولا عقـــلا حاضرا ، ولا منطقا مطواعا . يستطيع ـ هكذا فجاة ـ ان يتصـــور كيف يحدث هذا الذى حدث من جاره « فأر المصيدة ! » المحكوم عليه سلفا بأن لا منجاة له منها !!.. ولكن ـ من الجانب الاخر ـ لم يقدر صاحبنا الذى « عمنها ! » أن « يسحبها ! » فصرح صرخة اخرى . اقوى ، وأعلى :

ـ واه يايونس !! .. يايونس ابوعمر !!

وهنا جاءه الرد .. ردا مدهشـــا متعجبا :

ـ فنجرى ؟ ؟ !
ـ ايوه فنجرى ..!!
ـ عاوز ايه يا فنجرى ؟ !
ـ خرمان !! .. عندك سجاير ؟ !
ـ عندى ..!!
ـ تفضل حداك شاى ؟ !
ـ فيه شوية فى السخان ..!
ـ اقدر آجى اشرب معاك سيجارة ؟ !
ـ . . . . . !!
ـ يونس ؟ !!!
ـ اتفضل يا فنجرى !.. فى الحالة دى تبقى ضيف !!
ـ يعنى .. امان ؟ ؟ !
ـ عيب !!.. هو احنا غيال ؟ !

وفى قفزة واحدة .. و .. وبلابندقية .. كان فنجرى ـ جنبا الى جنب ـ مع يونس !!

وكان يونس شهما كريما ، على الرغم مما يمتلىء به قلبه من عداء دموى ونيات مبيتة لهذا الجار المخاطر بروحه !.. كان شهما وكريما لانه لبى نداء جاره ، ولم يخيب رجاءه ، واستقدمه كضيف الى جواره .. ومن ثم فلم يتحرك قيد انملة من مجلسه ، ولم يمد يدا الى ابندقية ، ولا الى الخريطة المكدســـة بالخرطوش المنقاة على قيد شبر واحد منه !!.. واما فنجرى فقد جنس ، أعزل الا من قلب طفح فيه الكيل فانبجست انزبد النقية الكامنة فى اعمـــاقه واندفعت تطفو على السطح المغلف بالسواد !.. و .. لم يمـــد فنجرى يده الى السيجارة التى قدمها اليه يونس .. بل انبرى يقـــول .. معناه : « لا تفكر فى أننى جئتك اسعى على قدمى وراسى فوق كتفى ، من اجل سيجارة ، أو من اجل « شفطة » شاى !: .. انك لا تدرى يا يونس شيئا عمـــا دار فى نفسى من دوامات طاحنة عنـــد ما رايتـــك تدخن : ولا سجائر معى !!.. وتشرب شايا ولا شاى بقى لدى !!.. ليس معنى هذا بالطبـــع وبأى حال أن الحـــاجة الى السيجارة هى التى كانت ملحة !.. او الرغبـــة فى الشاى هى التى كانت شديدة ، لا يا يونس !.. فما كل هذه الاشياء الا وسيلة السمر فى « قعدة » انصفاء بين الاخوان والمعارف والجيران ! .. لقد قلت فى نفسى : « وماذا يمنع » ؟ ! .. أجل هكذا فكرت : « ماذا يمنعنى من ان أطلب من جارى ســـيجارة ولو كان عدوى ، مع انه ليس كذلك » ؟ !..

عندهذا تساءل يونس عن معنى العبارة الاخـــيرة : « مع انه ليـــس كذلك » ! .. فأجابه فنجرى بأن لا بد له ـ واقسم له اغلظ الايمان ـ فى قتل ابن عمه عبـــد البارى ، وان كل ما حدث هو أن لصوص

« البقية فى صفحة ٥٧٦ »

جوركى . . الانسان

« انى قوى الايمان بانه سياتى وقت يحب الناس فيه بعضهم بعضا ويغدو كل فرد اشبه بنجم يضىء امام أخيه الانسان طريق الحياة ويصغى الى رفيقه كما يصغى الى اعذب الالحان ، ويخطر الرجال احرارا على دايم الارض ، عظماء فى حريتهم ، ويجبى الجميع بقلوب لا يشوبها حسد او زيغ وتمحى من القلوب العداوة والكراهية فلا يعود ثمة شىء يفصل بين النفوس والحق وحينذاك نحيا حياة يسودها الحق والحرية والجمال »

كلمات كتبها الكسى مكسيموفتش بشكوف أو جوركى كما نعرفه وعبر بها عن حبه للحياة واعتنائه باظهار الجوانب الخيرية فى الطبيعة البشرية .

ولقد ولد جوركى عام ١٥٦٨ فى بلدة نوفجورا — جوركى — فيما بعد وتوفى عام ١٩٣٦ ومات ابوه الذى كان يعمل نجارا وهو فى الرابعة من عمره . . وفقد امه وهو فى الثانية عشرة وعاش مع جده وقد كان عليه قاسيا فخرج الى الحياة فتقلبت به وتقلب بها فتارة هو اسكافى وطورا حمال واخرى يلتقط الخرق من الشوارع ثم اجيرا على مركب ففسال صحون وهكذا مر جوركى على كافة المهن الوضيعة حتى وصل الى البؤس ووصل البؤس اليه واصبح يقضى جل وقته يفتش فى المزابل من كسرة خبز يسد بها رمقه او يسير بالشوارع شبه عار اللهم الا من بقايا أسمال قذرة يلف بها جسده الهزيل النحيل .

ولقد كان لهذه المهن التى عركها جوركى فى الحياة اثر فيما انتجه من ادب فقد حبته فى الحياة وفى البسطاء من الناس مما جعله يشذ عن الكثير من الكتاب الروس الذين كانوا يحملون على الانسان فلا يصورونه فى قصصهم الا اسود ما فى الطبيعة البشرية ولا ينشرون بين الناس الا اليأس والظلام والفساد والانحلال .

وكان جوركى لا يكتفى بان يؤكد لنا ان الخير اكثر اصالة من الشر بل كان كثيرا ما يصور الكثير من الشخصيات الفاضلة فى قصصه فقصته « الناسك » تتضمن صورة حية سامية لرجل طريد وفى كل قصصه يمكن ان نجد امثلة كثيرة لطريد « الناسك »

ولقد حمل جوركى على غيره من الكتاب وعلى نظراتهم السوداء التى تنشر اليأس والظلام والانحلال بين الناس فكتب فى عام ١٩١٣ عن دستوفيسكى يقول :

ان دستوفيسكى قد احس وفهم حتى سر اغوار الاحساس والفهم وسره ان يصور لنا مرضين : قوة العدمى السارية ونقيضها اى ماذوكية المخلوق العفن الفاسد وهذا الاخير وهو فى الاستمتاع بعذابه واظهاره للناس عن خبث وسوء نية . . ولقد احب دستوفيسكى تصوير النفس المضطربة البغيضة لانه كان رجلا معذبا ذا شعور مريض .

ويعبر جوركى عن حبه للانسان واستخدامه للتنظيم الاجتماعى كقوة تدفع

« البقية فى ص ٥٦٧ »

بين الفلسفة والعلم والقرآن

امل يتجدد

فى الوقت الذى تعنى فيه « الادب » بتطوير الازهر ، وتطوره ، وترسل فى ذلك المقالات المتتابعة ، فتعيش بذلك فى جو تاريخى ، اجتماعى ، دينى ، ترصد فيه ماضى الحياة الدينية ، ومعاهدها ، ورجالها ، وتنعم النظر فى رسالتهم الدينية والاجتماعية ، وكيف ادوها فيما سلف ؟ وكيف يمكن ان يؤدوها اليوم ؟ وما الذى يغيره التطوير والتطور للازهر من هذه الرسالة .

وكلما طال مقام « الادب » فى هذا الجو تتأمله ، وتعرضه ، وتتعمق فيه زاد شعورها بالواقع القاسى ، الذى يتجلى فى عزلة البيئة الدينية ، بأهلها ، ومعاهدها ، عن الحياة العامة ، تلك العزلة ، الموجعة ، التى ضيعت وتضيع على المجتمع الاسلامى فى مختلف اقطار الارض ، ما يمكن ان يستفيده ، من الوازع الدينى ، والحافز الدينى فى الاصلاح الاجتماعى والطموح التقدمى ، والحيوية الوثابة ، التى تمنحها الروحية الصافية ، وتمد بها تلك الشعوب الاسلامية المناضلة عن كيانها ، امام الطغيان والعدوان الذى يتخطفها اهله ، من كل مكان ، وهى مع ذلك كله ماضية فى تخلفها العملى ، اذا ما قيست بمن تناضلهم من الشعوب ، غربا وشرقا .

ويبعث هذا الشعور بالعزلة الدينية ، شعورا اشد ويلا ، وامعن قسوة على النفس وهو ما تحدثه تلك العزلة من ازمة نفسية وعملية ، تهدد تدين المجتمعات الاسلامية ، التى تتخطفها من كل ناحية هجمات ، منكرة للدين والتدين ، مقاومة لهذا النشاط ، محاربة له ، وقد استهوت لذلك ملايين من البشر وملايين .

فى هذا الجو من وحشة العزلة ، وقسوة الازمة تتجسم امامنا صعوبة اداء الرسالة الدينية ، اليوم ، بما تتطلبه من لباقة مرنة ، وخبرة واسعة لماحة ، وحس شاف مستشف وفن من القول وغيره ، يقرب الى النفوس تلك الرسالة النبيلة ، التى لن تؤدى اليوم بصورتها التى رسمت لها منذ قرون بعيدة ، وفى اجواء مختلفة ، كل الاختلاف ، عما يتقلب فيه المتدين اليوم ، ولن تؤدى تلك الرسالة بالاسلوب ، الذى عبرت عنها به السنة واقلام عاشت فى مجتمع يكبته الحكم الفردى التيوقراطى ، ويصدعه الرق بانواعه . وتمزقه الطبقية المادية البشعة ، وتفسده من امثال ذلك عوامل غير قليلة .

فمن لرسالة الدين اليوم ، بهذا الداعى ، الواعى ، الذى يتمثل الفرق بين اليوم الحاضر ، والامس الدابر ، والذى له من قوة النفس ، وسعة الافق ، ما يرفع به منار الحرية فى الفكر ، والاعتقاد ، والحكم ، والتصرف ، وتسعف ذلك الداعى الواعى من

هذا دقة حس ، يرسل بها تلك المعاني الدينية فى انغام ، واضواء ، والوان ، تبعثها الكلمات ، كما بعثتها بلاغة القرآن المعجز .

* * *

فى هذا الجو الذى أعيش فيه من أمر الدين ورسالته يحمل الى البريد صندوقا ثقيلا لم أحسب أنه لا يحوى الا كتابا ضخما من ورق صقيل ، تزيد صفحاته على خمسين واربعمائة ، وأول صفحة خاصة يقول صاحب الكتاب فى سطرها الاول :

« انما أردت من طبع هذا الكتاب ونشره أن أؤدى الامانة .

وأحب الى ان اسمع هذا النغم العذب الذى اختار منه الامناء شعارا .. ثم يزيدنى غبطتى ان أقرأ فى تلك الصفحة نفسها :

« انى لم أطبع من هذا الكتاب سوى ألف نسخة .. انى لم أعرض للبيع من هذه النسخ الالف شيئا مطلقا ، لكن فرقتها كلها ، على العواصم الاسلامية ، وقدمتها هدايا للجامعات العلمية ، والمدارس العليا ، والمكتبات العمومية ، والمؤسسات المعنية بالدراسات الاسلامية ، ولأكابر رجال العلم ، والفكر ، والصحافة الذين يهتمون بنشر الثقافة الاسلامية »

وليس هذا كل الذى اسمعه من نبيل التصرف ، بل امعن فى هذا واكرم قوله بعد ذلك :

« انه ليسرنى ويشرفنى ان اعطى الاذن بطبع هذا الكتاب ، أو ترجمته ، لكل من يتفضل ويطلب الاذن منى على شرط ان يطبعه طبعا انيقا أو يترجمه ترجمة صحيحة وان يعرضه للبيع بثمن معتدل » حتى يقول بعد ذلك

« ولا أسأله على ذلك أجرا ، ولا نفعا ، ولا مشاركة ، فى كسب أو ربح مطلقا بوجه من الوجوه »

وأسعد بهذه الاريحية ، التى استشرف اليها الامناء ، على رغم مخالفة الناس ، واشفاقهم علينا منها ، يوم قال هدفنا الاول :

« ألا يكون الفن ارتزاقا »

على أن ليس ذلك آخر المتعة ، ونهاية الغبطة ، بل ان الكتاب هو :

« قصة الايمان : بين الفلسفة ، والعلم ، والقرآن »

وهو كتاب ينفح الحياة والدين انفاسا ، عاطرة ، باهرة ، فاتنة من الفن ، فيما يعرض من « قصة الايمان » بأسلوب يعد من فن القول ، الجدير بهذا الاسم .

انها قصة الايمان ، يكتبها عالم دينى ، من بيت علم ودين اصيل هو العلامة الاستاذ الشيخ نديم الجسر ، مفتى طرابلس ولبنان الشمالى ، وما اشعر اتى بهذه الكلمة ، او بعشرات مثلها من الكلمات ابلغ ما أريد ، من تقدير لاريحية الشيخ ، التى نمت عليها انسانيته ، وايمانه ، وفنه ، وانى لاترك للمستقبل الذى يرنو اليه الشيخ تقدير عمله هذا والانتفاع به ، وحسبه رضا عن نفسه ، انه بصنيع هذا قد جدد أمل الاسلام فى رجاله ، ورد على الناس ثقتهم بهم وبمستقبل الدين على ايديهم يوم يكون ذلك المفتى نموذجهم ، فى الجهاد بأموالهم وانفسهم ، من اجل الايمان .

وانها لشخصية نفسية لا تجد على عملها جزاء ، الا رضاها النفسى ، رضى الله عنها وارضاها .

امين الخولى

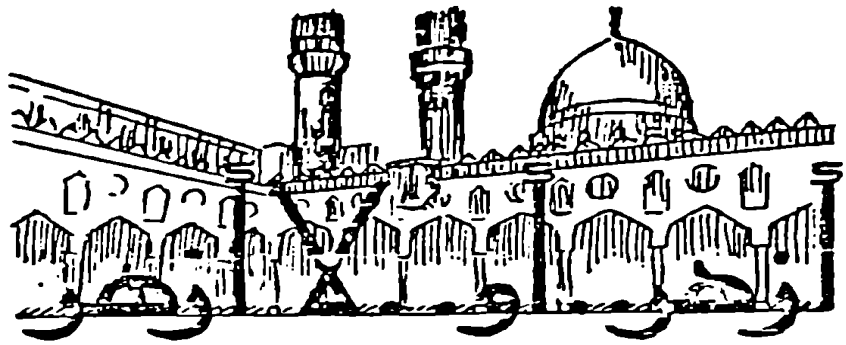

- ٢ -

ماذا كان الأزهر فى الحياة.. أمس

رأينا للازهر شخصية خاصة ، فى اطار الشخصية العامة ، للجماعة المصرية ، ضمن الجماعات العربية الاخرى ، مع الجماعات المسلمة بالوانها والسنتها المختلفة .

وبدا ان هذه الشخصية الخاصة احتكمت وتحتكم فى حياتنا ، بكل ما للماضى من اثر فى توجيه الحاضر ؛ وبذلك كان يرتبط بالازهر كل تطور لنا ، سواء أكان تطورا ثقافيا ، أم اجتماعيا ودينيا ، أم فنيا وغير ذلك .. وسواء أكان ارتباط هذا التطور بالازهر سلبيا أو ايجابيا ، بكل ما لنواحى الازهر من نشاط ، تدخل فعلا فى سلوكنا ومواجهتنا للحياة ــ الادب : عدد يناير ١٩٦٢ ــ ص ٤٩٢ وما بعدها ــ

* * *

ونريد ان نرى الآن بالضبط : ماذا كان الازهر ، صاحب هذه الشخصية الخاصة ، ذات الاثر ، الذى لاينكر فى حياتنا امس ؟ . . وبأى شىء كان ؟ .. وكيف كان ؟

ودعامة الفكرة ، فى هذه المحاولة ، لمعرفة عمل الازهر ، فى حياتنا ، هى شهادة الماضى بأسه الدابر ، واليوم بشاهده الحاضر ، مع ما بينهما من اجيال ، بشأن المسجد فى الحياة الاسلامية ، وانه كان مركزا ومحورا للحياة الاسلامية ، فى كل صور نشاطها .

وقد يكون للمعبد مثل هذا الشأن . فى غير الاسلام من الاديان ؛ لكنا انما نتمعن فى الاسلام بظروف بيئته الطبيعية المادية ، وظروف بيئته المعنوية ، من المستوى المدنى ، الذى بلغته الحضارة الانسانية ، فى اثناء الفترة الزمنية ، من القرن السادس الميلادى ، فما بعده .

وفى هذا الافق ننظر فنرى : ان المسجد كان المركز العام لنشاط هذه الحياة : فى صوره المختلفة : من السياسية ، دينية ، مذهبية ، بدوية كانت او حضارية مجارية للنظم المختلفة .. ومن الثقافية ، دينية ومدنية . امية كانت ، او متفلسفة : تنتفع بالحضارات العقلية ، القديمة او الحديثة .. وكذلك الامر فى الصورة الفنية ، والاقتصادية .. والاجتماعية .. وكل ما يرى من مختلف جوانب الحياة ، فى العربى من تلك الاقطار ، وفى غير العربى منها ، شرقا او غربا ، من انحاء العالم ..

فكان المسجد هو هو المسجد ، بمركزيته تلك ، حين كان فى صورته الاولى ، مفروشا

بالحصباء ، مسورا بمايعين مكانه ، من بين الاشياء ، بناء او غير بناء ، ومنبره جذع قديم .. كما كان هو هو المسجد ، بمركزيته تلك حين كان فى صورته المعمارية الفنية ، بهيكله الضخم ، واعمدته السامقة ، مزخرفا بالفسيفساء ، والرخام الفاخر ، يسيل الذهب على سقوفه وبواكيه ، وتشمخ منارات العالية ؛ فى ابهى ما تتصوره ، من مساجد الدنيا فى اقصى الارض وادناها ..

فكان المسجد الاول هو مركز القيادة ، تبرم فيها الشئون الحربية ، أيام الفتح الاول ، فمنه تعلن الحرب ، ويعد لها ، وتسير جيوشها ، ويراقب سيرها . وتتدارك مفاجأتها ، حتى ينادى « عمر » من المنبر : يا سارية .. الجبل ، فيما يروى .. واذا كان النصر فاليه يجلب الفىء ، وفيه يقسم .. وحتى حين تكون البزيمة ، ففيه يدبر تلافيها ، وينادى الناس للحاق ، وتغطية الموقف .. وانت واجد شواهد ذلك ، فيما تعرف من اخبار العهد النبوى ، وعهد الخلفاء ، اذ المدينة المنورة عاصمة الاسلام ..

ثم المسجد نفسه هو ذلك المركز ، بعد مئات السنين ؛ ففى الازهر يدق اهل الحسينية الطبول على مناراته ، ليعلنوا الثورة على حاكم معتسف .. وينضم اليهم أهله من الطلبة والمشايخ .. وعلى منارات هذا الازهر يعلن الفرنسيون انتصارهم ، فى مشارف الشام ، ويرفعون عليها رايات اسلامية غنموها .

وهم الذين يسلطون مدافعهم ، على هذا الازهر ، حين يثور عليهم المتمردون ، ويحتلونه ويربطون فيه خيولهم ، كأنه مركز القيادة العسكرية فعلا ..

وقد عرفته مصر فى ثورة سنة ١٩١٩ مقر نشاطها ، وملتقى شبابها ، ومصدر توجيهها .. منه تخرج المظاهرات ، واليه تنوب الجماعات ، لتعلن على منبره ، تصميم الارادة القوية على الحرية ..

وكان المسجد كذلك فى السلم دار الندوة : على منبره يعلن الخليفة خطة الحكم وبرنامجه .. وفيه تؤخذ البيعة بالرضا او بالقهر .. ومثل ذلك يجرى فى مساجد الاقاليم المختلفة ؛ يلقى الوالى على منبرها بيانه الرسمى ، عن اسلوب حكمه . .وعلى المنابر تتلى المراسيم الموجهة ، كما تعلق عليه المثيرات المهيجة ، كقميص عثمان ، واصابع نائلة ..

وبعد ذلك بأجيال يبايع الخليفة العثمانى ، فى مسجد ابى ايوب الانصارى .. وفى الازهر والى اهله يبلغ الفرمان بالموافقة على مطالب ارباب الحرف والصنائع ، حين ثاروا على غرامات قاسية فرضها عليهم المماليك ، فجاءهم الفرمان برفع ما ثاروا عليه ..

وفى المسجد ، وبه ، تركز الدعوة الاسلامية ، أول انتصارها بالهجرة . . وبالمسجد يقاومها أعداؤها المنافقون حين يؤسسون مسجد الضرار لها .. وبالازهر ركزت الدعوة الفاطمية ، فى مصر ، ولهذا انشىء .. والمركز اول ما ينشأ فى تخطيط المدينة ، وحوله تقام .. وكذلك كان تخطيط الازهر ..

وفى المسجد تكون المقاومة السياسية السلبية ، ويعتصم الشيوخ فى مسجد الشافعى ، عند اختلافهم على المشيخة ، وبلاطفهم الامراء فيهددهم المشايخ ، بأن انبلد بلد الامام الشافعى وهو يأمر بذلك ، ومن خالف أمره يخشى عليه .. !!

* * *

وفى المعرفة والحياة الثقافية ، كان المسجد الاول هو منزلها ، فى اعظم صورها ، فيه بنخ الرسول عليه السلام وحيه ، وبينه ، وعلم اصحابه اياه .. وفيه بعد ذلك جلس الاشياخ ، يروون

هذا الوحي ، ويدرسون كتابه .. ومضى المسجد فى مختلف العصور ، وسائر الاقاليم ، مهد الحلقات العلمية ، وموطن دراسات دينية اعتقادية وعملية ، تعلم فيها العبادات ، وتنشر فيها المقالات ، والنحل ، معتدلة ومنحرفة .. وقام الازهر بدوره فى الدعوة الشيعية ، واصولها واسرارها ..

وتطور المسجد واتسع ، والحقت به مدارس ، وانشئت المدرسة ، فى صورة مسجد فعلا ، كمدرسة السلطان حسن ، التى هى مسجد السلطان حسن الان ..

وكان للازهر دوره الظاهر فى هذه الناحية الثقافية ، كما كان له دوره البارز فيما راينا من الناحية السياسية العامة والاجتماعية .. وكانت المساجد حوله فى تطوراتها المتفاعلة مع المدارس على اختلاف الازمنة ، مكونة المعاهد وما يشبه الكليات الجامعية .

وجلى ان الدين قد اتصل بالعلم فى المساجد اتصالا اقتضاه مستوى الحياة العقلى فى هذا العصر ، من حياة البشرية ، اذ كانت المعارف اذ ذاك غيبية ، فاذا تطورت فهى عقلية نظرية ، يتوثق فيها الاتصال بين سير الحياة الدنيا ، والمآل الاخروى فى الدار الثانية ؛ وانا لنلمس هذا الاتصال ماديا شاخصا ، حين نعرف ان « عبد الرحمن كتخدا » صاحب الآثار الجليلة فى تعمير الازهر ، حين بنى مكتبا لتعليم القرآن لابناء المسلمين ، يجعل من هذا المكتب قناة توصل غسيل الواح اولئك الاطفال الى قبره ؛ كما نسمع ان احد امراء شمال افريقية ، حين بنى مدرسة لتعليم الدينى ؛ يجعل فى دار سكناه طاقة يسمع منها من يقرأ فى تلك المدرسة .. وبذلك كانت المدارس مع المساجد ، او منفصلة عنها ، تسمى دار القرآن ، ودار الحديث ، او تنسب لمذهب من المذاهب الفقهية ، فيقال : بنى فلان مدرسة للشافعية ، او مدرسة للمالكية .. وهكذا .

* * *

ومن انجانب العمنى الحيوى ، كان المسجد الاول مقر المنقطعين للعبادة ، من اهل الصفة ؛ وامتدت فكرة الاقامة فى المسجد فشرع التعبد بالاعتكاف فيه اياما ، على ما هو معروف .. ويتوسع الصالحون من ذوى الاموال ، والسياسيون الذين ينتفعون بالشعور الدينى ، فى تيسير حياة المقيمين بالمساجد ، من المتعبدين وفى اسكان طلبة العلم الذى كان المسجد — كما راينا — مركزه ومقره ، فيجرون عليهم الرواتب ، وانجرايات ، والطرائف فى المناسبات والمواسم ، فيبرون الاقامة فى المساجد ، وتبنى الابنية المختلفة لذلك ، وتكون المجاورة ، اى الاقامة فى جوار المسجد ، ويقوى ذلك حتى نرى المسجد تبنى معه الخانقاه ، التى هى مقر المتصوفة ..

والازهر يبدا فيه ذلك مبكرا ، منذ العصر الفاطمى ، ثم يرتب فيه مطبخ ، يكون مما يجرى عليه ، فى عهد الغورى ، عند حلول رمضان ، ستمائة وسبعون دينارا ، ومائة قنطار ، من العسل ، وخمسمائة اردب قمح .. كما يرتب فيه بعد ذلك فى اوائل القرن الحادى عشر ، جملة من العدس تطبخ كل يوم للفقراء ، فيتسامع الناس بذلك ، ويأتون اليه من كل فج عميق ، ويبقى من ذلك الى اليوم مكان مطبخ الشوربة واسمه .. الى ايامنا توزع فيه الجراية ..

وترى المجاورين بعد ذلك فئة لها صفتها المتماسكة ، التى تهدد النظام ، وتثور ، فيقفلون ابواب المساجد ، ويغلقون المسجد الحسينى ، ويخرج العميان والمجاورون ، يرمحون فى الاسواق ، ويخطفون مايجدونه من الخبز وغيره ، بسبب قطع رواتبهم ، واخبازهم المعتادة ، وبمفاوضة مع الاغا ، يلتزم لهم باجراء ارزاقهم ، ثم لا يفى ، فيضجون فوق المنارات ، حتى ينجز لهم بعض المرتبات ..

ويكونون بتكدسهم فى المسجد مثار

شكوى خلقية من سلوكهم ، فتساق القوى لاخراج من ينامون فى المسجد .. ولقد ادركنا الحياة فى الاحياء التى حول الازهر ، تتأثر الاثر السيىء والاثر انتجارى بوفود المجاورين الى الازهر فى العمانة ، وانصرافهم عند البطالة ..

* * *

الى هنا تجلت الفكرة عن مكان المسجد فى الحياة الاسلامية ، على اختلاف البلاد وتفاوت الاعصر ، وبان الازهر مثلا فى كل ناحية من نواحى تأثير المسجد فى الحياة .. وبهذا نستطيع أن نجيب عن السؤال الذى صدر به هذا المقال : **ماذا كان الازهر فى الحياة .. أمس ؟** وتكون الاجابة على أساس قوى من ذلك الايضاح .. وان كانت لاتجاوز النظرة الشاملة والعامة اذ لا فرصة هنا للوقوف عند كل عصر من عصور حياة الازهر ، التى جاوزت اليوم الف عام ..

وسنرى فى هذه النظرة ان الاثر من آثار المسجد فى الحياة يكون حينا مصدر خير ، وسبب مصلحة ، ثم يتغير فيكون مصدر جمود وتأخر ، حين تحفه ظروف سيئة ، ويستغله أصحاب نوايا رديئة .. وهو ما نحاول ان نصوره ، فى جوانبه الكبرى ، التى نظرنا منها قديما ، الى رسالة الازهر ، وهى : الجانب الاجتماعى : والجانب الدينى ، والجانب العلمى ، لنتمثل بجلاء ، ماذا كان الازهر فى الحياة حوله .. امس ..

الازهر .. والمجتمع

نرى اهل الازهر يتكوفون حوله . ويقيمون فيه كل الوقت ، أو عامة النهار ، من الفجر الى العشاء . كما انتهى الامر الى ذلك فى اليوم الدراسى عندهم .. **فكانوا بهذا فئة خاصة ، لها سمتها ودلها فى المجتمع ، ويبرز هذا التميز بمثل** المرسوم الممنوكى الصادر : « بان من مات من مجاورى الازهر ، من غير وارث شرعى ، وترك موجودا فانه يأخذه المجاورون بالجامع » فاصبحوا ذوى ارحام ، او ذوى ولاء ، او ما شئت من رابطة خاصة .

وكانت المجاورة للعلم ، وللعبادة ، فيكون لتصوف اثره فى هؤلاء ، وهو كما نعرف ذو شعارات مميزة ، ومظاهر خاصة ، **تؤكد تميز اهل الازهر ، بين فئات المجتمع عندنا .**

وقد كان لهذا التحيز والتميز اثره الحسن حينا ، فى ايجاد طائفة تتكلم عن الدين ، وباسم الدين ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، على طريقتها وفى حدود فهمها ، ويعتبرها المجتمع قدوة فى سلامة النية ، وصفاء الطوية ، واشاعة الطمأنينة والرضا ، فى نفوس ابناء الامة حولهم ، وانتصار الايمان والسلوك الحسن بتأثيرهم ، وحفظ التقاليد الصالحة لهذا المجتمع بفعلهم ودعوتهم وتعليمهم .. وكل ذلك يؤيده تشخص هذه الطائفة وتميزها ، ولانعدم امثلة منه فى التاريخ صالحة ..

لكن هذا التجمع المركز ، والتميز المشخص لطائفة ، **لا يلبث أن يتقوقع على نفسه ، ويحدث عزلة عما حوله ، كلما ازدادت مظاهره ، وثبتت مقوماته ، فما لبث هؤلاء الازهريون أن انعزلوا نفسيا وعمليا عما حولهم ، وضعف شعورهم وقل تقديرهم ، لما يجرى فى الحياة السائرة دائما ، فتأخرت خطاهم عن الزمن ، وساء فهمهم لما يقع فى الدنيا ، ووقفوا موقف الصداوة الغافلة لكل تقدم وتطور ، حتى ونبت الحياة وخلفتهم فى الغبار .. وكلما اتسعت الشقة زادت نظرتهم الى الخلف وتشبثهم بالامس ، والنص على كل تغير وتقدم .**

وهكذا تجد مع وقفاتهم السياسية والاجتماعية ، فى تمثيل سلطة الشعب وتقريرها ، وحماية الشخصية الاجتماعية

الشرقية والاسلامية ، مواقف من التخلف وسوء التقدير ، والانعزالية عن الناس والانفصال عن ظواهر نشاطهم ، مما جعلهم موضع التفكه عند الجماهير ؛ ونتجت عنه نتائج بعيدة فى تعويق التطور الاجتماعى فى الميادين العامه والخاصه ، فبعزلتهم اعاقوا التطور التشريعى ، حين لم يستجيبوا له وعطلوا محاولات اصلاح الاسرة وتربيه المرأة وانكروا التربية الفنية وحقروا كثيرا من التقاليد البالية ، فى الحياة لانهم اتبعوها وتعاملوا بها ، فكان الناس ينكرون على كل محاول للاصلاح مايقول فى ذلك ، لان هؤلاء امامهم يفعلون ذلك ويؤيدونه ، وكانت لهذه النواحى الاجتماعية وغيرها معارك ، ضاعت فيها جهود عقلية وعملية كانت تكفى لدفع عجلة الحياة دفعا يوفر علينا عقودا من السنين .

وننظر الى المعنى الاجتماعى نظرة واسعة الافق فنعتبر سياسة الامة ونظام حكمها ظاهرة اجتماعية ، ونجد لهذه الفئة التى تستفاها السياسة ، فى كل عصر ودين ، كما هو المعروف اجتماعيا ، من تعاون بين السياسة والدين ، فى اى صورة من الصور . . فان كان لهذه الفئة الازهرية وقفة طيبة فى الميدان السياسى حينا ، فان هذه العزلة التى يسوء بها التقدير مع الصلة المادية للارزاق والاقيات ، والرواتب والجرايات برجال السلطة وقفت هذه الفئة مواقف خاطئة خطرة ، فتحدثوا عن طاعة اولى الامر ، حيث يجب ان يتحدثوا عن افضل الجهاد عند الله وهو كلمة الحق فى مجلس حاكم ظالم ! ! وكانت من ذلك مآس موجعة . .

واذا عرفنا ماذا كان الازهر امس فى حياتنا الاجتماعية ، عرفنا كيف نقول بعد ، عن غد الازهر فى هذا الجانب .

الازهر . . والدين

مهما يكن الازهر فى نشاته مهدا لنحلة اسلامية لها اتجاهها الخاص ، الذى تنحاز به جانبا ليس هو الذى اتجهت اليه الجمهرة قبلها ، فى مصر وما حولها ، دون ان ننعتها بالرفض او نحوه من نعوت . . ومهما يكن تحوله بعد ذلك الى مذهب الجمهرة بطيئا او سريعا ، ومهما يكن ما تركه من اثر فى الحياة الدينية بمصر وما حولها ، مما يمكن ان يبنيه صاحب الدراسة للملل والنحل ؛ فيرى لذلك آثارا لا تزال باقية فى هذه المنطقة . . ومهما يكن اختلاط الفئة الازهرية التى تبين تكتلها فى الازهر بالصوفية ، على صورتها التى صارت اليها فى القرون الوسطى من التاريخ الاسلامى ، وما دخلها من تأثيرات تخالف كثيرا او قليلا المعانى التى يتمثلها أهل السنة ، على ما كان من خلاف او مشادة ، بين الصوفية والفقهاء . . ومهما يكن ذلك او غيره عمل الازهر فى الحياة الدينية . حين تدرس درسا نزيها دقيقا فقد كان الازهر فى حياتنا الدينية شيئا متميزا واضحا ، وكانت له فى حياة الاسلام ، وبين امم المختلفة صورة دينية معترف بها ، وكانت لهذه الحياة الازهرية المسجدية ، فى طابعها ، ولتلك الدراسة الدينية فى قوامها وهدفها — على ما سنرى — . . كانت لها فاعلية دينية لا ينساها مؤرخ الاسلام ، ولا ينكرها ، وكانت داعية حكام مصر وما حولها الى نوع من التأثر والتقدير الذى لاينكر ، للدين فى حياة تلك الجماعات البشرية . .

لكنا مهما نعتدل او نسرف فى تقدير اثر الازهر الحسن فى الدين والمتدينين ؛ لا نستطيع ان نهمل تقدير ما فعلته الفئة الازهرية فى الاسلام ، وحياة المسلمين فى مصر وما حولها . . فقد كان تميزها فى المجتمع الاسلامى مدعاة لتحميلها تبعة ما تخلف فى الحياة الدينية ، من رواسب لو لم يكن على الازهر منها الا انه لم يقاومها المقاومة الرادعة لكفى . . فقد كانت العزلة الانفصالية ، التى تبيناها وشرحناها فى هذا المقال ، وكان الخليط الذى حواه الازهر ، بين مجاوريه . . كان كل ذلك ذا اثر فى ظواهر دينية ، ليست مما يعرفه الاسلام النقى الخالص ، فقد ضاقت الحرية الدينية ، التى عرفتها سماحة

الاسلام ؛ حتى انتهى هذا الازهر الشيعى الاساس الى انكار الاعتزال ، وعده اثما كبيرا .. وانتهى الى الاسراف فى كرامات الاولياء والتكفير بانكارها ، وعاون على المبالغة فى تقدير الاضرحة ، أو اقرار ما تاصل من تقريرها ، ولم يصنع لشىء من محاولات محمد بن عبد الوهاب بما هو مجدد ، بل كانت الوهابية ، حتى ايامنا فى الطلب وصمة كبيرة وكان للكثير من البدع فى الموالد ، والمواسم ، والمظاهر الدينية شىء من سند فى هذه الفئة الازهرية .. وهل كان الارتزاق ، بل التسول بالقرآن ، بعيدا عن هذا التاثر !! وهل كانت قراءة البخارى اجتلابا للنصر الا من عمل أهل هذا الازهر ! .. وهل كانت الاوقاف على ذلك ، وعلى قراءة دلائل الخيرات ، والفواتح الا مما انتفع به أهل الازهر .. وأظهر ما تركه الازهريون من أثر سيء هو الطابع الكهنوتى الذى أضفوه عليه ، حين طالبوا بالفروة يلبسها شيخ الازهر ، وكانت المظهر الذى يطالب به فريق فريق الشيخ العروسى ، وفريق الشيخ العريشى ، حين اختلفوا على المشيخة ، وفى جوهم هذا الذى يطلبون فيه التتويج يستعملون السلطة الكهنوتية الخادعة فتسمع فيما مر من خبرهم بهذا المقام : انهم يقولون للامراء : ان الشافعى يقول ذلك ومن خالف امره يخشى عليه .. فهل نعجب بعد ذلك مما كنا نشهده ، من قطع عرض — عرفحال — فى الامام الشافعى ، يكتب ويرمى فى المقصورة ، فلا يمضى طويل وقت ، حتى يقضى الامام الشافعى فى القضية ، المرفوعة اليه ؛ لانه فيما يحلفون : الامام الشافعى الذى قضى على امه وابوه ، وليس هذا على العامة بكثير ، اذا قال شيوخ الاسلام : ان الشافعى قال لهم ..

ومن هذه الظلال الكهنوتية هذا التلقيب — حتى اليوم لشيخ الازهر بالامام الاكبر فاى امامة كبرى هذه !! ولسنا نحن بالامامية ، القائلين بالامام المعصوم ، او المنتظر ؛ ولا شيخ الازهر خليفة الرسول — ص — ، فقد ذهب عصر الخرافة ، ولن تكون هذه الخلافة اللاهوتية .. ولا شيخ الازهر بالمجتهد المطلق ، حتى يكون اماما ، فضلا عن الامام الاكبر .. وما هى الاصداء مريبة ، لا يعرفها الاسلام ، كما صوره رسوله ، وعرفه اهله ، فى عصر حيويته !!

* * *

وفى جملة من القول عن الدين والحياة نجد ان هذه الفئة الازهرية الصوفية الكهنوتية قد كان من اثرها ابعاد الدين عن الحياة ، وما اصاب الحياة من هذا الابعاد ، وما اصاب الدين كذلك منه ، وايسر ما تظل منه على هذا الاثر صون حفظة القرآن ، فقط ، فضلا عمن شدوا شيئا من علم الدين عن الجندية ، وضريبة الدم ، تشريفا لهم ، مع أن ذلك ليس الا شبيه ما فعله الاسلام مع الذمى حين اعفاه من مهمة الحماية العسكرية لبلده .. ولا تبعد اذا قلت ان الذين حملوا السلاح من غير هؤلاء الازهريين — الذين لم يكتب القتل او القتال عليهم بل عليهم جر اكمال الفرجيات قد ادركتهم خسائر الاخطاء فى فهم الدين ، وادركت الدولة على يدهم ، حين كان أحمد عرابى بنزعته الدينية غير المستنيرة ، والتى كان بسببها يدعى بين زملائه الشيخ أحمد عرابى قد استنصر فى ثورته الوطنية الكبرى بقراءة البخارى ، الذى سأل عنه بعد ذلك أحد الخواجات : ليعرف : قوة كم حصان هذا البخارى ؟ .. ولنعرف نحن ما لفاجعتنا الكبرى ، بهزيمة ، القتل الكبير وتدفق الاحتلال بعدها ، من الصلة بهذا الفهم الخاطىء للدين ، الذى كان طريق المدبرين لخيانة العظمى ، فجعلوا الجنود ليلة الوقعة يحيونها بالذكر الصوفى ، وينامون بعد هذا الرقص الهستيرى مجهدين فيصبحهم الانجليز فى الفجر ، وهم نيام بعدما اخذتهم الجلالة ..

وهذه الفئة المعزولة عن الحياة .

المحتكرة مع ذلك للدين ، والاخذة بمفاتيح جنته تظل تبعد بالاسلام فى مصر ، عن حركات الاحياء والتجدد ، التى عرفت فيما وراء مصر من الشرق ، عربيا وغير عربى ، حتى تجيء عوامل هذا الاحياء والتجديد من خارج مصر ، على لسان « الافغانى » ويده ، فتقف هذه الفئة فى وجه مدرسته وقفاتها التى لم تدع حركة التجديد تثبت دعائمها ، وتمضى فى طريقها ، او تتقدم بشىء من السرعة ، بل لو قلت : انها تتعثر حتى اليوم لم تبعد .. وحسبك من الشواهد فى ذلك ان الازهر وقد صارت له اليوم صحافة ، واخذ ينشىء بظواهر التمدن ، فحلقوا الشوارب ، وصففوا الشعور ، وقذفوا بالعمائم بعيدا ، ومع ذلك كله يكتب فى مجلتهم كتب يندد بحظ المشايخ فى حدوته تاريخية ، وقد فيها على الاسكندرية اسطول حربى عدو ، فلما اخبر الوالى المشايخ به اجتمعوا وقرءوا له فاتحة ، فسلط الله على الاسطول ريحا بددته او اغرقته ! ! ولكن هذا المقال الذى كان يمكن ان يكتب فى مصر منذ اكثر من خمسين سنة ، لم تخرج به المجلة ، بل اوقف نشرها ، وفصل منها المقال ، بعد طبعه ، واجيز توزيعها بعده .. وهكذا حدثنى صاحب المقال نفسه .. والعهدة امام الحق عليه ..

ونكتفى بهذا الحديث عن الازهر فى حياتنا الدينية امس ، فبعضه نعرف كيف نقول بعد : كيف يكون الازهر فى حياة المسلمين .. اليوم ..

* * *

الازهر .. والعلم .. اذا ما تذكرنا المساجد العلمية فى الازهر ، على اختلاف مذهبها شيعية وسنية ، فاننا لا ننسى اماكن التعليم فى الحياة الاسلامية غير المساجد ، .. لا ننسى دور الحكمة ، والمكتبات .. ولا ننسى المارستانات لتعليم الطب ، ولا ننسى المدارس الخاصة ، وبيوت الاشياخ ، واشباه ذلك ، مما يقف عنده دارسو الحياة التعليمية فى الاسلام ، لكنا حين لا ننسى هذه المواطن الاخرى للتعليم غير المسجد ، ونذكر مع ذلك هذا الازهر بما هو مسجد تعليمى فاطمى ، تمثل امامنا بيئة تعليمية اخرى فاطمية المنشأ ايضا ، وهى دار الحكمة التى انشئت فى مصر ، على عهد « الحاكم بامر الله الفاطمى » ووصفت بالاعداد العظيم لمكتبتها ، مع مجالس الدرس فيها ، للعلوم الدينية ، وغيرها من الدراسات اللغوية ، والادبية ، والفلسفية ، مما لا مجال هنا لاجمال منه ولا تفصيل — وانما ثار الانتباه اليها لما لابد منه ، فى الحديث عن الازهر من اشارة الى التعليم الدينى وغيره ، واماكن ذلك التعليم ..

على انا مع هذا اللمح الطائر نشير الى ان دار الحكمة التى انشئت بعد نحو ثلث قرن من انشاء الازهر قد اختلفت عنه فى اشياء ، صار له فيها اخيرا الشهرة الغابة ، فقد بدا هو شيعيا بحتا ، فيما درس فيه اولا ، وفيمن اقيم فيه من الرجال ، وبدات دار الحكمة الفاطمية ، سنية الى جانب شيعيتها : فى خزانة كتبها الهائلة الكتب السنية ، وبين رجالها علماء سنيون ، وفى دروسها ما ليس شيعيا ، واذا ما كانت نهاية الازهر الشيعية قد تاخرت حتى حققها الايوبيون فان دار الحكمة الفاطمية قد استولى عليها السنيون ، بعد نحو مائة وعشرين سنة ، فاغلقت ..

وبهذه الاشارة تتجلى الفكرة العلمية فى الازهر ، ودينيتها ، وان الازهر فى هذا الميدان قد عمل على استمرار التوارث العلمى ، وتتابع الاجيال فيه ، مع اختلاف ذلك ، باختلاف العصور والمؤثرات ، على انه لم يلبث منذ القرن العاشر ، وخلال ما يقرب من اربعة قرون ، ان صار بيئة علمية واضحة الشخصية ، لها شيخ معين ، وعمل علمى ذو اتجاه واضح ،

وهذا بذلك صفحة فى التاريخ العلمى لا تنكر ، مع ما لغيره من مواطن التعليم التى سبقت الاشارة اليها قريبا ، من مدارس ومنازل ومارستانات وغيرها ..

ولكننا لانسى فعل الزمن وتطوراته فى هذه البيئة ، وما كان لها من خصوصية حددت عملها وتعليمها بوضعها الاجتماعى بما هى فئة سبق وصفها ولها طابعها الخاص كما حددت علميا وتعليميا صفتها الدينية المسجدية .. وذلك تاريخ يفصل ولا نلم منه الا باكبر الخطوط من سيطرة المعنى الدينى فى الدرس ، حتى يتقرر ازهريا ان مبادىء كل فن عشرة من بينها حكم الشارع فى العلم المراد درسه ، وجلى ان هذا الحكم الشرعى يفضل العلوم الدينية المحضة ، ويقبل الى جانبها ماهو وسيلة اليها كالدراسات اللغوية والادبية وبعض الرياضيات لانها لازمة للجانب الفقهى العملى وهو الفرائض والمواريث ، او الجانب المبادى العملى وهو الصلاة ومواعيدها وتحرير قبلتها والصوم وهلاله .. الخ ، فهذا يحوج الى شىء من العقل واذا كان الواقع العملى يحوج قهرا وعلى مخالفة لنزعات صوفية الى العناية بسلامة الابدان فالب قد يقرأ فى الازهر قديما وقريبا ، فكان عبد اللطيف البغدادى الرحالة حين وفد على مصر يقرىء الناس الطب نظريا فى الازهر .. وفى القريب نجد شيخ الازهر الشيخ حسن العطار الذى اتصل بالفرنسيين فكان يعلمهم العربية ويستفيد منهم معارفهم الجديدة له رسائل فى الطب والتشريح كما له رسائل فى الرمل والزايرجة .

وعلى هذا الاساس من نظر الازهر للعلوم كانت مقاومة الدراسة الفلسفية وتحريم المنطق كما ان انفصالية وانعزالية أهله التى تكررت الاشارة اليها ، فى هذا الحديث لم يستبعد عليها ان تفتى بحرمة تاليف الكتب وتعتبره مضيعة للوقت ، وينادى بذلك من يسمون علماء وهكذا حرمت الامة من الدراسة الادبية المقومة لمزاجها لانها ليست الا الات ووسائل للمقاصد من العقيدة والشريعة وجمدت الدراسة الادبية حين شلت الدراسات الفلسفية حتى انفوا فى قريبهم من دراسة « تهذيب الاخلاق المسكوية » لانه مختلط بالفلسفيات .. ومثل هذا الافق لابد ان تجمد معه الدراسة الشرعية نفسها ، وتصير الى الترديد التلقينى لمقررات قديمة ومماحكات فى الحواشى والتقارير وامثالها .. واما الاتصال بمصادر الاضواء العلمية الخارجية فذلك مالا مجال له ، وهم انفسهم مع قديمهم فى معرفة بعض العلوم العملية قد كان تدريس الجغرافيا فيهم فى مطلع هذا القرن مجال صراع غير يسير .

ولا يزال بينهم من يشق بان كل محاولة لادخال دم علمى جديد الى الازهر محاولة خاطئة فاسدة فاشلة اخيرا ، وان كان ذلك من قولهم وميض النار خلل الرماد

واذا عرفنا ماذا كان الازهر فى حياتنا العلمية .. امسى عرفنا الطريق الى القول فيما يكون الازهر فى حياتنا غدا

وقد طال نفس القول فمعذرة وأملا فى الا يكون هذا فى قابل الحديث .

امين الخولى

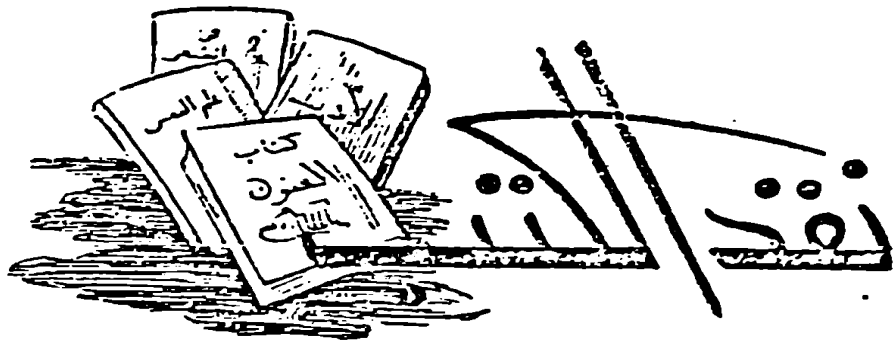

القص والكلاب

قصة : نجيب محفوظ
بقلم : ماهر شفيق فريد

اذا كانت الرواية العربية قد تطورت في العقود الاخيره من هذا القرن تطورا جذريا يتخذ ادباؤنا فيه موقفا اجتماعيا واضحا معبرين عنه فى اشكال فنية ناضجة فان نجيب محفوظ ابرز رواد هذا الاتجاه . لقد ادرك منذ شروعه فى الكتابة ان الفن فى كل صوره التزام وان كان الوقت ذاته جوهرا لايجوز التضحية بقيمته الجمالية فى سبيل هدف او مبدأ (١) ومراحل تطوره الادبى تعكس فى وضوح انه يزاوج بين الفن الجميل والهدف النبيل مزاوجة عادلة فكما ان الايمان بالفن مرحلة ثابتة فى خط تطوره الادبى فان الافكار الاجتماعية لاتفتأ تنمو فى كتاباته نموا عضويا وتكتسب قيما جديدة على الدوام وتفيد من احدث التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى يجتازها عالمنا . لقد بدأت افكاره المتطورة بالفكرة الوطنية فى الفترة التى شغلت فيها الاذهان القضية المصرية ومن ثم رايناه يعالج مشاكل الحاضر من خلال احداث الماضى فى اعماله (عبث الاقدار ١٩٣٩) ، (رادوبيس ١٩٤٣) ، (كفاح طيبة ١٩٤٤) ورايناه يعبر عما كان ينقاه المصريون من اضطهاد سياسى واجتماعى واقتصادى فى اعماله (القاهرة الجديدة ١٩٤٥) ، (خان الخليلى ١٩٤٦) ، (زقاق المدق ١٩٤٧ ؛ (السراب ١٩٤٨) ، (بداية ونهاية ١٩٤٩) ورايناه فى ثلاثيته (بين القصرين ـ قصر الشوق ـ السكرية) يبلور حياة المجتمع المصرى كله منذ تولية السلطان فؤادعام ١٩١٧ حتى انتهاءالحرب العالمية الثانية١٩٤٩ (٢) ورايناه يحارب استغلال الاقوياء للضعفاء فى (اولاد حارتنا ١٩٥٩) واخيرا رأينا افكاره تصل الآن الى غايتها الطبيعية فى قصته (القص والكلاب ١٩٦١) فهى تكاد ان تكون دعوة جهيرة فى شكل فنى الى الاشتراكية .

---

(١) برنامج مع الادباء « حلقة مع الاديب نجيب محفوظ ـ قدمها فاروق شوشة »
(٢) اعترافات نجيب محفوظ ـ بقلم يوسف الشارونى ـ مجلة صباح الخير

والحق اننا نتجاوز فى القول كثيرا لو اعتبرنا هذه القصة بداية التيار الاشتراكى فى اعمال نجيب محفوظ (٣) فان الفكرة الاشتراكية لازمته فى اعماله الفنية منذ عام ١٩٣٨ وعاشت فى وجدانه وعقله وضميره قبل التعبير عنها فترة من الزمن دون شك وربما كان اتجاهه الى الاشتراكية ناتجا عن امور ثلاثة هى اطلاعه على آلام المجتمع المصرى الناشئة عن سوء توزيع الثروة وتلمذه على سلامه موسى مدة طويلة وادراكه ان الاشتراكية هى النهاية الحتمية لكل تقدم فكرى وخلقى واجتماعى فى عالم اليوم .

(اللص والكلاب) قصة متوسطة الحجم من النوع الذى يسمونه *nouvelle* فى الفرنسية وهذا النوع ليس فيه تعقيد خيوط العمل الروائى واتساعه وليس هو اللقطة السريعة التى تميز القصة القصيرة ولكنه مزيج منهما(٤) ولما كان الموضوع يملى شكله الفنى فان دوران القصة حول بطل واحد يمضى الآخرون فى فلكه دفع المؤلف الى التزام التركيز فى الافكار والدقة فى التعبير والقصد فى الوصف . وهكذا نرى ان فى هذه القصة لصا يلعب دور البطولة وكلابا يوجدون عنصر الصراع معه فاذا كان اللص ضحية للقسوة والخيانة والغدر فان الكلاب يمثلون فى القصة جناية المجتمع وعطش الاستغلال وبشاعة الخيانة .

وقد آثر نجيب محفوظ ان يركب فى هذه القصة وعرا فادارها كلها على طريقة المونولوج الداخلى واجرى الاحداث من خلال وجدان النص وحده ولا يخفى ما فى هذه الطريقة من مخاطر اقلها ان يستحيل النهر الجارى مستنقعا عديم الشكل (٥) او ان يدفع المؤلف دفعا الى السذاجة او ان يجرى على لسان ابطاله هو .. نجا نجيب محفوظ من هذه المخاطر جميعا لانه اكثر رواثينا صدقا مع نفسه واطلاعه على اصول فنه واخرج لنا عملا فنيا ممتازا يستمد امتيازه من سمو الافكار التى يدعو اليها ومن انسياب تيار المونولوج الداخلى فى سلاسة منقطعة النظير ومن واقعية الحوار الذى يدور بين الشخوص ومن التوازن القائم فى القصة النفسية ومن قدرة اجزاء السرد الموجزة على تبصيرنا باللحظات التراجيدية الحاسمة .

اللص فى هذه القصة هو سعيد مهران خرج من السجن بعد ان امضى فيه اعواما اربعة ، ويصف نجيب محفوظ لحظة خروجه من السجن فى هذه العبارة الموجزة الباهرة القاطعة :

« مرة اخرى يتنفس نسمة الحرية ولكن فى الجو غبارا خانقا وحرا لايطاق وفى انتظاره وجد بدلته الزرقاء وحذاءه المطاط وسواهما لم يجد فى انتظاره احدا ها هى الدنيا تعود وها هو باب السجن الاصم يبتعد منطويا على الاسرار البائسة هذه الطرقات المثقلة بالشمس وهذه السيارات المجنونة والعابرون والجالسون والبيوت والدكاكين ولا شفقة تفتر عن ابتسامة . وهو واحد خسر الكثير حتى الاعوام الفالية خسر منها اربعة غدرا وسيقف عما قريب امام الجميع متحديا .. ان لتغضب ان ينفجر وان يحرق ولتخونه ان ييأسوا حتى الموت ولتخيانة ان تكفر عن سحنتها الشائبة .

---

(٣) طريق الفن الى الاشتراكية ـ بقلم احمد عباس صالح ـ جريدة الجمهورية

(٤) كثير من الاعمال الفنية الكبيرة كتبت فى هذا القالب مثل : العجوز والبحر الهمنجواى والحب الاول لتورجنيف والذئب لفولكنر الخ ..

(٥) خطوات فى النقد ـ تاليف يحيى حقى ـ ص ٢٨٣ .

ومن هذا المطلع ينقلنا نجيب محفوظ الى الحركة الثانية فى القصة ويضعنا امام موقف درامى من الطراز الاول فان السطور تدل على وجود خيانة كبيرة موجهة الى النص من المجتمع وكنه هذه الخيانة ان احد افراد عصابة النص « ويدعى عليش سدرة » اوقع به وحمل زوجته خلال سجنه على انطلاق منه وتزوج بها مستوليا على مروقته المحفوظة لديها وضم اليه ابنته الصغيرة سناء . لا غرو ان يفقد النص سعيد مهران رشده ازاء هذه الضربات القاصمة ولا غرو ان يكون متعطشا الى الانتقام . ولذلك كان من الطبيعى ان يتجه الى بيت عليش سدرة تابعه الذى اوقع به لكى يصفى حسابه معه واسترد ابنته ولا ادل على حالته النفسية وهو ماض فى الطريق من قول نجيب محفوظ .

«انسيت يا عليش كيف كنت تتمسح فى ساقى كالكلب ؟ الم اعلمك الوقوف على قدمين ؟ ومن الذى جعل من جامع الاعقاب رجلا ؟ ولم تنس وحدك يا عليش ولكنها نسيت ايضا تلك المراة النابتة فى طينة تتنه اسمها الخيانة (١) ومن خلال هذا الكدر المنتشر لايبسم الا وجهك يا سناء وعما قريب ساخبر مدى حظى من لقياك عندما اقطع هذا الشارع ذا انبواكى الغابة طريق الملاهى الرائد المصاعد الى غير رفعة اشهد انى اكرهك الخمارات اغلقت ابوابها ولم يبق الا الحوارى التى تحاك فيها المؤامرات والقدم تعبر من آن لآن نقرة مستقرة فى الطوار كالكيدة » .

ويصل سعيد مهران الى البيت الذى يضم غريمه وزوجته وابنته فاذا باتباع غريمه يحدقون به ويلاقيه عليش زاعما انه لم يقترف ذنبا حين تزوج امراته نبوية وضم ابنته سناء واخذ امواله المروقة ويؤمن الكلاب على كلامه ثم يستقر الراى على ان يسمحوا لسعيد مهران برؤية ابنته ، من باب الرحمة ، وهنا تكون الحركة الثالثة فى القصة :

« وقام عليش ليجىء بها وعندما ترامى وقع الاقدام خفق قلب سعيد خفقة موجعة وتطلع الى الباب وهو يعض على باطن شفتيه وظهرت البنت بعينين داهشتين بين يدى الرجل وتبدت فى فستان ابيض ضيق وشبشب ابيض كشف عن اصابع قدميها المخضوبتين فالتهمتها روحه . وجعلت تقلب عينيها فى الوجوه بغرابة وفى وجهه خاصة باستنكار لشدة تحديقه فيها ولشعورها بانها تدفع نحوه . واذا بها تفرمل قدميها فى البساط وتميل بجسمها الى الوراء لم ينزع عنها عينيه ولكن قلبه انكسر حتى لم يبق فيه الا شعور بالضياع » .

لقد انكرت سناء اباها لانها لم تره منذ اربع سنوات ولم تكن قادرة على تمييزه فى غرارة الطفولة وعندما تتجلى نظرات الشماتة فى اعين الكلاب يؤمن سعيد مهران بان جلد السجن ليس بالقسوة التى كان يظنها ويخرج جريحا من الموقعة باحثا عن عزاء فلا يجد غير الباب المفتوح من اقصى الزمن امام المتعين باب الدين ممثلا فى بيت شيخ الطريقة « على الجنيدى » فى الدراسة ذلك البيت الذى كان يقصده مع ابيه فى طفولته حيث يشهد الاذكار ويسمع الاناشيد . وعندما يصل الى البيت يجد الشيخ الجنيدى غارقا فى التمتمة متربعا على سجادة الصلاة ومازال الفراش البسيط لصق انجدار الغربى وشعاع الشمس المائلة ينسكب من كوة ورائحة البخور مستقرة كانها لم تتبخر منذ عشرات السنين . ويقدم لنا نجيب

(١) يعنى سعيد مهران زوجته التى اتفقت مع عليش على الايقاع به وقبلت الزواج منه .

محفوظ موقفا بالغ الروعة نرى سعيد مهران فيه يقص على الشيخ متاعبه وقد انتفخت عروق جبينه غضبا ولكن الشيخ سارح فى سبحاته الروحية لا يلقى اليه بالا ولا يزيد عن ان يقول له كلما سأله المشورة : توضأ واقرأ .

« ها هو ابى يسمع ويهز رأسه طربا ويرمقنى باسما كأنما يقول لى اسمع وتعلم وانا سعيدواود غفنة لاتسلق النخلة او طوبة لارمى بنحة واترنم سرا مع المنشدين . آخر خيط ذهبى يتراجع من الثرة واسامى ليلة طويلة هى اولى ليالى الحرية وحدى مع الحرية او مع الشيخ الغائب فى السماء المردد لكلمات لا يمكن ان يعيها مقبل على النار ولكن هل من مأوى آخر آوى اليه ؟ ! » .

ويجد سعيد مهران فى الدين ملجأ سلبيا لا يرد اليه حقوقه ولذلك يسعى الى «رءوف علوان» طالبا نجدته ورءوف هذا كان طالبا ريفيا من طلاب الحقوق يسكن فى عمارة الطلبة التى كان والد سعيد مهران بوابا لها واقنع رءوف ابا سعيد بادخال ابنه المدرسة قائلا انه سيكون من العظماء وعلم سعيدا كيف يقرأ الكتب وبث فى روحه الثورة والحماس وحضه على السرقة من اموال الاغنياء وهذا سعيد مهران يخاطبه فى خياله :

« رءوف علوان : انت الثورة فى شكل طائب وصوتك القوى يترامى الى فى قوة توقظ النفس . عن الامراء والباشوات تتكلم وصورتك لاتنسى وانت تمشى وسط اترانك فى طريق المدبرية بالجلاليب الفضفاضة وتمصون القصب وصوتك يرتفع حتى يغطى الحقل وتسجد له النخلة تلك هى الروعة التى لم اجد لها نظيرا ولا عند الشيخ الجنيدى . وبفضلك وحدك الحقنى ابى بالمدرسة وعلمتنى حب الكتاب وناقشتنى كأنى ندلك ويوم اعتقلت ارتفعت فى نظرى الى السماء وارتفعت اكثر يوم رد حديثك عن السرقة الى كرامتى » .

فى المقابلة بين هذه الصورة التى كان عليها رءوف علوان والصورة التى صار اليها تكمن المأساة الكبرى فى القصة فان سعيد مهران قصد الجريدة التى يعمل بها الاستاذ رءوف أملا فى لقائه ولما تعذر اللقاء ذهب اليه فى مسكنه . وهناك كشف الصحفى عن وجهه النقاب فانه استكان الى الثراء الفاحش وتنكر لمبادئه الاشتراكية واصبح واحدا من الطبقة التى كان يهاجمها بالامس . وادرك سعيد مهران ان الافكار الثورية التى بثها فى نفسه الاستاذ رءوف ادخلته السجن فى حين ان صاحبها ينعم اليوم بالجاه والثراء ولكنه تناسى هذا الجرح الاليم وسأل استاذه ان يبحث له عن وظيفة لانه عاطل غير ان الصحفى تخلى عنه فى نذالة تامة وودعه دون امل فى اللقاء .

« هذا هو رءوف علوان الحقيقة العارية جثة عفنة لا يواريها تراب اما الآخر فقد مضى كحب نبوية او كولاء عليش . تخلقنى ثم ترتد وتفر بكل بساطة فكرك بعد ان تجسد فى شخصى كى اجد نفسى ضائعا بلا اصل وبلا قيمة وبلا امل . خيانة لئيمة لو اندك المقطم عليها دكا ما شفيت نفسى . ترى اتقر بخيانتك ولو بينك وبين نفسك ام خدعتها كما تحاول خداع الآخرين ؟ الا يستيقظ ضميرك ولو فى الظلام ؟ اود ان انفذ الى ذاتك كما نفذت الى بيتك ولكنى لن اجد الا الخيانة وستعترف لى الخيانة بانها اسمج رذيلة فوق الارض » .

هكذا تبلغ المأساة ذروتها فى القصة ونجد اللص وحيدا امام الكلاب امام عليش الذى اغتصب زوجته وابنته وامواله وامام زوجته التى اعانت عليش على الايقاع به وامام الصحفى الذى دفع به الى

السجن ومضى هو الى الشهرة فلا غرو ان يأخذ سعيد مهران فى استعراض ذلك الذى سلف والرغبة فى الانتقام تملأ جوانحه .

« قال عليش سدرة فى ركن عطفه او ربما فى بيتى سأدل ابوليس عليه لنتخلص منه فسكتت ام البنت النسان الذى ظالما قال لى بكل سخاء : احبك يا سيد الرجال هكذا وجدت نفسى محصورا فى عطفة الصيرفى ولم يكن الجن نفسه يستطيع ان يحاصرنى وانهالت على الكمات والصفعات كذلك أنت يا رءوف لا أدرى أيكما اخون من الآخر ولكن ذنبك افظع يا صاحب العقل والتاريخ . اتدفع بى الى السجن وتثبت انت الى قصر الانوار والمرايا ؟ انسيت اقوالك المأثورة عن القصور والاكواخ ؟ اما انا فلا انسى » .

من هذه العبارة يجعلنا نجيب محفوظ ندرك أن سعيد مهران فقد كل امل فى الحياة الشريفة وبلغ مرحلة اليمة من اليأس المطلق لا يجد معها مانعا من العودة الى السرقة لان المجتمع الظالم الذى لم تبزغ عليه ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يحمى المجرمين الحقيقيين . وهكذا يحاول سعيد مهران البطو على قصر رءوف فى ذات الليلة التى زاره فيها كما كان يفعل بقصور الاغنياء ولكن الآخر كان على حذر منه فضبطه وحمل عليه حملة قاسية وطرده من بيته على الا يريه وجيه مرة اخرى . فذهب سعيد مهران الى قهوة فى الصحراء عرف صاحبها واستقبله الرجل فى حرارة فاتحا له ذراعيه واستجاب لطلبه حين سأله ان يسطيه مسدسا . وفى قهوته قابل نورا وهى بغى كانت تحبه حبا عميقا ولكنه لم يكن يلقى اليها بالا اذ كان قلبه كله وقفا على زوجته الخائنة وفى هذه المرة وجدها ما زالت تحبه وتسأله ان يزورها فى بيتها وراح سعيد يردد لنفسه :

« قمة النجاح ان يقتلا معا نبوية وعليش وما فوق ذلك ان يصفى الحساب مع رءوف علوان ثم الهرب . الهرب الى الخارج ان امكن ولكن من يبقى لسناء ؟ الشوكة المنغرزة فى قلبى . انت تندفع باعصابك بلا عقل . عليك أن تنتظر طويلا وتدبر امرك ثم تنقض كالحداة » .

وعاش سعيد مهران فى تسقة نور يدبر خطة الانتقام من الذين كانوا سببا فى ضياعه وقرر ان يقتل عليش سدرة فذهب الى بيته تحت ستار الليل ولما سقط جرس الباب انفتحت الشراعة عن وجه رجل تخفى الظلمة ملامحه فأفرغ سعيد مهران رصاص المسدس فى وجهه واثقا من انه عليش . وقصد بعد ارتكابه جريمته بيت الشيخ على الجنيدى وكان منهوك القوى فنام نوما ثقيلا . وعند هذا الحد استخدم نجيب محفوظ جو الكابوس فى براعة فائقة لكى يجلو لنا احلام النص خلال نومه . ولما صدرت جريدة المساء راح سعيد مهران يتصفحها فكانت الصدمة الكبرى له حين عرف ان الذى قتله لم يكن عليشا وانما كان عاملا مسكينا لا يعرفه ذلك ان عليش وزوجته غادرا البيت فى ذات اليوم الذى ازرهما فيه سعيد مهران وحلت مكانهما فى الشقة اسرة العامل القتيل :

« وانتزع عينيه من الجريدة فرأى الشيخ على الجنيدى ينظر الى السماء من

---

(١) السبب ان الشيخ على الجنيدى ليس الا شخصية رمزية تمثل ضمير اللص وتكاد هذه الشخصية ان تكون الرمز الوحيد فى القصة ، فان باقيها ينحو ناحية الواقعية النفسية ذات المرامى والاهداف .

حلال التودد بسبب ما اخافته ابتسامته (!) تبتسم وليطلع على مكنونه اذا شاء ولكن سيجيء المريدون عما قريب وربما تعرف عليه بعضهم ممن راوا صورته في الجريدة الاف والاف يتاملون صورته الآن بشزبة وخوف ولذه بوهيمية خفية . قضى عليه بلا جدوى . مطاردا وسيظل مطاردا الى آخر لحظة من حياته . وحيد عليه ان يحذر حتى صورته في المرآة سيجري من جحر الى جحر كفار يتهدده السم والتقاط وهراوات المشمئزين بينما اعداؤه مرحون » .

هذا عنصر المفاجاة قد تدخل في القصة جديا لاول مرة وهذا مسكن البقي نور يشهد سعيد مهران ذاهبا اليه باحثا عن العزاء فيجد لديها ترحابا وحبا وكرما وان كان في قرارة نفسه لا يشعر نحوها غير الرثاء ويعزم على الاختفاء في مسكنها حتى تقفل عنه عين البوليس . وعندما ينفرد في الشقة يجد فرصة يستعرض فيها المصائب التي تتراكم على كاهله لحظة بعد اخرى فتراه يستعرض ذكريات حبه الاول حين عرف زوجته الخائنة « نبوية » وكانت خادما لسيدة تركية تسكن في شارع المديرية امام بيت الطلبة ثم تذكر كيف خطبها بعد ان غادرت بيت الطلبة ليعمل في سرك الزيات وكيف تزوج منها بعد ذلك وكيف كان عليش سدرة يجري في ركابه .

« الفرح من جماله عاش احدوثة على كل لسان والزيات نقطني بعشرة جنيهات وعليش سدرة بدا كانه صاحب الفرح ولعب دور الصديق الامين ولكنه لم يكن صديقا على الاطلاق . واعجب شيء اني خدعت به وانا الذكي الذي يخافه الجن الاحمر وآمنت بانني لو ارسلته مع نبوية الى الصحراء التي تاه فيها سيدنا موسى لظل يراني بينه وبين نبوية فلا يحيد عن الادب . وهي كيف تميل الى الكلب وتعرض عن الاسد ؟ ولكن القذارة مركبة في طبعها قذارة تستحق القتل في الدنيا وفي الآخرة على شرط الايطيش الرصاص »

ولبث سعيد مهران في المسكن ينتظر اوبه نور حاملة له الطعام فلما جاءت طلب اليها ان تشتري له قماشا صالحا لان يصنع منه بدلة ضابط . فادركت انه ينوي التنكر في زي الضابط لكي يقوم بمغامرة خطيرة العواقب . وتصادف ان عرفت من بعض زبائنها بالجريمة التي ارتكبها فاشتد حزنها عليه لانها شعرت بانها ستفقده ان عاجلا او آجلا ولكنه طمأنها واعدا اياها بان يهربا معا حالما تغفل عنهما عين البوليس . وراح سعيد مهران يتابع اقوال الصحف عن الجريمة في اهتمام ولاح له شبح رءوف علوان وراء الحملة الصحفية التي البت البوليس عليه ولما يئس سعيد مهران من الاهتداء الى مسكن عليش وزوجته الجديد عقد عزمه على الانتقام من رءوف علوان قائلا لنفسه ان الانتقام منه فيه الكفاية لانه يمثل معنى الخيانة التي ينضوي تحتها عليش ونبوية وكل الكلاب وهكذا راح يخاطب رءوف علوان :

« جاء وقت الحساب ولو كان الحكم بيننا غير الشرطة لضمنت تاديبك امام الناس جميعا معي عدا الشخوص الحقيقيين وذلك ما يعزيني عن الضياع الابدي . روحك التي ضحيت بها ولكن ينقصني التنظيم على حد تعبيرك . ومأساتي الحقيقية انني رغم تأييد الملايين اجدني ملقى في وحدة مظلمة بلا نصير . ضياع غير معقول ولن تزيل رصاصة عنه عدم معقوليته ولكنها ستكون احتجاجا داميا مناسبا على اي حال كي يطمئن الاحياء والاموات ولا يفقدون آخر امل » .

وقصد سعيد مهران قصر غريمه في ظلمة الليل وترصده عند الباب فلما رجع رءوف من دار الجريدة اطلق عليه النار واذا بالرصاص ينهال على سعيد مهران في ذات اللحظة فيفد تصويبه

ويؤكد له ان القصر مراقب بالحراس على خلاف ما كان يظن . واضطر سعيد مهران الى الفرار وقد اصابت رصاصة ساقه وراحت نور تضمد له جرحه نادبة سوء حظها قائلة له انها سوف تفقده حتما ما دام مصمما على تحدى البوليس وقتل اعدائه . وفى اليوم التالى خرجت الصحافة بالعناوين الضخمة عن الجريمة والمجرم وادلى الاستاذ رءوف عنوان بحديث صحفى عن المتهم واصما اياه بجنون العظمة والندم . ولكن الامر الذى زلزل سعيد حقا ما قراه من ان رصاصته لم تصب رءوف عنوان وانما اصابت باب قصره وهكذا وقعت المأساة لثانى مرة وايقن انه ينتحر فى الواقع انتحارا بطيئا دون ان ينال اعداءه سوء .

« انت اهم ما فى الحياة اليوم وستظل كذلك حتى تزهق روحك . انك مثار الخوف والاعجاب كالظاهرات الطبيعية الخارقة وسيدين لك بالسرور كل من خنقه الملل . اما مسدسك فالظاهر انه لا يقتل غير الابرياء وستكون انت آخر ضحية له . اهذا هو الجنون ؟ كنت دائما تطمح الى زلزلة الكون من اساسه حتى وانت مجرد بهلوان فى سرك الزيات وغزواتك الظافرة لقصور كانت خمرا يسكر بها راسك الفخور وكلمات رءوف أطاحت برأسك حتى الموت »

ولبث سعيد مهران فى الظلام وحيدا وكان فى الزجاجة خمر فشربها حتى آخر قطرة ووقف فى الظلام يطوقه صمت رهيب ودارت رأسه وشعر انه يتقلب على الصعاب ويستهين بالموت لانغام خفية ثم مضى الى الشباك فنظر من خلاله الى القرافة وقد رقدت القبور تحت ضوء القمر وقال : (١)

« يا حضرات المستشارين اسمعوا لى جيدا فقد قررت الدفاع عن نفسى . لست كفيرى ممن وقفوا قبلى فى هذا القفص اذ يجب ان يكون ثقافة عندكم اعتبار خاص والواقع انه لا فرق بينى وبينكم الا فى داخل القفص وانتم خارجه وهو فرق عرضى لا اهمية له البتة اما المضحك حقا فهو ان استاذى الخطر ليس الا وعدا خائنا ويحق لكم العجب ولكن يحدث ان يكون السلك الموصل للكهرباء قذرا منطخا بافرازات الذباب . ان من يقتلنى انما يقتل الملايين اذا الحلم والامل وفدية الجبناء وانا المثل والعزاء والدمع الذى يفضح صاحبه والقول بأننى مجنون ينبغى ان يشمل كافة العاطفين فادرسوا أسباب هذه الظاهرة الجنونية واحكموا بما شئتم »

وفى ذات يوم خرجت نور من المنزل ولبث ينتظر عودتها طويلا ولكنها لم تعد هنالك تلوث دمه بسوء الظن حتى آخر قطرة فظن انها وشت به وراى ان يعود الى بيت الشيخ على الجنيدى . ولقى المريدين فى فناء البيت ينشدون الاذكار والاناشيد فتوارى عن اعينهم وعلى حين غرة فرقع صوت مزعج تحت الكوة وادرك ان الحى كله محاصر فأخذ مسدسه ومرق تحت ستار الليل الى طريق المقابر . واخيرا لحق به البوليس وطاردته كلابه وسددوا نحوه الانوار الكاشفة فقاتلهم قتال المستميت .

---

(١) هذه المرثية الجنائزية البليغة التى ينعى بهانجيب محفوظ بطله البائس الا تستدر من اعيننا الدموع ؟ لقد بلغ سعيد مهران درجة فائقة من التطور والشفافية والتجرد ولكنها تحمل فى ثناياها صورة النهاية الفاجعة التى تنتظره . وهذا الموقف الذى يخاطب فيه سعيد مهران القبور يذكرنا توا بالموقف الذى كان « يانك » بطل مسرحية « القرد الكثيف الشعر » لاونيل يقفه حين وقف امام قفص القرود وحده فى حديقة الحيوان وراح يناجيها فى يأس سحيق ذاهلا عن دنياه وما فيها .

« واصل اطلاق النار فى جميع الجهات واذا بالضوء الصارخ ينطفىء بغتة فيسود الظلام واذا بالرصاص يسكت فيسود الصمت . وكف عن اطلاق النار بلا ارادة وتفاعل انصمت فى الدنيا جميعا وحلت بالعالم حال من انفراجة المذهلة وتساءل عن .. ولكن سرعان ما تلاشى التساؤل وموضوعه على الرغم وبلا ادنى امل وظن انهم تراجعوا وذابوا فى الليل وانه لابد قد انتصر وتكاثف الظلام فلم يعد يرى شيئا ولا اشباح القبور . لا شىء يريد ان يرى . وغاص فى الاعماق ولا موضعا ولا غاية وجاهد بكل قوة بلا نهاية ولم يعرف لنفسه وضعا ليسيطر على شىء ما ليبذل مقاومة اخيرة ليظفر عبثا بذكرى مستعصية واخيرا لم يجد بدا من الاستسلام فاستسلم بلا مبالاة ، بلا مبالاة ! »

اجل لقد استسلم سعيد مهران قتل النحس الذى كان ضحية المجتمع . ومع أن موته فاجعة أليمة من الناحية الاخلاقية فاننا نؤمن بان القضاء على المستغلين من امثال رءوف علوان عن طريق تحقيق العدالة الإجتماعية واذابة الفوارق بين الطبقات ونشر الاشتراكية هو السبيل السوى الى بناء المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى ، حيث لا رءوف ولا نبوية ولا عليش ، ويوم يتم لنا ذلك فسوف يكون سعيد مهران آخر ضحايا التطور الحتمى من القديم الى الجديد ومشرق النور والعجائب !

« ماشر شفيق فريد »

(بقية جوركى الانسان ص ٥٤٩)

الانسانية الى حياة افضل فيقول فى كتابه طفولتى :

ان هذه الاحداث القاتمة من حياتنا الروحية تستحق الرواية لانها الواقع اليومى القاسى الذى لم يمح حتى ايامنا هذه .. واقع يجب تتبعه حتى مصادره الاولى واجتثاث جذوره من اذهان الناس وارواحهم من حياتنا الضعيفة العفنة انها كما رغم شدة وطأتها علينا ورغم مابهامن بشاعة وقبح فان الروسى لايزال فتى القلب والجسد بحيث يستطيع أن يقهرها ويزينها من حياته ففى حياتنا الفريدة هذه لم ينم الجانب الحيوانى من طبيعتنا وحده بل نما رغما عنه قويا ساطعا مصقولا نمط من الانسانية يلهمنا التطلع الى بعثنا الجديد .. الى اليوم الذى نحيا فيه جميعا حياة يسودها الوئام والسلام .

عبد العزيز عبد ربه

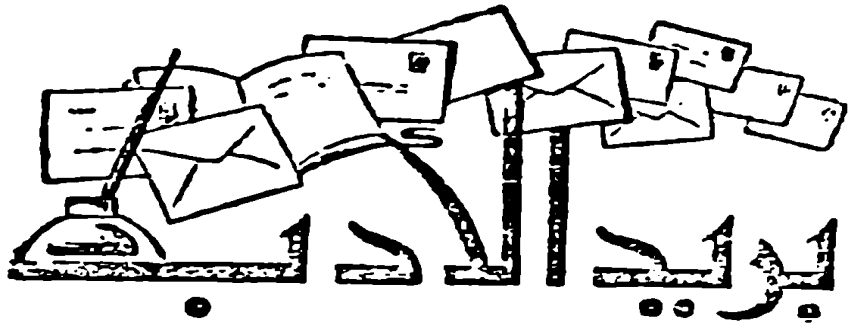

تقويم و تدريب

حـــرية الكاتب

بين قيم المجتمع .. ومنطق شخصيات أدبه

هكذا صورت قضية أدبية ، فى رسالة لسيد مدرس ، جاء الآن دورها ، بعـــد أكثر من شهرين ، فأرجو أولا أن يقدر صاحب الرسالة هذا الواقع ، ولا يغضب لهذا التأخير .

واضع بعد ذلك تصويره للقضية بعبارته هو ، اذ يقول :

« ... وقد تتعرضون لحرية الكاتب فى خلق مسرحه ، وهل من الضرورى أن يؤمن الكاتب بكل ما يورد على قلمه ؟ .. ولذا فانى استاذنكم فى ابداء رأى ، مجرد رأى ، قد يلقى رشاشا من الضوء على ما يدور فى كلامنا : تتعرض الصورة الوصفية ، التى صورناها لكثير من معتقدات الصوفية ، وانى لا ادعى لهم ملائكية ترفعهم الى السموات العلى ، وفى نفس الوقت لا أتمســك بما يبديه كثير ، من وصمهم بالبله ، والغفلة ، والجهل ... .

قد يكون اعتقادى غير ما صورت ، غير انى لا اريد ان اخـرج بالادب من عـوالمه الفساح ، حين اقيده بمنطق خاص ، او عرف شائع .. لقد اردت أن القى بعض الضوء على صورة كانت تعتمل فى نفسى ، فى لحظة من لحظات التجـرد ، وليس حتما اننى متحمل تبعة تصرفات اشخاص هذه الصورة الكتابية ، فذلك ما لا املكه .. .

هذا راى قد يكون صوابا ، وحينئذ نتمنى ان نقرا صفحات نيرة بقلمكم البليغ تكون فصل الخطاب فى : حرية الكاتب بين قيم المجتمع ومنطق اشخاص أدبه ..

وقد يكون هذا الراى خطأ ، وحينئذ نتمنى ايضا ان نقرا فقرات هادية ، حتى نستطيع ان نقيم حدا لهذا الصراع الذى ينشب مخالبه فى أذهاننا » .

هذه عبارة السيد المدرس ، التى اشعر انها اقل تحديدا مما ينبغى ، واتحـدث اليه فيها ، وأنا محس بذلك ، فاتوسع فى الفروض المحتملة راجيا ان اقع على ما يريد

السيد ان اقول فيه . على هذه الصفحات ؛ وان كنت لا استطيع ، مع احتكام الواقع ؛ أن اكتب له صفحات . كما يتمنى ؛ فلو ظفرت له بما دون الجمع لحمدنا الله على هذا .

* * *

يسأل السيد ، عافاه الله : هل **من الضرورى أن يؤمن الكاتب بكل ما يرد على قلمه ؟** .. ثم يقول بعد : قد يكون **اعتقادى غير ما صورت ؟** كما يقول ايضا : وليس **حتما أننى متحمل تبعة تصرفات أشخاص هذه الصورة الكتابية ..**

فهل هذه الاسئلة وتلك التقريرات جوانب متعددة لمشكلة الواحدة ؟ التى اتمنى لذهنه أن يخلص من مخالبها الناشبة فيه ؛ لان هذه العبارة قاسية خشنة . . كنت ارجو له ارق منها . .

احسب ان لى الحق فى ان اعتبر هذه العبارات ، سؤالا كانت او تقريرا انما هى جوانب المسألة ووجوهها ؛ وان كانت تتفاوت فى سعة دلالتها ، وامتداد مفهومها ؛ اطلاقا وتقييدا ؛ فمثلا ؛ سؤاله : **هل من الضرورى أن يؤمن الكاتب بكل ما يرد على قلمه ؟** سؤال واسع الدلالة ؛ بعيد المدى .. لان ما يرد على قلم الكاتب قد يكون عقيدة غيره ، وايمان سواه ؛ وايراد الكاتب اياه ليس الا استكمالا لصورة يرسمها ؛ وشخصية يصنعها ؛ فمثل هذا الوارد على قلمه ليس من الضرورى أن يؤمن به .. وقد يتغير الوضع فيقول الكاتب ما يريد قوله على لسان شخصية ، يقدمها لتكون مثلا لما يريد ان يضعه فى وجدان القارىء ويلفت اليه نفس المشاهد ؛ فالوارد على قلمه فى هذه الحال لا يكون الا مما يؤمن به .. وهنا قد يهدف الكاتب او الشاعر الى مرامى ليست قولا ولاكلاما ؛ وان وقعت من النفس موقعا أقوى واضوأ من مواقع القول والكلام ، كدفعه الاحداث وا الاشخاص الى مصير عملى ، ونهاية حيوية ، تشهد لتصرفاتهم أو عليها . وتجسم نتائج مقدمات ، لا يستنتجها هو ، ولا يودعها عبارات ؛ بل يتركها للرؤية الوجدانية . التى تفتح بصيرة القارىء والمشاهد عليها .. وهنا يكون اعتقاده هو ما صوره ؛ ويكون تصويره ترسيخا لاثر يحدث عقيدة غير ما صور من عقائد شخصياته .

وهكذا يبدو من البين ان امعان الكاتب فى تصوير الشخصية بمساوئها التاريخة وفظائعها الخاطئة واجب فنى ، يحدد دقة فنه وقوة بصيرته ؛ ولا يحدث عن شىء من اعتقاده وايمانه بكل ما يرد على قلمه .. اللهم الا حين يدفع الشخصية الى مصير يؤيد عقيدة ، أو ينصر رأيا فيكون هو الذى يحتمل تبعة رؤيته الوجدانية ، التى رسمت نهاية هذه التصرفات من شخصياته وبهذا يمكن ان يقول السيد : **ان الفنان يتحمل تبعة تصرفات أشخاص صوره الكتابية** .. يعنى انه بما صور من هذه التصرفات ، فحدد مصايرها قد دعا اليها ؛ واعتقد صوابها .. ولو مضيت اختلس بعض الفراغ لعرضت للمثل الذى هو اصل المشكلة الناشبة المخالب وهو الصوفية **والرأى فى تصرفاتهم** : فالسيد فى القطعة التى ارسلها مع هذه الرسالة يرسم شخصا صوفيا ؛ فى اطار من اعجابه به . وانفعاله بقوله ، وهى الصورة التى يقول فى رسالته انها كانت تعتمل فى نفسه ، فى لحظة من لحظات التجرد .. فهو بهذا الاعتمال حسن الرأى فى التصوف ، متوسم فيه الخير ؛ مخالف بذلك لمن لا يرون فيه الا الغفلة والبله .. وانفعاله بذلك الى حد أن يمسك القلم ويكتب ، ويرسل للنشر ،ايمان وجدانى واضح . تصدق عليه انه كاتب مؤمن بما ورد على قلمه .. ولا يمكن مع هذا ان يكون

اعتقاده غير ما صور ؛ بل ان التصوير دليل قوى على ان رايه فى الصوفية لا يمكن ان يكون مخالفا لهذا تماما ؛ وهو بهذا التصوير ؛ عن اعتمال فى نفسه ؛ عند التجرد ؛ يحمل تبعة تصرفات اشخاص الصورة الكتابية التى بعثها باعجابه ؛ وانفعاله ؛ واختياره لها ؛ وتسجيله اياها .. ثم ليس لى ولا له بعد هذا التطويل حق فى الصفحات اكثر من هذا ؛ فلعله يكفى ..

بين العاصمة .. والاقاليم

وهى قضية طال القول فيها ؛ وكثرت الرسائل ؛ بل تحمس بعض الادباء المناضلين فتناولها فى قصة قصيرة سماها قصة رأى ، وجعل عنوانها : « **الاستاذ ..** موجود » ؛ ليقول فيها على لسان اديب فى الاقاليم مفمور : .. انى هنا ضائع (مدفون) فى هذا الاقليم النائى السحيق . لا وجود لى فى صفحاتكم ؛ لا يعرفنى قراؤكم . مع انى — ولا تؤاخذنى — قد اكون اقوى ادبا من معظم ادبائكم .. اريد ان ارى فى حقل الادب (تكافؤ الفرص) الذى تنال فيه البضاعة الاصيلة حظها **من الشهرة ، بصرف** النظر عن اسم صاحب البضاعة ؛ وهل له ، او ليس له ؛ حظ من الرنين ؛ والطنطنة الاعلانية والدوى الاجوف »

وظلت هذه القصة فى ملف البريد ؛ وظل معها ما لحقها من رسائل كثيرة مطولة من صاحبها عن هذه القضية : بين العاصمة والاقاليم .. وذكرنى ذلك بظاهرة فى حياة أدبنا القديم هى الارتحال الى عاصمة الدولة ؛ حيث بلاط الخليفة ؛ وما كان يظفر به الشاعر من شهرة ؛ او سطوة ؛ يخمل بها العديد من الشعراء ؛ حتى ليبلغون العشرات ؛ وهى قضية خصصت بفصل فى كتاب « **قيم جديدة للادب العربى** » ؛ الذى قدمته « الادب » بديلا عن عددى اغسطس وسبتمبر ؛ من سنتها السادسة ...

ذكرت هذا كله ؛ ودلالته على تشابه الظروف الاجتماعية ؛ امس واليوم ؛ واثر الحياة فى البلاط والعاصمة ، فى ادب الاديب ، وعلى ادب غيره .. ولكنى رغم ذلك كله لم أتحمس لاثارة هذه القضية لاعتبارين واضحين عندى ؛ وان كانا لا يظهران فى هذا الوضوح ؛ عند الطالبين للعاصمة ؛ كما أن هذين الاعتبارين قد يبدوان ضربا من المثالية ، التى لا يحبذها هذا الشاب ؛ فى اوقات سخطه .. ولكنى رغم ذلك اضعهما امامهم .

الاعتبار الاول فهو : ان الشهرة والطنطنة ؛ والدوى ، ليست مطلب صاحب فن . لانه ببصيرته النافذة يجب ان يقدر ان الشهرة ليست دليل شىء ، وان الامر ليس الا كما قال صاحب كليلة ودمنة : لعل افشل الاشياء اجهرها صوتا ، وما احب لادباء هذه الفترة المتجددة المتعمقة ، ان ينسوا حقيقة كهذه ؛ وان يجزعوا هذا الجزع كله ، لعدم تيسر سبيلهم الى الشهرة بسرعة .. وليس من الحق فى شىء ان يعتبروا للامر امر بضاعة واعلان .. وبخاصة ان صاحب قصة الرأى نفسه قد انهى قصته ، بما يؤيد هذا ؛ لانه هيأ للاديب المغمور صحفيا سعى اليه ؛ واخرجه من خموله ، ودفعه الى شهرة طنانة !! وهكذا تظفر الحقيقة دائما .. وان ظفرت اخيرا ..

واما الاعتبار الثانى الذى منعنى من التحمس لهذه الشكوى من ادباء الاقاليم فهو : ان الحياة حولنا تتجه اتجاها واضحا الى تحطيم مظاهر البلاط وابهاته ؛ والعاصمة التى يقوم فيها وسطوتها ؛ والسلطة التى يفرض فيها رأى فنى عام ، وتبسط سيطرة شاعر تخمل شعراء عشرات .. فقد مضى ذلك العهد كله .. وراجت

الدعوة ؛ منذ زمن بعيد الى اللامركزية ؛ وهاهي ذى قد صارت الى حكم محلى ؛ يجعل لكل اقليم شخصيته ، وتنشط به كل قوة فى الاقليم ؛ فبئن لا يرى السادة النشاكون ان ذلك سينتهى بهم قريبا ، ان لم يكن قريبا جدا ، الى تحقيق ما يأملونه ؟ .. وهل يرون هذا منى مثالية غير عملية ؟ !

على كل حال ظللت مدة طويلة لا اعرج على هذه الشكوى ، واحسب ان اتجاه الحياة نظاميا ، واجتماعيا ، يقضى عليها ، ولكن جاءتنى فى هذه الفترة الاخيرة رسالة من شاعر تعرفه « الادب » والحياة الادبية ، وفيها يقول :

« ابعثها اليكم من منفاى البعيد ، بدمنهور ، عن الحركة الادبية ، والنشاط الفكرى بالقاهرة قلب كل أديب ومفكر » .. فرأيت أن أثير المسألة أخيرا ، راجيا الا يجزع الادباء من بعدهم عن القاهرة ، لان الحياة تتجه فعلا الى ألا تكون القاهرة كل شىء .. ولانى لا أزال أدعوهم الى ما أرجو الا يرود فى الغد القريب ، مثالية غير عملية ، لانه ليس الا الترفع الذى لا تكون سيادة الفن بدونه ، ولا تتهيأ له بدون ذلك القيادة ، تعده لها الحياة .. ثم لانى لا أزال أدعوهم الى قوة من الثقة بالنفس ، لا تجعل الشهرة عندهم مقياس نجاح ، ولا غاية صاحب فن ، **فلعل أفشل الاشياء أجهرها صوتا .**

إلى رسائل القراء من « الشعر »

* فقد وصلت « **ابن النيل** » و « **الرحيل** » و « **حيرة** » .. لمرسل واحد ؛ وهو نشاط فى النتاج ، كانت « الادب » تود أن يشابهه نشاط فى الرياضة الفنية ، ليصل صاحب هذه الثلاث الى مستوى أصح من ذلك تعبيرا ، وأسلم معنى ، واقرب الى صحة الوزن حين يريد أن يسمى ما يقوله شعرا . فلا تقرأ له مثل : وكان القيد أصفادى — لانه لا معنى لقولك كان القيد قيودى ! ! ولا مثل :

ربيع النيل مختال بعودته فيشدينا

وهو يريد — فيما أظن — فيشجينا .! ولا بعد من الشعر مثل :

ويزورنى القلق فيهز اشلائى

لان الذى يعبر عن غشيان القلق بأنه زيارة لا يزال بعيدا عن الحس النفوى ، وهز الاشلاء أفظع دلالة على هذا البعد .. وأما حين يكتب محى « بالياء » فيدل على حاجته الى أوليات من المعارف اللغوية ، لا مجال مع فقدها لدعوى الشعر المكتوب .

* ووصلت « **امنا الكبرى** » وصاحبها يعنى الطبيعة ، وفى نفسه شىء لكن به حاجة الى ايضاحه ليكمل له المعنى الذى يبدا عنده بدء البرعم ، ثم لا يلبث ان يسقط قبل التفتح ، اما بما ينقص المعنى من بقية واما لما يضعف به النفط . حتى يصل الى بساطة توشك ان تكون تفاهة .. فمن ذلك مثل قوله عن الفراشات فى تخطها على ثغر الزهور رسائلا ليقراها بعد الرحيل اسيرها .

فانه يجد شيئا بين الزهرة والفراشة عند التقائهما ولكن أى رسالة هذه التى تخطها الفراشة على ثغر الزهرة ؟ وأسيرها أسير ماذا ؟ وكيف يقرأ الرسالة التى خطتها الفراشة على ثغر الزهرة ؟ ومن ذلك مثل قوله :

ويالك من ورد تمشى على الثرى
وغاظ ورود الروض فوق غصون

فالتعبير بالتمشى منفر .. ! وكيف يصح فى المعنى تمشى الورود على الثرى ؟ وكيف يغيظ وردا آخر فوق غصون ؟

وفى الرسالة كثير من هذا لا اجد الوقت لتوقوف عنده . . لكنى اشعر رغم ذلك كله ان صاحبى يجد .. ولا يستطيع التعبير عما يجد لان الرؤية لاتبدو له واضحة . وهو يقول فى ختام رسالته بهذه القطعة : وعسانا ان نكون قد جرينا مع النفس فى صدق وفن ، فى هذه الصورة الشعرية .. واقول له : ان الفن يحتاج منك الى تدريب وجداني بمحاولات تذوقية نقدية ، مفردوموازنة يتم لك بها العمل الفنى مع ما عندك من مطاوعة الوزن وسلامة العبارة .

* ووصلت « وطنى » وهى طيعة التعبير ، سلسلة قوية المعنى احيانا وان كانت تهن احيانا كذلك وتتبدد قوتها ، كقوله عن الدخيل :

ومناه . . اين صروحها كادت تضيق بها مناه .. فما ضيق المنى بالصروح ؟

وكقوله عن الدخلاء كذلك :

ويل لهم من كل حر مؤمن خلصت يداه
.. فما خلاص الايدى هنا ؟

وقوله :

وقيوده خنقت رجاه فلم يمت الارجاه

فقوله : فلم يمت الارجاه فضول من القول لا يقيم معنى .. وذلك ومثله مما تخلصه منه عناية بفنه ، ومعاودة للنظر فيه دون تسرع ولا اهتمام بالنشر . . ليكون له غد خير من يومه ، اذا شاء ولا غرو فمن معانيه الطيبة فى هذه القطعة قوله :

انا اردنا .. والارادة للحياة « هى الحياة »

وبارادته يصنع مستقبله الفنى . . حقا

* ووصلت « **حرارة النجوى** » وفيها انطلاق وسلامة تعبير ، لكن يشوبهما فضول فى القول ، يزيد به اللفظ عن المعنى غير قليل من الزيادة ، تحكم به القافية احيانا كقوله :

وحمائم الوادى لاجلك انشدت
لحن الصبا لما تأجج واستعر .

فما هذا التأجج والاستعار ؟ وما تأجج لحن الصبا ؟ .. وفى عبارته احيانا بساطة تصل الى الامتهان ، كقوله : ولواحظ العشاق يتلفها السهر .. وقوله : وحرارة النجوى يذوب لها الحجر .. وقوله : واذا خلوت يفيض دمعك كالمطر وقوله :

او كنت تعرف ما الهوى يالائمى
فيهم لكنت على الهوى ممن عذر

فشيئا من ذوق العبارة ، وعمق المعنى ليكون لك ما ينشر .

* ووصلت « **رأى سقيم** » لصاحب السابقة .. وفى العنوان نفسه دلالة على مالوحظ فى اختها . . وقوله بعد ذلك فى المطلع : رأى سقيم فى الحقيقة اجوف ينم على ابتذال اللفظ وعدم شاعريته .. ومثل قوله :

هذا هو المثل الرفيع لامة
يبنى بنوها المجد لم يتوقفوا

شاهد على بقية ما سبقت الاشارة اليه فى الاولى ، من زيادة اللفظ على المعنى وحكم القافية ، وقرب المعنى احيانا الى حد السذاجة ، التى تشبه تقرير المتون ومواعظ الناصحين كقوله : انى اعلم والمعلم مصلح هو للعقول مهذب ومثقف

ومثل هذا لا يصلح للنشر بعد .. فالى غير ذلك .

* ووصلت ((ثورة)) لسيد نشرت له « الأدب » قبل الآن ؛ تهتز الصورة البيانية فيها أحيانا لغوبه : من صلاة ادمعت عيني سمائي ، ولعلها مع شيء من الملاحظة يبقى منها ما يصلح للنشر .

* ووصلت ((**يا حبيبي**)) للزجال المشاغب ، وبحثه عن هذا الحبيب الذي يناديه بحث أهوج ، بلطجي التعبير تخونه العبارة احيانا وتحكمها القافية ، وان سلم له القبيل من المعاني كقوله : ودمعي بسمة غزالي .. وهو يقول في خطاب ارساله : هذا ما جادت به قريحتي .. فلعل قريحته تجود بأجود من هذه .. فلا يكون نشرها جودا من أحد ، بل يكون حقا يعترف به كل أحد .. وكذلك ترجو « الأدب » لشداة ان يفرضوا انفسهم .. لا ان يستجدوا .

النثر :

* وقد وصل منه ما يسميه صاحبه تمثيلية ((**امي الكبيرة**)) وليس فيها من قوام التمثيلية الا أنها حوار ، مع سذاجة وبساطة بل طفولة ، ولا شيء فيها من اثارة العاطفة او عطف على من فقدوا الامهات في عيد الام ، والمسرحية كلها ليست الا رجاء من بنت ان تتبنى امها زميلة لها في المدرسة بلا أم .. وتستجيب لها الام اخيرا .. وما اهون .

* ووصلت قصة ((**ابنة سليم**)) وفيها ضرب غريب من ابدال الذال زايا ، في كلمات لاتخفى على احد مثل الذنب .. والذل .. والعذاب .. والتعذيب ، ومع مثل هذا ماذا يكون مدى الطاقة اللغوية والقدرة الادبية !! واما القصة فموقف حماسي مفتعل ، مبالغ فيه لبدو ، يناقض فعلهم قولهم .. فقد تركوا ابنة سليم يأخذها السلطان الفاجر ، ثم يحموها ولم يمنعوها ثم راحوا يتسابقون على قتلها لانها فاجرة !! وظهر انها هي لم تسلم نفسها ، وعادت !!

* ووصلت ((**الملاحظ**)) وفيها لفتة اجتماعية لا بأس بها .. اذ الملاحظ يحتكم في الناس مستبدا والضابط يحتكم في الملاحظ مستبدا .. وامنية الاب ان يرى ابنه ملاحظا في الصورة التي رأى فيها الملاحظ صاحب سلطة عليه ، فاذا رأى سلطة الضابط على الملاحظ ارتفع امله فرجا ان يكون ابنه ضابطا .. لكن التكوين القصصي فيها لا هندسة له ، فتيها اطالة وتفصيل في وصف الكناس ومظهره وحركاته ، مما يستهلك قدرا كبيرا ، لايتوازن مع سائر خطوات القصة وتنقصها سلامة الاسلوب نحويا .. ولغويا ، وفي الرسم كذلك .

* ووصلت ((**رجل غريب**)) وهي طريفة بالخطأ ، مع ان صاحبها طالب ثانوي ، على ما يظهر .. فكيف يقول : لم يجد فيها شيء ! وبان احداث ، ولم يكن في البيت رجلا ولم يرى احدا وكيف يكتب النهم « اللاهم » وهل يطمع بعد ذلك وامثاله ان اجد نفسا للحديث عن قصته ؟ .. مع مواضع الضعف البادي في بنائها . وعدم الخبرة بالحياة في احداثها ؟ ، لا .. لا اظن .

* ووصلت ((**عائد ليموت**)) ولا املك الحديث في تقييمها الفني قبل ان اشير الى مثل قول صاحبها : والتشنجات اسمعها ، وهو يقصد النشج او النشيج بالبكاء والزفرة لا التشنج ، ولا مثل قوله : تذهق روحي بالذال ، وانما هي بالزاي ولا قوله : اصبح بعضنا كتاب ! او كأنما هي خنجرا ، ولا رسم بئن — بأن — ولا فهم ابنائكم !! وما زلت وسأظل اقول **الصحة اولا ثم الحسن** فاكتبوا الصحيح لغة ونحوا ، ورسما ، وبعد ذلك تكتبون الحسن البليغ الفني الجميل .. **والصحيح هو الصحيح بأي لغة ، والجميل هو البليغ** في ذوق اي لغة — سواء في ذلك الفصحى والعامة .

وبعد هذا الحديث الى كل كاتب لاي

شكل من الاشكال الادبية اعود لصاحب قصة « عائد ليموت » لاقول له : انك بالغت جدا فى حزن اسر الشهداء حتى انهم يكرهون ان يروا شخصا ناجيا من المعركة ، وحتى تضيق على من نجا نفسه . فيعود ليموت ، تخلصا من هذا الوضع مع انك بذلك الحرص على النجاة من اسر الشهداء ، على فرض انه الاصل فى مشاعر قومك — الى هذا الحد — انما تناقض نفسك حين تجعل الناجى من المعركة مع هذا الحرص على الحياة يتخلص من نظرات اهل الشهداء اليه بان يعود الى المعركة ليموت .. فكيف كان الحرص الى هذا الحد ساخطا على القدر ، كافرا بالدين ، جاحدا للوطن حين يموت ابناء بعض الاسر فى المعركة الفدائية دون بعض ، ولم يكن هذا الحرص نفسه دافعا للناجى من المعركة الى التشبث بالحياة ، وعدم الاكتراث بنظرات اهل الميتين ، او تشنجاتهم !! واحسب انك نسيت مع هذا التشبث بالحياة انه يتناقض مع جو العمل الحربى الذى مات فيه نفر ونجا واحد ، فانه جو عمل فدائى ندب فيه نفر لينسفوا شيئا فى ميدان العدو ، مقتحمين الاسلاك الشائكة والتحصينات متسللين وسط المعسكر وحراسه ، فكيف كان ابناء هؤلاء الجاحدين لحق الوطن فدائيين هكذا !! انا لا ادعوك انى مثالية تخفى هذا الحرص على الحياة والسخط على القدر وتسميم حياة من نجا . ولكنى اتقبل منك واقعية تقدر ان فى قومك فدائيين كما فيهم مؤمنون بتحديد الاجال ، وفيهم معترفون بحق الوطن فى ضريبة الدم .. واذا تركت الواقعية والمثالية وهذه الالقاب المذهبية لانى رجل يرى هذه المذهبيات الاصطلاحية ليست الا كورق لف البضاعة وليست شيئا من العمل الفنى .. اذا تركت هذا فقد بقى ان اقول لك : كن متوازنا فى فهم الجو الذى تجرى فيه قصتك فلا تخلط فيه بين فدائية باذلة لكل شىء ، وجبن يكفر ، وينكر ، ويعتدعن اى شىء !!

* ووصلت « السعادة الضائعة » ويخربش المزاج فيها كذلك مثل : يقضى وتره ، وقضى وتره بالتاء وانما هى الطاء والوطر اى الحاجة غير الوتر للعود ، او فى الشكل الهندسى !! وكذلك قوله : يرمقه شذرا — بالذال — وانما هى بالزاى — شزرا — ! وقوله : وتبقى قرشا ! وقوله : وهم سعداء هاتين ! وانى لاتناسى ماهو اهون من ذلك نوعا كقوله : من اين له بثمن تذكرة ! وقوله : يدعى بان .. ولا موضع للباء فيهما .. الى اشياء اخرى يغنى عنها ماسردته !!

ونعود الى البناء القصصى فانكر تفاهة العقدة وهى الحيلولة بين غلام ومشاهدة السرك بان تكون النقود التى جمعها ببيع القديم من كتبه كانت فكة ، ملاليم ونكل فلم يحسن عدها ، وحسبها تزيد قرشا فاشترى به اللب واذابها عند شباك السرك تنقص قرشا .. فانها مستغربة نوعا ما ، من ولد ذاق الحرمان وتشوف بتشوق لمشاهدة السرك ولم تسعفه على ذلك اسرته ، وجوه الذى تضعه فى القصة لا يساعد على ان يكون من الغفلة بحيث لايحسن عد بضعة قروش وانه يتسرع فيشترى اللب قبل شراء التذكرة ، مع انك جعلت مشاهدته السرك هى السعادة الضائعة التى سميت بها قصته .

ولا انسى ان اقول لك ان اللفتة فى القصة لفتة مجربة ، فانى لاذكر انى اعرف شابا — لا غلاما — قد عرض للبيع مسرحية عطيل ترجمة خليل مطران ليدخل اعلى التياترو ، فى الاوبرا ببطاقات كانوا يعطونها لعمال لصق الاعلانات ويشتريها الطلبة منهم بثلاثة قروش او حوالى هذا وبعد جمع قروشه انتظر فلم يجد احدا من لاصقى الاعلانات ، ووقف على الباب الخارجى للاوبرا يسمع صوت جورج ابيض ، وهو مفتاظ جدا ، حتى طلب منه العسكرى المالطى — وكانوا فى الشرطة اذ ذاك — ان ينصرف او قل طرده .

فانصرف في حالة تشبه حالة بطل قصتك وما دمت قد اعترفت على هذا الشاب كل هذا الاعتراف فمن الخير ان اقول لبطل قصتك واخوانه : ان الشاب قد انصرف بعد هذا الطرد وهو يقول : لابد ان يجيء اليوم الذى تشتغل فيه هذه الاوبرا باسمي .. وكان قد كتب اذ ذاك اول محاولة مسرحية له فلم يمض اكثر من ثلاث سنوات على ما حصل . حتى مثلت له مسرحية اربع مرات في موسم واحد من مواسم الاوبرا .. لكن لقطتك مع ذلك فترت اهميتها بهذه السذاجة او الغفلة من بطلها الذى لا يحسن ان يعد بضعة قروش ، فمثل هذا لا يثير عطفا عليه لضياع سعادته الضائعة ، بمثل هذا العبط .. مع انه من بيئة حريصة ووصيه بالحرص .

* ووصلت «**ونفسي ما سواها**» للسيد المدرس الذى اثار المناقشة الطويلة في صدر باب البريد من هذا العدد ، عما سماه : حرية الكاتب .. بين قيم المجتمع وشخصيات ادبه .

وقد قومت « الادب » قبل ذلك اشياء لسيد المذكور ولحظت اشياء على اسلوبه وتستطيع ان تقول له : ان كثيرا من هذه الاشياء قد زال ، وتحسنت حالة الاسلوب وبخاصة الصور البيانية المصطنعة التى لا تدل على وجدان بعينه ، ولا تلائم المجال ولا الموضوع ولكن « **ونفسي وما سواها** » لا تزال بعد خواطر مرسلة .. لا جديد فيها .. ولا تكون قصة .. وهي — على كل حال — تدل على تجربة او روحانية تهز كيان صاحبها هزا قويا — وله مع ذلك ان يرتئى في التصوف ما يرتئى ، ويأنس به ما يأنس .. ويجد بين المتصوفة نماذج قوية الروح ، مثيرة النفس ، قوية القلب ، ولو كانت الكثرة من الصوفية ليست كذلك .. ولا على السيد صاحب هذه الرسالة ان يرى في الصوفية مالا يراه من يرمبهم بالغفلة او انبنه ودون ان يجعل هذه الحرية موضع استفتاء كالذى كتب به الى « الادب » .. وحرية الفن والفنان اوسع من ذلك بكثير .

* ووصلت « **ليلة مع الشيطان** » لصاحب السابقة .. وهي في دلالتها كاختها .. تنم عن تجربة او روحانية تهز كيان صاحبها كما قلت — وفكرة تجسد الشيطان ولقائه القيس فكرة معروفة في الفن « وفاوست مترجمة الى العربية لو قراتها لرايت تجربة مع الشيطان لا ليلة او لحظة مع الشيطان وليلة مع الشيطان لمحة ارتفعت عن الحدود المادية ، لكنها لم تمض الى نهاية تكون بها قصة .. واستطيع ان اقول لك يا صديقي : انك تتقدم الى العمل الذى تريد ان تعمله ، وحسن من قولك في رسالتك : اننا بهذا نحاول ان نستكشف مبدانا الاصيل ، حتى نصنع هذا الشيء الذى لم نصنعه بعد .. ولو احسنت لتنازلت ، وتنازل غير واحد من اصحاب بريد هذا العدد عن نون نحن ، وتعظيم المتكلم نفسه فاني اشيم من كتابتك انك رجل طيب السريرة ، تعنن انك تمضي في تجربتك الفنية ، على استعداد لتحمل اعبائها ، واحتمال ان تتخبط ، وتتعثر ، وتكبو — كما تقول انت بعبارتك .. ولعل التواضع خير ما ينفعك في هذه التجربة وبذلك تلقى كل نقد او ملاحظة بالقبول الحسن .. دائما .

* ووصلت « **ووقف التاكسي** » لسيد جامعي ، كان « للادب » معه قبل الان احاديث في هذا الباب ، ونشرت له شيئا .. لكن ذلك لا يمنعني من ان اقول : ان « ووقف التاكسي » لفتة غير ناضجة ، لم تتضح لها صورة اجتماعية تقيم قصة .. فجوع سيد ، وخليل وفوزية المميت ، حتى لا يمكن ان يعيشوا بعده يوما كان جوعا كافيا — ان وقع — لثورة الام ثورة جارفة . لا تترك زوجها يخرج للبصبصة في الشارع والبحث عن قواد يوصله الى بيت دعارة يجد فيه ما وجده

بل ان هذا الجوع نفسه مانع كل المنع

للام من ان تسمع الى وسوسة فكيهة الراقصة وتتأثر بهذه الوسوسة فتفعل ما اشرت اليه ، فى البيت الذى وقف عنده التاكسى بزوجهـــا .. وتعليلها الاولاد بالحصى فى القدر على النار قديمة قالوها فى المناقب ، على عهد عمر .. ولم تعد تصلح الان ، لان هذه النار توقد ببترول لو وجد ثمنه لكان من القريب ان تشترى الام خبزا من « الرجوع » الرخيص بدل ان توقد به على الحصى القدر والابقاء بالحطب او الخشب نفسه يكلف الان ما يشترى به خبز .. ولا يحتطب الناس من الجبل كما كان الامر فى عهد اصحاب المناقب الذين رسموا هذا الخيال فى حكاية لعمر حين كان يعس بالليل !!

والرغبة فى التنافر والبعد الشاسع بين تصرف الزوج والزوجة وتحيرية الام وشرية الاب لايبرر لك هذه المبالغة والمفارقة المكشوفة من حال الاب والام عندما يجوع الاولاد جوعا يموتون به ، ولا يعيشون بعده يوما واحدا — فلا ندع تاكسى الحياة يقف بك عند مثل هذه .. بل تقدم به الى غيرها .. وغيرها

* ووصلت « **منديل القدر** » وهى لمدرس تعجب واعجب معك كيف يقع فى كتابته مثل : اتخذ منها مقعد وقم يابنى وصلى الصبح . وقالت ويديها مرفوعة ويسوق من الاقتباس الشارد مثل قوله: وعبست وجهها وولت قبلة ترضاها . ومن الصور البيانية الغريبة مثل : وحرقة فجرها قلبها !

وبعد ذلك كله اداء لصورة حماسية خطابية الحوار لفتاة بدوية تريد ان تنتقم لمقتل اخيها وابيها .. وتلتقى بمثل هذه الصدفة التى قتلت كل اولئك — بشاب على بئر السقى .. وفى اليوم يلقاها فى ثياب فارس يمزق صفوف الصهاينة متنكرة — فترفض الزواج حتى تنتقم لكل اولئك .. ويا ترى ..

* ووصلت « **الوظيفة** » وتنتظر دورها فى النشر

(بقية قصة من الصعيد ص ٥٤٦)

الليل تقلبوا عليه فقتلوه ، ورموه فى غيط آل فنجرى ! !

وذهل يونس !!.. وراح فنجرى يكرر القسم الصادق بأنه ما قتل المرحوم عبد البارى ، ولا احدا قبله ، وانه ليس « وش ذلك » لانه — وبالضبط كما صور لسانه « يا راجل اذا كان الواحد يبقى الليل عليه اطول من السنة واذا قاعد لوحدى اكلم فى نفسى زى القرد » ! !..

وشرب فنجرى الشاى ، ودخن السيجارة .. ويونس تائه فى سرحانه الذى لم يلبث ان افاق منه فراح يطيل النظر فى وجه جاره ابعدو الاليف المسكين!

وسطعت خيوط الفجر ناصعة فى اسبوع الخير . وتلفت فنجرى حوله هو يقول :

— يبقى السلام عليكم ، قبل ما حد يجينا

— . . . . . ! !

— انا داخل زرعتى ، وسلاحى هناك ، ومديك الامان ، اوعى يا يونس تعمل عمل العيال ! !

ولكن يونس نشب اصابعه بتشبث صارم فى كم جاره وهو يميل عليه قائلا فى حزم واصرار عجيبين :

— **اسمع يا فنجرى !.. انا ح ابحث حكاية المرحوم عبد البارى ابن عمى دى التى قتلتها واستقصى عنها كويس ان كانوا نصوص صح قتلوه .. وعلى الله يكون حقيقى كده .. انما .. انما اسمع أقول لك .. اسمعنى مليح .. انت قدام الناس خلينا دلوقت زى ما كنا .. لكن لازم تجيب شايك وسكرك وسجايرك وتيجى تقعد معايا ونسهر سوا .. و .. واللى حصل الليلة اوعى تجيب عنه اى سيرة . قدام اى حد ..! !**

محمد الخضرى عبد الحميد

الأدب

فنية . شهرية

يصدرها الأمناء

الإدارة: مصر الجديدة . ألمجم ١٣

ت ٦١٧٥٠

***

الرسائل الفنية والمالية

ترسل باسم

أمين الخولي

رئيس التحرير

***

الرسائل الادارية

ترسل باسم

محمد جابر عبد العال

مدير الادارة

***

الاشتراك

عن سنة بالبريد العادى

الجمهورية العربية ٥٠ قرشا

الخارج ..... ٨٠ قرشا

أو ما يعادلها

ثمن العدد ٥ قروش

* * *

البريد الجوى

والمسجل بحسابه

تصدر فى اليوم السابع من كل شهر

فهرس

العدد العاشر — مارس ١٩٦٢

السنة السادسة

٥٧٨ — من الفن والحياة : قنابل يدوية

عن الامناء

٥٨٢ — الديباجة فى الشعر العربى — ٢

محمد جابر الحينى

٥٨٥ — من هدى القرآن : الشيطان يعدكم الفقر — ٢ — ***

٥٨٧ — مأساة الجبل الاخضر

شعر : كامل سعفان

٥٩٠ — باليل ... شعر : يسن الفيل

٥٩١ — الى القمر — فلسفة الحب

شعر : شيلى

ترجمة : نعيم عطية

٥٩٣ — وحى المنيا شعر : فتحى سعيد

٥٩٥ — عيد شعر : حامد الاطمس

٦٠١ — الى شاعرة على الشباسى

٦٠٧ — طريق الحب

شعر : محمد رجب البيومى

٥٩٦ — الام البيضاء

قصة : شولوخف

ترجمة : ماهر شفيق فريد

٦٠٢ — الزميلة قصة : مصطفى الاسمر

٦٠٦ — نعمة قصة : عمر الراكشى

٦٠٨ — ازهر .. او .. لا ازهر ..

امين الخولى

٦١٤ — اصداء ادبية : بين ادباء العاصمة وادباء الاقاليم ..

محمد الخضرى عبد الحميد

٦١٦ — ٥٠ يوما فى لندن — لحسين القبانى

نقد : علاء الدين وحيد

٦٨٧ — شخصيات فى السياسة والمجتمع لعبد الهادى مسعود . . .

نقد : محسب — المندى

٦٢٤ — بريد الادب : معارك وهمية — ٦٢٤ — باق للاعادة — ٦٢٥ عجبى — ٦٢٥ — اسمى — ٦٢٦ — الادب .. وندوة الامناء — ٦٢٦ — خارج النقد — ٦٢٧ — الشعر — ٦٢٧ — النثر — ٦٢٨

الفهرس السنوى — ٦٣٢ —

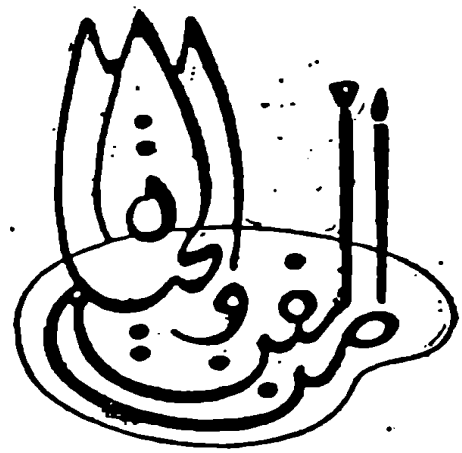

قنابل يدوية

من وحى المؤتمر الثانى لكتاب آسيا وافريقية

وفيم يكون هذا الايحاء المنفجر العنيف لمؤتمر الكتاب ؟ .. وهم لا يلقون الا اقلامهم ، ولا يبسطون ايديهم الا الى سلام !! فكذلك قالوا ، وكذلك هم يفعلون .

يسائل القارىء نفسه هذا السؤال ، وينتظر منى جوابا ، عن وضع هذه القنابل اليدوية عنوانا ، لما يوحى به مؤتمر حملة الاقلام ، فى اقصى الشرق وادناه .. والشرق — كما قيل دائما — صاحب ديانات وفلسفات .. ويقال يوما : انه راح يسأل الغرب أن يبيعه بها طيارات !! فهل تراه اطمأن الى هذا الاستبدال ، فصارت ايحاءاته من هذا الافق .. قنابل يدوية ؟!

واذكر هذا ، ومثله معه ، فلا اشعر ان شيئا من امر هذا الشرق ، مهبط الرسالات قد تغير ، ولكنى — مع ذلك — امضى اعالن القارىء بان هذا العنوان ، هو ايحاء المؤتمر الآسيوى الافريقى ، الذي شهدته اخيرا بالقاهرة ، وليس هذا فحسب ، بل ان الايحاء من العنف بحيث يجعلنى لا أجد فى هذه القنابل اليدوية كل المعنى الذى أريده ، بل وددت ان أصف هذه القنابل اليدوية بانها قنابل هيدروجينية ، او افتك منها ، مما يتمثله اليوم ، وينتظره الغد ، من تلك الفواتك ، التى توضع فى ايدى البشر ، بكل نشاط العلم ، وطماعيته فى انتزاع اسرار القوة فى الكون ، فيكون العنوان مثلا : اقسى القنابل فى اليد ، كاقضى ما يستطيع العلم ، لكنى وجدتها عبارات طويلة .. لا تستقر فى عنوان .

انه لإصرار من القلم عنيد ، يزيد التساؤل عن سببه ، واصل هذا التمسك بظواهر العنف وبوادر القسوة ؛ فيما يشعر به مؤتمر ارباب القلم اخيرا .. وسيدهش السائل من بيان هذا السبب مثل دهشته من هذا التمسك اذا ما قلت له : ان هذا الافتتان بمعالم القوة ، وملامح القسوة ، فى عالم الكتابة ، وجو القلم ، انما صدر عندى عن وعى شرقى قديم ، وحس فنى عند الشرقيين عريق ، لا بعد ما يحدث اليوم منى ، او من سواى الا امتدادا له ، وتأثرا به .. نعم هو شعور فنى ، عرفه الادب العربى ماثلا ، على اختلاف الاعصر ، فى صور متعددة ، والوان منوعة ، تابعة للاجواء النفسية والاوضاع الحيوية ، التى تعبر عن هذا الوجدان ، نحو الاقلام وحملتها ، التى ترى فى مؤتمر الكتاب صورة منها ومثلا .

* * *

وتلمح من صور هذه القوة للاقلام واربابها ، اقرب ما تلمح ، فى عالم الايمان ، ودنيا الاديان ، مما جرى به القرآن المعجز من بيان ، حين يقسم بالقلم وما يسطر الكاتبون . فيقول : « **والقلم وما يسطرون** » .. فاياما كان فهمك للقسم ، وانه امتنان بالنعم ، او اكبار لشان ما به القسم ، او بيان للمعانى بالاشياء ، فهو — فى كل حال — يحمل كل ما فى القسم من التفات الى ما يجرى به القسم ، وانتباه له عظيم .. واذا ما كان القسم جاريا من خالق الاكوان فحسبك لفتا وتنبيها الى ما يقسم به رب الاشياء من الاشياء .. ومنها هذا القلم وما يسطرون ، وان مثل هذا المعنى لجدير بان يحضرنى ، عند شهود مؤتمر الكتاب معنى من القوة كبيرا ..

* * *

ثم تكون الرسالة والدعوة ، وجهاد صاحبها قومه ، فتشهد فى محافله تلك وقودا منهم وحشودا ، ومقاول يتبارون ، فى معارك ليست دون معارك غزواته ، بل هى ابعد اثرا فيقول افصح العرب ، واذرى الناس بسر الكلمة : « **ان من البيان لسحرا** » ... والسحر عند القوم يخيل الجماد حيا ، ويفرق ما التام ، ويعتمد من ذلك على الخفى المجهول من القوى ، فهو فى البيان غير مثناه ، ولا مثله شىء فى المحسوس .. واذا كانت الكلمة ، التى يتحرك بها اللسان ، ويثبتها القلم هى السحر فليس غريبا ان يحضرنى مؤتمر الكتاب ، معنى من القوة رهيبا !

وحين تاخذ الحياة طريقها ، ويكون للدولة اوضاعها ونظمها يبدو القول قوة ضخمة بين القوى ، فللكتاب ديوان ، بل دواوين ، وللدواة جامل بين المناصب .. وللقلم ارباب متميزون ، كما للسيف اربابه المتميزون ، وهم صورة القوة الفعالة ومادتها .. لكن فى هذا الجو نفسه ، وصليل السيوف رهيب ، يقول القائل :

كذا قضى الله للاقلام مذ خلقت
ان السيوف لها مذ ارهفت خدم

هذا والسيوف افتك ما يحضرهم ، وامضى ما يجدون ، ومع هذا يجعلونها خدما للاقلام فليس غريبا ان يحضرنى مؤتمر الكتاب معنى من القوة عنيفا .. وان تجد معى هذا الشعور قديما قديما .. وهذا المعنى اصيلا اصيلا .. قد تداولته الاجيال .. وتناوبته الاعصر .

واذا ما كان المعنى يلبس من العصر لبوسه ، ويتجسم فى الصورة التى يالفها الوقت ، ويتلون بالالوان التى يؤثرها الذوق فيه .فجلى ان تمثل قوة الاقلام لعهدنا القوى التى عرفنا ، والمواد التى الفنا ، وان يكون املنا فى ذلك بعيدا ، لا يحده الا الافق الذى ترنو اليه الحياة حولنا — وليس بدعا ، والامر هكذا ، ان تكون الاقلام فى الايدى قنابل يدوية .. وليس من الخيال ان اتصور تلك القنابل ، فيما ينتظر الغد ابعد من الصاروخ ، وافعل من الهيدروجين ، دون ان يكون فى ذلك شىء من زخرف القول ، او غرور الخيال ، او وهم الرؤى ، وتهاويل الاساطير .

واذا ما كانت تلك قوة الاقلام ، فى الايدى ، على ما شهدت الدنيا قبلنا ، وعرفت الحياة منذ القديم ، ونحن اليوم أشد وعيا ، وأمضى سعيا ، فاى قوة تلك التى تملك الشعوب اليوم ، اذا ما تنادى فيها ارباب الاقلام ، وتداعى الكتاب ، واجتمعت لهم مؤتمرات ، كمؤتمر هؤلاء الكتاب من آسيا وافريقية وهما هيكل الحضارة ، ومنبع الحياة ، ومنبت المعرفة والمدنية ، فى كل صورة عرفت لها .

الا ان كل مؤمن بالحرية ليرسل النذير الرهيب الى الطغاة ، حيثما كانوا فى الدنيا ، وأينما حلوا ، وكيفما كان أمرهم وشأنهم ، حكاما مستبدين ، أو نهابا مستعمرين ، أو أذنابا معينين لشىء من هذا أو ذاك ، فيقرعهم بأن لهم من الاقلام وأربابها الهلاك المؤكد ، والمصير المحتم ، بما فى أيدى أولئك من قوة دونها السحر ، وخادمها السيف ، وهى فى تدبير الكون مما به القسم ..

واذا ما تواصلت الشعوب ، وتعارفت الجموع تعارفا يرد حقها ، ويحفظ وجودها ، ويسعد مستقبلها ، فخير ذلك التعارف . وأجدى ذلك التآزر ما دعمته الاقلام ، وسعى به أربابها ، لان هذه الاقلام فى تجربة الدنيا ، وخبرة التاريخ قوة لا تحد ... وأفضل ما تناله اليد .

* * *

وبيقين الايمان القوى ، بالقلم وما يسطرون رجوت لهذه الامم المكافحة من أجل استقلالها ، والمناضلة فى سبيل استكمال الاستقلال ، والمجاهدة لكى تنزل المنزلة الكريمة فى المجال الدولى ، أن ينتفع كل أولئك بقوة الاقلام ، وسطوة أربابها انتفاعا متصلا دائما ، لا يقصر على اجتماعات دورية لهذه القوى ، فى مؤتمرات سنوية ، تعقد فى عاصمة من عواصم افريقيا وآسيا ، فاقترحت فى هذه الدورة أن توضع النظم المفصلة الكفيلة بهذا الاتصال الدائم ، والتواصل الدائب ، على يد لجان التضامن الآسيوى الافريقى ، الموزعة فى بلاد القارتين ، بحيث يصل على يدها كل ما ينشر ، فى صحيفة ، أو نشرة ، أو كتاب ، أو غير ذلك من وسائل الاعلام عن قطر منها فى قطر آخر ، الى هذا القطر الذى كان النشر عنه فى حينه ، فيعرف كل قطر ما يقال له ، أو عليه ، فى أى بلد افريقى أو آسيوى ، فيصحح المخطىء منه ، ويعتز بالصحيح الصادق ، فيفيد من سحر القلم ، وسر القلم ، وسطوة القلم ، بما يتناسب مع هذا التعارف الممدود ، والتضامن المنشود ، الذى عملت الايام ، وتعمل ، على توثيقه .

وعن طريق لجان هذا التضامن يستطيع كل قطر أن يبعث الى سائر الاقطار الافريقية الآسيوية ما يحب أن يعرف عنه ، ويقال فيه ، ويذاع له ، فينشر فى تلك الاقطار ، بوسائل الاعلام المختلفة ، تحقيقا لما يرجوه البلد الناشر ، من فعل القلم ، وقوة القلم ، ونفوذ الكلمة البعيد المدى ، العميق الاثر .

وعلى هذا تكون الاجتماعات الدورية ، كل سنة ، او اكثر ، او اقل ، انما هى الدعم الوطيد لهذا الاتصال المستمر ، والتعاون الدائب ، والتاكيد الفعال لهذا التعارف والتآخى ، الذى تجمع هذه الامم عليه آمالها المشتركة ، وآلامها المجهدة ، ولا يقف الامر عند جولة قصيرة ، فى اسبوع او اقل ، يثوب بعده كل وفد الى بلده ، على أمل لا ينميه ترابط متسق ، وتراسل منتظم ، بل تكنه الصدور ، وتحفظه المشاعر .

ولقد يحتاج تنسيق هذا الاتصال المقترح الى ارتباطات متبادلة ، والتزامات متماثلة بين الهيئات المختلفة فى الاقطار الآسيوية الافريقية ، من نقابات للصحافة ، او اتحادات لارباب الاقلام ، او للناشرين ، ولهيئات الاعلام ، والاستعلام ، حين توجد فى تلك الاقطار .. ولسوى هذا كله مما يوجد فعلا ، أو يجد على الايام .

ولمثل هذا فليعمل العاملون من المؤمنين حقا بقوة الاقلام ، وانها بلسان هذا العصر ليست الا قنابل يدوية بين اصابع محركها ، تستطيع من كسب النفوس ، وربط القلوب . وتركيز القوى ، ما لا تستطيع وسائل الفتك الحربية ، من كسب الاراضى ، وضم البلاد تحت رايات المعتدين ، وربط الاحرار بعجلة العادين المعتسفين ، حين تضللهم مزاعم فاجرة ، وادعاءات مضللة ، كتلك التى لا تزال اليوم فى فرنسا تزعم أن الجزائر فرنسية ، وتلك التى ترى ان الخلاف على حرية البلاد النائية ، عن مراكز الفتك الاوروبية ، فى أقصى القارة ، انما هو خلاف داخلى ، ترد هيئات الامم ، عن النظر فيه ، والقضاء على باطله ، فتجىء هولندا من أقصى الشمال الغربى ، لتنازع اندونيسيا فى ابعد الجنوب الشرقى ، على شطر من ارضها ، وقسم من وطنها ، كما يجىء غيرها وغيرها ، بمثل هذه الافتراءات ..

ان تحقيق الحرية ، وتوفير السعادة هو صميم رسالة القلم ، مهما يكن الرأى فى الاهداف والتوجيه ، لان هذه الحرية ، وذلك السلام همـا هدف البشرية ، وأمل الانسانية .. وقوة الاقلام فى تحقيق الهدف ، وتقريب المثل هى القوة العليا ، وواجبها فى ذلك هو الرسالة عند اصحاب الفن والحياة .

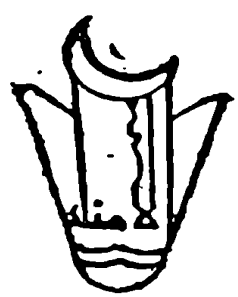

الديباجة في الشعر العربي

بقلم : محمد جابر الحينى

فى المقال السابق تحدثت عن بعض الاسباب التى جعلت فن الديباجة فى العصر الجاهلى يفرض نفسه على الجو الادبى فى العصور التالية ، ويبدو لى أن هذا الحديث ـ كان مجملا وعاما ـ لا يزال فى حاجة الى فضل بيان أزجيه هنا بين يدى الحديث عن المذهب الفنى الجاهلى .

حين ينظر الباحث الى الشعر العربى ، مستعرضا أول ما يستعرض الشعر الجاهلى ، يجد الآية الفنية للديباجة فى هذا الشعر هى الوقوف بالاطلال ، وهو حين يمضى مع الزمن ناظرا الى الحياة الادبية ، يجد الحياة العربية كلها ـ ادبية واجتماعية وسياسية ـ تحتفل بمقدم القرآن أيما احتفال ، وتتلقاه عن لسان رسول الله ، الذى وصفه القرآن فى قوله (وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) ، احتفلت به أدبيا وان لم يكن شعرا ، لما فى بيانه من اعجاز ، وما فى فنه من روعة واحكام وجمال ، وما فى منهجه التصويرى من ألوان ، وهى كلها فنون أدبية خليقة أن تحدث مذهبا فنيا جديدا ، ولكن تغير العرب المادى ـ فيما يبدو ـ كان أقوى من التغير النفسى ، ومن ثم لم تحدث الثورة الفنية التى توجه الكيان الفنى ، توجيها خلاقا فى الذوق والاحساس ، وقد سبق أن فسرت هذه الظاهرة ، وقلت فيما قلت ان من اسبابها الانصراف عن القرآن الى ما ألفت النفس من بيان وتعبير أدبى ، لان هذه سبيل مأمونة تبعد الاديب عن الشبهات فى اسلامه .

أيا كان الامر فظهور القرآن لم يحدث انقلابا فنيا كما أحدث انقلابا سياسيا واجتماعيا ، ولم يحدث تحولا فى المذهب الفنى للديباجة فى الشعر العربى ، وظل الامر على ذلك طيلة حكم الامويين ، يمضى المذهب الفنى فى نفوس الشعراء كما يمضى غيره من طابع عربى فى الحياة ، فلم ير الشعراء مايوجب تحولهم عنه او مايقودهم الى تغييره ، ومعنى هذا ان المذاهب الفنية فى الشعر الجاهلى ظلت ماضية فى طريقها ، رغم تطور الحياة واختلاف مناهجها ، والذين يدرسون المذاهب الفنية فى الشعر الجاهلى بعمق سيجدونها فى شعر الشعراء فى الحياة الاموية بل فى العباسية ايضا ، بل يرونها واضحة مع التطور الذى اقتضاه الزمن والثقافة فى العصور الذهبية للشعر العربى ، وما يعنينا هنا من هذه المذاهب هو مذهب الديباجة فاننا نراه اعظمها جميعا وضوحا ، واقوى ظهورا ، ترى الشعراء يحتفظون به وكأنه قطعة من احساساتهم او ثمرة من وجدانهم ، فدل بذلك على انه ظل مرآة تعكس ذوقهم ووجدانهم ، احتفظ الشعراء بمذهب الديباجة رغم انهم طوروا صورهم الشعرية بما يتفق وحياتهم وتطورها ، ونحن حين

تنظر الى احتفاظهم بالمذهب الذى تراه يعكس حقيقة نلحظهـــا فى تاريخ الامة العربية ، هى أن الامة العربية احتفظت بطابعهـا الفنى كما احتفظت بطابعهـــا الخلقى ، وكان لهذا حسنات وسوءات فى تاريخها .

ولقاؤنا مع الموالى ــ رجال الشـــعر والادب ــ فى القرن الثانى الهجرى لا يجعلنا تتصور ان الشعر تهيأ له بهم ان يخـرج عن سبيله المطروقة ، ذلك لان الموالى ــ مهما قيل فيهم وفى وضعهم الاجتماعى ــ عرب بلسانهم واحساسهم الفنى ، وتصور غير ذلك خروج بهم الى غير طبائعهم ، ذلك لانهم افراد نشأوا فى بيئات عربية الذوق والمنهج ، وتكيفت حيـــاتهم كما كانت تتكيف حياة العرب ، فهم بهذا الوضـع كالعرب سواء بسواء ، ونظرة الى حيـاة هؤلاء الشعراء الموالى كما اوردها ابو الفرج الاصفهانى فى الاغانى لا تدع مجالا للشك فى هذه الحقيقة ، انظر الى بشـار وتفاخره بمن عاشر من عرب ، والى ابى نواس والى تفاخره بالفقه بالعرب واللسان العربى والى نشأته ، والى غيرهما فلن تجد الا بيئة عربية تطبع الشاعر بطابعها ، ومن هنا لا يستطيع باحث امين فى دراسـته أن يجعل هـــذا العنصر ــ وهو وجود الموالى ــ عاملا من العوامل التى يتحتم بها احداث انقلاب فنى ، أو دافعا لايجاد مذهب فنى جديد ، أما هذا الذى لهج به ابو نواس فلا يدل على انه اســـتحدث مذهبا فنيا جديدا ، ذلك لان مثل قوله :

قل لمن يبكى على رسم درس
واقفـا ما ضر لو كان جلس

لا يصور مذهبا فنيا مغـايرا للمذهب القديم ، لانه فى حقيقته يقوم على نفس الاساس الفنى ، والاختلاف فى الشكل ، فى سخرية بالوقوف بالاطـــلال ، سخر ولكنه لم يعدل أو يستحدث فنا جديدا ، كما أن قوله الذى يهـــاجم به الوقوف بالاطلال كمثل :

ايا باكى الاطـــلال غيرها البلى
بكيت بعين لا يجف لهـــا غرب
أتنعت دارا قد عفت وتغـــيرت
فانى لما سالمت من نعتهـا حرب

لا يدل على تغير فى الاساس الفنى لبناء الديباجة قليل أو كثير ، ذلك لان الاساس الفنى هو هو لم يتغير ، اما سخرية واما هجوم على الاطلال ، وهو تطور فى الشكل الظـــاهرى ، لانه فى كلتا الحالين يقيم الديباجة على الحديث عن الاطلال مدحا أو ذما أو سخرية أو وصفا ، ومن هـــذا الميدان ايضا قوله :

عاج الشقى على رسم يسائله
ورحت أسأل عن خمارة البلد

ليس فيـــــه تجديد الا فى الشكل ، تجديد جاء كما جاء التجديد فى الصـــور الشعرية ، هو فى اطارها ومظهرها ليس غير ، تجديد جاء نتيجة الانتقال من البادية الى الحياة الحضرية ، التى فيها الترف والمناظر المخالفة لمناظر البادية .

لم يشهد القرن الثانى الهجرى اختلافا فى المذهب الفنى ، وخلقا لمذهب جديد فى الديباجة ، ونظرة الى كتاب الاغانى لابى الفرج الاصفهانى توضح فى جلاء ماذهب اليه ، تبين أن الادب الذى كان يهز الشاعر فى القرن الثانى الهجرى هو الادب الذى عرفه العرب فى جزيرتهم بمذاهبه الفنية ،

وحسبك هذا دليلا يعكس لك الذوق الادبى فى ذلك العصر ، والذى تراه واضحا فى دواوين الشعراء ، بل وفى ديوان ابى نواس نفسه ، الذى ترى فيه جانبا كبيرا من شعره يجرى كما يجرى الشعر التقليدى ، ترى هذا فى مديحه بخاصة ، وانك لتستطيع ان ترد منهجه الفنى فى القصائد التى يبداها بذكر الخمر الى اسلافه من الشعراء السابقين ، وانت تعرف الى جانب هذا ان عمرو بن كلثوم بدأ قصيدته بذكر الخمر :

الا هبى بصحنك فاصبحينا
ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كان الحص فيها
اذا ما الماء خالطها سخينا

وان الرواة الثقات ينفون ان عمرو بن كلثوم بدأ قصيدته بالاطلال ، فالبداية بذكر الخمر ليست شيئا جديدا على الحياة الادبية العربية ، بل هو منهج جاهلى قديم بقى اثره متمثلا فى قصيدة عمرو بن كلثوم ، ولعل أوضح ما يبين لنا أن أبا نواس لم يأت بفن جديد هو حياته الادبية نفسها ، فلو انه كان قد اتى بفن جديد لرأينا له فى حياته الادبية خصوما ومؤيدين ، أما وحياة مضت كما مضت حياة غيره من كبار الشعراء أمثال بشار ومسلم بن الوليد فلا يمكن أن يقال انه أتى بفن جديد ، وان كان مسلم بن الوليد يتميز عنه فى هذه الناحية ، مضى ابو نواس لم تشايع مذهبه طائفة ولم ترفضه طائفة كما نلحظ فى الفنون الجديدة ـ خصوما محافظين ومجددين متمسكين بالجديد ، على نحو ما نلحظ ذلك ـ من حيث القديم والمحافظة عليه والجديد والمضى فيه ـ عند ابى تمام مثلا وخصومه ، أو عند المتنبى وخصومه ، تلك الخصومة التى اشاعت الثراء والتجدد فى الادب العربى ، وان كان تجديدا فى المظاهر الصوتية والصور الشعرية ، فراينا الوساطة بين هذا المنهج او ذاك ، والدفاع عن مسلك هذا الشاعر او الهجوم عليه ، وكان هذا الشد والجذب آية الحياة الادبية فى القرنين الثالث والرابع من الهجرة ، هذه الآية التى كانت خليقة أن تأتى بفن جديد فى الادب ذى غناء ، ولكنها وجدت فى زمن لم تتمكن أن تنفذ فيه وتستقر فى النفوس وتحدث الخلق الفنى ، لانها خضعت لتيارات قهرتها ، وحولت الحياة الادبية فى القرن الخامس على نحو ما نعرف . ومهما يكن من امر فهذه الظاهرة الادبية ـ ظاهرة الخصومة المذهبية بين رجال الادب ـ لم تكن معروفة فى القرن الثانى الهجرى ، ووجدت فى القرن الثالث ، ولم تتمكن أن تتفاعل مع النفوس التفاعل الذى ينتج عنه الخلق الادبى لاسباب سياسية واجتماعية .

* * *

والباحث لا يستطيع أن يجد مناصا من القول بأن فن الديباجة احتفظت به الحياة الادبية على اختلاف عصورها بمظاهر يختلف التطور فيها باختلاف درجة الثقافة ونشاط الحياة الادبية ، حتى جاء العصر الحديث واخذ النقاد ينحون على الشعراء فى التجديد الفنى والمذهبى ، ثم اخذ الشعر المعاصر سبيلا جديدة ومذاهب جديدة لم تكن معروفة من قبل .

من هدى القرآن ...
فى أموالهم

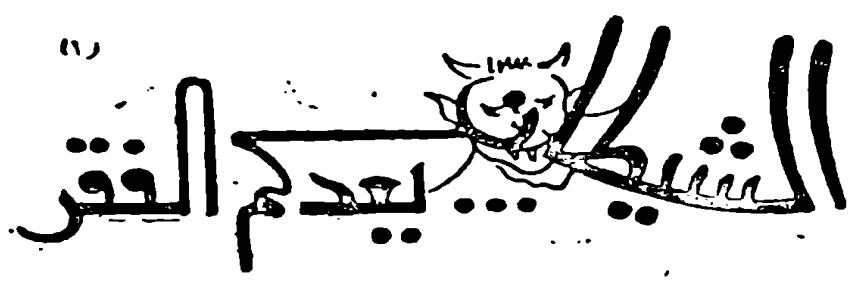

الشيطان يعدكم الفقر (١)

أنتم الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد .. تمضى هذه الاحاديث ، من هدى القرآن ، فى مشكلات الاجتماع ، مطمئنة الى ان هذا الهدى تدبير اجتماعى ، ورياضة نفسية ، صالحة للبقاء ، مسايرة للحياة ، تزيد جلاء ووضوحا كلما زاد فهم الانسان لنفسه ، وانتفاعه بتجاربه ، فيجد انها رياضة جديرة بان تجنبه شرور هذه الازمات ، التى تعانيها الدنيا ، فى مبادىء متصارعة ، وسياسات متعارضة ، ونظم للحكم متغايرة ، ومساوىء من ذلك كله ، يصلى الناس نيرانها .

وقد أشرف بنا القول ، على نظر هذا الهدى الى الفقر ، الذى هو اليوم فى لساننا عدو محارب ، واحد أعداء ثلاثة ، تجند الاجناد ، ، وتحشد القوى والعتاد ، وتوضع الخطط لحربها — مع أننا فى الوقت نفسه نسمع ان هذا الفقر لقب فخر ، لمن يسمون الصوفية ، ويدعون الفقراء ، وما شابه ذلك .. **كما أن ناسا منا يتحدثون عن الاسلام ، يغبطون الفقراء ، ويدعونهم الى الرضا به ، بل الابتهاج** .. وبتلك التيارات المتضاربة تتشوش الاذهان ، وتضطرب النفوس ، فى وقت تحتاج حياتنا فيه الى بعض الاطمئنان ، ولاسيما فى الناحية الاقتصادية ، التى نرجو أن نسير فيها بعض الخطا السديدة .

وقد تحدثت قبل الآن عن الفقر ، مستعيرا للعنوان ، قول القرآن «**الشيطان يعدكم الفقر**» ، وبينت أن الحرمان ، واختلاف المواهب ، وتفاوت الدرجات بين الناس ، قد عمل كله ، على وجود حركة صوفية ، انسانية عامة ، عالمية ، انحاز اليها أتباع الاديان المختلفة ، فى الاعصر المختلفة ، فكان لهذه الصوفية العالمية صلتها بالاسلام ، واثرها فى فهم هدى القرآن ، ومن هنا لم يكن لملتمس الهدى القرآنى بد ، من النظر فيما خلفت تلك النزعة الصوفية ، من افكار عن الفقر ، وما روجت من آراء بهذا الشأن ، لها خطرها الاجتماعى ، واثرها الحيوى ، خيرا حينا ، وشرا حينا .

ومن بقايا ذلك كله تلك الاقوال والدعايات المرددة بيننا اليوم ، على ألسنة الذين يتحدثون عن الفقر ، تلك الاحاديث المهنئة به ، والغابطة عليه ، فيدفعون الناس بذلك الى غضب ساخط ، أو تهكم

---

(١) قالت سيدة جليلة من قارئات « الادب » : ان الحديث المنشور فى عدد فبراير الماضى تحت هذا العنوان لابد أن قد جدد فيه شىء عند النشر ، وغيرت صورته الاولى ، و « الادب » تؤكد لها انه بنصه القديم لم يغير فيه حرف .. ويشجعها هذا على متابعة نشر هذه الاحاديث ، ما دامت لم تفقد جدتها .. وهذا حديث أذيع فى ١٩٦١/١/٣٠ .

ثائر ، وكلاهما عدو للطمانينة النفسية . .
وبهذا نريد هنا لنرى : **هل بثت تلك الصوفية ، فى الاسلام حقا ، هذه الروح المنصرفة عن الدنيا ؟ وهل غلبت بذلك حيويته العاملة ، فحبب الاسلام بقرآنه ، فى مثل هذه المعانى عن الفقر ؟ وهل جعلت صوفية المسلمين يرون فى الفقر ، تلك الآراء ، حتى يحق للمتكلمين عن الاسلام ان يذكروا الفقر ، بما يذكرونه به ، ويوقعوا فى حياتنا الارتباك ، فتضطرب خطانا نحو الاصلاح الاجتماعى ، وتتبلبل فينا الخواطر ، بتأثير هذه الاقوال ، التى تقضى على الفقراء بالحاجة الضارعة ، وتترك لغيرهم الانانية الجشعة ؟ !!**

ان هذا القرآن بفضل حيويته قد انقذ صوفيته ، أو على الاقل ابقى فيها من يفكر باتزان فى هذه الناحية ، فتراه (١) يفرق بين الفقر وصنوفه ، ويرجع من ذلك الى هدى حكيم ، وتدبير دقيق صالح ، فيقول :

ان نوعا من الفقر قد فرض على الناس جميعا ، وما هو فى الحقيقة الا فقر يجرد النفوس من جبروتها ، ويخلصها من طغيانها ، اذ يقنعها بضرب من الحاجة الى قوة عليا ، تصغر امامها كل قوة ، وتمحى كل غطرسة ، ويتضاءل كل جبروت . . فيلزم النفوس أن تشعر بالحاجة المطلقة الى تلك القوة ، وتفتقر فقرا مطلقا عاما ، هو ذلك الفقر الذى هتف به القرآن **« يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد »** . . هو الفقر الدائم الذى قصره عليهم بقوله **« والله الغنى وانتم الفقراء »** . . فقراء الى فضل الله الغنى المطلق ، فلا غنى فى الواقع الا غنى واحد ، هو الله . . وكل من عداه محتاجون اليه ، ليمد وجودهم بالدوام . . فهم فقراء فى التمرد ، فقراء فى التجبر ، فقراء فى التفرد ، **وليسوا فقراء فى المال ، ولا فقراء فى الطعام ، ولا فقراء فى الحرمان ، ولا فقراء بالحاجة الضارعة الى اخوة لهم ومنهم ومثلهم يذلونهم ، ويحطمون نفوسهم .**

ومن هنا نرى ان هذا الفقر انما هو فقر يصلح الامر ، ويمنع الشر ، ويهدى القلوب ، ويصلح النفوس ، واحبب الينا ان نكون جميعا فقراء بهذا المعنى ، دائما ابدا .

وحين يلزم القرآن صوفيته بالفقر الصالح المصلح ، يجنبهم الرضا بالفقر المحوج المذل ، فاذا هم يسمون الفقر انى المال اضطرارا ، كفقر الجائع الفاقد للطعام ، وفقر العارى المسلوب للكساء وما الى هذا . . . وهو فقر لا يلزمون به ، ولا احسبهم يستمدون اسمهم منه ، حين يسمون انفسهم الفقراء ، وأولاد الفقراء ، وانما هم يتسمون بذلك ، من الفقر المطلق ، العارف قدر نفسه ، الخاضع لجلال ربه . . وعلى هذا الفهم لنوعى الفقر استطاعوا ان يدركوا **كيف ان الرسول عليه السلام يتعوذ من الفقر ، ويقول فى دعائه : اعوذ بك من الفقر ، ويعده كفرا ، فيما ينقل عنه من قوله : كاد الفقر ان يكون كفرا** ، ويثور على الفقر ، من قوم الرسول عليه السلام ، من يقول : **لو كان الفقر رجلا لقتلته** . . . ثم هو عليه السلام يحب الفقر ويتمناه ، ويدعو الله ان يحشر فى زمرة أهله وما الى ذلك من المعانى ، التى لا تستقيم الا على هذا الفهم لمعنى الفقر المطلق الذى بيناه فانما احب الرسول ، عليه السلام ذلك الفقر المطلق المؤمن ، الكابح لجماح النفس ، الشاعر بحاجته الى قوة فوقه ، فهو يجنب من تحته قوته ، لان قوة اعلى منها تردعها . . وانما كره الرسول عليه السلام الفقر المضطر ، المحتاج ، المذل ، القاتل للكرامة والادمية ، الممزق للوحدة ، المثير للحقد ، والفرقة ، فالفوضى والاضطراب .

كذلك ينبغى ان يفهم الامر على وجهه ، ويجرى الاصلاح فى طريقه ، ويوصل الحق لاهله ، وتحترم آدمية الفاقدين ، فذلك هو النظام الاجتماعى ، فى الاسلام ، كما فهمه الصوفية انفسهم ، حين سموا انفسهم الفقراء . .

وفى هدى القرآن من ذلك غناء .

---

(١) ارجع الى احياء علوم الدين ، للغزالى حـ ٤ ص ١٦٤ وما بعدها ، ط الحلبى .

مأساة الجبل الاخضر

فى حجر نبى ..
وبكف اله ..
ولدت فوق الجبل الاخضر ..
بيضاء كافواس الفجر
فى عيد الشمس
شماء كابراج النصر
تاخذ بالحس
تزهو ابدا .. كعروس مجلوة
تصبو ابدا .. لحياة مرجوة
حفت بملائكة الرحمة !!
لم تلبس ـ منذ صباها ـ الا ثوب ملاك
لم تقرأ ـ منذ صباها ـ الا آى نبى
وتهادت فى دنيا الناس .. طاهرة الذيل
طيبة النفس ..
وكهالة نور ..
ظلت تمتد وتمتد
حتى سادت .. خير بلاد !!

* * *

وامتلأ الوادى بالازهار ..
ازهار طيبة نضرة !!
فاتخذت منها زينتها ..
وبدت فاتنة معبودة ..
تغزو افئدة الابطال ..
وتشد اليها جمعهم
فى خير ملاحم تشهدها حومة ميدان
ضاعت فيها نصب الثورة :
« حب .. حق .. حرية »

* * *

وانتابتها حمى النصر ..
فى ظل الابطال الغر ..
كانت دغدغة مشبوبة ..
بشباب عارم ..
ومضت تكشف عن ساقيها
فى ساعة نشوة

لظلال حلوة
لفت ساقيها فى خيط واه مسحور
فى عرش النور !!

* * *

وانقطع الخيط .. وظلت تهوى ..
فى اعماق ظلام دامس
لا تسمع فيه صوت البوم !!
لا تبصر الا شمعا مطفا
فى كف أبالسة زرق !!
ومضت تهوى مبهوتة ..
أخذت بعقارب تنهشها .. صرخت ..
وعرى الابطال جنون المجد
فانسابوا كالنهر الخالد ..
موجات تربط موجات ..
شهداء ورثوا شهداء ..
حتى كانت ملء القاع
حلقات تمسك حلقات
وانقدح الشرر القدسى ..
فاضاء القاع
ونجت !!
لكن ظلالا باهتة لفت ساقيها فى نشوة
وضبابا عشى عينيها .. ففدا ما تبصره
((هوة ..
((وأبالسة رزق ..
وعقارب تنهش ساقيها))

* * *

انفض السامر !!
وانفرط العقد !!
ومشى فى الدار ((أطباء)) يحصون الثروة
ويدسون السم القاتل ..
لكن ملائكة الرحمة ..
ظلت توحى للازهار
تمتص السم وتفديها
حتى شفيت !!
وغدت كالمومس !!
بيضاء بلون الثلج ..
شماء كانصاب الموتى ..
لا تمسك كفاها الا جثمان شهيد
لا تبصر عيناها الا آثار طريد

وشراذمة افاقين ..
نزحوا من كل بلاد ..
فى شكل وباء !!

* * *

اين الابرار ؟ !
اين الازهار ؟ !
اين شباب الجبل الاخضر ؟ !
لا شىء سوى وحل مغروس فى كل طريق
وافاع تفرخ حيات .. وتشب حريق
وقبور تنهض فى السفح ..
وظلام يفترش القمة !!

* * *

هل من عملاق ..
فى ساعده الف ذراع ..
فى قبضته الف قذيفة ؟!
يمضى فى جيش عمالقة ..
ليخلص ارض الالهة ..
ارض الشهداء !!

* * *

انى لاراه ..
فى شكل اله !!
اسمر من غرس بلادى الحرة
يجتاح سدودا وسدودا ..
ويدوس رءوس الافاقين ..
ويعيد حياة الشهداء !!

* * *

هيا .. هيا .. يا جبار
خض بشباب العرب الان
((ارض الشهداء))
وارفع فوق الجبل الاخضر
انصاب الثورة ..
((حب .. حق .. حرية))
حتى تنمو كل الازهار ..
وتعود بلادى ..
بيضاء كاقواس الفجر
فى عيد الشمس
شماء كابراج النصر
فى جبل ((القدس))
كامل سعفان

يا ليـــــــــل

يا ليل .. من انبـاك انى هائم
فغرست اعواد السـهاد بمقلتى

وزرعت ارجاء السكون بمسكنى
وجدا ـ واشعلت اللهيب بغرفتى

وبعثت اشباحا تجوب اديمهـا
عبر الظـلام تلفنى فى حيرتى

ورسمت لى فوق الحوائط لوحة
مجنونة الاصباغ تؤرق وحدتى

ونثرت لى فـوق الارائك باقة
من ذكرها ـ ولت ـ كانضر باقة

وملأت كاساتى هوى فهوى بها
يا ليل ـ بعد ـ بعد طول محبة

لو كان بالمجنون ما بى ما مضى
فى اثر ليلى ساخرا بالظلمـة

لـكن ما بى لو تيقن مشرك
منه ـ لآمن بالسما ، والقـدرة

ولعانق الاسلام مقتنعـا كما
عانقت عن بعد خيـال حبيبتى

* * *

يا ليل انى قد ورثت من الهوى
مر الهوى يئـد الصفاء بمهجتى

كم من ليال عشـتها عزت على
مجنـون ليلى ، او كثير عزة

كانت وكنت ، وانت ثالثنا الذى
منـا يغار ويكتوى بالغـيرة

يا ليـل كنت تمر مر دقائق
ماذا دها !!! نتسير ميت الخطوة

تمضى بـلا قلب بـلا حس بلا
حب بلا شـوق الى محبـوبة

كنا نذوب وانت صاف مثلمـا
كنا نذوب وانت مر اللفحـة

كانت سـعادتنا تنور ما ترى
فى غرفتى ، من ظلمة فى غرفتى

واليـوم من انبـاك انى هائم
لتزف اطياف السـهاد لمقلتى

* * *

يا ليل لو تدرى بان مشـاعرى
كم للهوى غنت باعذب غنـوة

يا ليـل لو تدرى بانى شـاعر
وعلى شفاف القلب ماتت قصتى

والله لو تـدرى بان حبيبتى
كانت لى الدنيا ، وكانت فرحتى

ما كنت تزرع مقلتى سـهدا ولا
تمضى ثقيل الخطو تقتل بسمتى

لكنك الليل الذى اعيـا الدنا
من آدم حتى قيـام السـاعة

ولسوف تبقى هـكذا عبر المدى
رمز الاسى رمز الضنى والقسوة

يس قطب الفيل

الى القمر

- ١ -

أيُّ السحاب أنت من عناء
تسلقك السماء والاشراف على الارض ،
متجولا وحيدا بلا رفيق
بين النجوم المختلفة المولد عن مولدك
دائب التنقل ، كعين لا تجد من فرط احزانها
ما يستحق أن تثبت عليه انظارها ؟

- ٢ -

جلست عصفورة مات اليفها ،
على غصن أذبله الشتاء تنوح على حبها ،
الريح الباردة زحفت من فوقها ،
والغدير الذى تجمدت مياهه من تحتها .
ولم تبق فى الغابة ورقة على غصنها ،
ولم تبق زهرة على أرضها ،
وكاد الهواء يسكر من حولها ،
ماعدا الصوت المنبعث من عجلة الطاحونة .

فلسفة الحب

الينابيع تمتزج بالنهر
والانهار بالمحيط ،
رياح السماء تختلط الى الابد
فى عاطفة حلوة ،
ما من شيء فى الوجود - وحيدا
كل الاشياء بمقتضى قانون الهى
يمتزج كيانها بعضه ببعض
فلم لا امتزج أنا معك ؟

انظرى الى الجبال تقبل السماء العالية
والامواج تعانق بعضها بعضا
وما من زهرة يغفر لها
لو ازدرت اخا لها
وضياء الشمس تحتضن ـ الارض
واشعة القمر تلثم البحر
ما قيمة كل هذه القبل
لو لم تقبليني انت ؟

ـ ٤ ـ

الموسيقى ، عند ما تهمد الاصوات الناعمة ،
تخطر فى الذكرى ـ
العطور ، عند ما يمرض البنفسج الرقيق ،
تحيا فى الاحساس الذى تثيره .
اوراق الوردة ، عند ما تموت الوردة ،
تحشد لمضجع الحبيبة ،
وهكذا فان ذكراك ، عند ما تكونين قد رحلت
سيهجع اليها الحب ذاته .

ترجمة : نعيم عطية

* * *

((بقية وحى المنيا))

مصباحنا من غاز — وفجرنا ليس يظهر
فى بيت ((بولس)) عشنا — خلف الحوائط نقبر
نقتات بالصبر يوما — من بعد يوم ونصبر
الصبر ولى فهات — الكاس واجلس لنسكر
وصب كاسا واخرى — لفاتن العين احور ..
عيناه عبر مداها — تفوح مسكا وعنبر
عيناه أم امواج — فوق الذى اتصور
فما عليه شراعى — اذا تمادى وابحر
خمر طروب المغانى — من عهد كرم بن معمر
العمر والشوق فيها — والثغر بالثغر يعصر
حتى نغيب رويدا — عن الوجود فنعذر
من لم يذق بمذاقى — فى الحب لم يتحرر . .
يا منية بن خصيب — اليوم اياك نهجر . .
واليوم فى اسيوط — حط الرحال تصور . . !

((فتحى سعيد))

وحى المنيـــا

عاش الشاعر فترة فى مدينة المنيـــا وقراها بالصعيد وما كاد ينقل قريبا للقـــاهرة .. وليس اليها ..! حتى عاد ثانية لاسيوط باعمال الصعيد!! فجاءت قصيدته مجرد انطبـــاعات موظف مغترب يجذبه قيد الوظيفة الى الارض .. ويشده انطلاق الشاعر للسماء ..!

قـــد مر عـام وأكثـــر ... ونحـــن بالعيش نـــكفر
يا منيـــة (ابن خصيب) ... اليـــوم بالرأى نجهـــر . (١)
منيـــا وقالـــوا عروس ... تفـــوق ثيبـــا وبكر
ابن الخصـيب أتاهـا ... لمـــا الزمان تنـــكر . .
عينـــاها قـــد سملوها ... وفى القيـــود تجـــرجر
قالـــوا تمنى فاغفى ... هنيهـــة . . وتفـــكر
وقال اختـــار منيـــا ... بالشاطئين فعســكر . !
الى ((ابـــو قرقاص)) ... ســـار القطـــار وصـــفر
و ((ملـوى)) وســـواها ... مرت ليـــال وأشـــهر
وفى القـــرى كم مشـــينا ... على التـــراب المعفـــر
((مشروع وقت فـــراغ)) ... وكيف بالريف يثمـــر (٢)
والـــكادحون عـــرايا ... من كل أشـــعث اغبـــر
وما لديهـــم فـــراغ ... يبقى . . لـــكى يستثمر . !
فى حاجـــة لكســـاء ... وبعض مـــاء مـــكرر
فى حاجـــة لعـــلاج ... أجدى وبالخبز أجدر ـ . .
أنا منهمـــو فـــلاح ... بمـــا يلاقون أشـــعر . .
لى قـــرية بشـــراها ... يكد أهـــل ومعشر . .
بالله ماذا جنينـــا ... يا ريف حتى أســـخر ؟!
يا ســـاكنين بمصـــر ... أنا هنـــا تتضـــور
جوعا ونفنى ـ اغتـــرابا ... ولا فـــؤاد يتـــذر . !
يا أيهـــا (الاخصـــائى) ... قم من رقادك شـــمر (٣)
لشـــلة كيهـــود ... فى العهـــد من آل خيبر
فمهنتى خـــدعوها ... بكل عقـــل تحجـــر . .
قد شـــوهوا الفن فيهـــا ... بـــكل رنان أصـــفر
قـــوم يروون مداها ... للكسب والربح مصـــدر
يمـــر فيهـــا علينـــا ... من كل فذ تنـــمر ـ . . !
((بل)) اذا جـــاء يوما ... مفتش يتـــامر . !
وينهبـــون فلوســـا ... ويكســـبون وتخســـر
فمـــرة حلقـــات ... ومـــرة لمعســـكر
الصـــيف فى لوران ... وفى الشـــتاء الاقصر
قـــوم اذا نزلوهـــا ... ((فسافواى)) . . وافخـــر

---

(١) ينسب اليه اسم البلدة .. وله قصة معروفة
(٢) من مشروعات شغل أوقات الفراغ بالغربة
(٣) الاخصائى الاجتماعى فى مجال التربية الاجتماعية

ونحن نسكن ((بولا)) منها البهائم تنفر
واول الشهر نغنى واول الشهر نفقر ؟.
ودخلنا ملاليم ودخلهم ليس يحصر
حتى متى سنداري حتى متى سنخدر
فارفع جبينك وامشى بلا قناع مزور
انا شباب جديد بنا الزمان تطور
تثوب فى الكون ذوبا والدهر فينا تحير
نخوض عبر دروب غير التى أنت تعبر
درب الحياة طويل نسقى ثراه . . ونبذر
نراه خطو كفاح وطاقة تتفجر . .
وخفقة الشعر فينا تعرو الندى وتغمر . .
نسقى المواكب حبا فالكون بالحب يعمر
يا بركة جمعتنا لما الزمان تدهور
رمى بنا ونسينا ونحن نهنو ونذكر
كأنما نحن فيها لكثرة القوم نحشر
من كل فج أتاها ناس ومن كل منظر . .
يا منية ابن خصيب اليوم اياك نهجر . .
شد الرحال (لبنها) شوقا هناك ((لانور))
((أبا وفاء)) سلاما النحس ولى . . وأدبر
من أى شىء يعانى قلب يجوفك يهدر
أراك كالسطح تخفى والعمق كالبحر يزخر
تطوى الجوانح عنا والجرح فى الطى ينفر
بحر الحياة عميق وأنت بالعمق أخبر
يا ليتنى كنت أقوى على الامانى وأقدر . !
أفق جميل المحيا ان ساء دهرك فاصبر
أعد الينا الليالى على جناح معطر
نسقى رحيق المعانى من السمان ونقطر
يا صاحبى . . وحبيبى لانت أغلى وأندر
يا ذكريات تراءت شوقا هناك لانور . .
يا دهر حسبك انى ما كنت فيك مخير
سجن الوظيفة أضحى كالسوس فى العظم ينخر
أبى هناك معنى مرت ولم يتغير
خمس وسبعون عاما شيخ على الدهر عمر
أقوى من الدهر لكن الدهر أعطى وأنكر . .
نسمرتى بمكان نأى بها تتحسر
على وحيد لديها مع الزمان مسير
حياته أسفار صبحى بها لم يسفر
فى منية ابن خصيب قد مر عام وأكثر
أنا و ((أم وصال)) عبر الليالى نسكر

((البقية على ص ٥٩٢))

---

(١) بول .. بالانجليزية ـ البركة ـ

(٢) لوكاندة فاخرة

عيـــد

يقلم : حامد الاطمس

«واحد. خمسة . تسعة • اتناشر»
ما تـدققش على الارقـام . .
هيصـه ما بين ـ الكاس والآخـر
مش راح تعـرف شـارب كام

* * *

اللى يبســكر ما يدققش
واللى يدقـق يبقى بخيـل
واللى ف عيـده ما يبشرقش
يبقى العيـد على قلبه تقيل

* * *

وعشـان ذلك طب « سعيد »
حاتقـول ايه النـاس اسرار
حد يخش البـار ف العيـد
والا يشـوف العيـد فى البار ؟

* * *

وانا لولا خوفى على « الانسـان »
كنت أخلى سـعيد ف خنـاق
وامشـيه م البـار عيـان
واقفـل جوه البيت بطـلاق !

* * *

لـكن .. الحال ما وصلش لسوء
أكتر من دوخان . . وصـداع
واللى بيسكر لمـا يفـوق ..
يعـرف ان الخمـره خـداع

* * *

مشى سـعيد على قصر النيـل
فاتح صـدره برغم الجـو ..
كان من سـاعه لطيف وجميـل
صبحت حالته ـ عدوك ـ سو ..

* * *

راح البيت للمنتظـرين
أم .. وزوجـه حبيبه اليـه
حب « يعيـد » ع الحـاضرين
لـكن أمره اشـتد عليـه

* * *

خش بسرعة لاوضـة النـوم
بين نظـرات الاسـتغراب
نام بالبـدله وعدى اليـوم
من غير حـد ما يفتح باب . !

* * *

والصبحية تقـوم « عصفوره »
تغسـل طيره . وتلبس طـير
بوسـه لمـاما من القمـوره
فيهـا العيد . والناس . والخبر

* * *

يصحى سعيد على قول عصفورته
رايحه اتمرجح مع « محروسـه »
وان كان بابا يفـوق من نومتـه
ابقى قوليـله يجيبلى عروسـه !

الأم البيضاء

قصة : تيودور ...

ترجمة : ماهر شفيق ...

— ١ —

كان عيد الفصح يقترب وكان اسبركونستان تينوفتش فى حالة نفسية ملؤها القلق والارهاق منذ ساله آل جوروديشيف : «اين تزمع قضاء العيد»؟ ولسبب ما تأخر ساكسالوف فى أجابته وقالت مضيفته وهى سيدة قوية البنيان بارزة الصدر : «تعال الى دارنا» . وغضب ساكسالوف ، أنكان ذلك من الفتاة التى نظرت اليه بسرعة عند سماع كلمات امها؟ وفى الحال استردت نظرتها ومضت فى حديثها مع الشباب مساعد الاستاذ . لقد كان ساكسالوف اثيرا فى أعين الامهات اللائى بلغت بناتهن سن الزواج وكانت هذه الحقيقة تضايقه اذ كان يعد نفسه أعزب كهلا — ولو انه لم يتجاوز السابعة والثلاثين فى حقيقة الامر — وقد اجاب فى اقتضاب : « شكرا ، انى اقضى ليلة العيد فى دارى دائما » فنظرت الفتاة اليه باسمة وقالت « مع من ؟ » فاجاب ساكسالوف وفى صوته رنة دهشة طفيفة : «وحدى» وهنا قالت السيدة جورووديشيف بابتسامة مرة : « يالك من نفور ! »

كان ساكسالوف يتعشق الحرية وكان يدهشه احيانا انه فكر فى الزواج قديما . ولقد انس الان الى شقته المؤثثة تاثيثا تعوزه الاناقة واعتاد على خادمه فيدوت ذلك الكهل المنطوى على نفسه كما اعتاد على كريستينا زوجة خادمه التى كانت تطهو له طعامه والتى لم تكن اصغر سنا من زوجها . وكان ساكسالوف مقتنعا تمام الاقتناع بان عزوفه عن الزواج انما يرجع الى رغبته فى ان يبقى مخلصا لحبه الأول والحق أن قلبه قد أصبح باردا من الملل الناتج عن حياته المنفردة العديمة الهدف .. ولقد كانت له حياته الخاصة اذ توفى والده منذ زمن طويل ولم يكن له أقارب وثيقو الصلة به وهكذا عاش حياة مستقرة هادئة متعلقا بالادب والفن الحديث فى اعتزاز ملتمسا المباهج الرواقية فى الحياة وان كانت الحياة ذاتها تبدو له فارغة من المعنى ولولا أحلام نقية كانت تتراءى لناظريه أحيانا لأصبح باردا تمام البرود كما حدث لسواه من الرجال .

— ٢ —

كان حبه الاول والوحيد — الذى انتهى قبل أن يزدهر — يجعله يحلم احلاما حلوة حزينة فى بعض الامسيات وكان قد التقى منذ خمس سنوات بالفتاة التى خلفت فيه اثرا لا يمحى . كانت شابة رقيقة ذات خصر دقيق واعين زرق وشعر كستنائى . كانت تبدو له مخلوقا سماويا بل مزيجا من الهواء والضباب شاء القدر أن يتركه فى ظلام المدينة فترة وجيزة . كانت حركاتها بطيئة وصوتها الواضح الحبيب يرن فى نعومة مثل تمتمة الجدول

وهو يحدث خريرا رقيقا بين الصخور وكان يراها دائما فى ثوب ابيض فكان ذلك بمحض الصدفة ام بعد تدبير ؟ واصبح تاثير اللون الابيض فيه جزءا لا يتجزأ من تفكيره فيها بل ان اسمها (تامارا) كان يبدو له فى بياض الجليد الذى يكسو ذرى الجبال . وشرع يزور والدى تامارا وقرر فى اكثر من مرة أن يفاتحها برغبته فى الزواج منها ولكنها كانت تمهله دائما وقد انعكس الخوف والرهبة فى عينيها . مم كانت تخاف ؟ لقد كان يرى فى وجهها امارات حب صبيانى وكانت عيناها تلمعان عندما تراه واحمرار خفيف يشيع فى وجنتيها فما الذى كان يخيفها ؟

ولكنها اصغت اليه فى ليله لا تنسى . وكان الزمان مبدأ فصل الربيع ولم يكن مضى وقت طويل منذ فاض نهر النيفا ومنذ دثرت الاشجار نفسها بحلة خضراء ناعمة وفى شقة بالمدينة جلس ساكسالوف وتامارا قرب النافذة المفتوحة فى مواجهة النهر ودون أن يجهد نفسه بالتفكير فى الذى سيقوله وكيف يقوله . تحدث اليها فى عذوبة فحال لونها الى الشحوب وابتسمت ساهمة ونهضت وقد ارتعشت يدها الفضة على ظهر المقعد واجابته فى رقة : « غدا تخاطب والدى فى ذلك » وخرجت بينما لبث ساكسالوف مدة طويلة يتطلع الى الباب الذى اختفت منه كانما يتوقع شيئا . كانت رأسه تدور فى دوامة وصافحت بصره باقة من زهور السوسن البيضاء فأخذها وخرج دون أن يحيى مضيفته . وفى الليل لم يستطع أن ينام . وقف قرب النافذة يحدق فى الشارع المظلم الذى كان يزداد بياضا كلما اقبل الفجر وهو يبتسم ويعبث بمجوعة زهور السوسن البيضاء وعندما اشرق نور الفجر الفى ارض الحجرة مغطاة باوراق السوسن الابيض وادهشه ذلك . ثم دخل الحمام وخرج منه وقد استعاد نشاطه ومضى الى تامارا فأخبروه بانها مريضة وان بردا اصابها ولم يرها ساكسالوف بعد ذلك قط . وفى خلال اسبوعين توفيت فما ذهب الى جنازتها .

واحيانا كان يحلم بها فى الامسيات ثم تاخذ صورتها فى الاحتضار ولم تكن لديه صورة لها . كل ما فى الامر انه بعد مضى عدة سنوات على وفاتها وفى خلال الربيع الماضى ذكره بتمارا باقة من زهور السوسن البيضاء فى نافذة مطعم وقد اضفت عليه نوعا من الحزن الرقيق اذ تتخايل بين الاطعمة الشهية . ومن ذلك الوقت احب ان يتذكر تامارا ثانية فى الامسيات واحيانا كان يحلم كلما اخذ الكرى بمعاقد اجفانه انها جاءت وجلست فى مواجهته ناظرة اليه نظرة آسرة كما لو كانت تريد شيئا . ولقد كان يخيفه احيانا ويؤذيه مجرد الشعور بهذه النظرة . والان عندما غادر بيت جورودبشيشف فكر قائلا فى يقين : « سوف تاتى لتحيينى تحية الصباح » وكان الخوف والوحدة قادرين على النيل منه لدرجة أنه ساءل نفسه : « لم لا اتزوج ؟ لست محتاجا الى أن اعيش وحيدا بعد اليوم »

وخطرت « فالريا ميشايلوفنا » ابنة السيدة جورودبشيف على باله . لم تكن جميلة ولكنها كانت انيقة دائما ، وبدا له انها تحبه وانها لن ترفض يده لو حاول التقدم لخطبتها . وفى الشارع جذبت الضوضاء انتباهه وصبغ تشاؤمه المألوف عن ابنة « جورودبشيشف » بالضيق فهل يمكنه ان يخون ذكرى تامارا من اجل أى فتاة اخرى ؟ وبدا العالم كله لناظريه من التفاهة والسخافة الى الحد الذى اشتاق معه الى تامارا ــ وتامارا فقط ــ لكى تزوره وتحييه تحية العيد ثم فكر قائلا : « ولكنها سوف تسلط على نظرتها تلك كأنها تتوقع منى شيئا . ترى ما عسى تمارا الرقيقة تريد ؟ وهل ستقبل شفتاها الناعمتان شفتى ؟

— ٣ —

وراح « ساكسالوف » يتجول فى انطرقات وافكاره عن تمارا تعذبه وجعل يتفحص وجوه المارة فداخله النفور من وجوه الرجال والنساء الخشنة وجال بخاطره انه لا يعرف احدا يستطيع ان يبادله تهنئة العيد فى سرور حقيقى اوحب ولئن كان هناك من يستحقون التقبيل فهم الاطفال وهكذا اصبحت وجوههم محببة اليه . تجول مدة طويلة حتى داخله التعب فدخل فناء كنيسه مبتعدا عن الشارع الصاخب وراح صبى شاحب — يجلس على مقعد رخامى — يرنو الى « ساكسالوف » فى تفاهم ثم جلس دون حراك ينظر محملقا فيما امامه . كانت عيناه الزرقاوتان حزينتين آسرتين مثل عينى تمارا وكان صغيرا لدرجة ان قدميه لم تبلغا الارض وان تدلتا من المقعد . حلس « ساكسالوف » على مقربة منه ونظر اليه فى مزيج من الشفقة وحب الاستطلاع . كان ثمة شىء ما فى هذا الصبى الصغير الوحيد يستثير الذكريات الحلوة من مرقدها وكان المرء يراه لدى النظر اليه طفلا عاديا يرتدى ثيابا خلقة ممزقة وقبعة صغيرة من الفراء فوق راسه الصغير الكستنائى الشعر ، وحذاء قذرا باليا فى قدميه وقد لبث على المقعد فترة طويلة من الزمن ثم نهض وشرع فى البكاء على نحو يستثير الشفقة وما لبث ان خرج راكضا من البوابة . وتوقف فى الشارع ثم اتجه الى الشارع المقابل ثم توقف مرة ثانية . وكان من الجلى الا يعرف الطريق الذى يتعين عليه ان يسلكه . وبكى الطفل فى رقة حزينة وانحدرت الدموع على خديه . هنالك احتشد جمع غفير من الناس وجاء رجل الشرطة فسأل الصبى عن مسكنه وهنا اجاب الصبى فى لثغة نمت عن صغر سنه : « انى اعيش فى بيت جليكوف » وفكر رجل الشرطة — وهو رجل وسيم — لحظة من الزمن ثم قال انه لا يوجد بيت بهذا الاسم فى المنطقة . وهنا سأل عامل كئيب السحنة الطفل : « ومن يعيش معك ؟ ابوك ؟ » فاجاب الطفل نظرا الى الجمع بعينين دامعتين : « كلا قد توفى ابى » فقال العامل وهو يهز راسه فى حزن : « توفى ابوك ! يا الهى ، يا الهى ! وهل لك ام ؟ » فاجاب الصبى « اجل ان لى اما » فقال رجل الشرطة ، « وما اسمها ؟ » فاجاب الصبى : « اسمها الام (واضاف بعد لحظة) الام السوداء ! » وهنا سأله العامل الكئيب السحنة : « السوداء ؟ اهذا اسمها ؟ » فقال الصبى موضحا : « قد كانت لى ام بيضاء فى مبدا الامر اما الان فان لى اما سوداء » فقال رجل الشرطة فى حزم : « لن نفهم منك يا بنى والاوفق لى ان آخذك الى قسم البوليس حيث يمكنهم ان يبحثوا بالتليفون عن مسكنك » وذهب رجل الشرطة الى البوابة ودق جرسا فاقبل بواب يحمل مكنسه وطلب الشرطى منه ان يصطحب الصبى الى قسم البوليس بيد ان الصبى فاء الى رشده فصاح : « دعونى اذهب . سوف اجد الطريق الى بيتى دون مساعدة من احد . ترى اكانت مكنسة البواب هى التى اخافته ام انه تذكر شيئا ؟ ومهما يكن من امر فقد ركض مسرعا حتى كاد يختفى عن عينى « ساكسالوف » وفجاة انطأ فى خطوه . وكان قد عبر الشارع قافزا من طوارا الى طوار محاولا عبثا ان يجد البيت الذى يعيش فيه واقتفى « ساكسالوف » اثره وقد لازم الصمت فانه لم يكن يعرف كيف يتحدث الى الاطفال .

وفى نهاية الامر نال الصبى التعب وتوقف قرب مصباح الشارع ثم استند اليه وقد التمعت الدموع فى عينيه فبادره « ساكسالوف » قائلا : « والان يا ولدى الا يمكنك الوصول الى بيتك ؟ » فرمقه الطفل بعينيه الحزينتين الرقيقتين وهنا ادرك ساكسالوف ما الذى جعله يقتفى اثر الصبى بهذا الاصرار . لقد كان فى نظرة المتجول الصغير شىء يشبه تمارا تماما وساله ساكسالوف مترفقا : « ما اسمك يا عزيزى ؟ »

فاجاب الصبى : « ليشـــع ». فقـال ساكسالوف : « وهـــل تعيش مع امك باليشع ؟ » فقال : « اجل انى اعيش مع أمى . بيد انها ام سوداء وقد كانت امى الاولى بيضاء » وظن ساكسالوف انه لابد يقصد راهبة بلفظ « الام الســـوداء » وسأله : « وكيف ضللت الطريق ؟ » فقال الصبى : «لقد سارت بى الام الســوداء طويلا ثم طلبت منى أن انتظرها فى فنـاء الكنيسة ولكنها لم تعد فتملكنى الخوف » وهنا سأله ساكسالوف : « ولكن من هى امك ؟ » فقال الصبى : « امى ؟ انها الام السوداء الغاضبة » فعـاد ساكسالوف يقول متحيرا : « وماذا تصنع ؟ » ففكر الصبى برهة ثم قال : «انها تشرب القهوة» فقال ساكسالوف : « وماذا ايضـــا ؟ » فأجاب ليشع بعـــد فترة من الصمت : « وتتشـــاجر مع السكان » وهنا قال ساكسالوف له : « واين امك البيضاء ؟ » فاشار الصبى الى مكان بعيد واغرورقت عيناه بالدموع ثم قال : « لقـد حملوها بعيدا ووضعوها فى تابوت ثم حملوا ابى فيما بعـد الى نفس المكان » . وفكر ساكسالوف قائلا : « ما الذى استطيع ان اصنعه من اجله ؟ وبغتة بدا الصبى يركض مرة ثانية . وبعد ان دار حول عدة شوارع أبطأ فى خطوه . ولما ادركه ساكسالوف عكس وجه الطفل مزيجا غريبا من الخوف والفرح وما عتم أن قال لساكسالوف وهو يشير الى بناء كبير كئيب يتألف من خمسة طوابق : « هاك دارنا » وفى هذه اللحظة ظهرت عند بوابة البيت امـــراة سوداء الشعر والعينين ترتدى ثوبا اسود ومنديلا اسود به بقع بيضـــاء فتراجع الصبى الى الوراء مجفلا وهمس : « انها الام ! » ونظرت اليه زوجة ابيه فى دهشة ثم صاحت : « ما الذى جاء بك الى هنـا ايها الوغد ؟ الم آمرك بأن تبقى جالسـا الى مقعدك ولا تبرحه ؟ » وكانت خليقة بأن تكيل له الضربات لولا انها لاحظت هذا الرجل الرزين المترفع القسمات الذى يراقبهما فخفضت من صوتها وهى تقول : « الا يستطيع المرء أن يتركك نصف ساعة دون ان تركض بعيدا ؟ لقـد اتعبتنى فى البحث عنك ايها الوغد » واختطفت يد الطفل بيدها الضخمة وجرته من البوابة . . فراقب ساكسالوف موقع البيت جيدا ثم قفل راجعا الى بيته .

— ٤ —

كان ساكسالوف يحب الاستماع الى آراء فيدوت الصائبة فى الحياة وعندما وصل الى المنزل تحدث اليه عن الصبى ليشع فقال فيدوت : « لقد تركته المراة الشريرة عامدة . كيف سولت لها نفسها ان تقصيه عن بيته بهذه الطـريقة ؟ » فسأله ساكسالوف : « وما الذى دفعها الى ذلك ؟ » فقال فيدوت : « من يدرى ؟ ولكنها امراة حمقاء ! لعلها ظنت أن الصبى سيظل يتجول فى الطرقات حتى يلتقطه احد المارة ولكن ماذا يتوقع المرء من زوجة اب غير هذا ؟ وما اهمية الطفل بالنسبة لها ؟ » فقـال « ساكسالوف » دون تصديق : « ولكن الشرطة قد يقبضـون عليها » فقال فيدوت : « ربما حدث هذا وربما غادرت المدينة كلها فكيف يجدونها فى هذه الحالة ؟» وهنا ابتسم ساكسالوف وخاطب نفسه قائلا : « هذا حق . لقد كان فيدوت خليقا بأن يكون محققا بارعا ومهما يكن من امر فقد كان ساكسالوف جالسا قرب المصباح ومعه كتاب فى هذه الليلة حين اغفى ورأى تمارا فى احلامه كالعهد بها رقة وبياضا وقد جاءت وجلست على مقربة منه . وكان وجهها يشبه وجه ليشع الى الحد الذى استثار دهشته وراحت تحدق فيه باصرار ودون توقف كأنما تريد منـه شـيئا . . وكان يكفى لاخضاع ساكسـالوف ان يرى عينيها اللامعتين الضارعتين دون ان يعرف ماذا تريد على وجه التحقيـق . وما عتم أن استيقظ مسرعا من غفوته وسار الى المقعد الذى خيل اليه انها جالسة فيه وعندما توقف امامها تساءل فى صـوت مرتفع : « ماذا تريدين منى ؟ خبرينى ! » ولكنها لم تبق هناك طويلا ففكر ساكسالوف

قائلا فى حزن : « لقد كان الامر مجرد حلم ! »

— ٥ —

بينما كان ساكسالوف خارجا من معرض الاكاديمية فى اليوم التالى التقى بانة « جورويشيشف » وتحدث اليها عن ليشع فقالت « فالريا ميشايلوفنا » فى رقة : « ياله من صبى مسكين ! ان زوجة ابيه تريد ببساطة ان تتخلص منه فاجابها ساكسالوف وقد ضايقه ان كلا من قيدوت والفتاة قد جعل من هذا الحادث البسيط مأساة : هذا مما لاشك فيه واستطردت الفتاة تقول : « ان الأمر واضح تماما . لقد توفى ابوه وبقى مع زوجة ابيه التى ترى فيه عبئا عليها . وما دامت لا تستطيع ان تتخلص منه بطريقة مهذبة فقد تلقى به بعيدا دون رحمة » وهنا قال ساكسالوف مبتسما : « انك متشائمة اكثر مما ينبغى ! » فقالت فالريا على سبيل الاقتراح : « ما رايك فى ان تتبناه ؟ » فتساءل ساكسالوف فى دهشة : « انا ؟ » فقالت بالحاح : « انك تعيش بمفردك وليس لك اقارب فلم لا تفعل هذا فى عيد الفصح ، وسوف يكون لديك لو تبنيته من تتبادل معه تحية العيد على الاقل فقال متحيرا : ولكن ماذا افعل به يا ميشايلوفنا؟ فقالت : ايت له بمربية . ان القدر قد ارسله اليك ونظر ساكسالوف الى وجه الفتاة المتقد فى دهشة استحالت رقة دون ان يدرى . وعندما تراءت له تمارا فى احلامه تلك الليلة خيل اليه انه قد فطن اخيرا الى ما كانت تريده وفى السكون المخيم على غرفته خيل اليه ان كلماتها تقول له فى رقة : « تنبه كما طلبت منك » ثم استيقظ مبتهجا وامر يديه على عينيه الناعستين فاذا به يرى باقة من زهور السوسن البيضاء على المائدة وساءل نفسه : ترى من أين جاءت هذه الزهور ؟ اتكون تمارا قد تركتها لتذكره برغبتها ؟ وخطر له ان الزواج من فالريا ميشايلوفنا ابنة جورودبشيشف وان تبنى ليشع هما خير سبيل الى تحقيق امنية تمارا وراح يستنشق فى سعادة عبير السوسن المنعش وما لبث ان تذكر انه اشترى الزهور بنفسه فى ذلك اليوم ولكنه قال : « هذا لا يغير من الامر شيئا ولا بد ان شرائى اياها بنفسى ثم نسيانى ذلك امر ينطوى على فال طيب »

— ٦ —

وفى صباح اليوم التالى خرج ساكسالوف يبحث عن ليشع والتقى به عند البوابة حيث قص عليه ليشع قصته كاملة وفحواها ان امه توفيت عندما كان يناهز الثالثة من العمر وان اباه تزوج هذه المراة النكرة التى تشرب القهوة وتتشاجر مع ساكن بيتها ذى الانف الاحمر . ومات والد ليشع فى نفس العام الذى توفيت فيه زوجه الاولى . وكانت ايرينا ايفانوفا الزوجة الثانية قد انجبت طفلا فى عامه الاول واعتزمت الزواج مرة اخرى على ان تذهب مع زوجها الجديد الى الريف وهكذا اصبح ليشع غريبا عنها وعقبة فى طريقها . وعندما التقى بها ساكسالوف قال لها مقترحا : « ما رايك فى ان تعطينى هذا الطفل ؟ » فقالت ايرينا ايفانوفا فى سرور خبيث : « بكل سرور » ثم اضافت بعد برهة من الصمت : « فقط عليك ان تدفع لى ثمن ثيابه » وهكذا استقر ليشع فى شقة ساكسالوف وساعدته فالريا ميشايلوفنا ابنة جورودبشيشف فى البحث عن مربية له وما الى ذلك مما يتعلق باقامته . ومن اجل هذا الغرض صارت تتردد على ساكسالوف وعندما فعلت ذلك خيل اليه انها مخلوق آخر وان باب قلبها قد انفتح له . لقد اصبحت عيناها محببتين مشعتين وشاعت فيهما نفس الرقة التى تميز تمارا .

- ٧ -

تفذت قصص ليشع عن امه البيضاء الى اعماق فيدوت وزوجه وعندما جاء سبت النور « احد الاعياد المسيحية » وضع كلاهما ليشع فى فراشه ومنحاه بيضة بيضاء مصنوعة من السكر وقالت له كريستين : « هذه البيضة هدية لك من امك البيضاء فى سبت النور يا ليشع ولكن لا ينبغى عليك ان تمسها قبل ان تدق اجراس الكنائس ايذانا بقيام المسيح من الاموات » ورقد ليشع فى فراشه طائعا وقد وضع البيضة امامه وراح يحدق فيها مدة طويلة حتى رفق النوم باجفانه . اما ساكسالوف فقد جلس وحيدا فى المنزل هذه الليلة وعند منتصف الليل اغمض عينيه وقد تملكه السرور لانه سيرى تمارا فى احلامه . ولقد جاءت اليه فعلا ترتدى ثيابها البيضاء وتشع نورا وكانها تحمل معها اصوات اجراس الكنائس التى تدق من بعيد . وما لبثت ان انحنت عليه وابتسمت له ابتسامة رقيقة واذا بساكسالوف يشعر بشفتيها تمسان شفتيه مسا طفيفا ثم سمع صوتا يقول له فى رقة : «لقد دقت اجراس الكنائس ايذانا بقيام المسيح من الاموات» ومد ساكسالوف ذراعيه الى الامام دون ان يفتح عينيه فاحتضن جسم ليشع النحيل . لقد ايقظت اجراس الكنائس الصبى فامسك بالبيضة البيضاء وتسلق ركبتى ساكسالوف لكى يحييه تحية العيد وضحك ليشع قائلا لساكسالوف فى لثغة: « اترى هذه البيضة البيضاء التى معى ؟ لقد اهدتها امى البيضاء الى فى عيد الفصح وانا اهديها لك وعليك انت بدورك ان تهديها الى عمتى فالريا ميشايلوفنا فاجابه ساكسالوف : « امرك يا عزيزى سوف انفذ ما طلبته منى » . ورقد ليشع فى فراشه ثم مضى الى منزل آل جورودیشیشف حاملا معه بيضة ليشع هدية من الام البيضاء وان خيل اليه وهو فى الطريق انها هدية من تمارا .

يا شاعرة

يا بسمة ضمت حياتى الحاضرة ..
يا فرحة فى عمق عينى الساهرة
هذا حديث عن هواى وعن امل
وصراع قلب حائر طول الاجل
منذ التقينا هاهنا بين المقل
حب عميق .. صامت حلو الغزل
منذ التقينا ضمنى سحر المنى
وغدوت سرا صامتا بين الدنى
اشدو وحيدا عن صراع ضمنا
فلكم تلاقينا ودارت بيننا
فى الحب دنيا انما عن غيرنا

* * *

يا شاعرة

يا فجر ايام بقلبى مشرقة
مهما الاقى من ليال مرهقة
يا نبع احلام بحسى صادقة
هذا خطاب فى يديك فمزقيه .
ان شئت .. أولا .. لا وربك عانقيه
هذا فؤادى فاقرئى ما دار فيه
احلام قلب ضائع بين القدر
بين الظلام يعيش فى صمت ممر
ولسوف يحيا دائما بين الحذر
نغما حبيسا فى فؤاد مستتر
يحيا ولكن فى اضطراب مستمر

البقية فى صفحة ٦١٣

على جانبى الشارع الاسفلتى المصقول ـ بحى المال والبنوك ـ وقف عديد من السيارات الامريكانية الفاخرة المختلفة الالوان فى صفين طويلين لا نهاية لهما .. ومن الميدان الرئيسى للشارع تقاطرت سيارات اخرى ذا ت ذيول مرتفعة ، تنحدر وسطه فى سرعة فائقة مكونة شبه سلسلة متصلة متحركة لا يحد من حركتها الا بزوغ الضوء الاحمر لاشارة المرور ـ بين فترة واخرى ـ المؤدية الى شارع الملاهى ودور اللهو ..

ووقفت عربة ركاب فجأة عندما ظهر ضوء الاشارة الاحمر ، وعلى الفور انتهز شاب الفرصة فقفز من بابها الخلفى ، وسار فى الشارع الضخم البارد بخطوات سريعة ، وبدا وهو المترجل الوحيد فى الشارع الملىء بالسيارات الدليل الوحيد على وجود حياة انسانية به .. ثم وقف امام عمارة مرتفعة شاهقة لا تدرك العين مداها مترددا حائرا ، ثم اندفع فجأة من بابها الحديدى الفاخر ، وسار فى الدهليز الطويل بتوتر وقلق شديدين .. وفى عجلة ارتقى درجات السلم الرخامى المريض ووجهته الشقة العاشرة بالدور الثانى .

وفى ادب جم حيا السكرتيرة الحسناء ثم جلس فى حذر شديد فوق واحدة من أرائك الحجرة الفاخرة المكيفة الهواء عندما اشارت له السكرتيرة الحسناء باصبع طرى ناعم منتهية باظفر حادطويل ملون بلون له بريق خاتم سولتير ترتديه وتأملته السكرتيرة بعد ان انتهت من مكالمتها التليفونية العابثة بطريقة خاصة جعلت الدم يرتفع الى راسه . فاخرج بحركة لا شعورية منديله الابيض يجفف به عرقه ويدارى ارتباكه .. ولكن السكرتيرة لم تعر ارتباكه اهمية ما اذ تأملته من جديد بنفس النظرة السابقة ثم ابتسمت فى تحد وقالت :

ـ آسفة يا استاذ ..

ولم ينتظر الشاب حتى يسمع بقية الكلام بل قام يريد الانصراف وهو يحس بضيق وخيبة امل .. ولكنها استوقفته بصوتها الناعم :

ـ لا اقصد ذلك .. بل آسفة ان كنت سأجعلك تنتظر بعض الوقت ريثما ينتهى المدير من اعمال هامة .

وابتسم الشاب فى سعادة وتنفس بارتياح شديد ثم القى بجسده على الاريكة وهو يشكرها بكلمات متلاحقة وبصوت متعثر .. وحدقته الفتاة بنظرة شرهة ثم قالت فى تهكم واضح :

ـ اطمئن فسأبذل من اجلك قصارى جهدى .

وبأمل استفسر الشاب :

ـ حقا ؟

ـ حقا . من يدرى ربما تكون زيارتك

القادمة لتسلم العمل .. على كل الامر متوقف عليك انت .

ـ انا .. ؟ سألها الشاب بدهشة :

ـ نعم انت ..

واستعذب الشاب الكلمة التى ظل يبحث عنها طويلا ، والتى تحمل من اجلها الكثير ، ان كان الامر متوقفا عليه حقا كما تقول فهو لا يمانع فى العمل من اليوم بل من الساعة وعلى الفور . . واحس بسعادة تغمره .. فها هى ذى الفرصة تسنح اخيرا ليثبت وجوده ويصبح صاحب عمل . . صاحب وظيفة . . وبصوت متعثر شكرها من جديد وابتسمت السكرتيرة الشابة فى تواضع مصطنع ثم سألته فى خبث وقد لاحظت ارتباكه :

ـ ما بك ؟

ـ لا شيء ..

لا تكذب على انا .. فهناك لا ريب شيء ما .. اتخشاني مثلا ..؟

ـ انا .. عفوا ولكن ...

واستحثته : ـ ولكن .. ولكن ماذا ..؟

لا شيء .. اقسم لا شيء البتة .. فقط لا اعرف كيف اشكرك ...

ـ اوه حسنا .. ولكن لا داعى أن تشغل ذهنك بأمر تافه كهذا .. وخاصة انك تعرف تماما مشاعرى نحوك مذ كنا زميلين فى كلية واحدة .. هل نسيت .. الا تذكر ..؟

ـ كلا لم انس .. لم انس على الاطلاق

قالها الشاب وهو يحاول ان يبعد عن ذهنه ذكريات الماضى واحداثه .. ولكنه لم يستطع ان ينسى تصرفاتها العابثة مع شباب الكلية ومحاولتها اغراءه .. وجاهد ليتخلص من تلك الذكريات القديمة ولكنها تكاثفت عليه وايقظ بعضها بعضا ..

ولاحظت السكرتيرة شروده وشعرت انها ما زالت تشتهيه بنفس قوة الماضى ، وغاظها انه امتنع عليها طوال سنوات الدراسة .. وصممت على ان تحصل عليه بأية وسيلة فهذه هى فرصتها الوحيدة بعد ان اصبحت الطرف الاقوى .. انها الآن كل شيء فى الشركة .. كلمة صغيرة من فمها الذى يشتهيه المدير كفيلة بترشيحه للوظيفة .. ولكن لن يكون ذلك قبل ان يدفع الثمن ... وايقنت سوسن ان الصراع سيشتد وسيكون مريرا وقاسيا ولكنها صممت على الفوز هذه المرة واذابة ركام الثلوج الكثيفة التى تفصله عنها وصهرها تماما .. ولن تفشل كما فشلت من قبل فاليوم غير الامس .. فى الامس كان يسعى دائما للهروب منها اما اليوم فانه بحاجة اليها ولن تعطيه فرصة للهروب .. فمنذ تخرجه لم تتمكن من مقابلته الا عند ما جاء مقدما طلبه لشغل الوظيفة . ومن المقابلتين اللتين تمتا بينهما احست انه لم يتغير كثيرا .. وتأملته سوسن بعينيها الجريئتين ثم قالت : ـ احسب انك لم تتغير كثيرا . السنت معى يا استاذ فتحى ؟

وببلاهة أجاب فتحى : ـ نعم . الحق معك ...

ـ وانا .. ألم اتغير فى نظرك .. ألم اتبدل ..؟

وارتبك فتحى واحتار كيف تكون الاجابة على سؤالها .. ففضل الصمت .. واعادت سوسن السؤال واستطردت :

ـ لم لا تجيب ؟

ـ عفوا .. لست افهم ماذا تقصدين ..

ـ اذن سأكون اكثر صراحة .. امازلت لا اروق لك .. ؟

وحاول فتحى ان يتكلم ، ان يقول شيئا ، اى شيء يخرجه من صمته وارتباكه ، ولكن لم يستطع ..

واستطردت سوسن : ـ عموما احب ان تفهم جيدا ان الوظيفة لن تكون للعالم اوافق .. وصمتت سوسن ثم حدقته

كعادتها بعينيهـــا الجريئتين وقالت : ـ لا ريب أن كلامي واضح تماما . . .

ثم نهضت من أمام المـــكتب بكبرياء واقتربت منه حتى حاذته تماما وتعمدت الاحتكاك به وهي تقول :
ـ على كل سأخبر المدير بمجيئـك ، وحتى أعود فكر جيدا فيما قلته لك . . .

وخرجت السكرتيرة من الحجرة ونهض فتحي من فوق الاريكة وسـار بخطوات قلقة على بساط الحجرة الثمين والخواطر تملأ ذهنه وتسبب له عذابا نفســيا ، وضيقا لا يطاق . . وساءل نفسه هـــل يلين لها ويستسلم ويرضى بها زوجة له مع كل ما يعرفه عنهـــا . . ؟ لا ريب أن الوظيفة مناسبة له تماما ، بل كأنها خلقت من أجله . . هناك الكثيرون يتمنونهـــا ولكنه أكثرهم حاجة اليها . . ولو شـــاء لفاز عليهم جميعـــا . . انها كل شيء في الشركة لقد سمع عنها وعن صلتها بالمدير الكثير ومن هنا لا عجب أن تكون العقـــل المدبر للرجل ، وأن يكون كل شيء في يدها ورهن أمرها . . ولكن ما تطلبه شيء كبير شيء كبير للغاية . . شيء يتنافى ومبـــادئه وقيمه ومثله . . وتساءل من جديد «هل يلين ويستسلم ويتنازل بعض الشيء عن مبادئه ويتفاضى عنها من أجل الوظيفة أم يتمسك تماما بحرفيتها . . ؟ »

وانقذته بسمة من قســـوة السؤال الحائر بعودتها والابتسامة تعلو شـفتيها الرطبة تطل من عينيها . . ثم قادته الى غرفة المدير وهي تتثنى في خطواتها وتتأود في سيرها . . وتأمله المدير من خلف زجاج منظاره الطبي السميك ببلاهة ثم نهض من فوق المقعد الوثير واتجه اليـــه بخطوات ثقيلة متهالـــكة ، وببطء دار حوله دورة كاملة تفحصه اثناءها ثم اتجه الى مكتبه الفاخر المكدس بالمحابر والاقلام وأجهـــزة التليفونات فجلس في استعلاء .

وشمر فتحي بالاختناق ، خيل اليه أن جو الحجـــرة خلو من هواء صالح ، واستعاد في ذهنه كل ما حفظه من آيات ظل يقرؤها في سره وجسده كله يرتجف . عسى أن تهدىء من قلق نفســه وتساعده على التحكم في أعصابه ، وابتهل الى الله بقلب صاف أن يرضى عنه المدير ويأمر بتعيينه . . وانتشله المدير من قلقه بصوته الواهن وساله فجاة : الك مبادىء . ؟
ـ واستفسر فتحي بدهشة : انا ؟
ـ نعم انت . .
ـ بالتاكيد يا سيدي . . الكل يعرف عني ذلك أن لي ماضيا مشرفا مذ كنت طالبا بالجامعة . بل مذ كنت طالبا بالمرحلة الاولى . .

وبلهجة ارستقراطية متعالية وصوت حاول المدير أن يكسبه عمقا ردد في آلية : حسن . . حسن . . الم يحدث أن تخليت عنها لسبب ما . . ؟

وبحـــدة أجاب فتحي : كـــلا . كـــلا يا سيدي لم يحدث هذا أبدا . .
ـ معذرة وأرجو أن تقدر دقة موقفي .
ـ اقدر يا سيدي . .
ـ حسن . . حسن . . وهل ستظل هكذا دائما . . اقصد ألن تتخلى عنهـــا لسبب ما . . . ؟
ـ بالتاكيد يا سيدي لن يحـــدث شيء كهذا ابدا . .

وسعل المدير وحاول أن يكسب صوته مزيدا من الخشونة والعمـــق : من جديد . أرجو المعذرة فتلك طريقتي في اختيـــار موظفي الجدد وضحك « بافتعال » . . على رأي المثل كل شيخ له طريقة . . وهذه هي طريقتي حتى أصبحت من لزومياتي . . أرجو أن تقدر ولا تسيء الفهم . .
ـ اقدر تماما يا سيدي .
ـ حسنا والآن . . ما هي مبادئك . ؟

وارتبك فتحي وتبلد ذهنـــه لبرهة وبصوت منخفض استفسر : مبادئي أنا . ـ انا يا سيدي . . . ؟

ـ نعم مبـــادئك انت .. اليست لك مبادىء .. ؟

وازداد ارتباك فتحى واحس بالاختناق واجاب فى آلية : نعم .. نعم . لى ومستعد ان اقسم على هذا يا سيدى .

وببساطة وخبث تكلم المدير : حسنا .. لا داعى لقسمك . انا مصـــدق .. فقط ما هى .. ؟

وبصعوبة تكلم فتحى بصوت متقطع : اؤمن بالشرف ..

ـ حسنا .. وماذا ؟
ـ وبالـ ..... نزاهة ..
ـ وايضا .. ؟
ـ بالمثل ..
ـ وغير ذلك ..؟

وبلع فتحى ريقه وقد زاد ارتبـــاكه : وبالامانة .. ثم انفجر فى حدة . والاخلاص فى العمل والتفانى فى اداء الواجب .

وقاطعـــه المدير : حسن حسن .. يكفينى هذا .. شىء جميل أن تتسم حقا بكل تلك الخصال والصـــفات . ولكن يؤسفنى ان اقول لك ان الشركة ليست بحاجة لها الان فصالح العمل يقتضى .. وابتسم ابتسامته الصفراء ثم استطرد : أرجو أن تقدر حرج موقفى .

وتأمله فتحى فى ذهول ثم استفسر فى يأس : اذن فانا لا اصلح ؟

وبهدوء شديد أجاب المدير وقد خفض وجهه الى الارض : عفوا لم اقل ذلك تماما .. ثم اننى لا انكر ما لهذه الخصال من جمال وبريق فلا داعى لليأس اذن .... ورفع وجهه وحدقه من خلف منظـــاره الطبى وقال بلهجة قاطعة :

ـ على كل بوسعك ان تعرف النتيجة النهائية لو مررت على السكرتيرة ...

وبحركة مسرحية مقصودة نهض من فوق مقعـــده الوثير .. فانتزع فتحى جسده المحطم من الفوتيـــل وسار الى الخارج يجر قدميه وقد امتلأت نفســه باليأس والاسى ... ومر فتحى على حجرة سوسن وتلاقت اعينهما طويلا ، وحاول كل منهما ان يسبق زميله فيبداه الكلام ، ولكن أحدهما لم يجد فى نفسه القـدرة على البـــداية ... وطرفت عين فتحى وارتجف جســده كله واحست سوسن بكل ذلك فاستراحت وغضت من بصرها .. فاتجه اليها فتحى كالمنوم وبصـوت هامس حاول ان يكسبه حرارة وحيـــاة سألها : اتساعدينني لو قابلت بابا ..؟

وخفضت سوسن راسها فى حيـــاء وابتسمت وهى تضم أصابعها الطرية الى بعضها ولم تقل شيئا .. أى شىء ..

كان الاسطى « سيد » عاملا فى مصنع للنسيج بأحد الاحياء القديمة بالاسكندرية وكان يقيم بنفس الحى فى شقة من حجرتين ، تتسع له ولزوجته «حميدة» وولديه : « محروس » الذى يتسلق عامه التاسع ، و « علبه » الذى يمرح فى سابع سنى حياته دون أن يعلم أنه أثر عملية ولادته ، أخبر الطبيب أبويه أنهما لن يرزقا بعده بأطفال .

ولا عجب أن يشهد الجميع للاسطى « سيد » بالبراعة ، حيث يعمل على ماكينة فى طرف من أطراف المصنع . فقد استهل فجر شبابه به ، عاملا بقسم النقل . وما لبث أن تقلب على أنواع الآلات المختلفة ، فخبر طرق ادارتها ، حتى انتهى به المطاف الى تلك الماكينة التى تشاطره حياته ثمانية ساعات كل يوم .

وكان لطول معاشرته لها يعاملها وكأنها كائن حى يعى ويحس ، وأحبها ... حتى ليشعر بها ، فى الاحوال النادرة التى تخطىء فيها ، قبل أن يبصر الخطأ بعينيه . وكثيرا ما انكر على نفسه بادىء الامر احساسه بأنه يخاطبها ، ويبثها دخيلته ، ويتهيأ لسمعه انها تجيبه ، وتتجاوب معه ، ذلك التجاوب الذى طالما افتقده فى بيته . وكان له من طول العهد ، وتواتر الايام ، ما اعانه على استساغة ذلك كله ، حتى لم يعد يخالجه الاحساس بغرابته ، فهو اليوم وغدا بعده ، مبق على صداقته لماكينته .

ولما انشأ المصنع القسم الجديد الذى يجاور ماكينة الاسطى سيد ، والحق به عديدا من العاملات ، جاءت « نعمة » ، لتعمل على ماكينة تقاسمها رشاقتها البالغة حدا اجتذب معه انظار « سيد » فترات غير قصيرة من « ورديته » ، كان يذكر فيها زوجه حميدة بغير ما تحب ، ويسائل نفسه بعد عشر سنوات من زواجهما عن السبب الذى دفعه الى الزواج منها ، ويفتش عنه فى أركان راسه فلا يجده ... انه لا يذكر ان كانت — حتى فى بداية عهده بها — على مثال « نعمة » التى تتفجر فتوة وشبابا .. فهى كالبستان ، جمع من الازاهير نضرتها وبهاها ، ومن الورود سحرها وشذاها . وطالما احس وهو يختلس النظر ، كأن ماكينته تزجره .. وتأبى عليه انسياقه وراء اعجابه « بنعمة » الذى يتزايد يوما بعد يوم .

ثم اختمرت فى ذهنه الفكرة التى ارقته ... زواجه بنعمة ... نعم سوف يتزوجها ... ولم يحرم على نفسه ما احله الله ؟... وبدا يمهد لتنفيذ فكرته بنظرات الاعجاب يصوبها اليها ، ويمزجها بكلمات الغزل الرقيقة ، يلقيها اليها فى تردد ووجل ... لم يردعه أن ردته عنها بنظرة جمعت الرفق المشوب بالاستهجان ، والدعة

المزوجة بالاستعلاء والاستخفاف ، ولم تستجب لاطرائه باكثر مما تطرب انثى لاطراء رجل ، بما يشبه الابتسامة المغلفة بحياء كاذب .

سوف يحدثها بما اقنع نفسه به ، ويخبرها بأنها سلبت لبه فتمناها زوجة ، وان مكافاته السنوية التى قرب موعدها ستغطى كافة مطالبهما .. واى سعادة سوف يرشفانها ، اى سعادة .

ولكن زوجه « حميدة » ... هل تقيم ضرة ، وبماذا يعلل زواجه امامها وهل يفاتحها به ام يفاجئها ؟ اتوافق ان تقيم العروس معها ؟ وكيف تكون حياته بين المراتين ؟ .. المراتين .. ومن انباه ان حميدة سوف تسكت عن طلب الطلاق .... الطلاق ... ليدع كل شيء رهن وقته .. ولماذا يرهق ذهنه بالاجابة على عشرات من علامات الاستفهام .. ولكن « محروس » و « علبه » آه لقد نسيهما فى غمرة انفعالاته ، كيف يواجههما ؟ وماذا يقول لهما .. وجيرانه ...

وافاق ...

افاق .. ليفتح عينيه .. ويرى سقف حجرته ، والمصباح الكهربى يتدلى من وسطه ، وهو طريح فراشه ، ولكن ما الذى اتى به ؟ وما لعينى « حميدة » تترقرقان بالدموع فى نظرة اعزاز واشفاق ، همس كالمخدر (جرى ايه ؟) فاجابته اصوات زملائه المحيطين بفراشه (جت سليمة يا اسطى سيد ..) (الحمد لله) (الماكينة كات ح تاكل دراعك لولا ستربنا) ، ماذا يقولون ؟.. الماكينة .. ذراعه .. وهنا شعر بآلام تمزق ذراعه ، ورآها وقد احاطت بها ضمادة كبيرة بيضاء ... الماكينة التى يحبها .. تؤذيه .. وجلل بعينين تائهتين فوقمتا على « نعمة » آه .. انه يتذكر الآن .. لقد كان يحملق فيها ... وهى مشغولة عنه بعملها .. وهو يزمع مفاتحتها بحديث الزواج ... ولا يدرى بعد ذلك ما حدث ... وارسل نظراته التائهة الى نعمة فالفاها ملتصقة برجل لا يعرفه ، وكأنما تلوذ به من نظراته المتسائلة ، ثم جاءه صوتها وهى تتمتم فى حياء (جت سليمة يا اسطى سيد ... ده جوزى جه يوصلنى ويطمن عليك) .

عمر الراكشى

طريق الحب

لا تمضين مع الهوى قدما فيرهقك المسير
فأمامك الصخر العتى ودونك الشك الكثير
منخبطا تهوى ولا تدرى بمن ذا تستجير !!
فاذا وقفت لتستبين الخطو أحرقك الهجير
واذا انثنيت لقيت ماخلفت من رهق عسير
واذا مضيت بلا اكتراث فارتقب سوء المصير
فلقد نزلت بغابة هاجت على صخب الزئير
رئبالها افترس الوحوش فكيف بالقلب الكسير
قف أو فر أو عد فاست تفر من شر خطير
تلك الثلاث صغيرها يضنى، وأفدح بالكبير
انى ارتطمت ببعضها نزقا وجاءنى النذير

محمد رجب البيومى

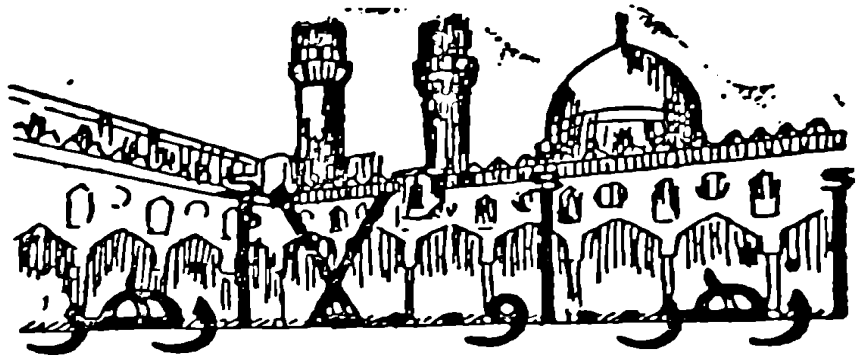

- ٣ -

ماذا يكون الازهر فى حياتنا .. اليوم

رأينا شخصية الازهر الخاصة ، وصلتها بحياتنـــا على الايام .. وبدت تلك الشخصية المسجدية للازهر ، متميزة فى فئة ذات طابع واضح ، وسمات بارزة .
ورأينا تلك الشخصية تشارك فى حياتنا الاجتماعية ، فتفيدها حينا .. وتضرها حينا ، كما تشارك فى حياتنا الدينية ، فتجدى عليها آنا ، وتسىء اليها آنا .. وكذلك شاركت فى حياتنا العلمية ، فاخصبتها تارة ، واجدبتها طورا ـ وقد أفردت ببيان هذا مقالتين فى عدد يناير وفبراير سنة ١٩٦٢ من « الادب » .

* * *

ونتابع هـــذا الحديث أداء للامانة الاجتماعية ، فى فترة يطور فيها الازهر تطويرا نرجو له فيه التسديد والتوفيق ، وآمل ان يتحقق به شىء مما تمثلته من مستقبل هذا الازهر ، الذى أرنو اليـــه منذ أربعين عاما .. أو اكثر .

وبما وصف المقالان السابقان من اثر الازهر فى الحياة بنواحيها المختلفة كان اصلاحه مما رنت اليه النفوس ، منذ لاح فجر الاصلاح الدينى ، فى مصر على يد مدرسة الافغانى ، واهتم بهذا الاصلاح الدينيون والمدنيون على السواء ليكون الازهر الصالح دعامة الاصلاح الدينى العام ، لكن مركز محمد عبده داعية هذا الاصلاح فى الازهر ، كان قلقا لاسباب سياسية معروفة ، فاهتزت جوانب الازهر ، بدعوة هذا الاصلاح ، لكنه لم يبلغ مداه المرجو له .

ثم تتابعت محاولات الاصلاح بعد ذلك فكانت السياسة ـ اخزاها الله ـ هى أصلب صخرة تتحطم عليها دعوة الاصلاح ، اذ لم تجعل فى مصر لونا من السلطة أو الرأى يريد هذا الاصلاح ، أو يستطيعه .. فقد كان هناك الخديو ، ثم السلطان ، ثم الملك فى القصر ، يعتمدون جميعا على السلطة الدينية ، التى ليس من مصلحتهم أن تكون حرة أو مفكرة ، لتظل برجعيتها تفتى باطلاق أيديهم فى الاوقاف ، وتفيير مصارفها ، وتطلق الالسنة بالدعاء والثناء ، فى رياء ، على فجور وفساد ، وتفيض على مرتكبيه نعوت الصلاح والاصلاح ، وتعد بالجنة والرضوان صاحب الأمر والسلطان وحسبك أن من أحيائهم اليوم من تيمن بأن مولد النبى عليه السلام قد وافق مولد الفاروق ، بل كانت عبارته فى ذلك مما يستحى هذا القلم أن يسطره .

ثم فى مصر الاحتلال البريطانى ، الذى يظهر التعفف عن المساس بشئون الدين

جهارا ، لكنه لا يجد شيئا من الخير ، فى تحرير التفكير الدينى ، تحريرا يشعر بعزة الاسلام .

ثم مع ذلك، الاحزاب السياسية تستعين فى صراعها بالمشروع ، وغير المشروع من الوسائل ، وذوو الصفة الدينية اصحاب تاثير مفيد .. وهذا مع ان تنازع السلطة بين الاحزاب والقصر يفصل يدهم عن الاصلاح لو ارادوه .

فلهذه الاسباب ولغيرها جمد اصلاح الازهر يتعثر ، وتجد الرجعية فيه فرصا غير قليلة ، فتشيع ما تشاء عن الدين وصلته بالحياة ، خطأ عن حسن نية ، أو تزلفا للحاكم واتجارا بالدين ، وظل الازهر مضطرب الخطا ، على طريق الاصلاح ، وقد اشتركت فى التدريس به والامتحان والتدبير للاصلاح نحو اثنى عشر عاما ، لم اتردد بعدها فى ان اقول للشيخ المراغى رحمه الله : انى اصبحت اعتقد ان بقائى فى الازهر وقوف فى سبيل تقدم المجتمع المصرى .. ويقى الامر سيئا ، ويزداد سوءا حتى كتبت سنة ١٩٥٣ فى جريدة المصرى ، بضع عشرة مقالة ، عن عدم اداء الازهر لرسالته لان شيئا من محاولات الاصلاح لم يحقق للازهر صلة بالحياة ، اساسها شخصيته الخاصة .. فاحتاج الى تطوير يحقق ذلك .. وهو ما نعرض له حين نقول فيما يمكن ان يكون الازهر فى حياتنا .. اليوم .

* * *

واذا ما اردت الاجابة عن السؤال الذى صدر به هذا المقال وهو :

ماذا يكون الازهر فى حياتنا .. اليوم شعرت بوجوب ان تسبق الاجابة عن هذا السؤال اجابة عن سؤال آخر اسبق منه وهو :

هل بالحياة اليوم حاجة الى الازهر بشخصيته المسجدية الخاصة ؟

وليس فى هذا السؤال — كما يظن — شىء من الجراة ، فانى منذ ست وعشرين سنة قد وجهت فى رسالة الازهر — التى وضعتها من قبل بين يدى قراء «الادب» — سؤالا لا يقل عن هذا جراة ، ان لم يزد ، وهو :

هل للحياة الدينية — بالمعنى الاسلامى — مكان فى المجتمع البشرى ؟

وقدرت اذ ذاك فى الاجابة عنه ان هناك من متطرفى المفكرين ، من يقول مع الشيوعيين مثلا : انه لا مكان للحياة الدينية فى المجتمع الانسانى .

والمعروف ان هؤلاء المتطرفين يحتجون لذلك باشياء اهمها شيئان :

اولهما : ما فى الدين من كهنوتية لاهوتية ، تصنع من رجال الدين طبقة ذات سلطان على العقول ، تتدخل فى التحريم والتحليل ، والحرمة والمثوبة ، فتهدد سلطان الدولة ، وتبث من الاخلاق والافكار ما يؤصل الطبقية ، اذ يتخذ من الآخرة وثوابها ، والجنة التى معهم مفاتيحها ما يسوى به امور هذه الدنيا ، فيجعل طبقة من الناس ذات نصيب من الآخرة ، واخرى منهم ذات نصيب من الدنيا ، وعلى اصحاب الآخرة ، المحرومين من الدنيا ان يقبلوا ويمتثلوا ، ولا يعرضوا ولا يعارضوا ارادة الله ، وبهذا ومثله يمكنون للطبقة الغنية ، من رقاب الطبقة الفقيرة ، وينيمون هذه لحكم تلك وسلطانها ، فيكون من الدين بهذا مخدر او — كما يقولون — افيون الشعوب .

وثانى ما يحتج به المتطرفون هو : ما فى الدين من الغيبية التى تقف العقل عند منطقة محددة ، تحرم عليه مجاوزتها ، وتحول بينه وبين التفكير فيها ، فتشل النشاط العقلى ، وتهد الايمان بالعلم ،

وتجعل هذا الكون كلا غير مفهوم ، فيه من الاسرار ما لا يعلمه أحد الا الله .

بهذين وما يقال فيهما ، وما يوصل بهما من غيرهما يحتج المتطرفون لما يقولونه من أن الدين لا مكان له فى الحياة ، وبالنظر فيهما نرى ان اولهما وهو الكهنوتية ليس فى الاسلام مطلقا . . فليس له رجال ، ولا فيه لاحد سلطة . . وكذلك الثانى وهو : الغيبية يستطيع الاسلام أن يبرأ من معرتها لانه دين البحث والنظر ، الذى يرسل العقل حرا طليقا ، بل يعتمد عليه فى تكوين العقيدة نفسها .

ومن أجل ذلك ما يرى القارىء فى عبارة السؤال الموجه وهو : هل للحياة الدينية — **بالمعنى الاسلامى** — مكان فى المجتمع البشرى . . لان المعنى الاسلامى فى التدين يخلصه مما يلحق غيره ، ويلقى التبعية فيما قد أدخل عليه من ذلك ، على أهله ، والمدعين انهم فيه رجال دين . . لا على نصوصه الاصيلة ، واسسه الجوهرية .

واذا تخلص التدين الاسلامى من هاته الآفات فقد بقيت الحاجة النفسية الى الايمان ، الذى ينقذ الحياة ، من ظلام الشك وحيرته ، ومن فوضى السفسطة واضطرابها ، كما يبقى من التدين بعد سداد هذه الحاجة المساك الخلقى ، الذى يمسك الحياة بالمسئولية أمام القوة المسيطرة على الكون والحياة ، فتقدم للانسانية وازعا داخليا قويا ، يصلح من تفكير الجماهير ، ويقيهم الانحراف ، فى قوه لعلها لا تتهيأ لوازع آخر .

* * *

واذا ما كان للتدين الاسلامى مكان فى الحياة الانسانية فللازهر اليوم اذن بشخصيته المجددة مكان فى حياتنا ، على أن يكون نشاطه فى هذا المجال هو النشاط الذى يتطلبه التدين الاسلامى البارىء تماما من **الكهنوتية** ، **ومن الغيبية** ، على ما أشرنا .

واذن سيكون أهل الازهر الدينى ليسوا الا فئة تشغل فى الحياة مكانا ، وتلوذ فيها بمعهد كالمكان والمعهد ، الذى تلوذ به اى فئة اخرى من ابناء الامة ، مهندسين . . واطباء . . وزراعا . . وعمالا ، وما الى ذلك . . فللازهريين من التميز ما يحقق الخلقية الملائمة للجو الدينى ، والسلوك الصالح له ، كما يكون مثل ذلك للعسكرى من العسكريين ، وللطبيب من الاطباء ، ولسواهم من فئات الشعب ، على ما بينت من ذلك فى رسالة الازهر بوضوح — ص ٨ — ١١ — فلا خطر منهم ولا عليهم من كهنوتية وغيبية كتلك التى يبدو ان التطوير للازهر لا يزال يحس بها ، ويحتفظ بشىء منها مع أن الازهريين فيما تطلب الحياة ليسوا الا فئة لها علم بالدين ، بما هو مصلح للحياة ، مسعف عليها ، بتقويم النفوس ، وتهذيب السلوك .

ولهم علم بالثقافة ، التى وصل فيها الاسلام الدين بالدنيا ، وصنع تاريخ الشرق كله خلال بضعة عشر قرنا على اساس هذه الصلة ، الوثقى ، حتى مايمكن فهم شىء من أمر الحياة العقلية ، أو العملية ، أو الفنية الا بفهم هذا الاسلام ، الذى شكل حياة أهله ومن حولهم من غير المسلمين أيضا ذلك التشكيل الذى صنع التاريخ ، على ما نقول . .

. . وبهذا المعنى — دون سواه — يكون للازهر بشخصيته الخاصة ، وبطابعه المتميز الذى لايشتبه ولا يختلط ، مكانه فى حياة اليوم ، والى الغد ما دام القول بمكان الدين فى الحياة . . فهو فيها صاحب دين ، مكانه منها يتحدد بما يفيده للحياة من حيث هو دين ، وثقافة لا غير ، دون اختلاط بعمل أى فئة أخرى من فئات المجتمع ، التى لها خلقيتها وسلوكها الملائم لعملها ، مما لا توافق على

ها فى تطوير الازهر الاخير منه .

* * *

وهنا مجال القول فى بيان هذه المخالفة ووجهها ، ففي التطوير الاخير ان يكون فى الازهر كلية طب ، وكلية تجارة ، وكلية هندسة ، واشباه لتلك الكليات . . . لتكون وسيلة الازهرى الى الحياة ، يجد بها مكان قدمه فى المزاحمة ، لانه بدون ذلك يتعطل ويهمل .. وهو قول لا يصح ولا يستقيم الا على التسليم بمقررات ثلاثة نوردها ثم نعلق عليها .. فهى :

١ ــ لا مكان للدين ، بما هو خلق وثقافة ، فى حياتنا ، ولذلك يضيع اهله ، فى غمرة الحياة ، ولا يجدون وسيلة للرزق ..

٢ ــ ان الثقافة العلمية والرياضية ، والخبرة العملية تعتمد على القوى والطاقات الانسانية التى تعتمد عليها الثقافة الفنية والوجدانية المزاجية نفسها .. وهكذا تعتمد شخصية العالم المجرب على ما تعتمد عليه شخصية الفنان ، ورجل الدين من الصنف الثانى ، كما هو المعروف ، لانه ينمى عقيدة ، ويروض وجدانا ، ويسوق بيانا ..

٣ ــ ان فى الدين حقائق علمية ، او رياضية خاصة ، يعلمها للناس الوحى ، فمن العلم الطبيعى بفروعه ، ومن العلم الرياضى بأقسامه ما هو دينى الاصل ..

فتلك هى الثلاث التى تلزم كلها ، او اكثرها ، لما قرره التطوير الجديد للازهر ، من جمع بين تلك الثقافات كلها فى صورة جامعية ، ذات طابع دينى ، بل مسجدى هو الذى تعرفه الدنيا ، وتفهمه دون سواه ، حين تسمع كلمة الازهر .. فان أراد التطوير غير هذه الصفة الدينية الثابتة فهو اذن .. لا أزهر ، ولا موضع بعد ذلك لخلاف ، ولا بحث .. وان استمسك بهذه الصفة الدينية للازهر ، مع هذا الحشد المختلط فيه فقد لزم ما ذكرنا من وحدة الثقافة فى التكوين والاعداد ، لا محالة ، وامكن ان يفهم ان العلم الطبيعى والرياضى منه ما هو دينى المأخذ ، أو دينى المنهج ، او دينى بأى تفسير وكلا هذين مما لا ينبغى أن يجرى حولها خلاف .. لان القوى الانسانية ، والطاقات البشرية تتفاوت وتتميز بها الشخصيات ، والاستعدادات والكفايات .. والعلم ليس الا حقائق موضوعية ، لا تتغير بزمان ، ولا مكان ، ولا عقيدة ، ولا وجدان ..

وأما التعطل وفقدان العمل فليس يلزم ان يكون لعدم حاجة الحياة الى الصنف المتعطل ، لان جميع فروع النشاط يوجد فيها فائض متعطل ، فى مصر ، وفى غيرها ايضا ولا يقول أحد ان العمل الآلى مما تستغنى عنه الحياة ، لكنها اعتبارات اقتصادية واجتماعية توجد هذا التعطل ولايشهد هذا بعدم حاجة الحياة .

* * *

واذا ما لزمت هذه الاشياء الثلاثة ، التطوير الجديد ، وهى غير صحيحة ولا صادقة ، فان هذا التطوير لا يقوم اذن على أساس صحيح .. أو لا ينتهى الى نتيجة صحيحة صادقة .. ولا تحتمل الحياة تقبله ، ولا يصلح به أمر هذا الازهر ، اذا كان المراد اصلاحه ، لانه تطوير لا تواتيه شهادة الواقع ، مهما يكن فيه من حسن النية .

واذا جاوزنا هذه النظرة البعيدة للاسس والغايات واستمعنا لما هو اقرب من ذلك من أهداف عملية ، أو فوائد مرجوة سمعنا من يقول : انما يراد من هذا التطور ، شىء اقرب من الثقافة العميقة المتميزة ، التى يختلف فيها العلم عن الفن ، ويتميز منهج العلم عن منهج الدين .. وتلك الفوائد القريبة هى :

ان تظفر الحياة بدعاة اسلاميين ، يكونون اطباء ، ومتحدثين فى الدين يرتادون تلك المناطق البدائية ، فيبلغون من اهلها مبلغا ، بفضل نزعتهم العملية ، اذ يطبون ويدعون معا ، على غرارطوائف التبشير الاخرى .

واحسب ان هذا المطلب اهون من ان يطور على اساسه معهد كبير ، وماض طويل وتاريخ حافل ، وتقتحم فى هذا التطوير الحواجز الطبيعية ، بين المناهج واصول الدرس .. وكل هذا دون ان يكون لمثل هذا المطلب اليسير كبير حظ من نجاح ، لان هؤلاء الدعاة الاطباء او المهندسين ، او الزراع سيلقون قوى من اصحاب الاديان ، الذين مرنوا على التبشير ، وخبروا الحياةفى هذهالمناطق ، وكانوا فى هذا ذوى خبرة عالمة ، تسندها دراسات علماء متخصصين ، متفرغين ، لحياة هذه المناطق ، وطبيعتها ، ولغاتها ، وكل ما يتصل بحياتها وحياة ما فيها ومن فيها ، ونحن نعرف انالكتب الدينية المسيحية قد ترجمت الى لهجات هذه المناطق ، بعد ما خدمت تلك اللهجات ، ووضعت اصول كتابتها ، اذ كانت لم تصل بعد الى مرحلة الكتابة ، وهذا طرف يمثل الجهد الجبار الذى تقوم به المقدرة الغربية ، فى دراسات هذهالمناطق فهل تلقى هؤلاء باشخاص لا هم علميون خلص ، ولا هم دينيون خلص ، لننافسهم على هذه المناطق ، لهم فيها تلك الاقدام الوطيدة . وتلك الدراسات التى نحتاج نحن الى مثلها ، فى خاص شئوننا ، وجليل تاريخنا .. ان الامر اكثر جدية من ذلك والازهر اكبر اهمية من ان يفقد طابعه الاصيل العتيد ، ليحقق غرضا هينا قليل الرجاء كهذا الغرض .

* * *

وثانية شبيهة بهذه يبررون بها ذلك التطوير ، الذى يجار فيه على اساليب التفكير والدرس ، وتقتحم من اجله الفواصل المقررة ، والاصول المعتبرة ، فى حياة العلوم ، والفنون ، وطرق بحثها ودرسها .. وتلك الثانية التى وردت فى المذكرة التفسيرية لقانون هذا التطوير الازهرى هى :

ان مبعوثى الشعوب الاسلامية ، الى الازهر يعودون لبلادهم غير قادرين على عمل حيوى لقومهم ، او يهربون اثناء وجودهم هنا الى دراسات اخرى ، غير الدراسة الاسلامية .. فكانهذا التطوير من أجل امدادهم بمعارف حيوية ، مع التعليم الدينى ، ليكونوا فى بلادهم انفع لها واجدى عليها ..

وتسأل هل تقتصر بلادهم ، فى درس الطب ، او الهندسة ، او الزراعة ، على اولئك الذين ستتوزعهم اساليبمختلفة ، ودراسات متفاوتة ، ليكونوا اطباء ودعاة دين ، او مهندسين على غرار هذا .. الخ ؟ .. ان بلادهم ، بلا ادنى شك لن تعدمهم اطباءها ، ولا زراعها ، ولا مهندسيها ، ولا الجامعيين فيها بحال .. واذا كانت الحياة الدينية فى بلادهم على مثال ما راينها ، فى غير بلد من بلادالشرق الاقصى ، من التدهور والتحلل فلن يستطيعوا ان يصنعوا لها خيرا بهذا الخلط الذى لا يخلصون مه لدين ولا لعلم ... بل ان الحياة الدينية فى تلك البلاد تحتاج الى اصحاب علم دينى قادرين على ان يتحدثوا عن الدين بعقل العصر ، ولسان العصر ، ليمسكوا على بلادهم البقية الصالحة والمصلحة ، من

جدوى الدين على الحياة .. ان كان هناك مجال لذلك وامل فيه ..

* * *

ان هذا التطوير لا يسلم فيه علم ، ولا تقوى دراسة دين ، ولا تتحقق تلك الاهداف اليسيرة التى اشرنا اليها ، من الدعوة ، أو تخريج بعوث البلاد الاسلامية ..

والامر فى التكوين العلمى ، والاعداد الدينى اعمق من أن يؤخذ مختلطا ، وينال جملة ، كما ان الامر فى التبشير احوج الى قوى نافذة ، وجهود اصيلة ، تسندها دراسات وخبرات ، بالمناطق التى نحسب انه لا يزال لنا فيها مجال ارشاد أو مطمع دعاية .

واخيرا .. ان للازهر مكانه فى الحياة اليوم بطابعه الدينى الخاص ليؤدى للحياة الرسالة الدينية ، على الفهم الاسلامى للدين وصلته بالحياة ، ما دامت الحياة تشعر بحاجتها الى الدين .. وفى الاسلام دين ودنيا ، ففيه ثقافة لا يقوى عليها غير الازهر وهو بها جامعة عصرية متطورة ، على نحو ما اشرت الى مجمله فى رسالة الازهر العلمية ، من بحث رسالة الازهر فى القرن العشرين — ص ١٢ — ١٤ — وهو اجمال أزيده تفصيلا فى مقال قادم .

امين الخولى

الى شاعرة ..

والياس والآلام تمضى بالعمر
حيث الظلام .. وحيث احساس عميق
بالنور يرنو فى محياك الرقيق
والدفء فى صوت حبيب بين ثغرك
والبسمة الشقراء والخصر الدقيق
والريح تعبث باشتياق حول خصرك
وانا وانت هنا وعمرى بعض عمرك
والحب ينمو انما انا لست ادرك

* * *

يا شاعرة
يا فتنة لكنها نبع الحقيقة
رفقا بحبى والامانى الرقيقة
رفقا بقلب عاش فى دنياه شاعر
رفقا فانى بالحقيقة لم اجاهر
انا صامت والحب فى قلبى يعربد
والشك احساس بصدرى ليس يخمد
اخشى الحقيقة ان سالتك ان تبوحى
وانا هنا وامام صمتك كالذبيح
بوحى .. فانى قد سئمت من الحياة
بوحى .. فان الشك عذبنى رؤاه
ما تنكرين صراع قلبك فى قريضك
فانا الصريع ويا ترى من ذا حبيبك ؟
انا سوف ابقى طول عمرى عبد حبك
مهما الاقى فى هواك ولو بهجرك
فانا بحبك قد اسرت ولست ادرك

على الشباسى

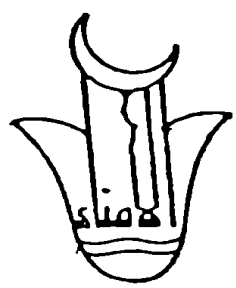

بين أدباء العاصمة، وأدباء الاقاليم ..

تفضلت « الادب » فى عدد فبراير ١٩٦٢ ـ فأثارت قضية « تكافؤ الفرص .. بين أدباء العاصمة ، وادباء الاقاليم ، ولولا ان « الادب » عودتنا بنهجها انعف ، حذف كل تقريظ ، لما اكتفينا بصفحات تبرز من خلالها ما « للادب » من دور تاريخى فى احقاق كلمة « الفن » وحدها ، دون ادنى التفات الى ما « للاسم » من « مسوغات ذيوع ! » ان جاز التعبير ! ولتسمح لنا « الادب » بأن نجلو النقاط التى قد لا تكون معروفة عن وجهة نظرنا ..

ادباء الاقاليم يقرون الادب تماما على ان « الفنان الحق » لا ولن يهتم بالضجيج وبعد الصوت الذى قد يعقد لواؤه لغيره بينما هو الاجدر به والاحق .. هذا حق !

ولكن ـ ناشدناكم الله ـ كيف يقوى اديب الاقاليم ـ وهو « بشر » ! على أن يستكين فى « منفاه » وهو يرى الفرص الجسام تترى فيتلقفها دانية القطوف ، ذلك القريب من مركز الاضواء ، بينما يحرم هو منها ـ وقد يكون هو أحق بها ـ لا لذنب ولا جريرة الا لانه « بعيد عن القلب ؟ ! .. » .

نحن نقر الادب على ان نظم الحكم المحلى ـ سوف تخفف تدريجا من ثبات هذه « النظرية » السائدة التى تقول أن ليس اديبا من كان عن القاهرة بعيدا .. واقول « تخفف » لا : « تقضى » فانه ليساورنا شك فى ان من المحال ان يأخذ اديب الاقاليم النائى البعيد نفس القدر من الحقوق التى يأخذها مثيله فى عاصمة الاضواء ! . ونحب ان نناقش المعنيين بقضيتنا : أو ليست « ادارات » مراكز الاشعاعات الثقافية كلها فى القاهرة ؟ .. دور النشر . ؟ الندوات ؟ الاذاعة ؟ التليفزيون ؟

او ترونه صراعا متكافئا ، وحقا متساويا أن يبعث اديب الاقاليم بقصيدة او قصيدة الى « منار » ما ، فى مركز الاضواء ، فلا تجد لدن خدنة المنار ما هى جديرة به من تقدير ؟ .. فان لقيت ، ففى « بريد القراء » فى بضع سطور ؟ ! .. بينما ـ وهنا وجه المقارنة ـ نرى العمل المساوى لاديب العاصمة ينشر محفوفا بالبراويز موشى بالرسوم .. فلا يكاد يجف مداده الا وقد سطعت منه ، « اذاعية » أو « سينميه » او تليفزيونية ؟ ! ..

هل منكم من يدلنى على « عمل فنى » نشر لاديب اقليمى ، فراق لمخرج ابرازه سينمائيا أو تليفزيونيا أو اذاعيا ؟ ! .. لا لشنيع الاسف ! .. ولكن لماذا ؟ ! .. ـ مثلا ـ للصلات الشخصية ، وللتقارب « الوجهى » ، بالاضافة الى ما نحن « محرومون منه » من اشعة الاضواء تلقى على « مفردات » اعمالنا .

ان الاضواء الزائفة لاتغنى من « الاديب » شيئا .. ولكن .. لم لا نضع فى الحسبان حسرة الاديب « المنفى » فى اعماق الصعيد عندما يتابع مبهورا انباء اترابه تنشر فى « اركان الادب » فذاكم خبر عن الاديب فلان وكيف انه شوهد على مقهى كذا غارقا فى رواية جديدة ! .. فلا الرواية تمت ولا « يحزنون ! » ـ كما يقولون ! ـ

ومع ذلك فان ضجيجها يصم الاذان و « العيون » وهى لما تخرج بعد الى نور .. هذا ان كانت ـ اصلا ـ جديرة بما « فرش » سلفا فى طريقها من نور !! .. جميل ! .. واديب الاقاليم ؟ .. ما لكم لا تريدون أن « تروه » وهو غارق فى الخلق والابداع ؟ !

قلنا ـ بايمان ـ ان الضجيج الذى يقام حول عمل فنى لا ينبغى ان يكون مثار اهتمام الاديب الحق ! .. طيب ! .. ولكن ما الحيلة وهذا الضجيج نفسه هو الذى يلفت نواظر «آلهة الاضواء» ممن بأيديهم امكانيات « تخليد » الاعمال على شاشة ، أو فوق شريط ؟ !

عملان متكافئان .. احدهما تقام له « الموالد » و « الاذكار » ـ وهو فى دور التكوين .. أفليست النتيجة الحتمية ان تتنبه حواس « آلهة الذيوع والاسطاع » الى ذلك العمل الاول ، الذى طبقت شهرة « أبنائه » الافاق .. وعلى العكس من هذا تولد اعمال « البعيد عن العين » لتنزوى محصورة فى نطاقها المتناهى فى الضيق ؟

فلعل ايماءة عملية حاسمة وسريعة ـ بعد هذا الحديث الذى طال ـ تأتينا من معقل الازدهار الادبى والفنى .. من «مجلس الفنون والادباء» .. من «وزارة الثقافة والارشاد» .. فيا أستاذنا الدكتور ثروت عكاشة ، هذه آمال أديب الاقاليم بين يديكم اللتين حققتا خوالد المآثر والعوارف الجسام ..

ويا عزيزنا القدير الاستاذ يوسف السباعى .. هذه « تشخيصات » عابرة تنتظر حلولكم الموفقة البارعة .

محمد الخضرى عبد الحميد

ظهر

التفسير البيانى للقرآن الكريم

تاليف

الدكتورة بنت الشاطىء

قبسات من نور الاعجاز القرآنى ـ وقربات عند كتاب العربية الاكبر
تصحح المناهج ـ وتوجه الدراسات ـ وتروض الملكات

طبع دار المعارف

٥٠ يوما فى لندن

لحسين القبانى

لا يزال القارىء العربى يذكر الضجة التى صاحبت سفر الاديبين صبحى الجيار وحسين القبانى الى انجلترا للعلاج على نفقة الدولة . لقد احتفت الجماهير والصحافة بهذا الحدث احتفاء كبيرا ، واحاطتهما القلوب فى رحلتهما بسياج من الحب والحنان .

لماذا لقى الجيار والقبانى كل هذا الاهتمام ؟ وهل لذلك دلالته ؟

لقد كان هذا الحدث شيئا مثيرا بالنسبة الى جماعة أهل القلم ، التى كانت تتجرع أساها على مهل ، فهى تدرك انها لا زالت محرومة من الكثير والضرورى الذى يناسب ما تقوم به من رسالة فنية ، لها كرامتها فى الامم الحرة التى تحكم نفسها بنفسها ، ولها سموها فى الدول الاشتراكية التى بدأنا نترسم خطاها .

انها علامة من علامات اليقظة التى بدأت الدولة تحسها فى قطاع الادباء .

انها خطوة تتبعها خطوات على الطريق الذى يعترف بكيان هذه الطائفة التى لم يجمعها حتى اليوم تشكيل نقابى ..

لقد بدأ مفهوم الاديب يتغير عند الدولة ، وهو كذلك عند الشعب .

وشىء ثالث ، لقد صنع كلا الشابين من حياته قصة أكثر من ممتازة ، بطلها يتاوم الضعف ولا يستسلم لليأس أصابته الاقدار فلم يتفرغ للعن الاقدار واستجداء العطف ، بل استكشف نفسه وسبر أغوارها ، ثم أعد أسلحته وبدأ النزال ، ونجح .

وبطلنا لا يكتفى بأن يدخل مثل هذه المعركة الكبيرة ، وينجح ، بل هو يعمل على ان يكون شيئا مذكورا .

ويعمل ، فيلمع حسين القبانى كمترجم كبير وتتألق قديره ، ويشتهر صبحى الجيار كرسام وقصاص ايضا ، ومن الطريف أن كليهما لا يكتفى بالعمل فى الصحف ، بل راس تحرير مجلة أدبية .. ايضا ..

وهكذا أخذ كل منهما مكانه عند الناس .

خمسون يوما فى لندن ..

قد يتساءل قارىء ، ماذا يمكن ان تستأهل هذه الايام القليلة من اهتمام ؟ انها لا تكفى ليعمق المرء انطباعاته ، وخاصة لاديب جاد يهمه دائما ان يقدم مائدة دسمة الى قارئه ..

ولقد استشعر حسين القبانى هذا الاحساس ، فقال فى مقدمة الكتاب « العبرة ليست بطول المدة أو بقصرها ، وانما بقدرة الانسان على الاحاطة — فى أقصر وقت — بأكبر قدر من المعلومات والملاحظات والمشاهدات » (ص ٨) .

ويبدو انه وجد أن القارىء لا يمكن أن يقتنع بهذا الشكل الخفيف ، فنراه يستطرد قائلا : « ولهذا قد يعيش انسان ما فى مدينة ما عشر سنوات فلا يرى أو يدرك من الحقائق والمشاهدات والمظاهر الاجتماعية فيها ما يراه الكاتب فى عشرة أيام »

ولست ادرى — مع الاعتراف بعبقرية الفنان الذى يفهمها وهى طائرة — ما هو النموذج الهابط الذى تمثله القبانى لهذا الانسان المسكين ؟ ! انه ليس بالنموذج الذى يجب أن تضرب به الامثال .

لقد انزلق كاتبنا الى ما لم نكن نهبه له ، ولعل هذا يقدم لنا الدليل على

اختلاط المفاهيم الصحفية بالمفاهيم الادبية ، والفرق بين منطق السائح الذى يريد أن يخطف الاشياء خطفا ويضطره الى ذلك وقته الضيق المحدد ، ومنطق الزائر غير المستعجل الذى يبحث عما يكمن وراء الظاهر من حياة .

كتب « ٥٠ يوما فى لندن » باسلوب قصصى شائق ، تتلاحق فصوله مكونة حديثا نابضا متصلا ، ويحس القارىء معه ان الكاتب يترك نفسه على سجيتها ، مخرجا كلماته من قلبه بأسلوبه الخاص ، لا يخدع قارئه مصورا شخصه على نحو خاص فى صورة مفخمة مضخمة مثالية .

اجمل ما فى الكتاب أن صاحبه لايلبس غير ثوبه ، بل يضع نفسه فى المكان الذى يجب أن توضع فيه .

فنحن اذا رأيناه فى ساعات قوته متفائلا مناضلا ، فانا نراه ايضا فى ساعات ضعفه حزينا بائسا متشائما .

يقول له طبيبه الانجليزى صانع المعجزات الذى أمل فى معجزة شفائه على يديه ، بعد أن وقف على حالته المستخلصة من فحصه وتحاليله ، ان لا أمل يرجى .

فلا يكون رد الفعل المثير الا : « وبقيت برهة راقدا فى سكون افكر فيما قاله الطبيب بشانى واحسست بحزن خفيف يتسلل الى نفسى .. الحزن على هذه البارقة من الامل التى ومضت برهة فى حياتى ، ثم انطفأت » (ص ١٦٧) .

والقارىء الذى يظن أن كتاب القبانى سيكون وقفا على حديث المرض واهم ، فالمؤلف الذى يعيش فى قصة حياة متفائلة فى واقعه يفعل المثل فى كتابه ، ولذلك لا يضيق به المطالع كما لم يضق الاديب نفسه بكتاب عيشه . فنجده مع بداية الرحلة يكاد يتناسى مرضه فلا يهتم الا بالمضيفة الهندية الحسناء ، ويعمل على وجودها بالقرب منه دائما ، ويتوسل الى ذلك بادعاء عدم قدرته على ربط الحزام وفكه .

لا يتمتع المصرى بخاصية التكيف السريع بالجو الذى ينتقل اليه ، واذا كانت طبيعة الاشياء تدفعه الى هذا التكيف دفعا ، فان هذا يحدث ببطء ، ولعل هذا من الاسباب التى بغضت للمصريين الهجرة .

واذا كانت الثقافة تعمل عملها فى تخفيف حدة هذه الظاهرة ، فان نجاحها من الضآلة بمكان ..

كان القبانى حتى آخر يوم لا يخفى بغضه الشديد لما يقدمه المطبخ الاوربى من الوان الطعام ، وكذلك خوفه الغريزى الدائم من أكل لحم الخنزير .

ومن الملاحظ دائما ان مقام الانسان فى بيئة اخرى وخاصة اذا كانت خارج القطر ، يضطره الى المقارنة بين مايستدبر وبين ما يستقبل ، وهكذا كان القبانى ، فكل ما يقع بصره عليه مدعاة للمقارنة ، مهما كان الاختلاف طفيفا بينه وبين نظيره فى مصر ، فعدم قدرة اثنين من العمال الانجليز على حمله من الطائرة الى السيارة فاستعانا بثالث ، يذكره بتابعه شحاتة ابن الصعيد الذى حمله بمفرده فى مطار القاهرة . ويسلمه هذا الى التحليق برسم لوحة جذابة زاهية لاتعرف نقص الواقع ولا رداءته ولا اكداره ، بل تنافس المثال .

القبانى كاتب دقيق . لذلك يعمد الى تسجيل كل صغيرة وكبيرة ، حتى تبدو هذه الامانة أحيانا دقة مسرفة تنتزع الابتسامة انتزاعا ، كما فعل وهو يصف حجرة النوم فى جناحه الصغير بالمستشفى الانجليزى ، فهو يصف الحوض فلا يقول انه مزود بالماء الساخن والبارد ، بل يكتب أن له « ثلاثة صنابير ! واحد للماء البارد ،

وآخر للساخن ، والثالث يجمع بين الاثنين ! » (ص ٥٣) علامة التعجب ليست من عندنا .

واذا كان كل كاتب يضع فى المقام الاول من اهتماماته ايصال ما يريد الى قارئه فى وضوح لا غموض فيه ولا ابهام ، وان يحمل اليه المعنى بلا زيادة او نقصان ، ففي هذا المجال ايضا نجد كاتبنا يسرف فى دقته الى الدرجة التى يتحول فيها الكلام الى نص مدرسى مشروح مبسط يستطيع صغار التلاميذ فهمه ، يصف أحد أصدقائه المرضى فيقول :

« ظل عقب الحادث سجين الاربطة والضمادات والجبس اسابيع وشهورا ، وهو بين الموت والحياة ، بل بين ما هو اقسى من الموت واحلى من الحياة ..

اى بين خوف الخروج من المحنة مشوها بدرجة فظيعة ، وهذا اقسى من الموت طبعا ، وبين الرجاء فى الخروج منها سليما معافى بلا تشويه ، وهو رجاء أحلى من الحياة نفسها . (ص ١٠٥) .

ويشعر القارىء أن المؤلف بذل جهدا اكثر من العادى ، وهو يفرق بين الانجليز كحكومة استعمارية ، لاتنى عن الوقوف أمام حريتنا وقوميتنا وعروبتنا واسلامنا وبينهم كشعب تربطه ببقية الشعوب عواطف المحبة والاشتراك فى الارتقاء بالانسان والعمل على اسعاده ودفع ما يهدد وجوده .

هذا الجهد الاكثر من العادى ، أرى أن القبانى قد اضطر الى معاناته اضطرارا ، لا لانه يرتاد عالما جديدا ، ولكن لان كاتبنا احتاج الى ذلك وهو يحس انه لم يتحرر بعد من عامل الاحداث والانفعالات من ربقته . فلقد بدات رحلته وظل العدوان الثلاثى ينتفض بالدم ، والحقد لا زال يتأجج فى الصدور ، والعلاقات السياسية مقطوعة . فاستشعر الاحساس الشبيه بعدم الاطمئنان .

لكن الحب الذى يكنه القبانى للانسانية اعلن وجوده : « احسست ان هناك روابط خفية تربط بينى وبين هؤلاء الناس الذين يحيطون بى ، ويحملوننى حينا ، ويدفعون مقعدى بى حينا ، ويبتسمون لى دائما فى ترحيب ، انها الرابطة الانسانية .. انها الاحساس المشترك الغريزى بالاخاء البشرى . » (ص ٤٩ — ٥٠) .

من الطبيعى أن يكون للحديث عن الفتاة الانجليزية مكان فى كتابنا ، لان المراة الاوربية هى نتاج المدنية الغربية . والواجهة التى يرى اكثر الشرقيين هذه الحضارة من خلالها . فالكاتب القصصى يتلهف الى الوقوف على حقيقة الاختلاف أو الاتفاق بين الفتاة الشرقية التى عرفها وكتب عنها وبين اختها الغربية التى يجهلها ويريد أن يرتاد عالمها لتكتمل نظرته .

ولم يكن الفصل الذى افرده المؤلف للجنس هو كل ما كتبه فى هذه الناحية فكما ان العلاقة بين الرجل والمراة لا توجد فى الطبيعة مجردة عن اية رابطة اخرى ، فكذلك الحديث عن هذه العلاقة لا يمكن ابدا أن نقصره أو نضعه تحت عنوان واحد لا يعدوه .

ولذلك لم تتخلص اكثر فصول الكتاب من النبض الحى لعواطف حواء وآدم المشتركة .

فما الراى الذى كونه مؤلفنا عن المراة الغربية ؟

يقول القبانى فى ص ٢٣٤ من الكتاب : « اننى لست اباحيا فى كتاباتى او بطبيعتى وتفكيرى ، ولكننى اقرر الواقع فأقول للذين يسرفون فى اتهام الغرب بالاباحية والانحلال : أليس هذا ما يحدث بين الشباب فى كل بلاد العالم مع اختلاف

بسيط بين بلد وآخر ؟

الفرق بين شبابنا وشبابهم انهم هناك يتبادلون الهوى والغزل فى الحدائق العامة علانية ، لانهم مطمئنون الى ان نظرات الفضول لا تحاصرهم من كل مكان ، مطمئنون الى انهم لن يسمعوا عبارات .. سيب النعجة يا خروف و .. تسيبها وتاخد عرقها و .. يا خسارة قرد ماشى مع غزال . الخ هذه التعليقات السمجة الماجنة التى تنم عن قوة الكبت الجنسى ، وسوء التربية المنزلية ..

انه لا يجد غضاضة ــ بل انه ليرحب ويشجع ــ فى ان يتبادل الشباب الهوى والغزل فى كل مكان مفتوح وكل حديقة عامة « عينى عينك » ! ، لان هذا فى رايه لا يتصل من قريب او بعيد بالاباحية التى لا يعتنقها هو شخصيا كتابة او طبيعة او تفكيرا ! ــ هل نقول : لنتيقظ الى الاسلوب الماكر الذى يتنكر فى ملامح بريئة ؟ ــ ويغلو الكاتب فى تحبيذه ، منتهزا الفرصة ليزيد تأثيره فيتشبث بخطأ صغير يبدو متقلقلا فى مكانه ليقنعنا بسخافة الشباب المصرى وتعليقاته التافهة الدالة على حرمانه الجنسى

ان القبانى بذلك لا يتناول الاشياء الا من مظهرها الخارجى فقط ، وهو ان دل على شىء فعلى مجرد بداية لا يمكن ان يتجمد عندها تطور العلاقات الحية ، فمقابلة الاخطاء فى الاسراف بانتهاج الوجه المناقض ، ليست بالطريقة المثلى فى مجانبة هذه الاخطاء وعلاجها . وان تقسيم الالوان الى واحد ناصع البياض وآخر حالك السواد . تقسيم ساذج ، كنت اظن اننا قد فرغنا منه منذ وقت طويل ، وسرنا فى طريق الاعتدال بعد محاولات الاندفاع الجامحة والتى كان لا بد منها ونحن نتأرجح بين اغفال تطورنا والتقهقر ثانية ووصل قديمنا البعيد من جديد . او اغفال تقاليدنا وجذورنا الاصيلة جملة وتفصيلا مقلدين الغرب لنخرج وكأننا نسخة شائهة بالكربون .

اما محاولة التظاهر بموضوعية مهزوزة فهى لن تؤدى الا الى اختلاط المعايير واضطرابها ، وليس ادل على ذلك مما سطره المؤلف فى نفس الكتاب ، وفى نفس الموضوع من تنقل الفتاة الانجليزية بين العديد من الشبان فى وقت واحد . ومدى احترام الاوربيين لعذرية الانثى التى اصبحت فى نظرهم موضة قديمة لا يهتمون بوجودها « واصرار كل من الفتاة والفتى على الاتصال الجنسى قبل الزواج حتى يطمئن كل منهما الى انه متجاوب مع صاحبه فى هذه الناحية » . (ص ٢٥٦) ، وعن لعناته التى صبها على هذا الوضع ، الذى هو نهاية طبيعية للبداية التى حظيت باعجابه !

من الشخصيات العديدة التى تحدث عنها المؤلف من اكدت وجودها ، وسرقت المشهد ــ كما يقولون فى دنيا التمثيل ــ واكتسحت الباقين اكتساحا ، كما فى شخصية ابنة القبانى ، الطفلة التى لا تتجاوز السابعة من عمرها .

لماذا كادت حنان ان تكون المنع الشخصيات التى يزخر بها الكتاب حتى قبل والدها نفسه ؟

ان كل ما فى عالم الطفل برىء مثير ، فما بالك اذا تلونت هذه الاثارة البريئة بالالم والحزن والتفكير وتغيرت صفحتها الهادئة الى اخرى تعادى الهدوء والسكينة والطمأنينة ..

ان اباها مريض ، وهو ليس بالمرض الذى يمكن اخفاؤه ، او التهوين من شأنه ، او اقناع الصغيرة البريئة بتفاهته وانه لا يفترق عن الصحة فى شىء ، فوالدها الحبيب لا يستعمل قدميه كما يستعملها سائر الناس وكما تفعل هى نفسها . بل يستعين بوسيلة تراها غريبة غاية فى الطرافة أول الامر ثم مبعث الالم عندما تحاول ان تدرك وتفهم .. انه يستعين بمقعد ذى عجلات ينتقل به .

« ـ ليـــه يابابا مش بتمشى زى كل الناس »؟.

وكنت اغص بريقى ، واضـــغط على الدموع حتى لا تطفر من عينى واقول لها :

ـ عشان عيان يابنتى .. وبكره لمـــا اخف امشى .

ـ بكره بكره ؟!

ـ لا يعنى لما يريد ربنا .

ـ وليه ربنا مش بيريد .! » (ص١٢٤)

ولا شك ان هذا التساؤل الســـاذج الذى يحمل اعمق المشاعر لانه ينبع من القلب النقى الذى يعبر عن احســـاسه باللفظ البسيط . هـو الذى يهزنا هزا ولا اظن أن قارىء « ٥٠ يوما فى لندن » استطاع ان يتخفف سريعا من منظر حنان وهى تقفز من نومها مذعورة فى منتصف الخامسة صباحا ، وكانها كانت تتـوقع ما يحدث ، من ان اباها لن يفى بوعده لها ويوقظها فى هذه الساعة المبكرة لتقـــوم بتوديعه هى ايضا حتى المطار .

فهذه صورة لا يمكن ان تبهت خطوطها ابدا . لقد كانت اللقطـــات التى سجلها الاب لحنان ، دائما من اقوى الصور التى خطها فى كتابه ، ان لم تكن اقواها على الاطلاق .

ومن النماذج التى نجح الكاتب ايضا فى تسجيل ملامحها على الورق فى صورة لا ينقصها العمق او الدقة او دلالة النظرة الصائبة ، هذه التى تقوم بعمـل يشترك فيه الانسان برحمتـه والملاك بشفافيته ورقته : الممرضة .

ولقد عاش اديبنا المريض تجربتـــه الكاملة مع ملائكة الرحمة فى مصر وانجلترا فهو اذن لا يكتب مستعينا باعين الآخرين، او يســـتعير مشـاعر ليـكمل نقصا فى تصويره ، بل هو احد ابطالها .

الاستقبال العطوف ، والابتسامة العذبة التى تبعث الثقة ، والكلمة المشجعة التى تحيى موات الامل ، وتدفع بالتفاؤل الى النفس المنهارة ، وتطـــارد يأس المريض وضعفه ، هى بعض بضاعة من يتخـــذ التمريض مهنة وعملا . وهى ايضا بعض ما وجده حسين القبـــانى فى مستشفى « لندن كلينك » الذى نزل فيه : « ولم يسعنى فى تلك اللحظة الا ان اذكر ـ وانا ارى ممرضـــة اخرى تسرع الى باســـمة مرحبة ـ وجوها اخرى استقبلتنى ذات يوم فى مستشفى قصر العينى لا تعرف الابتسام الا اذا رات طبيبا شابا وسيما ، ولا تعرف من كلمات الترحيب لامثالى الا هذه الكلمات « قطيعة .. وآدى حالة كمان عايزه اللى يشيلها ويحطهـــا ! » (ص ٥١) .

وهذه الصورة المشرقة ليست وقفا على الممرضات من هيئـــة المستشفى فحسب بل ينتظم فى خطوطها الاطباء ايضا بطبيعة الحال .

ورغم ذلك لا يفوتنا ان نشير الى المأخذ الذى اخذه على الممرضات الانجليزيات ، وهو لهفتهن الشديدة على مغادرة مبنى المستشفى اذا انتهت ســـاعات عملهن ، حتى انهن لا يلقين بالا الى مصاب يحتاج الى معونتهن .

يخيـــل الى انها انانيـــة المريض التى لا يكاد ينجو من الوقوع فى براثنها واحد من ملازمى فراش المرض ، فهو يريد ان يدلل دائما غير معترف بالحق الطبيعى فى الراحة ، وممارسة حياتها كما تحب خارج نطاق عملها . ويعجب اذا ســـمعها تقول : « اننا فى ساعات الخلو من العمل ننسى اننا ممرضات ، ولا نذكر الا اننـــا فتيـــات ، لكل واحدة منـــا الحق فى الاســـتمتاع بوقت فراغها بعيـــدا عن

التفكير ، مجرد التفكير فى عملهـــا . » (ص ١٩٢) .

الا يبدو من الغريب ان يكون مثل هذا الحق البديهى فى حاجة الى تفســـير واقناع ؟!

ويعمل الكاتب على دفع ممرضته الى الاعتراف بهذا الوضع ، فيسالها فى حديث غير طويل :

« ــ كانك لا تفكرين ــ مثلا ــ فى مريض انصرفت عنه وهو فى حالة سيئة جدا . .

ــ ابدا . . ابدا » (ص ١٩٢)

ان الامور لا تسير بهذا الشكل الحـاد الذى يرسمه المؤلف لانه يتجاهل شيئا لا يغيب عن العقل وعن كل متردد على المستشـــفيات . . وهو ان الممرضـــة لا تنصرف قبل ان تحضر زميلتها .

تقل النماذج التي يمكن ان نقدمها الى شبابنا ليتمثل شدة صلابتها وتكشف له عن معدن شعبنا واصالته . .

ولعل هذا كان احد الاســـباب التى عملت على اضعاف ايمان شبابنا ببطولات مواطنيهم وقدرتهم على الصمود طويلا ، وقدرتهم ايضا على الخلق والابتكار .

ومن هذا القليل . . الاستاذ حســين القبانى .

ولذلك لا نستطيع ان نتهم مؤلفنا بانه مادح نفسه عندما نسمعه يقول : «**شخص مثلى لم يستسلم يوما للمرض او اليتم ، او لقسوة زوجـة الاب ، او للحرمان من الاهل والاصدقاء ، او للفقر ــ رغم الثروة التى تركها الوالد واضاعها الاوصياء فى منازعاتهم القضائية عليها .**

ولست اقول هذا عن فخر او زهـو او غرور ، وانما تقريرا للواقع ، ولاضرب المثل لكل شاب يوشك ان يتهاوى تحت ضربات القدر . » (ص ١٣٠) .

لقد اتاح لنا هذا الرجل على صفحات كتابه « ٥٠ يوما فى لندن » لقاء طويلا ، كشف لنـا عن مزيد من الملامح الدالة ، لشخصية مكافح واديب .

علاء الدين وحيد

فى

٥٨ شارع الجمهورية ــ تليفون ٤٨٠٦٩

الاجتماع الاسبوعى

الاحد الساعة السادسة

ندوات فنية ادبية

ندوة فنية تحرر وجدان الشباب

شخصيات فى السياسة والمجتمع

تاليف : عبد الهادى مسعود
نقد : محسب ـ المندى

يعد الاستاذ عبد الهادى مسعود من المع الكتاب ومن اكثرهم وفرة فى الانتاج ، اذ له فى هذا الميدان سلسلة كتب عن المذاهب السياسية والاديان وسلسلةعن الثورات الحديثة فى الشرق .. وسلسلة القصص السياسية ، وروايته الواحدة هى « فرانكا » أو جاسوسة من بناتصهيون نالت الجائزة الاولى فى القصة الطويلة من وزارة التربية والتعليم .

ولقد اثارت هذه المؤلفات عجبنا واعجابنا معا ، لان كاتبنا النشط لا يزال فى مقتبل العمر ..

والكتاب الذى نتحدث عنه اليوم يتناول قطاعا من تاريخ أوربا منذ نابليون الى اليوم بعنوان « شخصيات فى السياسةوالمجتمع» فهو يتحدثعن«لينين وعن « هتلر » وعن « موسولينى » كما يتحدث عن تاريخ حياة زعيم شرقى عالمى هو « غاندى » .

وهو يعتبر كل شخصية من هذه الشخصيات عدسة قوية تنعكس فيها حياة الشعب الذى تولوا حكمه وقيادته ، كما تتمثل فيه المذاهب الاقتصادية والاتجاهات السياسية ، والتوجيهات الاجتماعية التى حملوا لواءها واعتنقوها عن صدق وايمان حينا ، وعن كذب وادعاء احيانا .. ورأى من خلال هذه العدسة حياة الشعوب وصراع التاريخ ، وهو يقرر ان الانسانية اليوم اصبحت ركبا واحدا .. يتاثر كل ركن فيها بما يحدث فى اقصى الاركان . وهو بحث يتميز بالعمق ، ويتسم بالرقة .

وفى بحثه عن النازية الفاشستية عقد فصلا مسهبا عن الدين والسياسة ربط فيه بين هذه النواحى ربطا يثبت حقيقة الاتصال ، بين النوازع الانسانية .. ويتحدث عن الصلات التى تربط اليهودية والمسيحية والاسلام ، وعن الاصول العامة والخطوط الرئيسية التى تكشف عن رسالةالدين فى الحياة .. انها جميعا .. حلقات متماسكة متداخلة متكاملة .. وانها ظاهرة من الظواهر الاجتماعية يتوجها آخر طراز فيها وهو الاسلام ، وهو ينتهز هذه الفرصة ليهاجم رجال الدين هجوما قاسيا يصور فيه فسادهم وافسادهم حين ينحرفون عن مهمتهم الاصلية ـ وهى الدين ـ الى السياسة وما اليها من الشئون الدنيوية .

ثم هو يربط بين الفن والدين .. « فللفن روحه وللدين فنه » ويربط بين المذاهب الفكرية والفلسفية ، وبين الاتجاهات العلمية والعالمية .

والذى نأخذه على هذا الفصل الكبير انه لم يستكمل بعض نواحى البحث فلم يعرض لحقيقة العلاقةبين الدين والحياة ، ودوره فى اصلاح المجتمع رغم قدرته على هذا العرض .

وتناول المؤلف فى فصل آخر مذهبا من أخطر المذاهب الفكرية فى التطبيق السياسى ذلك هو مذهب « ماكيافللى » وقد رفض المؤلف رفضا باتا ان يكون «ماكيافيللى» هو صاحب الفكرة الاصيل ، بل يرجح أنه استفاد من مؤلفات ومؤلفين سابقين ، يرجع بنا الى نظام الملك فى كتابه

« سياسة تامة » كما يرجع بنا الى كتاب « الصين العظيم » وكتاب « أراكاسيترا الهند ». ويقرر أن نظرية ماكيافيللى القرن السابع عشر ليست الا تكرارا لاراء نظام الملك ، وترديدا للمعانى التى وردت فى كتابى «الصين العظيم» و « اراكاسيسترا الهند » وهما مؤلفان مجهولان من التراث القديم الذى سبق ميلاد المسيح بقرون.

ويبدى المؤلف رايه فى مذهب ماكيافيللى وانه يتعارض مع الاسلام ، واذا كان التاريخ الاسلامى قد مرت به فترات من انحكم الاستبدادى الذى ينزع نزعة ماكيافيللى. فان جوهر الدين لا يقر الاستبداد ولا يقر الماكيافيلية بحال . . !

ونحن نقول مع المؤلف ان سياسة الاستعمار كلها تكاد تكون تطبيقا عمليا لهذه النظرية : أمواج من المؤامرات وامواج من الدس والارهاب ـ الاغتيال السياسى شيء عادى ، كما أن الكذب والتغرير والنفاق سلوك غير ممقوت . . والوسائل التى توصل جميعها تبررها الغاية المرتجاة . . !

وهو فى عرضه لتاريخ « غاندى » يقرر أن سياسة الغرب لم تكن الا تطبيقا لما ورد على لسان ماكيافيللى من نصائح للامير الحاكم الذى لا يقيم وزنا للوسائل ولا يقيم وزنا للاخلاق ، ولا يقيم اعتبارا للضمير . أما غاندى فكان على النقيض ، كان يرى أن لا خلاف بين الغاية والوسيلة : كلاهما يجب أن يكون واضحا ، وكلاهما يجب أن يكون نظيفا ، فالسياسة ـ عند غاندى ـ هى الحقيقة ، والغاية هى الحقيقة ، والوصول الى الحكم يجب أن يرتكز على الحقيقة ايضا . . فلا غش ولا ختل ولا خداع ولا تضليل .

وغاندى عند الاستاذ مسعود هو الوسط بين النقيضين : هتلر وموسولينى يمثلان المذهب النازى ، ويمثلان رأسمالية الدولة وتأميم الانتاج وموارد الثروة القومية لحساب الدولة واغراضها واطماعها وحروبها وعدوانها ، وهما فى أقصى اليمين .

والنقيض الثانى هو « لينين » فى أقصى اليسار حيث دكتاتورية العمال ، وحيث التنظيم السرى لاحداث الانقلابات الدامية فى كل مكان لحساب الحزب الشيوعى الحاكم . أما غاندى ـ فى رايه ـ فكان زعيما روحيا اكثر منه حاكما أو مستبدا. وكان يحارب ولكن بغير سلاح من الحديد والنار ، ولغير هدف الا تحقيق المحبة فى الارض ، ونشر السلام الذى يتعارض مع استعمار دولة لدولة أو استبداد فرد او طبقة من الناس ببقية الناس والطبقات من ابناء نفس الشعب أو من أبناء غيره من الشعوب .

* * *

ويخلص من ذلك الى اننا ـ هنا فى البلاد العربية ـ يجب أن ندرك الحقيقة الواقعة وهى : توضيح غايته التى لخصها فى أواخر كتابه القيم الذى استغرق حوالى الستمائة صفحة . يقول ان البلاد العربية لا تستطيع أن تنهض الا بالقضاء على الرجعية المسيطرة التى «تسوىء سمعتنا لا بين الدول والشعوب بل بين الافراد والاجانب الذين يعيشون معنا وفى بلادنا » خاصة وأن الشعوب العربية تتعرض الان لموجة جديدة من الاخطار التى تهدد استقلالها وحريات ابنائها . ان الرجعية كطائر ضخم ينشر أجنحته السوداء على مقدرات الشعوب ، وينصب من نفسه اداة تعويق عن ركب الحضارة . . ونحن نعلم ان الحضارة فى البلاد الاوربية تمضى بسرعة الومض فى حين ان بعض الدول العربية لا تزال فى المؤخرة . . تعيش فى عهد بدائى يرجع الى القرون الوسطى ، وتلك هى مصيبة القرن العشرين وجنايته على هذه الشعوب التى ابتليت بالرجعية المتحالفة مع غلاة الاستعمار العالمى .

ان كتاب الزميل عبد الهادى مسعود « شخصيات فى السياسة والمجتمع » قيم يكشف عن كثير من النواحى المذهبية التى سادت فى نصف القرن قبل الاخير بالذات وانتهت الى تأكيد أن القرن العشرين هو قرن تحرير الشعوب ، كل الشعوب ، ان عمل الاستاذ مسعود شهادة للشباب يؤكد الامل فيه .

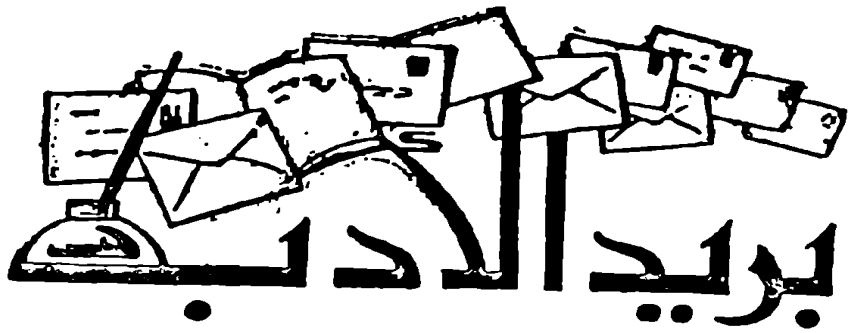

بريد الادب

تقويم و تدريب

معارك وهمية

قال المتفكهون عن الصحافة ، فى بدء حياتها عندنا ، انها كانت حين لا تجد مادة تنشر خبرا كاذبا بكل تفاصيله الممكنة ، ليملأ الفراغ .. ثم تعقبه بتكذيب له ، وينتهى العدد على هذه الصورة ..

وقد رأيت اخيرا ما يعيد للذاكرة هذه الفكاهة ، بعدما استطاعت الحياة أن تشغل الصحافة بالكثير .. فقد قرأت فى مجلة أسبوعية ، من تلك المجلات البراقة الملونة مقالا فى الرد على هجوم جاد لناقد ، على اخوانه النقاد الآخرين ، كانت تلك المجلة قد نشرته قبل أسبوع ، والى هنا والمسألة عادية ، لكن تحت هذا المقال خطابا من الهاجم على اخوانه ينفى فيه أن ذلك الهجوم قد صدر منه ، وينعى على الصحافة عدم دقتها .. فهل يبقى بعد هذا الخطاب مجال للرد على ما لم يقل ! ؟ انها صورة مما كان يقال قديما ، عن نشر الخبر الكاذب .. ثم تكذيبه ..

وانى لاشير الى هذا التصرف العابث بدفع مؤثر عكسى ، من تصرفات المرسلين الى « الادب » برسائلهم ، التى يرونها ادبية .. فانى لا أجد مجالا ما لنشر ما يريدون نشره ، لانى لو فعلت لاستهلك هذا صفحات المجلة ، وضاع على القراء كل ذى قيمة .. هذا ما قلت انه مؤثر عكسى ، لان هذه الصحيفة تجد الفراغ لنشر مقال فى معركة وهمية ، عن أقوال تحمل الصفحة نفسها تكذيبها .. و « الادب » لا تجد مكانا لنشر ما يريد أصحاب الرسائل نشره ، لانه معركة وهمية فى صورة اخرى ، اذ يريد صاحبه برسالة ان أنشرها لاطلب رأى السادة الادباء فيها ، وينتظرما يعطونه من رأى فيها ، وأنهم سيصورونه ويشهدون له .. والمعركة عندى وهمية ، لان الكلام الذى يريد صاحبه الاحتكام فيه الى القراء لا يحتاج الى شىء ما من ذلك ، لانه لا يدخل على أى أحد سوى صاحبه .. ومع هذه الحال لا يمكن الدخول فى هذه المعركة الوهمية حقا ، لانها تستفتى فيما لا مجال لاختلاف ما عليه .

ومن وهمية المعركة فى صورة اخرى أن ادخل مع بعض المرسلين فى لفت ، أو عتب لشتائم تجرى بها أقلامهم ، وقد أعلنت قبل ذلك غير مرة ، انى اتجاهل هذه الشتائم واتناساها ، ولا أقف عندها ابدا .. فلو عدت بعد ذلك لحديث شتائم من مناهم نقد لكان ذلك عندى اشتغالا بمعركة وهمية ، أريد الا أجعل صفحات «الادب»

ميدانا لها .. فليعلم كل ذى عبارة نابية انى انما اضعها دبر اذنى ، واحاول ان اصل الى الموضوعى من اقوالك ، فحين لااجده ادع الاشتغال بما عداه من اوهام ، او اخطاء ، او سذاجة لا تشتغل بها نفس جادة ...

وهذا مثال من السذاجة ، اوما هو تحت السذاجة نفسها يرى فيه القراء ما اشرت اليه هنا من دفعى الى الاشتغال بمعارك وهمية . ذلك المثال هو ما كتب به صاحب كلام عنوانه « من أنا » وقد قومته « الادب » فى عدد مضى .. فكتب بعد الشتم الكافى ، والخطأ الكافى فى عباراته ، والقلب الكافى للمعانى ، يطلب نشر هذا الكلام ـ بكامله ، وليس بنقص فيه ـ كما هى عبارته ـ وان اكتب عليه « الى السادة الادباء والنقاد والكتاب ، ليعطونا رايهم !! وهذا الكلام الذى يطلب صاحبه نشره ، من مثل قوله : انا جنسى من تراب .. وتراب من الارض .. وهو براعة المقطع فى كلامه ، فهلا يرى كل قارىء ان نشر مثل هذا اشتغال بما دون الوهم ، لا بالوهم !! ولا تحب « الادب » أن تعيد الى الصحافة عهد المعارك الوهمية ، بصورة ما ، وان كانت الصحافة لم تخلص حتى اليوم ، من الاشتغال بهذه المعارك الوهمية ، فى مثل ما اشير اليه اول هذا الحديث .

باق ... للاعادة !!

وشبيه بهذا الوهم مايريد بعض السادة اصحاب الرسائل ان يشغلوا به البريد من اعادة تهذيب ما نقد ، وبيان وجه النقص فيه ، فيعيدوا كتابته ويرسلوه ثانية للنشر .. كانها فرصة دور ثان .. فليذكروا ان هذا النظام قد الغى فعلا .. فليس عند « الادب » فرصة للنظر فى هذا التصحيح ، او اعادة الكلام عنه ، باى وضع .

وقريب من هذا ما يعاد ارساله ، حين يغيب نشره ، ويبطىء الوفاء بوعد «الادب» فى اخراجه .. فليتكرم السادة بتقدير ان للنشر اعتبارات كثيرة ، ايسرها .. مناسبة المنشور للظروف حوله والمناسبات الاجتماعية العامة على الاقل .. ولا بد يوما ما ان ينفذ الوعد بالنشر .. فصبرا .

عجبى ...

ومع استئذان اصحاب الادب الشعبى فى هذا العنوان ، نضع تحته قول سيد قومت له « الادب » اشياء فوافقت على بعضها ، ولم توافق على الباقى فاذا به يكتب اليها قائلا :

« ادهشنى جدا تقريظكم لما ارسلناه من انتاج فى العدد الماضى ، ثم نقدكم للقصة فى هذا العدد » فاقول : عجبى .. فيم يدهش هذا وهل يجب ان نقبل كل شىء لك اذا ما قبلنا بعضه تشجيعا .. لا تقريظا كما تزعم انت .. ومتى ثبت مستوى اى اديب حتى كبار العباقرة ! !

ومما يستحق الوضع تحت هذا العنوان ، ان سيدا يكتب « قضى وتره » ومثلها فى البعد عن اللغة ، ثم يتناسى هذا حين تأخذه « الادب » عليه ، ويرد عليها تفسيرها تصرف طفل بانه لم يحسن عد نقوده ، اذ الامر ـ فى حساب السيد ـ ليس كذلك وانما هو سقوط بعض هذه النقود منه !! عجبى .. هل يغطى هذا الفرق حساب

اخطائك التى يخرج صاحبها من حق الكتابة ـ واذا كانت عصارة نفسك كما تقول تصان بمثل هذا الفرق ، فما ارخص هذه العصارة !! وليس هذا الفرق الا فى وهمك ، اما المكتوب ففى ذلك ، والنقود كانت ملاليم فكثرت وسببت الخطأ .. ولا ذكر للضياع ، ولا لما يشير اليه .. وخير لك ان تستفيد من النقد الجدى ، ولا تضيع وقتك ووقت الناس فى هذه البسائط .. وقراءة صالحة من نص ادبى اجدى عليك الف مرة من كتابة صفحات من هذا المستوى .

اسمى ..

يقول سيد فى ذيل رسالة له : كم انا فى شوق لمعرفة اسمكم الكريم .. واقول له ما قيل غير مرة قبل ذلك من ان « الادب » فى هذا الباب بالذات تتناسى الاسماء لئلا تؤثر بها ، ولا تتاثر ، لا تؤثر بها على الناشئين حين ينقدهم اسم معروف فلا تكون لهم حرية الرد ، ولا سيما مع هذا الشتم الذى اتقبله باسما راضيا طول الشهر وانشر بعضه .

ولا تتاثر حين تذكر الاسم فتترفق بصاحبه لئلا تصيبه شدة نقدها بسوء ، بين زملائه وغيرهم ، فقد يكون مدرسا مثلا ، وعلى كل حال فنقد من يذكر اسمه يمنع من تمام الحرية فى القول .

واخرى مع ذلك كله هى ما تحرص « الادب » على تاصيله ، وقد اشارت اليه غير مرة كذلك ، وهو : **معرفة الرجال بالحق ، لا معرفة الحق بالرجال** .. فهلا يرى السيد المشوق لمعرفة اسمى ان هذه الاعتبارات كلها اجدى على الحياة الادبية ، من معرفة اسم عبد فقيرمثلى .. فليعدنى س من الناس ، هيان بن بيان .. او محمد عبد الله فخير الاسماء ـ على رايهم ـ ما حمد وعبد .. وفوت يا سيدى ـ والى شىء خير من هذه الاوهام .

الادب .. وندوة الامناء

كتب سيد صديق ، نشرت له « الادب » غير مرة ، عن كلمات الاعلان فى المجلة ، عن موعد اجتماع الامناء الاسبوعى يقول : بعد وصف اله بهذا الاعلان :

« الا يبدو من الغريب الا تهتم لسان الامناء بتسجيل ـ بشكل او آخر ـ لشىء ، هو الصق بالامناء من غيره ، لانه يعلن ويفصح عنهم مباشرة ، وفى كل اسبوع ، لا كل شهر ، كما تفعل المجلة الموقرة » .

ومع التقدير لكريم عواطف السيد ، وحسن رايه ، وقوله فى ختام رسالته :

« يكفى ان تستحوز القاهرة على اجتماعات مثل ندوات الامناء لتكون كفتها هى الراجحة »

واقول للصديق اعزه الله : ان « الادب » لم تخل من اثار هذه الندوات اما مباشرة ، واما من طريق تبعى ، فاما مباشرة فقد نشرت فعلا بعض ما القى فى تلك الندوات بنصه ، حينا ، وكان بعضه طويلا مسهبا ، وذكر انه مما القى فى الندوة ، او

جرى فيه الحديث .. واما عن طريق تبعي كالذى ينشر فيها مقالا او مقالات يثيرها موضوع درس فى الندوة ، فمؤتمر النحو الذى عقدته فى العام الماضى هو الذى أوحى بمقالات عن اخطاء تدريس النحو العربى مثلا .. وقد تؤثر المجلة على الندوة فتكون الندوة تعقيبا على ما نشر فى المجلة ، واستيفاء للراى فيه .. وحينا يكون العكس فيركز فى المجلة ما تناولته الندوة تناولا عابرا .. والصلة قائمة فى قوة بين المجلة والندوة ، لكن مع ملاحظة ما تلتزمه « الادب » دائما من الا تقدم لقرائها الا شيئا لا يسهل عليهم الوصول اليه .. وهكذا لا تكون المجلة صدى للندوة فقط ، ولا الندوة صدى للمجلة فقط .. لان الحياة احوج الى الكثير .. الكثير من النشاط ..

خارج النقـــد

وحين اتقدم الى الرسائل الموضوعية ابدا فأضع منها خارج النقد شيئا لاسباب شكلية ، كسبق نشره ، لان « الادب » لا تحتمل أن تعيد نشرما نشر ، بل لا تحتمل نشر ما القى أو اذيع فقط الا بتحرز وفى تقدير لظروف قوية تقضى بذلك ، وعلى هذا نضع خارج النقـــد قصتى « **الطفل** » و « **الحمار** » المرسلتين فى قصـــاصتين من الصحف ..

ولاسباب موضوعية اضع خارج النقد ما عنوانه « نفس حائرة » لانى انا نفسى حائر جدا فى وصف او تقدير لهذا الحبر الاســـود فى الورق .. ويا صاحب النفس الحائرة : لا تحر .. لان الطريق للرياضة الادبية معروف واضح المعالم .. مضىء .. فلا تبدا بالكتابة .. فعلى رايهم : الزبيب بعد الحصرم بكثير ..

الشـــعر

* فقد وصلت « **الرحيل** » بعد بعض التعديل والاضافة، كما يقول صاحبها ، ويبين « أن ذلك يرجع الى السرعـــة ، وصدقت الادب حين قالت لا تعجلوا ، فمعذرة » .. ولعل السيد يصـــدق « الادب » كذلك فى الفاء الدور الثانى ، لتبقى الفرصة للاخرين ، ولك فى عمـــل جديد ..

* ووصـــلت « **لا . . ياحبيبتى** » و « **الداء** » لصاحب الرحيل ايضـــا .. واذا لم يكن وزن ، وكانت القافية «امرى» فجاء معهـــا « اشـــعارى ، واصرارى ، واوتارى » واذا كانت الالفـــاظ مثـــل « وبالطبع » مما لا يعرفـــه الشعر .. وكانت الصور البيانيـــة مثل « وزرت الجسم بالجمر » و « جمعت عزمى ونائى الزمام » فمع ذلك كله تتاكد ، او اتاكد انا لك انك محتاج الى جهـــد كبير من الممارسة الادبية قبل ان تكتب ما تسميه انت شعرا .. فجاهد .. فالحياة جهاد.

* ووصلت « **رســـالة الى نفسى** » وفيها تهيؤ فنى طيب ، ومطاوعة عبارة ، وان احتاجت الى شىء من تذوق الالفاظ وتقدير ايحائها ، للشعور بأن مثل قوله : « وخذى العمر وشاحا من سنا » يعوزه الايحاء الصادق للتعبير ، لان العمر ليس وشاحا خارجيا يتزين به .. ثم لا يكون وشاحا من سنا ، لان العمر اكثر تحققا وتجسما من ذلك .. وكذلك يقـــدر ان مثل قوله : ان بدا فى النور او بين الخفاء .. لا يستقيم ، لانه لا يـــدو شىء بين الخفـــاء .. كذلك تبتر المعانى وتنقص وتضعف .. وحين تتعلق بالطيار السانح من الاشياء فى صورك البيانية ، كالنور .. والمنى فتقول : « فانسجى النور أفواف المنى » يكون نسج النور ثياب منى تتبنا

واهنا لا يكاد يظفر الخيال منه بصورة .. ولو تمثلت جيدا ما تجد لكان تعبيرك عنه اكثر تماسكا من هذا .. وفى كل حال اذا ما تاخر نشر هذه الرسالة فغيرها اقرب منها الى النشر .. فتقدم .

* ووصلت ((انطفاء)) عن انقضاء العام ، وفيها معان سالمة ، وحس واضح فى استقامة وزن ، واطراد قافية ، وان لم يمنع ذلك من وهن بعض المعانى فى مثل :

والذنب ينبع من نواصينا اذا انبعث الخمول .. فنبع الذنب من النواصى لا يسعف فيه اللفظ على المعنى .. والخمول لا يوائمه الانبعاث .. وفى مثل قوله :

والحق ميزان العدالة .. هل هراء ؟ هل عويل ؟ .. لا تدرى اين الهراء من العويل !! واين الهراء والعويل من تقرير ان الحق ميزان العدالة قبل ذلك ، واذا كان السؤال عن ان الحق ميزان العدالة لا يكون هراء .. فما السؤال عن العويل ! .. وفى مثل قوله :

بم يفضل البشر البهائم فى تسفلها العليل .. معنى تقريرى قريب ، ولفظ التسفل فيه ليس لفظا شعريا ، ووصفه بالعليل ليس قويا .. وفى القصيدة اشياء من هذا الوادى لا تملك الفرصة لتتبعها .. وفى هذه تحسن المعاودة ، والتنخل ليخرج منها السليم المتين .. ولا يعتبر هذا مع مثل السيد صاحبها من فرص الدور الثانى .. وانما هو من التروية التى يجوز مثلها لاصحاب الادب .

* ووصلت ((نزوات فى المحراب)) وهى خفقة وجدان صادق ، وحس نفس واعية تتمثل خطراتها فى دقة ، ولو واتاها انتسج الموائم لكانت خيرا مما هى الان .. ففى مثل قول صاحبها :

اصاحبتى وانظرى فى عيونى تفجر من شفتيك المياه ... لا يستساغ تفجر المياه من الشفاه . فماذا يكون هذا المنظر !! حس الشاعر الذى بدا فى غير هذا البيت يمنعنى من ان اسمى تفجر المياه من الشفاه !! وفيها غير ذلك مما ادعه لفطنة صاحبها وذكائه .

النثر :

* ووصلت كلمة ((هل ينتصر الشعر الحر)) وهى من الخفة بحيث لا تخف « الادب » لنشرها .

* ووصلت ((الى متى هذا التقصير ايها النحاة العرب)) لصاحب السابقة .. وتحب « الادب » ان تقول له : ليس بمثل هذا تؤخذ الشئون العلمية العميقة ، فلا هذا الاسلوب الصحافى الاجوف هو اسلوبها . ولا هذا الخطف السطحى هو منهجها .. ولا صاحب القول فى النحاة وتقصيرهم هو الذى يقول :

المنهج الغير علمى .. والتفكير الغير سليم .. والوضع القواعدى .. ان فى ميدان التفكير اللغوى والنحوى من المحاولات فى سبيل التطور ومن اجل التيسير ما لم تسمع به ، فضلا عن ان تكون قرات شيئا منه .. فدع ذا لاهله ، حتى تؤدى حقه من الاطلاع والدرس الفاقه فيكون لك ان تقول فى شىء من امر النحو والنحاة .. وجامعى مثلك لم يكن فى حاجة الى ان ينبه لمثل هذه !!

* ووصلت اقصوصة ((مخلوقات مسكينة)) لسيد يبدو انه يحسن كتابة هذه الاقصوصات اكثر من سواها وهى لقطة عين نفاذة ، تجد مجالها فى النشر فى فرصة مواتية .

* ووصلت مسرحية ((مبروك)) ، ورأى صاحبها فيها : « انه لا يقول انها مسرحية ، كما تعنى كلمة مسرحية ولكنه

يقول ايضا انها مسرحية » . والامر كما قال : انها مسرحية تنقصها الحركة التى هى روح العمل المسرحى وتعوزها الحبكة ، فلا حوادث فيها ، ولا عقدة ، وليس لها من خصائص المسرحية الا القول فى حوار ، مع ان فيها لمحة كانت تبث فيها الحياة لو استغلها الكاتب ، لكنه لمح لها ، ثم تركها ، تلك هى علاقة عزيزة بصابر ، فقد كان يمكن الضغط عليها ، وبث الحركة بها فى القصة ، فتثير نشاط الاب وحركته ، ويتنبه المتابع لسيرها ، لان العاطفة قوام المسرحية .. ولكن السيد صاحب « مبروك » لم ينتبه من ذلك الى شىء ، وترك الحادث قريبا فاترا ، تحل فيه الكلمات محل الاحداث والحركات .

ويذكر صنيع السيد بقضية الحوار واسلوبه ، والفصحى والعامية فيه .. وقد اتجه الكاتب الى الكلام بفصحى قريبة على لسان فلاحين ، فوق حصيرة اطرافها دانية .. لكنه لم يستطع تسهيل الفصحى التسهيل كله ، مع انه كان يستطيع ذلك ، بعدما اجرى التعابير الريفية المألوفة فى مقامها ، فلو قال بعد ذلك « حطيت » مكان حططت .. ولو قال « تجينى » بدل « تجيئنى » و « شرايح » بدل « شرائح » لكان لذلك وجهه من الفصحى وقربه القوى من اللغة العامة .. ان هذا الميل الى الفصحى الميسرة فى حوار الجماهير يتم نجاحه بالقدرة على اختيار الالفاظ والصيغ التى لها فى الفصحى وجه ، وهى من مستعمل العامة .. وصاحب « مبروك » يتقدم فى بطء نحو النشر .

* ووصلت « **ودفعت الثمن** » وهى تفقد طابع القصة القصيرة باسهاب الوصف فيها ، واظهار البراعة الانشائية ، فى حادث مما يتكرر فى الصحف اليومية ، عن عجوز ضل ، فقامر ، واختلس ليرضى عشيقة فاجرة ، ثم يقتلها حين يراها بين احضان شاب ، ويسلم نفسه للعدالة ، ويحكم عليه بالسجن المؤبد ، ويحكى قصته .. ليست القصة هذا كله ، ولكنها كما قيل كثيرا .. **لمحة محدقة ، لحساب من حادث ، وملحظ فى واقعة يجد فيها القلم مجالا فنيا للتعبير** عن احساسه المستشف لهذه اللمحة ، فى ومضات مضيئة ..

وحين نحس هذا فى الحادث المفصل ، ولا نرتاح للاسلوب الانشائى الصناعى تجبهنا مع ذلك عبارات مثل :

لا تقاطعوننى .. لشغل منصبا .. واصبحت كاعب .. آخر قرشا فية .. الذى اخطته ـ يريد اختطته ـ لاح امامى منفذا .. حشيت جيوبى .. اعطيه .. ـ فعل امر ـ فتبطح القارىء هذه الخبطات ، واكرر من اجلها قولى لصاحبى : اقرأ .. ثم اقرأ قبل أن تكتب ، لتكتسب طاقة لغوية ، وخبرة فنية يحل لك بعدها ان تتحدث عن عصارة نفسك .

* ووصلت « **آخر مزاج** » وقد خط صاحبها على جبينها انها « قصة هادفة » ، وانا ـ فيما يعرف اغلب القراء ـ لا اعرف شيئا من الفن غير هادف مادام قد استحق اسم الفن ، وتحققت فيه مقومات الفن ، وهو التعبير عن وجدان ، سواء اكان وجدان انفصالى منعزل ، هارب ، ساخط ، أم كان وجدان اجتماعى ، انسانى ، عالمى ، مثالى ، لانه فى كل حال من الحالين ليس الا صدى لمجتمع ، لقى منه وفيه ، ما رده الى حال من هاتين الحالتين ، أو الى سواهما من الحالات ، وليس من الفن فى شىء بعد ذلك أن يكون الفن تقريرا خطابيا ، أو وعظا خلقيا ، أو دعاية سافرة لكذا أو كيت فتلك وما اليها من أوهام ليست فنا ، ولا من عمل الفن فى شىء ..

ثم انا بعد ذلك لم اتبين هدف هذه القصة ، التى تتجه اليه ، وتصوب نحوه ؟ اهى التوبة عن تدخين الحشيش واشباهه ، أم هى شىء آخر لم اعرفه ..

اما هذه التوبة فليس فى احداث هـذه القصة شيء دفع اليه ، او اغرى به ، فبم هدفت قصة « آخر مزاج » الى هـذه التوبة ؟ ، الا ان يقول صاحبها انه موت مرزو ق بيد ابيه ، بسبب رميه من على السرير ، حين عاد وهو شارب ؟ ! ولكن الحبكة هنا ضائعة ، لانه كان نائما فى حضن عمته ، فكيف لم تدفع عنه هذا الرمى ، من اخيها الشارب .. ثم ماذا يكون فى القصة دور حليمة وطمعها فى زواج المعلم ، ولو قد استبعدت هى وحسن افندى اذن لبقى الهدف المزعوم !! واخيرا فانى لا استبين هدف هذه القصة التى وصفت ـ كتابيا ـ بانها هادفة ..

* ووصلت ((من اجل هؤلاء)) لسيد نشرت له « الادب » شعرا ، وهذه ـ فيما تبدو ـ خاطرة شعرية ، تتراءى من بين سطورها ، لمحة شعرية جميلة ، عن حب السماء ، والولع بمناظرها ، والحرص على صفائها ، والرمز بها الى السلام ، حين تكون صافية ، واعتبار الطيارات بشورا خبيثة مشوهة لجمالها ، وطلب صيد هذه الطيارات والقائها لكلب عم زهران : . ولكن هذه الخاطرة ، التى لا تجاوز بضع عشرات من الاسطر ، مثقلة بالايماء ، والايحاء الى حد الابهام ، وليست القصة فى فطريتها العادية ... ومن يدرى لعلها تصلح لشيء من النشر .

* ووصلت ((ام الغلام)) لصاحب دراسة فلسفية نشرت له « الادب » شيئا من ذلك ؟ وهى تفاصيل مملة ، اشبه بمذكرات غير مشوقة ، عن حياة خال [illegible] السيرة ، متردد على السجون ، كان يزور اخته وابناءها فى بلدتهم ، ومعه هدايا المدينة ، فظنوه لذلك ميسر الحال ، ناعم العيش ، حتى راوا مسكنه الحقير فى مصر ففجعهم ذلك ، ولكنه اختفى عشر سنوات ، كان فيها سجينا ، فلما عرف خروجه خف ابن اخته ، الذى احبه ، الى لقائه حريصا على ان يكون له خال (ولو عضم فى قفة) ، هذا هو التلخيص الكامل لسبع صفحات كبيرة ، فاى شيء بعد هذا ؟ لا ادرى .. ولكنى اذكر ان صاحب هذه الصفحات ، حين ارسلها منذ زمن غير قريب قال فى خطاب ارساله : انه يريد ان يعرف وجه الراى فى ان يكتب القصة اولا ؟ والراى اوضح من ان يتسع فيه القول .

وفى الصفحات اخطاء لا يصح ان يقع فيها جامعى ، مثل لم تدرى .. ولكنها كتابة الراقمة فلعله لم يخطىء باكثر من مفهوم القصة فى رايه ..

* ووصلت ((ابو الكل موجود)) وهى تفاصيل جانبية مسرفة لا تتصل باللقطة التى كان يمكن ان تكون مدار عمل فنى ، وهى : اب رفض شهادة الزور للعمدة العتيد ، الذى هو عمدة ، من ظهر عمدة ، من ظهر عمده ، وهم اصحاب البلد كما تقول له زوجته ، ولكنه يراقب الله ، وينتهى به الامر الى السجن شهرين .. ولكن ((ابو الكل موجود)) ليس لها موقعها فى القصة ، لان الابوة ليست مدار المعنى فى حادث الاب مع العمدة ، وان كانت مدار المعنى عند الابن حينما حبس ابوه ، لكنه لم يفهمها ، حينما قالها اخوه الاكبر .. وعلى هذه الحال لا تجد فرصة النشر القريب .

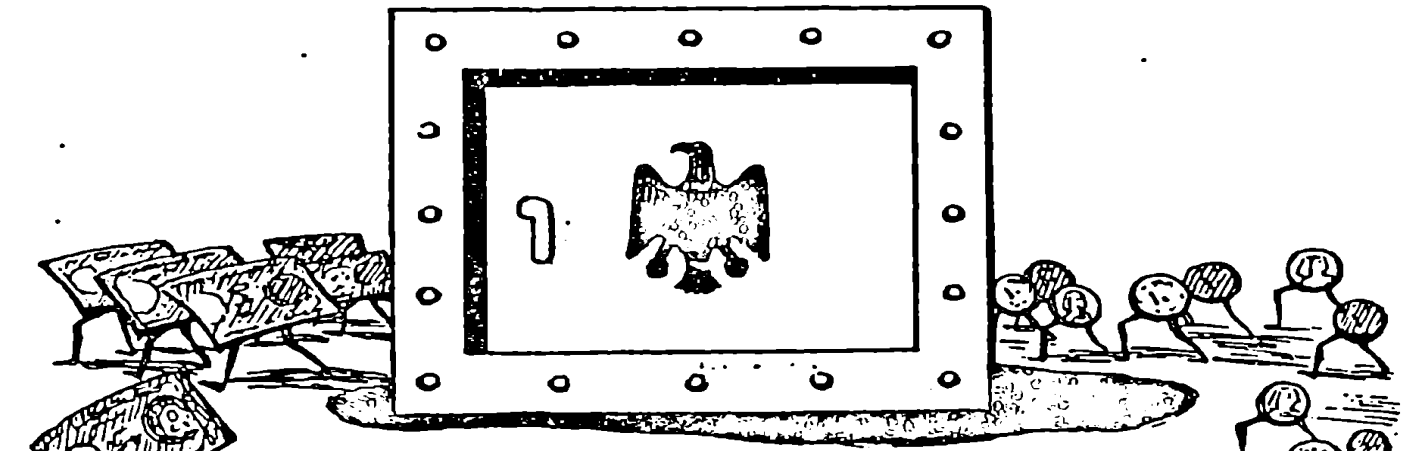

القرش يدخل الصندوق ... يخرج جنيهات

جنيهات كثيرة من قروش قليلة

وربح ٣٪

صندوق توفير البريد

هو بوليصة تأمين للشعب

ضد الأيام والزمن

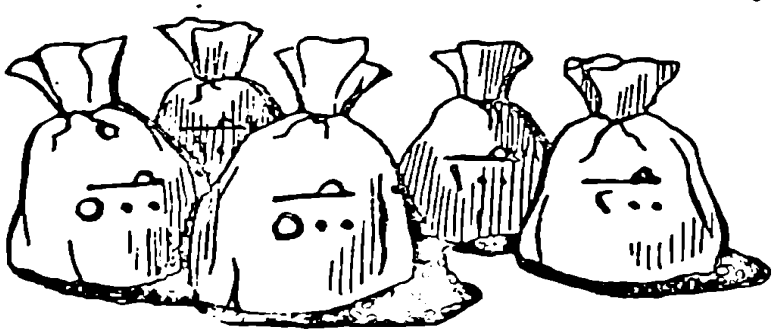

ثروة

بعد طول العمر

= السعادة

فهرس عناوين المقالات للسنة السادسة

ملاحظة :

(١) « ال » فى الكلمة الاولى من العنوان مهملة ، ويحسب الترتيب الهجائى ابتداء مما بعدها .

(٢) اسماء الاعلام الاجنبية تقلب ، فيكتب الاسم الاخير أولا (وذلك لشهرته) ، يليه بقية الاسماء بين قوسين .

— ١ —

العنوان	الموضوع	الصفحة
ابى	شعر	٤٧٢
احد بلا احدى	نحو	٤٦٥
الاخطاء فى تدريس النحو العربى	نحو	١٤٢
الاخطاء فى تدريس النحو العربى (١) : المناهج	نحو	٢٠٢
الاخطاء فى تدريس النحو العربى (٣) : طرق التدريس	نحو	٢٧٣
آدمى	قصة —	٢٣١
الادب وندوة الامناء	بريد الادب	٦٢٦
اذا استطعت فانك ستكون	شعر مترجم	١٥٥
ازهر او لا ازهر	حياة	٤٩٢
ازهر او لا ازهر	«	٥٥٢ ٦٠٨
اسئلة لا تستحق الجواب	بريد الادب	٣٢٠
استئناف نحوى	نحو	٦٠
اسمى	بريد الادب	٦٢٦
الاسى	قصة مترجمة	٢٢٢
اشتراكية الاسلام (١)	نقد الكتب	٣٠٣
اشتراكية الاسلام (٢)	نقد الكتب	٣٦٦
اصداء ادبية	نداء الى الادباء	٤٨
» »	حول محاولة لابداء رأى	٤٩
» »	الواقعية فى القصة والمسرحية	١١٤
» »	حول تجارب مورافيا	١١٥
» »	دور الامناء فى اعداد الصف الثانى	١٨١
» »	حول تحقيق النصوص	٢٣٣
» »	عرض لمجلة الادب	٢٩٩
» »	بين ادباء العاصمة والاقاليم	٦١٤
» »	تجاوب كريم	٣٦٣
» »	———	٤٩٠

		الصفحة
الاصلاح الجاد أخذ	حياة	٤٦١
افريقيا	شعر حر	٣٤٦
أفق أعلى	بريد الادب	٥٠٧
اقدم ياشباب ولا تنتظر دائما	بريد الادب	١٢٣
اقسمت بالوطن المفدى	شعر	٥٠
اكتبوا الصواب	بريد الادب	٤٢٩
اكثر من خسمين (١)	قصة مترجمة	٢٨١
اكر من خمسين (٢)	قصة مترجمة	٣٥٤
الوان من الادب	بريد الادب	٤٣٠
الى الطاوى فى زنزانته	شعر حر	٤٠١
الى القمر : فلسفة الحب	شعر	٥٩٠
الى امى	شعر	٤٧
الى سمراء	شعر	١٥٦
الى شاعرة	شعر	٦٠١
الى شمعتى	شعر	٢٢١
اليوت (ت.س) الناقد الشاعر	تراجم	١١١
امارة الشعر اليوم	من الفن والحياة	١٩٥
الام البيضاء	قصة	٥٩٦
أمل	شعر	٥٣٤
انغام السلام	شعر حر	٤٠٤
الانامل التى جرحت الحب	شعر مترجم	٤٧٤
الانسان فى شعر وعبيس	نقد	٢٣٦
الانسان	من الفن والحياة	٦٧
أين الشراة ؟	شعر	٤٦٩
أين عمرى ؟	نقد	١٦٩

— ب —

باق للاعادة		٦٢٥
بريد الادب	العدد الاول (ابريل)	٥٨
« «	العدد الثانى (مايو)	١٢٢
« «	العدد الثالث (يونيو)	١٨٤
« «	العدد الرابع (يوليو)	٢٥٠
بريد الادب	العدد الخامس (اكتوبر)	٣١٤
« «	العدد السادس (نوفمبر)	٣٧٦
« «	العدد السابع (ديسمبر)	٤٢٨
« «	العدد الثامن (يناير)	٥٠٤
« «	العدد التاسع (فبراير)	٥٦٨
« «	العدد العاشر (مارس)	٦٢٤
بلاش النهاردة	قصة	٤٨٢
بين الاخلاق والقانون	نقد	١٣١
بين العاصمة والاقاليم	بريد الادب	٥٧٠

الصفحة

— ت —

تاجر العصى (٣ قصص للاولاد) زجل ٣٤٤
تاريخنا الاسلامى : متى يصح له منهج ؟ دراسة ١٩٨
تحقيق النصوص : متى يصح له منهج ؟ » ١٣٥
تجاوب كريم اصداء ادبية ٣٦٣
تشيكوف الشاعر تراجم ١٠٨
تطوير الازهر بريد الادب ٣١٥
التقدير بالاعمال لا بالاموال » » ٣١٥
التنسيقات الاخيرة فى دلالتها الفنية » » ٣١٤

— ث —

ثأر قصة ٩٥
ثقوا بانفسكم بريد الادب ٣٧٨

— ج —

جنازة أمل شعر ٢١٩
جواب مستعجل زجل ٩٤
جوركى الانسان تراجم ٥٤٩

— ح —

حادثة قصة ٣٦٠
حرية الكاتب بين قيم المجتمع ومنطق شخصيات أدبه بريد الادب ٥٦٨
حفرة النار بزيد الادب ١٨٤
حفنة من الرمال قصة ٩٩
حق لا احسان من مثالية القرآن ٣٩١
حكاية سر شعر حر ٣٥٢
حكاية لاجىء شعر ٥٣٢
حلم ضائع شعر حر ٢٩٥
حلم لاجىء شعر حر ٥٢٩
حول تجارب مورافيا ايضا اصداء ادبية ١١٥
حول تحقيق النصوص » » ٢٣٣
حول محاولة لابداء راى فى القصة القصيرة » » ٤٩
حيرة وايمان شعر حر ٩٢

الصفحة

— خ —

الخاتم	قصة	٤٠٨
خارج النقد	بريد الادب	٦٠
» »	» »	١٨٨
» »	» »	٣٧٩
» »	» »	٤٣٢
		٦٢٧
خجلى	شعر	١٥٢
خليل شيبوب	تراجم	٤١
خمسون فى لندن	نقد	٦١٦

— د —

دور الامناء فى اعداد الصف الثانى من الادباء	اصداء ادبية	١٨١
الديباجة فى الشعر العربى	تاريخ أدب	٥١٨
ديكنز القرن العشرين : أوتبون سنكر	تراجم	٢٣

— ر —

رسالة الازهر فى القرن العشرين كما كتبت سنة ١٩٣٦	حياة	٤٣٧
رسالة من الجزائر	شعر	٤٧٠
رسالة هذه المجلة	من الفن والحياة	٢٥٩
رعاية الشباب	بريد الادب	١٢٢
الرعب	قصة سودانية	٤٧٩
الروح الاشتراكية فى المثل الشعبى	دراسة	٧٥

— ز —

الزميلة	قصة	٦٠٢
زهرات من الماضى	شعر حر	٥٣٥
زينات	قصة	١٦٣

— س —

السبع (٣ قصص للاولاد)	زجل	٣٤٥
سذاجة	بريد الادب	٥٠٤
السقوط	قصة مترجمة	٥٣٨
سلوك الاسياد : حذار ياشباب	بريد الادب	٥٨
السنة السادسة	من الفن والحياة	٣

		الصفحة
السياسة والحياة	من الفن والحياة	٣٢٣
السياسة والعروبة	من الفن والحياة	٤٥٠
السياسية والفن	من الفن ولالحياة	٣٨٦

— ش —

شاعر فى افريقيا	شعر	٢٨
الشاى والسيجارة وفجر اخضر	قصة	٥٤٦
شخصية	بريد الادب	٥٠٦
شخصيات فى السياسة	نقد	٦١٧
شذوذ	شعر	٣٥١
الشرق الادنى فى الادب الفرنسى فى القرن التاسع عشر	دراسة	٨٧
الشرق الادنى فى الادب للفرنسى فى القرن التاسع عشر	دراسة	٢١١
شفيق غربال فىالصحف الباقيات	تراجم (وثاء)	٣٦٥
الشيطان يعدكم الفقر	من هدى القرآن	٥٢٥ ٥٨٥

— ص —

الصائبة : أصول مصرية فى عقيدتهم	دراسة	٥٢١
صراع الروح والجسد	نقد	٥١
صلاح جاهين فى القمر والطين	نقد	٢٩٦

— ط —

الطريق	شعر	٢٠١
الطريق الجديد	شعر حر	٣٤٨
طريق الحب	شعر	٦٠٧
الطريقة الكلية فى تعليم الهجاء وجنايتها على اللغة العربية	تربية وتعليم	٨١

— ع —

عجوز عند الجسر	قصة مترجمة	٢٨٨
العدو	قصة	٤٧٥
العربة الاخيرة لمحمود بدوى	نقد الكتب	٤٢١
عرض لمجلة الادب يوسو سنة ١٩٦١	أصداء ادبية	٢٩٩
العروبة والوحدة	شعر	٢٣٠
عشم	قصة	١٠٢
عيد	شعر	٥٩٥
عيش وملح	زجل	٤٦٧

		الصفحة
ـ غ ـ		
غربال الحياة ادق فى رأى صاحب الغربال	دراسة	٦
الغربة فى المثل الشعبى	دراسة	١٧ ٢٤٦
غرفة على السطح	نقد	٢٤٦
الغزالى	تراجم	٣٨
ـ ف ـ		
فلسفة الحب	شعر	٥٩١
الفن والتاريخ : العرض الادبى والعرض التاريخى (١)	دراسة	٨
الفن والتاريخ : العرض الادبى والعرض التاريخى (٢)	دراسة	٧٠
فى الغابة السوداء	قصة	٢٩٠
فى الغروب	شعر	٢٨٠
فى الغروب	شعر	٣٤٩
فى الليل	شعر	٣٠
فين يا خضرة ؟	زجل	٤٠٥
ـ ق ـ		
قبر الغريب	شعر	١٨٣
قدر	قصة	٤١٢
القدر والحظ والبخت فى المثل الشعبى	دراسة	٣٣٦
قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن	دراسة	٥٥٠
قضية الموت فى المثل الشعبى	دراسة	٤٥٤
قلب وواحة	شعر	٤٦٤
القمح الابيض	قصة مترجمة	٤٠٦
قنابل يدوية	من الفن والحياة	٥٧٨
ـ ك ـ		
الكادح الصغير	قصة	٥٤٤
الكتاب والمجلة	بريد الادب	٣٧٦
كوليت فى كتابها	عرض وتحليل	٣٩٤
ـ ل ـ		
لا تزكوا انفسكم	بريد الادب	٤٣١
لا تعجلوا	بريد الادب	٥٠٥
اللص والكلاب	نقد الكتب	٥٦٠

		الصفحة
لو غيرك قالها	بريد الادب	
لو يرجع الموتى	شعر	٥٣٧
ليل الخطايا لنجيب الكيلانى	نقد الكتب	٤٩٨
ليلة مقمرة	قصة	١٥٧

— م —

ماساة الجبل الاخضر	شعر	٥٨٧
المأوى	قصة	٢٢٦
من هدى القرآن	الشيطان يعدكم الفقر	٥٨٥
مرحبا دائما	بريد الادب	٣٧٦
مسا ءبلا سمر	شعر	٤٠٣
معارك وهمية	بريد الادب	٦٢٤
المغزى القصصى عند نجيب محفوظ	نقد	٢٤١
من الفن والحياة	السنة السادسة	٣
من الفن والحياة	الانسان	٦٧
من الفن والحياة	بين الاخلاق والقانون	١٣١
من الفن والحياة	امارة الشعر اليوم	١٩٥
من الفن والحياة	رسالة هذه المجلة	٢٥٩
من الفن والحياة	السياسة والحياة	٣٢٣
من الفن والحياة	السياسة والفن	٣٨٦
من الفن والحياة	السياسة والعروبة	٤٥٠
من الفن والحياة	هذه الاشتراكية	٥١٤
من الفن والحياة	قنابل يدوية	٥٧٨
من أمثال سليمان	من العهد القديم	٤١٨
المنصتون		٤٧٤
من وحى تجارب مورافيا الفنية		٤٨
مهمة الناقد فى المجتمع المعاصر		٤٨٩

— ن —

نابغة الهند طاغور	٣٢٧
الناشئون والهدف المنشود	١٨٧
الناقد وخصوصيات الكاتب	٢٤٣
نحو تحقيق الثورة الاجتماعية والثورة الثقافية	٤٨٦
النصب الغبى	٤٨٨
نظافة النقد	٤٢٨
نعمـــة	٦٠٦
نقد الكتب : اشتراكية الاسلام (١)	٣٠٣
نقد الكتب : اشتراكية الاسلام (٢)	٣٦٦
نقد الكتب : العربة الاخيرة لمحمود بدوى	٤٢٠
نقد الكتب : اللص والكلاب لنجيب محفوظ	٥٦٠
النقد الذى لم ينشر	٢٥٦

— هـ —

الهارب — ق — ٣١
هل للناقد أن يخوض فى خصوصيات الكاتب ١٧٨

— و —

وازمة المطبعة ٣٤٣
الواد بسمر (٣ قصص للاولاد) ٢٥٢
الواقعية فى القصة المسرحية ١١٤
وحدة الفن فى مصر خلال العصور ٢٦٤
وحى المنيا شعر ٥٩٣
وزارة الثقافة والقراءة ٢٥٠
وعلى الارض السلام ٤٧٣

— ى —

يا اخى الابيض ٢١٧
يا نعم الزوج ١٥٣
يستر عرضك لصبحى الجيار ١١٦
ياليـــل شعر ٥٩٠

أسماء الكتاب

ا . الشربينى ٤٦٥
ابراهيم حافظ ٢٢١
ابراهيم حماد ٢٠١
ابراهيم راشد قاسم ٩١
احمد الدق (مترجم) ٥٣٨
احمد رزق المليجى (مترجم) ١٥٧
احمد عبده عبد اللطيف ٨٧ ٢١١ ٤٠٥
اسماعيل عمارة ٣٤٧ ٥٢٩
اشنشلا (كارلوس) ٤٠٦
امين الخولى ٦٠٨
انس داود ٤٧٢
انيس توفيق ٢٢٢

— ب —

باجين ١٥٧
باجين ٢٨١
باجين ٣٥٤
باجين ٥٣٨
بدوى السعيد راضى ٣٥٢
البيلى عبد الحميد حسن ٣٠ ٤٠٤ ٥٣٥

— ت —

تشيكوف (انطون) ٢٢٢
توفيق حنا ٣٨

— ح —

حامد الاطمس ٩٣ ٢٣٦ ٣٤٣ ٤٦٧
حامد سعيد ٢٦٤
حبيب الزحلاوى ٢٩٤
حسن النجار ١٠٨ ٢٩٦
حسن النوتى ٨٧ ٢١١

— د —

دى لامار (والتز) ٤٧٤

— ر —

راو (شانتا راما) ٣٢٧
رجب البنا ٦ — ٤٨٢
روبسون (ميشيل) ٣٢

الاسم	الصفحة
— ز —	
زفايج (ستيفان)	٣١
زكريا التوابتى	٩٥
— س —	
السيد ستيت	٤٠٣، ٤٧٣، ٤٩٠
— ش —	
شفيق فضول	١٥٥
شولوخف	٥٩٦
— ص —	
صبحى الجيار	١٧٨
شيلى	٥٩١
— ط —	
طاهر المتبولى	٣٤٨
الطيب زروق	٤٧٩
— ع —	
عباس محمد عباس	٩٩
عبد الحفيظ صقر	٢١٩ ٤٧٠
عبد الرحمن رضا كحيلة	٥٠
عبد العزيز عبد ربه	٥٤٩
عبد الغفار مكاوى	٢٩٠ ٣٦٠
عبد القادر زايد	٤٩
	٢٨٨
عبد الله خورشيد البرى	٤٠٨ ١٦٣
	٥٤٤
عزت محمد ابراهيم	٢٤١
علاء الدين وحيد	٥١ ١٦٩ ٤٢٠
على الشباسى	١٥٦ ٦٠١
على حسن العزب	٢٣٠ ٤٠١ ٤٦٤
	٥٣٢
عمر الراكش	٢٣١ ٦٠٦
عن الامناء	٣
	٦٧
	١٣٢
	١٩٥
	٢٥٩
	٣٨٦
	٤٥٠
	٥١٤
	٥٧٨
عن مجلة كتب وكتاب الانجليزية	٢٣
فتحى سعيد	٥٩٣
— ف —	
فاروق البديوى	٢٨١ ٣٥٤
	٦٤٠

الاسم	الصفحة
— ك —	
كامل سعفان	٤٦٩ ٤٨٨
	١٥٣ ٢٩٥
	٥٨٧
— ل —	
لتيفنوف (آيفى)	٢٢٢
— م —	
ماهر شفيق فريد	٥٩٦ ٢٤٦ ٤٠٦
	٤٧٥ ٥٦٠
مجسب — المندى	١١٦ ٤٩٨
محمد ابراهيم ابو سنة	١٧ ٧٥
	٣٣٦ ٤٥٤
محمد الخضرى عبد الحميد	٦٠٢
	٦١٤ ١١٤ ١٨١ ٥٤٦
محمد الفاتح محمد	٥٣٤
محمد جابر الحينى	٥١٨
	٥٨٢
محمد جمعة العدوى	١١٥
محمد رجب البيومى	٠٦٧ ١٨٣
	٣٥٠ ٥٣٧
محمد عبد الهادى محمود	١١١
	٢٤٣
محمد فريد ابو حديد وآخرون	٤٨٩
محمد محمد الدش	٥٢١
محمد مصطفى الشريف	٢١٧
محمد هريدى	٤١٢
محمود ذهنى	٢٩٩
مصطفى الاسمر	٢٢٦ ٦٠٢
مصطفى الصاوى الجوينى	٣١
— ن —	
ناهيد ابو زهرة	٤٧
نجية عبده سعد	٤٨
نعيم عطية	٤٧٤ ٥٩١
نقولا يوسف	٤١
— هـ —	
همنجواى (ارنست)	٢٨٨
— و —	
وديع روفائيل	٣٢٧
— ى —	
يسرى الفيل	٥٩٠
يعقوب عبد النبى	٨١ ٦٤٢
	٢٧٣ ٦٠٢